تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

الجزء السادس

دار المعارف

تاريخ الطبري

ذخائر العرب
٣٠

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ – ٣١٠ هـ

الجزء السادس

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بيـان

من الأصول الخطيّة التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب ، أجزاء متفرّقة ، مختلفة الخطوط ، من نسخة مصوّرة عن النسخة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٢٩ ، وقد رجعتُ إلى جزء منها في تحقيق الجزء الأول ، ومن هذه النسخة جزء يشتمل على ذكر حوادث سنة ٦٥ إلى آخر حوادث سنة ٨٠ هـ ؛ رجعت إليه فيما يقابله من هذا الجزء ، وأثبتّ الفروق في الحواشي مع بعض فروق النسخ التي رجع إليها مصححو طبعة ليدن ؛ ورمزت إلى نسخة أحمد الثالث بالحرف «ا» ، كما مرّ ذكره في مقدمة الجزء الأول ، وقد وقعت فيها على تصويبات هامة ، وتوجيهات مفيدة .

وضع هذا الجزء على أساس تجزئة خاصة للناسخ ، وعلى صفحة العنوان: « الجزء التاسع من كتاب تاريخ الملوك وأخبارهم ومواليد الرسل وأنبائهم والكائن كان في زمن كل واحد منهم ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري رحمة الله عليه » وآخره: «تمّ الجزء التاسع بعون الله تعالى وتوفيقه من التاريخ يتلوه في الجزء العاشر : ثم دخلت سنة إحدى وثمانين . والحمد لله وحده ، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد نبيه وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرَمين وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل » . كتب بخط نسخيّ جليّ واضح ، يميل إلى الجودة والإتقان ، وضبطت بعض كلماته ضبطاً صحيحاً في الغالب ، وفيه علامات الوقف والمراجعة ، ويبدو أنه كتب في القرن السادس الهجري . وعدد أوراقه ٢٢٤ ورقة ، وعدد الأسطر ١٩ سطراً لكل صفحة ، في كل سطر ١٠ كلمات تقريباً .

وقد عنيت عناية تامة بإثبات جميع التصويبات والاستدراكات والكثير من التعليقات التى وضعها مصححو طبعة ليدن فى مجلد خاص ؛ وهى فى مجموعها تحقّق كثيراً من أعلام الأشخاص والبلدان ونصوص الشعر ؛ وذلك ممّا لم يثبته ناشرو هذا الكتاب فى الطبعتين المصريتين .

أما باقى التعليقات فقد جرى الأمر فيها على نحو ما جرى فى الأجزاء السابقة من الرّجوع إلى أمّهات كتب التاريخ واللغة والأدب ودواوين الشعر ؛ مما أرجو أن يوضع فى ثبت خاص مع البيانات الكافية فى آخر الكتاب إن شاء الله .

والله الموفق والمعين .

محمد أبو الفضل إبراهيم

المحرم سنة ١٣٨٤

مايو سنة ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ستّ وستين

ذكر الخبر عن الكائن الذى كان فيها من الأمور الجليلة

فممّا كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبى عُبَيد بالكوفة طالبًا بدم الحُسين بن علىّ بن أبى طالب وإخراجه منها عاملَ ابن الزُّبير عبدَ الله بن مُطيع العدَوىّ .

* ذكر الخبر عمّا كان من أمرهما فى ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، أن فُضَيل بن خَدِيج ، حدّثه عن عُبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بنى هند ؛ أنّ أصحاب سليمان بن صُرَد لمّا قدموا كتب إليهم المختار :

أمّا بعد ؛ فإنّ الله أعظم لكم الأجر ، وحطّ عنكم الوِزْر ، بمفارقة القاسطين ، وجهاد المُحلّين ؛ إنّكم لم تنفقوا نفقة ، ولم تقطعوا عقبة[1] ، ولم تخطوا خَطْوة إلا رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم بها حسنة ، إلى ما لا يحصيه[2] إلا الله من التضعيف ؛ فأبشروا فإنّى لو قد خرجت إليكم قد[3] جرّدت فيما بين المشرق والمغرب فى عدوكم السيف[4] بإذن الله ، فجعلتُهم[5] بإذن الله رُكامًا ، وقتلتُهم فذًّا وتؤامًا ؛ فرحّب الله بمن قارب منكم واهتدى ؛ ولا يبعد الله إلا مَنْ عصى وأبى ؛ والسلام يا أهل الهدى.

٥٩٩/٢

فجاءهم بهذا الكتاب سَيحان بن عمرو ، من بنى ليث من عبد القيس قد أدخله فى قلنسوته فيما بين الظّهارة والبِطانة[6] ؛ فأتى بالكتاب رفاعة بن شدّاد

---

(١) ف : « واديًا » .
(٢) ف : « لم يحصه » .
(٣) ف : « لقد » .
(٤) ا : « من عدوكم » ، ف : « السيف فى عدوكم » .
(٥) ا : « يجعلهم » .
(٦) ا : « الظاهرة والباطنة » .

والمُثنَّى بن مُخَرّبة العبدىّ وسعد بن حُذيفة بن اليَمَان ويزيد بن أنس وأحمرَ بن شُمَيْط الأحمسىّ وعبد الله بن شدّاد البَجلِىّ وعبد الله بن كامل ؛ فقرأ عليهم الكتاب ؛ فبعثوا إليه ابن كامل ؛ فقالوا : قل له : قد قرأنا الكتاب[1] ، ونحن حيث يسرّك ؛ فإن شئت أن نأتيَك حتى نخرجك فعلنا . فأتاه ، فدخل عليه السجن ؛ فأخبره بما أرسِل إليه به ؛ فسُرّ باجتماع الشيعة له ؛ وقال لهم :لا تريدوا هذا ؛ فإنى أخرج فى أيّامى هذه .

٢/٦٠٠ قال : وكان المختار قد بعث غلامًا يُدْعى زِربيًّا إلى عبد الله بن عمر ابن الخطّاب ، وكتب إليه :

أمّا بعد : فإنى قد حُبست مظلومًا ، وظنّ بى الولاةُ ظنونًا كاذبة ؛ فاكتب فىّ يرحمك الله إلى هذين الظّالمَيْن كتابًا لطيفًا ؛ عسى الله أن يخلّصنى من أيديهما بلطْفك وبركتك ويُمنك[2] ؛ والسلام عليك .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أمّا بعد ؛ فقد علمتُما الّذى بينى وبين المختار بن أبى عبيد من الصِّهر ، والّذى بينى وبينكما من الودّ ؛ فأقسمت عليكما بحقّ ما بينى وبينكما لَمّا خلّيتما سبيله حين تنظران فى كتابى هذا ، والسلام عليكما ورحمة الله .

فلمّا أتى عبدَ الله بن يزيد وإبراهيمَ بن محمد بن طلحة كتابُ عبد الله ابن عمر دعوَا للمختار بكُفَلاء يضمنونه بنفسه[3] ، فأتاه أناس من أصحابه كثير ، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم لعبد الله بن يزيد : ما تصنع بضمان هؤلاء كلّهم ! ضمّنه عشرة منهم أشرافًا معروفين ، ودَعْ سائرهم . ففعل ذلك ، فلما ضمِنوه ، دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلّفاه بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ؛ لا يبغيهما غائلة ، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ؛ فإن هو فعل فعليه ألف بَدَنة

---

(١) ف : « كتابك » .

(٢) ط : « يمنك » ، تحريف ، صوابه من ا ، وفيها : « ببركتك ويمنك » .

(٣) ا : « فضمنوه بنفسه » .

ينحرها لدى رِتاج الكعبة ؛ ومماليكُه كلّهم ذ كَرُهم وأنثاهم أحرارٌ . فحلف لهما بذلك ، ثم خرج فجاء داره فنزلها .

قال أبو مخنف : فحدّثني يحيى بن أبي عيسى ، عن حُميد بن مسلم ، قال : سمعت المختار بعد ذلك يقول [1] : قاتلهم الله ! ما أحمقهم حين يَرَوْن أنّي أَفِى لهم بأيمانهم هذه ! أمَّا حلِفى لهم بالله ؛ فإنه ينبغى لى إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدَع ما حلفت عليه وآتى الذى هو خير ؛ وأكفّر يمينى ، وخروجى عليهم خير من كفّى عنهم ؛ وأكفّر يمينى ؛ وأمَّا هَدْى ألف بَدَنة فهو أهْوَن علىّ من بصقة ؛ وماثمنُ ألف بدنة فيهولَنّى ! وأمَّا عتق مماليكى فوالله لوددت أنه قد استتبّ لى أمرى، ثمّ لم أملك مملوكًا أبداً . ٢/٦٠١

قال : ولمَّا نزل المختار دارَه عند خروجه من السِّجن، اختلف [2] إليه الشيعة واجتمعت عليه؛ واتّفق رأيها [3] على الرضا به، وكان الذى يبايع له الناس وهو فى السِّجن خمسة نفر : السَّائب بن مالك الأشعرىّ ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شُمَيط ، ورفاعة بن شدّاد الفِتْيانىّ، وعبد الله بن شداد الجُشَمىّ. قال : فلم تزل أصحابه يكثُرون ، وأمره يقوَى ويشتدُّ حتَّى عزل ابنُ الزبير عبدَ الله بن يزيد وإبراهيمَ بن محمد بن طلحة، وبعث عبد الله بن مُطيع على عملهما إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدّثني الصَّقْعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، قال : دَعا ابن الزبير عبدَ الله بن مطيع أخابنى عدىّ ابن كعب والحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومىّ ؛ فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة. قال: فبلغ ذلك بَحيرَ بن رَيْسان الحميرىّ ؛ فلقيهما ، فقال لهما : يا هذان ؛ إن القمر الليلة بالناطح [4]، فلا تسيرا . فأمَّا ابنُ أبى ربيعة ؛ فأطاعه ؛ فأقام يسيرا ٢/٦٠٢

(١) ف : « يقول بعد ذلك » . (٢) ا : « اختلفت » .
(٣) ف : « رأيهم » . ا : « رأيهما »
(٤) الناطح والنطح : من منازل القمر مما يتشاءم به .

ثم شخص إلى عمله فسلم ؛ وأمَّا عبد الله بن مطيع فقال له : وهل نطلب إلا النَّطح! قال : فلَق والله نطحاً و بَطْحاً ، قال : يقول عمر : والبلاء موكَّل بالقول .

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : بلغ عبد الملك بن مروان أنّ ابن الزبير بعث عمالا على البلاد ؛ فقال : مَنْ بعث على البصرة؟ فقيل : بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حُرَّ بوادى عوف ، بعث عوفاً وجلس! ثم قال : مَنْ بعث على الكوفة ؟ قالوا : عبد الله بن مطيع ، قال : حازم وكثيرًا ما يسقط ، وشجاع وما يكره أن يفرّ ، قال : مَنْ بعث على المدينة ؟ قالوا : بعث أخاه مُصعب بن الزبير ، قال : ذاك الليث النَّهْد ، وهو رجل أهل بيته .

قال هشام : قال أبو مخنف : وقدِم عبد الله بن مُطيع الكوفة فى رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان ، فقال لعبد الله ابن يزيد : إنْ أحببت أن تقيم معى أحسنتُ صحبتَك ، وأكرمت مثواك ؛ وإن لحقتَ بأمير المؤمنين عبدِ الله بن الزبير فبك عليه كرامة ، وعلى مَنْ قبله من المسلمين . وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة : الحقْ بأمير المؤمنين ؛ فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة ، وكسر على ابن الزبير الخراج ؛ وقال : إنَّما كانت فتنة ؛ فكفّ عنه ابن الزبير .

قال : وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصّلاة والخراج ؛ وبعث على شُرطته إياس بن مضارب العجلىّ ، وأمره أن يُحسن السيرة والشدّة على المريب .

٢/٦٠٣ قال أبو مخنف : فحدّثنى حَصِيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدىّ — وكان قد أدرك ذلك الزمان ، وشهد قتل مُصْعب بن الزبير — قال : إنى لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع ، فصعِد المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : أمَّا بعد ؛ فإنّ أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثنى على مصركم وثغوركم ، وأمرنى بجباية فيئكم ؛ وألّا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضًا منكم ، ووصيَّةِ عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته ، وبسيرة عثمان ابن عفان التى سار بها فى المسلمين ؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا ، وخذوا

على أيدى سفهائكم ؛ وإلّا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلومونى ؛ فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصى ؛ ولأقيمنّ دَرْء[1] الأصعر المرتاب. فقام إليه السائب بن مالك الأشعرىّ ، فقال : أمّا أمر ابن الزبير إيّاك ألّا تحمل فضل فيئنا عنّا إلّا برضانا فإنا نشهدك[1] أنّا لا نرضى أن تحمل[2] فضل فيئنا عنّا ؛ وألّا يقسم إلا فينا ؛ وألّا يُسار فينا إلا بسيرة علىّ بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتّى هلك رحمة الله عليه . ولا حاجةَ لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا ؛ فإنها إنما كانت أثَرةً وهوًى ،ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فى فيئنا ؛ وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرًّا ؛ وقد كان لا يألو النّاس خيرًا . فقال يزيد ابن أنس : صدق السائب بن مالك وبرّ ، رأيُنا مثل رأيه . وقولنا مثل قوله . ٢/٦٠٤
فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها وهويتموها ثم نزل . فقال : يزيد بن أنس الأسدىّ : ذهبتَ بفضلها يا سائب ؛ لا يعدمْك المسلمون ! أما والله لقد قمتُ وإنى لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقالتك ، وما أحبّ أن الله ولّى الردّ عليه رجلا من أهل المصْر ليس من شيعتنا .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مُطيع ، فقال له : إنّ السائب بن مالك من رءوس أصحاب المختار ، ولست آمنُ المختار ؛ فابعث إليه فليأتك ؛ فإذا جاءك فاحبِسه فى سجنك حتى يستقيم أمر الناس ؛ فإن عيونى قد أتتنى فخبّرَتْنى أنّ أمره قد استجمع له ؛ وكأنه قد وثب بالمصْر . قال : فبعث إليه ابن مُطيع زائدةَ بن قُدامة وحُسين بن عبد الله البُرْسُمىّ من هَمْدان . فدخلا عليه ، فقالا : أجب الأمير ، فدعا بثيابه وأمر بإسراج دابّته ، وتحشحش[3] للذهاب معهما ؛ فلما رأى زائدةُ بنَ قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى :

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[4] ، ففهمها المختار ، فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ، ثمّ قال : ألقوا علىّ القطيفة ؛ ما أرانى إلّا قد وُعِكت ؛ إنى لأجد قفقفةً

(١) الدرء : الميل والعوج . (٢) ف : « نشهد »
(٣) التحشحش : الحركة ، وفى ط : « تخشخش » ، والصواب ما أثبته من ا .
(٤) سورة الأنفال: ٣٠ .

شديدة ، ثم تمثّل قول عبد العُزّى بن صُهَل الأزدىّ :

إذا مَا مَعْشَرٌ تَرَكُوا نَدَاهُمْ ولم يأْتوا الكريهَة لم يُهَابُوا

ارجعا إلى ابن مطيع ، فأعلماه حالى التى أنا عليها . فقال له زائدة بن قدامة : أمّا أنا ففاعل ؛ [فقال :] [1] وأنت يا أخا همْدان فاعذرنى عنده فإنه خير لك. ٢/٦٠٥

قال أبو مخنف : فحدثنى إسماعيل بن نُعيم الهمْدانىّ ، عن حسين بن عبد الله ، قال : قلت فى نفسى : والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يُرضيه ما أنا بآمن من أن يظهر غداً فيهلكنى . قال : فقلت له ، نعم ، أنا أضع [2] عند ابن مطيع عذرك ، وأبلغه كلّ ما تحبّ ؛ فخرجنا من عنده ؛ فإذا أصحابه على بابه ، وفى داره منهم جماعة كثيرة . قال : فأقبلنا نحو ابن مطيع ، فقلت لزائدة بن قدامة : أما إنى قد فهمت قولك حين قرأتَ تلك الآية ؛ وعلمت ما أردتَ بها ، وقد علمت أنها هى ثَبّطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه ، وأسرج دابّته ؛ وعلمتُ حين تمثّل البيت الذى تمثّل أنما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تُفهمه ، وأنه لن يأتيه . قال : فجاحدنى أن يكون أراد شيئاً من ذلك ؛ فقلت له : لا تحلف ؛ فوالله ما كنت لأبلّغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه ؛ ولقد علمت أنّك مشفق عليه ، تجد له ما يجد المرء لابن عمه . فأقبلنا إلى ابن مطيع ؛ فأخبرناه بعلّته وشكواه ؛ فصدّقنا ولها عنه .

قال : وبعث المختار إلى أصحابه ؛ فأخذ يجمعهم فى الدُّور حوله ، وأراد أن يثب بالكوفة فى المحرّم ؛ فجاء رجل من أصحابه من شِبَام [3] — وكان عظيمَ الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح — فلقى سعيد بن منقذ الثّورىّ وسِعر ابن أبى سِعر الحنفىّ والأسود بن جرَاد الكندىّ وقدامة بن مالك الجشمىّ ؛ فاجتمعوا فى منزل سِعْر الحنفىّ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ٢/٦٠٦

أمّا بعد ؛ فإنّ المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولا ندرى أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؛ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفيّة فلنخبره بما قدم علينا به

(١) تكلة من ا .
(٢) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « أصنع » .
(٣) ابن الأثير : « وشبام : حى من همدان » .

وبما دَعانا إليه ؛ فإنْ رخّص لنا فى اتّباعه اتّبعناه؛ وإن نهانا عنه اجتنبناه؛ فوالله ما ينبغى أن يكون شىءٌ من أمر الدنيا آثرَ عندنا من سلامة ديننا . فقالوا[1] له : أرشدك الله ! فقد أصبت ووفِّقت ؛ اخرج بنا إذا شئت . فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيّامهم ،فخرجوا ، فلحقوا بابن الحنفيَّة ؛ وكان إمامَهم عبدُ الرحمن بن شريح ، فلمّا قدموا عليه سألهم عن حال النّاس فخبّروه عن حالهم وما هم عليه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى خليفة بن ورقاء ، عن الأسود بن جراد الكندىّ قال : قلنا لابن الحنفيَّة ؛ إنّ لنا إليك حاجةً ؛ قال : فسرٌّ[2] هى أم علانية؟ قال : قلنا : لا ؛ بل سرّ، قال: فرويدًا إذًا ؛ قال : فمكث قليلا ، ثم تنحَّى جانبًا فدعانا فقمنا إليه ، فبدأ عبد الرحمن بن شُريح ، فتكلّم ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ؛ فإنكم أهل بيت خصّكم الله بالفضيلة ، وشرّفكم بالنبوّة ، وعظّم حقكم على هذه الأمة ؛ فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأى ، مخسوس النصيب؛ قد أصِبتم بحسين رحمة الله عليه.عظُمت مصيبة اختُصصتم[3] بها ، بعد[4] ما عم بها المسلمون ، وقد قدم علينا المختار بن أبى عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تِلقائكم ، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيِّه صلى الله عليه وسلم ؛ والطلب بدماء[5] أهل البيت ، والدفع عن الضعفاء ؛ فبايعناه على ذلك . ثم إنّا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه ، وندبنا له ؛ فإن أمرتَنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه . ٢/٦٠٧

ثم تكلمنا واحدًا واحدًا بنحو مما تكلم به صاحبنا ؛ وهو يسمع ، حتى إذا فرغنا حمِد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبى صلى الله عليه وسلّم ، ثم قال :
أمّا بعد ؛ فأما ما ذكرتم مما خصّصنا الله[6] به من فضل ؛ فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ فلله الحمد ! وأمّا ما ذكرتم من مصيبتنا بحُسين ؛ فإنّ ذلك كان فى الذكر الحكيم

(١) ف : « قالوا » . (٢) ا ، ف : « أفسر » .
(٣) كذا فى ف ، وفى ط : « ما قد خصكم » . (٤) كذا فى ا ، وفى ط : « فقد عم »
(٥) ف : « بدم » . (٦) ف : « خصنا » .

وهى ملحمة كُتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولا ، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا . وأمّا ما ذكرتم من دعاء مَن دعاكم إلى الطّلب بدمائنا ؛ فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

قال : فخرجنا من عنده ، ونحن نقول : قد أذن لنا ؛ قد قال : لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلْقه ، ولو كره لقال : لا تفعلوا . قال : فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا [١] ممّن كنّا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ؛ ممن كان على رأينا من إخواننا ؛ وقد كان بلغ المختارَ مخرجنا ، فشقّ ذلك عليه ، وخشى أن نأتيَه بأمر يُخذّل الشيعة عنه ؛ فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا [٢] ؛ فلم يتهيّأ ذلك له [٣] ؛ فكان المختار يقول : إن نُفيرًا منكم ارتابوا وتحيّروا وخابوا ؛ فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا ؛ وإن هم كبُوا [٤] وهابوا ، واعترضوا وانجابوا ، فقد ثَبروا وخابوا ؛ فلم يكن إلّا شهرًا [٥] وزيادة شىء ؛ حتى أقبل القوم على رواحلهم ؛ حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فُتِنتُم وارتبتم ، فقالوا له : قد أُمِرنا بنصرتك فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق ، اجمعوا إلىّ الشيعة ، فجمع له منهم مَنْ كان منه قريبًا فقال : يا معشرَ الشيعة ؛ إنّ نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا إلى إمام الهدى ، والنجيب المرتضى ابن خير من طشى [٦] ومشى ؛ حاشا النبي المجتبى ؛ فسألوه عمّا قدمت به عليكم ؛ فنبّأهم أنى وزيره وظهيره ، ورسوله وخليله ؛ وأمركم باتباعى وطاعتى فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين ، والطلب بدماء أهل بيت [٧] نبيّكم المصطفَيْن .

٢/٦٠٨

فقام عبد الرحمن بن شريح ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد يا معشر الشيعة ؛ فإنا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة ؛ فقدمنا على المهدىّ بن علىّ ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعمّا دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرته ومؤازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه ،

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « لقدومنا » . (٢) ف : مقدمنا » . (٣) ف : له ذلك .
(٤) ف : « نكصوا » . (٥) ف : « غير شهر » .
(٦) كذا فى ط ، وفى اللسان : « تطشى المريض ، برئ » . (٧) ف : « بدم أهل البيت » .

فأقبلنا طيّبة أنفسنا ، منشرحة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشكّ والغِلّ والرّيب ، واستقامت لنا بصيرتنا فى قتال عدوّنا ؛ فليبلّغ ذلك شاهدُكم ٢/٦٠٩ غائبكم ، واستعدّوا وتأهّبوا . ثمّ جلس وقمنا رجلا فرجلا[1] ؛ فتكلّمنا بنحو من كلامه ؛ فاستجمعت له الشيعة[2] وحدَبت عليه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى نُمَير بن وَعْلة والمَشرِقىّ ، عن عامر الشَّعْبىّ . قال : كنت أنا وأبى أوّلَ من أجاب المختار . قال : فلما تهيّأ أمرُه ودنا خروجه ؛ قال له أحمر بن شُميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شدّاد : إنّ أشرافَ أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ؛ فإن جامعَنا على أمرنا إبراهيمُ بن الأشتر رجوْنا بإذن الله القُوّة على عدوّنا ، وألّا يضرّنا خلافُ مَنْ خالفنا ، فإنه فتى بئيس ، وابن رجل شريف بعيد الصّيت ؛ وله عشيرة ذات عزّ وعدد . قال لهم المختار : فالقَوْه فادعوه ، وأعلموه الذى أمِرنا به من الطَّلَب بدم الحسين وأهل بيته .

قال الشعبىّ : فخرجوا إليه وأنا فيهم ، وأبى ، فتكلّم يزيد بن أنس، فقال له : إنّا قد أتيناك فى أمر نعرضه عليك ، وندعوك إليه ؛ فإن قبلته كان خيرًا لك ، وإن تركته فقد أدّينا إليك فيه النصيحة ؛ ونحن نحبّ أن يكون عندك مستورًا . فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : وإنّ مثلى لا تُخاف غائلته ولا سعايتُه ؛ ولا التقرّب إلى سلطانه باغتياب الناس ، إنما أولئك الصغارُ الأخطار الدّقاق هممًا . فقال له : إنّما ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأى الملإ من الشيعة ؛ إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه ، والطّلب بدماء أهل البيت ، وقتال المحلّين ، والدفع عن الضعفاء . قال : ثم تكلم أحمر بن شميط ، فقال له : إنى ٢/٦١٠ لك ناصح ، ولحظّك محبّ ، وإنّ أباك قد هلك وهو سيّد [الناس][3] ، وفيك منه إن رعيتَ حقّ الله خَلَفٌ ؛ قد دعوناك إلى أمر إن أجبْتَنا إليه عادت لك منزلة أبيك فى النّاس ، وأحييت من ذلك أمرًا قد مات ؛ إنما يكفى مثلكَ اليسيرُ حتى تبلغ الغاية التى لا مذهب وراءها ، إنه قد بنى لك أوّلك مفتخرًا[4] . وأقبل القوم

---

(١) ف : « رجلا رجلا » . (٢) ف : « لنا الشيعة وله » .

(٣) تكلة من ا . (٤) ط : « فتحرى » ، والصواب ما أثبته من ا .

كلّهم عليه(١) يدعونه إلى أمرهم ويرغّبونه فيه. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : فإنى قد أجبتكم إلى ما دعوتمونى إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على أن تولّونى الأمر، فقالوا : أنت لذلك أهل ؛ ولكن ليس إلى ذلك سبيل ؛ هذا المختار قد جاءنا من قِبَل المهدىّ ؛ وهو الرسول والمأمور بالقتال ؛ وقد أُمِرنا بطاعته . فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبْهم . فانصرفنا من عنده إلى المختار فأخبرناه بما ردّ علينا ؛ قال : فغبَّر ثلاثاً ؛ ثم إنّ المختار دعا بضعةَ عشر رجلا من وجوه أصحابه — قال الشعبىّ : أنا وأبى فيهم — قال : فسار بنا ومضى أمامنا يقُدّ بنا بيوت الكوفة قدًّا لا ندرى أين يريد؛ حتى وقف على باب إبراهيم بن الأشتر ؛ فاستأذنّا عليه فأذن لنا، وألقيت لنا وسائدُ ؛ فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه ؛ فقال المختار :

٢/٦١١ الحمد لله ، وأشهد أن لا اله إلا الله ، وصلّى الله على محمّد ، والسّلام عليه ، أمّا بعد ، فإنّ هذا كتاب إليك من المهدىّ محمد بن أمير المؤمنين الوصىّ ؛ وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلّها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله ؛ وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجّة عليك، وسيغنى الله المهدىّ محمداً وأولياءه عنك .

قال الشعبىّ : وكان المختار قد دفع الكتاب إلىّ حين خرج من منزله ؛ فلما قضى كلامه قال لى : ادفع الكتاب إليه ، فدفعته إليه ، فدعا بالمصباح وفضّ خاتمه ، وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد المهدىّ إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ، سلامٌ عليك ؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد فإنى قد بعثت إليكم بوزيرى وأمينى ونجيبىّ الذى ارتضيته لنفسى ، وقد أمرته(٢) بقتال عدوّى والطلب بدماء أهل بيتى ؛ فانهضْ معه بنفسك وعشيرتك ومَنْ أطاعك ؛ فإنك إن نصرتنى وأجبت دعوتى وساعدت وزيرى كانت لك عندى بذلك(٣) فضيلة ؛ ولك بذلك أعنّة الخيل وكلّ جيش غازٍ ، وكلّ مصر ومنبر وثغر ظهرتَ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل

---

(١) ف : « عليه كلهم » . (٢) ف : « وأمرته » .
(٣) ف : « بذلك عندى » .

الشأم، عليّ الوفاء بذلك على عهد الله ؛ فإن فعلت ذلك نلتَ به عند الله أفضل الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكًا لا تستقيله أبدًا ، والسلام عليك .

فلما قضى إبراهيمُ قراءة الكتاب، قال : لقد كتب إليّ ابنُ الحنفيّة ، وقد كتبتُ(١) إليه قبل اليوم ؛ فما كان يكتب إليّ إلا باسمه واسم أبيه ، قال له ٦١٢/٢ المختار : إنّ ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمَنْ يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفيّة إليّ ؟ فقال له : يزيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم — قال الشعبيّ: إلاّ أنا وأبي — فقالوا : نشهد أنّ هذا كتاب محمد ابن عليّ إليك ، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفراش فأجلس المختار عليه ، فقال : ابسط يدك أبايعْك ؛ فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم ، ودعا لنا بفاكهة ، فأصبنا منها ؛ ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا ؛ وخرج معنا ابنُ الأشتر ؛ فركب مع المختار حتّى دخل رحله ؛ فلما رجع إبراهيم منصرفًا أخذ بيدي ، فقال : انصرف بنا يا شعبيّ ، قال : فانصرفت معه ومضى بي حتّى دخل بي رحله ، فقال : يا شعبيّ ، إني قد حفظت أنّك لم تشهد أنت ولا أبوك ؛ أفترَى هؤلاء شهدوا على حقّ ؟ قال : قلت له : قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القرّاء ومشيخة المصْر وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقًّا . قال : فقلت له هذه المقالة ؛ وأنا والله لهم على شهادتهم متّهِمٌ ؛ غيرَ أني يعجبني الخروج وأنا أرى رأى القوم ؛ وأحبّ تمام ذلك الأمر(٢) ؛ فلم أطلعه على ما في نفسي من ذلك ؛ فقال لي ابن الأشتر : اكتبْ لي أسماءهم فإني ليس كلّهم أعرف . ودعا بصحيفة ودواة ، وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعريّ ، ويزيد بن أنس الأسديّ وأحمر بن شميط الأحمسيّ ومالك بن عمرو النهديّ ؛ حتى أتى على أسماء القوم ؛ ثم كتب : شهدوا أن محمد بن علي كتب إلى إبراهيم بن ٦١٣/٢ الأشتر يأمره بموازرة المختار ومظاهرته على قتال المحلّين ، والطلب بدماء أهل البيت ، وشهد على هؤلاء النّفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شَراحيل ابن عبد — وهو أبو عامر الشعبيّ الفقيه — وعبد الرحمن بن عبد الله النّخعيّ ،

(١) ف : « وكتبت » . (٢) بعدها في ف : « لم » .

وعامر بن شَراحِيل الشعبىّ . فقلت له : ما تصنع بهذا رحمك الله ؟ فقال : دعْه يكون. قال: ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومَنْ أطاعه، وأقبل يختلف إلى المختار .

* * *

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف: حدثنى يحيى بن أبى عيسى الأزدىّ، قال : كان حُميد بن مسلم الأزدى صديقاً لإبراهيم بن الأشتر ؛ وكان يختلف إليه ؛ ويذهب به معه ؛ وكان إبراهيم يروح فى كلّ عشية عند المساء ، فيأتى المختار ، فيمكث عنده حتى تصوّب النجوم ، ثم ينصرف ؛ فمكثوا بذلك يدبّرون أمورهم ؛ حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين ، ووطّن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم . فلما كان عند غروب الشمس ، قام إبراهيم بن الأشتر ؛ فأذّن ؛ ثمّ إنه استقدم، فصلّى بنا المغرب ، ثم خرج بنا بعد المغرب حين قُلت : أخوك أو الذئبُ[١] — وهو يريد المختار ، — فأقبلنا علينا السلاحُ، وقد أتى إياس بن مضارب ٢/٦١٤ عبدَ الله بن مطيع فقال : إنّ المختار خارج عليك إحدى الليلتين ؛ قال : فخرج إياس فى الشُّرَط[٢]، فبعث ابنه راشداً إلى الكُنَاسة ، وأقبل يسير حولَ السوق فى الشُّرَط .

ثم إنّ إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع ، فقال له : إنى قد بعثت ابنى إلى الكناسة ، فلو بعثتَ فى كل جبَّانة بالكوفة عظيمة رجلاً من أصحابك فى جماعة من أهل الطاعة ؛ هاب المريبُ الخروج عليك . قال : فبعث ابن مطيع عبدَ الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جَبَّانة السَّبيع ، وقال : اكفنى قومك، لا أوتَيَنّ من قِبلك ، وأحكِم أمر الجبَّانة التى وجّهتك إليها ، لا يحدُثنّ بها حَدَث ؛ فأولئك العجز والوهن . وبعث كعب بن أبى كعب الخثعمىّ إلى جَبَّانة بشر ، وبعث زحْر بن قيس إلى جبَّانة كِنْدة ، وبعث شمر بن ذى الجوشن إلى جبّانة سالم، وبعثَ عبد الرحمن بن مخنف بن سُليم إلى جبَّانة الصائديّين ، وبعث يزيد بن الحارث بن رُؤيم أبا حَوْشب إلى جبّانة مراد،

---

(١) يقال : أخوك أو الذئب ؛ إذا اشتد الظلام . (٢) ف : « الشرطة » .

وأوصى كلَّ رجل أن يكفيه قومه ، وألّا يؤتَى من قبَله ، وأن يحكم الوجه الذى وجّهه فيه ؛ وبعث شَبَث بن رِبْعىّ إلى السَّبَخَة ، وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجّه نحوهم ؛ فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين ؛ فنزلوا هذه الجبابين ، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رَحله بعد المغرب يريد إتيان المختار ؛ ٦١٥/٢ وقد بلغه أن الجبابين قد حُشيتْ رجالا ، وأن الشُّرَط قد أحاطت بالسوق والقصر .

قال أبو مخنف : فحدّثنى يحيى بن أبى عيسى ، عن حُميد بن مسلم ، قال : خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلةَ الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حُريث ، ونحن مع ابن الاشتر كتيبةٌ نحوٌ من مائة ، علينا الدروع ، قد كفرنا[1] عليها بالأقبية ، ونحو متقلّدو السيوف ؛ ليس معنا سلاحٌ إلّا السيوف فى عواتقنا ، والدّروع قد سترناها بأقبيتنا ؛ فلمّا مررنا بدار سعيد بن قيس فجزْناها إلى دار أسامة ، قلنا : مُرَّ بنا على دار خالد بن عُرْفُطة ، ثم امض بنا إلى بَجِيلة ، فلنمرّ فى دورهم حتى نخرج إلى دار المختار — وكان إبراهيم فتًى حَدَثا شجاعًا ؛ فكان لا يكره أن يلقاهم — فقال : والله لأمرّنّ على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق ، ولأرعبنّ به عدوّنا ولأرينّهم هوانهم علينا . قال : فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبّار[2] ؛ ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث ؛ حتى إذا جاوزها ألفينا إياس بن مضارب فى الشُّرَط مظهرين السلاح ، فقال لنا : مَنْ أنتم ؟ ما أنتم ؟ فقال له إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر ، فقال له ابن مضارب : ما هذا الجمع معك ؟ وما تريد ؟ والله إنّ أمرك لمريب! وقد بلغنى أنك تمرّ كلّ عشية ها هنا ، وما أنا بتاركك حتى آتى بك الأمير فيرى فيك رأيه . فقال إبراهيم : لاأبا لغيرك ! خلِّ سبيلَنا ، فقال : كلاّ والله لا أفعل — ومع إياس بن مضارب رجل من هَمْدان ، يقال له أبو قطن ، كان يكون مع إمرة الشُّرْطة فهم يكرمونه ٦١٦/٢ ويؤثرونه ، وكان لابن الأشتر صديقًا — فقال له ابن الأشتر : يا أبا قَطَن ، ادنُ منى —ومع أبى قَطَن رمح له طويل— ؛ فدنا منه أبو قَطَن ؛ ومعه الرمح ؛

---

(١) كفرنا ، أى سترنا .

(٢) ط : « هبار » ، وانظر الجزء الرابع ص ٢٧٣ .

وهو يرى أن ابن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلّيَ سبيله ؛ فقال إبراهيم — وتناول الرّمح من يده[1] : إنّ رمحك هذا لطويل ؛ فحمل به إبراهيم على ابن مضارب، فطعنه فى ثُغْرة نحره فصرعه، وقال لرجل من قومه : انزل [عليه][2]، فاحتزّ رأسه، فنزل إليه فاحتزّ رأسه، وتفرّق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع . فبعث ابن مطيع ابنَه راشدَ بن إياس مكان أبيه[3] على الشّرْطة ، وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكُناسة تلك الليلة سُوَيد بن عبد الرحمن المِنْقَرِيّ أبا القعقاع بن سُويد . وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلةَ الأربعاء ، فدخل عليه فقال له إبراهيم : إنّا اتّعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس ، وقد حدث أمرٌ لا بدّ من الخروج الليلة ، قال المختار : ما هو ؟ قال : عرض لى إياس بن مضارب فى الطريق ليحبسنى بزعمه ، فقتلته ؛ وهذا رأسه مع أصحابى على الباب . فقال المختار : فبشّرك الله بخير ! فهذا طير صالح، وهذا أوّل الفتح إن شاء الله . ثم قال[4] المختار: قم يا سعيد بن منقذ ، فأشعل فى الهرادىّ[5] النيران ثم ارفعها للمسلمين، وقم أنت يا عبد الله بن شدّاد ؛ فناد: «يا منصور أمتْ» ؛ وقم أنت يا سفيان بن ليل، وأنت يا قدامة ابن مالك، فناد : يا لثأرات الحسين ! ثم قال المختار : علىّ بدرعى وسلاحى، فأتِىَ به ؛ فأخذ يلبس سلاحه ويقول :

٦١٧/٢ قَدْ عَلِمَتْ بَيْضاءُ حَسناءُ الطَّلَلْ واضِحَة الخَدَّين عَجْزاءُ الكَفَلْ

* أنى غداةَ الرَّوْعِ مِقْدامٌ بَطَلْ *

ثم إنّ إبراهيم قال للمختار : إنّ هؤلاء الرءوس الّذين وضعهم ابن مطيع فى الجبابين يمنعون إخوانَنا أن يأتونا ، ويضيّقون عليهم ؛ فلو أنى خرجت بمن معى من أصحابى حتى آتىَ قومى ؛ فيأتينى كلّ مَنْ قد بايعنى من قومى ، ثم سرت بهم فى نواحى الكوفة ، ودعوت بشعارنا ؛ فخرج إلىّ مَن أراد الخروج إلينا ، ومَنْ قدر على إتيانك من الناس ؛ فمن أتاك حبستَه عندك إلى مَنْ

---

(١) ف : « بيده » . (٢) من ف .
(٣) ف « راشداً مكان أبيه إياس » . (٤) كذا فى ف : وفى ط : « فقال » .
(٥) فى اللسان : « الهردية : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم ، تحمل عليها قضبانه » .

معك ولم تفرّقهم ؛ فإن عوجلت فأتيت كان معكَ من تمتنع به ؛ وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت إليك فى الخيل والرجال. قال له. إمّالا[1] فاعجل وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ، ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع ألّا تقاتل ، واحفظ ما أوصيتك به إلّا أن يبدأك أحد بقتال. فخرج إبراهيم بن الأشتَر من عنده فى الكتيبة الّتى أقبل فيها ؛ حتى أتى قومَه ، واجتمع إليه جلّ مَنْ كان بايعه وأجابه . ثم إنّه سار بهم فى سِكك الكوفة طويلا من الليل ؛ وهو فى ذلك يتجنّب السكك الّتى فيها الأمراء ، فجاء إلى الّذين معهم الجماعات الّذين وضع ابن مطيع فى الجبابين وأفواه الطّرق العظام ، حتّى انتهى إلى مسجد السّكون ، وعجلت إليه خيلٌ من خيل زَحْر بن قيس الجُعْفىّ ليس لهم قائد ولا عليهم أمير . فشدّ عليهم إبراهيمُ بن الأشتَر وأصحابه ، فكشفوَهم حتّى دخلوا جبّانة كِندة ، فقال إبراهيم : مَن صاحب الخيل فى جبّانة كندة ؟ فشدّ إبراهيم وأصحابُه عليهم ، وهو يقول : اللهمّ إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيّك، وثُرْنا لهم ؛ فانصرنا عليهم ؛ وتمّم لنا دعوتَنا ؛ حتّى انتهى إليهم هو وأصحابُه ، فخالطوهم وكَشفُوهم فقيل له: زَحْرُ بن قيس ؛ فقال : انصرفوا بنا عنهم ، فركب بعضُهم بعضاً كلّما لقيَهم زقاق دخلَ منهم طائفةٌ ، فانصرَفُوا يسيرون . ٢/٦١٨

ثم خرج إبراهيم يسير حتّى انتهى إلى جبّانة أثَيْر ، فوقف فيها طويلا ، ونادى أصحابه بشعارهم ، فبلغ سُوَيد بن عبد الرحمن المنقرىّ مكانهم[2] فى جبّانة أثَير ، فرجا أن يصيبهَم فيحظَى بذلك عند ابن مطيع ، فلم يشعر ابن الأشتَر إلّا وهم معه فى الجبّانة ، فلمّا رأى ذلك ابن الأشتَر قال لأصحابه : يا شُرطةَ الله، انزلوا فإنكم أولَى بالنّصر من الله من هؤلاء الفسّاق الّذين خاضوا دماءَ أهلِ بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنزلوا . ثم شدّ عليهم إبراهيم ، فضربهم حتّى أخرجهم من الصّحراء ، وولّوا منهزمين يركَب بعضهم بعضاً ، وهم يتلاوَمون ، فقال قائل منهم : إنّ هذا الأمر يراد، ما يلقوْن لنا جماعة

---

(١) إمالا ، أى إن كنت لا تفعل غير ذلك .

(٢) ف : « حديثهم ومكانهم » .

إلّا هزموهم ! فلم يزل يَهزِمهم حتّى أدخلَهم الكُناسةَ . وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم : اتّبعهم واغتنِم ما قد دَخلَهم من الرّعب ، فقد علم الله إلى مَن ندعو وما نطلب . وإلى مَن يدعون وما يطلبون ! قال : لا ، ولكن سيروا بنا إلى صاحبنا حتّى يؤمّن الله بنا وحشتَه ، ونكون من أمره على علم ، ويعلم هو أيضًا ما كان من عَنائنا ، فيزداد هو وأصحابه قوّة وبصيرةً إلى ٢/٦١٩ قواهم وبصيرتهم ، مع أنى لا آمن أن يكون قد أُتِىَ .

فأقبل إبراهيمُ فى أصحابه حتّى مرّ بمسجد الأشعث ، فوقفَ به ساعة ، ثمّ مضى حتّى أتى دار المختار ، فوجد الأصواتَ عالية ، والقومَ يقتتلون ، وقدجاء شَبَث بن رِبعىّ من قِبَل السبَخة ، فعبّى له المختاريزيد بن أنس ، وجاء حجّار بن أبجر العجلىّ . فجعل المختار فى وجهه أحمر بن شميط ، فالناس يقتتلون ، وجاء إبراهيم من قِبل القصر ، فبلغ حجّارًا وأصحابه أنّ إبراهيم قد جاءهم من ورائهم ، فتفرّقوا قبل أن يأتيَهم إبراهيم ، وذهبوا فى الأزقّة والسكَك ، وجاء قيس بن طَهْفة فى قريب من مائة رجل من بنى نَهْد من أصحاب المختار ، فحمل على شَبَث بن رِبعىّ وهو يقاتل يزيد بنَ أنس ، فخلّى لهم الطريق حتّى اجتمعوا جميعًا . ثمّ إن شَبَث بن رِبعىّ ترك لهم السكّة ، وأقبل حتّى لقى ابن مطيع ، فقال : ابعث إلى أمراء الجبّابين فمرهم فليأتوك ، فاجمعْ إليك جميعَ الناس ، ثمّ انهد إلى هؤلاء القوم فقاتِلهم وابعث إليهم من تثق به فليكفلك قتالهم ، فإنّ أمرَ القوم قد قَوِى ، وقد خرج المختار وظهر ، واجتمع له أمرُه . فلمّا بلغ ذلك المختار من مشورة شَبَث بن رِبعىّ على ابن مطيع خرج المختار فى جماعة من أصحابه حتّى نزل فى ظهر دَيْر هند ممّا يلى بُسْتان زائدة فى السَّبَخة .

قال : وخرج أبو عثمان النّهدىّ فنادى فى شاكر وهم مجتمعون فى دورهم ، يخافون أن يظهروا فى الميدان لقُرْب كعب بن أبى كعب الخثعمىّ منهم ، وكان كعب ٢/٦٢٠ فى جبّانة بشر ، فلمّا بلغه أن شاكرًا تخرج جاء يسير [1] حتى نزل بالمَيْدان ، وأخذ عليهم بأفواه سِككهم وطُرُقِهم . قال : فلمّا أتاهم أبو عثمان النّهدىّ

---

(١) ا : « أقبل يسير » .

فى عصابة من أصحابه ، نادى : يا لَثأرات الحسين ! يا منصورُ أمِت ! يأيّها الحىّ المهتدون، ألا إنّ أمير آل محمّد ووزيرَهم . قد خرج فنزل ديرَ هند ، وبعثنى إليكم داعيًا ومبشرًا ، فاخرجوا إليه يرحمكم الله ! قال : فخرجوا من الدّور يتداعَوْن : يا لَثأرات الحسين ! ثم ضاربوا كعب بن أبى كعب حتّى خلّى لهم الطريق ، فأقبلوا إلى المختار حتّى نزلوا معه فى عسكره ، وخرج عبد الله بن قراد الخثعمىّ فى جماعة من خثعم نحو المائتين حتّى لحق بالمختار ، فنزلوا معه فى عسكره ، وقد كان عرض له كعب بن أبى كعب فصافّه ، فلمّا عرفهم ورأى أنّهم قومُه خلّى عنهم ، ولم يقاتلْهم .

وخرجتْ شِبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبّانة مراد ، فلمّا بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم : إن كنتم تريدون اللّحاق بالمختار فلا تمرّوا على جبّانة السَّبيع ، فلَحقوا بالمختار ، فتوافَى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثنى عشر ألفًا كانوا بايعوه ، فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر ، فأصبح قد فرغ من تعبيته .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الوالبىّ قال : خرجتُ أنا وحميد بن مسلم ، والنعمان بن أبى الجَعْد إلى المختار ليلةَ خرج ؛ فأتيناه فى داره ، وخرجْنا معه إلى معسكره ؛ قال : فوالله ما انفجَر الفجر حتى فرغ من تعبيته ؛ فلمّا أصبح استقدم، فصلّى بنا الغداةَ بغلَس، ثم قرأ« والنازعات » و« عبس وتولّى »، قال : فما سمعنا إمامًا أمّ قومًا أفصحَ لهجةً منه . ٦٢١/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى حَصِيرة بن عبد الله، أنّ ابنَ مطيع بعث إلى أهل الجبابين ، فأمرهم أن ينضمّوا إلى المسجد ، وقال لراشد بن إياس بن مضارب : نادِ فى الناس فليأتوا المسجد ، فنادى المنادى : ألا برئتْ الذّمّة من رجل لم يحضر المسجد الليلة ! فتوافَى النّاس فى المسجد ، فلمّا اجتمعوا بعث ابن مطيع شَبَث بن رِبْعىّ فى نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث راشد بن إياس فى أربعة آلاف من الشُّرَط .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبُو الصَّلْت التيمىّ عن أبى سعيد الصَّيْقل ،

قال : لما صلّى المختار الغداةَ ثم انصرف سَمِعْنَا أصواتًا مرتفعة فيما بين بنى سُلَيم وسكّة البريد ، فقال المختار : مَنْ يعلم لنا علم هؤلاء ما هم ؟ فقلت له : أنا أصلحك الله ! فقال المختار : إمّا لا [1] فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظّار ، ثم تأتينى بخبرهم . قال : ففعلتُ ، فلمّا دنوت منهم إذًا مؤذنهم يقيم ، فجئت حتّى دنوتُ منهم فإذا شَبَث بن رِبعىّ معه خيل عظيمة ، وعلى خيله شَيْبان بن حُرَيث الضبىّ ، وهو فى الرجّالة معه منهم كثرة ، فلما أقام مؤذنهم تقدّم فصلّى بأصحابه ، فقرأ : ﴿ إذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ، فقلت فى نفسى : أما والله إنى لأرجو أن يزلزل الله بكم ، وقرأ : ﴿ والعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال أناس من أصحابه : لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين [2] شيئًا ! فقال شَبَث : ترون الديْلم قد نزلت بساحتكم ، وأنتم تقولون : لو قرأت سورة « البقرة » و « آل عمران » ! قال : وكانوا ثلاثة آلاف ، قال : فأقبلت سريعًا حتى أتيت المختارَ فأخبرته بخبر [3] شَبَث وأصحابه ، وأتاه معى ساعة أتيته [4] سِعْر بن أبى سعر الحنفىّ يركض من قِبَل مراد ، وكان ممّن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس ، فلمّا أصبح أقبل على فرسه ، فمرّ بجبّانة مراد ؛ وفيها راشد بن إياس ، فقالوا : كما أنت ! ومن أنت ؟ فراكضهم حتى جاء المختار ، فأخبره خبر راشد ، وأخبرته أنا خبر شَبَث ، قال : فسرّحَ إبراهيم بن الأشتر قِبَلَ راشد بن إياس فى تسعمائة — ويقال ستّمائة فارس وستّمائة راجل — وبعث نعيم بن هبيرة أخا مَصْقَلة بن هبيرة فى ثلثمائة فارس وستّمائة راجل ، وقال لهما : امضيا حتى تلقيا عدوّكما ، فإذا لقيتماهم فانزلا فى الرجال وعجلا الفَرَاغ وابدآهم بالإقدام ، ولا تستهدفا لهم ؛ فإنهم أكثر منكم ، ولا ترجعا إلىّ حتى تظهرا أو تُقتلا . فتوجّه إبراهيم إلى راشد ، وقدّم المختارُ يزيد بن أنس فى موضع مسجد شَبَث فى تسعمائة أمامه . وتوجّه نعيم بن هبيرة قِبَل شَبَث .

٦٢٢/٢

قال أبو مخنف : قال أبو سعيد الصيقل : كنت أنا فيمن توجّه مع نُعيم

(١) إما لا ، أى إن كنت لا تفعل غير ذلك . (٢) ف : « منهما » .
(٣) ف : « خبر » . (٤) ف : « وافيته » .

٢/٦٢٣ ابن هبيرة إلى شَبَث ومعى سِعْر بن أبى سعر الحنفىّ، فلما انتهينا إليه قاتلناه قتالا شديداً ، فجعل نعيم بن هبيرة سعر بن أبى سِعْر الحنفىّ على الخيل، ومشى هو فى الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت، فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت ؛ ثم إنّ شَبَث بن رِبعىّ ناداهم : يا حماة السوء! بئس فرسان الحقائق[1] أنتم! أمِنْ عبيدكم تهربون[2]! قال : فثابت إليه منهم جماعة[3] فشدّ علينا وقد تفرّقنا فهزمنا، وصبر نعيم بن هبيرة فقتِل، ونزل سعر فأسِر وأسِرت أنا وخليد مولى حسان بن محدوج[4]، فقال شبث لخليد — وكان وسيماً جسيماً : مَن أنت ؟ فقال :[5] خليد مولى حسان بن محدوج الذهلى، فقال له شَبَث : يا بن المتكاء، تركت بيع الصَّحناة[6] بالكُناسة وكان جزاء من أعتقك أن تعلوَ عليه بسيفك تضرب رقابه ! اضربوا عنقه ، فقُتِل ، ورأى سعراً الحنفىّ فعرَفه ، فقال : أخو بنى حنيفة ؟ فقال له : نعم ؛ فقال : وَيْحكَ ! ما أردتَ إلى اتّباع هذه السَّبئيّة ! قبح الله رأيك ، دعوا ذا . فقلتُ فى نفسى : قتَل المولَى وترَك العربىّ ؛ إن علم والله إنى مولى قتلنى . فلمّا عُرِضت عليه قال : من أنت ؟ فقلت : من بنى تيم الله؛ قال : أعربىّ أنت أو مولًى ؟ فقلت : لا بل عربىّ ، أنا من آل زياد بن خَصَفة ، فقال : بخ بخ ! ذكرتَ الشريفَ المعروف ، الحقْ بأهلك . قال : فأقبلتُ حتّى انتهيت إلى الحمراء ، ٢/٦٢٤ وكانت لى فى قتال القوم بصيرة ، فجئت حتى انتهيت إلى المختار ؛ وقلت فى نفسى : والله لآتينّ أصحابى فلأواسينّهم بنفسى ، فقبح الله العيشَ بعدَهم ! قال : فأتيتُهم وقد سبقنى إليهم سِعْر الحنفىّ ، وأقبلتْ إليه خيلُ شَبَث ، وجاءه قتلُ نُعَيم بن هُبَيرة ، فدخل من ذلك أصحابَ المختار أمرٌ كبير ؛ قال : فدنوتُ من المختار ، فأخبرتُه بالذى كان من أمرى ، فقال لى : اسكتْ، فليس هذا بمكان الحديث . وجاء شَبَث حتّى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس

(١) ف : « الحقيقة » . (٢) ف : « تفرون » .

(٣) ف : « جماعة منهم » .

(٤) ط : « بخدح » ، والصواب ما أثبته ؛ وانظر الاشتقاق ٣٤٧ . (٥) ف : « قال » .

(٦) المتكاء من النساء : هى التى لم تخفض ؛ وهو من السب عندهم . وفى اللسان : « الصحناء بالكسر : إدام يتخذ من السمك ، يمد ويقصر ، والصحناة أخص منه » .

وبعث ابن مطيع يزيدَ بن الحارث بن رؤيم فى ألفين من قبَل سكّة لحّام جرير، فَوقَفوا فى أفواه تلك السكك ، وولّى المختارُ يزيد بن أنس خيلَه ، وخرج هو فى الرّجالة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحارث بن كعب الوالبىّ ؛ والبة الأزد ، قال : حملتْ علينا خيلَ شَبَث بن ربْعىّ حملتين ، فما يزول منّا رجل من مكانه ، فقال يزيد بن أنس لنا : يا معشر الشّيعة ، قد كنتم تُقتَلون وتُقطّع أيديكم وأرجلكم ، وتسمَل أعينكم ، وتُرفَعون على جُذوع النخل فى حُبّ أهل بيت نبيّكم ؛ وأنتم مقيمون فى بيوتكم ، وطاعة عدوّكم ، فما ظنّكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم ! إذًا والله لا يَدَعون منكم عينًا تَطرف ، وليقتلُنّكم صَبْرًا ، ولترَوُنّ منهم فى أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموتُ خيرٌ منه ، والله لا يُنجيكم منهم إلّا الصدق والصبر ، والطعن الصائب فى أعينهم ، والضرب الدّراك[1] على هامِهم . فتيسّروا للشّدّة ، وتهيئوا للحَمْلة ، فإذا حرّكت رايتى مرّتين فاحملوا . قال الحارث : فتهيّأنا وتيسّرنا ، وجثَوْنا على الرُّكَب ، وانتظرنا أمره . ٢/٦٢٥

قال أبو مخنف : وحدّثنى فضيل بن خديج الكندىّ أنّ إبراهيم بن الأشتر كان حين توجّه إلى راشد بن إياس ، مضى حتّى لقيه فى مراد ، فإذا معه أربعةُ آلاف ، فقال إبراهيم لأصحابه : لا يهولنّكم كثرةُ هؤلاء ، فوالله لرُبّ رجل خيرٌ من عشرة ، ولرُبّ فِئة قَليلة قَدْ غَلَبَتْ فِئةً كثيرةً بإذْن الله والله مَعَ الصّابرين ، ثم قال : يا خُزَيمة بن نصر ، سرْ إليهم فى الخيل . ونزل هو يمشى فى الرّجال ، ورايتُه مع مُزاحم بن طُفيل ، فأخذ إبراهيم يقول له : ازدَلِف برايتك ، امضِ بها قُدُمًا قُدُمًا . واقتتل الناسُ ، فاشتدّ قتالهم ، وبصُر خزيمة بن نصر العبسىّ براشد بن إياس ، فحمل عليه

(١) الطعن الدارك : المتتابع .

فطعنه ، فقتله ، ثمّ نادى : قتلتُ راشدًا وربِّ الكعبة . وانهزم أصحابُ راشد ، وأقبل إبراهيمُ بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومَن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار ، وبعث النعمانُ بن أبى الجعْد يبشّر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد، فلمّا أن جاءهم البشير بذلك كبّروا ، واشتدّت أنفسهم،ودخل أصحاب ابن مطيع الفَشَل ، وسرّح ابن مطيع حسّان بن فائد بن بكير العبسىّ فى جيش كثيف نحو من ألفين . فاعترض إبراهيمَ بن الأشتر فُوَيقَ الحمراء ليردّه عمّن فى السبخة من أصحاب ابن مطيع ، فقدّم إبراهيمُ خزيمة بن نصر إلى حسّان بن فائد فى الخيل ، ومشى إبراهيم نحوه فى الرجال . فقال :

والله ما اطّعنّا برمح ، ولا اضطربْنا بسيف ، حتّى انهزموا . وتخلّف حسان بن فائد فى أخريات الناس يحميهم ، وحمل عليه خزيمة بن نصر ، ٦٢٦/٢ فلمّا رآه عرفه ، فقال له : يا حسّان بن فائد ، أما والله لولا القرابة لعرفت أنى سألتمس قتلك بجهدى ، ولكن النّجاءَ ، فعثر بحسّانَ فرسُه فوقع ، فقال : تعسًا لك ، أبا عبد الله ! وابتدره الناس فأحاطوا به ، فضاربهم ساعةً بسيفه ، فناداه خزيمة بن نصر ، قال : إنّك آمن يا أبا عبد الله ، لا تقتل نفسك ، وجاء حتّى وقف عليه ونهنه الناسَ عنه ، ومرّ به إبراهيم ، فقال له خزيمة : هذا ابن عمّى وقد آمنته ، فقال له إبراهيم: أحسنتَ،فأمر خزيمة بطلب فرسه حتّى أتِىَ به ،فحمله عليه ، وقال : الحق بأهلك .

قال : وأقبل إبراهيم نحوَ المختار ، وشبث محيط بالمختار ويزيد بن أنس ، فلمّا رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سِكَك الكوفة الّتى تلى السّبَخة ، وإبراهيم مقبل نحو شبَث ، أقبل نحوَه ليصدّه عن شبَث وأصحابه ، فبعث إبراهيم طائفةً من أصحابه مع خزيمة بن نصر ،فقال : أغْنِ عنا يزيدَ بن الحارث . وصَمَد هو فى بقيّة أصحابه نحو شَبَث بن رِبْعىّ .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحارث بن كعب أنّ إبراهيم لمّا أقبل نحونا رأيْنا شبثًا وأصحابَه ينكُصون وراءهم رُوَيدًا رويدًا، فلمّا دنا إبراهيمُ من شبث وأصحابه، حمل عليهم ، وأمرنا يزيد بن أنس بالْحملة عليهم ،

فحملنا عليهم ، فانكشفوا حتّى انتهَوا إلى أبياتِ الكوفة ، وحمل خزيمةُ ابن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه ، وازدحموا على أفواه السّكك ، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت ، وأقبل ٦٢٧/٢ المختار في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث ، فلمّا انتهى أصحابُ المختار إلى أفواه السكك رمَتْه تلك الرامية[1] بالنَّبْل ، فصدّوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ، ورجع الناسُ من السَّبَخة منهزمين إلى ابن مطيع ، وجاءه قتلُ راشد بن إياس ، فأسقط في يده .

قال أبو مخنف : فحدّثني يحيى بن هانئ ، قال : قال عمرو بن الحجاج الزّبيديّ لابن مطيع : أيّها الرجل لا يُسْقَط في خَلَدك ، ولا تُلْقِ بيَدِك ؛ اُخرُج إلى الناس فاندبهم إلى عدوّك فاغزهم ، فإنّ الناس كثير عددُهم ، وكلهم معك إلا هذه الطّاغية التي خرجتْ على الناس ، والله مخزيها ومُهلِكُها ، وأنا أوّل مُنتدَب ، فاندب معي طائفة ، ومع غيري طائفة . قال : فخرج ابن مطيع ، فقام في الناس ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أيّها الناس ، إنّ من أعجب العَجَب عجزكم عن عُصْبة منكم قليل عَددُها ، خبيث دينها ، ضالّة مُضِلّة . اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتِلوهم عن مِصرِكم ، وامنعوا منهم فَيْئكم ، وإلا والله ليشاركُنّكم في فَيْئكم من لا حقّ له فيه . والله لقد بلَغني أنّ فيهم خمسمائة رجل من محرّريكم عليهم أميرٌ منهم ، وإنّما ذهاب عزّكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون . ثم نزل .

قال : ومنعهم يزيدُ بن الحارث أن يدخلوا الكوفة . قال : ومضى المختار من السَّبَخة حتّى ظهر على الجبّانة ، ثمّ ارتفع إلى البيوت ؛ بيوت مُزينة وأحمس وبارق ، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم ، وبيوتُهم شاذّةٌ منفردة من بيوت أهل الكوفة ، فاستقبلوه بالماء ، فسقى أصحابَه ، وأبى المختار أن ٦٢٨/٢ يشرَب . قال : فظنّ أصحابُه أنّه صائم ، وقال أحمر بن هديج من هَمْدان

---

(١) ف : « المرامية » .

لابن كامل : أترى الأميرَ صائمًا ؟ فقال له : نعم ، هو صائم ، فقال له : فلو أنّه كان فى هذا اليوم مفطرًا كان أقوى له ؛ فقال له : إنّه معصوم، وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال له : صدقت ، أستغفر الله . وقال المختار : نعم مكان المقاتل هذا ، فقال له : إبراهيم بن الأشتر : قد هزمهم الله وفلّهم ، وأدخل الرعبَ قلوبهم ، وتنزل هاهنا! سِرْبنا ؛ فوالله ما دون القصر أحدٌ يمنع ، ولا يمتنع كبيرَ امتناع ؛ فقال المختار : ليُقم ها هنا كلّ شيخ ضعيف وذى علّة ، وضعوا ما كان لكم من ثَقَل ومتاع بهذا الموضع حتّى تسيروا إلى عدوّنا . ففعلوا ، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدىّ ، وقدّم إبراهيم بن الأشتر أمامه ، وعبّى أصحابه على الحال الّتى كانوا عليها فى السّبَخة .

قال : وبعث عبد الله بن مطيع عمرَو بن الحجّاج فى ألفىْ رجل ، فخرج عليهم من سكّة الثوريّين ، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه . فطواه إبراهيم ، ودعا المختار يزيدَ بن أنس ، فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجّاج ، فمضى نحوه ، وذهب المختار فى أثر إبراهيم ، فمضَوا جميعًا حتّى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلّى خالد بن عبد الله وقف ، وأمرَ إبراهيم أن يمضىَ على وجهه حتّى يدخل الكوفة من قِبَل الكناسة ، فمضى ، فخرج إليه من سكّة ابن محرز ، وأقبل شمر بن ذى الجَوْشن فى ألفين ، فسرّح المختارُ إليه سعيدَ بن منقذ الهَمْدانىّ فواقعه ، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه ، وامض على وجهك . فمضَى حتّى انتهى إلى سكّة شبث ، وإذا [1] نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرَمة فى نحو من ألفين — أو قال : خمسة آلاف . وهو الصحيح — وقد أمر ابن مطيع سويدَ بن عبد الرحمن فنادى فى الناس : أن الحقوا بابن مساحق . قال : واستخلف شَبَثَ بن رِبْعىّ على القصْر ، وخرج ابن مطيع حتّى وقف بالكُناسة .

٦٢٩/٢

قال أبو مخنف [2] : حدّثنى حَصِيرة بن عبد الله ، قال : إنى لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل فى أصحابه ، حتّى إذا دنا منهم قال لهم : انزلوا ، فنزلوا ، فقال :

---

(١) ف : « فإذا » .

(٢) بعدها فى ف : « لوط بن يحيى » .

قرّبوا خيولكم بعضَها إلى بعض ، ثمّ امشوا إليهم مصلِتين بالسيوف ، ولا يهولنّكم أن يقال : جاءكم شَبَث بن ربعيّ وآل عتيبة بن النّهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث ... قال : فسَمّى بيُوتات من بيوتات أهل الكوفة ، ثم قال : إنّ هؤلاء لو قد وجدوا لهم حرّ السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المِعزى عن الذئب . قال حصيرة : فإنى لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قرّبوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فرفعه فأدخلَه فى مِنطَقة له حمراء من حواشى البُرود ، وقد شدّ بها على القباء ، وقد كفّر بالقباء على الدرع ، ثم قال لأصحابه : شدّوا عليهم فدًى لكم عمى وخالى ! قال : فوالله ما لبّثهم أنْ هزَمهم ؛ فركب بعضهم بعضًا على فم السّكة وازدحموا ، وانتهى ابنُ الأشتر إلى ابن مساحق ، فأخذ بلِجام دابّته ، ورفع السيفَ عليه ، فقال له ابن مساحق : يابن الأشتر ، ٦٣٠/٢ أنشدك الله ، أتطلبُنى بثأر ! هل بينى وبينك من إحنة ! فخلّى ابن الأشتر سبيله ، وقال له : اذكُرْها ؛ فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر ، وأقبلوا يسيرون حتّى دخلوا الكُناسة فى آثار القوم حتّى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثًا .

قال أبو مخنف : وحدّثنى النّضر بن صالح أنّ ابن مطيع مكث ثلاثًا ، يرْزُق أصحابه فى القَصْر حيث حُصر الدقيق ، ومعه أشراف الناس ، إلّا ما كان من عمرو بن حريث ، فإنه أتى دارَه ولم يُلزم نفسه الحصارَ ، ثمّ خرج حتى نزل البرّ ، وجاء المختار حتّى نزل جانب السوق ، وولّى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شُميط ، فكان ابن الأشتر ممّا يلى المسجد وباب القصر ، ويزيدُ بن أنس ممّا يلى بنى حذيفة وسكّة دار الرّوميّين ، وأحمر بن شُميط ممّا يلى دار عمارة ودار أبى موسى . فلمّا اشتدّ الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلّمه الأشراف ، فقام إليه شَبَث فقال : أصلح الله الأمير ! انْظُر لنفسك ولمن معك ، فوالله ما عندَهم غَناء عنك ولا عن أنفسهم . قال ابن مطيع : هاتوا ، أشيروا علىّ برأيكم ؛

قال شَبَث : الرّأى أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أمانًا ولنا ، وتخرج ولا تُهلِك نفسَك ومن معك . قال ابن مطيع :والله إنى لأكره أن آخذ منه أماناً والأمور مستقيمة لأمير المؤمنين بالحِجاز كله وبأرض البصرة ؛ قال : ٦٣١/٢ فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلا بالكوفة عند من تَستنصحه وتَثِق به ، ولا يعلم بمكانك حتَّى تخرج فتلحق بصاحبك ؛ فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة : ما ترونْ فى هذا الرأى الذى أشار به علىّ شَبَث ؟ فقالوا : ما نرى الرأىَ إلا ما أشار به عليك ، قال : فرويدًا حتى أمسِى .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو المغلّس الليثىّ ، أنّ عبد الله بن عبد الله الليثىّ أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشىّ يشتمهم ، وينتحى له مالك بن عمرو أبو نمْران[1] النهدىّ بسهم ، فيمرّ بحلقه ، فقطع جلدةً من حلقه فمال فوقع ؛ قال : ثمّ إنّه قام وبرأ بعدُ ؛ وقال النّهدىّ حين أصابه : خذها من مالك ، من فاعل كذا .

قال أبو مخنف : وحدّثنى النّضر بن صالح ، عن حسّان بن فائد بن بكير ، قال : لمَّا أمْسَينا فى القصر فى اليوم الثالث ، دعانا ابن مطيع ، فذكر الله بما هو أهله ، وصلَّى على نبيّه صلَّى الله عليه وسلَّم وقال : أما بعد ، فقد علمت الّذين صنعوا هذا منكم مَن هم ؛ وقد علمت أنّما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطَغامُكم وأخسَّاؤكُم ، ما عدا الرجل أو الرجلين ، وأنّ أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين ، وأنا مبلغ ذلك صاحبى ، ومُعْلمه طاعتكم وجهادكم عدوّه ، حتَّى كان الله الغالب على أمره ، وقد كان ٦٣٢/٢ من رأيكم وما أشرتم به علىّ ما قد علمتم ، وقد رأيت أن أخرج الساعةَ . فقال له شبَث : جزاك الله من أمير خيرًا ! فقد والله عففت عن أموالنا ، وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لصاحبك ، وقضيت الذى عليك ، والله ما كنّا لنفارقَك أبدًا إلّا ونحن منك فى إذن ، فقال : جزاكم الله خيرًا ، أخذ امرؤٌ حيث أحبّ ، ثم خرج من نحو دروب الروميّين حتى أتى دار أبى موسى ، وخلّى القصر ، وفتح أصحابُه

---

(١) ط : « نمر » ، وانظر الفهرس .

البابَ،فقالوا : يا بن الأشتر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ؛ فخرجوا فبايعوا المختار .

قال أبو مخنف : فحدّثني موسى بن عامر العدويّ ؛ من عديّ جهينة — وهو أبو الأشعر — أنّ المختار جاء حتّى دخل القصر ، فبات به ، وأصبح أشرافُ الناس فى المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار فصعد المنبرَ ، فحمِد الله وأثنى عليه ، فقال: الحمد لله الّذى وعد وليّهُ النصرَ ، وعدوّه الخُسْرَ ،وجعله فيه إلى آخر الدهر ، وَعْدًا مفعولاً ،وقضاءً مقضيًّا ،وقد خاب من افترى . أيها الناس ، إنّه رُفعت لنا راية ، ومُدّت لنا غاية ، فقيل لنا فى الراية : أن ارفعوها ولا تضَعوها ، وفى الغاية: أن اجْروا إليها ولا تَعدوها ، فسمعْنا دعوَة الداعى ، ومقالةَ الوَاعى ؛ فكم من ناعٍ وناعية ، لقتلى فى الواعية ! وبُعدًا لمن طغى وأدبر ، وعَصَى وكذّبوتولّى ، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى ، فلا والّذى جعل السماءَ سَقْفًا مكفوفًا ، والأرضَ فجَاجا سُبُلا ، ما بايعتم بعد بيعة علىّ بن أبى طالب وآل علىّ أهدَى منها .

٦٣٣/٢ ثم ّ نزل فدَخل،ودخلنا عليه وأشراف الناس ، فبَسَط يدَه ،وابتدره[1] الناس فبايعوه ، وجعل[2] يقول : تبايعونى على كتاب الله وسنة نبيّه،والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المُحلّين ، والدفع عن الضّعفاء،وقتال مَن قاتلنا ، وسلم مَن سالمنا ، والوفاء ببيعتنا ، لا نقيلكم ولا نستقيلكم ؛ فإذا قال الرجل : نعم، بايَعَه . قال : فكأنى والله أنظر إلى المنذر بن حسّان بن ضِرار الضبىّ إذ أتاه حتّى سلّم عليه بالإمْرة ، ثمّ بايعه وانصرف عنه ، فلمّا خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثورىّ فى عصابة من الشّيعة واقفًا عند المصطبة ، فلمّا رأوه ومعه ابنه حيّان بن المنذر ، قال رجل من سفهائهم : هذا والله من رءوس الجبّارين ، فشَدّوا عليه وعلى ابنه، فقتلوهما ، فصاح بهم سعيدُ بن منقذ : لا تَعجلَوا ، لا تَعجلَوا حتّى ننظر ما رأىُ أميركم فيه . قال:وبلغ المختارَ ذلك ، فكرهه حتّى رُئى ذلك فى وجهه ، وأقبل المختار يمنّى الناسَ ، ويستجرّ مودّتهم ومودّة الأشراف ، ويُحسن السيرة جَهدَه .

(١) ف : « وابتدره » . (٢) ا ، ف : « فجعل » .

قال : وجاءه ابن كامل فقال للمختار ، أعلمتَ أنّ ابن مطيع فى دار أبى موسى ؟ فلم يُجبه بشىء ، فأعادها عليه ثلاثَ مرّات فلم يُجِبه ، ثمّ أعادها فلم يُجِبه ، فظنّ ابن كامل أنّ ذلك لا يوافقه ، وكان ابن مطيع قبلُ للمختار صَدِيقًا ، فلمّا أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم ، فقال له : تجهّزْ بهذه واخرج ؛ فإنى قد شعرت بمكانك ، وقد ظننتُ أنّه لم يمنعْك من الخروج إلّا أنّه ليس فى يديك ما يقوّيك على الخروج . وأصاب ٢/٦٣٤ المختار تسعةَ آلاف ألف فى بيت مال الكوفة ، فأعطى أصحابه الّذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع فى القصر – وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة[1] رجل – كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم . وأعطى ستّة آلاف من أصحابه أتَوْه بعد ما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيّام حتّى دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ، ومَنّاهم العدل وحسنَ السيرة ، وأدنى الأشرافَ ، فكانوا جلساءَه وحُدّاثَه ، واستعمل على شُرْطته عبد الله بن كامل الشّاكرىّ ، وعلى حرَسه كيسان أبا عَمْرةَ مولى عُرَينة ؛ فقام ذات يوم على رأسه ، فرأى الأشراف يحدّثونه ، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم ، فقال لأبى عَمْرة بعضُ أصحابه من الموالى : أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ! فدعاه المختار فقال له : ما يقول لك أولئك الّذين رأيتهم يكلّمونك ؟ فقال له – وأسرّ إليه : شقّ عليهم أصلحك الله صَرْفَك وجهَك عنهم إلى العرب ، فقال له : قُل لهم : لا يشقّنّ ذلك عليكم ، فأنتم منى وأنا منكم . ثمّ سكت طويلا ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾[2]. قال : فحدّثنى أبو الأشعر موسى بن عامر قال : ما هو إلّا أن سمعها الموالى منه ، فقال بعضهم لبعض : أبشروا ، كأنكم والله به قد قتَلهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى حَصِيرة بن عبد الله الأزدىّ وفُضَيل بن خَدِيج الكندىّ والنضر بن صالح العبسى ، قالوا : أوّل رجل عقد له المختار

---

(١) ف : « وخمسمائة » .

(٢) سورة السجدة : ٢٢ .

٢/٦٣٥ رايةَ عبدَ الله بن الحارث أخو الأشتر ، عقَدَ له على أرمينيّة ، وبعث محمَّد ابن عمير بن عُطارد على آذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على المَوْصل ، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخَى ، وبعث قُدامة بن أبى عيسى بن ربيعة النصرىّ ، وهو حليف لثقيف على بِهِقْبُاذ الأعلى ، وبعث محمَّد بن كعب بن قَرَظَة على بهقُباذ الأوسط ، وبعث حبيب بن منقذ الثورىّ على بهقُباذ الأسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليَمَان على حُلوان ، وكان مع سعد بن حذيفة ألفَا فارس بحُلوان . قال : ورزقه ألف درهم فى كلّ شهر ، وأمره بقتال الأكراد ، وبإقامة الطرق ، وكتب إلى عمّاله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كُوَرهم إلى سعد بن حذيفة بحُلوان ، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمَّد بن الأشعث بن قيس على الموصل ، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة ، غير أنّ ابن مطيع لا يقدر على عزله إلّا بأمر ابن الزبير ، وكان قبل ذلك فى إمارة عبد الله بن يزيدَ ، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصِل ، لا يكاتِب أحداً دون ابن الزّبير .

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قِبَل المختار أميراً تنحّى له عن الموصل ، وأقبل حتى نزل تَكْرِيت ، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم ، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس ، وإلى ما يصير أمرُهم ، ثم شخص إلى المختار فبايع له[1] ، ودخل فيما دَخل فيه أهلُ بلدِه .

٢/٦٣٦ قال أبو مخنف : وحدّثنى صلة بن زهير النَّهدىّ ، عن مسلم بن عبد الله الضّبابىّ ، قال : لمَّا ظهر المختار واستمكن ، ونفى ابن مطيع وبعثَ عمَّاله ، أقبل يجلس للناس غُدوةً[2] وعشيَّة ، فيقضى بين الخصمين ، ثمّ قال : والله إنّ لى فيما أزاول وأحاول لشُغْلا عن القضاء بين الناس ، قال : فأجلس للناس شُرَيحاً ، وقَضَى بين الناس ، ثمّ إنّه خافهم فتَمارَض ، وكانوا يقولون : إنّه عُثْمانىّ ، وإنّه ممّن شهد على حُجْر بن عدىّ ، وإنه لم يُبلّغ عن هانئ ابن عروة ما أرسلَه به — وقد كان علىّ بن أبى طالب عزَلَه عن القضاء — فلمّا

---

(١) ف : « فبايعه » .

(٢) ف : « بكرة » .

أن سمع بذلك ورآهم يذمّونه ويُسندون إليه مثل هذا القول تَمارَض، وجعل المختارُ مكانه عبدَ الله بن عتبة بن مسعود . ثمّ إنّ عبد الله مرض، فجعل مكانَه عبد الله بن مالك الطائىّ قاضياً .

قال مسلم بن عبد الله : وكان عبد الله بن همّام سمع أبا عمرةَ يذكر الشّيعة وينال من عثمان بن عفّان ، فقنّعه بالسوط ، فلما ظهر المختار كان معتزلا حتّى استأمَنَ له عبدُ الله بن شدّاد ، فجاء إلى المختار ذاتَ يوم فقال :

أَلَا انْتَسأَتْ بالوُدِّ عنك وأَدْبَرَتْ ... مُعَالِنَــةً بِالهَجْر أُمُّ سَرِيعِ [1]

وحَمَّلَها وَاشٍ سَعَى غير مُؤْتَـلٍ ... فأَبْتَ بِهمٍّ فى الفـؤاد جميع

فَخفِّضْ عليكَ الشأْنَ لايُرْدِكَ الهوى ... فليس انتقـالُ خَلَّة بِبديع

وفى ليلة المختار ما يُذْهِلُ الفتى ... ويُلهِيهِ عن رؤد الشَّباب شَمُوع ٢/٦٣٧

دعا يالَثأَراتِ الحسين فأَقبلتْ ... كتائبُ مِنْ هَمْدانَ بعد هَزِيع

ومِن مذْحِج جاءَ الرئيسُ ابنُ مالك ... يقُودُ جُمُوعاً عُبِّيتْ بِجُمُوع

ومنْ أَسدٍ وافَى يزيدُ لِنَصْرِهِ ... بكلِّ فتًى حامِى الذِّمارِ منيع

وجاءَ نُعَيْمٌ خيرُ شَيْبانَ كلّها ... بأَمرٍ لدى الهَيجا أَحَدَّ جميع

وما ابن شميط إذ يُحَرِّضُ قومَـهُ ... هناك بِمَخذُولٍ ولا بمُضِيع

ولا قَيس نَهدٍ لا ولا ابنُ هَـوازنٍ ... وكلٌّ أخو إخْبَاتةٍ وخُشُوع

وسار أَبو النُّعمانِ لِلهِ سَعيهُ ... إلى ابن إياسٍ مُصْحِرًا لوقوعِ

بِخَيْلٍ عليها يومَ هَيْجَا دُرُوعُها ... وأُخرى حُسُورًا غيرَ ذاتِ دُرُوع

فكَرَّ الخُيولُ كرةً ثَقِفَتْهُمُ ... وشَــدَّ بأُولَاها على ابن مُطيع

فَوَلَّى بضربٍ يَشْدَخُ الهام وَقْعُهُ ... وطعنٍ غداةَ السِّكَّتَينِ وجيع ٢/٦٣٨

فحُوصِرَ فى دار الإمَارة بائيـاً ... بذُلٍّ وإرغامٍ له وخُضوع

فَمَنَّ وزيرُ ابن الوصىّ عليهمُ ... وكان لهمْ فى الناس خيرَ شفيع

(١) الأبيات من ٤ إلى ٧ فى الأخبار الطوال ٢٩١ .

وآبَ الهدى حقًّا إلى مُسْتقَرِّهِ بخيرِ إيابٍ آبَهُ وَرُجُوع
إلى الهاشميِّ المهتدِي المهتدَى به فنحنُ له من سامعٍ ومطيع

قال : فلمَّا أنشدها المختارَ قال المختار لأصحابه : قد أثنَى عليكم كما تسمعون ، وقد أحسن الثَّناءَ عليكم ، فأحسِنوا له الجزاء . ثمَّ قام المختار ، فدخل وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتَّى أخرج إليكم ؛ قال : وقال عبد الله ابن شدّاد الجُشَميّ : يابن همّام : إنّ لك عندى فرسًا ومُطْرَفًا ، وقال قيس بن طَهْفة النَّهدىّ –وكانت عنده الرّباب بنت الأشعث : فإنّ لك عندى ٢/٦٣٩ فرسًا ومُطْرَفًا ، واستحيا أن يعطيَه [(١)]صَاحبُه شيئًا لا يعطِي مثله ، فقال[(١)] ليزيد بن أنس : فما تعطيه ؟ فقال يزيد : إن كان ثوابَ الله أراد بقوله فما عند الله خيرٌ له ، وإنّ كان إنَّما اعتَرَى بهذا القول أموالَنا ، فوالله ما فى أموالنا ما يسعُه ؛ قد[(٢)] كانت بقيتْ من عطائى بقيَّة فقوّيت بها إخوانى ؛ فقال أحمر بن شُمَيط مبادرًا لهم قبل أن يكلّموه : يا بن همّام ، إن كنتَ أردت بهذا القول وجهَ الله فاطلب ثوابَك من الله ، وإن كنتَ إنَّما اعتريت به رِضَا الناسِ وطلبَ أموالهم ، فاكْدِم الجَنْدل ؛ فوالله ما مَنْ قال قولا لغير الله وفى غير ذات الله بأهلٍ أن يُنْحَل ، ولا يوصَل ؛ فقال له : عضضتَ بأير أبيك ! فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لابن همام : تقول هذا القولَ يا فاسق ! وقال لابن شُمَيط : اضربه بالسيف ، فرفع ابن شميط عليه السيف[(٣)] ووثب ووثب أصحابهما يتفلَّتون على ابن همّام . وأخذ بيده إبراهيم بن الأشتر فألقاه وراءه ، وقال : أنا له جارٍ ، لِمَ تأتون إليه ما أرى ! فوالله إنَّه لواصل الولاية ، راضٍ بما نحن عليه ، حَسَنَ الثناء ، فإن أنتم لم تكافئوه بحسن ثنائه ، فلا تشتموا عرضَه ، ولا تَسفكوا دَمَه . ووثبتْ مَذْحِج فحالت دونه ، وقالوا : أجارَهُ ابن الأشتر ، لا واللهِ لا يُوصَل إليه . قال : وسمع لَغَطهم المختار[(٤)]، فخرج إليهم ، وأومأ بيده إليهم ، أن اجلسوا ، فجلسوا ، فقال لهم : ٢/٦٤٠ إذا قيل لكم خير فاقبَلوه ، وإن قدرتم على مكافأة فافعلوا ، وإن لم تقدروا

(١ – ١) ف : « دون عطية صاحبه وقال » . (٢) ف : « وقد » .
(٣) ف : « السيف عليه » .

على مكافأة فتنصَّلوا ، واتقوا لسانَ الشاعر . فإنّ شرَّه حاضر . وقولَه فاجر ، وسعيَه بائر ، وهو بكم غداً غادر . فقالوا[1]: أفلا نقتله ؟ قال : إنّا قد آمنّاه وأجرْناه . وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر ، فجلسَ مع الناس .

قال : ثمّ إنّ إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وفرساً ومُطرَفاً فرجع بها وقال : لا والله ، لا جاورت هؤلاء أبداً وأقبلتْ هوازنُ وغضبتْ واجتمعتْ فى المسجد غضباً لابن همّام . فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا عمّا اجتمعوا له ، ففعلوا ، وقال ابن همّام لابن الأشتر يمدحه :

أَطْفأَ عَنّى نَارَ كَلْبَين أَلَّبا ... علىَّ الكلابَ ذو الفِعال ابنُ مالكِ

فتًى حينَ يَلقى الخيلَ يَفْرقُ بينها ... بطعن دِرَاكٍ أَو بضرب مُوَاشِكِ

وقد غَضِبَتْ لى مِنْ هوازنَ عُصبةٌ ... طوالُ الذُّرا فيها عراض المَبَارِك

إذا ابنُ شُمَيط أَو يزيد تعرَّضا ... لها وقَعَا فى مُسْتَحار المهالك[2] ٢/٦٤١

وَثبْتُمْ علينا يا مَوالىَ طَيِّئٍ ... مع ابن شميط شَرَّمَاشٍ ورَاتِكِ[3]

وأَعظم ديَّارٍ على اللهِ فِرْيَةً ... وما مُفْتَرٍ طاغٍ كآخَرَ نَاسِكِ

فيا عجباً مِنْ أَحمسَ ابنةِ أَحمَسٍ[4] ... تَوَثَّبُ حوْلى بالقنا والنَّيَازِكِ[5]

كأَنَّكُمُ فى العِزِّ قيسٌ وخثعمٌ ... وهل أَنتمُ إِلَّا لئَامٌ عَوَارِكُ[6]

وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس فى المسجد يقول : علينا توثّبُ بنو أسد وأحمس ! والله لا نرضى بهذا أبداً . فبلغ ذلك المختار ، فبعث إليه فدعاه ، ودعا بيزيد[7] بن أنس وبابن[8] شميط ، فحمِد اللهَ وأثنَى عليه وقال[8]: يابن شدّاد ، إنّ الّذى فعلتَ نزْغة من نزَغات الشيطان، فتُب إلى الله ، قال : قد تُبْتُ ، وقال : إنّ هذين أخواك ، فأقبِل إليهما ، واقبل منهما ، وهب لى هذا الأمر ، قال : فهو لك . وكان ابن همّام قد قال قصيدةً

---

(١) ف : « قالوا » .

(٢) ف : « موبقات المهالك » .

(٣) الرتك : مشية فيها اهتزاز .

(٤) ف : « وما عجب » .

(٥) ف : « تولت قتالى » .

(٦) ف : « وما أنتم غير الإماء العوارك » .

(٧) ف : « يزيد » .

(٨) ف : « وابن » .

(٨) ف : « ثم قال » .

أخرى فى أمر المختار ، فقال :

أَضحت سُلَيْمَى بعدَ طولِ عِتابِ وتَجَرُّمٍ ونَفادِ غَرْبِ شَبابِ
قد أَزْمَعَت بِصَرِيمَتى وتَجنّبى [1] وتهوُّكٍ مُذْ ذاك فى إِعتابِ [2]
لمّا رأَيتُ القصر أُغلقَ بابُهُ وتوكّلت هَمْدانُ بالأَسباب [3]
٦٤٢/٢ ورأَيتُ أَصحابَ الدَّقيق كأَنَّهمْ [4] حولَ البُيُوت ثعالبُ الأَسراب
ورأَيتُ أَبوابَ الأَزِقَّة حولَنا دربَت بكلِّ هِرَاوة وذُباب
أَيْقَنتُ أَنَّ خيولَ شيعةِ رَاشِدٍ لم يبقَ منها فَيْشُ أَيْرِ ذُباب

* * *

[ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتَلة الحسين بالكوفة]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة وثَب المختارُ بمن كان بالكوفة [5] من قتَلة الحسين والمشايعين على قتله ، فقتَل من قدَر عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقدر عليه .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية مَنْ قتل منهم ومَنْ هرب فلم يقدر عليه منهم :

وكان سبب ذلك — فيما ذكره هشام بن محمّد ، عن عوانة بن الحكم — أنّ مَرْوان بن الحكم لمّا استوسقت له الشأمُ بالطّاعة ، بعث جيشَين أحدهما إلى الحجاز عليه حُبَيْش بن دُلجة القينىّ — وقد ذكرنا أمرَه وخبرَ مهلكه قبلُ — والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد — وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوّابين من الشيعة بعَين الوَردة — وكان مرْوان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجّهه إلى العراق ما غلب عليه ، وأمَرَه أن يَنهَب الكوفة إذا هو ٦٤٣/٢ ظفر بأهلها ثلاثًا .

قال عوانة : فرّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيسُ عَيْلان [6] على

---

(١) ف : « هجرى وطول تجنبى » . (٢) ف : « لا تعجلن فلست من أصحابى » .
(٣) ف : « وتعلقت همدان بالبواب » . (٤) ف : « أصحاب البيوت » .
(٥) ف « فى الكوفة » . (٦) ا : « قيس بن عيلان » .

طاعة ابن الزبير ، وقد كان مروانُ أصاب قيساً يوم مَرْجِ راهط وهم مع الضحّاك بن قيس مخالفين على مرْوان ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ، فلم يزل عبيد الله مشتغلا بهم عن العراق نحواً من سنة . ثمّ إنّه أقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عاملُ المختار على الموصل إلى المختار : أما بعد ، فإنى أخبرك أيها الأمير أنّ عبيد الله بن زياد قد دخل أرضَ الموصل ، وقد وجّه قِبَلِى خيلَه ورجالَه ، وأنى انحزْت إلى تكْريتَ حتّى يأتيَنى رأيُك وأمرُك ، والسلام عليك .

فكتب إليه المختار : أمّا بعد ، فقد بلغنى كتابُك ، وفهمتُ كلّ ما ذكرتَ فيه ، فقد أصبتَ بانحيازك إلى تكريت، فلا تبرحَنّ مكانك الّذى أنت به حتّى يأتيَك أمرى إن شاء الله ، والسلام عليك .

قال هشام ، عن أبى مخنف : حدّثنى موسى بن عامر ، أنّ كتاب عبد الرحمن بن سعيد لمّا ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه ، فقال له : يا يزيدَ بن أنس ، إنّ العالِم ليس كالجاهل ، وإنّ الحق ليس كالباطل، وإنى أخبرك خبر من لم يَكذِب ولم يكذَّب، ولم يُخالِف ولم يرتب، وإنّا المؤمنون الميامين ، الغالبون المساليم ، وإنّك صاحب الخيل الّتى تجرّ جِعابها ، وتضفر أذنابها ، حتّى تُوردها منابتَ الزيتون ، غائرةً عيونُها ، لاحقةً بطونُها . اخرُج إلى المَوصل حتّى تنزلَ أدانيها[1] ، فإنى ممدّك بالرّجال بعد الرّجال . فقال له يزيد بن أنس : سرّحْ معى ثلاثةَ آلاف فارس ٦٤٤/٢ أنتخبُهم ،وخلّنى والفرْج الّذى توجّهنا إليه ، فإن احتجتُ إلى الرّجال فسأكتب إليك؛ قال له[2] المختار : فاخرج فانتخب على اسم الله مَنْ أحببت[3].

فخرج فانتخب ثلاثةَ آلافِ فارس ، فجعل على رُبْع المدينة النعمانَ بنَ عوف بن أبى جابر الأزدىّ ، وعلى رُبْع تميم وهمْدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمْدانىّ ، وعلى مَذْحج وأسَد ورقاء بن عازب الأسدىّ ، وعلى رُبْع ربيعة وكندة سِعْر بن أبى سِعْر الحنفىّ .

ثم إنّه فصل من الكوفة ، فخرج وخرج معه المختار والناس يشيّعونه ، فلما

(١) ف : «وبأدانيها». (٢) ف : «فقال». (٣) ف : «ثلاثة آلاف ممن أحببت».

بلغ ديرَ أبى موسى ودّعه المختار وانصرف ، ثم قال له : إذا لقيتَ عدوّك فلا تُناظرهم ، وإذا أمكنتْك الفرصةُ فلا تؤخّرها ، وليكن خبرُك فى كلّ يوم عندى ، وإن احتجت[1] إلى مَدد فاكتب إلىّ؛ مع أنى مُمِدّك ولو لم تَستمد د، فإنّه أشدّ لعَضُدك، وأعزّ لجُنْدك، وأرْعَب لعدوّك . فقال له يزيد بن أنس : لا تمدّنى إلّا بدعائك ، فكفى به مَدداً . وقال له الناس : صَحِبكَ اللهُ وأدّاك وأيّدك[2]. وودّعوه. فقال لهم يزيد: سلوا الله لىَ الشهادة، وايمُ الله لئن لقيتُهم ففاتنى النصرُ لا تُفتْنى الشهادة إن شاء الله . فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس : أما بعد ، فخلّ بين يزيدَ وبين البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك . فخرج يزيد بن أنس بالناس حتّى بات بسُورَا، ثم غدا بهم سائرًا حتى بات بهم بالمدائن؛ فشكا الناس إليه[3] ما دخلهم من شدّة السير عليهم ، فأقام بها يومًا وليلة . ثمّ إنّه اعترض بهم أرض ٦٤٥/٢ جُوخَى حتّى خرج بهم فى الراذانات ، حتّى قطع بهم إلى أرض الموصل ، فنزلت ببنات تلى ، وبلغ مكانُه ومنزلُه الّذى نزل به عبيدَ الله بن زياد ، فسأل عن عدّتهم ، فأخبرتْه عيونُه أنّه خرج معه من الكوفة ثلاثةُ آلاف فارس ، فقال عبيد الله : فأنا أبعث إلى كلّ ألف ألفين . ودعا ربيعة بن المخارق الغنوىّ وعبد الله بن حمْلة الخثعمىّ، فبعثهما فى ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، وبعث ربيعة بن المخارق أوّلا ، ثمّ مكث يومًا ، ثمّ بعث خلفه عبد الله بن حمْلة ، ثم كتب إليهما : أيّكما سَبَق فهو أمير على صاحبه، وإن انتهيتما جميعًا فأكبركما سِنًّا أميرٌ على صاحبه والجماعة. قال: فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو ببنات تلى، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنًى .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو الصلت ، عن أبى سعيد الصَّيْقل ، قال : خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشى معه الرجال يُمسكونه عن يمينه وعن شماله ، بفخذيه وعضديه وجنبيه ، فجعل يقف على الأرباع :

---

(١) ف : « وإذا احتجت » .

(٢) ف : « وأيدك وأداك سالماً غانماً » .

(٣) ف : « فشكا إليه الناس » .

رُبْع ربع[1] ويقول : يا شرطة الله ، اصبروا تُؤجَرُوا ، وصابروا عدوّكم تَظفَروا ، وقاتِلوا أولياءَ الشيطان . إنّ كَيْدَ الشيطان كان ضَعيفًا ، إنْ هلكتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدىّ ، فإن هلَكَ فأميرُكم عبد الله بن ضَمْرة العذرىّ ، فإن هلك فأميرُكم سِعْر بن أبى سِعر الحنفىّ . قال : ٢/٦٤٦ وأنا والله فيمَن يمشى معه ويُمْسِك بعضده ويده ، وإنى لأعرف فى وجهه أنّ الموت قد نزل به . قال : فجعل يزيدُ بن أنس عبدَ الله بن ضَمْرة العذرىّ على ميمنته ، وسِعْر بن أبى سعر على ميسرته ، وجعل ورقاءَ بن عازب الأسدىّ على الخيل ، ونزل هو فوُضع بين الرجال على السرير ، ثم قال لهم : ابرزوا لهم بالعرَاء ، وقدّمونى فى الرجال ، ثمّ إن شئتم فقاتلوا عن أميركم ، وإن شئتم ففرّوا عنه . قال : فأخرجناه فى ذى الحجّة يومَ عرفة سنة ست وستين ، فأخذْنا نُمسك أحيانًا بظَهْره فيقول : اصنعوا كذا ، اصنعوا كذا . وافعلوا كذا ، فيأمر بأمره ، ثمّ لا يكون بأسرعَ من أن يغلبه الوجعُ فيُوضع هُنَيْهة ويقتتل الناسُ ، وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس . قال : فحملتْ ميسرتهم على ميمنتنا ، فاشتدّ قتالُهم ، وتَحمِل ميسرتُنا على ميمنتهم فتهزمها[2] ، ويَحمِل ورقاء بن عازب الأسدىّ فى الخيل فَهزَمهم . فلم يرتفع الضّحى حتّى هزمناهم ، وحَوَيْنا عسكرهم .

قال أبو مخنف : وحدّثنى موسى بن عامر العدَوىّ ، قال : انتهينا إلى ربيعة ابن المخارق صاحبهم ، وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل[3] ينادى : يا أولياء الحقّ ، ويا أهلَ السمع والطاعة ، إلىّ أنا ابن المخارق ؛ قال موسى : فأمّا أنا فكنتُ غلامًا حَدَثًا ، فَهِبْته ووقفتُ ، ويَحمِل عليه عبدُ الله بن ورقاءَ الأسدىّ وعبد الله بن ضَمْرة العذرىّ ، فقَتَلاه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عَمرو بن مالك أبو كبشة القينىّ ؛ قال : ٢/٦٤٧ كنت غلامًا حين راهقتُ مع أحد عمومتى فى ذلك العسكر ، فلمّا نزلنا بعسكر الكوفيّين عبّأنا ربيعة بن المخارق فأحسنَ التعبئة ، وجعل على ميمنته ابنَ

(١) ا : « ربعًا ربعًا » . (٢) ف : « فهزمتها » . (٣) ف : « بارك » .

أخيه ، وعلى ميسرته عبدَ ربّه السلميّ ، وخرج هو فى الخيل والرجال وقال : يا أهلَ الشأم،إنّكم إنّما تقاتلون العبيد الأبَّاقَ ، وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه ، ليست لهم تقيّة ، ولا ينطقون بالعربيّة ؛ قال : فوالله إن كنت لأحْسِب أنّ ذلك كذلك حتّى قاتلناهم ؛ قال : فوالله ما هو إلّا أن اقتتل الناس إذا رجلٌ من أهل العراق يعترض الناسَ بسيفه وهو يقول :

بَرِئتُ مِنْ دِينِ المحكِّمينا وذَاكَ فينا شَرُّ دينٍ دِينَا

ثمّ إنّ قتالنا وقتالَهم اشتدّ ساعةً من النهار ، ثمّ إنّهم هزمونا حين ارتفع الضحى فقتلوا صاحبَنا ، وحَوَوْا عسكرَنا ؛فخرجنا منهزمين حتّى تلقّانا عبدُ الله بن حمْلة على مسيرة ساعة من تلك القرية التى يقال لها بنات تلى ، فردّنا ، فأقبلْنا معه حتّى نزل بيزيد بن أنس ، فبتْنا متحارِسين حتّى أصبحنا فصلّينا الغداة ، ثمّ خرجْنا على تعبئة حسَنَة ، فجعل على ميمنته الزبيرَ بن خُزَيمة[1] ؛من خثعم ،وعلى ميسرته ابن أقيصر القحافىّ من خثعم ، وتقدّم فى الخيل والرجال ، وذلك يوم الأضحى ، فاقتتلنا قتالا شديداً ، ثمّ إنّهم هزمونا هزيمةً قبيحة ، وقتلونا قتالا ذريعاً ، وحووْا عسكرنا ، وأقبلنا حتّى انتهينا إلى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لَقِينا .

٢/٦٤٨ قال أبو مخنف : وحدّثنى موسى بن عامر،قال : أقبل إلينا عبدُ الله بن حمْلة الخثعمىّ ؛فاستقبل فَلّ ربيعة بن المخارق الغنوىّ فردّهم ،ثمّ جاءَ حتّى نزل ببنات تلى ، فلمّا أصبح غادوا وغادينا ، فتطاردت الخيلان من أوّل النهار ، ثم انصرفوا وانصرفْنا ؛حتّى إذا صلّينا الظهر خرجنا فاقتتلنا ، ثمّ هزمناهم . قال : ونزل عبد الله بن حمْلة فأخذ ينادى أصحابه : الكَرّة بعد الفرّة ، يا أهل السمع والطاعة ؛ فحمل عليه عبدُ الله بن قراد الخثعمىّ فقتَله ، وحوَيْنا عسكرهم وما فيه ، وأتِىَ يزيد بن أنس بثلثمائة أسير وهو فى السوق ، فأخذ يومئُ بيده أن اضربوا أعناقَهم ، فقُتِلوا من عند آخرهم .

وقال يزيد بن أنس : إنْ هلكتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدى ، فما أمسَى حتّى مات ، فصلّى عليه ورقاءُ بن عازب ودَفَنَه ، فلمّا رأى ذلك أصحابُه أسقط فى أيديهم ، وكَسَر موتُه قلوبَ أصحابه ، وأخذوا فى دفنه ،

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط .

فقال لهم ورقاء : يا قوم ، ماذا ترون ؟ إنّه قد بلغنى أنّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا فى ثمانين ألفًا من أهل الشأم ، فأخذوا يتسلّلون ويرجعون . ثم إنّ ورقاء دعا رءوسَ الأرباع وفُرسانَ أصحابه فقال لهم : يا هؤلاء ، ماذا ترون فيما أخبرتُكم ؟ إنّما أنا رجل منكم ، ولست بأفضلكم رأياً ، فأشيروا علىّ ، فإنّ ابن زياد قد جاءكم فى جُنْد أهل الشأم الأعظم ، وبجلّتهم وفُرسانهم وأشرافِهم ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقةً على هذه الحال ، وقد هلك يزيدُ بنَ أنس أميرنا ، وتفرّقت عنّا طائفة منّا، فلو انصرفنا اليومَ من ٦٤٩/٢ تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم ، وقبلَ أن نَبلُغهم ، فَيعلَموا أنّا إنّما ردّنا عنهم هلاكُ صاحبنا ، فلا يزالوا لنا هائبين لقَتْلنا منهم أميرهم ! ولأنّا إنّما نعتلّ لانصرافنا بموت صاحبنا . وإنّا إن لقيناهم اليوَم كنّا مخاطرين ، فإن هُزمنا اليوم لم تنفعْنا هزيمتُنا إيّاهم من قبل اليوم . قالوا : فإنّك نعمّا رأيت، انصرِفْ رحمك الله . فانصرف ، فبلغ مُنصرَفُهم ذلك المختارَ وأهلَ الكوفة ، فأرْجف الناسُ ، ولم يعلموا كيف كان الأمر أنّ يزيد بن أنس هَلَك ، وأنّ الناس هُزِموا ، فبعث إلى المختار عاملُه على المدائن عيناً له من أنباط السواد فأخبره الخبر ، فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر فعَقَد له على سبعة آلاف رجل ، ثم قال له : سِرْ حتّى إذا أنت لقيتَ جيشَ ابن أنس فارددْهم معك، ثمّ سرْ حتّى تلقىَ عدوّك فتُناجِزَهُم. فخرج إبراهيم فوَضَع عسكَره بحمّام أعْيَن .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو زهير النضر بن صالح، قال : لمّا مات يزيد أنس التقَى أشرافُ الناس بالكوفة فأرْجفوا بالمختار وقالوا : قتِل يزيد بن أنس، ولم يصدّقوا أنّه مات، وأخذوا يقولون : والله لقد تأمّر علينا هذا الرجل بغير رضًا منّا ، ولقد أدنى موالِينا، فحمَلَهم على الدوابّ ، وأعطاهم وأطعَمَهم فيئنا ، ولقد عصتْنا عبيدُنا ، فحرِب بذلك أيتامنا وأراملنا . فاتّعدوا منزلَ شَبَث بن ربعىّ وقالوا: نجتمع فى منزل شيخنا — وكان شبث جاهليًّا إسلاميًّا — فاجتمعوا فأتَوا منزَله، فصلّى بأصحابه، ثمّ تذاكروا هذا النحو من الحديث ٦٥٠/٢ قال : ولم يكن فيما أحدث المختارُ عليهم شىء هو أعظمُ من أن جعل للموالى

الفَىء نصيبًا — فقال لهم شَبَث: دعونى حتى ألقاه ؛ فذهب فلقيه، فلم يدعْ شيئًا ممّا أنكره أصحابُه إلاّ وقد ذاكرَه إيّاه ، فأخذ لا يذكر خَصلةً إلاّ قال له المختار : أُرضيهم فى هذه الخَصلة ، وآتى كلّ شىء أحبّوا ؛ قال: فذكر المماليك ؛ قال : فأنا أردّ عليهم عبيدَهم ، فذكر له الموالى ، فقال : عمدتَ إلى موالينا ، وهم فىءٌ أفاءَه الله علينا وهذه البلاد جميعًا فأعتقْنا رقابَهم ، نأمُلُ الأجرَ فى ذلك والثواب والشكر ، فلم تَرْض لهم بذلك حتّى جعلتَهم شركاءَنا فى فيئنا ؛ فقال لهم المختار : إنْ أنا تركتُ لكم مواليكم ، وجعلتُ فَيْئَكم فيكم ، أتقاتلون معى بنى أميّة وابنَ الزبير ، وتعطُون على الوفاء بذلك عهدَ الله وميثاقَه ، وما أطمئنّ إليه من الأيمان ؟ فقال شبَث: ما أدرى حتّى أخرج إلى أصحابى فأذاكرَهم ذلك ، فخرج فلم يرجع إلى المختار .

قال : وأجمعَ رأى أشرافِ أهل الكوفة على قتال المختار .

قال أبو مخنف : فحدّثنى قُدامةُ بن حوْشب ، قال : جاءَ شَبَث ابن رِبْعىّ وشَمِر بن ذى الجَوْشن ومحمّد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتّى دخلوا على كعب بن أبى كعب الخثعمىّ ، فتكلّم شَبَث ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ، ثمّ أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار ، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك ، وقال فيما يَعيب به المختار : إنّه تأمّر علينا بغير رضًا منّا ، وزعم أنّ ابنَ الحنفيّة بعثه إلينا ، وقد علمْنا أنّ ابن الحنفيّة لم يفعل ، وأطعم موالِيَنا فيئنا ، وأخذ عبيدَنا ، فحرب بهم يتامانا وأراملنا ، وأظهر هو وسَبَئيّته البراءةَ من أسلافنا الصالحين . قال : فرحّب بهم كعب بن أبى كعب ، وأجابهم إلى ما دَعَوْه إليه . ٦٥١/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى أبى يحيى بن سعيد أنّ أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف ، فدعَوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار ، فقال لهم : يا هؤلاء ، إنّكم إن أبيتم إلاّ أن تخرجوا لم أخذُلْكم ، وإن أنتم أطعتمونى لم تخرجوا . فقالوا : لِمَ ؟ قال: لأنى أخاف أن تتفرّقوا وتختلفوا وتتخاذَلوا ؛ ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم ؛ أليس

معه فلان وفلان ! ثمّ معه عبيدُكم ومواليكم ، وكلمةُ هؤلاء واحدةٌ . وعبيدكم ومواليكم أشدّ حَنَقًا عليكم من عدوّكم ، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب ، وعداوةِ العَجَم ، وإن انتظرتموه قليلا كُفيتموه بقدوم أهلِ الشأم أو بمجىء أهلِ البصرة ، فتكونوا قد كُفيتموه بغيركم ، ولم تَجعَلوا بأسكم بينكم ؛ قالوا : نَنْشدُك الله أنْ تخالفنا ، وأن تُفسد علينا رأينا وما قد اجتمعتْ عليه جماعتُنا . قال : فأنا رجلٌ منكم ، فإذا شئتم فاخرجوا . فسار بعضُهم إلى بعض وقالوا : انتظروا حتّى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر ؛ قال : فأمهلوا حتى إذا بلغ ابن الأشتر سَابَاطَ ، وثَبوا بالمختار . قال : فخرج عبدُ الرحمن ابنُ سعيد بن قيس الهمدانىّ فى همدانَ فى جبّانة السَّبيع ، وخرج زَحْر بن قيس الجُعْفىّ وإسحاق بن محمّد بن الأشعث فى جبّانة كِنْدة .

قال هشام : فحدّثنى سليمان بن محمّد الحضرمىّ ، قال : خرج إليهما جبير الحضرمىّ فقال لهما : أُخرُجا عن جبّانتنا ، فإنّا نكره أن نُعْرَى بشرّ ؛ فقال له إسحاق بن محمّد : وجبّانتُكم هىَ ؟ قال : نعم ، فانصرفوا عنه ؛ وخرج كعب بن أبى كعب الخثعمىّ فى جبّانة بِشْر ، وسار بشير بن جرير بن عبد الله إليهم فى بَجيلة ، وخرج عبد الرحمن بن مخنف فى جبّانة مخنف ، وسار إسحاق بن محمد وزَحْر بن قيس إلى عبد الرّحمن ابن سعيد بن قيس بجبّانة السَّبيع ، وسارت بجيلةُ وخَثْعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزْد . وبلغ الّذين فى جبّانة السَّبيع أنّ المختار قد عبّأ لهم خيلا ليسير إليهم . فبعثوا الرسل يتلو بعضُها بعضًا إلى الأزْد وبَجيلة وخثعم ، يسألونَهم بالله والرّحم لمّا عَجِلوا إليهم . فساروا إليهم واجتمعوا جميعًا فى جبّانة السبيع ، ولمّا أن بلغ ذلك المختار سرّه اجتماعهم فى مكان واحد ، وخرج شمر بن ذى الجوشن حتّى نزل بجبّانة بنى سَلول فى قيس ، ونزل شَبَث بن ربعىّ وحَسان بن فائد العبسىّ وربيعة بن ثروانَ الضبىّ فى مُضَر بالكُناسة ، ونزل حجّار بن أبْحر ويزيد بن الحارث بن رؤيم فى ربيعة فيما بين التَّمّارين والسَّبَخة ، ونزل عمرو بن الحجّاج الزّبيدىّ فى جبّانة مُراد بمَنْ تبعه من مَذْحج ، فبعث إليه أهلُ اليمن : أن ائتنا . فأبى أن يأتيَهم

٦٥٢/٢

وقال لهم : جدّوا ، فكأنى قد أتيتُكم . قال : وبعث المختار رسولا من يومه يقال
٢/٦٥٣ له عمرو بن تَوْبة بالرّكض إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط ألّا تضع
كتابى من يدك حتّى تُقبِل بجميع منْ مَعَك إلىّ . قال : وبعث إليهم
المختار فى ذلك اليوم : أخبرونى ما تريدون ؟ فإنى صانع كلّ ما أحببتم ، فقالوا :
فإنّا نريد أن تعتزِلنا ، فإنّك زعمتَ أنّ ابنَ الحنفيّة بعثك ولم يَبْعثك .
فأرسل إليهم المختارُ أن ابعثوا إليه مِن قِبَلكم وفدًا ، وأبعثُ إليه من قِبَلى
وفدًا ، ثمّ انظروا فى ذلك حتّى تَتَبيَّنُوه ؛ وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة
ليَقدَم عليه إبراهيمُ بن الأشتر ، وقد أمر أصحابه فكفّوا أيديهم ، وقد أخذ
أهلُ الكوفة عليهم بأفواهِ السكك ، فليس شىء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه
من الماء إلاّ القليل الوتْح[1] ، يجيئهم إذا غفلوا عنه . قال : وخرج عبدُ الله بن
سَبيع فى الميدان ، فقاتلته شاكر قتالا شديدًا ، فجاءه عُقْبَة بن طارق
الجُشَمىّ فقاتل معه ساعةً حتّى ردّ عاديتَهم عنه ، ثمّ أقبلا على حاميتهما
يسيران حتّى نزل عُقْبة بن طارق مع قيس فى جبّانة بنى سَلول ، وجاء
عبد الله بن سَبيع حتّى نزل مع أهل اليمن فى جبّانة السَّبيع .

قال أبو مخنف : حدّثنى يونس بن أبى إسحاق ، أنّ شمر بن ذى
الجوشن أتَى أهلَ اليمن فقال لهم : إن اجتمعتم فى مكان نجعل فيه مجنّبتين
ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم ، وإلا فلا ، والله لا أقاتل فى مِثْل
هذا المكان فى سكك ضيّقة ، ونقاتَل من غير وجه . فانصرف إلى جماعة
٢/٦٥٤ قومه فى جبانة بنى سَلول . قال : ولمّا خرج رسولُ المختار إلى ابن الأشتر
بلغه من يومه عشيّةً ، فنادى فى الناس : أن ارجعوا إلى الكُوفة ، فسار بقيّة
عشيّته تلك ، ثمّ نزل حين أمسى ، فتعشّى أصحابُه ، وأراحوا الدوابّ شيئًا
كلا شىء ، ثمّ نادى فى الناس ، فسار ليلتَه كلَّها ، ثمّ صلّى الغداة
بسُورا ، ثمّ سار من يومه فصلّى العصر على باب الجسر من الغد ، ثمّ إنّه
جاء حتى بات ليلتَه فى المسجد ومعه من أصحابه أهل القوّة والجَلَد ، حتّى
إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مُخرَجهم على المختار ، خرج المختارُ إلى

(١) الوتح : القليل من كل شىء .

المنبر فصعده .

قال أبو مخنف : فحدّثني أبو جناب الكلبيّ أنّ شَبَث بن ربعيّ بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال : إنّما نحن عشيرتُك ، وكفّ يمينك ، لا والله لا نقاتلك ، فثِق بذلك منّا ؛ وكان رأيه قتاله ، ولكنّه كاده . ولمّا أن اجتمع أهلُ اليمَن بجبّانة السّبيع حضرتِ الصلاة ، فكَرِه كلّ رأس من رءوس أهل اليمن أن يتقدّمه صاحبُه ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أوّل الاختلاف ، قدّموا الرضا فيكم ، فإنّ فى عشيرتكم سيّدَ قرّاء أهل المصر ، فليصلّ بكم رفاعةُ بن شدّاد الفتيانيّ من بجيلة ، ففعلوا ، فلم يزل يصلّى بهم حتّى كانت الوقعة .

قال أبو مخنف : وحدّثني وازع بن السريّ أنّ أنس بن عمرو الأزديّ انطلق فدخل فى أهل اليمن ، وسمعهم وهم يقولون : إنْ سار المختار إلى إخواننا من مضرَ سرْنا إليهم ، وإن سار إلينا ساروا إلينا ، فسمِعَها منهم رجل ، وأقبل جواداً حتّى صعد إلى المختار على المنبر ، فأخبرَه بمقالتهم ، فقال : أمّا هم فخُلَقَاء لو سرتُ إلى مضرَ أن يسيروا إليهم ، وأمّا أهل اليَمَن فأشهد لئن سرتُ إليهم لا تسير إليهم مضر ، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجلَ ويكرمه . ثم إنّ المختار نزل فعبأ أصحابَه فى السوق — والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء — فقال لإبراهيم بن الأشتَر : إلى أىّ الفريقين أحبّ إليك أن تسير ؟ فقال : إلى أىّ الفريقين أحببت ، فنظر المختار — وكان ذا رأى ، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ فى قتالهم — فقال : سرْ إلى مضرَ بالكُناسة وعليهم شَبَث بن ربعيّ ومحمّد بن عمير بن عطارد ، وأنا أسير إلى أهل اليَمَن . ٦٥٥/٢

قال : ولم يزل المختار يُعرف بشدّة النفس ، وقلّة البُقْيَا على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر ، فسار إبراهيمُ بن الأشتَر إلى الكُناسة ، وسار المختار إلى جبّانة السّبيع ، فوقف المختار عند دار عُمَر بن سعد بن أبى وقّاص ، وسرّح بين أيديه أحمَر بن شُميط البجَليّ ثمّ الأحمسيّ ، وسرّح عبد الله بن كامل الشاكريّ ، وقال لابن شميط : الزَم هذه السكّة حتّى[1] تخرج إلى أهل

(١) س : « التى » .

جبّانة السَّبيع من بين دُور قومك . وقال لعبد الله بن كامل : الزَم هذه السكّة حتّى تخرج على جبّانة السَّبيع من دار آل الأخنس بن شَريق ، ودعاهما فأسرّ إليهما أنّ شباماً قد بعثتْ تُخبرنى أنّهم قد أتوا القوم من ورائهم ، فمضَيا (١فسَلكا الطريقين اللّذين١) أمرهما بهما(٢) ، وبلغ أهلَ اليمن مسيرُ هذين الرجلين إليهم ، فاقتسموا تينِك السكّتين ، فأما السكّة الّتى فى دبر مسجد أحْمس فإنّه وقف فيها عبدُ الرحمن بنُ سعيد بن قيس الهمْدانىّ وإسحاق بن الأشعث وزَحْر بن قيس ، وأمّا السكّة الّتى تلى الفُراتَ فإنّه وقف فيها عبدُ الرحمن بن مخنف ، وبشير بن جرير بن عبد الله ، وكعب بن أبى كعب . ثم إن القوم اقتتلوا كأشدّ قتال اقتَتَلَه قوم . ثمّ إنّ أصحابَ (٣) أحْمر بن شُمَيط انكشفوا وأصحاب عبد الله بن كامل أيضاً ، فلم يَرُع المختارُ إلّا وقد جاءه الفَلّ قد أقبل ؛ فقال : ما وراءكم ؟ قالوا : هُزِمنا ؛ قال : فما فعل أحمر بن شُمَيط ؟ قالوا : تركناه قد نزل عند مسجد القصّاص — يَعنُون مسجدَ أبى داود فى وادعة ، وكان يعتاده رجالُ أهل ذلك الزمان يقصّون فيه ، وقد نزل معه أناس من أصحابه — وقال أصحاب عبد الله : ما ندرى ما فعل ابن كامل ! فصاح بهم : أن انصرِفوا . ثمّ أقبل بهم حتّى انتهى إلى دار أبى عبد الله الجُدَلىّ ، وبعث عبد الله بن قُراد الخثعمىّ — وكان على أربعمائة رجل من أصحابه — فقال : سرْ فى أصحابك إلى ابن كامل ، فإنْ يك هلك فأنت مكانه ، فقاتِل القومَ بأصحابك وأصحابه ، وإن تجده حيّاً صالحاً فسرْ فى مائة من أصحابك كلّهم فارس ، وادفع إليه بقيّة أصحابك ، ومرْ(٤) بالجدّ معه والمناصحة له ، فإنّهم إنّما يناصحوننى ، ومَن ناصحنى فليبشر ، ثمّ امضِ فى المائة حتّى تأتى أهل جبّانة السَّبيع ممّا يلى حمّام قَطَن ابن عبد الله . فمضى فوجد ابن كامل واقفاً عند حمّام عمرو بن حُريث

٦٥٦/٢

(١ — ١) ف : « وسلكا الطريق الذى » .

(٢) ف : « به » .

(٣) ف : « وإن أصحاب أحمر » .

(٤) ف : « وأمرهم » .

معه أناس[١] من أصحابه قد صبروا . وهو يقاتل القومَ ؛ فدفع إليه ثلثمائة ٢/٦٥٧ مِن أصحابه ثمّ مضى حتّى نزل إلى جبّانة السَّبيع .

ثمّ أخذ فى تلك السكك حتّى انتهى إلى مسجد عبد القيس ، فوقف عنده ، وقال لأصحابه : ما ترون؟ [٢]قالوا : أمْرُنا لأمرك تَبع[٢] وكلّ من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة ؛ فقال لهم : والله إنى لأحبّ أن يَظهرَ المختار ، والله إنى لكارهٌ أن يَهلِك أشرافُ عشيرتى اليوم ، ووالله لأن أموتَ أحبّ إلىّ من أن يَحلّ بهم الهلاك على يدىّ ، ولكن قفوا قليلا فإنى قد سمعتُ شِباماً يزعمون أنّهم سيأتونهم[٣] من ورائهم ، فلعلّ شِباماً تكون هى تفعل ذلك ، ونُعافَى نحن منه . قال له أصحابه : فرأيَك . فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس ، وبعث المختارُ مالكَ بن عمرو النهدىّ فى مائتى رجل — وكان من أشدّ الناس بأساً — وبعث عبد الله بن شريك النهدىّ فى مائتى فارس إلى أحمرَ بن شميط ، وثبت مكانَه ، فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكثروه ، فاقتتلوا عند ذلك كأشدّ القتال ، ومضى ابن الأشتر حتّى لَقِىَ شَبَث بن رِبْعىّ وأناساً معه من مضرَ كثيراً ، وفيهم حسّان بن فائد العبسىّ ، فقال لهم إبراهيم : وَيْحكُم ! انصرفوا ، فوالله ما أحبّ أن يصاب أحد من مُضَر على يدىّ ، فلا تُهلكوا أنفسكم ، فأبوْا ، فقاتلوه فهزمهم ، واحتُمل حسّان بن فائد إلى أهله ، فمات حين أدخِل إليهم ، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاقَ إفاقةً فقال : أما والله ما كنت أحبّ أن أعيشَ من جراحتى هذه ، وما كنت أحبّ أن تكون منيّتى إلاّ بطعنةِ رمح ، أو بضربةٍ بالسيف ؛ فلم يتكلّم بعدها كلمةً[٤] حتّى مات . وجاءت البشرى إلى المختار من قِبَل إبراهيم بهزيمة ٢/٦٥٨ مضرَ ، فبعث المختار البشرَى مِن قِبَله[٥] إلى أحمر بن شُميط وإلى ابن كامل ، فالنّاس[٦] على أحوالهم كلّ أهل سكّة منهم قد أغنَتْ ما يليها .

قال : فاجتمعت شِبَام[٧] وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ، وقد أجمعوا

---

(١) ف : « ناس » .

(٢-٢) ف : « فقالوا : أمرنا أمرك ونحن لك تبع » .

(٣) ف : « أن سيأتونهم » .

(٤) ف : « بكلمة » .

(٥) ف : « من قبله البشرى » .

(٦) ف : « والناس » .

(٧) ف : « فاجتمع » .

واجتمعوا بأن يأتوا أهلَ اليمن من ورائهم ، فقال بعضهم لبعض : أما والله لو جعلتم جِدّكُم[1] هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوَب ، فسيروا إلى مضرَ أو إلى ربيعة[2] فقاتلوهم — وشيخُهم أبو القلوص ساكت لا يتكلّم — فقالوا : يا أبا القلوص ، ما رأيك ؟ فقال : قال الله جلّ ثناؤه : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[3] قوموا ؛ فقاموا ؛ فمشى بهم قيس رمحين أو ثلاثة ثم قال لهم : اجلسوا فجلسوا ، ثمّ مشى بهم أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، ثم قال لهم : قوموا ، ثمّ مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئاً ، ثمّ قعد بهم ، فقالوا له : يا أبا القَلوص ، والله إنك عندنا لأشجع العرب ، فما يَحملك على الّذى تصنع ! قال : إنّ المجرّب ليس كمن لم يجرّب ، إنى أردت أن ترجع إليكم أفئدتُكم ، وأن توطّنوا على القتال أنفسكم ، وكرهتُ أن أقْحِمكم على القتال وأنتم على حالِ دَهَش ؛ قالوا : أنت أبصَر بما صنعت .

فلمّا خرجوا إلى جبّانة السَّبيعِ استقبلهم على فم السكّة الأعسر الشاكرىّ ، فحمل عليه الجُندعىّ وأبو الزبير بن كَريب فصرعاه ، ودخلا الجبّانة ، ودخل الناسُ الجبّانة فى آثارهم ، وهم ينادُون : يا لثَارات الحسين ! فأجابهم أصحابُ ابن شميط يَا لَثارات الحسين ! فسمعها يزيدُ بن عمير بن ذى مُرّان من هَمْدان — فقال : يا لثَارات عثمان ! فقال لهم رفاعة بن شدّاد : ما لنا ولِعثمان ! لا أقاتِل مع قوم يبغون دمَ عثمان ، فقال له أناس من قومه : جئتَ بنا وأطعناك ، حتّى إذا رأينا قومَنا تأخذهم السيوف قلت : انصرفوا ودَعُوهم ! فعطَف عليهم وهو يقول : ٦٥٩/٢

أَنَا ابنُ شدَّادٍ عَلَى دينِ علِي ... لستُ لعثمانَ بنِ أرْوَى بِوَلِي

لأَصلينَّ اليومَ فِيمَن يصْطَلِي ... بِحرِّ نارِ الحَرْب غير مُؤْتلِ .

فقاتَل حتى قُتل ، وقتل يزيد بن عُمير بن ذى مُرّان ، وقُتل النعمان ابن صُهْبان الجرمىّ ثمّ الراسبىّ — وكان ناسكاً — ورفاعةُ بن شدّاد بن عوْسجة

(١) ف : « حدكم » . (٢) ف : « ربيعة ومضر » . (٣) سورة التوبة : ١٢٣ .

الفِتيانىّ عند حمَّام المَهْبذان الّذى بالسَّبَخة — وكان ناسكًا — وقتِل الفرات ابن زَحْر بن قيس الجُعفىّ، وارتثّ زَحْر بن قيس، وقتِل عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس، وقتل عمر بن مخنف، وقاتل عبدُ الرحمن بن مخنف حتَّى ارتُثّ، وحملتْه الرّجال على أيديها وما يَشعر، وقاتل حولَه رجالٌ من الأزْد، فقال حُمَيد بن مسلم:

لأَضْرِبَنَّ عن أَبى حَكيمِ   مَفَارِق الأَعْبُدِ والصَّمِيمِ

وقال سُراقة بن مِرْداس البارقىّ: ٢/٦٦٠

يا نَفْسُ إلَّا تَصْبرى تُلِيمِى   لَا تَتوَلّىْ عن أَبى حكيمِ [١]

واستُخرِج من دور الوادعيّين خمسمَائة أسير، فأُتِى بهم المختار مكتّفين، فأخذ رجل من بنى نَهْد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له: عبد الله ابن شريك، لا يخلو بعربىّ إلّا خلّى سبيله، فرَفَع ذلك إلى المختار دِرْهم مولًى لبنى نَهد، فقال له المختار: اعرضوهم علىّ، وانظروا كلّ من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى به، فأخذوا لا يُمَرّ عليه [٢] برجل قد شهد قتل الحسين إلا قيل له: هذا ممّن شهد قتله، فيقدّمه فيضرب عنقه، حتّى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانيةً وأربعين قتيلا، وأخذ أصحابه كلّما رأوا رجلا قد كان يؤذيهم أو يماريهم [٣] أو يضرّبهم خلَوْا به فقتلوه حتّى قُتل ناسٌ كثير منهم وما يشعر بهم المختار، فأُخبر بذلك المختار بعدُ، فدعا بمَنْ بقِى [٤] من الأسارى فأعتَقهم، وأخذ عليهم المواثيقَ ألّا يجامعوا عليه عدوًّا، ولا يبغوه ولا أصحابه [٥] غائلة، إلا سُرَاقَةَ بن مرداس البارقىّ، فإنّه أمر به أن يُساقَ معه إلى المسجد. قال: ونادى منادى المختار: إنّه من أغلق بابه فهو آمن، إلّا رجلا شَرَك فى دم آل محمّد صلّى الله عليه وسلم.

---

(١) ديوانه ١٠٥.
(٢) ف: «لا يمر عليهم رجل».
(٣) ف: «ويماريهم».
(٤) ف: «من بقى».
(٥) ف: «لأصحابه».

قال أبو مخنف: حدّثني[1] المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبيّ، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجّار بن أبجر بعثا رسلا لهما، فقالا لهم: كونوا من أهل اليمن قريبًا، فإنْ رأيتموهم قد ظهروا[2] فأيّكم سبق إلينا فليقل صرَفان، وإن كانوا هُزموا فليقل جُمْزان، فلما هُزِم أهل اليمن أتتْهم ٢/٦٦١ رسلهم، فقال لهم أوّلُ من انتهى إليهم: جُمْزان، فقام الرجلان فقالا لقومهما: انصرِفوا إلى بيوتكم، فانصرَفوا. وخرج عمرو بن الحجّاج الزُّبيديّ — وكان ممّن شهد قتل الحسين — فركب راحلتَه، ثمّ ذهب عليها، فأخذ طريقَ شَراف وواقصة، فلم يُرَ حتّى الساعة، ولا يُدرَى أرضٌ بخَسَتْه، أم سماءٌ حصَبَتْهُ! وأمّا فُرات بن زَحْر بن قيس فإنّه لمّا قُتل بعثتْ عائشةُ بنت خليفة بن عبد الله الجُعفيّة — وكانت امرأةَ الحسين بن عليّ — إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارىَ جسده؛ ففعل؛ فدفنتْه.

وبعث المختار غلامًا له يدعى زِرْبيًّا فى طلب شَمِر بن ذى الجَوْشَن. قال أبو مخنف: فحدّثني يونس بن أبى إسحاق، عن مسلم بن عبد الله الضّبابيّ، قال: تَبِعنا زِرْبيٌّ غلامُ المختار، فلَحقَنا وقد خرجْنا من الكوفة على خيول لنا ضُمَّر، فأقبل يتمطّر به[3] فرسُه، فلمّا دنا منّا قال لنا شمِر: اركضوا وتباعدوا عنّى لعلّ العبد يطمع فىّ؛ قال: فركَضْنا، فأمعنّا، وطمع العبد فى شمِر، وأخذ شمر ما يستطرد له، حتّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمِر فدقّ ظهره، وأتى المختار فأخبر بذلك، فقال: بؤسًا لزربىّ، أما لو يستشيرُنى ما أمرْته أن يَخرُج لأبى السابغة.

قال أبو مخنف: حدّثني أبو محمّد الهَمْدانىّ، عن مسلم بن عبد الله الضّبابيّ، قال: لمّا خرج شمر بن ذى الجَوْشن وأنا معه حين هزمنا المختار، ٢/٦٦٢ وقتل أهل اليمن بجبّانة السَّبيع، ووجّه غلامَه زربيًّا فى طلب شمر، وكان مَن قتل شمر إيّاه ما كان، مضى شمر حتّى ينزل ساتيدَمَا، ثمّ مضى حتّى ينزل إلى جانب قرية يقال لها الكلتانيّة على شاطئ نهر، إلى جانب تلّ،

(١) ف: «فحدثنى». (٢) ف: «ظفروا». (٣) يتمطر به: يسرع.

ثمّ أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها علِـْجًا فضربه ، ثمّ قال : النّجاء بكتابى هذا إلى المصعَب بن الزبير وكتب عنوانه : للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذى الجوشن . قال : فمَضَى العِلْج حتّى يدخل قريةً فيها بيوت ، وفيها أبو عَمْرة ، وقد كان المختار بعثَه فى تلك الأيّام إلى تلك القرية لتكون مَسْلحة فيما بينه وبين أهل البصرة ، فلقى ذلك العِلْج عِلْجا من تلك القرية ، فأقبل يشكو إليه ما لقِى من شمر ، فإنّه لقائم معه يكلّمه إذ مر به رجل من أصحاب أبى عمرة . فرأى الكتابَ مع العِلج . وعنوانه : لمصعب من شمر ، فسألوا العلجَ عن مكانه الّذى هو به ، فأخبرَهم . فإذا ليس بينهم وبينه إلاّ ثلاثة فراسخ . قال : فأقبلوا يسيرون إليه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى مسلم بن عبد الله . قال : وأنا والله مع شَمِر تلك الليلة[1] . فقلنا : لو أنّك ارتحلتَ بنا من هذا المكان فإنّا نتخوّف به ! فقال : أوَ كلّ هذا فَرَقا من الكذّاب ! والله لا أتحوّل منه ثلاثة أيّام . ملأ الله قلوبكم رُعْبًا ! قال : وكان بذلك المكان الذى كنّا فيه دبىّ كثير ، فوالله إنى لَبينْ اليقْظان والنائم ، إذْ سمعتُ وَقْعَ حوافر الخيل ، فقلت فى نفسى : هذا صوتُ الدّبى ، ثمّ إنى سمعته أشدّ من ذلك ، فانتبهتُ ومسحتُ[2] عينىّ ، وقلت : لا والله ، ما هذا بالدّبىَ . قال : وذهبتُ لأقومَ ، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التّلّ ، فكبّروا ، ثمّ أحاطوا بأبياتنا ، وخرجْنا نشتدّ على أرجُلنا ، وتركنا خيلنا . قال : فأمُرّ على شمِر ، وإنّه لمتّزر ببُرد محقق[3] — وكان أبرَصَ — فكأنى أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البُرْد ، فإنّه لَيطاعنهم بالرمح ، قد أعجلوه أن يلبس سلاحَه وثيابَه . فمضينا وتركناه . قال : فما هو إلاّ أن أمعنتُ ساعةً ، إذ سمعتُ : الله أكبر ، قتلَ اللهُ الخبيثَ !

٦٦٣/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى المشرقىّ ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبى الكنود ، قال : أنا والله صاحب الكتاب الّذى رأيته مع العِلْج ، وأتيتُ به أبا عَمْرة وأنا قتلت شَمِرًا ؛ قال : قلت : هل سمعتَه يقول شيئًا ليلتئذ ؟ قال : نعم ،

(١) ف : « ليلتئذ » . (٢) ف : « فسحت » . (٣) برد محقق : محكم النسج .

خرج علينا فطاعَنَنا برمحه ساعةً ، ثمّ ألقَى رمْحَه ، ثمّ دخل بيته فأخذ سيفَه ، ثمّ خرج علينا وهو يقول :

نَبَّهْتُمُ لَيثَ عَرِينٍ بَاسِلَا جَهْمًا مُحيَّاهُ يَدُقُّ الكاهِلاَ
لم يُرَ يَوْماً عَنْ عَدُوٍّ ناكِلَا إلَّا كذَا مُقَاتِلاً أو قاتِلاَ
* يُبْرِحُهُمْ ضَرْباً ويُزْوِى العامِلاَ *

قال أبو مخنف ، عن يونس بن أبى إسحاق : ولمَّا خرج المختار من جبّانة السَّبِيع ، وأقبل إلى القصر ، أخذ سُراقةُ بن مِرْداس يناديه بأعلى صوته : ٦٦٤/٢

امننْ علىَّ اليَوْمَ يا خَيْرَ مَعَدْ وخَيْرَ مَن حَلَّ بِشِحْرٍ والجَنَدْ[1]
* وخَيْرَ من حَيَّا وَلبَّى وَسَجَدْ[2] *

فبعث به المختار إلى السجن ، فحبسه ليلةً ، ثمّ أرسل إليه من الغد فأخرَجه ، فدعا سراقة ، فأقبَل إلى المختار وهو يقول :

ألا أبلغْ أبا إسْحاقَ أنَّا نَزوْنا نَزوةً كانت علينا[3]
خَرَجْنَا لاَ نَرى الضعَفاءَ شيئاً وكانَ خُرُوجُنا بَطرًا وحَيْنَا
نراهُمْ فى مصافِّهِم قليلاً وهم مثلُ الدَّبى حين التَقَينا
برَزْنا إذ رَأَيناهُمْ فلمـا رأَينا القومَ قد برزُوا إلينا
لقِينَا منْهُمُ ضَرْباً طِلَحْفاً[4] وطَعْناً صائباً حتَّى انثنَيْنَا
نصِرْتَ على عَدُوِّك كُلَّ يوم بكلِّ كتِيبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنَا[5]
كنصْرِ مُحَمَّدٍ فى يوم بَدْرٍ ويوم الشِّعْبِ إذ لاقَى حُنَيْنَا
فَأَسْجِحْ إذْ مَلَكْتَ فلو ملَكنا لجُرْنا فى الحكومة وَاعتَدَينا
تَقَبَّــلْ توبَةً منّى فإنّى سأَشكرُ إنْ جعلتَ النَّقْدَ دينا

---

(١) ديوانه ٧٤ .
(٢) ف : « لبّى وحيا » .
(٣) ديوانه ٧٦، ٧٧ .
(٤) ضربًا طلحفًا ، أى شديداً وجيعاً .
(٥) ف : « تبغى علينا » .

قال : فلمّا انتهى إلى المختار ،قال له : أصلحك الله أيها الأمير ! سُراقةُ ابن مِرداس يحلف بالله الّذى لا إله إلاّ هو لقد رأى الملائكةَ تُقاتِل على الخيول البُلْق بين السماء والأرض ؛ فقال له المختار : فاصعد المِنبَر فأعلِم ذلك المسلمين ؛ فصَعِد فأخبرَهم بذلك ثمّ نزل ، فخلا به المختار ، فقال : إنى قد علمت أنّك لم تر الملائكة ، وإنّما أردتَ ما قد عرفتُ ألّا أقتلك ، فاذهب عنّى حيث أحببت[1] ، لا تُفسد علىّ أصحابى . ٢/٦٦٥

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحجّاج بن علىّ البارقى عن سراقة بن مرداس ،قال : ما كنت فى أيمان حلفت بها قطّ أشدّ اجتهاداً ولا مبالغةً فى الكذب[2] منّى فى أيمانى هذه الّتى حلفتُ لهم بها أنى قد رأيت الملائكة معهم تُقاتِل . فخلّوا سبيله . فهرب ، فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج أشرافُ أهل الكوفة والوجوه . فلَحِقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج سُراقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول :

ألاَ أَبلِغْ أَبا إِسحاقَ أَنّى ... رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمتَاتِ[3]
كفَرْتُ بوَحْيِكُمْ وجعلت نَذْرًا ... علىَّ قِتالَكمْ حتّى المَمَاتِ
أُرِى عَيْنَىَّ ما لم تُبصِراهُ ... كلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
إذا قالوا أقول لهم كَذَبْتُمْ ... وإن خرجوا لبِسْتُ لهم أَداتى

حدّثنى أبو السائب سَلْم بن جُنادة ،قال :حدّثنا محمّد بن برّاد[4] ،من ولد أبى موسى الأشعرىّ ، عن شيخ ، قال : لمّا أسِر سراقة البارقىّ ، قال : وأنتم أسرتمونى! ما أسرَنى إلاّ قوم على دوابّ بُلق ،عليهم ثيابٌ بيض . قال : فقال المختار : أولئك الملائكة ، فأطْلَقه ، فقال :

ألا أَبلغ أَبا إِسحــاقَ أَنّى ... رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مصمَتاتِ
أُرِى عينَىَّ ما لمْ تَرْأَياه ... كلانَا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ

(١) ف : « شئت » .
(٢) ف : « منى فى الكذب » .
(٣) ديوانه ٧٨ .
(٤) ا : « براء » .

قال أبو مخنف : حدّثني عمير بن زياد أنّ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمْدانيّ قال يومَ جبّانة السبيع : ويحكم ! من هؤلاء الّذينَ أتَوْنا من ورائنا ؟ قيل له : شِبَام ؛ فقال : يا عجبا ! يقاتلني بقَوْمي من لا قومَ له . ٢/٦٦٦

قال أبو مخنف : وحدّثني أبو روق أنّ شُرحبيل بن ذى بُقلان من الناعطيِّين قُتِل يومئذ ، وكان من بيوتات هَمْدان ، فقال يومئذ قبل أن يُقتَل : يا لها قتلةً . ما أضلّ مقتولها ! قتال مع غير إمام ، وقتالٌ على غير نيّة ، وتعجيلُ فراقِ الأحبّة ، ولو قتلناهم إذًا لم نسلم منهم ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! أما والله ما خرجْتُ إلّا مواسياً لقومي بنفسي مَخافَة أن يُضطهَدوا ؛ وايم الله ما نجوْتُ من ذلك ولا أُنجُوا ، ولا أغنَيْت عنهم ولا أُغنُوا . قال : ويرميه رجل من الفائشيِّين من هَمْدانَ يقال له أحمر بن هديج بسهم فيقتله .

قال : واختصَم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانيّ نفرٌ ثلاثة : سعْر ابن أبي سعر الحنفيّ ، وأبو الزبير الشِّباميّ : ورجل آخر ؛ فقال سعْر : طعنته طعنة ، وقال أبو الزبير : لكن ضربتُه أنا عشرَ ضَرَبات أو أكثر ، وقال لي ابنه : يا أبا الزبير ، أتقتل عبد الرحمن بن سعيد سيّد قومك ! فقلت : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[1] . فقال المختار : كلّكم محسن . وانجلَت الوَقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه .

قال أبو مخنف : حدّثني النَّضْر بن صالح أنّ القتل إذ ذاك كان استَحرّ في أهل اليمن ؛ وأن مُضَر أصيب منهم بالكُناسة بضعة عشر رجلا ، ثمّ مضوا حتّى مرّوا بربيعة ، فرجع حجّار بن أبجَر ، ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشدّاد بن المنذر – أخو حضين – وعكرمة بن ربعيّ ، فانصرف جميع هؤلاء إلى رحالهم ، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالا شديدًا ، ثمّ انصرف عنهم وقد خرج ، فجاء حتّى دخل منزلَه ، فقيل له : قد مرّت خيلٌ في ٢/٦٦٧

(١) سورة المجادلة : ٢٢ .

ناحية الحيّ ؛ فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتّى حمَلَه غلام له . وكانت وقعة جبّانة السَّبيع يومَ الأربعاء لستّ ليال بقين من ذى الحجّة سنة ستّ وستّين .

قال : وخرج أشرافُ الناس فلَحِقوا بالبَصرة ، وتجرّد المختارُ لقتَلة الحسين فقال : ما من ديننا تركُ قوم قتلوا الحسينَ يمشون أحياء فى الدّنيا آمنين ؛ بئس ناصرُ آل محمّد أنا إذاً فى الدنيا ! أنا إذًا الكذّاب كما سمّونى . فإنى[1] بالله أستعين عليهم ، الحمد[2] لله الّذى جعلنى سيفًا ضربهم به ، ورمحًا طعنَهم به ، وطالب وترهم ، والقائم بحقّهم ؛ إنّه[3] كان حقًّا على الله أن يقتُل من قتَلهم ، وأن يذلّ من جهل حقّهم ، فسمّوهم لى ثمّ اتبِعوهم[4] حتّى تُفنوهُم .

قال أبو مخنف : فحدّثنى موسى بن عامر أنّ المختار قال لهم : اطلُبوا لى قتَلةَ الحسين ، فإنّه لا يَسُوغ لِىَ الطعامُ والشرابُ حتّى أطهّر الأرضَ منهم ، وأنفِى المِصرَ منهم .

قال أبو مخنف : وحدّثنى مالك بن أعيَن الجُهَنىّ أنّ عبد الله بن دبّاس ، وهو الّذى قتَل محمّد بنَ عمّار بن ياسر الّذى قال الشاعر :

* قَتِيل ابنِ دَبّاسٍ أَصابَ قَذَالَهُ *[5]

٢/٦٦٨

هو الّذى دلّ المختار على نفر ممّن قتَل الحسينَ ، منهم عبد الله بن أسيد بن النّزّال الجُهَنىّ من حُرَقة ، ومالك بن النُّسير البدّىّ ، وحَمَل بن مالك المحاربىّ ؛ فبعث إليهم المختار أبا نِمْران مالك بن عمرو النّهدىّ — وكان من رُؤساء أصحاب المختار — فأتاهم وهمْ بالقادسيّة ، فأخذهم فأقبل بهم حتّى أدخلهم عليه عِشاء ، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداءَ كتابه وأعداءَ رسوله وآلِ رسوله ، أين الحسينُ بنُ علىّ ؟ أدّوا إلىّ الحسينَ ، قتلتم من أُمِرتُم بالصّلاة عليه فى الصلاة ، فقالوا[6] : رحمك الله ! بُعثنا ونحن كارهون ، فامننْ علينا واستبقنا ، قال المختار : فهلاّ مننتم على الحسين ابن بنت

(١) ف : « وإنى » . (٢) ف : « والحمد » . (٣) ف : « إن » .
(٤) ف : « تتبعوهم » . (٥) ف : « أصيب قذاله » . (٦) ف : « قالوا » .

نبيّكم واستبقيتموه وسقيتموه ! ثم قال المختار للبدّيّ : أنت صاحبُ بُرنُسه ؟ فقال له عبد الله بن كامل : نعم ، هو هو ؛ فقال المختار ، اقطعوا يدَيْ[1] هذا ورِجْلَيه ، ودَعُوه فليضطرب حتّى يموت ، ففُعل ذلك به وتُرك ، فلم يزل يَنزِف الدمَ حتّى مات ، وأمر بالآخرين فقُدّما ، فقتل عبدُ الله بن كامل عبدَ الله الجهنيّ ، وقتل سعرُ بن أبي سعر حَمَل بن مالك المحاربيّ .

قال أبو مخنف : وحدّثني أبو الصّلت التّيميّ ، قال : حدّثني أبو سعيد الصّيْقل أنّ المختار دُلّ على رجال من قَتَلة الحسين ، دَلّه[2] عليهم سِعْر الحنفيّ ؛ قال : فبعث المختارُ عبدَ الله بن كامل ، فخرجنا معه حتّى مرّ ببني ضُبيعة ، فأخذ منهم رجلا يقال له زياد بن مالك ؛ قال : ثمّ مضى إلى عَنَزة فأخذ منهم رجلا يقال له عِمْران بن خالد . قال : ثمّ بعثني في رجال معه يقال لهم الدّبابة إلى دار في الحمراء ، فيها عبد الرحمن بن أبي خُشْكارة البَجَليّ وعبد الله بن قيس الخَوْلانيّ ، فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه ، فقال لهم : يا قتلة الصالحين ، وقَتَلة سيّد شباب أهل الجنّة ، ألا تَرَوْن الله قد أقاد منكم اليومَ ! لقد جاءكم الوَرْس ، بيوم نَحْس — وكانوا قد أصابوا من الوَرْس الّذي كان مع الحسين — أخرجوهم إلى السوق فضرّبوا رقابَهم . ففُعل ذلك بهم ، فهؤلاء أربعة نفر .

٢/٦٦٩

قال أبو مخنف : وحدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : جاءنا السّائب بنُ مالك الأشعريّ في خيل المختار ، فخرجتُ نحوَ عبد القيس ، وخرج عبد الله وعبدُ الرحمن ابنا صَلْخب[3] في أثَري ، وشُغلوا بالاحتباس عليهما عنّي ، فنجوت وأخذوهما ، ثمّ مضوا بهما حتّى مرّوا على منزل رجل يقال له عبد الله بنُ وهب بن عمرو ابن عمّ أعشى هَمْدانَ من بني عبد ، فأخذوه ، فانتهوْا بهم إلى المختار ، فأمر بهم فقُتِلوا في السوق ، فهؤلاء ثلاثة . فقال حُمَيد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم :

أَلَمْ ترَنِي على دهشٍ نَجوْتُ ولم أَكدْ أَنجُو

(١) ف : « يديه » . (٢) ف : « دل » .
(٣) ابن الأثير : « صلحب » .

رجاءُ اللهِ أنقــذَنِى ولم أكُ غيْرَهُ أرْجو

قال أبو مخنف : حدّثنى موسى بن عامر العدوىّ من جُهينة — وقد عرف ذلك الحديث شهمُ بن عبد الرّحمن الجُهَنىّ — قال: بعث المختارُ عبدَ الله ابن كامل إلى عثمانَ بن خالد بن أسيَر الدُّهمانىّ من جُهَينة، وإلى أبى أسماءَ ٢/٦٧٠ بشْر بن سَوْط القابضىّ — وكانا ممّن شَهِدا قتلَ الحسين،وكانا اشتركا فى دم عبد الرّحمن بن عَقيل بن أبى طالب وفى سلَبه — فأحاط عبدُ الله بنُ كامل عند العصر بمسجد بنى دُهمان،ثم قال : علىّ مثل خطايا بنى دُهمان منذ يوم خُلقوا إلى يوم يُبعثون إن لم أوتَ بعثمانَ بنِ خالد بن أسير،إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم . فقلنا له : أمهلْنا نطلبه، فخرجوا مع الخيل فى طلبه، فوجدوهما جالسَين فى الجبَّانة—وكانا يريدان أن يخرجا إلى الجزيرة—فأتِىَ بهما عبدُ الله بن كامل ، فقال : الحمد لله الَّذى كفى المؤمنين القتالَ ، لو لم يجدوا هذا مع هذا عنَّانا إلى منزله فى طلبه ، فالحمد لله الَّذى حيّنك حتَّى أمكَن منك . فخرج بهما حتَّى إذا كان فى موضع بئر الجعد ضربَ أعناقَهما ، ثمّ رجع فأخبر المختارَ خبرَهما ، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقَهما بالنار ، وقال : لا يُدفنان حتَّى يُحرقا . فهذان رجلان، فقال أعشى هَمْدان[1] يرثى عثمانَ الجُهَنىّ :

يا عَيْن بكّى فَتَى الفِتيانِ عُثمانَا لايَبْعدَنَّ الفَتَى من آلِ دُهْمانَا

واذْكرْ فتًى ماجِدًا حُلوًا شَمائلُهُ مامِثْلُهُ فارسٌ فى آلِ هَمْدَانَا

قال موسى بنُ عامر : وبعث معاذ بن هانئ بن عدىّ الكندىّ ، ابن أخى ٢/٦٧١ حُجْر ، وبعث أبا عمرة صاحب حرَسه ، فساروا حتَّى أحاطوا بدار خوْلىّ بن يزيد الأصبحىّ وهو صاحبُ رأس الحسين الَّذى جاء به ، فاختبأ فى مخرجه، فأمر معاذٌ أبا عَمْرةَ أن يطلبَه فى الدار ، فخرجتْ امرأتهُ إليهم، فقالوا لها : أين زوجُكِ ؟ فقالت : لا أدرى أين هو— وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قَوْصَرَّةً ، فأخرجوه ، وكان[2] المختار يسير

---

(١) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله ، وهمدان بالدال الساكنة من قبائل كهلان باليمن ، وانظر المؤتلف والمختلف ١٢ .

(٢) ف : « وقد كان » .

بالكوفة . ثمّ إنّه أقبل فى أثر أصحابه وقد بعث أبو عَمرةَ إليه رسولا ، فاستقبل المختار الرسولَ عند دار بلال ، ومعه ابن كامل ، فأخبَرَه الخبر ، فأقبل[1] المختار نحوَهم ، فاستقبل به ، فردّده[2] حتّى قتله إلى جانب أهله ، ثمّ دعا[3] بنار فحرّقه [بها][4] ، ثم لم يبرح حتّى عاد رماداً ، ثمّ انصرف عنه . وكانت امرأته من حَضْرَمَوْت يقال لها العَيُوف بنت مالك بن نَهار بن عَقْرَب ، وكانت نصبتْ له العداوة حين جاءَ برأس الحسين .

قال أبو مخنف : وحدّثنى موسى بن عامر أبو الأشعر أنّ المختار قال ذات يوم وهو يحدّث جلساءَه : لأقتلنّ غداً رجلا عظيمَ القَدَمين ، غائرَ العينين ، مشرفَ الحاجبين ، يسرّ مَقتلُه المؤمنين والملائكةَ المقرّبين . قال : وكان الهيثم بن الأسوَد النَّخعىّ عند المختار حين سمع هذه المقالة ، فوقع فى نفسه أنّ الّذى يريد عمر بن سعد بن أبى وقّاص ، فلمّا رجع إلى منزله دعا ابنه العُريان فقال : القَ ابنَ سعد الليلةَ فخبّره بكذا وكذا ، وقل له : خذ حِذْرَك ، فإنّه لا يريد غيرَك . قال : فأتاه فاستخلاه ، ثمّ حدّثه الحديث ، فقال له عمر بن سعد : جزى الله أباك والإخاءَ خيراً ! كيف يريد هذا بى بعد الّذى أعطانى من العهود والمواثيق ! وكان المختار أوّل ما ظهر أحسنَ شىء سيرةً وتألّفاً للناس ، وكان عبد الله بن جَعْدة بن هبيرة أكرمَ خَلْق الله على المختار لقرابته بعلىّ[5] ، فكلّم عمرُ بنُ سعد عبد الله بن جعدة وقال له : إنى لا آمَن هذا الرجل — يعنى المختار — فخُذْ لى منه أماناً ، ففعل ؛ قال : فأنا رأيتُ أمانَه وقرَأتُه [وهو][6] : ٦٧٢/٢

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمانٌ من المختار بن أبى عبيد لعمرَ بنِ سعد ابن أبى وقّاص ، إنّك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدِك . لا تؤاخَذُ بحدَث كانَ منك قديماً ما سمعتَ وأطعتَ ولزمتَ رَحْلك وأهلَك ومِصرَك[7] . فمن لقِىَ عمرَ بنَ سعد من شُرْطة الله وشيعةِ آل محمّد

(١) ف : « فرجع وأقبل » . (٢) ف : « فردّوه » .
(٣) ف : « ودعا » . (٤) من ف .
(٥) ف : « من على » . (٦) من ف . (٧) ف : « وقصرك » .

ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلّا بخير . شهد السائبُ بنُ مالك وأحمرُ بنُ شميط وعبدُ الله بنُ شدّاد وعبدُ الله بنُ كامل . وجعلَ المختارُ على نفسه عهدَ الله وميثاقَه ليَفِيَنَّ لعمرَ بن سعد بما أعطاه من الأمان ، إلّا أن يُحدِث حَدَثاً ، وأشهَدَ اللهَ على نفسه ، وكَفَى بالله شهيداً . ٦٧٣/٢

قال : فكان أبو جعفر محمّد بن علىّ يقول : أمّا أمانُ المختار لعمر بن سعد : إلّا أن يُحدِث حَدَثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحْدث .

قال : فلمّا جاءه العُريان بهذا خرج من تحت ليلته حتّى أتى حمّامه ، ثم قال فى نفسه : أنزِل دارِى ، فرجع فعبر الرَّوْحاءَ ، ثمّ أتى دارَه غُدوَةً ، وقد أتى حمّامَه ، فأخبر مولًى له بما كان من أمانه وبما أريد به ، فقال له مولاه : وأىّ حَدَث أعظمُ ممّا صنعتَ ! إنّك تركت رَحلك وأهْلَك[1] وأقبلتَ إلى ها هنا ، ارجع إلى رحلك ، لا تجعلنّ[2] للرجل عليك سبيلا . فرجع إلى منزله ، وأتى المختارَ بانطلاقه ، فقال : كلّا إنّ فى عنقه سلسلةً ستردّه ، لو جَهَد أن ينطلق ما استطاع . قال : وأصبح المختارُ فبعث إليه أبا عمرةَ ، وأمرَه أن يأتيه به ، فجاءه حتّى دخل عليه فقال : أجِب الأميرَ ، فقام عمر : فعثر فى جُبَّة له ، [3] ويضربه أبو عَمْرة بسيفه[3] ، فقتله ، وجاء برأسه فى أسفل قَبائه حتّى وضعَه بين يدَى المختار ، فقال المختار لابنه حفص بن عمرَ بن سعد وهو جالس عنده : أتعرف هذا الرّأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ، ولا خير فى العيش بعدَه ، قال له المختار : صدقت ، فإنّك لا تعيش بعده ، فأمر به فقُتِل ، وإذا رأسُه مع رأس أبيه . ثمّ إنّ المختار قال : هذا بحُسَين وهذا بعلىّ بن حسين[4] ، ولا سَواء ، والله لو قتلتُ به ثلاثة أرباع قريش ما وَفَوا أنمُلةً من أنامله ؛ فقالت حُميدَة بنت عمَر بنِ سعد تَبكِى أباها : ٦٧٤/٢

لو كان غيرُ أخى قَسِيٍّ غرَّهُ ... أَو غيرُ ذى يَمَنٍ وغيرُ الأَعْجمِ
سَخَّى بنفسى ذاكَ شيْئاً فاعلمُوا ... عنه وما البَطْريق مِثلُ الأَلأَمِ
أَعْطَى ابنَ سعدٍ فى الصَّحيفة وابنَه ... عهداً يلينُ له جَنَاحُ الأَرقمِ

(١) ف : « أهلك ورحلك » . (٢) ف : « لا تجعل » .
(٣ – ٣) ف : « ويصر به أبو عمرة فضربه » . (٤) ف : « الحسين » .

فلمّا قَتل المختارُ عمرَ بن سعد وابنه بعث برأسَيْهما مع مسافر بن سعيد ابن نِمرْان الناعطىّ وظَبْيان بن عمارة التميمىّ، حتّى قَدِمَا بهما على محمّد ابن الحنفيّة ، وكتب إلى ابن الحنفيّة فى ذلك بكتاب .

قال أبو مخنف : وحدثنى موسى بن عامر ، قال : إنّما كان هيّج المختار على قتل عمرَ بن سعد أنّ يزيدَ بنشراحيلَ الأنصارىّ أتى محمّد بنالحنفيّة ، فسلّم عليه ؛ فجرى الحديثُ إلى أن تذاكروا المختارَ وخروجَه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهلِ البيت ، فقال محمّد بنُ الحنفيّة : على أهون رسله يزعم أنّه لنا شيعة ، وقَتَلَة الحسين جلساؤه على الكراسىّ يحدّثونه! قال : فوعاها الآخر منه ، فلما قدم الكوفة أتاه فسلّم عليه ، فسأله المختار : هل لقيتَ المهدىّ ؟ فقال له : نعم ، فقال : ما قال لك وماذا كَرَك ؟ قال : فخبّره الخبر . قال : فما لبّث المختارُ عمرَ بنَ سعد وابنه أن قَتَلهما ، ثمّ بعث برأسيهما [١] إلى ابن الحنفيّة مع الرسولين اللّذَين سمّينا ، وكتب معهما إلى ابن الحنفيّة : ٢/٦٧٥

بسم الله الرّحمن الرّحيم . للمهدىّ محمّد بن علىّ من المختار بن أبى عُبَيد . سلام عليك يأيُّها المهدىّ ، فإنى أحمَد إليك الله الّذى لا إله إلا هو ، أمّا بعد : فإنّ الله بَعثَنى نِقمَةً على أعدائكم ، فهم بين قتيل وأسير ، وطريد وشريد ، فالحمد لله الّذى قتل قاتليكم [٢] ، ونصر مؤازِرِيكم [٣] . وقد بعثتُ إليك برأس عمرَ بن سعد وابنه ، وقد قتلنا من شَرَك فى دم الحسين وأهل بيته ــ رحمةُ الله عليهم ــ كلّ من قَدَرْنا عليه ، ولن يُعجز الله من بقِى ، ولست بمُنْجِم [٤] عنهم حتّى لا يبلغنى أنّ على أديم الأرض منهم أرمِيًّا [٥] . فاكتب إلىّ أيها المهدىّ برأيك أتّبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهدىّ ورحمة الله وبركاته .

ثمّ إنّ المختار بعث عبدَ الله بنَ كامل إلى حكيم بن طُفَيل الطائىّ السنْبِسِىّ ــ وقد كان أصاب صلب العبّاس بن علىّ ، ورَمَى

(١) كذا فى ف وفى ط : «برءوسهما» . (٢) ف : «قاتلكم» . (٣) ف : «موازركم» .
(٤) ف : «بمتنح» . (٥) إرميا ، أى أحداً ، يقال : ما بالدار إرميا ، أى أحد.

حسيناً بسَهْم ، فكان يقول : تعلّق سهمى بسِرْباله وما ضرّه — فأتاه عبدُ الله ابن كامل ، فأخذه ثمّ أقبل به ، وذهب أهلُه فاستغاثُوا[١] بعدىّ بن حاتم ، فلحقهم فى الطَّريق ، فكلّم عبد الله بن كامل فيه ، فقال : ما إلىّ[٢] من أمره شىء ، إنّما ذلك[٣] إلى الأمير المختار . قال : فإنى آتيه ؛ قال : فأتِه راشداً . فمضى عدىّ نحوَ المختار ، وكان المختار قد شفّعه فى نفر من قومه أصابهم يومَ جَبّانة السَّبيع ، لم يكونوا نَطَقوا بشىء من أمر الحسين ولا أهل بيته ، فقالت الشيعة لابن كامل : إنّا نخاف أن يشفّع الأمير عدىّ بن حاتم ٢/٦٧٦ فى هذا الخبيث ، وله من الذنب ما قد علمت[٤] ، فدعْنا نَقتُله . قال : شأنكم به ، فلما انتهَوْا به إلى دار العَنَزِيّين وهو مكتوف نَصَبوه غرَضاً ، ثم قالوا له : سلبتَ ابن علىّ ثيابَه ، والله لنَسلبنّ ثيابَك وأنتَ حىّ تنظُر ! فنزعوا ثيابَه ، ثمّ قالوا له : رَمَيْتَ حسيناً ، واتّخذته غرَضاً لنَبْلك ، وقلت : تعلّق سهمِى بسِرْباله ولم يضرّه ، وايمُ الله لنرمينّك كما رميته بنبال ما تعلّق بك منها أجزاك . قال : فرَمَوْه رشْقاً واحداً ، فوقعتْ به منهم نبالٌ كثيرة فخرّ ميّتاً .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو الجارود[٥] ، عمّن رآه قتيلا كأنّه قُنفُذ لما فيه من كثرة النَّبل : ودخل عدىّ بن حاتم على المختار فأجلسَه معه على مجلسه ، فأخبره عدىّ عمّا جاء له ، فقال له المختار : أتستحلّ يا أبا طَريف أن تَطلُب فىّ قَتَلة الحسين ! قال : إنه مكذوب عليه أصلحك الله ! قال[٦] : إذاً ندَعه لك قال : فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار : ما فَعَل الرجل ؟ قال : قتلتْه الشيعة : قال : وما أعجَلَك إلى قتله قبل أن تأتيَنى به وهو لا يسرّه أنّه لم يقتله — وهذا عدىّ قد جاء فيه ، وهو أهلٌ أن يُشفّع ويؤتى ما سرّه[٧]! قال : غلبتْنى والله الشيعة ، قال له عدىّ : كذبتَ يا عدوّ الله ، ولكنْ ظننْتَ أنّ من هو خيرٌ منك سيشفّعنى فيه ، فبادرتَنى

(١) ف : « فاستعانوا » . (٢) ف : « مالى » .
(٣) ف : « ذاك » . (٤) ف : « علمته » .
(٥) هو زياد بن زياد ، الذى تسمى باسمه فرقة الجارودية .
(٦) ف : « فقال » (٧) ف : « يسره » .

فقتلتَه ، ولم يكن خطر يدفعك عمَّا صنعت . قال : فاسحَنْفر [١] إليه ابن كامل بالشَّتيمة ، فوضع المختار إصبَعه على فيه ، يأمر ابن كامل بالسكوت والكفّ عن عدىّ ، فقام عدىّ راضيًا عن المختار ساخطًا على ابن كامل ، يشكوه عند من لَقِى من قومه . وبعث المختار إلى قاتل علىّ بن الحسين عبدَ الله ابن كامل ، وهو رجلٌ من عبد القيس يقال له مُرّة بن مُنْقذ بن النعمان العبدىّ وكان شجاعًا ، فأتاه ابنُ كامل فأحاط بداره ، فخرج إليهم وبِيَده [٢] الرّمح ، وهو على فرس جواد ، فطعن عبيد الله بن ناجية الشِّبامىّ ، فصرَعه ولم يضرّه . قال : ويضربه ابن كامل بالسيف فيتّقيه بيده اليسرى ، فأسرع [٣] فيها السيف ، وتمطّرت به الفرس [٤] ، فأفلت ولحق بمصعب ، وشُلَّت يده بعد ذلك . قال : وبعث المختارُ أيضًا عبدَ الله الشاكرىّ إلى رجل من جَنْب يقال له زيدُ بن رُقاد ، كان يقول : لقد رميتُ فتًى منهم بسهم وإنَّه لواضِع كفَّه على جبهته يتَّقى النبلَ فأثبتُّ كفَّه فى جبهته ، فما استطاع أن يزيل كفَّه عن جبهته . ٢/٦٧٧

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو عبد الأعلى الزُّبيدىّ أنّ ذلك الفتى عبد الله ابن مسلم بن عقيل ، وأنَّه قال حيث أثبت كفَّه فى جبهته : اللَّهمّ إنَّهم استقلّونا واستذلّونا ، اللَّهمّ فاقتلهم كما قتلونا ، وأذلَّهم كما استذلّونا . ثمّ إنَّه رمى الغلامَ بسَهم آخرَ فقتلَه ، فكان يقول : جئتُه ميّتًا فنزعتُ سهمى الَّذى قتلتُه به من جَوْفه ، فلم أزل أُنضْنِض السَّهم [٥] من جبهته حتَّى نزَعْته ، وبقِىَ النَّصل فى جبهته مُثبَتًا ما قدرتُ على نزعه .

٢/٦٧٨ قال : فلمَّا أتى ابن كامل دارَه أحاط بها ، واقتحم الرجالُ عليه ، فخرج مصلتًا بسيفه [٦] — وكان شجاعًا — فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ، ولا تطعنوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه [٧] بالحجارة ، ففعلوا ذلك به ، فسقط ، فقال ابن كامل : إن كان به رمَق فأخرِجوه [٨] ؛ فأخرَجوه وبه

(١) فى اللسان : يقال : اسحنفر الرجل فى خطبته ، إذا مضى واتّسع فى كلامه .
(٢) ف : « بيده » . (٣) ف : « فيسرع » .
(٤) ف : « فرسه » . (٥) نضنض السهم ؛ إذا حركه .
(٦) ف : «بالسيف» . (٧) ف : «وارضخوه» . (٨) ف : «فأحرقوه بالنار» .

رَمَق ، فدعا بنار فحرّقه بها وهو حيّ لم تخرج رُوحُه . وطلب المختار سنان ابن أنس الّذى كان يدّعى قَتْلَ الحسين ، فوَجده قد هرَب إلى البَصرة ، فهدّم داره . وطلب المختارُ عبدَ الله بن عُقْبة الغَنَوىّ فوجده قد هرَب ، ولحق بالجزيرة ، فهدم داره ،وكان ذلك الغَنَوىّ قد قتل منهم غلامًا ، وقتل رجلٌ آخرُ من بنى أسد يقال له حَرْملة بن كاهل رجلا من آل الحسين . ففيهما يقول ابن أبى عَقِب اللّيْثىّ :

وعِندَ غَنِيٍّ قطرَةٌ من دِمائنا وفى أَسَد أُخرَى تُعَدُّ وتُذكَرُ

وطلب رجلا من خَثْعَم يقال له عبد الله بن عروة الخثعمىّ — كان يقول : رميت فيهم باثنَىْ عشر سهمًا ضَيْعَةً — ففاته ولَحِق بمصعب ، فهدَم دارَه ، وطلب رجلا من صُداء يقال له عَمْرو بن صُبَيح ، وكان يقول : لقد طعنتُ بعضَهُم وجرحتُ فيهم[1] وما قتلت منهمْ أحدًا ، فأتِىَ ليلا وهو على سَطْحه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون ، وسيفُه تحت رأسه ، فأخذوه ٦٧٩/٢ أخْذًا ، وأخذوا سيفَه ، فقال : قبحك الله سيفًا ، ما أقربَك وأبعدَك ! فجىء به إلى المختار ، فحبَسه معه فى القصر . فلمّا أن أصبح أذِنَ لأصحابه ، وقيل : لِيدخلْ من شاء أن يَدخُل ، ودخل الناس ، وجىء به مقيَّدًا ، فقال : أما والله يا معشر الكَفَرة الفَجَرة أن لو بيَدِى سيفى لَعلمتم أنى بنصل السيف غير رَعِش ولا رِعْديد ، ما يسرّنى إذ[2] كانت منيّتى قَتْلا أنّه قتلنى من الخلق أحد[3] غيركم . لقد علمتُ أنّكم شرار خلقِ الله ، غيرَ أنى وددتُ أنّ بيدى سيفًا أضرب به فيكم ساعة ، ثمّ رفع يدَه فلطم عينَ ابن كامل وهو إلى جنبه ، فضحك ابن كامل ، ثمّ أخذ بيده وأمسكها ، ثم قال : إنّه يزعم أنّه قد جرح فى آل محمد وطعن ، فمُرْنا بأمرك فيه ، فقال المختار : علىّ بالرماح ، فأُتِىَ بها ، فقال : اطعَنوه حتّى يموت ، فطُعِن بالرماح حتّى مات .

قال أبو مخنف : حدّثنى هشام بنُ عبد الرّحمن وابنه الحكَم بنُ هشام

---

(١) ف : « لقد طعنت فيهم وجرحت » . (٢) ف : « إن » .
(٣) ف : « أحد من الناس » .

أنّ أصحاب المختار مرّوا بدار بنى أبى زُرعة بن مسعود ، فرَموهم من فوقها ، فأقبلوا حتّى دخلوا الدارَ ، فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبى زُرعة الثقفىّ وعبد الرحمن بن عثمان بن أبى زرعة الثّقَفىّ ، وأفلتَهم عبدُ الملك بن أبى زرعة بضربة فى رأسه ، فجاء يشتدّ حتّى دخل على المختار، فأمر امرأتَه أمّ ثابت ابنة سَمُرة بن جُندَب ، فداوتْ شجّته ، ثمّ دعاه ، فقال : لا ذنب لى ، إنّكم رميتم[1] القوم فأغضَبْتموهم[2] . وكان محمّد بنُ الأشعث بن قيس فى قرية الأشعث إلى جنب القادسيّة ، فبعث المختار إليه حَوْشباً سادِنَ الكرسىّ فى مائة ، فقال : انطلِق إليه فإنّك تجده لاهياً متصيّداً ، أو قائماً متلبّداً ، أو خائفاً متلدّداً ، أو كامناً متغمّداً ، فإن قدرت عليه فأتنى برأسه . فخرج حتّى أتى قصرَه فأحاط به ، وخرج منه محمّد بن الأشعث فلحق بمصعب ، وأقاموا على القصر وهم يرَوْن أنّه فيه ، ثم دخلوا فعَلِموا أنّه قد فاتَهم ، فانصرفوا إلى المختار ، فبعث إلى داره فهدمها ، وبنى بلَبِنها وطِينِها دارَ حُجْر بن عدىّ الكِنْدىّ ، وكان زيادُ بن سُمَيّة قد هَدَمها .

٢/٦٨٠

* * *

[ذكر الخبر عن البيعه للمختار بالبصرة]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة دَعَا المثنّى بن مخرّبة العبدىّ إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ؛ فحدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمّد ، عن عبد الله بن عطيّة اللّيْثى وعامر بن الأسود ، أنّ المثنى بن مخرّبة العبدىّ كان ممّن شهد عينَ الوَرْدة مع سليمانَ بن صُرَد ، ثمّ رجع مع مَن رجع ممّن بقى من التّوّابين إلى الكوفة ، والمختار محبوس ، فأقام حتّى خرج المختار من السجن ، فبايعه المثنّى سرّاً ، وقال له المختار : الحقْ ببَلَدك بالبصرة فادْعُ الناسَ ، وأسِرَّ أمْرَكَ ؛ فقدم البصرة فدعا ، فأجابه رجالٌ من قومه وغيرهم فلمّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة ومَنَعَ عمرَ بنَ عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام من الكوفة خرج المثنّى بن مخرّبة فاتّخذ مسجداً ، واجتمع[3] إليه

٢/٦٨١

(١) ف : « أرهبتم » . (٢) ف : « وأغضبتموهم » .
(٣) ف : « فاجتمع » .

قومه ، ودعا إلى المختار ، ثمّ أتى مدينة الرّزق فعسكر عندَها ، وجمعوا الطعامَ في المدينة ، ونَحَروا الجزُر ، فوجّه إليهم القُباعُ عبّادَ بن حصين وهو على شُرْطته، وقيس بن الهيثم في الشّرَط والمقاتِلة ، فأخذوا في سكّة الموالي حتّى خرجوا إلى السّبخة ، فوقفوا ، ولزِم الناسُ دورَهم ، فلم يخرج أحد، فجعل عبّاد ينظر هل يرى أحدًا يسأله ! فلم ير أحدًا ؛ فقال: أما ها هنا رجلٌ من بني تميم؟ فقال خليفة الأعور مولى بني عديّ، عديّ الرِّباب : هذه دار ورّاد مولَى بني عبد شَمْس ؛ قال : دُقّ الباب ، فدقّه ، فخرج إليه ورّاد ، فشتَمه عبّاد وقال : وَيْحك! أنا واقفٌ ها هنا ، لِمَ لَمْ تخرج إليّ ! قال: لم أدر ما يوافقك، قال: شُدّ عليك سلاحَك واركب، ففعل، ووَقَفوا، وأقبل أصحابُ المثنّى فواقفوهم ، فقال عبّاد لورّاد : قف مكانَك مع قيس ، فوقف قيس بن الهيثم وورّاد ، ورجع عبّاد فأخذ في طريق الدّبّاغين، والنّاس وقوفٌ في السّبَخة، حتّى أتى الكلأ ، ولمدينة الرّزق أربعة أبواب: باب مِمّا يلي البصرة، وباب إلى الخلاّلين ، وبابٌ إلى المسجد، وبابٌ إلى مهبّ الشمال ؛ فأتى الباب الّذي يلي النهر مِمّا يلي أصحاب السقَط ، وهو بابٌ صغير ، فوقف ودعا بسلّم فوضعه مع حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلا ، وقال لهم : الزموا السطح ، فإذا سمعتم التكبيرَ فكبّروا على السطوح ، ورجع عبّاد إلى قيس بن الهيثم وقال لورّاد : حَرّش القومَ ؛ فطارَدَهم ورّاد ، ثم التبس القتال فقُتِل أربعون رجلا من أصحاب المثنّى، وقُتِل رجل من أصحاب عبّاد ، وسمع الّذين على السطوح[1] في دار الرزق الضجّة والتكبير ، فكبّروا ، فهرب مَن كان في المدينة ، وسمع المثنّى وأصحابه التكبير من ورائهم ، فانهزموا ، وأمر عبّاد وقيس بن الهيثم[2] الناسَ بالكفّ عن اتباعهم[2] وأخذوا مدينة الرّزق وما كان فيها ، وأتى المثنّى وأصحابُه عبدَ القيس ورجع عبّاد وقيس ومَنْ معهما إلى القُباع فوجّههما إلى عبد القيس، فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر ، وأتاهم عبّاد من طريق المِرْبد ، فالتقَوْا فأقبل زياد بن عَمْرو العتَكيّ إلى القُباع وهو في المسجد جالس على المنبر ،

٦٨٢/٢

---

(١) ف : « السطح » . (٢ — ٢) ف : « بالكف عن الناس وعن » .

فدخل زياد المسجدَ على فرسه ، فقال : أيُّها الرجل ، لتردّنّ خيلَك عن إخواننا أو لنقاتلنَّها[١]. فأرسل القُباع الأحنفَ بنَ قيس وعمرَ بنَ عبد الرحمن المخزوميّ ليُصلحا أمرَ الناس ، فأتَيَا عبد القيس ، فقال الأحنف لبكْر والأزْد وللعامّة : ألسْتم على بيعة ابن الزبير ! قالوا : بلى ، ولكنّا لا نُسلِم إخوانَنا . قال : فمروهم فليخرجوا إلى أيّ بلاد أحبّوا ، ولا يُفسدوا هذا المِصرَ على أهله ، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاءوا . فمشَى مالكُ بنُ مِسْمَع وزيادُ بن عمرو ووجوهُ أصحابهم إلى المثنَّى ، فقالوا له ولأصحابه : إنّا والله ما نحن على رأيكم ، ولكنّا كرهْنا أن تُضامُوا[٢]. فالحقوا بصاحبكم ، فإنّ مَن أجابكم إلى رأيكم قليل ، وأنتم آمنون . فقَبِل المثنَّى قولَهما وما أشارا به ، وانصرف .

٢/٦٨٣ ورجع الأحنف وقال : ما غَبِنت رأيي إلا يومي هذا ، إني أتيت هؤلاء القومَ وخلّفت بكرًا والأزد ورائي ، ورجع عبّاد وقيس إلى القُباع ، وشخص المثنَّى إلى المختار بالكُوفة في نفرٍ يسير من أصحابه ، وأصيب في تلك الحرب سُويد بنُ رئاب الشَّنّيّ ، وعقبة بن عشيرة الشنّيّ ، قتَلَه رجل من بني تميم وقُتل التميميّ فوَلَغ أخو عقبة بن عشيرة في دَم التميميّ ، وقال : ثأري . وأخبر المثنَّى المختار حين قَدِم عليه بما كان من أمر مالك بن مِسمَع وزياد بن عمرو ومسيرهما إليه ، وذبّهما عنه حتّى شخص عن البصرة . فطَمِع المختار فيهما ، فكتب إليهما : أمّا بعد ، فاسمعا وأطيعا أوتِكما[٣] من الدنيا ما شئتما ، وأضمن لكما الجنّة . فقال مالكٌ لزياد : يا أبا المغيرة ، قد أكثر لنا أبو إسحاقَ إعطاءَنا الدنيا والآخرة ! فقال زياد لمالك مازحًا : يا أبا غسّان ، أمّا أنا فلا أقاتل نسيئةً ، مَن أعطانا الدّراهم قاتَلْنا معه . وكتب المختارُ إلى الأحنف بن قيس :

من المختار إلى الأحنف ومَن قِبَله ، فسَلْم أنتم ، أمّا بعد ، فويلُ أمّ ربيعةَ من مضَر ، فإنّ الأحنفَ مُورد قومَه سَقَر ، حيث لا يستطيع لهم الصَّدَر ، ٢/٦٨٤ وإني[٤] لا أملك ما خُطّ في القَدَر ، وقد بلغني أنكم تسمّونني[٥] كذّابًا ،

---

(١) ف : وابن الأثير « لنقاتلنّهم » .
(٢) ف : « تصابوا » .
(٣) ف : « ولكما » .
(٤) ف : « وأنا » .
(٥) ف : « تسموني » .

وقد كُذِّب الأنبياء مِنْ قَبْلى ، ولستُ بخير من كثير منهم .

وكتب إلى الأحنف :

إذا اشتريتَ فَرساً من مالِكَا ثمَّ أخذتَ الجَوْبَ فى شِمالِكَا

* فاجعلْ مِصاعاً حذما مِن بالِكا *

حدّثنى أبو السائب سَلْم بن جُنادة ، قال : حدّثنا الحسن بن حمّاد ، عن حيّان(١) بن علىّ ، عن المجالد ، عن الشَّعبىّ ، قال : دخلتُ البَصْرة فقعدتُ إلى حَلْقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال لى بعضُ القوم : مَن أنتَ ؟ قلت : رجلٌ من أهل الكوفة ؛ قال : أنتم موالٍ لنا ؛ قلت : وكيف ؟ قال : قد أنقذناكم من أيدى عبيدكم مِن أصحاب المختار ، قلتُ : تدرى ما قال شيخُ هَمْدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف بن قيس : وما قال ؟ قلت : قال :

أَفَخَرْتُمْ أنْ قَتَلْتمْ أعبُدًا وهزمتمْ مَرَّةً آلَ عزَلْ

وإذَا فاخَرْتُمُونا فاذْكُروا ما فعلْنا بكُم يومَ الجمَلْ

بينَ شيخٍ خاضبٍ عُثْنُونَهُ وفتًى أبيضَ وضَّاحٍ رِفَلْ

جاءَنا يَهْدِجُ فى سابغةٍ فذَبَحْناه ضُحًى ذَبْحَ الحمَلْ

وعفَوْنا فَنَسِيتُمْ عفوَنا وكَفَرتُمْ نِعْمَةَ اللهِ الأجَلّ

وقَتَلْتمْ خَشَبِيِّين بهمْ بَدَلاً من قومِكمْ شرَّ بَدَلْ

فغضب الأحنف ، فقال(٢) : يا غلام ، هات تلك الصحيفة ، فأُتِىَ ٢/٦٨٥ بصحيفة فيها :

بسم الله الرّحمن الرحيم . من المختار بن أبى عبيد إلى الأحنف بن قيس ، أمَّا بعد ، فويلٌ أم ربيعةَ ومضرَ(٣) ، فإنّ الأحنف مُوردٌ قومَه سَقَرَ ، حيثُ لا يَقدرون على الصَّدَر ، وقد بلغنى أنّكم تُكذّبونى ، وإن كُذّبتُ

(١) ط : « حيان » تصحيف . (٢) ف : « وقال » . (٣) ف : « من مضر » .

فقد كُذِّب رسلٌ من قَبْلى ، ولستُ أنا خيراً[1] منهم . فقال: هذا منَّا أو منكم !

وقال هشام بنُ محمَّد عن أبى مخنف ، قال : حدَّثنى مَنيع بن العلاء السعدىّ أنَّ مسكين بنَ عامر بن أنَيْف بن شُرَيح بن عَمرو بن عدس كان فيمن قَاتَل المختار ، فلمَّا هزم الناس لحق بآذرْبيجان بمحمَّد بن عمير بن عطارد ، وقال :

عجِبَتْ دَخْتَنُوس لمَّا رأَتْنى ... قد عَلَانى مِنَ المَشِيبِ خِمارُ
فأَهلَّتْ بصــوتِها وأَرَنَّتْ ... لا تهالى قد شاب منّى العِذَارُ
إن تَرَيْنِى قد بانَ غَربُ شبابِى ... وأَتَى دونَ مولدى أَعصَارُ
فابنُ عامَيْن وابن خمسين عاماً ... أَىّ دهر إلاَّ له أَدهارُ!
ليت سيْفِى لها وَجَوْبتَها لى ... يومَ قالت أَلا كريم يَغارُ!
ليْتنَا قبلَ ذلك اليوم مِتْنَا ... أَو فعلْنا ما تفعلُ الأَحرارُ
فعلَ قوم تَقَاذف الخيرُ عنهمْ ... لم نُقاتلْ وقاتَلَ العَيْزَار
وتولَّيتُ عنهُمُ وأُصيبوا ... ونَفَانى عنهمْ شَنَارٌ وعارُ
لَهْفَ نَفسِى على شِهَابِ قُرَيش ... يومَ يُؤْتَى برأسه المختارُ!

٢/٦٨٦

وقال المتوكِّلُ الليثى :

قتلوا حُسَيناً ثم همْ ينعوْنَه ... إنَّ الزمانَ بأَهله أَطْوارُ
لا تَبْعَدنْ بالطَّفِّ قَتْلَى ضُيِّعَتْ ... وسقَى مسَاكِن هامِهَا الأَمطار
ما شُرْطَة الدَّجّال تحتَ لوائه ... بأَضلَّ مِمَّنْ غرَّهُ المختارُ
أَبنِى قَسِى أَوثِقُوا دجَّالَكم ... يجلَ الغُبارُ وأَنتمُ أَحرارُ
لو كان علمُ الغيب عندأَخيكمُ ... لتَوطَّأَتْ لكُمُ به الأَخبارُ
ولكان أَمرًا بيِّنًا فيما مضَى ... تأْتِى به الأَنباءُ والأَخبارُ

(١) ف : « بخير » .

إنِّى لأرجو أن يُكَذِّبَ وحْيَكمْ طعنٌ يَشُقُّ عصاكُمُ وحِصَارُ
ويجيئكم قومٌ كأنَّ سُيُوفَهُمْ بأكفِّهِمْ تحتَ العَجاجة نارُ
لا يَنْثَنونَ إذا هُمُ لاَقَوْكُمُ إلاَّ وَهَامُ كُمَاتِكم أعشارُ

* * *

[ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزّبير]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة بعث المختارُ جيشًا إلى المدينة للمكْر بابن الزبير ، وهو مُظهِر له أنَّه وجَّههم مَعُونَةً له لحرب الجيش الَّذى كان عبد الملك بن مروانَ وجَّهه إليه لحروبه ، فنزلوا وادىَ القُرى .

* ذكر الخبر عن السبب الداعى كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم :

قال هشام بن محمَّد : قال أبو مخنف : حدّثنى موسى بن عامر ، قال : لمَّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة لَحِقَ بالبَصرة . وكره أن يقدم ابن الزبير بمكَّة وهو مهزوم مفلول ، فكان بالبَصْرة مقيمًا حتَّى قدم عليه عمرُ بنُ عبد الرحمن بن هشام ، فصارا جميعًا بالبصرة . وكان سبب قدوم عمرَ البصرة أنّ المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشِّيعة إنَّما يدعو إلى ابن الحنفيَّة والطلب بدماء أهل البيت ، أخذ يخادع ابنَ الزبير ويكتب إليه ، فكتب إليه : أمَّا بعد ، فقد عرفتَ مُناصَحَتى إيَّاك وجَهدى على أهل عَدَاوتك ، وما كنتَ أعطيتَنى إذا أنا فعلتُ ذلك من نفسك فلمَّا وفَيتُ لك ، وقضيتُ الَّذى كان لكَ علىّ ، خِسْتَ بى ، ولم تَفِ بما عاهَدْتَنى عليه ، ورأيت منّى ما قد رأيت ، فإن تُرِد مراجعتى أراجِعك ، وإن تُرِد مُناصَحَتى أنصح لك . وهو يريد بذلك كفَّه عنه ، حتَّى يَستجمِع له الأمر[1]، وهو لا يُطْلِع الشِّيعة على شىء من هذا الأمر ، وإذا بلغهم شىء منه أراهم أنَّه أبعد الناس عن ذلك . قال : فأراد ابن الزبير أن يَعلم أسِلْم هو أم حرب ! فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ

٢ / ٦٨٧

(١) ف : « أمره » .

فقال له: تجهّزْ إلى الكوفة فقد ولّيناكَها[1]، فقال: كيف وبها المختار! قال: إنّه يزعم أنّه سامع مطيع. قال: فتجهّزَ بما بين الثلاثين الألف درْهم إلى الأربعين ألفًا[2]، ثمّ خرج مقبلا إلى الكوفة. قال: ويجيء عينُ المختار من مكّة حتّى أخبره[3] الخبر، فقال له: بكم تجهّز؟ قال: بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً. قال: فدعا المختارُ زائدةَ بنَ قدامة، وقال[4] له: احمل معك سبعين ألفَ درهم ضِعفَ ماأنفَق هذا فى مسيره إلينا وتلقّه فى المَفاوز، واخرج معك مسافر[5] بن سعيد بن نِمْران الناعطيّ فى خمسمائة فارس دارعٍ رامحٍ، عليهم البَيْض، ثمّ قل له: خذ هذه النّفقة فإنّها ضعف نَفقتك، فإنّه قد بلغنا أنّك تجهّزتَ وتكلّفت قدرَ ذلك، فكرِهنا أن تغرم، فخذها وانصرف، فإن فعل وإلّا فأره الخيل وقل له: إنّ وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة.

٢/٦٨٨

قال: فأخذ زائدة المال، وأخرج معه الخيل، وتلقّاه بالمَفاوز، وعرض عليه المال، وأمَرَه بالانصراف، فقال له: إنّ أمير المؤمنين قد ولّانى الكوفة ولا بدّ من إنفاذ أمره. فدعا زائدةُ بالخيل وقد أكمنها فى جانب، فلمّا رآها قد أقبلتْ قال: هذا الآن أعذَرُ لى وأجمَلُ بى، هاتِ المالَ، فقال له زائدة: أمَا إنّه لم يبعث به إليك إلّا لما بينك وبينه، فدفعه إليه فأخذه، ثمّ مضى راجعاً نحوَ البصرة، فاجتمع بها هو وابنُ مطيعٍ فى إمارة الحارث بنِ عبدِ الله بنِ أبى ربيعة، وذلك قبلَ وثوب المثنّى بن مخرِّبة العبدىّ بالبَصرة.

قال أبو مخنف: فحدّثنى إسماعيل بن نُعيم أنّ المختار أخبِر أنّ أهل الشأم قد أقبَلوا نحو العراق، فعرَف أنه به يُبْدَأ، فخشى أن يأتيَه أهلُ الشأم من قِبَل المغرب، ويأتيَه مصعب بن الزبير من قِبَل البَصرةَ، فوادَعَ ابنَ الزبير وداراه وكايده[6]؛ وكان عبدُ الملك بنُ مروانَ قد بعث عبد الملك ابن الحارث بن الحَكَم بن أبى العاص إلى وادى القرى، والمختار لابن الزبير مكايدٌ موادع، فكتب المختار إلى ابن الزبير:

٢/٦٨٩

(١) ف: «وليتكها». (٢) ف: «ألف درهم».
(٣) ف: «أخبرته». (٤) ف: «فقال».
(٥) ط: «بمسافر». (٦) ف: «وكاتبه».

أمَّا بعد ، فقد بلغني أنَّ عبد الملك بن مروانَ قد بعث إليك جيشاً ، فإن أحببتَ أن أمدّك بمَدَدٍ أمددتُك .

فكتب إليه عبدُ الله بنُ الزبير :

أما بعد ، فإن كنتَ على طاعتى فلستُ أكره أن تبعث الجيشَ إلى بلادى وتبايعَ لى الناس قِبلك ، فإذا أتتنى بيعتُك صدّقتُ مقالتُكَ ، وكففتُ جنودى عن بلادك ، وعَجِّل علىّ بتسريح الجيش الّذى أنت باعثه ، ومُرهم فليسيروا إلى مَنْ بوادى القرى من جُنْد ابن مروانَ فليقاتلوهم . والسلام .

فدعا المختارُ شُرحبيلَ بن وَرْس من هَمدانَ ، فسرّحه فى ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ، ليس فيهم من العرب إلاّ سبعمائة رجل ، فقال له : سرْ حتَّى تدخلَ المدينة ، فإذا دخلتَها فاكتب إلىّ بذلك حتَّى يأتيَك أمرى ؛ وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميرًا من قبلَه ، ويأمرَ ابنَ ورس أن يمضيَ إلى مكَّة حتَّى يحاصرَ ابنَ الزبير ويقاتلَه بمكَّة ، فخرج الآخر يسير قِبَل المدينة ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده ؛ فبعث من مكّة إلى المدينة عباس بن سَهْل بن سعد فى ألفين ، وأمَرَه أن يستنفرَ الأعراب ، وقال له ابنُ الزبير : إنْ رأيتَ القومَ فى طاعتى فاقبل منهم ، وإلاّ فكايدْهم حتَّى تُهلكَهم . ففعلوا ، وأقبَل عبَّاس بن سهل حتَّى لَقِى ابن ورس بالرقيم ، وقد عبَّى ابن ورس أصحابَه ، فجعل على ميمنته سَلمانَ ابن حِميَر الثَّورىّ من هَمْدان ، وعلى ميَسْرته عيَّاش بن جَعْدة الجدَلىّ ، وكانت خيلُه كلها فى الميمنة والميسرة ، فدنا فسلَّم عليه ، ونزل هو يمشى فى الرّجّالة ، وجاء عباس فى أصحابه وهم منقطعون على غير تعبية ، فيجد ابن ورس على الماء قد عبّى أصحابه تعبية القتال ، فدنا منهم فسلَّم عليهم ، ثم قال : اخلُ معى ها هنا ، فخَلاَ به ، فقال له : رحمك الله ! ألستَ فى طاعة ابن الزبير ! فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسرْ بنا إلى عدوّه هذا الّذى بوادى القرى ، فإنّ ابن الزبير حدّثنى أنَّه إنَّما أشخصكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمِرت بطاعتك ، إنما أمِرت أن أسير حتى آتى المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأيى . قال له عبَّاس بن سهل : فإن كنت فى طاعة ابن الزبير فقد

٢/ ٦٩٠

أمرنى أن أسيرَ بك وبأصحابك إلى عدوّنا الّذين[1] بوادى القرى ، فقال له ابن ورْس : ما أمِرتُ بطاعتك، وما أنا بمتّبعك دون أن أدخل المدينة ، ثمّ أكتب إلى صاحبى فيأمرنى بأمره . فلمّا رأى عبّاس بن سهل لَجاجتَه عرف خلافَه، فكَره[2] أن يُعلمه أنّه قد فطن له، فقال : فرأيك أفضل، اعملْ بما بدا لك؛ فأمّا أنا فإنى سائر إلى وادى القرى . ثم جاء عبّاس بن سهل فنزل بالماء، وبعث إلى ابنَ ورْس بجزائرَ كانت معه، فأهداها له ، وبعث إليه بدقيق وغنم مسلَّخة — وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعًا — فبعث عبّاس بن سهل إلى كلّ عشرة منهم شاة[3]، فذبحوها ، واشتغلوا بها ، واختلطوا على الماء ، وترك القومُ تعبيتهم ، وأمِن بعضُهم بعضًا ؛ فلمّا رأى عبّاس بن سهل ما هم فيه من الشغل جَمَع من أصحابه نحوًا من ألفِ رجل من ذوى البأس والنَّجدة ثمّ أقبل[4] نحو فسطاط شُرَحبيل بن وَرْس ، فلمّا رآهم ابنُ وَرْس مُقْبلين إليه نادى فى أصحابه ، فلم يَتوافَ إليه مائةُ رجل حتّى انتهى إليه عبّاس بن سهل وهو يقول: يا شُرْطةَ الله ، إلىّ إلىّ ! قاتلوا المُحِلّين ، أولياءَ الشيطان الرجيم ، فإنّكم على الحقّ والهدى ؛ قد غدَروا وفجروا .

٢/٦٩١

قال أبو مخنف: فحدّثنى أبو يوسف أنّ عبّاسًا انتهى إليهم ، وهو يقول :

أنَا ابن سهل فارسٌ غيرُ وَكَلْ ... أرْوَعُ مِقْدَام إذا الكبشُ نَكَلْ

وأعْتَلى رأسَ الطِّرمّاح البطَلْ ... بالسّيف يومَ الرَّوْع حتّى يُنْخزَلْ

قال : فوالله ما اقتتلنا إلّا شيئًا ليس بشىء حتّى قُتل ابن ورس فى سبعين من أهل الحفاظ ، ورَفَع عبّاسُ بن سهل رايةَ أمان لأصحاب ابن ورس ، فأتَوْها إلّا نحواً من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سَلمانَ بن حِمير الهمدانىّ وعيّاش بن جَعْدة الجدلىّ ، فلمّا وقعوا فى يد عبّاس بن سهل أمر بهم فقُتِلوا إلّا نحوًا من مائتى رجل ، كره ناس من النّاس ممّن دُفِعوا إليهم قتلَهم ، فخلّوا سبيلهم ، فرجعوا ، فمات أكثرُهم فى الطريق ، فلمّا

---

(١) ف : « الذى » . (٢) ف : « كره » .
(٣) ف : « بشاة » . (٤) ف : « وأقبل » .

بلغ المختار أمرُهُم ، ورجع مَن رجع منهم ، قام خطيبًا فقال : ألا إنّ الفُجّار الأشرار ، قَتَلوا الأبرار الأخيار . ألا إنّه كان أمرًا مأتيًّا ، وقضاءً مقضيًّا . وكتب المختار إلى ابن الحنفيّة مع صالح بن مسعود الخَثْعَميّ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد ، فإنى كنت بعثتُ إليك جندًا ليُذلّوا لك الأعداء ، وليحوزُوا لك البلاد ، فساروا إليك حتّى إذا أظلّوا على طَيْبَة ، ٢/٦٩٢ لقيهم جندُ المُلحِد ، فخدعوهم بالله ، وغرّوهم بعهد الله ، فلمّا اطمأنّوا إليهم، ووثِقوا بذلك منهم ، وثبوا عليهم فقتلوهم ، فإن رأيتَ أن أبعثَ إلى أهل المدينة من قِبَلى جيشًا كثيفًا ، وتَبعثَ إليهم من قِبَلك رُسُلا ؛ حتّى يعلم أهلُ المدينة أنى فى طاعتك ، وأنما بعثت الجند إليهم عن أمرك ، فافعل ، فإنّك ستجد عظمهم بحقّكم أعرَف ، وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظَّلَمة الملحدين ، والسلام عليك .

فكتب إليه ابنُ الحنفيّة : أمّا بعد ، فإنّ كتابك لمّا بلغنى قرأتُه ، وفهمتُ تعظيمَك لحقّى ، وما تنوى به من سرورى . وإنّ أحبّ الأمور كلِّها إلىّ ما أطيع اللهَ فيه ، فأطع الله ما استطعتَ فيما أعلنتَ وأسررت ، واعلم أنى لو أردت لوجدتُ الناسَ إلىّ سراعًا ، والأعوانَ لى كثيراً ، ولكنى أعتزِلهم ، وأصبر حتّى يحكم الله لى وهو خير الحاكمين .

فأقبل صالح بنُ مسعود إلى ابن الحنفيّة فودّعه وسلّم عليه ، وأعطاه الكتاب وقال له : قل للمختار فليتّقِ الله ، وليكفُفْ عن الدّماء ، قال : فقلت له : أصلحك الله ! أوَ لم تكتبْ بهذا إليه ! قال له ابن الحنفيّة : قد أمرتهُ بطاعة الله ، وطاعةُ الله تَجمَع الخيرَ كلّه ، وتَنهَى عن الشرّ ٢/٦٩٣ كلّه . فلمّا قدِم كتابُه على المختار أظهر للناس أنى قد أُمِرتُ بأمر يجمع البرّ واليسر ، ويَضْرَح الكُفْر والغَدْر .

* * *

[ذكر الخبر عن قُدوم الخشبيّة مكة وموافاتهم الحجّ]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قدمت الخشبيّة مكة ، ووافوا الحج وأميرهم أبو عبد الله الجدلىّ .

* ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة :

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر هشام، عن أبى مخنف وعلىّ بن محمّد ،

عن مَسْلمة ابنِ محارب — أنّ عبد الله بنالزبير حبس محمّد بنالحنفيّة ومَن معه من أهل بيته وسبعةَ عشرَ رجلا من وجوه أهل الكوفة بزَمزَم ، وكرِهوا البَيْعة لمن لم تجتمع عليه الأمّة ، وهربوا إلى الحَرَم ، وتوعّدهم بالقَتْل والإحراق ، وأعطى اللهَ عهداً إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعّدهم به ، وضرب لهم فى ذلك أجَلاً ، فأشار بعضُ من كان مع ابن الحنفيّة عليه أن يبعث إلى المختار وإلى مَنْ بالكوفة رسولا يعْلمهم حالَهم وحال من معهم ، وما توعّدهم به ابن الزبيرُ . فوجّه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم ، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يُعلِمهم حالَه وحالَ من معه ، وما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق[1] بالنار ، ويسألهم ألاّ يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيْته . فقَدِموا على المختار ، فدَفَعوا إليه الكتَاب[2] فنادى فى الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا كتاب[3] مهدّيكم وصريحُ أهلِ بيت نبيّكم ، وقد تُركوا محظوراً عليهم كما يُحظر على الغنم ينتظرون القتلَ والتحريق بالنار فى آناء الليل وتارات النهار ، ولستُ أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزّراً، وإن لم أسرّب إليهم الخيل فى أثر الخيل ، كالسّيل يتلُوه السيل ، حتّى يَحُلّ بابن الكاهليّة الوَيْل . ٢/٦٩٤

ووجّه أبا عبدالله الجدلىّ فى سبعين راكباً من أهل القوّة ، ووجّه ظَبْيان ابن عمارة[4] أخا بنى تميم ومعه أربعمائة ، وأبا المعتمر فى مائة ، وهانئ بن قيس فى مائة ، وعُمَير بن طارق فى أربعين ، ويونسَ بنَ عمران فى أربعين ، وكتب إلى محمد بن علىّ مع الطُّفَيل بن عامر ومحمّد بن قيس بتوجيه الجنود إليه ، فخرج الناسُ بعضُهم فى أثر بعض ، وجاء أبو عبد الله حتّى نزل ذاتَ عِرْق فى سبعين راكباً ، ثمّ لحقه عمير بن طارق فى أربعين راكباً ، ويونس ابن عمران فى أربعين راكباً ، فتمّوا خمسين ومائة ، فسار بهم حتّى دخلوا المسجد الحرام ، ومعهم الكافركوبات ، وهم ينادُون : يا لَثارات الحسين ! حتّى انتهَوا إلى زمزم ، وقد أعدّ ابنُ الزبير الحَطَب ليحرْقهم ، وكان قد

(١) ف : « الإحراق » .
(٢) ف : « من مهديكم » .
(٣) ف : « فدفعوا الكتاب إليه » .
(٤) ط : « عثمان » ، وهو خطأ ، وانظر الفهرس .

بقى من الأجل يومان ، فطردوا الحرَس ، وكسروا أعوادَ زمزم ، ودخلوا على ابن الحنفيّة ، فقالوا له : خلِّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزبير ، فقال لهم : إنى لا أستحلّ القتال فى حرم الله فقال ابن الزبير : أتحسبون أنى مخلٍّ سبيلَهم دون أن يبايع ويبايعوا[1] ! فقال أبو عبد الله الجدَلىّ : إى وربِّ الرُّكْن والمقام، وربّ الحِلّ والحرام ، لتخلّينّ سبيلَه أو لنجالدنّك بأسيافنا جِلاداً يرتاب منه المبطِلون . فقال ابن الزبير : والله ما هؤلاء إلاّ أكَلة رأس، والله لو أذنت لأصحابى ما مضتْ ساعة حتّى تُقطَف رءوسهم ؛ فقال له قيس بن مالك : أما والله إنى لأرجو إن رمت ذلك أن يُوصَل إليك قبل أن ترى فينا ما تحبّ . فكفّ ابن الحنفيّة أصحابَه وحذّرهم الفتنة ، ثمّ قدم أبو المعتمر فى مائة ، وهانئ بن قيس فى مائة ، وظَبيان بن عُمارة فى مائتين ، ومعه المال حتّى دخلوا المسجد، فكبّروا : يا لَثارات الحسين! فلمّا رآهم ابن الزبير خافَهم ، فخرج محمّد بن الحنفيّة ومَن معه إلى شِعب علىّ وهم يسبّون ابنَ الزبير ، ويستأذنون ابنَ الحنفيّة فيه ، فيأبى عليهم ، فاجتمع مع محمّد ابن علىّ فى الشعب أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال . ٢/٦٩٥

* * *

[ذكر الخبر عن حصار بنى تميم بخراسان]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم مَنْ كان بخراسان من رجال بنى تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمّداً .

قال علىّ بن محمّد : حدّثنا الحسن بن رُشيد الجُوزَجانىّ عن الطّفيل ابن مرداس العمّىّ ، قال : لمّا تفرّقتْ بنو تميم بخراسان أيامَ ابن خازم، أتى قصر فَرْتنَا عدّةٌ من فُرْسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين ؛ فولّوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المُزَنىّ ، ومعه شُعْبة بن ظَهير النهشلىّ ، وورد بن الفلق العَنبرىّ ، وزُهَير بن ذؤيب العدوىّ ، وجَيْهان بن مَشْجَعة الضّبىّ ، والحجّاج بن ناشب العدَوىّ ، ورقبة بن الحرّ فى فُرسان بنى تميم . قال : فأتاهم ابن خازم، فحصرهم وخَنْدَقَ خَندَقاً حصيناً . قال : وكانوا يخرجون إليه ٢/٦٩٦

(١) س : « وتبايعوا » .

فيقاتلونه ، ثمّ يرجعون إلى القصر . قال : فخرج ابن خازم يوماً على تعبية من خندقه فى ستّة آلاف ، وخرج أهلُ القصر إليه ، فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز : انصرفوا اليومَ عن ابن خازم ، فلا أظنّ لكم به طاقة ، فقال زهير بنُ ذؤيب العدوىّ : امرأته طالقٌ إنْ رجع حتّى ينقض صفوفهم - وإلى جنبهم نهرٌ يدخله الماء فى الشتاء ، ولم يكن يومئذ فيه[1] ماء ، فاستبطنه زهير ، فسار فيه ، فلم[2] يشعر به أصحابُ ابن خازم حتّى حمل عليهم ، فحطّم أوّلهم على آخرهم ، واستداروا[3] وكرّ راجعاً ، واتّبعوه على جنبتى النّهر يصيحون به : [4] لا ينزل إليه أحد[4] ، حتّى انتهى إلى الموضع الّذى انحدر فيه ، فخرَج فحمل عليهم ، فأفرَجوا له حتّى رجع ؛ قال : فقال ابنُ خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا فى رماحكم كلاليب فأعلقوها[5] فى أداته إنْ قدَرتم عليه ، فخرج إليهم يوماً وفى[6] رماحهم كلاَليب[7] قد هيّئوها له ، فطاعنوه ، فأعلقوا[7] فى درعه أربعةَ أرماح ، فالتفتَ إليهم ليَحمل عليهم ، فاضطربت أيديهم ، فخلّوا رماحَهم ، فجاء يجرّ أربعة أرماح حتّى دخل القصر ؛ قال : فأرسل ابن خازم غَزْوان بن جَزْء العدوىّ إلى زهير فقال : قل له : أرأيتك إن آمنتك وأعطيتك مائةَ ألف ، وجعلتُ لك باسار[8] طعمة تناصحنى ؛ فقال زهير لغَزْوان : ويحك ! كيف أناصح قوماً قتلوا الأشعثَ ابنَ ذؤيب ! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم .

٦٩٧/٢

قال : فلمّا طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خلّنا نخرج فنتفرّق ، فقال : لا إلّا أن تنزلوا على حُكْمى ؛ قالوا : فإنا ننزل على حُكْمك ، فقال لهم زهير : ثكلتْكم أمّهاتُكم ! والله ليقتلنّكم عن آخركم ، فإن طبتم بالموت أنفساً[9] فموتوا كراماً ، اخرجوا بنا جميعاً فإمّا أن تموتوا جميعاً وإمّا أن ينجوَ بعضكم ويهلكَ بعضكم ، وايم الله لئن شددتم عليهم

(١) ف : « فيه يومئذ ماء » . (٢) ف : « ولم » .
(٣) ف : « واستدار » . (٤-٤) ف : «ولا يجسر أحد منهم أن ينزل فيه» .
(٥) ف : « الكلاليب ثم أعلقوها » . (٦) - ف : « فى » .
(٧-٧) ف : « فأعلقوها فى أداته لما هيئوها له ، وطاعنوه ساعة وأعلقوا » .
(٨) ظ : « باسان » .
(٩) ف : وابن الأثير : « نفساً » .

شدّةً صادقة ليُفرِجُنّ لكم عن مثل طريق المربَد، فإن شئتم كنت أمامكم، ٢/٦٩٨
وإن شئتم كنت خلفكم. قال: فأبَوا عليه، فقال: أما إنى سأريكم، ثمّ خرج هو ورقَبة بن الحرّ ومع رقَبة غلام له تركيّ وشعبة بن ظَهير. قال: فتحمّلوا على القوم حملةً منكَرة، فأفرجُوا لهم، فمَضوا؛ فأمّا زهير فرجع إلى أصحابه حتّى دخل القصر فقال لأصحابه: قد رأيتم فأطيعونى، ومضى رقَبة وغلامه وشعبة، قالوا: إنّ فينا من يَضعُف[1] عن هذا ويطمع[2] فى الحياة. قال[3]: أبعدكم الله! أتخلّون عن أصحابكم! والله لا أكون أجزَعكم عند الموت. قال: ففتحوا القصر ونزلوا، فأرسل فقيّدهم، ثمّ حملوا إليه رجلا رجلاً، فأراد أن يمنّ عليهم، فأبى ابنُه موسى، وقال: والله لئن عفوت عنهم لأتّكئنّ على سيفى حتّى يخرج من ظهرى؛ فقال له عبد الله: أما والله إنى لأعلم أنّ الغيّ فيما تأمرنى به، ثمّ قتلهم جميعًا إلاّ ثلاثة؛ قال: أحدهم الحجّاج بن ناشب العدويّ — وكان رمى ابن خازم وهو محاصرهم فكسَر ضرسَه، فحلف لئن ظفر به ليقتلنّه أو ليقطعنّ يده، وكان حدَثًا، فكلّمه فيه رجال من بنى تميم كانوا معتزلين؛ من عَمرو بن حنظلة، فقال رجل منهم: ابن عمّى وهو غلام حدث جاهل؛ هَبْه لى، قال: فوهبه له، وقال: النّجاء! لا أرينّك. قال: وجيهان بن مشجعة الضبّىّ الّذى ألقى نفسَه على ابنه محمّد يوم قُتِل، فقال ابن خازم: خلّوا عن هذا البَغْل الدارِج، ورجل من بنى سعد، وهو الّذِى قال يومَ لَحِقوا ابنَ خازم: انصرفوا عن فارسِ مضر. قال:
وجاءوا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حمله وهو مقيّد، فأبَى وأقبلَ يَحجُل ٢/٦٩٩
حتّى جلس بين يديه، فقام له ابن خازم: كيف شُكرك إنْ أطلقتُك وجعلتُ لكَ باسار[4] طعمة؟ قال: لو لم تصنعْ بى إلّا حقنَ دمى لشكرتُك، فقام ابنه موسى فقال: تقتل الضبع وتترك الذّيخ[5]! تقتل اللبُؤةَ وتترك اللّيث! قال: وَيْحك! نقتل مِثلَ زهير! مَن لقتال عدوّ المسلمين! مَن لنساء العرب! قال: والله لو شرِكتَ فى دم أخى أنت لقتلتك؛ فقام رجل من بنى

(١) ف: «وقالوا إذا نضعف». (٢) ف: «ونطمع».
(٣) ف: «فقال». (٤) ط: «باسان».
(٥) الذيخ: الذكر من الضباع، ويطلق الضبع على الأنثى منها.

مسُلَيم إلى ابن خازم ، فقال : أذكّرك اللهَ فى زهير ! فقال له موسى : اتّخذه فحلاً لبناتك ، فغضب ابن خازم ، فأمر بقتله ، فقال له زهير : إنّ لى حاجة ، قال : وما هى ؟ قال : تقتلنى على حِدَة ، ولا تخلط دمى بدماء هؤلاء اللئام ، فقد نهيتُهم عمّا صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراماً ، وأن يخرجوا عليكم مصلتين ، وايم الله أن لو فعلوا لذَعَروا بُنيّك هذا ، وشغلوه بنفسه عن طلب الثأر بأخيه فأبَوْا ، ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتّى يقتل رجالاً . فأمر به فنُحّى ناحية فقُتل .

قال مَسلمة بن محارب : فكان الأحنفُ بنُ قيس إذا ذكرهم قال : قبّح الله ابن خازم! قتل رجالا من بنى تميم بابنه، صبىّ وَغْد أحمقَ لا يُساوى علَقًا ؛ ولو قتل منهم رجلا به لكان وفَى .

قال : وزعمت بنو عدىّ أنهم لما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب أبَى واعتمد على رُمْحه وجمع رجليه فوَثَب الخندق ، فلمّا بلغ الحَريشَ بن هلال قتلهم قال : ٢/٧٠٠

أَعَاذِلَ إِنّى لم أُلِمْ فى قِتَالِهِمْ ... وقد عضَّ سيفى كَبْشَهُمْ ثم صمّمَا
أعاذل ما ولَّيْتُ حتى تَبَدَّدَتْ ... رجالٌ وحتَّى لم أجد مُتَقَدَّمَا
أعاذل أَفْنَانى السلاحُ ومن يُطِلْ ... مُقَارَعَةَ الأَبطالِ يرجعْ مكلّمَا
أَعَيْنَىَّ إن أَنْزَفْتُما الدمعَ فاسكُبَا ... دماً لازماً لى دون أن تسكُبا الدّمَا
أَبَعْدَ زهيرٍ وابنِ بشرٍ تَتَابعا ... وورد أُرَجّى فى خُراسانَ مَغْنَما
أَعاذلَ كم من يوم حربٍ شهدتُه ... أَكُرُّ إذا ما فارسُ السَّوءِ أَحْجَمَا

يعنى بقوله : « أبعدَ زهير » ، زهيرَ بن ذؤيب ، وابن بشر ، عثمان بن بشر المحتفز المازنىّ ، وورد بن الفلق العنبرىّ ، قُتلوا يومئذ ، وقتل سليمان بن المحتفز أخو بشر .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس فى هذه السنة عبدُ الله بنُ الزبير . وكان على المدينة مصعب بن الزبير مِن قِبَل أخيه عبد الله . وعلى البصرة الحارثُ

ابنُ عبد الله بن أبى ربيعة ، وعلى قضائها هشامُ بنُ هُبيرة ، وكانت الكوفة بها المختار غالبًا عليها ، وبخُراسان عبد الله بن خازم .

* * *

[شخوص إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد]

وفى هذه السنة شَخَص إبراهيمُ بن الأشتَر متوجِّهًا إلى عبيد الله ابن زياد لحربه ، وذلك لثمانٍ بقين من ذى الحجَّة .

قال هشام بن محمَّد : حدّثنى أبو مخنف ، قال : حدّثنى النَّضر بن صالح — وكان قد أدرك ذلك — قال : حدّثنى فُضَيل بن خَديج — وكان قد شهد ذلك — وغيرهما . قالوا : ما هو إلّا أن فرغ المختار من أهل السَّبيع وأهل الكُناسة ، فما نزل إبراهيم بن الأشتر إلّا يومين حتَّى أشخصه إلى الوجه الذى كان وجَّهه له لقتال أهل الشأم . فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذى الحجَّة سنة ستٍّ وستين ، وأخرج المختارُ معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوى البصائر منهم : ممَّن قد شهد الحرب وجرّبها . وخرج معه قيس بن طَهْفة النَّهدىّ على ربع أهل المدينة . وأمَّر عبد الله بن حيَّة الأسدىّ على ربع مَذْحِج وأسَد ، وبعث الأسوَد بن جراد الكِنْدىّ على رُبْع كندة وربيعة . وبعث حبيب بن منقذ الثَّورىّ من هَمْدانَ على ربع تميم وهَمْدان ، وخرج معه المختار يشيِّعه حتَّى إذا بلغ ديرَ عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، إذا أصحاب المختار قد استقبلوه ، قد حملوا الكرسىّ على بغل أشهب كانوا يَحملونه عليه ، فوقفوا به على القنطرة ، وصاحب أمر الكرسىّ حَوْشب البرسمىّ . وهو يقول : يا ربّ عمِّرنا فى طاعتك . وانصرنا على الأعداء ، واذكرنا ولا تَنْسَنا واستُرنا ، قال : وأصحابه يقولون : آمين آمين . قال فُضَيل : فأنا سمعتُ ابن نَوف الهَمْدانىّ يقول : قال المختار :

أَمَا وَرَبِّ المُرْسَلَاتِ عُرْفَا   لنقتُلَنَّ بعدَ صَفٍّ صَفَّـا

* وبعد ألفٍ قاسِطِين ألفَا *

قال : فلمَّا انتهى إليهم المختار وابنُ الأشتر ازدَحموا ازدحامًا شديدًا

٧٠١/٢

على القنطرة ، ومضى المختار مع إبراهيمَ إلى قناطر رأس الجالوت — وهى إلى جنب دَيْر عبد الرحمن — فإذا أصحاب الكرسىّ قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يَستنصِرون ، فلمَّا صار المختار بين قنطرة دَيْرِ عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف ، وذلك حين أراد أن ينصرف ، فقال لابن الأشتَر : خذ عنّى ثلاثاً : خَفِ الله فى سرّ أمرِك وعلانيته ، وعجّل السير ، وإذا لقيتَ عدوّك فناجزهم ساعةَ تلقاهُم ، وإن لقيتَهم ليلا فاستطعت ألّا تُصبح حتّى تناجِزَهم ، وإن لقيتَهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتّى تحاكمهُم إلى الله . ، ثم قال : هل حفِظتَ ما أوصيتك[1] بِه ؟ قال : نعم ، قال : صحبك الله ؛ ثم انصرف . وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمَّام أعيَنَ ، ومنه شخص بعسكره .

٧٠٢/٢

* * *

[ذكر أمر الكرسىّ الذى كان المختار يستنصر به !]

قال أبو مخنف : فحدّثنى فُضيل بن خَديج قال : لمَّا انصرف المختار مضى[2] إبراهيم ومعه أصحابه حتَّى انتهى إلى أصحاب الكُرْسىّ وقد عكفوا حوله[3] وهم رافعو أيديهم[4] إلى السّماء يستنصِرون ، فقال إبراهيم : اللّهمّ لا تؤاخذنا بما فعل السُّفهاء — سنّةَ بنى إسرائيل ، والّذى نفسى بيَده إذ عكفوا على عِجْلهم — فلمَّا جاز القنطرة إبراهيمُ وأصحابهُ انصرف أصحاب الكرسىّ .

• ذكر الخبر عن سبب كرسى المختار الذى يستنصر به هو وأصحابه :

٧٠٣/٢

قال أبو جعفر : وكان بدءُ سببه ما حدّثنى به عبد الله بن أحمد بن شبّوَيْهِ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ابن المبارك ، عن إسحاقَ بن يحيى بن طلحة ، قال : حدّثنى معبد بن خالد ، قال : حدّثنى طُفَيل بن جَعْدة بن هُبيرة ، قال : أعدمتُ مرّةً من الورق ، فإنى لكذلك إذْ خرجتُ يوماً فإذا زيّات جارٌ لى ، له كرسىّ قد ركبه وسخٌ شديد ، فخطر على بالى أن لو قلتُ للمختار فى هذا ! فرجعتُ فأرسلتُ إلى

(١) ف : « عنى ما وصيتك » . (٢) ف : « ومضى » .
(٣) ف : « عليه » . (٤) ف : « وهم رافعون أيديهم » .

الزّيات : أرسلْ إلىّ بالكرسىّ ، فأرسل إلىّ به ، فأتيت المختار ، فقلت : إنى كنت أكتُمُك شيئًا لم[١] أستحلّ ذلك ، فقد بدا لى أن أذكره لك ، قال : وما هو ؟ قلت : كرسىّ كان جعدة بن هُبيرة يجلس عليه كأنّه يرى أن فيه أثَرة مِن عِلم ، قال : سبحان الله ! فأخّرتَ هذا إلى اليوم ! ابعث إليه ، ابعث إليه ، قال : وقد غُسل وخرج عُود نُضَارٍ ، وقد تشرّب الزيت ، فخرج يَبِص ، فجىء به وقد غُشّى ، فأمر لى باثنى عشر ألفًا ، ثمّ دعا : الصّلاة جامعة .

فحدّثنى معبد بن خالد الجُدَلىّ قال : انطُلِق بى وبإسماعيلَ بن طلحة ابن عُبيد الله وشَبَث بن ربعىّ والناس يجرون إلى المسجد ، فقال المختار : إنّه لم يكن فى الأمم الخالية أمرٌ إلّا وهو كائن فى هذه الأمّة مثله ، وإنّه كان فى بنى إسرائيل التابوت فيه بقيّة ممّا ترك آلُ موسى وآلُ هارون ، وإنّ هذا فينا مثل التابوت ، اكشفوا عنه ؛ فكشفوا عنه أثوابَه ، وقامت السبئيّة فرفعوا أيديهم ، وكبّروا ثلاثًا ، فقام شَبَث بن ربعىّ وقال : يا معشر مُضَر ، ٢/٧٠٤ لا تكفُرُنّ ، فنحّوه فذبّوه وصدّوه وأخرجوه ، . قال إسحاق : فوالله إنى لأرجو أنّها لشبث ، ثمّ لم يلبث أن قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد نزَل بأهل الشأم باجُمَيْرا ، فخرج بالكرسىّ على بغل وقد غُشّى ، يُمسِكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فقتِل أهل الشأم مقتلة لم يقتلوا مثلها ، فزادهم ذلك فتنة ، فارتفعوا فيه حتّى تعاطَوا الكفر ، فقلت : إنّا لله ! وندمتُ على ما صنعت ، فتكلّم الناس فى ذلك ، فغُيّب ، فلم أرَهُ بعدُ .

حدّثنى عبد الله ، قال : حدّثنى أبى قال : قال أبو صالح : فقال فى ذلك أعشى هَمْدان كما حدّثنى غيرُ عبد الله :

شَهِدتُ عليكمْ أنّكمْ سبَئِيَّةٌ ... وإنّى بكم يا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عارف

وأقْسِمُ ما كُرْسِيُّكم بسَكينةٍ ... وإن كان قد لُفَّتْ عليه اللّفائف

وأن ليس كالتابوتِ فينَا وإن سَعَتْ ... شِبَامٌ حوالَيْهِ ونَهْدٌ وخارفُ[٢] ٢/٧٠٥

(١) ف : «ولم» .
(٢) ف : «وحارف» .

وإنى امروٌ أحبَبْتُ آلَ محمد وتابَعْتُ وحْياً ضُمِّنَتْهُ المَصاحِفُ
وتابَعْتُ عبدَ الله لمّا تتابَعَت[١] عليه قريشٌ : شُمْطها والغطَارِفُ

وقال المتوكّل اللّيثىّ :

أَبْلِغْ أَبا إِسحاقَ إِنْ جِئتَه أَنِّى بِكُرْسِيِّكُمْ كافِرُ
تَنزُو شِبَامٌ حولَ أَعوادِه وتحمِلُ الوحْىَ له شاكرُ
محمرّةً أَعيُنُهمْ حـولَهُ كأنّهنّ الحمّص الحادرُ

فأمّا أبو مخنف : فإنّه ذكر عن بعض شيوخه قصّةَ هذا الكرسىّ غير الّذى ذكره عبد الله بن أحمد بالإسناد الّذى حدّثنا به ، عن طفيل بن جعدة . والّذى ذكر من ذلك ما حُدّثنا به ،عن هشام بن محمّد، عنه ، قال:حدّثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكَم بن هشام، أنّ المختار قال لآل جعدة بن هُبَيرة بن أبى وهب المخزومىّ — وكانت أمّ جعدة أمّ هانئ بنت أبى طالب أخت علىّ بن أبى طالب عليه السلام لأبيه وأمّه : ائتونى بكرسىّ علىّ بن أبى طالب ؛ فقالوا : لا والله ما هو عندنا، وما ندرى مِنْ ٢/٧٠٦ أين نجىء به ! قال : لا تكونُنّ حمقى ، اذهبوا فأتونى به ، قال : فظنّ القوم عند ذلك أنّهم لا يأتون بكرسىّ ، فيقولون : هو هذا إلّا قَبِله منهم ، فجاءوا بكرسىّ فقالوا : هو هذا[٢] فقبِله ، قال : فخرجتْ شبامٌ وشاكر ورءوس أصحاب المختار وقد عَصَّبُوه بالحرير والدّيباج .

قال أبو مخنف ،عن موسى بن عامر أبى الأشعر الجُهَنىّ : إنّ الكرسىّ لمّا بلغ ابن الزبير أمرُه قال : أين بعضُ جَنادِبة الأزْد عنه !

قال أبو الأشعر : لمّا جىء بالكرسىّ كان أوّل من سَدَنَه موسى بن أبى موسى الأشعرىّ ،وكان يأتى المختار أوّل ما جاء ويحفّ به ، لأنّ أمّه أمّ كلثوم بنت الفضل بن العبّاس بن عبد المطّلب . ثمّ إنّه بعد ذلك عُتِب عليه فاستحيا

---

(١) ف : « وبايعت » . (٢) ف : وابن الأثير : « هذا هو » .

منه ، فدَفَعه إلى حَوْشَب البُرْسُميّ ، فكان صاحبه حتّى هلك المختار .
قال : وكان أحد عمومة الأعشى رجلا يُكنّى أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه فيقول: قد وُضع لنا اليوم وحيٌ ما سَمِع الناسُ بمثله ، فيه نبأ ما يكونُ من شيء .

قال أبو مخنف : حدّثنا موسى بن عامر أنّه إنّما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف ، ويقول : المختار أمرَني به ، ويتبرّأ المختار منه .

٧٠٧/٢

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك مقتل عُبيد لله بن زياد ومن كان معه من أهل الشأم .

* ذكر الخبر عن صفة مقتله .

ذكر هشام بنُ محمّد ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى أبو الصّلت ، عن أبى سعيد الصّيْقَل ، قال : مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عُبيدَ الله بن زياد ومَنْ معه من أهل الشأم ، فخرجنا مُسْرعين لاننثنى ،نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرضَ العراق . قال : فسبقناه إلى تُخوم أرض العراق سَبْقًا بعيدًا ، ووغلنا فى أرض المَوْصل ، فتعجّلنا إليه ، وأسرَعْنا السير ، فنلقاه بخَازَر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا ، بينها وبين مدينة المَوْصِل خمسة فراسخ ؛ وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدّمته الطفيلَ بن لَقيط ؛ من وهْبيل من النّخَع (رجلا من قومه)،وكان شجاعًا بئيسًا[١]،فلمّا أن دنا من ابن زياد ضمّ حميد بن حُريث إليه، وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلّا على تعبية ، وضمّ أصحابه كلّهم إليه بخيله ورجاله ، فأخذ يسير بهم جميعًا لا يفرّقهم ، إلا أنّه يبعث الطُّفيل بن لقيط فى الطّلائع حتّى نزل تلك القرية .

٧٠٨/٢

قال : وجاء عبيد الله بن زياد حتّى نزل قريبًا منهم على شاطئ خازَر . وأرسل عميرُ بن الحُباب السلميّ إلى ابن الأشتر : إنى معك، وأنا أريد[٢] الليلة لقاءك ، فأرسل إليه ابن الأشتر : أن القَنِى إذا شئت ؛ وكانت قيس كلُّها بالجزيرة ، فهم أهلُ خلاف لمروان وآل مروان،وجند مروان يومئذ كلبٌ وصاحبهم ابن بَحْدل . فأتاه عُمَير ليلا فبايَعه ، وأخبره أنّه على ميسرة صاحبه ، وواعده أن ينهزم بالنّاس ، وقال ابن الأشتر : ما رأيُك ؟ أخندِق علىّ وأتلوّم يومين أو ثلاثة ؟ قال عمير بن الحُباب : لا تفعل ، إنّا

---

(١) الرجل البئيس : الشديد .   (٢) ا ، س : « وأريد » .

لله ! هل يريد القومُ إلّا هذه ! إنْ طاولوك وماطلوك فهو خير لهم ، هم كثيرٌ أضعافكم ، وليس يطيق القليلُ الكثير فى المطاولة ؛ ولكن ناجز القوم فإنّهم قد مُلِئوا منكم رُعْبًا ، فأتِهم فإنّهم إن شاموا أصحابك وقاتلوهم يومًا بعد يوم ، ومرّة بعد مرّة أنِسوا بهم ، واجترءوا عليهم ؛ قال إبراهيم : الآن علمتُ أنّك لى مناصح ، صدقتَ ، الرأى مارأيت ، أما إنّ صاحبى بهذا أوصانى ، وبهذا الرأى أمرَنى . قال عمير : فلا تعدونّ رأيه ، فإن الشيخ قد ضرّسته الحروب ، وقاسى منها ما لم نُقاس ، أصبح فناهِض الرجل .

ثمّ إن عميرًا انصرف ، وأذكَى ابن الأشتر حرَسه تلك اللّيلة اللّيل كلّه ، ولم يدخل عينه غمْض ، حتّى إذا كان فى السحر الأوّل عبّى أصحابه ، وكتّب كتائبه ، وأمّر أمراءَه . فبعث سُفْيان بن يزيد بن المُغفَّل الأزدىّ على ميمنته ، وعلىّ بن مالك الجُشَمىّ على ميسرته ، وهو أخو أبى الأحوص . وبعث عبد الرحمن بن عبد الله — وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمّه — على الخيل ، وكانت خيلُه قليلةً ، فضمّها إليه ، وكانت فى الميمنة والقلب ، وجعل على رجّالته الطُّفَيل بن لقيط ، وكانت رايتُهُ مع مزاحم بن مالك . قال : فلمّا انفجر الفجر صلّى بهم الغداة بغَلَس ، ثمّ خرج بهم فصفّهم ، ووضع أمراء الأرباع فى مواضعهم ، وألحق أميرَ الميمنة بالميمنة ، وأميرَ الميسرة بالميسرة ، وأمير الرّجالة بالرّجّالة ، وضمّ الخيل إليه ، وعليها أخوه لأمّه عبد الرحمن بن عبد الله ، فكانت وَسَطًا من الناس ، ونزل إبراهيمُ يمشى ، وقال للناس : ازحفوا ، فزَحف الناس معه على رِسْلِهم رُوَيدًا رويدًا حتّى أشرف على تلّ عظيم مُشرِف على القوم ، فجلس عليه ، وإذا أولئك لم يتحرّك منهم أحد بعدُ — فسرّح عبدُ الله بن زهير السَّلولىّ وهو على فرس له يتأكّل تأكُّلا[1] ، فقال : قرّبْ علىّ فرسك حتّى تأتينى بخبر هؤلاء ، فانطلق ، فلم يلبث إلّا يسيرًا حتّى جاء ، فقال : قد خرج القومُ على دَهَش وفَشَل ، لقيَنى رجل منهم فما كان له هِجّيرَى إلا يا شيعةَ أبى تُراب ، يا شيعةَ المختار الكذّاب ! فقلت : ما بيننا وبينكم أجلُّ من الشّتم ، فقال لى : يا عدوَّ الله ، إلامَ

٧٠٩/٢

(١) تأكل الفرس ، أى هاج وكاد يأكل بعضه بعضاً .

تدعوننا ! أنتم تقاتلون مع غير إمام ، فقلت له : بل يا لثارات الحسين . ابن
٢/٧١٠ رسول الله ! ادفعوا إلينا عُبيدَ الله بن زياد؛ فإنّه قتَل ابنَ رسولِ الله وسيّد شبابِ أهل الجنّة حتّى نقتله ببعض موالينا الّذين قتلَهم مع الحسين ، فإنّا لا نراه لحسين نِدًّا فنَرْضى أن يكون منه قَوَدًا ، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعضِ موالينا الّذين قتلهم جعلْنا بيننا وبينكم كتاب الله ، أو أيّ صالح من المسلمين شئتم حَكَمًا ، فقال لى : قد جرّبناكم مرّة أخرى فى مثل هذا – يعنى الحكَميْن – فغدرتم ، فقلت له : وما هو ؟ فقال : قد جعلنا بيننا وبينكم حكَمين فلم ترضَوْا بحكْمهما ؛ فقلت له : ما جئت بحجّة ، إنّما كان صلحنا على أنّهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ، ورضينا به وبايعناه ، فلم يجتمعا على واحد ، وتفرّقا ، فكلاهما لم يوفّقْه الله لخير ولم يسدّده ؛ فقال : مَنْ أنت ؟ فأخبرته ؛ فقلت له : من أنت ؟ فقال : عَدَسْ – لبغْلته يزجرها[1] – فقلت له : ما أنصفتَنى ، هذا أوّل غدْرِك !

قال : ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه ، ثمّ مرّ بأصحاب الرّايات كلّها ، فكلّما مرّ على راية وقف عليها ، ثم قال : يا أنصار الدّين ، وشيعةَ الحق ، وشرْطة الله ، هذا عُبيد الله بن مرْجانَة قاتل الحسين بن علىّ ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، حالَ بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، ومنَعه أن يأتىَ ابن عمّه فيصالحه ، ومنَعه أن ينصرف إلى رَحْله وأهله ، ومنعه الذّهابَ فى
٢/٧١١ الأرض العريضة حتّى قتله وقتَل أهْلَ بيته ؛ فوالله ما عَمِل فرعون بنُجباء بنى إسرائيل ما عَمِل ابن مرْجانة بأهلِ بيتِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا . قد جاءكم الله به ، وجاءه بكم ، فوالله إنى[2] لأرجو ألّا يكون الله جمع بينكم فى هذا الموطن وبينه إلّا ليشفىَ صدوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنّكم خرجتم غَضَبًا لأهل بيت نبيّكم . فسار فيما بين الميمنة والميسرة ، وسار فى الناس كلّهم فرغّبهم فى الجهاد ، وحرّضهم على القتال ، ثمّ رجع حتّى نزل تحت رايته ، وزحف القوم إليه ، وقد جعل ابنُ زياد على

---

(١) ا : « ليزجرها » . (٢) س : « والله إنى » .

ميمنته الحُصَين بن نمير السَّكُونىّ، وعلى ميسرته عُمَير بن الحُباب السُّلَمىّ، وشُرَحبيل بن ذى الكَلاَع على الخيل وهو يمشى فى الرجال ، فلمَّا تدانَى الصفَّان حمل الحُصَين بن نُمير فى ميمنة أهل الشأم على ميسرة أهل الكوفة ، وعليها علىّ بن مالك الجُشَمىّ ؛ فثبت له هو بنفسه فقتِل ، ثمّ أخذ رايته قُرَّةُ بن علىّ ، فقُتِلَ أيضًا فى رجال من أهل الحِفاظ قتلُوا وانهزمت الميسرة ، فأخذ رايةَ علىّ بن مالك الجُشَمىّ عبدُ الله بن ورقاء بن جُنادة السَّلولىّ ابن أخى حُبْشى بن جُنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا ، فقال : إلىّ يا شُرطة الله ؛ فأقبلَ إليه جُلُّهم ، فقال : هذا أميركم يقاتل ، سيرُوا بنا إليه ، فأقبل حتَّى أتاه وإذا هو كاشفٌ عن رأسه ينُادِى : يا شُرطة الله ، إلىّ أنا ابن الأشتر ! إنّ خيرَ فُرّارِكم كُرّارُكم ، ليس مُسيئًا من أعتَبَ . فثابَ إليه أصحابه ، وأرسل إلى صاحب الميمنة : احمل على ميسرتهم — وهو يرجُو حينئذ أن ينهزم لهم عُمَير ابن الحُباب كما زعم ، فحمل عليهم صاحبُ الميمنة ، وهو سُفْيان بن يزيد ابن المغفَّل ، فثبت له عُمَير بن الحباب وقاتَلَه قتالا شديدًا . فلمَّا رأى إبراهيم ذلك قال لأصحابه : أمُّوا هذا السواد الأعظم ، فوالله لو قد فَضَضناه لانجفل مَن ترون منهم يمنةً ويَسْرة انجفالَ طير ذعرتها فطارت . ٧١٢/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى إبراهيمُ بنُ عبد الرحمن الأنصارىّ ، عن ورقاءَ ابن عازب ، قال : مشْينا إليهم حتَّى إذا دَنَوْنا منهم اطّعَنَّا بالرماح قليلا ، ثم صرنا إلى السيوف والعَمَد ، فاضطربنا بها مليًّا من النهار ، فوالله ما شبَّهْتُ ما سمعتُ بيننا وبينهم من وقْع الحديدَ على الحديد إلا مَيَاجِنَ قَصَّارِى[1] دار الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط . قال : فكان ذلك كذلك ، ثمّ إنّ الله هزَمَهم ، ومَنَحنا أكتافَهم .

قال أبو مخنف : وحدّثنى الحارث بن حَصيرة ، عن أبى صادق أنّ إبراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته : انغمس برايتِك فيهم ، فيقول له : إنَّه — جُعلت فِداك — ليس لى مُتقَدَّم ، فيقول : بلى ، فإنّ أصحابك

(١) المياجن : جمع ميجنة ، وهى مدقة القصار .

يقاتلون ؛ وإنّ هؤلاء لا يَهرُبون إن شاء الله ؛ فإذا تقدّم صاحبُ رايته برايته شدّ إبراهيمُ بسيفه فلا يضرب به رجلا إلّا صرعه. وكرَد[1] إبراهيم الرجال من بين يديه كأنّهم الحُملان ، وإذا حمل برايته شدّ أصحابُه شدّةَ رجل واحد .

٧١٣/٢

قال أبو مخنف : حدّثني المشرقيّ أنّه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدةٌ لا تُليق شيئًا مرّت به ، وأنه لمّا هُزِم أصحابه حمل[2] عُيَيْنَةُ ابن أسماء أختَه هند بنت أسماءَ — وكانت امرأة عُبيدِ الله بن زياد — فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول :

إنْ تَصْرِمِى حِبَالَنَا فَرُبَمَا ... أَرْدَيْتُ فى الهَيْجَا الكَمِىَّ المُعلِما

قال أبو مخنف : وحدّثني فُضَيل بن خَدِيج أنّ إبراهيم لمّا شدّ على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلَى كثيرة بين الفريقين ، وأنّ عُمير بن الحُباب لمّا رأى أصحابَ إبراهيم قد هزموا أصحابَ عبيد الله بعث إليه : أجيئك الآن ؟ فقال : لا تأتينّي حتّى تسكن فورةُ شُرطة الله ، فإنى أخاف عليك عاديتَهم .

وقال ابن الأشتر : قتلت رجلا وجدتُ منه رائحة المسك ، شرّقتْ يداه وغرّبت رجلاه ، تحتَ راية منفردة ، على شاطئ نهر خازرَ . فالتمسوه فإذا هو عُبيد الله بن زياد قتيلا ، ضربه فقدّه بنصفين ، فذهبت رجلاه فى المشرق ، ويداه فى المغرب . وحمل شريك بن جدير التّغلبيّ على الحصين بن نُمَير السّكونيّ وهو يَحسبه عُبيد الله بن زياد ، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، ونادى التغلبيّ : اقتلوني وابن الزانية ؛ فقتِل ابن نُمَير .

٧١٤/٢

وحدّثني عبد الله بن أحمد، قال : حدّثني أبى، قال : حدّثني سليمان، قال : حدّثني عبد الله بن المبارك ، قال : حدّثني الحسن بن كثير ، قال : كان شريكُ بنُ جدير التغلبيّ مع علىّ عليه السلام، أُصيبتْ عينه معه ، فلمّا انقضت حربُ علىّ لحق ببيت المقدس ، فكان به ، فلمّا جاءه

(١) الكرد : الطرد . (٢) ا : « جعل » .

قتلُ الحسين ، قال : أعاهدُ الله إن قدرت على كذا وكذا — يَطلُب بدم الحسين — لأقتلنّ ابنَ مرجانة أو لأموتنّ دونَه . فلمَّا بلغه أنّ المختار خرج يَطلُب بدم الحسين أقبل إليه . قال : فكان وجَّهه مع إبراهيم بن الأشتَر ، وجُعِل على خيل ربيعة ، فقال لأصحابه : إنِّى عاهدتُ الله على كذا وكذا ، فبايعه ثلثمائة على الموت ، فلمَّا التقَوا حَمَل فجعل يَهتِكها صفًّا صفًّا مع أصحابه حتَّى وصلوا إليه ، وثار الرَّهَج فلا يُسمَع إلا وقع الحديد والسيوف ، فانفرجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد ؛ التَّغلَبىّ وعبيدُ الله ابن زياد ؛ قال : وهو الَّذِى يقول :

كلُّ عيش قد أَرَاهُ قَــذِرًا[1] غيْر رَكز الرمحِ فى ظلّ الفَرَسْ[2]

٧١٥/٢ قال هشام : قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خديج ، قال : قتِل[3] شرحبيل بن ذى الكَلَاع ، فادّعى قتلَه ثلاثة : سُفْيان بن يزيد بن المغفَّل الأزْدىّ ، وورقاء بن عازب الأسَدىّ ، وعُبيد الله بن زُهَير السُّلَمىُّ . قال : ولمَّا هُزِم أصحاب عبيد الله تبعهم أصحابُ إبراهيمَ بن الأشتَر ، فكانَ مَنْ غرق أكثر مِمَّن قتل ، وأصابوا عسكرهم فيه من كلّ شىء ، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه : يأتيكم الفتح أحدَ اليومين إنْ شاء الله من قِبَل إبراهيم ابن الأشتَر وأصحابِه ، قد هزموا أصحابَ عُبيد الله بن مَرْجانة . قال : فخرج المختار من الكوفة ، واستخلف عليها السائبَ بنَ مالك الأشعرىّ ، وخرج بالناس ، ونزل ساباطَ .

قال أبو مخنف : حدّثنى المشرقىّ ، عن الشعبىّ ، قال : كنت أنا وأبى مِمَّن خرج معه ، قال : فلمَّا جُزْنا ساباطَ قال للنَّاس : أبشروا فإنّ شُرْطة الله قد حسُّوهم بالسيوف يومًا إلى اللَّيل بنَصيبينَ أو قريبًا من نصيبين ودُوَينَ منازلهم ، إلاّ أنّ جلَّهم محصور بنصيبين . قال : ودخلْنا المدائن ، واجتمْعنا إليه ، فصعِد المنبَر ، فوالله إنَّه ليخطبنا ويأمرنا بالجدّ وحسْن

---

(١) ف : « باطلا » . (٢) ف : « غير ركن الرمح » .
(٣) س : « فقتل » .

الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة ، والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام، إذ جاءتْه البشرى تَتْرَى يتْبع بعضُها بعضاً بِقَتْل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه ، وأخذ عسكره ، وقتل أشراف أهل الشأم ، فقال المختار : يا شُرطة الله ، ألم أبشِّركم بهذا قبل أن يكون ! قالوا : بلى والله لقد قلت ذلك ؛ قال : فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهَمْدانيِّين : أتؤمن الآن يا شعبىّ ؟ قال: قلت بأىّ شىء أومن ؟ أومن بأنّ المختار يعلَم الغيب ! لاأومن بذلك أبداً . قال : أوَ لم يقل لنا : إنَّهم قد هُزموا ! فقلتُ له : إنَّما زعم لنا أنَّهم هُزموا بنصيبينَ من أرض الجزيرة ، وإنَّما هو بخازَرَ من أرض الموصل، فقال : والله لا تؤمن يا شعبىّ حتَّى ترى العذاب الأليم ؛ فقلت له : مَن هذا الهَمْدانىّ الَّذى يقول لك هذا ؟ فقال : رجل لعمرى كان شجاعاً — قتل مع المختار بعد ذلك يوم حَرُوراء — يقال له : سَلْمان بن حمير من الثوريِّين من هَمْدان ؛ قال : وانصرف المختار إلى الكوفة . ومضى ابن الأشتر من عسكره إلى الموصل ، وبعث عمَّالَه عليها ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين ،وغلب على سِنْجار ودَارا ، وما والاها من أرض الجزيرة، وخرج أهلُ الكوفة الَّذين كان المختار قاتلَهم فهزمهم ، فلحقوا بمُصعَب بن الزبير بالبصرة . وكان فيمن قدم على مصعب شَبَث بن رِبْعىّ ، فقال سُراقةُ ابن مِرْداس البارقىّ يمدح إبراهيمَ بن الأشتر وأصحابَه فى قتل عُبيد الله ابن زياد :

٧١٦/٢

أَتاكمْ غُلامٌ من عَرَانِينِ مذْحِجٍ ... جرىءٌ على الأَعداءِ غَيرُ نكُولِ [1]

فَيَا بْن زِيَادٍ بوْءْ بأَعْظم مَالكٍ ... وذُقْ حَدَّ ماضى الشَّفْرَتَيْن صَقِيلِ

ضَرَبْناك بالعَضْب الحُسَام بحِدَّةٍ ... إذَا ما أَبأْنَا قاتِلا بقَتِيل

جزى الله خيْرًا شُرْطَة الله إنَّهُمْ ... شَفَوْا مِنْ عُبَيْد الله أَمْسِ غَلِيلِي [2]

* * *

(١) ديوانه ٨١ . (٢) بعده فى رواية الديوان :

وأَجْدِرْ بهنْد أَن تُساقَ سبيئةً ... لها من بنى إسْحاق شَرُّ حَليل

[ذكر الخبر عن عزل القباع عن البصرة]

وفى هذه السنة عزل عبدُ الله بنُ الزبير القُباعَ عن البصرة ، وبعث عليها أخاه مصعبَ بن الزبير ؛ فحدّثنى عمرُ بنُ شبّة ،قال : حدّثنى علىّ ابن محمّد،قال : حدّثنا الشّعبىّ،قال : حدّثنى وافد بن أبى ياسر ، قال : كان عمرو بن سرح مولَى الزبير يأتينا فيحدّثنا ، قال : كنتُ والله فى الرّهط الّذين قَدِموا مع المصعب بن الزّبير من مكّة إلى البَصْرة ؛ قال : فقدم متلثّماً حتّى أناخ على باب المسجد ، ثمّ دخل فصَعِد المنبر ، فقال الناسُ : أمير أمير . قال : وجاء الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة — وهو أميرها قبله — فسفَر المصعب فعرفوه ، وقالوا : مصعب بن الزبير! فقال : للحارث : اظهرْ ، فصعِد حتّى جلس تحته من المنبر درجة ؛ قال : ثمّ قام المصعب فحَمِد الله وأثنَى عليه . قال : فوالله ما أكثر الكلام ، ثم قال : بِسمِ الله الرحمن الرحيم : ﴿طسٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ* نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ — وأشار بيده نحو الشام — ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ — وأشار بيده نحو الحجاز — ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1] — وأشار بيده نحو الشأم . ٧١٧/٢

حدثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، عن عوانة ،قال : لما قدم مصعب البَصرة خطبَهم فقال : يا أهل البصرة ، بلغنى أنّكم تلقّبون أمراءكم ، وقد سمّيْتُ نفسى الجزّار .

* * *

[ذكر خبر قتل مصعب المختارَ بن أبى عبيد]

وفى هذه السنة سارَ مصعبُ بنُ الزبير إلى المختارَ فقتَله .

* ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار : ٧١٨/٢

(١) سورة القصص : ١ — ٦ .

قال هشام بن محمَّد ، عن أبي مخنف ، حدّثني حبيب بن بديل ، قال : لمَّا قدم شَبَث على مُصعب بن الزّبير البصرة وتحته بَغْلة له قد قطع ذَنَبها ، وقَطَع طرف أذُنها وشقّ قَبَاءه ، وهو ينادى : ياغوثاه ياغوثاه ! فأتِيَ مصعب ، فقيل له : إنّ بالباب رجلا ينادى : يا غَوْثاه يا غَوْثاه! مشقوق القَبَاء ، مِنْ صفته كذا وكذا ، فقال لهم : نعم ، هذا شَبَث بن رِبْعىّ لم يكن ليفعَل هذا غيره ، فأدخِلوه ، فأدخل عليه ، وجاءه أشراف الناس من أهل الكوفة فدخلوا عليه ، فأخبروه بما اجتمعوا له ، وبما أصيبوا به ووثوب عبيدهم ومواليهم عليهم ، وشَكَوْا إليه ، وسألوه النَّصْر لهم ، والمسيرَ إلى المختار معهم . وقَدِم عليهم محمَّد بن الأشعث بن قيس — ولم يكن شَهِد وقعةَ الكوفة ، كان فى قَصْر له مِمَّا يلى القادسيَّة بطِيزَنَابَاذَ — فلمَّا بلغه هزيمةُ الناس تهيَّأ للشخوص ، وسأل عنه المختار ، فأخبر بمكانه ، فسرّح إليه عبد الله بن قراد الخثعمىّ فى مائة ، فلمَّا ساروا إليه ، وبلغه أن قد دنَوا منه ، خرج فى البرّيَّة نحو المصعب حتَّى لحق به ، فلمَّا قدم على المصعب استحثَّه بالخروج ، وأدناه مصعب وأكرَمه لشَرَفه . قال : وبعث المختار إلى دار محمَّد بن الأشعث فهَدَمها .

٧١٩/٢ قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو يوسف بن يزيد أنّ المصعب لما أراد المسيرَ إلى الكوفة حين أكثرَ الناسُ عليه ، قال لمحمد بن الأشعث : إنى لا أسير حتَّى يأتينى المهلب بن أبى صُفْرة . فكتب المصعب إلى المهلب — وهو عاملُه على فارس : أن أقبِلْ إلينا لتشهدَ أمْرنا ، فإنا نريد المسيرَ إلى الكوفة . فأبطأ عليه المهلّب وأصحابه ، واعتلّ بشىء من الخراج ، لكراهة الخروج ، فأمر مصعب محمد بن الأشعث فى بعض ما يستحثه أن يأتىَ المهلب فيقبِلَ به ، وأعلَمَه أنه لا يشخص دون أن يأتى المهلب ؛ فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب إلى المهلب ، فلما قرأه قال له : مثلك يا محمد يأتى[1] بَرِيداً! أما وَجَدَ المصعبُ بريداً غيرَك ! قال محمد : إنى والله ما أنا ببريد أحد ، غير أنّ نساءنا وأبناءنا وحرَمَنا غَلَبَنا عليهم عبدانُنا وموالينا . فخرج المهلب ،

(١) ف : «تأتى» .

وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه فى جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة . ولمّا دخل المهلّب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس ، فحجبَه الحاجب وهو لا يعرفه ، فرفع المهلّب يده فكسر أنفَه ، فدخل إلى المُصعب وأنفُه يسيل دمًا ، فقال له : ما لك ؟ فقال : ضرَبنى رجل ما أعرفه ، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال : هو ذا ، قال له المصعب : عُدْ إلى مكانك ، وأمر المصعب الناسَ بالمعسكر عند الجسر الأكبر ، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : ائتِ الكوفةَ فأخرج إلىَّ جميعَ من قدرتَ عليه أن تُخرِجه ، وادعهم إلى بيعتى سرًّا ، وخذّل أصحاب المختار ، فانسلّ من عنده حتى جلس فى بيته مستترًا[١] لا يَظهر ، وخرج المصعب فقدّم أمامَه عبّاد بن الحصين الحبَطىّ من بنى تميم على مقدّمته ، وبعث عمر بن عُبيدِ الله بن معْمر على ميمنته ، وبعث المهلب بن أبى صفرة على ميسرَته ، وجعل مالك بن مِسمع على خمس بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس ، والأحنف بن قيس على خمس تميم وزياد بن عمرو الأزدىّ على خمس الأزْد ، وقيس بن الهيْثم على خمس أهل العالية ؛ وبلغ ذلك المختار ، فقام فى أصحابه فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : ٧٢٠/٢

يا أهل الكوفة ، يا أهلَ الدّين ، وأعوانَ الحقّ ، وأنصارَ الضّعيف ، وشيعةَ الرّسول ، وآل الرسول ، إنّ فُرّارَكم الذين بَغَوا عليكم أتوا أشباهَهم من الفاسقين فاستغوُوهم عليكم ليمصَح[٢] الحق ، وينتعش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، والله لو تهلكون ما عُبِد الله فى الأرض إلّا بالفرَى على الله واللعن لأهل بيت نبيّه . انتدبوا مع أحمر بن شُمَيط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتلَ عاد وإرَمٍ .

فخرج أحمرُ بن شُمَيط ، فعسكر بحمّام أعين ، ودعا المختار رءوسَ الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر ، فبعثهم مع أحمر بن شُميط ، كما كانوا مع ابن الأشترِ ، فإنهم إنما فارقوا ابنَ الأشتر ؛ لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار ، فانصرفوا عنه ، وبعثهم المختار مع ابن شُميط ، وبعث معه جيشًا كثيفًا ، ٧٢١/٢

---

(١) ا : « مستسرًّا » . (٢) يمصح الحق ، أى ليذهب .

فخرج ابن شميط ، فبعث على مقدّمته ابن كامل الشاكرىّ ، وسار أحمر بن شميط حتى ورد المَذَار ، وجاء المصعب حتى عسكر منه قريبًا .

ثمّ إنّ كلّ واحد منهما عبّى جنده ، ثمّ تزاحفا . فجعل أحمر بن شُمَيط على ميمنته عبدَ الله بن كامل الشاكرىّ ، وعلى ميسرته عبدَ الله ابن وهب بن نَضْلة الجشمىّ ، وعلى الخيل رزين عبد السلولىّ ، وعلى الرجّالة كثير بن إسماعيل الكِنْدىّ — وكان يوم خازَرَ مع ابن الأشتر — وجعل كيسان أبا عَمْرةَ — وكان مولًى لعُرَينة — على الموالى ، فجاء عبدُ الله بنُ وهب بن أنس الجُشَمىّ إلى ابن شُمَيط وقد جعله على ميسرته ، فقال له : إنّ الموالىَ والعبَيد آلُ خَوَر عند المصدوقة ، وإنّ معهم رجالا كثيرًا على الخيل . وأنت تمشى ، فمُرْهم فلينزلوا معك ، فإنّ لهم بك أسوةً ، فإنى أتخوّف إن طُورِدوا ساعةً ، وطُوعِنوا وضُورِبوا أن يطيروا على متونها ويُسلِموك ، وإنك إن أرجلتهم لم يجدُوا من الصبر بُدًّا ، وإنما كان هذا منه غشًّا للموالى والعبيد ، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة . فأحبّ إن كانت عليهم الدَّبْرَة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد ، ولم يتهمه ابنُ شميط ، وظنّ أنه إنما أراد بذلك نُصحَه ليصبروا ويُقاتلوا ، فقال : يا معشر الموالى ، انزِلوا معى فقاتِلوا ، فنزَلوا معه ، ثم مَشَوْا بين يديه وبين يدَىْ رايته ، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عبّاد ابن الحصين على الخيل ، فجاء عبّاد حتى دنا من ابن شميط وأصحابه فقال : ٢ / ٧٢٢
إنّا[1] ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بَيعة أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ؛ وقال الآخرون : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة الأمير المختار ، وإلى أن نجعل هذا الأمرَ شُورَى فى آل الرسول[2] ، فَمن زعم من الناس أنّ أحدًا ينبغى له أن يتولّى عليهم برئنا منه وجاهدناه . فانصرف عبّاد إلى المُصعب فأخبره ، فقال له : ارجع فاحمل عليهم ، فرجع فحمَلَ على ابن شميط وأصحابه فلم يزُل منهم أحدٌ ، ثمّ انصرف إلى موقفه وحمل المهلّب على ابن كامل ، فجال أصحابه بعضُهم فى بعض ، فنزل ابنُ كامل ، ثمّ انصرف عنه المهلّب . فقام مكانَه ، فوقفوا ساعةً

---

(١) ف : « إنما » . (٢) ف : « رسول الله » .

ثم قال المهلب لأصحابه: كرُّوا كرَّةً صادقة، فإنّ القومَ قد أطمعوكم، وذلك بجَوْلتهم التي جالوا، فحمل عليهمْ حَمْلةً منكَرةً فولّوا، وصبر ابنُ كامل في رجال من هَمْدانَ، فأخذ المهلّب يَسْمع شعارَ القوم: أنا الغلامُ الشاكريّ، أنا الغلام الشِّبامى، أنا الغلام الثّوريّ، فما كان إلّا ساعةً حتّى هُزِموا، وحمل عمرُ بنُ عبيدِ الله بنِ معمر على عبدِ الله ابن أنس، فقاتل ساعةً ثمّ انصرف، وحملَ الناسُ جميعاً على ابن شُمَيط، فقاتل حتّى قُتِل، وتنادوا: يا معشرَ بَجيلة وخَثْعَم، الصَّبرَ الصبرَ! فناداهم المهلّب: الفِرارَ الفِرارَ! اليوم أنجى لكم، علامَ تَقتُلون أنفسكم مع هذه العِبْدان، أضَلّ الله سَعْيَكم. ثمّ نظر إلى أصحابه فقال: والله ما أرَى استحرارَ القَتْل اليومَ إلّا في قومي. ومالت الخيلُ على رَجّالة ابنِ شُمَيط، فافترقتْ فانهزمتْ وأخذت الصَّحْراء، فبعث المصعبُ عبّاد بن الحُصَين على الخيل، فقال: أيّما أسيرٍ أخذتَه فاضرب عُنُقَه. وسرّحَ محمّد بنَ الأشعث في خيل عظيمة من خيل أهلِ الكوفة ممّن كان المختار طَرَدهم، فقال: دُونَكم ثأرَكم! فكانوا حيث انهزموا أشدَّ عليهمْ من أهل البَصْرة، لا يُدركون منهزماً إلّا قتلوه، ولا يأخذون أسيراً فيَعفُون عنه. قال: فلم يَنْج من ذلك الجيش إلّا طائفةٌ من أصحاب الخيل؛ وأما رَجّالتُهم فأبيدوا إلا قليلا. ٧٢٣/٢

قال أبو مخنف: حدّثني ابنُ عيّاش المَنْتُوف، عن معاوية بن قُرّة المُزَنيّ، قال: انتهيتُ إلى رجل منهم، فأدخلتُ سنان الرمح في عينه، فأخذتُ أخضخِض(١) عينَه بسنان رُمْحي، فقلتُ له: وفعلتَ به هذا؟ قال: نعم؛ إنّهم كانوا أحَلَّ عندَنا دماً من التّرْك والدّيلم؛ وكان معاويةُ بنُ قرّة قاضياً لأهلِ البصْرة، ففي ذلك يقول الأعشى(٢):

أَلاهلَ أتاكَ والأنباءُ تُنْمَى ... بما لاقتْ بَجِيلةُ بالمَذَارِ
أُتِيحَ لهم بها ضَرْبٌ طِلَحْفٌ ... وطعْنٌ صائبٌ وَجهَ النهارِ
كأنَّ سَحَابةً صَعَقَتْ عليهمْ ... فَعَمَّتهُمْ هُنالِكَ بالدَّمَارِ

(١) ا: «أحصحص». (٢) هو أعشى همدان، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله.

فَبشِّرْ شِيعَةَ المختــارِ إما مَرَرْتَ على الكُويفةِ بالصَّغَارِ
أَقَرَّ العينَ صَرْعاهمْ وفَلٌّ لهمْ جَمٌّ يُقتَّل بالصَّحَارِى
وما إنْ سَرَّنى إهلاكُ قومِى وإن كانوا وجَدِّكَ فى خيارِ
٧٢٤/٢ ولكنِّى سُررْتُ بما يُلَاقِى أبو إسحاقَ مِنْ خِزى وعارِ

وأقبل المصعبُ حتَّى قطع من تلقاءِ واسطَ القَصَب ، ولم تكُ واسط هذه بُنيتْ حينئذ بعد ، فأخذ فى كَسْكَر ، ثمّ حَمَل الرجالَ وأثقالَهم وضُعفاءَ الناسِ فى السفن ، فأخَذوا فى نَهر يقال له : نهر خُرْشاذ ، ثمّ خرجوا من ذلك النَّهر إلى نهر يقال له قُوسان ؛ ثمّ أخرَجهم من ذلك النَّهرِ إلى الفُرات .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى فُضَيل بنُ خَدِيج الكندىّ، أنّ أهلَ البصرة كانوا يَخرُجون فيَجُرّون سفنهم ويقولون :

عَوَّدَنَا المصعبُ جَرَّ القَلْسِ والزَّنْبَرِيَّاتِ الطِّوَالِ القُعسِ

قال : فلمَّا بلغ مَن مع المختارِ من تلك الأعاجم ما لقِىَ إخوانُهم مع ابن شُمَيط قالوا بالفارسيَّة : « اينْ بَارْ دُرُوغ كُفْت » ؛ يقولون : هذه المرّة كذب .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى هشامُ بنُ عبدِ الرّحمن الثقفِىّ ، عن عبدِ الرّحمن بن أبى عُمَير الثَّقفِىّ ، قال : واللهِ إنى لجالسٌ عند المختار حين أتاه هزيمةُ القومِ وما لَقوا ، قال : فأصغَى إلىّ ، فقال : قتِلتْ واللهِ العبيدَ قتلةً ما سمعتُ بِمثلها قطّ . ثمّ قال : وقُتِلَ ابنُ شُمَيط وابنُ كامل وفلانٌ وفلانٌ ، فسمَّى رجالا من العرب أصيبوا ، كان الرّجل منهم فى الحرب خيرًا مِن فِئام[1] مِن الناس . قال : فقلتُ له : فهذه واللهِ مصيبةٌ ، فقال لى : ما مِنَ الموتِ بُدّ ، وما من مِيتة أموتها أحبّ إلىّ مِن مثل مِيتةِ ابن

(١) الفئام : الجماعة من الناس .

شُمَيط ، حبَّذا مَصارعُ الكرام ! قال : فعلمتُ أنّ الرجل قد حدّث ٧٢٥/٢
نفسَه إن لم يُصِبْ حاجتَه أن يُقاتِل حتَّى يموتَ .

ولما بلغ المختارَ أنَّهم قد أقبلوا إليه فى البَحْر ، وعلى الظهْر ، سار حتَّى نَزَل بهم السَّيْلَحِين ، ونظر إلى مُجْتَمَع الأنهار نهرِ الحِيرةَ ونهرِ السَّيلحِين ونهرِ القادسيَّة ، ونهر يوسُف[1] ، فسكَر[2] الفُرات على مُجتمع الأنهار ، فذهب ماءُ الفرات كلّه فى هذه الأنهار ، وبقيت سفنُ أهلِ البصرة فى الطّين ، فلمَّا رأوْا ذلك خرجوا من السفن يَمْشون ، وأقبلتْ خيلُهم تركض حتَّى أتَوْا ذلك السَّكْر ، فكَسَروهُ وصَمَدوا صمد الكُوفة ، فلمَّا رأى ذلك المختارُ أقبَل إليهم حتَّى نزل حَرُوراءَ ، وحالَ بينهمْ وبين الكوفة ، وقد كان حصّن قصرَه والمسجد ، وأدخلَ فى قصرِه عُدّة الحِصار ، وجاء المصعبُ يسير إليه وهو بحَرُوراءَ وقد استعمل على الكُوفة عبدَ الله ابنَ شَدّاد ، وخرج إليه المختارُ وقد جعل على مَيْمنته سُليم بن يزيد الكِنْدىّ ، وجعل على مَيْسرتِه سعيدَ بن مُنْقذ الهَمْدانىّ ثمّ الثَّورىّ ، وكان على شُرطته يومئذ عبد الله بنُ قُراد الخَثْعَمىّ ، وبَعَث على الخيل عمرَ بنَ عبدِ الله النَّهْدِىّ ، وعلى الرّجال مالكَ بنَ عمرو[3] النَّهْدىّ[4] ، وجعل مُصعبٌ على ميمنته المهلَّبَ بنَ أبى صُفْرة ، وعلى ميسرته عمرَ بنَ عُبَيد الله بن مَعْمَر التَّيْمىّ ، وعلى الخيل عبَّاد بن الحُصَين الحَبَطىّ ، وعلى الرّجال مقاتِل بن مِسمَع البَكْرِىّ ، ونزل هو يَمْشِى مُتنكِّباً قَوْساً له .

قال : وجعل على أهلِ الكُوفة محمَّد بنَ الأشعث ، فجاء محمَّد حتَّى ٧٢٦/٢
نَزَل بين المصعب والمختار مغرّباً مُيامِنا . قال : فلمَّا رأى ذلك المختارُ بعث إلى كلّ خُمس من أخماس أهلِ البَصْرة رجلا من أصحابه ، فبعث إلى بكرِ ابن وائل سعيدَ بن مُنقذ صاحبَ مَيسرته ، وعليهمْ مالِك بنُ مِسمَع البَكْرىّ ، وبعث إلى عبد القَيْس وعليهم مالكُ بنُ المنذر عبدَ الرحمن بنَ

---

(١) ط : « يرسف » ، وصوابه من ا .

(٢) سكر النهر ؛ أى سد فاه .

(٣) ف وابن الأثير : « مالك بن عبد الله » .

(٤) س : « البرزى » .

شُرَيح الشِّبامىّ ، وكان على بيتِ ماله ، وبعث إلى أهل العالِيَة وعليهم قيسُ ابنُ الهَيْثم السُّلَمىّ عبدَ الله بنَ جَعْدة القرشىّ ، ثم المخزومىّ ، وبعث إلى الأزْد وعليهم زيادُ بنُ عمرو العَتَكىّ مسافرَ بن سَعيد بن نِمْران الناعطىّ ، وبعث إلى بنى تميم وعليهم الأحنَف بنُ قيس سُلَيمَ بن يزيد الكِنْدىّ ، وكان صاحب ميْمنته ، وبعث إلى محمَّد بنِ الأشعث السائبَ بنَ مالك الأشعرىّ ، ووقف فى بقيَّة أصحابه ، وتَزاحف الناسُ ودَنَا بعضُهم من بعض ، ويَحمِل سعيدُ بن منقذ وعبدُ الرّحمن بن شُرَيح على بكرِ بن وائل ، وعبد القيس ، وهم فى الميسرَة وعليهم عمرُ بنُ عُبيدِ الله بنِ مَعمَر ؛ فقاتلتهم ربيعةُ قتالاً شديداً ، وصبروا لهم ، وأخذ سعيدُ بنُ مُنقِذ وعبدُ الرحمن بنُ شُرَيح لا يُقلعان ، إذا حمل واحدٌ فانصرف حمل الآخَر ، وربَّما حَمَلا جميعًا ؛ قال : فبَعث المصعَب إلى المهلَّب : ما تنتظر أن تَحمِل على مَنْ بإزائك! ألا ترى ما يَلقَى هذان الخُمْسان منذ اليوم! احمِلْ بأصحابك ، فقال : إى لعَمْرِى ما كنتُ لأجْزُر الأزْد وتميمًا خَشية أهلِ الكوفة حتَّى أرى فُرْصتى . قال : وبعث المختارُ إلى عبدِ الله بنِ جَعْدَة أن احمِلْ على مَنْ بإزائك ، فحَمل على أهل العالية فكَشفهم حتَّى انتَهَوْا إلى المُصْعَب ، فجَثَا المُصْعب على رُكْبتيه — ولم يكن فرّارًا — فرَمَى بأسهمه . ونزل الناسُ عنده فقاتَلُوا ساعَةً ، ثم تَحاجزوا . قال : وبَعث المصعبُ إلى المهلَّب وهو فى خُمْسَين جامِّين كثيرَى العَدَد والفُرْسان : لا أبا لَكَ! مَا تنتظر أن تحمِل على القوم! فمكَث غيرَ بعيد ، ثمّ إنَّه قال لأصحابه : قد قاتل الناسُ منذ اليوم وأنتم وقوفٌ ، وقد أحسنوا ، وقد بقِىَ ما عليكم ، احملوا واستَعِينوا بالله واصبروا ، فحمل على مَن يَليه حملةً منكَرَة ، فحطموا أصحابَ المُختار حَطْمَةً منكَرة ، فكشَفوهم . وقال عبدُ الله ابنُ عَمرو النَّهدىّ — وكان من أصحاب صفِّينَ : اللَّهمَّ إنى على ما كنتُ عليه ليلةَ الخَميس بصِفِّين ، اللَّهمّ إنى أبرأ إليكَ مِن فِعل هؤلاءُ لأصحابه حين انهزموا ، وأبرأ إليك من أنفُس هؤلاء — يعَنى أصحابَ المُصْعَب — ثم جالَد بِسيْفه حتى قُتِل ، وأتى مالك بن عمرو أبو نِمْران النَّهْدىّ وهو

٢/٧٢٧

علىالرّجالة بفرسه فركبه ، وانقصف أصحابُ المختار انقصافة شديدة كأنّهم أجمة فيها حريق ، فقال مالك حين ركب : ما أصنعُ بالرُّكوب ! والله لأن أقتل ها هنا أحبّ إليّ مِن أن أقتل فى بيتى ؛ أين أهلُ البصائر ؟ أين أهلُ الصّبر ؟ فثاب إليه نحوٌ من خمسين رجلا ، وذلك عند المساء ، فكرّ على أصحاب محمّد بن الأشعث ، فقُتل محمّد بنُ الأشعث إلى جانبه هو وعامّة أصحابه ، ٢/٧٢٨

فبعضُ الناس يقول : هوَ قتل محمّد بنَ الأشعث ، ووُجد أبو نمران قتيلا إلى جانبه — وكِندةُ تزعم أنّ عبدَ الملك بن أشاءة الكِنْدىّ هو الّذى قتله — فلمّا مرّ المختار فى أصحابه على محمّد بن الأشعث قتيلا قال : يا معشرَ الأنصار ، كُرّوا على الثّعالب الرّوّاغة ، فحملوا عليهم ، فقُتِل ؛ فخثْعمُ تزعم أن عبدَ الله بنَ قُراد هو الّذى قتله .

قال أبو مِخنَف : وسمعتُ عوف بنَ عمرو الجشمىّ يزعُم أن مولًى لهم قتله ، فادّعى قتله أربعة نفر ، كلّهم يزعم أنه قتله ، وانكشف أصحابُ سعيد بن مُنقِذ ، فقاتل فى عِصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقتلوا ، وقاتل سليم بن يزيد الكندىّ فى تسعين رجلاً من قومه ، وغيرهم ضاربَ حتّى قُتِل ، وقاتلَ المختارُ على فَم سِكة شبَث ، ونزَل وهو يريد ألّا يبرح ، فقاتلَ عامّةَ ليلته حتّى انصرف عنه القوم ، وقُتِل[1] معه ليلتئذ رجالٌ من أصحابه مِن أهل الحِفاظ ، منهم عاصمُ بن عبد الله الأزدىّ ، وعيّاش بنُ خازم الهمْدانى ، ثمّ الثّورىّ ، وأحمر بنُ هديج الهمْدانىّ ثمّ الفايشىّ .

قال أبو مِخنَف : حدّثنا أبو الزّبير أنّ همْدانَ تنادَوا ليلتئذ : يا معشرَ همْدان ، سيفُوهم فقاتِلوهُم أشدّ القِتال ؛ فلمّا أن تفرّقوا عن المختار قال له أصحابهُ : أيها الأمير ، قد ذهب القومُ فانصرف إلى منزلِك إلى القصْر ، فقال المختار : أما والله ما نزلتُ وأنا أريدُ أن آتى القصْر ، فأما إذ انصرَفوا فاركبوا بنا على اسمِ الله ؛ فجاء حتّى دخل القصْر ٢/٧٢٩

فقال الأعشى[2] فى قتل محمّد بن الأشعث :

تأوّبَ عَيْنَكَ عُوّارُهَا ... وَعَادَ لِنفسِكَ تَذْكارُهَا

---

(١) ا : « وقاتل » . (٢) هو أعشى همدان .

وإحدى لَياليكَ راجَعْتَها أَرِقْتَ ولوَّمَ سُمَّارُهــا
وما ذاقتِ العينُ طَعْمَ الرُّقَا دِ حتَّى تَبلَّجَ إسفــارُها
وقامَ نُعَاةُ أَبِى قاسِمٍ فأَسبــل بالدمع تَحْدارُها
فحقٌّ العيون على آبن الأَشَـجِّ أَلاّ يُفَتَّرَ تَقطَــارُها
وأَلّا تَزالَ تُبكِّى له وتَبتَلُّ بالدّمع أَشفــارُها
عليك محمّدُ لمّا ثَوَيْـتَ تَبكِى البلادُ وأَشجارُها
وما يَذْكُرونك إلاَّ بَكَوا إذا ذِمَّةٌ خانَها جارُها
وعاريةٍ من لَيالى الشِّتا ءِ لا يتمنَّحُ أَيْسَارُها
ولا يُنبِحُ الكلب فيها العَقُو رَ إلا الهرِيرُ وتـخْتَارُها
ولا ينفعُ الثوبُ فيها الفتى ولا رَبَّةَ الخِدْر تَخدَارُها
فأَنتَ مُحَمَّــدُ فى مِثْلِها مُهينُ الجزائرِ نَحَّارهــا
تَظَلّ جِفانُكَ مَوْضوعةً تَسِيلُ من الشَّحم أَصْبَارُها
وما فى سقائك مُسْتنطَفٌ إذا الشَّوْلُ رَوح أَغبارُهــا
فيا وَاهِبَ الوُصَفَاءِ الصِّبَا حِ إن شُبرَتْ تَمّ إشبارُها
ويا وَاهِبَ الجُرْد مِثْلَ القِدا حِ قَدْ يُعجِبُ الصّفّ شُوَّارها
ويا واهبَ البَكَرات الهِجــا نِ عُوذًا تَجَاوَبُ أَبكارُها
وكنتَ كدِجْلَةَ إذْ تَرْتَمى فيُقذَفُ فى البحر تَيَّارُها
وكنتَ جليدًا وذا مِــرَّةٍ إذا يُبتَغى منكَ إمرارُها
وكنتَ إذا بَلدةٌ أَصْفَقَتْ وآذَنَ بالحَرْب جَبَّارُها
بَعثْتَ عليها ذَواكِي العُيو نِ حتَّى تَواصل أَخبارُها
بإذنِ مِن اللهِ والخيلُ قــد أُعِدَّ لذلك مِضْمَارُها
وقد تُطعَمُ الخَيلُ منك الوَجِيـ فَ حتَّى تُنَبَّذ أَمهارُها

٢/ ٧٣٠

وقد تَعلَمُ البازلُ العَيْسَجُو ... رُ أنَّك بالخَبْتِ حَسَّارُها
فيا أسفَى يومَ لاقيتَهُمْ ... وخانتْ رجَالَك فُرّارُها
وأقبلتِ الخيلُ مَهزُومَةً ... عِشَارًا تُضَرَّبُ أدبارُها
بشطٍّ حَرُوراءَ واسْتَجْمَعَتْ ... عليكَ المَوالى وسَحَّارُها
فأخطرْتَ نفسَكَ من دُونِهم ... فحاز الرَّزِيئَةَ أخطارُها

٧٣١/٢

فلا تَبعَدَنَّ أبا قاسِمٍ ... فقد يَبلغُ النفسَ مِقدارُها
وأفنى الحوادثُ سَادَاتِنا ... ومَرُّ الليالى وتَكْرَارُها

قال هشام : قال أبى : كان السائب أتى مع مُصعب بنِ الزّبير ، فقتله وَرْقاء النَّخَعىّ مِنْ وَهْبيل ، فقال وَرْقاء :

مَن مُبلغٌ عنّى عُبَيْدًا بأنّنى ... عَلوتُ أخاه بالحُسام المهَنَّد
فإنْ كنتَ تبغِى العلمَ عنه فإنَّه ... صريعٌ لَدَى الدَّيرين غيرُ مُوَسَّدِ
وَعَمْدًا علوتُ الرأسَ منه بصارمٍ ... فأثكلتُهُ سُفيانَ بعدَ محمَّدِ

قال هشام عن أبى مِخنَف ، قال : حدّثنى حَصيرة بن عبد الله ، أنّ هندًا بنت المتكلّفة الناعطيّة كان يَجتَمع إليها كلّ غال من الشيعة فيتحدّث فى بيتها وفى بيتِ لَيْلى بنت قُمامَة المُزَنيَّة ، وكان أخوها رِفاعة ابن قمامةَ من شيعة علىّ ، وكان مقتصدًا ، فكانت لا تُحبُّه ، فكان أبوعبدالله الجُدَلىّ ويزيد بن شَراحيل قد أخبرا ابنَ الحنفيَّة خبرَ هاتين المرأتين وغلوّهما وخبر أبى الأحراس المرادىّ والبُطَيْن الليثىّ وأبى الحارث الكِنْدىّ .

قال هشام عن أبى مِخنَف ، قال : حدّثنى يحيى بنُ أبى عيسى ، قال : فكان ابنَ الحنفيَّة قد كتب مع يزيدَ بنِ شراحيل إلى الشيعة بالكوفة يُحذّرهم هؤلاء ، فكتب إليهم :

٧٣٢/٢

من محمَّد بن علىّ إلى مَن بالكوفة مِن شيعتنا . أمَّا بعد ، فاخرُجوا إلى المجالس والمَساجد فاذكروا الله علانيةً وسِرًّا ولاتتّخذوا مِنْ دُون المؤمنين

بطانةً ، فإنْ خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذّابين ، وأكثروا الصلاة والصّيام والدّعاء ، فإنّه ليس أحدٌ من الخلْق يمْلك لأحد ضرًّا ولَا نفْعًا إلاّ ما شاء الله ، وكلُّ نفس بما كسبَتْ رهينةَ ، ولا تزرُ وازرةٌ وزْرَ أخرى ، والله قائمٌ على كلِّ نفس بما كسبَتْ ؛ فاعملوا صالحًا ، وقدّموا لأنفسكم حسَنًا ، ولاتكونوا من الغافلين ، والسلام عليكم.

قال أبو مِخنَف : فحدّثني حَصيرة بنُ عبدِ الله ، أنّ عبد الله بن نَوْف خرج من بيت هند بنتِ المتكلّفة حين خرج الناسُ إلى حَرُوراءَ وهو يقول : يومُ الأربعاء ، ترفّعت السماء ، ونزَلَ القضاء ، بهزيمة الأعداء ، فاخرجوا على اسمِ الله إلى حَروراء . فخرج ، فلمّا التقى الناس للقتال ضُرِب على وجهه ضربةً ، ورجع الناسُ منهزمين ، ولقيَه عبدُ الله بنُ شريك النّهْديّ ، وقد سمع مقالتَه ، فقال له : ألم تزعمْ لنا يابن نَوْف أنّا سنهزِمهم ! قال : أوَ ما قرأت فى كتابِ الله : ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ! قال : فلمّا أصبَح المصعَب أقبلَ يَسير بِمَن معَه من أهل البصرة ومَنْ خرج إليه من أهلِ الكوفة ، فأخذ بهم نحو السّبَخة ، فمرّ بالمهلّب ، فقال له المهلّب : يا لَه فتحًا ما أهنأهُ لو لم يكن محمّد بنُ الأشعث قُتِل ! قال : صدقتَ ، فرَحِم اللهُ محمّدًا . ثمّ سار غير بعيد ، ثم قال : يا مهلّب ، قال : لبّيك أيها الأمير ؛ قال : هل علمتَ أنّ عُبيدَ الله بنَ عليّ بن أبي طالب قد قُتِل ! قال : ﴿إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، قال : المصْعَب : أمّا إنّه كان ممّن أحبّ أن يرى هذا الفتْح ، ثم لا نجْعَل أنفسَنا أحقّ بشيء ممّا نحن فيه منه ، أتدرى[1] مَن قتَلَه ؟ قال : لا ؛ قال : إنّما قتَلَه مَن يزعم أنّه لأبيه شيعة ، أما إنّهم قد قتَلوه وهم يَعرِفونه.

٧٢٣/٢

قال : ثمّ مضى حتّى نزل السَّبَخة فقَطع عنهم الماء والمادّة ، وبعث عبدَ الرّحمن بنَ محمد بن الأشعث فنزَل الكُناسة ، وبعث عبد الرحمن ابن مِخنَف بن سليم إلى جبّانة السَّبيع ، وقد كان قال لعبد الرحمن بن مِخنَف : ما كنت صنعتَ فيما كنتُ وكّلتُك به ؟ قال : أصلحَك الله ! وجَدْت

(١) ا : « وتدرى » .

الناسَ صِنفَيْن ؛ أمَّا مَن كان له فيك هَوًى فخرج إليك ، وأمَّا مَن كان يرى رأىَ المُختار ، فلم يكن ليدَعه ، ولا ليُؤثِر أحدًا عليه ، فلم أبرح بيْتى حتى قدمتَ ؛ قال : صدقت ؛ وبعث عبَّاد بن الحُصَين إلى جَبَّانة كِنْدة ، فكلّ هؤلاء كان يَقطَع عن المختارِ وأصحابه الماءَ والمادّة ، وهم فى قصر المُخْتار ، وبعث زَحْر بنُ قَيْس إلى جبَّانة مُراد ، وبعث عُبيدَ الله بن الحرّ إلى جَبَّانة الصائديّين .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى فُضَيل بن خَدَيج ، قال : لقد رأيتُ عبيدَ الله ابن الحُرّ ؛ وإنَّه ليطارد أصحابَ خَيْل المختار ، يُقاتِلهم فى جَبَّانة الصائديّين ولربّما رأيتُ خيلَهُم تَطْرُدُ خيلَه ، وإنَّهُ لوراءَ خَيْله يَحْميها حتَّى يَنْتهى إلى دار عِكرِمة ، ثمّ يَكُرّ راجعًا هو وخيلُه ، فيَطرُدهم حتَّى يُلحقَهم بجبَّانة الصائديّين ، ولربَّما رأيت خيلَ عُبيد الله قد أخذتْ السقّاء والسقّاءين فيُضرَبون ، وإنَّما كانوا يأتونهم بالماء أنَّهم كانوا يُعطونهم بالرّاوية الدينارَ والدينارَين لِما أصابَهم من الجَهْد . وكان المختار ربَّما خرج هو وأصحابُه فقاتلوا قِتالاً ضعيفًا ، ولا نكاية لهم ، وكانت لا تَخرج له خيلٌ إلاّ رُميتْ بالحِجارة من فوقِ البُيوت ، ويُصَبّ عليهم الماءُ القَذِر . واجترأ عليهم الناس ، فكانت معايِشُهم أفضلها من نسائهم ، فكانت المرأةُ تخرج من منزلِها معها الطّعام واللَّطَف والماء ، قد التحفتْ عليه ، فتخرُج كأنَّما تريد المسجدَ الأعظَم للصّلاة ، وكأنَّها تأتى أهلها وتزورُ ذاتَ قَرابة لها ، فإذا دَنَت من القَصر فُتِح لها ، فدخلتْ على زوجِها وحَميمِها بطعامه وشرابِه ولَطَفه . وإن ذلك بلغ المصعب وأصحابَه ، فقال له المهلّب — وكان مجرّبًا : اجعلْ عليهم دُرُوبًا حتَّى تَمنَع من يأتيهم مِن أهليهم وأبنائهم ، وتَدَعهم فى حِصْنهم حتى يموتوا فيه . وكان القومُ إذا اشتدّ عليهم العَطَش فى قصرهم استقَوْا من ماء البئر . ثمّ أمر لهم المختارُ بعَسَل فصُبّ فيه ليُغيّرَ طعمَه فَيشربوا منه ، فكان ذلك أيضًا ممَّا يُروِى أكثرهم . ثمّ إنّ مصعبًا أمر أصحابَه فاقتربوا من القَصْر ، فجاء عبَّاد بنُ الحُصَين الحَبَطىّ حتَّى نزل عند مسجد جُهَيْنة ، وكان ربَّما تقدّم حتَّى ينتهى إلى مسجِد

٧٣٤/٢

٢/٧٣٥ بنى مخزوم ، وحتّى يَرى أصحابُه مَن أشرَف عليهم من أصحاب المختار من القَصْر ، وكان لا يَلقَى امرأةً قريبًا من القصر إلّا قال لها : مَن أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وما تريدين ؟ فأخذ فى يوم ثلاثَ نسوة للشِّباميّين وشاكر أتَيْن أزواجهنّ فى القَصْر ، فبعث بهنّ إلى مصعب ، وإنّ الطّعام لمعهنّ ، فردّهنّ مصعب ولم يَعرض لهنّ ، وبعث زَحْر بن قيس ، فنزَل عند الحدّادين حيث تُكْرَى الدّوابّ ، وبعث عُبيد الله بن الحرّ فكان موقفُه عند دارِ بلال ، وبعث محمّد بن عبد الرّحمن بن سعيد بن قيس فكان مَوقِفه عند دارِ أبيه ، وبعث حَوْشَب بن يزيد فوقَف عند زُقاق البَصْريّين عند فم سكة بنى جَذِيمة بن مالك من بنى أسَد بن خُزَيمة ، وجاء المهلّب يسير حتّى نزل چهار سوج خُنيس ، وجاء عبدُ الرحمن بنُ مخنَف من قبَل دار السِّقاية ، وابتدر السوقَ أناسٌ من شَبابِ أهل الكُوفة وأهلِ البصرة ، أغمار ليس لهم علمٌ بالحرب ، فأخذوا يَصيحون — وليس لهم أميرٌ : يابن دَومة ، يابن دَومَة ! فأشرَف عليهم المختارُ فقال : أما والله لو أن الذى يعيّرنى بدَوْمة كان من القَريتين عظيمًا ما عَيَّرنى بها . وبصُربهم وبتفرُّقهم وهيئتهم وانتشارهم ، فطمِع فيهم ، فقال لطائفة من أصحابه : اخرُجوا

٢/٧٣٦ معى ، فخرج معه منهم نحوٌ من مائتىْ رجل ، فكرّ عليهم ، فشدخ نحوًا من مائة ، وهزمهم ، فركب بعضُهم بعضًا ، وأخذوا على دارِ فرات بنِ حيّانَ العِجْلىّ . ثمّ إنّ رجلا من بنى ضَبّة من أهل البَصْرة يقال له يحيى بن ضَمضَم ، كانت رِجلاه تكادانِ تَخُطّان الأرضَ إذا ركب من طُوله ، وكان أقتَل شىء للرجال وأهيَبَهُ عندهم إذا رأوه ، فأخذ يَحمِل على أصحاب المختار فلا يَثبتُ له رجل صَمَد صَمدَه ، وبَصُرَ به المختار ، فحمَل عليه فضَرَبه ضربةً على جَبهتَه فأطار جَبهته وقحفَ رأسه ، وخرّ ميّتًا . ثمّ إنّ تلك الأمراء وتلك الرءوسَ أقبلوا من كلّ جانب ، فلم تكن لأصحابه بهمْ طاقة ، فدخلوا القصر ، فكانوا فيه ، فاشتدّ عليهم الحصار فقال لهم المختار : ويحكم! إنّ الحصارَ لا يَزيدكم إلّا ضَعْفًا ، انزلوا بنا فلْنقاتل حتّى نُقتل كِرامًا إن نحن قُتِلنا ، والله ما أنا بآيس إن صدقتموهم

أن يَنصركم اللهُ ، فضَعُفوا وعجزوا ، فقال لهم المختار : أمَّا أنا فوالله لا أعطِى بيَدِى ولا أحكّمهم فى نفسى . ولمَّا رأى عبدُ الله بنُ جعدةَ بنُ هُبَيرة ابن أبى وَهْب ما يريد المختار تَدلَّى من القصر بحبْل ، فلَحق بأناس من إخوانه ، فاختبأ عندهم . ثم إنّ المختار أزمَع بالخروج إلى القوم حين رأى من أصحابه الضعف ، ورأى ما بأصحابه من الفشل ، فأرسل إلى امرأته أمّ ثابت بنت سَمُرة بن جُندب الفَزارىّ ، فأرسلتْ إليه بطيب كثير ، فاغتسل وتحنّط ، ثمّ وضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته ، ثمّ خرج فى تسعة عشرَ رجلاً ؛ فيهم السائب بنُ مالك الأشعرىّ — وكان خليفتَه على الكوفة إذا خرج إلى المَدائن — وكانتْ تحتَه عَمْرةُ بنتُ أبى موسى الأشعرىّ ، فولدت له غلامًا ، فسمّاه محمّدًا ، فكان مع أبيه فى القصر ، فلمَّا قُتل أبوه وأخذ مَن فى القصر وُجِد صبيًّا فتُرك ، ولمَّا خرج المُختار من القصر قال للسّائب : ماذا ترى ؟ قال : الرّأىُ لك ، فماذا ترى ؟ قال : أنا أرَى أم الله يرَى ! قال : اللهُ يرَى ، قال : وَيْحَك ! أحمق أنت ! إنّما أنا رجل من العرَب رأيتُ ابن الزّبير انتزَى على الحِجاز ، ورأيتُ نَجْدَةَ انتزَى على اليمامة ، ومروانَ على الشأم ، فلم أكن دونَ أحد من رِجال العرب ، فأخذتُ هذه البلادَ ، فكنتُ كأحدهم ؛ إلّا أنى قد طلبتُ بثأر أهلِ بيتِ النبيّ صلّى الله عليه وسلم إذ نامتْ عنه العرب ، فقتلتُ مَن شرِكَ فى دِمائهم ، وبالغتُ فى ذلك إلى يومِى هذا ، فقاتِلْ على حَسَبك إن لم تكن لك نِيّة ؛ فقال : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، وما كنت أصنع أن أقاتل على حَسَبى ! فقال المختار عند ذلك يتمثّل بقول غَيْلان بن سَلَمة بن مُعتِّب الثَّقَفِىّ :

ولو يَرَانى أبو غيْلانَ إذْ حَسَرَتْ ... عنّى الهمومُ بأمرٍ ما له طبَقُ

لقالَ رُهْباً ورُغْباً يُجْمَعان معاً ... غُنْمُ الحياةِ وهَولُ النفسِ والشَّفَقُ

إما تُسِف على مَجْد ومَكْرُمَة ... أو إسوة لك فِيمَن تُهلِكُ الوَرَقُ

فخرج فى تسعةَ عشرَ رجلا فقال لهم : أتؤمّنونى وأخرُج إليكم ؟ فقالوا : لا ، إلّا على الحكم ، فقال : لا أحكّمكم فى نفسى أبدًا ، فضارب بسيفه حتى قُتِل ، وقد كان قال لأصحابه حين أبَوْا أن يُتابِعوه على الخروجِ معه :

إذا أنا خرجتُ إليهم فقُتِلتُ لم تَزْدادوا إلّا ضَعْفًا وذُلًّا ، فإنْ نزلتم على حكمهم وثَب أعداؤكم الذين قد وَتَرْتموهم ، فقال كلّ رجل منهم لبعضكم : هذا عندَه ثأرى فيُقتل ، وبعضُكم ينظُر إلى مَصَارِع بعض فيقولون : يا لَيْتنا أطَعْنا المختار وعَمِلنا برأيه ! ولو أنكم خرجتم معى كنتم إن أخطأتُم الظفَر متمّ كِرامًا ، وإن هرب منكم هاربٌ فدخل فى عشيرته اشتملتْ عليه عشيرتهُ ؛ أنتم غدًا هذه الساعةَ أذلّ مَن على ظَهْر الأرض ، فكان كما قال .

قال : وزَعَم الناس أنّ المختار قُتِل عند موضع الزّيّاتين اليوم ، قتله رجلان من بنى حَنِيفة أخَوان يُدعَى أحدُهما طَرَفةَ والآخر طرّافًا ؛ ابنا عبد الله بنَ دَجاجة من بنى حَنِيفة . ولَمّا كان من الغَد من قتل المختار قال بُجَير بنُ عبد الله المُسْلِىّ : يا قوم ، قد كان صاحبُكم أمسِ أشار عليكم بالرّأى لو أطعتموه . يا قوم ، إنكم إن نزلتمْ على حُكم القومِ ذُبِحتم كما تُذبَح الغَنَمَ ، اخرُجوا بأسيافكم فقاتلوا حتى تموتوا كِرامًا . فعصَوْه وقالوا : لقد أمرَنا بهذا مَن كان أطوعَ عندنا وأنصح لنا منك ، فعصَيناه ، أفنحن[1] نُطِيعك ! فأمكن القوم من أنفسهم ، ونزلوا على الحُكْم . فبعث إليهم مصعبٌ[2] عبّاد بنَ الحُصَين الحَبَطىّ فكان هو يُخرِجهم مكتّفين ، وأوصَى عبد الله بن شدّاد الجُشَمىّ إلى عبّاد بن الحُصَين ، وطلب عبد الله ابنَ قُراد عصًا أو حديدة أو شيئًا يقاتل به فلم يَجِده ، وذلك أنّ الندامة أدركتْه بعد ما دخلوا عليه ، فأخذُوا سيفَه ، وأخرَجوه مكتوفًا ، فمرّ به عبدُ الرحمن وهو يقول : ٧٣٩/٢

ما كنتُ أخشَى أن أُرَى أَسِيرَا إنَّ الذين خالَفُوا الأَمِيرَا

* قد رُغِّموا وتُبِّرُوا تَتْبِيرَا *

فقال عبدُ الرّحمن بنُ محمد بن الأشعث : علىّ بذا ، قدّموه إلىّ أضرِب عنقَه ، فقال له : أما إنى على دين جدّك الذى آمَنَ ثم كفر ؛ إنْ لم أكن ضربت أباك بسَيْفى حتى فاظَ . فنزل ثم قال : أدنُوه منى ، فأدنَوْه منه ،

(١) ا : « فنحن » . (٢) ف : « المصعب » .

فقتله ، فغضب عبّاد ، فقال : قتلتَه ولم تُؤمَر بقتله !

ومرّ بعبد الله بن شدّاد الجُشميّ وكان شريفًا ، فطلب عبدُ الرحمن إلى عبّاد أن يَحبِسه حتى يُكلّم فيه الأمير ، فأتى مُصعبًا ، فقال : إنى أحبّ أن تَدفَع إلىّ عبدَ الله بنَ شدّاد فأقتلَه ، فإنه من الثأر ، فأمر له به ، فلما جاءه أخذه فضرب عنقَه ، فكان عبّاد يقول : أما والله لو علمتُ أنك إنما تريد قتلَه لدفعتُه إلى غيرِك فقتله ، ولكنى حسبتُ أنك تكلمه فيه فتخلّى سبيلَه . وأُتِىَ بابن عبد الله بن شدّاد ، وإذا اسمهُ شدّاد ، وهو رجلٌ محتلِم ، وقد اطّلَى بنُورة ، فقال : اكشفوا عنه هل أدرك ! فقالوا : لا ، إنما هو غلام ، فخلوا سبيلَه ، وكان الأسوَد بنُ سعيد قد طلب إلى مُصعَب أن يعرِض على أخيه الأمان ، فإنْ نَزَل تركَه له ، فأتاه فعرض عليه الأمان ، فأبى أن ينزل ، وقال : أموتُ مع أصحابى أحبّ إلىّ من حياة معكم ، ٧٤٠/٢ وكان يقال له قيس ، فأخرِج فقتِل فيمن قُتِل ؛ وقال بُجير بن عبدِ الله المُسْلِىّ — ويقال : كان مولًى لهم — حين أُتِىَ به مصعب ومعه منهم ناسٌ كثير — فقال له المسلِىّ : الحمد لله الذى ابتلانا بالإسار ، وابتلاك بأن تعفو عنّا ، وهما منزلتان إحداهما رِضَا الله ، والأخرَى سخطه ، من عفَا عفَا اللهُ عنه ، وزادَه عزًّا ، ومن عاقَبَ لم يأمَن القِصاص . يابنَ الزّبير ، نحن أهلُ قِبْلَتكم ، وعلى مِلّتكم ، ولسنا تُرْكًا ولا دَيلَمًا ، فإن خالفْنا إخوانَنا من أهلِ مِصرِنا فإما أن نكون أصبْنا وأخطئوا ، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقتتلْنا كما اقتتل أهل الشأم بينهم ، فقد اختلفوا واقتتلوا[1] ثمّ اجتمعوا ، وكما اقتتل أهلُ البَصْرة بينهم فقد اختلفوا واقْتَتلوا ثمّ اصطلَحوا واجتمعوا ، وقد ملكتم فأسجِحوا ، وقدقَدَرْتم فاعفُوا . فما زال بهذا القَوْل ونحوه حتى رَقّ لهم الناسُ ، ورَقّ لهم مصعب ، وأراد أن يخلّىَ سبيلَهم ، فقام عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ الأشعث فقال : تُخلّى[2] سبيلهم ! اختَرنا يابن الزبير أو اختَرهم . ووثب محمد بن عبد الرّحمن بن سعيد بن قَيْس الهَمْدانىّ

(١) ف : « فقد اقتتلوا واختلفوا » .

(٢) ف : « أتخلى » .

فقال : قُتِل أبى وخمسمائة من همْدان وأشراف العشيرة وأهل المصر[١] ثم تُخلّى سبيلَهم ، ودماؤنا ترقرق فى أجوافهم ! اخترْنا أو اخترْهم . ووثب كلّ قوم وأهل بيت كان أصيبَ منهم رجل فقالوا نحوًا من هذا القول .

٧٤١/٢ فلما رأى مُصعبُ بنُ الزبير ذلك أمرَ بقتْلهم ، فنادَوه بأجمعهم : يابن الزّبير ، لا تقتلْنا ، اجعلْنا مقدّمتَك إلى أهل الشأم غدًا ، فوالله ما بكَ ولا بأصحابك عنّا غدًا غنًى ، إذا القيتم عدوّكم فإن قتِلنا لم نُقتل حتّى نرقّهم لكم[٢] ، وإن ظفِرْنا بهم كان ذلك لك ولمن معك . فأبى عليهم وتبع رضا العامة ، فقال بجير المسلىّ : إن حاجتى إليك ألاّ أقتَل مع هؤلاء [القوم][٣] إنى أمرتُهم أن يخرجوا بأسيافهم فيقاتلوا حتى يموتوا كرامًا فعصوْنى ، فقُدّم فقُتِل .

قال أبو مخنَف : وحدّثنى أبى ، قال : حدّثنى أبو روْق أنّ مسافرَ بنَ سعيد بن نِمْران قال لمُصعب بن الزبير : يابن الزّبير ، ما تقولُ لله إذا قدمت عليه وقد قتلتَ أمة من المسلمين صبْرًا ! حكّموك فى دمائهم ، فكان الحقّ فى دمائهم ألّا تقتل نفسًا[٤] مُسلِمة بغير نفس مُسلِمة ، فإن كنا قتلْنا عِدّة رجال منكم فاقتلوا عِدّةَ مَن قتلنا منكم ، وخلّوا سبيل بقيّتنا ، وفينا[٥] الآن رجال كثير لم يشهدوا موطنًا من حربنا وحربكم يومًا واحدًا ، كانوا فى الجبال والسواد يجبُون الخراج ، ويؤمّنون السبيل . فلم يستمع له ، فقال : قبّح الله قومًا أمرتُهم أن يخرُجوا ليلا على حرَس سكة من هذه السكك فنطردهم ، ثمّ نلحق بعشائرنا ، فعصوْنى حتى حمَلونى على أن أعطيت التى هى أنقص وأدنى وأوضع ، وأبوْا أن يموتوا إلاّ ميتة العبيد ، فأنا أسألُك ألاّ تخلِط دمى بدِمائهم . فقُدّم فقُتل ناحية[٦] .

ثمّ إنّ المُصعَب أمر بكفّ المختار فقُطعت ثمّ سُمّرت بمِسمار

٧٤٢/٢ حديد إلى جنب[٧] المسجد ، فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجّاج بن يوسفَ ، فنظر إليها فقال : ما هذه ؟ قالوا : كفّ المختار ، فأمر بنزْعها . وبعث مُصعَب عُمّاله على الجبال والسواد ،

(١) ف : « والمصر » . (٢) ف : « لك » .
(٣) من ف . (٤) ف : « ألا تقتل نفس مسلمة » .
(٥) « ففينا » . (٦) ف : « ناحية فقتل » . (٧) ف : « جانب » .

ثمّ إنه[1] كتب إلى ابن الأشتر[2] يدعوه إلى طاعته، ويقول له : إن أنتَ أجبتَنى ودخلتَ فى طاعتى فلك الشأم وأعِنّة الخيل، وما غلبت عليه من أرضِ المغرب ما دام لآلِ الزّبير سُلطان . وكتب[3] عبد الملك بن مروان من الشأم إليه يدعوه إلى طاعته، ويقول : إن أنت أجَبْتَنى ودخلتَ فى طاعتى فلك العراق . فدعا إبراهيمُ أصحابه فقال : ما تَرَون ؟ فقال بعضُهم : تدخل فى طاعة عبدِ الملك، وقال بعضهم : تدخل مع ابن الزّبير فى طاعته، فقال ابن الأشتر : ذاك لو لم أكن أصبتُ عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهلِ الشأم تبعتُ عبدَ الملك؛ مع أنى لا أحبّ أن أختار على أهلِ مِصرى مِصْرًا، ولا على عشيرتى عشيرة . فكتب إلى مصعب، فكتب إليه مصعبٌ أن أقبِل، فأقبل إليه بالطاعة .

قال أبو مخنَف : حدّثنى أبو جَنَاب الكلبىّ أنّ كتاب مُصعب قدم على ابن الأشتر وفيه :

أما بعد، فإنّ الله قد قتل المختار الكذّاب وشيعتَه الذين دانُوا بالكفر، وكادُوا بالسّحر[4]، وإنا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيّه، وإلى بَيْعة أمير المؤمنين، فإنْ أجبتَ إلى ذلك فأقبِل إلىّ، فإنّ لك أرض الجزيرة وأرض المغرب[5] كلّها ما بقيت وبقِيَ سلطانُ آلِ الزبير، لك بذلك عهدُ الله وميثاقُه وأشدّ ما أخذ الله على النبيّين من عهد أو عقد؛ والسلام .

٧٤٣/٢

وكتب إليه عبدُ الملك بنُ مَرْوان :

أما بعد، فإنّ آل الزبير انتَزَوْا على أئمة الهدى، ونازعُوا الأمرَ أهلَه، وألحَدُوا فى بيت الله الحرَام[6] واللهُ مُمكِن منهم، وجاعل دائرةَ السوْء عليهم، وإنى[7] أدعوك إلى الله وإلى سُنّة نبيّه، فإن قَبلتَ وأجبتَ فلك سلطانُ العراقِ ما بقيتَ وبقيتُ، علىّ بالوفاء بذلك عهدُ الله وميثاقُه .

قال : فدعا أصحابَه فأقرأهم الكتاب، واستشارهم فى الرأى، فقائلٌ

---

(١) ف : « وإنه » .
(٢) ف : « إبراهيم بن الأشتر » .
(٣) ف : وكتب إليه » .
(٤) ف : « وكانوا علماء بالسحر » .
(٥) ا، س : « العرب » .
(٦) ف : « واتخذوا الحرم حلا » .
(٧) ف : « فإنى » .

يقول عبد الملك ؛ وقائل يقول : ابن الزبير ؛فقال لهم : ورأيى اتّباع أهل الشأم ،ولكن كيف لى بذلك ، وليس قبيلة تسكُن الشأم إلّا وقد وَتَرْتُها ، ولستُ بتارك عشيرتى وأهل مصرى[1] ! فأقبل إلى مُصعَب ، فلما بلغ مصعبًا إقباله[2] بعث المهلب إلى عمله ، وهى[3] السنة التى نزل فيها المهلب على الفُرات .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو علْقمة الخَثعمىّ أنّ المُصعَب بَعثَ إلى أمّ ثابت بنتِ سَمُرة بن جُندَب امرأةِ المُختار وإلى عَمْرة بنت النعمان بن بَشير الأنصارىّ — وهى امرأةُ المختار — فقال لهما : ما تقولان فى المختار ؟ فقالت أمّ ثابت : ما عسينا أن نقول ! ما نقول فيه إلّا ما تقولون فيه أنتم ، فقالوا لها : اذهبى ، وأما عَمرة فقالت: رحمة الله عليه ، إنه كان عبدًا من عبادِ الله الصالحين ، فرفَعها مصعب إلى السجن ، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزّبير إنها تزعم أنه نبىّ ، فكتَب إليه أن أخرِجْها فاقتُلها. فأخرَجها بين الحيرة والكُوفة بعد العتَمة ، فضرَبَها مَطَرٌ ثلاثَ ضَرَبات بالسيف — ومطَرٌ تابعٌ لآل قَفَل من بنى تَيْم الله بن ثَعْلبة ، كان يكون مع الشُّرَط — فقالت: يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عَشيرتاه ! فسمع بها بعضُ الأنصار ، وهو أبان بنُ النعمان بن بشير ، فأتاه فلطمه وقال له: يابن الزّانية ، قطعتَ نفسَها قطع اللهُ يَمينَك ! فلَزمه حتى رفعه إلى مصعب ، فقال : إنّ أمى مسلمة ، وادّعى شهادة بنى قَفَل ، فلم يَشهَد له أحد ؛ فقال مصعب : خلّوا سبيلَ الفتى فإنه رأى أمرًا فظيعًا ، فقال عمرُ بنُ أبى ربيعة القُرَشىّ فى قتل مصعب عَمْرةَ بنتَ النعمان بن بشير :

٧٤٤/٢

إنَّ مِن أعْجَبِ العجائبِ عِندِى ... قَتْلَ بَيْضَاء حُرَّةٍ عُطْبولِ[3]

قُتِلَتْ هكذا على غيرِ جُرْمٍ ... إنَّ للهِ دَرَّهــا من قَتيلِ

كُتِبَ القَتلُ والقِتَالُ علينا ... وعلى المحْصنَاتِ جَرُّ الذُّيولِ

٧٤٥/٢

قال أبو مخنف : حدثنى محمد بنُ يوسفَ ، أنّ مصعبًا لقِى عبدَ الله بن

---

(١) ف : « ولا أهل مصرى ». (٢) بعدها فى ف : « إليه ». (٣) ملحق ديوانه ٤٩٨.

عمر فسلّم عليه ، وقال له : أنا ابنُ أخيك مصعب ، فقال له ابنُ عمر : نعم ، أنتَ القاتلُ سبعةَ آلاف من أهل القبلة فى غَداة واحدة ! عِشْ ما استطعتَ ! فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة سَحَرَة ؛ فقال ابنُ عمر : واللهِ لو قتلت عدّتهم غَنَمًا من تُراثِ أبيك لكان ذلك سَرَفًا ، فقال سعيد بن عبدِ الرّحمن بنِ حسّان بن ثابت فى ذلك :

أَتى راكبٌ بالأمر ذى النَّبإِ العجبْ ... بقتل ابنةَ النعمانِ ذِى الدّينِ والحسَبْ

بقتل فَتَاةٍ ذاتِ دلٍّ سَتِيرَةٍ ... مُهَذَّبة الأَخلاقِ والخِيمِ والنسَبْ

مطهَّرةٍ من نَسْلِ قوم أكارمٍ ... من المُؤْثِرين الخيرَ فى سالِفِ الحِقَب

خليلُ النبىِّ المصطفَى ونَصِيرُهُ ... وصاحبُه فى الحَرْب والنّكْبِ والكُرَب

أتانى بأَنَّ المُلْحِدِين تَوافَقُوا ... على قَتلِها لاجُنِّبُوا القتلَ والسَّلَبْ

فلا هَنَأَتْ آلَ الزبير معيشةٌ ... وذاقُوا لباسَ الذُّلِّ والخوفِ والحَرَبْ

كأَنَّهمُ إذ أبرزُوها وقُطِّعَتْ ... بأَسيافِهِمْ فازُوا بِمَملكة العَرَبْ

٧٤٦/٢

أَلم تَعجَبِ الأَقوامُ من قَتلِ حُرَّةٍ ... من المُحْصَنات الدّين محمودةِ الأَدبْ!

من الغافلاتِ المؤمناتِ، بَريئةٍ ... من الذَّمّ والبُهْتان والشّكِّ والكذِبْ

علينا كتابُ القَتل والبأْسِ واجبٌ ... وهُنَّ العفافُ فى الحِجَال وفى الحُجُب

على دِينِ أجدادٍ لها وأُبوَّةٍ ... كِرامٍ مَضَت لم تُخْزِ أهلا ولم تُرِبْ

من الخفِرات لا خَرُوجٌ بَذِيَّةٌ ... مُلائِمَة تَبغِى على جَارِهَا الجُنبْ

ولا الجارِ ذى القُرْبَى ولم تَدْرِ ما الخنا ... ولم تزدَلِف يوماً بسُوءٍ ولم تحِبْ

عَجِبْتُ لها إذ كُفِّنَتْ وَهْىَ حَيَّةٌ ... أَلَا إنَّ هذا الخَطْبَ من أعجَبِ العجَب

حدّثت عن علىّ بن حَرْب المَوْصلىّ، قال: حدّثنى إبراهيمُ بنُ سليمانَ الحنفىّ، ابن أخى أبى الأحْوص، قال : حدّثنا محمد بن أبان ، عن علقمة بن مَرْثد ، عن سُوَيد بن غَفَلة ، قال : بيْنا أنا أسيرُ بظَهْر النّجف إذ لَحقنى رجل فَطعننى بمِخْصَرة مِن خلْفى ، فالتفتّ إليه ، فقال :

٧٤٧/٢

ما قولُك فى الشيخ ؟ قلتُ : أىّ الشيوخ ؟ قال : علىّ بنُ أبى طالب ؛ قلتُ : إنى أشهد أنى أحبّه بسَمعى وبصرى وقلبى ولسانى ؛ قال : وأنا أشهدك أنى أبغضه بسَمْعى وبصرى وقلبى ولسانى . فسِرْنا حتى دخلْنا الكوفة ، فافترقْنا ، فكَثت بعد ذلك سنينَ — أو قال : زَمانًا — قال : ثمّ إنى لفى المسجد الأعظم إذ دخل رجلٌ معتمّ يتصفّح وجوهَ الخلق ، فلم يزل ينظُر فلم يرَ لُحيًّا أحمق من لُحَى هَمْدان ؛ فجلس إليهم ، فتحوّلتُ فجلستُ معهم ، فقالوا : من أين أقبلتَ ؟ قال : من عند أهلِ بيتِ نبيّكم ، قالوا : فماذا جئتَنا به ؟ قال: ليس هذا موضع ذلك ، فوعدهم من الغد موعدًا ، فغَدَا وغدَوت ، فإذا قد أخرج كتابًا معه فى أسفله طابع من رصاص ، فدفعه إلى غلام ، فقال له : يا غلام ، اقرأه — وكان أميًّا لا يكتب — فقال الغلام : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، هذا كتابٌ للمختار بن أبى عُبيد كتبه له وصىّ آل محمد ؛ أمّا بعد فكذا وكذا .

فاستفرَغَ القوم البُكاء ، فقال : : يا غلام ، ارفع كتابك حتى يُفيق القوم ؛ قلتُ : معاشر هَمْدان ، أنا أشهَد بالله لقد أدركنى هذا بظَهر النّجف ، فقَصَصتُ عليهم قصّتَه ، فقالوا: أبَيْتَ والله إلاّ تَشْبيطا عن آل محمد ، وتزْييناً لنَعْثَلٍ شقّاقِ المَصاحِف . قال : قلتُ : معاشرَ همْدان ، لا أحدّثكم إلّا ما سمِعته أذُناى ، ووعاه قلبى من علىّ بنِ أبى طالب عليه السلام ، سمعتُه يقول : لاتُسمّوا عثمانَ شقّاقَ المَصاحف ، فوالله ما شقّقها إلّا عن ملإٍ منّا أصحاب محمد ، ولو وليتُها لعَمِلتُ فيها مثلَ الذى عمل ؛ قالوا : آللهَ أنتَ[1] سمعتَ هذا من علىّ ؟ قلت : والله لأنا سَمِعتُه منه[2] ، قال : فتفرّقوا عنه ، فعند ذلك مال إلى العبيد ، واستعان بهم ، وصنع ما صنع .

٧٤٨/٢

قال أبو جعفر : واقتصّ الواقدىّ من خبر المختارِ بن أبى عُبيد بعض ما ذكرْنا ، فخالف فيه مَنْ ذكرنا خبره ، فزعم أنّ المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزّبير عند قُدومِ مُصعَب البَصْرة ، وأنّ مُصعبًا لما

---

(١) ف : « أنك » . (٢) ا : « والله ما قلت إلا ما سمعته منه » .

سار إليه فبلغه مسيرُه إليه بعث إليه أحمرُ بنُ شُميط البَجَلىّ، وأمرَه أن يواقِعه بالمَذَار، وقال: إنّ الفتح بالمَذار؛ قال: وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل: إن رجلا من ثَقيف يَفْتَح عليه بالمَذار فتحٌ عظيمٌ، فظنّ أنه هو، وإنما كان ذلك للحجّاج بن يوسفَ فى قتاله عبدَ الرّحمن بنَ الأشعث.

وأمر مصعبٌ صاحبَ مقدّمته عَبّاد الحَبَطىّ أن يسيرَ إلى جَمْع المُختار فتقدّم وتقدّم معه عُبيدُ الله بنُ علىّ بن أبى طالب، ونزل مصعب، نهرَ البصريّين على شطّ الفرات، وحَفَرَ هُنالك نهراً فسُمِّىَ نهر البصريّين من أجلِ ذلك. قال: وخرج المختارُ فى عشرين ألفًا حتى وقف بإزائهم وزحف مصعبٌ ومَن معه، فوافَوْه مع الليل على تعبية، فأرسل إلى أصحابه حين أمسَى: لا يَبرحنّ أحدٌ منكم موقفَه حتى يسمع منادياً ينادى: يا محمّد، فإذا سمعتموه فاحملوا. فقال رجل من القوم من أصحاب المختار: هذا والله كذّاب على الله، وانحازَ ومَنْ معه إلى المصعب، فأمهل المُختار حتى إذا طلع القمرُ أمرَ منادِياً، فنادى: يا محمد، ثمّ حَمَلوا على مُصعَب وأصحابه فهَزَموهم، فأدخلوه عسكرَه، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبحَ المختارُ وليس عنده أحد، وإذا أصحابُه قد وَغَلوا فى أصحاب مصعب، فانصرف المختارُ منهزماً حتى دخل قصر الكوفة، فجاء أصحابُ المُختار حين أصبحوا، فوَقَفوا مَلِيًّا، فلم يروا المختار، فقالوا: قد قُتِل، فهَرَب منهم مَن أطاقَ الهرَب، واختَفَوْا فى دُور الكوفة، وتوجّه منهم نحوَ القصر ثمانية آلاف لم يَجِدوا مَنْ يقاتل بهم، ووجدوا المختارَ فى القَصْر، فدخَلوا معه، وكان أصحاب المختار، قتلوا[١] فى تلك الليلة من أصحابِ مصعب[١] بشراً كثيراً، فيهم محمد بنُ الأشعث، وأقبلَ مُصعبٌ حينَ أصبح حتى أحاط بالقصر، فأقام مصعبٌ يُحاصِره أربعةَ أشهر يَخرُج إليهم فى كلّ يوم فيقاتلهم فى سوق الكوفة من وجه واحد، ولا يَقدِرعليه حتى قُتِل المختار، فلما قُتِل المختار بعث مَن فى القصر يَطلب الأمان، فأبى مصعب حتى نزلوا على حُكْمه، فلما نزلوا على حُكْمه قتَل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك، وسائرُهم

٧٤٩/٢

(١ – ١) ف: «من أصحاب مصعب فى تلك الليلة».

من العَجم ؛ قال : فلما خرجوا أراد مُصعَب أن يَقتُل العجم ويترُكَ العرَب ، فكلمه من معه ، فقالوا : أىّ دِينٍ هذا ؟ وكيف ترجو النصرَ وأنت تَقتُل العَجَم وتَترُكُ العرَب ودِينُهم واحد ! فقدّمهم فضرَبَ أعناقَهم .

قال أبو جعفر : وحدّثنى عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : لما قُتِل المختار شاور مصعبٌ أصحابَه فى المحصورين الذين نزلوا على حكمه ، فقال عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ الأشعث ومحمد بنُ عبد الرحمن ابنِ سعيد بنِ قيس وأشباهُهم ممّن وَترهم المُختار : اقتُلهم ، وضَجّت ضَبّةُ ، وقالوا : دَمُ مُنذِر بن حسان ؛ فقال عبيد الله بن الحُرّ : أيّها الأمير ، ادفعْ كلّ رجل فى يديك إلى عشيرته تمنّ عليهم بهم ، فإنهم إن كانوا قَتَلونا فقد قَتَلناهم ، ولا غِنى بنا عنهم فى ثغورنا ، وادفع عبيدَنا الذين فى يديك إلى مواليهم فإنهم لأيتامنا وأراملِنا وضُعفائنا ، يردّونهم إلى أعمالهم ، واقتل هؤلاء الموالى ، فإنهم قد بدا كفرُهم ، وعظُم[١] كبرُهم ، وقلّ شُكرُهم . فَضَحِك مُصعَب وقال للأحنف : ما تَرَى يا أبا بَحر ؟ قال : قد أرادنى زيادٌ فعَصَيتُه — يعرّض بهم — فأمرَ مصعب بالقوم جميعًا فقُتِلوا ، وكانوا ستة آلاف ، فقال عُقْبة الأسَدىّ :

٧٥٠/٢

قتلتمْ ستَّةَ الآلافِ صَبْرًا ... مع العَهْدِ الموثَّقِ مكتَفِينَا
جعلتمْ ذِمّةَ الحَبَطِىّ جِسْرًا ... ذَلولاً ظَهرُهُ لِلواطِئينَا
وما كانوا غَدَاةَ دُعُوا فغُرُّوا[٢] ... بعَهْــدِهمُ بأوَّلِ حائِنِينَا
وكنتُ أمرتُهمْ لو طاوَعُونى ... بضَرْبٍ فى الأزِقَّة مُصْلتِينا

وقُتِل المختارُ — فيما قيل — وهو ابنُ سبع وستين سنة ، لأربع عشرةَ خلَتْ من شهر رمضان فى سنة سبع وستين .

فلما فَرَغ مصعب[٣] من أمر المختار وأصحابه ، وصار إليه إبراهيم ابنُ الأشتر وجّه المهلب بنُ أبى صُفْرة على المَوْصِل والجزيرة وآذَرْبيجان وأرْمينيَةَ وأقام بالكوفة .

(١) ف : « وظهر » . (٢) ف : « ففروا » . (٣) ف : « المصعب » .

[خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب]

وفى هذه السنة عزل عبدُ الله بن الزبير أخاه مصعبَ بنَ الزّبير عن البصرة ، وبَعَث بابنه حمزةَ بن عبد الله إليها ، فاختُلِف فى سبب عزله إيّاه عنها، وكيف كان الأمر فى ذلك . ٢/٧٥١

فقال بعضُهم فى ذلك ما حدّثنى به عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد قال : لم يزل المُصْعب على البَصرة حتى سار منها إلى المختار ، واستَخلف على البصرة عُبيد الله بن مَعمر . فقُتِل المختار ، ثمّ وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وحبسه عنده ، واعتَذَر إليه من عَزْله ، وقال : والله إنى لأعلم أنّك أحرَى وأكفى من حَمزةَ ، ولكنى رأيتُ فيه رأى عثمانَ فى عبد الله بن عامر حين عَزَل أبا موسى الأشعرىّ وولاّه .

وحدّثنى عمرُ ، قال : حدّثنى علىّ بنُ محمد ، قال : قَدِم حمزةُ البَصرةَ والياً ،وكان جواداً سَخيّاً مخلّطاً ،يجود أحياناً حتى لا يَدَع شيئاً يملِكه ، ويمنع أحياناً ما لايمنع مِثلُه، فظهرتْ منه بالبَصرة خِفّة وضعف ، فيقال : إنه ركب يوماً إلى فَيْض البَصْرة ، فلما رآه قال : إنّ هذا الغَدِير إن رَفقُوا به ليكفينّهم صَيْفَهم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقهُ جازراً ، فقال : قد رأيت هذا ذاتَ يوم ، وظننت أن لن يكفيَهم ، فقال له الأحنف : إنّ هذا ماءٌ يأتينا ثمّ يَغيض عنّا . وشخص إلى الأهواز ، فلما رأى جبلَها قال : هذا قُعَيْقِعان — لموضع بمكة — فسُمِّى الجبلُ قُعَيْقعانَ ، وبعث إلى مَرْدانْشَاه فاستحثّه بالخراج ، فأبطأ به ، فقام إليه بسَيْفه فضربه فقتله ، فقال الأحنف : ما أحدّ سيفَ الأمير !

حدّثنى عمرُ ، قال : حدّثنى علىّ بنُ محمد ، قال : لما خلّط حمزةُ بالبصرة وظهر منه ما ظهر ، وهَمّ بعبد العزيز بن بِشْر أن يضربَه ، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك،وسأله أن يعيد مُصعباً .قال: وحمزة الذى عقد لعبد الله بن عُمير الليثىّ على قتال النّجديّة بالبَحرين . ٢/٧٥٢

حدّثني عمرُ، قال : حدّثنا عليّ بنُ محمد، قال: لما عزل ابنُ الزّبير حمزةَ احتَمَل مالا كثيرًا من مال البصرة، فعرَض له مالكُ بنُ مِسْمَع، فقال : لا نَدعك تَخرج بأعْطياتِنا . فضمِن له عُبيدُ الله بنُ عُبَيد بن مَعمرَ العطاءَ ، فكَفّ ، وشخص حمزةُ بالمال ، فترك أباه وأتى المدينة ، فأودَع ذلكَ المال رجالا ، فذَهبوا به إلاّ يهوديًّا كان أودَعه فوفَى له ، وعلِم ابنُ الزّبير بما صنع ، فقال : أبعَدَه الله ! أردتُ أن أباهيَ به بني مرْوان فنكَص .

وأمّا هشام بنُ محمد فإنه ذَكر عن أبي مخنف في أمر مُصعَب وعزلِ أخيه إيّاه عن البَصْرة ورَدّه إياه إليها غيرَ هذه القصّة ، والذي ذكر من ذلك عنه في سياقِ خبر حُدّثتُ به عنه[1] ، عن أبي المُخارِق الرّاسِبيّ ، أنّ مُصعَبًا لما ظَهر على الكُوفة أقامَ بها سنة معزولا عن البصرة ، عزله عنها عبدُ الله ، وبعث ابنَه حمزةَ ، فمكَث بذلك سنة ؛ ثمّ إنه وَفد على أخيه عبد الله بمكة ، فردّه على البَصْرة .

وقيل : إنّ مصعبًا لما فرغ من أمرِ المُختار انصرَف إلى البصرة وولّى الكوفةَ الحارثَ بنَ عبد الله بن أبي ربيعة . قال : وقال محمد بنُ عمر : لما قتل مُصعبٌ المختارَ ملَكَ الكُوفة والبصرة .

* * *

وحَجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بنُ الزّبير . وكان عاملَه على الكُوفة مصعبٌ ، وقد ذَكرتُ اختلافَ أهلِ السيَر في العامل على البصرة .

وكان على قَضاء الكُوفة عبدُ الله بنُ عُتبةَ بن مسعود ، وعلى قَضاء البَصْرة هِشامُ بنُ هُبيرة ، وبالشأم عبدُ الملك بن مرْوان ٧٥٣/٢

وكان على خُراسان عبدُ الله بنُ خازم السُّلَميّ .

(١) ا : « حدث عنه » .

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأُمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من ردّ عبدِ الله أخاه مُصعبَاً إلى العراق أميراً ، وقد ذكرْنا السبب فى ردّ عبدِ الله أخاه مُصعبَاً إلى العراق أميرًا بعد عزله إياه ، ولما ردّه عليها أميرًا بعث مصعبٌ الحارثَ بنَ أبى ربيعة على الكُوفة أميراً ، وذلك أنه بدأ بالبصرة مَرجِعَه إلى العراق أميرًا بعد العزل ، فصار إليها .

* * *

[ذكر الخبر عن رجوع الأَزارقة من فارس إلى العراق]

وفى هذه السنة كان مَرجِعُ الأزارِقة من فارسَ إلى العِراقِ حتى صاروا إلى قرب الكوفة ، ودخلوا المَدائن .

* ذكر الخبر عن أمرِهم ومسيرهم ومَرجِعِهم إلى العِراق :

ذكر هشامٌ ، عن أبى مِخنَف ، قال : حدّثنى أبو المخارق الراسبىّ ، أنّ مُصْعَباً وجّه عمرَ بنَ عُبَيد الله بن مَعمرَ على فارسَ أميرًا ، وكانت الأزارِقةُ لحقت بفارسَ وكرمانَ ونواحى أصْبَهان بعد ما أوقَع بهم المهلب بالأهْواز ، فلما شخص المهلَّبُ عن ذلك الوجه ووُجِّه إلى المَوْصل ونواحيها عاملاً عليها ، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارسَ ، انحطّت الأزارقةُ مع الزّبير بن الماحوز على عُمَر بن عبيد الله بفارسَ ، فلقيَهم بسَابورَ ، فقاتَلَهم قتالا شديدًا ، ثم إنه ظَفر بهم ظَفَراً بيّناً ، غيرَ أنه لم يكن بينهم كثير[1] قَتْلَى ، وذهبوا[2] كأنهم على حامية ، وقد تركوا على ذلك المَعركة .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى شيخٌ للحىّ بالبَصْرة ، قال : إنى لأسمعُ قراءةَ كتابِ عمرَ بنِ عُبيد الله[3] :

(١) ف : « كبير » . (٢) ف : « فركبوا » .
(٣) بعدها فى ف : « ابن معمر » .

٧٥٤/٢

بسم الله الرّحمن الرّحيم . أما بعد ، فإنى أخبرُ الأميرَ أصلَحه الله أنى لقيتُ الأزارقة التى مرَقَتْ من الدّين واتبعتْ أهواءها بغيرِ هُدًى من الله ، فقاتلتُهم بالمسلمين ساعةً من النهار أشدَّ القتال . ثمّ إنّ الله ضرب وُجوهَهم وأدبارَهم ، ومنحنا أكتافَهم ، فقتل اللهُ منهم مَن خابَ وخَسِر ، وكلٌّ إلى خُسْران . فكتبتُ إلى الأمير كتابى هذا وأنا على ظَهْر فرَسى فى طلب القوم ، أرجو أن يَجُذَّهم [1] الله إن شاء الله ؛ والسلام .

ثم إنَّه تَبِعهم ومضَوْا من فورهم ذلك حتَّى نزلوا إصْطَخْرَ ، فسار إليهم حتَّى لقيَهم على قنطرة طَمَسْتانَ [2] ، فقاتلهم قتالا شديدًا ، وقُتل ابنُه . ثمّ إنه ظَفِر بهم ، فقَطعوا قنطرةَ طَمَسْتانَ ، وارتفعوا إلى نحو من أصبهان وكرْمان ، فأقاموا بها حتَّى اجْتَبَروا وقَوُوا ، واستعدّوا وكَثُروا ، ثمّ أقبَلوا حتَّى مرّوا بفارسَ وبها عُمَرُ بنُ عُبيد الله بن مَعمر ، فقَطعُوا أرضَه من غيرِ الوَجْه الَّذى كان فيه أخذوا على سابور ، ثمّ خرجوا على أرَّجانَ ، فلمَّا رأى عمرُ بنُ عُبيد الله أنْ قد قطعت الخوارجُ أرضَه متوجِّهة إلى البَصْرة خشىَ ألّا يحتملها له مُصعَب بنُ الزبير ، فشمَّر فى آثارهم مُسرِعًا حتى أتى أرّجان ، فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قِبَل الأهواز ، وبلَغ مُصعبًا [3] إقبالُهُم ، فخرَج فعسكر بالناس بالجسر الأكبر ، وقال : واللهِ ما أدرى ما الَّذى أغنَى عنّى أنْ وضعتُ عمرَ بنَ عُبيد الله بفارسَ ، وجعلتُ معه جُندًا أجرِى عليهم أرزاقَهم فى كلّ شهر ، وأوَفِّيهم أعطياتِهم فى كل سنة ، وآمُرُ لهم من المَعاوِن فى كلّ سنة بمثلِ الأعْطيات ، تَقطَع أرضَه الخوارج إلىّ ! وقد قطعتُ علَّته فأمددتُه بالرّجال وقوّيتُهم ، والله لو قَاتَلَهم ثم فرّ كان أعذَرَ له عندى ، وإن كان الفارّ غيرَ مقبولِ العذر ، ولا كريم الفعل .

وأقبلت الخوارجُ وعليهم الزبيرُ بن الماحُوز حتَّى نزلوا الأهواز ، فأتَتْهم عيونهم أن عمر بن عُبيد الله فى أثرهم ، وأنّ مصعَب بن الزّبير قد خرج من البصْرة إليهم ، فقام فيهم الزُّبيرُ فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال : أمَّا بعد ، فإنّ

٧٥٥/٢

(١) س : « ويخزيهم » . (٢) س : « طمسيان » ، ف : « طميسان » ، وفى ا من غير نقط . (٣) ف : « وبلغ ذلك مصعبا » .

مِن سوء الرأى والحيرة[١] وقُوعكم فيما بين هاتَيْن الشَّوْكتين ، انْهضوا بنا إلى عَدُوّنا نَلقَهم من وجه واحد . فسار بهم حتّى قطع بهم أرضَ جُوخَى ، ثمّ أخذ على النَّهْرَوانات ، ثمّ لزم شاطئَ دِجْلة حتى خرج على المدائن وبها كَرْدَم بنُ مَرْثَد بن نجبة الفَزَارِىّ ، فَشنّوا الغارَة على أهل المَدائن ، يُقتّلون الولدان والنساءَ والرّجال ، ويبقَرون الحَبالَى ، وهرب كردم ، فأقبلوا إلى ساباطَ فوضَعوا أسيافَهم فى النّاس ، فقتَلوا أمّ ولد لربيعة ابن ماجد[٢] ، وقتلوا بُنانة ابنة أبى يزيد بن عاصم الأزدىّ ، وكانت قد قرأت القرآن ، وكانت من أجمل النّاس ، فلمّا غشوها[٣] بالسيوف قالت : ويْحكُم ! هل سمعتم بأنّ الرجال كانوا يُقتّلون النساء ! ويْحكم ! تقتلون مــن لا يبسط إليكم يداً ، ولا يريدُ بكم ضَرًّا ، ولا يَملِك لنفسه نَفعاً ! أتقتلون من يُنشّأ فى الحِلْية وهو فى الخِصام غيرُ مُبِين ! فقال بعضُهم : اقتلُوها ، وقال رجل منهم : لو أنكم تركتموها ! فقال بعضُهم : أعجَبَك جمالُها يا عدوّ الله ! قد كفرت وافتتَنْت ، فانصرف الآخرُ عنهم وتركَهم ، فظننّا أنّه فارَقَهم ، وحملوا عليها فقتلوها ، فقالت رَيْطةُ بنتُ يزيدَ : سبحان الله ! أترَوْن اللهَ يَرضى بما تَصْنعون ! تَقتُلون النساء والصّبيان ومَن لم يُذنب إليكم ذَنْباً ! ثمّ انصرفتْ وحملوا عليها وبين يديها الرَّوّاع بنتُ إياس بن شُرَيح الهَمْدانىّ ، وهى ابنة أخيها لأمّها ، فحمَلوا عليها فضَربُوها على رأسِها بالسيف ، ويصيب ذُبابُ السيفِ رأسَ الرّوّاع فسقطتا جميعاً إلى الأرضَ ، وقاتلهم إياسُ بنُ شُرَيح ساعةً ، ثمّ صُرِع فوقع بين القَتلى ، فنَزَعوا عنه وهم يرَون أنّهم قد قَتَلوه ، وصُرِع منهم رجل من بكر ابنِ وائل يقال له : رَزِين بن المتوكّل .

فلمّا انصرَفوا عنهم لم يَمت غيرُ بُنَانة بنت أبى يزيد ، وأمّ ولد ربيعة ابن ناجد ، وأفاقَ سائرُهم ، فسقَى بعضُهم بعضاً من الماء ، وعصبوا جراحاتِهم ثم استأجرُوا دوابّ ، ثمّ أقبلوا نحوَ الكوفة .

قال أبو مِخْنَف : فحدّثتْنى الرّوّاع ابنةُ إياس ، قالت : ما رأيتُ

٧٥٦/٢

٧٥٧/٢

---

(١) س : «والحين» . (٢) ف : «ناحد» ، س: «ناجز» . (٣) ف : «أن غشوها» .

رجلاً قطّ كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنتُه ، فلمّا غُشِينا ألقاها إلينا وهرب عنها وعنّا[1] ولا رأينا رجلا قطُّ كانَ أكرم من رجل كان معنا، ما نعرفه ولا يعرفنا ، لمّا غُشِينا قاتَل دونَنا حتّى صُرِع بيننا، وهو رُزين بنُ المتوكّل البَكْرِىّ . وكان بعد ذلك يزورُنا ويُواصِلنا . ثمّ إنّه هلك فى إمارة الحَجّاج ، فكانت ورَثَتَه الأعرابُ ، وكان من العباد الصالحين .

قال هشام بنُ محمّد — وذكره عن أبى مِخنَف — قال : حدّثنى أبى ، عن عمّه أنّ مُصعَب بنَ الزّبير كان بعث أبا بكر بن مِخنَف على إسْتان العال ، فلمّا قَدِم الحارثُ بنُ أبى ربيعة أقصاه ، ثم أقرّه بعد ذلك على عَمَلِه السّنة الثانية ، فلمّا قَدِمت الخوارجُ المدائِنَ سرّحوا إليه عصابةً منهم ،عليها صالحُ بنُ مِخراق، فلقِيَه[2] بالكرخ فقاتَله ساعةً ، ثم تَنازَلوا فنَزَل أبو بكر ونَزَلت الخَوارج ، فقُتِل أبو بكر ويَسار مولاه وعبدُ الرّحمن بنُ أبى جِعال ، ورجل من قومِه ، وانْهزَم سائرُ أصحابِه ، فقال سُراقةُ بنُ مِرْداس البارقىّ فى بطنٍ مِنَ الأزْد :

ألا يا لقَومِى للهُمومِ الطَّوارِق	وللحَدَث الجائِى بإحدَى الصَّفائِق[3]
ومَقْتَل غِطْريفٍ كريمٍ نِجارُهُ	من المُقْدِمِين الذّائدِين الأَصادِقِ[4]
أتانى دُوَيْنَ الخَيْفِ قتلُ ابن مِخنَفٍ	وقد غَوَّرَتْ أُولى النُّجوم الخَوافِقِ
فقُلتُ : تَلَقّاكَ الإلهُ برحمةٍ	وصلَّى عليكَ اللهُ ربُّ المَشارِقِ
لحا اللهُ قوماً عَرَّدُوا عنكَ بُكرةً	ولم يَصبِرُوا لِلاّمِعاتِ البَوارِقِ
تولَّوْا فأَجْلَوْا بالضُّحَى عن زَعِيمِنا	وسَيِّدِنا فى المأْزِقِ المُتَضايِق
فأنت مَتى ما جِئتَنا فى بُيوتِنا	سمِعْتَ عَوِيلاً مِنْ عَوانٍ وعاتِقِ

٧٥٨/٢

(١) ف : « عنا وعنها » . (٢) ف : « فلقيهم » .
(٣) ديوانه ٥٣ — ٥٦ ، مع اختلاف فى الرواية .
(٤) ا : « المقدمين الباسلين » .

يُبَكِّينَ محمودَ الضَّريبة ماجدًا صَبورًا لدَى الهَيْجاءِ عندَ الحقائق

لقد أَصبَحتْ نفسِي لذاكَ حَزِينةً وشابتْ لِمَا حمّلتُ منه مفارِقي

قال أبو مِخنَف : فحدّثني حَدْرة بن عبد الله الأزْدىّ ، والنَّضر ابنُ صالح العَبْسىّ ، وفضيل بن خَدِيج ، كلهم أخبرنيه[1] أن الحارث بن أبي ربيعة [الملقب بالقُباع][2] أتاه أهلُ الكوفة ، فصاحوا إليه وقالوا له : اخرُج فإنّ هذا عدوّ لنا قد أظَلّ علينا[3] ليست له تقيّة ، فخرج وهو يكدّ كدًّا[4] حتّى نزل النُّخيلة ، فأقامَ بها أيامًا ، فوَثب إليه ٧٥٩/٢ إبراهيمُ بنُ الأشتر ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّه سار إلينا عدوّ ليست له تَقِيّة[5]، يقتل الرجل والمرأة والمولود ، ويُخيف السَّبيل ، ويُخرّب البلادَ ، فانهض بنا إليه ، فأمر بالرّحيل . فخرَج فنزل[6] دَير عبدِ الرحمن ، فأقام فيه حتّى دخل إليه شَبَث بن رِبْعيّ ، فكلّمه بنحو ممّا كلّمه به ابنُ الأشتر ، فارتحل ولم يكدّ ، فلمّا رأى الناسُ بُطْء سَيْره رَجزوا به فقالوا :

سَار بنا القُبَاعُ سَيْرًا نُكْرَا يَسِيرُ يوماً ويُقِيمُ شَهْرَا

فأشخصوه من ذلك المكان ، فكلّما نزل بهم منزلا أقامَ بهم حتّى يضجّ الناسُ به من ذلك ، ويَصيحوا به حولَ فُسْطاطه ، فلم يبلُغ الصَّراةَ إلّا فى بِضعةَ عشرَ يومًا ، فأتى الصّراةَ وقد انتهَى إليها طَلائعُ العَدُوّ وأوائلُ الخُيول ، فلما أتتْهم العيونُ بأنّه قد أتاهم جماعةُ أهلِ المِصر قَطَعوا الجِسْر بينهم وبينَ النّاس ، وأخذ الناسُ يرتَجزون :

إنَّ القُباعَ سارَ سَيْرًا مَلْسَا بينَ دَبِيرَى ودَبَاهَا خَمْسَا

قال أبو مِخنَف : وحدّثني يونسُ بنُ أبي إسحاق ، عن أبيه ، أنّ رجلاً من السَّبيع كان به لَمَم ، وكان بقرية يقال لها جَوْبَر[7] عند الخرّارة ، ٧٦٠/٢

---

(١) ف : « وأخبروا جميعاً ». (٢) من ف .
(٣) س : « أقبل الينا » ، ف : « أظلنا ». (٤) ف : « بكذا وكذا » .
(٥) ط : « بقية » . (٦) ف : « حتى نزل . (٧) س : « جوبن » .

وكان يُدعَى سِماكَ بنَ يزيد ، فأتت الخوارجُ قريتَه فأخذوه وأخذوا ابنتَه ، فقدّموا ابنتَه فقتلوها ، وزعم لى أبو الرّبيع السَّلوليّ أنّ اسم ابنته أمّ يزيد ، وأنّها كانت تقول لهم : يا أهلَ الإسلام ، إنّ أبى مُصاب فلا تقتُلوه ، وأمّا أنا فإنّما أنا جارية ، والله ما أتيتُ فاحشةً قطّ ، ولا آذيتُ جارة لى قطّ ، ولا تطلّعتُ ولا تشرّفتُ قطّ . فقدّموها ليقتلوها ، فأخذتْ تُنادى : ما ذَنْبى ما ذَنْبى ! ثمّ سقطتْ مَغشيًّا عليها أو ميّتة ، ثمّ قطّعوها بأسيافهم . قال أبو الرّبيع : حدّثتْنى بهذا الحديث ظِئرٌ لها نَصْرانيّةٌ من أهل الخَوَرْنَق كانت معها حين قُتلتْ .

قال أبو مخنَف : حدّثنى يونسُ بنُ أبى إسحاق ، عن أبيه ، أنّ الأزارقة جاءت بسِماكِ بن يزيد معهم حتّى أشرَفوا على الصَّراة . قال : فاستقبل عسكرَنا ، فرأى جماعة الناس وكثرتهم ، فأخذ ينادينا ويرفع صوتَه : اعبرُوا إليهم فإنّهم فَلٌّ خبيث ، فضربوا عند ذلك عُنقَه وصلبوه ونحن نَنظُر إليه . قال : فلمّا كان الليلُ عبرتُ إليه وأنا رجل من الحىّ . فأنزلْناه فدفَنّاه .

٧٦١/٢ قال أبو مخنف : حدّثنى أبى أنّ إبراهيمَ بنَ الأشتر قال للحارث بن أبى ربيعة : اندب معى الناسَ حتّى أعبر إلى هؤلاء الأكلُب ، فأجيئك برءوسهم الساعةَ ؛ فقال شَبَثُ بن رِبْعىّ وأسماءُ بنُ خارجة ويزيدُ ابن الحارث ومحمّد بن الحارث ومحمّد بن عُمَير : أصلحَ الله الأمير ! دَعْهم فليذهبوا ، لا تبدأهم ؛ قال : وكأنّهم حسَدوا إبراهيمَ ابنَ الأشتر .

قال أبو مخنَف : وحدّثنى حَصيرةُ بن عبد الله وأبو زهير العَبْسىّ أنّ الأزارقةَ لمّا انتهوا إلى جسر الصَّراة فرأوْا أنّ جماعة أهل المصر قد خرجوا إليهم ، قطعوا الجسرَ ، واغتنَم ذلك الحارث ، فتحبّس . ثم إنّه جلس للناس فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ أوّل القتال الرّميًا بالنّبل ، ثمّ إشراع الرّماح ، ثمّ الطعن بها شَزْرًا ؛ ثمّ السَّلّة آخر ذلك كلّه .

قال : فقام إليه رجل فقال ، قد أحسَن الأمير أصلَحه الله الصّفة، ولكنْ حتّام نَصْنع هذا وهذا البحر بينناوبين عدوّنا ! مُرْ بهذا الجِسْرِ فليُعَدْ (١) كما كان، ثم اعبُرْ بنا إليهم، فإنّ الله سيريك فيهم ما تُحبّه ، فأمر بالجسر فأعيدَ ، ثم عبر الناسُ إليهم فطاروا حتّى انتهَوْا إلى المَدائن ، وجاء المسلمون حتّى انتَهوْا إلى المدائن ، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلاً للمسلمين طَرْدًا ضَعيفًا عند الجِسْر . ثمّ إنّهم خرجوا منها فأتبعهم (٢) الحارثُ بنُ أبي رَبيعةَ عبدَ الرّحمن بنَ مِخنَف في ستّة آلاف ليُخرجهم من أرض الكوفة ، فإذا وقَعوا في أرضِ البصرة خلّاهم (٣) فأتبعهم حتّى إذا خرَجوا من أرضِ الكوفة ووقعوا إلى أصبهان انصرف (٤) عنهم ولم يقاتلهم ، ولم يكن بينه وبينهم قِتال ، ومضوا حتّى نزلوا بعتّاب بنِ ورْقاء بجَيّ ، فأقاموا عليه وحاصروه ، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يُطِقهم ، وشَدّوا على أصحابه حتّى دخلوا المدينة ، وكانت أصبهان يومئذ طُعْمةً لإسماعيل بن طَلحة من (٥) مُصعَب بن الزبير ، فبعث عليها عتّابًا ، فصَبَر لهم عتّاب ، وأخذ يخرج إليهم في كلّ يوم (٦) فيُقاتِلهم على بابِ المدينة ، ويرْمُون من السور بالنَّبْل والنشّاب والحجارة ، وكان مع عتّاب رجل من حَضْرَموْت يقال له أبو هُرَيرة بنُ شريح ، فكان يَخرُج مع عتّاب ، وكان شجاعًا ، فكان يَحمِل عليهم ويقول :

كيف تروْن ياكِلابَ النّارِ شَدَّ أبي هُرَيْرَةَ الهَرّارِ
يهِرُّكم بالليلِ والنهارِ يابن أبي الماحوزِ والأشرارِ
* كيف تُرَى جَيَّ على المِضْمارِ ! *

فلمّا طال ذلك على الخوارج من قوله كَمَن له رجل من الخوَارج يظنون أنّه عَبيدة بن هلال ، فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع ، ويقول كما كان يقول ، إذ حَمَل عليه عَبيدة بنُ هِلال فضرَبه بالسيف ضربةً على حبل عاتقه فصرعه ، وحمَل أصحابُه عليه فاحتملوه فأدخلوه

(١) ف : « فليعقد » . (٢) ف : « وأتبعهم » . (٣) ف : « جلاهم » .
(٤) ف : « فانصرف » . (٥) ا، ط : « بن » ، وانظر الفهرس. (٦) ط : « أيام » .

٢/٧٦٢ ٢/٧٦٣

وداوَوْه ، وأخذَت الأزارقةُ بعد ذلك تُناديهم يقولون[1] : يا أعداءَ الله ، ما فعَل أبو هُرَيرة الهرّار[2] ؟ فينادونهم : يا أعداء الله ، والله ما عليه من بأس ، ولم يَلبَث أبو هُرَيرة أن بَرِئَ ، ثمّ خرج عليهم بعدُ ، فأخذوا يقولون : يا عدوَّ الله ، أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزَرْناكَ أمّكَ ؛ فقال لهم : يا فسّاق ، ما ذكركم أمّي ! فأخذوا يقولون : إنه ليغضب لأمّه ، وهو آتيها عاجلا . فقال له أصحابُه : وَيْحك ! إنّما يعنُون النّارَ ، فَفطِن فقال : يا أعداء الله ، ما أعقّكم بأمّكم حين تنتفون منها ! إنّما تلك أمكم ، وإليها مَصيرُكم .
ثمّ إنّ الخوارجَ أقامت عليهم أشهرًا حتى هلك كُراعُهم ، ونفِدَت أطعمتُهم ، واشتدّ عليهم الحِصار ، وأصابهم الجَهْد الشديد ، فدعاهم عتّابُ بنُ ورقاء فحَمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد أيّها الناس ، فإنه قد أصابكم من الجَهْد ما قد تَرَون ، فوالله إن بقي إلا أن يموتَ أحدُكم على فِراشه فيجيءَ أخوه فيَدفِنه إن استطاع ؛ وبالحرَى أن يَضعُف عن ذلك ، ثمّ يموت هو فلا يجد من يَدفِنه ، ولا يصلّي عليه ، فاتّقوا الله ، فوالله ما أنتم بالقليل الّذين تهُون شوكتُهم على عدوّهم ، وإنّ فيكم لَفُرسانُ أهلِ المِصْر ، وإنّكم لصُلَحاءُ . من أنتم منه ! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القومِ وبكم حَياة وقُوّة قبلَ ألّا يستطيعَ رجلٌ منكم أن يمشي إلى عدوّه من الجَهْد ، وقبلَ ألّا يستطيعَ رجلٌ أن يمتنع من امرأة لو جاءتْه ، فقَاتلَ رجلٌ عن نفسه وصبر وصدق ، فوالله إنّي لأرجو إنْ صَدقتموه أن يُظفركم الله بهم ، وأن يُظهِركم عليهم . فناداه الناسُ من كل جانب : وُفِّقتَ وأصبتَ ، اخرُج بنا إليهم ، فجمع إليه الناس من الليل ، فأمرَ لهم بعَشاء كثير ، فعَشِيَ الناسُ عنده ؛ ثم إنّه خرج بهم حين أصبح على راياتهم ، فصبّحهم في عسكرهم[3] وهم آمِنون من أن يُؤتَوا في عسكرهم ، فشَدّوا عليهم في جانِبه ، فضاربوهم فأخلوا عن وجه العسكر حتّى انتَهوْا إلى الزّبير بن الماحوز ، فنزل في عِصابة من أصحابه فقاتَل حتّى قُتِل ، وانحازت الأزارقةُ إلى قَطَريّ ، فبايعوه ،

٧٦٤/٢

(١) ف : « ويقولون » . (٢) ف : « الفرار » .
(٣) ف : « وهم في عسكرهم » .

وجاء عَتَّاب حتَّى دخل مدينتَه، وقد أصاب مِن عسكرهم ماشاء ، وجاء قَطَرِىّ فى أثره كأنَّه يريد أن يقاتله ، فجاء حتى نزل فى عسكر الزّبير بن الماحُوز ، فتزعم الخوارجُ أنّ عيْنًا لقَطَرِىّ جاءه فقال : سمعتُ عتَّابًا يقول : إنّ هؤلاء القومَ إنْ رَكبوا بَنَاتِ شَحَّاج ، وقادُوا بَنَاتِ صهَّال ، ونزلوا اليومَ أرضًا وغدًا أخرى ، فبالحَرِىّ أن يبقوا ؛ فلمَّا بلغ ذلك قَطَرِيًّا خرج فذهب وخلَّاهم .

قال أبو مِخنَف : قال أبو زهير العبْسىّ وكان معهم : خرجْنا إلى قَطرىّ من الغد مُشاةً مُصْلَتين بالسيوف ؛ قال : فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم . قال: ثمّ ذهب قَطَرِىّ حتَّى أتى ناحيةَ كرْمان فأقام بها حتَّى اجتمعت إليه جموعٌ كثيرة ، وأكل الأرض واجتبى المال وقوِىَ ، ثم أقبَل حتَّى أخذ فى أرض أصبهان . ثم إنَّه خرج من شِعْب ناشِط إلى أيذَج ، فأقام بأرضِ الأهواز والحارث بن أبى ربيعة عامل المُصعَب بن الزبير على البصرة ، فكتب إلى مصعب يُخبره أنّ الخوارجَ قد تحدّرتْ إلى الأهْواز ، وأنَّه ليس لهم إلا المهلَّب ، فبعث إلى المهلَّب وهو على المَوْصِل والجزيرة . فأمرَه بقتال الخوارج والمَسير إليهم ، وبعث إلى عمَله إبراهيمَ بنَ الأشتَر ، وجاء المهلَّب حتَّى قَدِم البصرة ، وانتَخَب الناس، وسار بمن أحَبّ ، ثمّ توجَّه نحو الخَوارج ، وأقبَلوا إليه حتَّى التقَوا بسُولافَ ، فاقتتلوا بها ثمانيةَ أشهُر أشدّ قِتال رآه الناس ، لا يُنقع بعضهم لبعض من الطَّعن والضَّرب ما يَصُدُّ بعضهم عن بعض . ٧٦٥/٢

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة كان القَحْطُ الشديدُ بالشأم حتَّى لم يَقدِروا من شِدّته على الغَزْو .

وفيها عَسكر عبدُ الملك بنُ مروانَ ببُطنان حَبِيب من أرضِ قنَّسْرين ، فمُطِروا بها ، فكَثُر الوحل فسمَّوْها بُطْنان الطّين، وشَتَا بها عبدُ الملك ، ثمّ انصرَفَ منها إلى دِمَشق .

وفيها قتل عبيد الله بن الحرّ .

[ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحرّ]

* ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذى جرّ ذلك عليه :

رَوَى أحمدُ بنُ زهير ، عن عليّ بن محمّد ، عن عليّ بن مجاهد ، أنّ عُبيدَ الله بن الحرّ كان رجلاً من خيار قومه صَلاحًا وفضلاً ، وصلاةً واجتهادًا ، فلمّا قُتِل عثمانُ وهاجَ الهيْجُ بين عليّ ومعاوية ، قال : أما إن الله ليعلم أنى أحبّ عثمانَ ، ولأنصُرنّه ميّتًا . فخرج إلى الشأم ، فكان مع معاوية ، وخرج مالكُ بنُ مِسمَع إلى معاوية على مثل ذلك الرأى فى العثمانيّة ، ٢/٧٦٦ فأقام عُبيدُ الله عندَ معاوية ، وشهِد معه صِفّين ، ولم يزل معه حتّى قُتل علىّ عليه السلام ، فلمّا قُتِل علىّ قَدِم الكوفةَ فأتى إخوانَه ومن قد خفّ فى الفتْنة ، فقال لهم : يا هؤلاء ، ما أرَى أحدًا ينفعه اعتزالُه ، كنّا بالشأم ، فكان من أمرِ معاوية كَيْتَ وكَيْت . فقال له القوم : وكان من أمرِ علىّ كَيْت وكَيْت ، فقال : يا هؤلاء ، إنْ تُمكِنّنا الأشياء فاخلعوا عُذرَكم ، واملِكوا[1] أمركم ؛ قالوا : سنلتقِى ، فكانوا يلتقون على ذلك .

فلما مات معاوية هاج ذلك الهيْج فى فتنة ابن الزبير ، قال : ما أرى قريشًا تنصِف ، أين أبناءُ الحرَائر! فأتاه خَلِيعُ كلّ قبيلة ، فكان معه سبعمائة فارس ، فقالوا : مُرْنا بأمرك ، فلمّا هرَب عُبيدُ الله بنُ زياد وماتَ يزيدُ بنُ معاوية ، قال عُبيدُ الله بن الحرّ لِفِتْيانه : قد بيّن الصُبْحُ لِذِى عَيْنَيْن ، فإذا شئتم ! فخرج إلى المَدائن فلم يَدع مالاً قُدِّم من الجبَل للسّلطان إلّا أخذه ، فأخَذ منه عطاءَه وأعطية أصحابه ، ثم قال : إنّ لكم شركاءَ بالكوفة فى هذا المال قد استوجَبُوه ، ولكن تعجّلوا عطاءَ قابلٍ سَلَفًا ، ثم كتب لصاحبِ المال براءةً بما قبض من المال ، ثمّ جعل يتقصّى الكُوَر على مثل ذلك . قال : قلت : فهل كان يتناول أموال الناس والتّجار ؟ قال لى : إنّك لغيرُ عالِم بأبى الأشْرس[2] ، والله ما كان فى الأرض

(١) ف : « فاملكوا » . (٢) ف : « الأشوس » .

عَرَبِیٌّ أغْيَرَ عَنْ حُرَّة ولا أكفَّ عن قبيح وعن شَرَاب منه ، ولكن إنَّما وضعه عند الناس شعْرُه ، وهو من أشعر الفتيان[1] . فلم يَزَل على ذلك من الأمر حتَّى ظهر المُختار ، وبَلَغه[2] ما يَصنَع بالسَّواد ، فأمر[3] بامرأته أمّ سَلَمة الجُعْفيّة فحُبِست ، وقال : والله لأقتُلنّه أو لأقتلنّ أصحابه ، فلمَّا بلغ ذلك عُبيدَ الله بنَ الحُرّ أقبلَ فى فِتْيانه حتَّى دخل الكوفة لَيْلا ، فكَسَر بابَ السجن ، وأخرَج امرأتَه وكلَّ امرأة ورجلٍ كان فيه ، فبعث إليه المختار مَن يقاتله ، فقاتلهم حتَّى خرج من المصْر ، فقال حينَ أخرج امرأتَه من السجن :

أَلم تَعْلَمِي يا أُمَّ توبَةَ أَنَّنِي ... أَنَا الْفَارِسُ الحَامِي حَقَائقَ مَذْحِجِ
وأَنّى صَبَحتُ السِّجْنَ فى سوْرة الضُّحَى ... بكلِّ فَتًى حامى الذِّمار مُدَجَّجِ
فما إنْ بَرِحْنَ السجنَ حتى بدا لنا ... جَبِينٌ كقَرْنِ الشمس غَيْرُ مُشَنَّجِ
وخدٌّ أَسِيل عن فَتَاة حَيِيَّـة ... إلَينا سقاها كل دانٍ مُثَجَّجِ
فما العيش إلا أن أَزُورَكِ آمِنًا ... كعادتِنا من قبْل حَرْبِى ومُخْرَجِى
وما أَنْتِ إلا همَّةُ النفس والهوى ... علَيْكِ السلامُ من خليط مُسَحَّجِ
وما زلتُ مَحْبوساً لحبسكِ وَاجِماً ... وإنِّى بما تَلْقَيْن من بَعْدِهِ شَجِ
فبالله هَلْ أَبْصَرْتِ مِثلِىَ فارساً ... وقد وَلجُوا فى السجن من كُلِّ مَولِجِ !
ومثلى يُحامى دون مِثْلِكِ إنَّنى ... أَشُدُّ إذا ما غَمْرَة لم تفرَّجِ
أُضارِبهم بالسيف عَنْكِ لتَرجِعِى ... إلى الأَمن والعيشِ الرفيعِ المُخَرفَجِ
إذا ما أَحاطوا بِى كررتُ عليْهمُ ... ككَرِّ أَبى شِبْلين فى الخِيس مُحْرَجِ
دعوتُ إلىَّ الشاكرىَّ ابنَ كامـلٍ ... فوَلَّى حَثِيثاً رَكْضُهُ لم يُعَرِّجِ
وإن هتَفُوا باسمى عَطَفْتُ عَلَيْهمُ ... خُيُولَ كِرَامِ الضرب أَكثرُهَا الوَجِى
فلاَ غَرْوَ إلّا قولَ سَلْمَى ظَعينَتِى : ... أَما أَنْتَ يابن الحُرِّ بالمُتَحرِّجِ !

(١) ف : « القبيل » . (٢) ف : « فبلغ المختار » . (٣) س : « أمر » .

دَعِ القَوْمَ لا تَقْتُلْهُمُ وانجُ سالماً وشَمِّرْ هَدَاكَ اللهُ بالخَيل فاخْرُجِ
وإنى لأرجُو يــابنة الخَيرِ أن أرَى على خير أحْوَال المُؤمِّلِ فارتجى
٧٦٩/٢ ألا حبَّذا قولى لأحْمَر طَيِّئٍ ولابن خُبَيْب قد دنا الصبْحُ فادلج
وقولى لهذا سِرْ وقَولى لذا ارتحِلْ وقولى لذا من بعد ذلك أسرج

وجعل يعبث بعُمّالِ المختارِ وأصحابه ، ووثبتْ هَمْدان مع المختار فأحرقوا دارَه ، وانتهبوا ضيْعته بالجُبَّة والبُداة ، فلما بلغه ذلك سار إلى مَاه إلى ضياع عبدِ الرحمن بنِ سعيدِ بنِ قيس ، فأنهبها وأنهب ما كان لهمْدانَ بها ، ثمّ أقبل إلى السَّواد فلم يدع مالا لهَمْدانىّ إلا أخذَه ، ففى ذلك يقول :

وما ترَكَ الكذّابُ مِنْ جُلِّ مالِنَا ولا الزرقُ من همدَانَ غيْرَ شريدِ
أفى الحَق أن تَنْهبْ ضياعِىَ شاكرٌ[1] وتأْمنَ عندى ضَيْعَة ابنِ سَعيدِ !
ألم تَعْلَمى يا أمَّ توبَةَ أنَّنِى على حدثان الدهر غَيْرُ بَليدِ
أشُدُّ حيازِيمى لكلِّ كريهَةٍ وإنى على ما ناب جدُّ جَليــدِ
فإن لم أُصَبِّحْ شاكرًا بكتيبَةٍ فعالجتُ بالكفَّين غُلَّ حَديدِ
هُمُ هدموا دارى وقادوا حليلَتى إلى سِجْنِهِمْ والمسلمون شهُودى
٧٧٠/٢ وهم أعجلوها أن تَشُدَّ خمارَها فياعَجباً هلِ الزمان مقيدى !
فما أنا بابن الحُرِّ إن لم أرُعْهُمُ بخَيلٍ تعادَى بالكماةِ أُسودِ
وما جَبُنَتْ خيلى ولكن حَملتُها على جَحْفلٍ ذى عُدّة وعَدِيدِ

وهى طويلة . قال : وكان يأتى المَدائنَ فيمرّ بعمّال جُوخَى فيأخذ ما معهم من الأمْوال ، ثمّ يميل إلى الجبَل ، فلم يزَل على ذلك حتّى قُتِل المختار ، فلما قُتِل المختار قال الناس لمصعب فى ولايته الثانية : إن ابن الحُرّ شاقّ ابنَ زياد والمختار ، ولا نأمَنُه أن يثب بالسواد كما كان يفعل ، فحبسه مُصعَب فقال ابن الحُرّ :

---

(١) فى الأخبار الطوال ٢٩٧ : « أفى الحق أن يجتاح مالى كله » .

من مُبلغُ الفِتْيَانِ أَنَّ أَخاهُمُ ... أَتَى دونَهُ بابٌ شَديدٌ وحاجِبُهْ
بمَنْزِلة ما كان يرْضى بمثلِهَا ... إذا قام عنَّته كبولٌ تجَاوبُهْ
على الساق فوق الكعب أَسْوَدُ صامتٌ ... شديدٌ يُداني خَطْوَهُ ويُقَارِبُهْ
وما كان ذا من عُظم جُرْمٍ جَنيْتُهُ ... ولكن سَعى الساعي بما هُوَ كاذِبُهْ
وقد كان في الأَرض العريضَةِ مسلكٌ ... وأَيُّ امرئٍ ضاقَتْ عليه مذاهِبُهْ! ٧٧١/٢
وفي الدهر والأَيَّام للمْرءِ عِبْرَةٌ ... وفيما مضى إن ناب يَوْماً نوائبُهْ

فكلَّم عُبيدُ الله قوماً من مَذحجَ أن يأتوا مُصعباً في أمرِه ، وأرسل إلى وجوههم ، فقال : ائتوا مصعباً فكلِّموه في أمري ذاته ، فإنَّه حبَسَني على غير جُرْم ، سعى بي قوم كذَبة وخوَّفوه ما لم أكن لأفعلَه ، وما لم يكن من شأني . وأرسل إلى فِتيان من مَذْحج وقال : البَسوا السلاح ، وخُذُوا عدَّة القتال ، فقد أرسلتُ قوماً إلى مُصعب يكلمونه في أمري ، فأقيموا بالباب ، فإن خرج القومُ وقد شفَّعهم فلا تَعرِضوا لأحد ، وليَكُنْ سلاحُكم مكفَّراً بالثياب ، فجاء قوم[1] من مَذحِج فدخلوا على مُصعب فكلموه ، فشفَّعهم ، فأطلقَه . وكان ابنُ الحُرّ قال لأصحابه : إن خرجوا ولم يشفّعهم فكابروا السجن فإني أعينكم من داخل ، فلما خرج ابنُ الحُرّ قال لهم : أظهِروا السلاح ، فأظهَروه ، ومضى لم يَعرِض له أحد ، فأتَى منزلَه ، وندم مصعب على إخراجه ، فأظهر ابنُ الحُرّ الخلافَ ، وأتاه الناسُ يهنِّئونه ، فقال : هذا الأمر لا يصلح إلا لِمثل خُلفائكم الماضين ، وما نَرَى لهم فينا نِدًّا ولا شَبيهاً فنُلقِي إليه أزمَّتنا ، ونمحِّضه نصيحتنا ، فإن كان إنَّما هو مَنْ عزَّ بزَّ ، فعلامَ : نَعقد لهم في أعناقنا بَيعةً ، وليسوا بأشجعَ منَّا لقاءً ، ولا أعظمَ منَّا غناء[2] ! وقد عَهِد إلينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : ألّا طاعةَ لمخلوق في معصيةِ الخالق ، وما رأيْنَا بعدَ الأربعةِ الماضين إماماً ٧٧٢/٢ صالحاً ، ولا وزيراً تقيًّا ، كلهم عاصٍ مخالِف ، قويّ الدنيا ، ضعيفُ

---

(١) ف : « فجاءوا » .
(٢) كذا في ا ، وفي ط « غنى » .

الآخرة ، فعلام تُستحلّ حرمتنا ، ونحن أصحاب النُّخيلة والقادسيَّة وجلولاء ونهاوند! نلقَى الأسنَّة بنُحورنا والسيوفَ بجباهنا ، ثم لا يعرف لنا حقّنا وفضلنا ؛ فقاتلوا عن حريمكم ، فأىّ الأمرِ ما كان فلكُم فيه الفضل ، وإنى قد قلبت ظهر المِجَنّ ، وأظهرتُ لهم العداوة ، ولا قُوّة إلاّ بالله . وحاربهم فأغار فأرسل إليه مصعبٌ سيفَ بن هانئ المُراديّ ، فقال له : إنّ مصعباً يُعطيك خراج بادوريا على أن تُبايع وتدخل فى طاعته ؛ قال : أوَليسَ لى خَراجُ بادوريا وغيرها ! لست قابلاً شيئاً ، ولا آمَنُهم على شىء ، ولكنى أراك يا فتى — وسيفٌ يومئذ حدَثٌ — حَدَثاً ، فهل لك أن تَتْبَعَنى وأموّلك ! فأبى عليه ، فقال ابن الحُرّ حين خرج من الحَبْس :

لا كُوفَةٌ أُمِّى ولا بَصْرَةٌ أَبِى ولا أنَا يَثْنِينِى عن الرحْلَة الكَسَلْ

— قال أبو الحسن : يُروَى هذا البيتُ لسُحَيْم بن وثيل الرِّياحىّ —

فلا تحْسَبَنِّى ابنَ الزُّبَيْرِ كَناعِسٍ إذا حَلَّ أَغْفَى أو يقال لَهُ ارْتحِلْ

فإنْ لم أُزِرْك الخَيلَ تَردِى عوابِساً بفُرْسانِها لا أُدْعَ بالحازِمِ البَطَلْ

٧٧٣/٢ وإن لم تَرَ الغارَاتِ مِنْ كُلِّ جانبٍ عليك فَتَنْدَمْ عاجلاً أيُّها الرّجلْ

فلا وضعَتْ عندى حصَانٌ قنَاعهَا ولا عِشْتُ إلاّ بالأَمانىِّ والعِلَلْ

وهى طويلة .

فبعث إليه مُصعَب الأبردَ بن قرة الرياحىّ فى نفر ، فقاتله فهزَمَه ابنُ الحُرّ ، وضَرَبه ضربةً على وجهه ، فبعث إليه مصعبٌ حُرَيْثَ ابنَ زَيْد — أو يزيد — فبارَزَه ، فقتَلَه عُبيدُ الله بنُ الحُرّ ، فبعث إليه مصعب الحجّاج بن جارية[1] الخثعمىّ ومُسلم بن عَمرو ، فلقياه بنهر صرْصر ، فقاتلهم فهزَمَهم ، فأرسل إليه مصعب قوماً يدعونه إلى أن يؤمّنه ويصله ، ويولّيه أىّ بلد شاء ، فلَم يقبَل ، وأتى نَرْسَى ففرّ دِهْقانُها ظيزجشنَس بمال الفَلُّوجة ، فتبعه ابنُ الحُرّ حتّى مرّ بعَين التّمر وعليها بِسْطام بنُ مَصقَلَة بن هُبيرة الشَّيبانىّ ، فتعوّذ بهم الدّهقان ، فخرجوا إليه فقاتلُوه — وكانت خيلُ بِسطام خمْسين ومائةَ فارس — فقال يونس بن

---

(١) ط : « حارثة » وانظر الفهرس .

هاعان الهَمْدانىّ من خَيْوان، ودعاه ابنُ الحُرّ إلى المُبارَزة : شَرٌّ دهر آخره، ما كنتُ أحسبنى أعيش حتى يدعونى إنسانٌ إلى المُبارزة ! فبارزَه فضربَه ابنُ الحُرّ ضربةً أثخنته ، ثم اعتنقا فخرَّا جميعاً عن فرسيْهما ، وأخذ ابنُ الحرّ عمامةَ يونسَ وكتّفه بها ثم ركب ، ووافاهم الحجّاج بن حارثة الخَثْعَمىّ ، فحَمَل عليه الحجّاج فأسره أيضاً عُبيد الله[1] ، وبارز بِسطام بن مصقلة المجشّرَ ، فاضطربا حتّى كره كلٌّ واحد منهما صاحبَه ، وعلاه بِسطام ، فلمّا رأى ذلك ابن الحُرّ حَمَل على بِسْطام واعتنقه بسطامٌ ، فسقَطا إلى الأرض ، وسقَط ابنُ الحرّ على صدر بِسطام فأسره ، وأسر يومئذ ناساً كثيراً ، فكان الرجل يقول : أنا صاحبُك يوم كذا ، ويقول الآخر : أنا نازلٌ فيكم ، ويَمُتّ كلّ واحد منهم بما يرَى أنّه ينفعه ، فيخلّى سبيله ، وبعثَ فوارسَ من أصحابه عليهم دَلْهَمٌ المُرادىّ يَطلُبون الدّهقان ، فأصابوه ، فأخذوا المالَ قبلَ القتال ، فقال ابنُ الحُرّ :

٧٧٤/٢

لوْ أنَّ لى مِثلَ جَريرٍ أرْبَعَهْ ... صبحْتُ بَيْتَ المالِ حتى أجْمَعَهْ

ولم يُهلنى مُصْعبٌ ومنْ مَعَهْ ... نِعْمَ الفَتَى ذٰلكُمُ ابن مَشْجَعَهْ

ثم إن عُبيدَ الله أتى تكْريتَ ، فهرَب عاملُ المهلّب عن تكريتَ ، فأقام عُبيد الله يجبى الخراج ، فوجّه إليه مصعبٌ الأبردَ بن قرّة الرّياحىّ والجوْن بنَ كَعْب الهَمْدانىّ فى ألف ، وأمدّهُما المهلّب بيزيد بن المغفّل فى خمسمائة ، فقال رجلٌ من جُعْفىّ لعبيد الله : قد أتاكَ عددٌ كثير ، فلا تُقاتلْهم ، فقال :

يَخَوِّفُنى بالقتْل قومِى وإنّما ... أمُوتُ إذا جاءَ الكتابُ المؤَجّلُ

لَعلَّ القنا تُدْنى بأطرافِها الغِنَى ... فنحْيَا كِرَاماً أو نَكُرُّ فنقْتَلُ

فقال للمجشّر ودَفَع إليه رايتَه ، وقدّم معه دَلْهَماً المرادىّ ، فقاتلهم يومين وهو فى ثلثمائة ، فخرج جَرير بن كُريب ، وقُتِل عَمرو بن جُندَب الأزدىّ وفُرسان كثير من فُرْسانه ، وتحاجزوا عندَ المساء ،

٧٧٥/٢

(١) بعدها فى ف : « ابن الحر » .

وخرج عُبيدُ الله من تكريتَ فقال لأصحابه: إنى سائرٌ بكم إلى عبد الملك ابن مَرْوان ، فتهيَّئوا ، وقال : إنى أخاف[1] أن أفارقَ الحياةَ ولم أذعرْ مُصعبًا وأصحابه، فارجعوا بنا إلى الكوفة. قال : فسار إلى كسكَر فنفى عاملها، وأخذ بيت ما لها ، ثمّ أتى الكوفة فنزل لحَّام جرير ، فبعث إليه مُصعبٌ عمرَ بن عُبيد الله بن معمر ، فقاتَله ، فخرَج إلى ديْر الأعور ، فبعث إليه مُصعَبٌ حجَّار بن أبجر ، فانهزم حجَّار ، فشتَمه مصعبٌ وردّه ، وضمَّ إليه الجوْن بن كعب الهَمْدانىّ وعمر بن عُبيد الله بن مَعمر ، فقاتلُوه بأجمعهم ، وكثرت الجراحات فى أصحاب ابن الحُرّ وعُقِرتْ خيُولهم ، وجُرِح المجشِّر، وكان معه لواءُ ابن الحُرّ، فدَفَعه إلى أحْمَر طيّئ، فانهزَم حجَّار بن أبجر ثم كرّ ، فاقتتلوا قِتالاً شديدًا حتَّى أمسَوْا ، فقال ابنُ الحُرّ :

لو أنَّ لِى مِثلَ الفتى المُجَشِّرِ ثلاثةً بَيْتُهُمْ لَا أمترِى
ساعَدنى لَيْلةَ دَيْر الأعوَرِ بالطَّعن والضَّربِ وعندَ المَعبَرِ
لَطاحَ فيها عُمر بنُ مَعمــر

وخرج ابنُ الحُرّ من الكوفة ، فكتَب مصعبٌ إلى يزيدَ بن الحارث بن رُوَيم الشَّيْبانىّ — وهو بالمَدائن — يأمره بقتال ابن الحُرّ ، فقدّم ابنه حَوْشبًا فلَقيَه بباجِسْرى ، فهزَمه عُبيدُ الله وقُتِل فيهم ، وأقبل ابنُ الحُرّ فدخل المَدائن، فتحصّنوا ، فخرج عبيدُ الله فوجَّه إليه الجون بن كَعْب الهَمْدانىّ وبِشْر بن عبد الله الأسدىّ ، فنزل الجون حَوْلايَا ، وقَدم بِشر إلى تامَرّا فلقِيَ ابنَ الحُرّ، فقَتَله ابنُ الحُرّ، وهزم أصحابه، ثمّ لَقِى الجون بن كعب بحَوْلايا ، فخرج إليه عبدُ الرحمن بنُ عبد الله ، فحمَل عليه ابنُ الحُرّ فطعَنه فقتَله وهزم أصحابه ، وتَبِعهم ، فخرج إليه بشير بنُ عبد الرّحمن بن بشير العِجْلىّ ، فالتَقوا بسُورا فاقتتلوا قتالا شديدًا ، فانحاز بشيرعنه ، فرجع إلى عمله ، وقال: قد هزمتُ ابنَ الحُرّ ،

٧٧٦/٢

(١) ف : «خائف» .

فبلغ قولُه مُصعبًا ، فقال : هذا من الذين يُحبّون أن يُحمَدُوا بما لم يَفعلوا . وأقامَ عُبيد الله فى السَّواد[١] يُغير ويجبى الخراج، فقال ابنُ الحُرّ فى ذلك :

سلُوا ابن رُوَيم عن جِلادى وموقفى ... بإيوانِ كسرى لا أُوليهمُ ظَهرى
أكُرُّ عليهمْ مُعْلِمـاً وترَاهُمُ ... كمِعْزَى تحنّى خَشيةَ الذئب بالصَّخرِ
وبيَّتُّهُمْ فى حِصنِ كِسرى بن هُرْمُزٍ ... بمشحوذةٍ بِيضٍ وخَطِّيَّةٍ سُمْر
فأجزيتُهُم طعناً وضرباً تراهُمُ ... يَلوذُون منا مَوْهِناً بذُرَا القَصْر[٢]
يَلُوذون مِنّى رَهبةً ومَخـافةً ... لواذًا كما لاذ الحمائمُ من صَقرِ

٧٧٧/٢

ثم إنّ عُبيدَ الله بن الحُرّ — فيما ذكر — لحق بعبد المَلِك بن مرْوان، فلمَّا صار إليه وجّهه فى عشرة نفر نحوَ الكُوفة ، وأمره بالمسير نحوَها حتّى تلحقه الجنودُ ، فسار بهم ، فلمَّا بلغ الأنبار وجّه إلى الكوفة من يُخبِر أصحابَه بقدومه ، ويَسألهم أن يخرجوا إليه ، فبلغ ذلك القيسيَّة ، فأتَوا الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة عامل ابن الزّبير على الكُوفة ، فسألوه أن يبعث معهم جيشًا ، فوجّه معهم، فلمَّا لقُوا عُبيد الله قاتلَهم ساعة، ثم غرِقَت فرسُه ،وركب معبرًا فوَثب عليه رجلٌ من الأنباط فأخذ بعَضُدَيه وضربَه الباقون بالمرَادِىّ ، وصاحوا : إنّ هذا طلبةُ أمير المؤمنين ، فاعتَنَقا فغرِقا ، ثمّ استخرَجوه فجزّوا رأسَه ، فبَعَثوا به إلى الكُوفة ثمّ إلى البَصْرة .

قال أبو جعفر : وقد قيل فى مقتله غيرُ ذلك من القول ؛ قيل : كان سببُ مقتَل عُبيد الله بن الحُرّ أنّه كان يغشَى بالكوفة مُصعبًا ، فرآه يُقدّم عليه أهلَ البصرة، فكتب إلى عبد الله بنِ الزّبير — فيما ذُكر — قصيدةً يعاتِب بها مُصعبًا ويخوّفُه مَسيرَه إلى عبدِ الملك بنِ مَروان ، يقول فيها :

---

(١) ف : « بالسواد » .
(٢) ف : « يلوذون منا يومنا » .

أَبْلِغْ أميرَ المومنينَ رِسالةً ... فلَسْتُ على رأيٍ قبيحٍ أُوارِبُهْ

٧٧٨/٢ أفى الحقِّ أن أُجْفَى ويَجعَل مُصْعَبٌ ... وَزِيرَيْهِ مَن قد كنتُ فيه أحارِبُهْ!

فكيفَ وقدْ أبليتُكم حقَّ بيْعتى ... وحقِّىَ يُلْوى عندكُم وأُطالِبُهْ

وأبليتُكُمْ مَالاً يُضَيِّعُ مِثْلَهُ ... وآسيْتُكم والأَمرُ صَعْبٌ مَراتِبُهْ

فلمّا ٱستنار الملكُ وٱنقادَتِ العِدَا ... وأُدْرِكَ مِن مال العراقِ رغائبُهْ

جَفا مُصعَبٌ عنّى ولو كان غيرَهُ ... لأَصبَــحَ فيما بيننا لا أُعاتِبُهْ

لقد رابَنى من مُصعب أنَّ مُصْعَبًا ... أرَى كُلَّ ذِى غِشٍّ لنا هو صاحبُه

وما أنا إنْ حَلَّأْتمُونى بِــوارِدٍ ... على كَدرٍ قد غُصَّ بالصَّفْو شاربُهْ

وما لِامرِئٍ إلّا الّذى الله سائقٌ ... إليه وما قد خَطَّ فى الزُّبْر كاتِبُهْ

إذا قمتُ عند الباب أدْخِلَ مُسْلِمٌ ... ويمنَعُنى أن أدخُلَ البابَ حاجِبُهْ

وهى طويلة .

وقال لمُصعَب وهو فى حَبْسه، وكان قد حُبس معه عطيّة بنُ عَمرو البَكْرىّ ، فخرج عطيّة ، فقال عُبيد الله :

أقولُ له صبرًا عَطِىُّ فإنّمــا ... هو السجن حتّى يَجعلَ اللهُ مَخْرجا

٧٧٩/٢ أرَى الدّهرَ لى يوْمين يوماً مطرَّدًا ... شَرِيدًا ويوماً فى المُلوك مُتَوَّجَا

أتَطْعَنُ فى دِينى غَدَاةَ أَتَيتُكمْ ... ولِلدّين تُدْنى الباهلىَّ وحَشْرَجَا !

أَلَمْ تر أنَّ الملكَ قد شِينَ وَجهُهُ ... ونَبْعُ بلادِ الله قدصارَ عَوْسَجَا !

وهى طويلة .

وقال أيضًا يُعاتب مُصعبًا فى ذلك ، ويَذكُر له تقريبَه سُويد ابن مَنْجوف ، وكان سُوَيد خفيفَ اللحية :

بأَىّ بلاءٍ أَمْ بأَيَةِ نعمة ... تَقَدّمُ قَبْلى مُسلمٌ والمهلَّبُ

ويُدعَى ابن منْجوف إمامِى كأنه خصىٌّ أتى للماءِ والعَيْر يَسرُبُ
وشيخُ تَميمٍ كالثَّغَامةِ رأسُهُ وعَيْلان عنَّا خائفٌ مُترقّبُ
جَعلتُ قُصور الأَزْدِ ما بينَ منبِجٍ إلى الغافِ من وادِى عُمانَ تصوّبُ
بلادٌ نَفَى عنها العدوَّ سُيوفنا وصُفرةُ عنها نازحُ الدّار أَجْنبُ

وقال قصيدةً يهجو فيها قيس عَيْلان ، يقول فيها :

أنا ابنُ بنى قَيْس فإنْ كنتَ سائلا بقيسٍ تَجِدْهُم ذروةً فى القبائلِ ٧٨٠/٢
أَلم تَر قيساً قيس عَيلان بَرقَعَتْ لِحاها وباعتْ نَبْلَها بالمغَازِل !
وما زِلتُ أَرجو الأَزدَ حتَّى رأَيتُها تُقَصِّرُ عن بُنْيانِها المتطاولِ

فكتب زُفَر بنُ الحارث إلى مُصعَب : قد كَفَيتك قتال ابن الزّرقاء وابن الحُرّ يهجو قيساً . ثمّ إنّ نَفَراً من بنى سُلَيم أخذوا ابنَ الحُرّ فأسرَوه ، فقال : إنى إنّما قلت :

أَلم تر قَيْساً قيسَ عَيلانَ أَقبلتْ إلينا وسارتْ بالقَنا والقنابلِ

فقتله رجلٌ منهم يقال له عيّاش فقال زُفَر بن الحارث :

لما رأَيتُ الناسَ أَولاد عَلَّةٍ وأَغرق فينا نَزْغةً كُلُّ قائلِ
تكلَّمَ عنَّا مَشْيُنا بسُيوفِنا إلى الموتِ وَاستِنْشاطَ حَبْل المَراكِلِ
فلو يَسأَلُ ابنُ الحرّ أُخبِرَ أَنَّها بمــانيَة لا تُشتَرَى بالمغَازِل
وأُخبِرَ أَنَّا ذَاتُ عِلمٍ سُيوفُنا بأَعناقِ ما بينَ الطُّلَى والكواهِلِ

وقال عبدُ الله بنُ همّام : ٧٨١/٢

تَرنَّمْتَ يا بنَ الحُرِّ وحدَكَ خالِيًا بقولِ امرئٍ نَشوانَ أَو قولِ ساقِطِ
أَتذكُرُ قوماً أَوجَعَتْك رِماحُهُمْ وذَبُّوا عَنِ الأَحسابِ عندَ المآقِطِ
وتَبكى لِما لاقَت ربيعةُ منهمُ وما أَنتَ فى أَحسابِ بكرٍ بواسطِ !
فهلّا بِجُعْفىٍّ طَلَبْتَ ذُحُولَها ورهْطك دُنْيا فى السّنينِ الفَوارِطِ !
تَركناهُمُ يومَ الثّرىّ أَذلَّةً يلوذُون من أَسيافِنا بالعَرافِطِ

وخالَطكم يوم النُّخَيْل بجَمْعِه عُمَيرٌ فما استَبشَرتمُ بالمُخالِطِ
ويوم شراحيلٍ جَدعْنا أنوفَكُمْ وليس علينا يومَ ذاكَ بقاسط
ضَرَبنا بحدِّ السَّيْف مفرِق رأسِه وكان حديثاً عهْدُهُ بالمَواشِط
فإن رغمتْ من ذاك آنُفُ مَذحِجٍ فرغمًا وسخْطاً للأُنوف السَّواخِطِ

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة وافَت عرَفات أربعةُ ألويَة ، قال محمَّد بن عُمر: حدّثنى شُرَحبيل بنُ أبى عَوْن، عن أبيه، قال : وقفتُ فى سنة ثمان وستين بعرَفات أربعةُ ألوية : ابنُ الحنفيَّة فى أصحابه فى لواء قام عند جبل المُشاة ، وابنُ الزّبير فى لواء ، فقام مَقامَ الإمام اليومَ ، ثمّ تقدّمَ ابنُ الحنفيَّة بأصحابه حتّى وقفوا حذاءَ ابن الزبير ،ونجدةُ الحَروريّ خلفَهما ، ولواءُ بنى أميَّة عن يسارهما ، فكان أوّل لواء انفضّ لواءُ محمَّد ابن الحنفيَّة ، ثم تبعه نَجدة ، ثمّ لواء بنى أميَّة ، ثمّ لواءُ ابن الزّبير ، واتَّبعه الناس . ٧٨٢/٢

قال محمد : حدّثنى ابن نافع ، عن أبيه ، قال : كان ابنُ عمرَ لم يدفع تلك العشيَّة إلّا بدَفعة ابنِ الزّبير ، فلمَّا أبطأ ابنُ الزّبير وقد مضى ابنُ الحنفيَّة ونَجدةُ وبنو أميَّة — قال ابن عمر : ينتظر ابنُ الزبير أمر الجاهلية — ثمّ دَفَع ، فدَفَع ابنُ الزّبير على أثره .

قال محمَّد : حدّثنى هشامُ بنُ عُمارة ، عن سعيد بنِ محمَّد بن جُبَير ، عن أبيه، قال: خفتُ الفتنَة ، فمشيت إليهم جميعًا ، فجئت محمَّدَ بن عليّ فى الشِّعْب ، فقلتُ : يا أبا القاسم ، اتّق الله فإنّا فى مَشعرَ حرَام ، وبلد حرام ، والناس وفدُ الله إلى هذا البيت ، فلا تُفسد عليهم حَجَّهم ؛ فقال : والله ما أريد ذلك ، وما أحول بين أحد وبين هذا البيت ، ولا يُؤتَى أحدٌ من الحاجّ من قِبَلى ، ولكنى رجلٌ أدفَع عن نفسى من ابن الزبير ؛ وما يروم منّى ، وما أطلب هذا الأمر إلا ألّا يختلف علىّ فيه اثنان ! ولكن ائتِ ابنَ الزبير فكلّمه ، وعليك بنَجْدة ، قال

محمَّد: فجئتُ ابنَ الزبير فكلَّمته بنحو ما كلَّمتُ به ابن الحنفيَّة ، فقال : أنا رجل قد اجتمع علىّ الناسُ وبايَعونى ، وهؤلاء أهلُ خلاف ، فقلت : أرَى خيرًا[1] لك الكَفَّ ؛ قال[1] : أفعَل ، ثمّ جئتُ نَجدةَ الحَرورىّ فأجدُه فى أصحابه ، وأجدُ عكرمةَ غلامَ ابنَ عبَّاس عندَه ، فقلت له : استأذِن لى على صاحبك ؛ قال : فدخل ، فلم ينشَب أن أذِن لى ، فدخلتُ فعظّمتُ عليه ، وكلّمته كما كلَّمت الرّجلين ، فقال : أمَّا أن ابتدئ أحدًا بقتال فلا ، ولكنْ مَن بدأ بقتال قاتلتُه ؛ قلتُ : فإنى رأيتُ الرّجلين لا يُريدان قتالَك ، ثمّ جئتُ شيعَةَ بنى أميَّة فكلَّمتهم بنحو ما كلَّمت به القوم ، فقالوا : نحن على ألا نُقاتلَ أحدًا إلّا أن يقاتلَنا ، فلم أرَ فى تلك الألوية قومًا أسكَنَ[2] ولا أسلَمَ دفعةً من ابن الحنفيَّة . ٧٨٣/٢

قال أبو جعفر : وكان العاملُ لابن الزّبير فى هذه السنة على المَدينة جابرُ ابنُ الأسوَد بن عوف الزّهرىّ ، وعلَى البَصرة والكوفة أخوه مُصعَب ، وعلى قضاءِ البَصْرة هشامُ بنُ هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بنُ عتبة بن مسعود ، وعلى خُراسانَ عبدُ الله بن خازم السُّلَمىّ ، وبالشأم عبدُ الملك ابنُ مَرْوان .

---

(١) ف : « الكف خير لك ، فقال » . (٢) ا : « أمكن » .

ثم دخلت سنة تسع وستّين

[ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو]

ففيها كان خروجُ عبد الملك بنِ مرْوان – فيما زَعَم الواقديّ – إلى عينِ ورْدة ، واستَخلف عمرَو بنَ سعيد بنِ العاص على دِمَشق فتحصّن بها ، فبَلَغ ذلك عبدَ الملك ، فرجع إلى دِمَشق، فحاصره – قال : ويقال: خرج معه – فلمّا كان ببُطْنانِ حَبيب ، رجع إلى دِمَشق فتحصّن فيها ، ورجع عبدُ الملك إلى دِمَشق .

وأمّا عَوانة بن الحكَم فإنّه قال – فيما ذكَر هشام بن مُحمّد عنه: – إنّ عبدَ الملك بن مرْوان لمّا رجع من بُطْنَان حبيبٍ إلى دِمَشق مكَث بدِمَشق ما شاء الله ، ثمّ سار يريد قَرقِيسياءَ ، وفيها زُفَر بنُ الحارث الكلابيّ ومعه عَمرُو بنُ سعيد ، حتّى إذا كان ببُطنانِ حَبيب فتَك عَمرُو بنُ سعيد ، فرجع لَيْلا ومعه حُمَيد بن حُرَيث بن بَحْدل الكلبيّ وزُهَير بن الأبرد الكلبيّ ، حتّى أتى دِمَشقَ وعليها عبدُ الرّحمن ابن أمّ الحكَم الثّقَفيّ قد استَخلَفه عبدُ الملك، فلمّا بلغه رجوعُ عَمرو ابن سعيد هرَب وترَك عملَه ، ودخلَها عمرو فغلَب عليها وعلى خزائنها .

* * *

وقال غيرُهما: كانت هذه القصّة في سنة سبعين . وقال : كان[1] مسير عبدِ المَلك من دِمَشقَ نحوَ العراق يريد مُصعَب بنَ الزّبير ، فقال له عمرو بنُ سعيد بن العاص : إنّك تَخرُج إلى العراق، وقد كان أبوك وعَدَني هذا الأمرَ من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يَخفَ عليك، فاجعل لي هذا الأمر من بعدِك، فلم يُجبه عبدُ الملك إلى شيء ، فانصرف عنه عمرو راجعًا إلى دِمَشقَ ، فرجع عبدُ الملك في أثَره حتّى انتهى إلى دمَشق .

(١) ا : «وكان» .

رجع الحديث إلى حديثِ هشام ، عن عوانة ، قال : ولمّا غلب عمرو على دِمَشق طلب عبدَ الرحمن بنَ أمّ الحكَم فلم يُصبه ، فأمر بداره فهُدِمت واجتمع الناسُ ، وصعِدَ المنبرَ فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ، ثم قال :

أيها الناس، إنّه لم يقُم أحد من قريش قبلي على هذا المِنبَر إلّا زعم أنّ له جنةً ونارًا ، يُدخِل الجنّة من أطاعه ، والنارَ من عصاه ، وإنى أخبِركم أنّ الجنة والنارَ بيَدِ الله ، وأنّه ليس إلىّ من ذلك شىءٌ ، غيرَ أن لكم علىّ حُسنَ المؤاساة والعطيّة . ونزل .

٧٨٥/٢ وأصبَح عبد الملك، ففقد عمروسعيد ، فسأل عنه، فأخبِر خبَره ، فرجع عبدُ الملك إلى دِمَشق ، فإذا عمرو قد جلّل دِمَشق المُسوحَ فقاتَلَه بها أيّامًا ، وكان عَمرو بنُ سعيد إذا أخرَج حميد بنَ حُرَيث الكلبىَّ على الخَيْل أخرَج إليه عبدُ الملك سُفْيانَ بن الأبردِ الكَلْبىّ ، وإذا أخرج عَمرو بنَ سعيد زهيرَ بن الأبرد الكلبىّ أخرَج إليه عبد الملك حسّانَ بن مالك بنَ بَحْدل الكلبىّ .

قال هشام حدّثنى عوانة ، أنّ الخيلين تواقَفتا ذاتَ يوم ، وكان مع عَمرو بنِ سعيد رجلٌ من كَلْب يقال له رَجاء بن سرَاج ، فقال رجاء : يا عبدَ الرّحمن بنَ سليم ، ابرُز — وكان عبدُ الرحمن معَ عبدِ الملك — فقال عبدُ الرحمن : قد أنْصف القَارَةَ من رامَاها ، وبَرَز له ، فاطّعَنا وانقَطَع رِكابُ عبدِ الرحمن ، فنَجا منه ابنُ سراج ، فقال عبدُ الرحمن : واللهِ لولا انقطاع الرّكاب لرميت بما فى بطنِك من تبْن ، وما اصطلح عمرو وعبدُ الملك أبدًا ، فلمّا طال قِتالُهم جاءَ نساءُ كَلْب وصِبْيانُهم فبكَيْن وقُلْن لسُفيانَ بن الأبرد ولابن بَحْدل الكلبىّ : علَام تَقتُلون أنفسكم لسلطانِ قُرَيش ! فحلَف كلّ واحدٍ منهما ألّا يرجع حتّى يرجع صاحبُه ، فلمّا أجمَعوا على الرّجوع نظروا فوجَدوا سُفيان أكبرَ من حُرَيث ، فطلبوا إلى حُرَيث ، فرجع . ثمّ إنّ عبدَ الملك وعمرًا اصطلَحا ، وكَتبا بينهما كتابًا ، وآمنَه عبدُ الملك وذلك عشيّة الخميس .

٧٨٦/٢ قال هِشام : فحدّثنى عَوانة أنّ عَمرو بنَ سعيد خرج فى الخَيْل

متقلّداً قوساً سوداء ، فأقبَل حتّى أوطأ فرسه أطناب سُرادق عبد الملك ، فانقطعت الأطنابُ وسقط السرادق ، ونزل عمرٌو فجلس وعبدُ الملك مُغضَب ، فقال لعمرو : يا أبا أميّة ، كأنّك تَشَبَّهُ بتقلُّدك هذه القوسَ بهذا الحيّ من قيس ! قال : لا ، ولكني أتشبّه بمن هو خيرٌ منهم ؛ العاص بن أميّة . ثمّ قام مغضباً والخيلُ معه حتّى دخل دمَشق ، ودخل عبدُ الملك دمَشق يومَ الخميس ، فبعث إلى عمرو أن أعطِ النّاس أرزاقَهم ، فأرسل إليه عمرو : إنّ هذا لك ليسَ ببلَد فاشخص عنه . فلمّا كان يوم الاثنين وذلك بعد دخولِ عبدِ الملك دمَشق بأربع بعَث إلى عمرو أن ائتِني — وهو عند امرأته الكلبية ، وقد كان عبدُ الملك دعا كُريب بنَ أبرهة بنَ الصبّاح الحميريّ فاستشاره فى أمر عمرو بن سعيد ، فقال له : فى هذا هلكت حِمْيَرٌ ، لا أرَى لك[1] ذلك ، لا ناقتي فى ذا ولا جملي — فلمّا أتى رسولُ عبدِ الملك عمراً يدعوه صادف الرسولُ عبدَ الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو ، فقال عبد الله لعمرو بن سعيد : يا أبا أميّة ، والله لأنت أحبُّ إليّ من سَمْعي وبصري ، وقد أرى هذا الرّجل قد بعث إليك أن تأتيَه ، وأنا أرى لك ألّا تفعل ، فقال له عمرو : ولِم ؟ قال : لأنّ تُبيع ابن امرأة كعب الأحبار قال : إنّ عظيماً من عظماء ولدِ إسماعيل يرجع فيُغلق أبواب دمَشق ، ثمّ يخرج منها ، فلا يلبث أن يُقتل ؛ فقال له عمرو : والله لو كنتُ نائماً ما تخوّفت أن ينبّهني ابنُ الزّرقاء ، ولا كان ليجترئَ على ذلك منى ، مع أنّ عثمانَ بنَ عفّان أتاني البارحة فى المنام فألبسني قميصه — وكان عبدُ الله بنُ يزيدَ زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد — فقال عمرو للرسول : أبلغه السلام ، وقل له : أنا رائح إليك العشيّةَ إن شاء الله . فلمّا كان العشيّ لبس عمرٌو درعاً حَصينة بين قباء قُوهيّ[2] وقميص قُوهيّ ، وتقلّد سيفَه وعندَه امرأتُه الكلبيّة ، وحُميد بن حُرَيث بن بَحْدل الكلبيّ ، فلمّا نهض متوجّهاً ، عثر بالبساط ، فقال له حميد : أما والله لئن[3] أطعتني لم تأته ، وقالت له امرأتُه تلك المقالةَ ، فلم يلتفتْ إلى قولهم ، ومضى فى مائة رجل من مَواليه ، وقد بعث عبدُ الملك إلى بنى مَرْوان فاجتمَعوا عندَه ، فلمّا بلغ عبد الملك

٧٨٧/٢

(١) ف : « لا رأى لى فى ذلك » . (٢) قوهى : نسبة إلى قوهستان .
(٣) ف : « لو » .

أنّه بالباب أمر أن يُحبَس مَن كان معه ، وأذن له فدَخل ، ولم تزَل أصحابُه يُحبَسون عند كلّ باب حتى دخل عمرٌو قاعةَ الدّار ، وما معه إلاّ وصيف له ، فرَمى عمرٌو ببصره نحوَ عبد الملك ، فإذا حوله بنو مروان ، وفيهم حسّان ابنُ مالِك بن بَحْدل الكلبيّ وقبيصة بن ذُؤيب الخُزاعي ، فلما رأى جماعتَهم أحسّ بالشرّ ؛ فالتفت إلى وصيفه فقال : انطلق ويْحك إلى يَحيى بن سعيد ، فقل له يأتيني . فقال له الوصيف ولم يَفهَم ما قال له : لبّيك ! فقال له : اغرُب عنّي فى حرق الله وناره . وقال عبدُ الملك لحسّان وقبيصة : إذا شئتما فقُوما . فالتَقَيا وعمرًا فى الدار ، فقال عبدُ الملك لهما كالمازح ليطمئنّ عمرو بن سعيد : أيّكما أطولُ ؟ فقال حسّان : قَبيصةُ يا أمير المؤمنين أطولُ منى بالإمرة ، وكان قبيصةُ على الخاتم . ثمّ التفت عَمرو إلى وصيفه فقال : انطلقْ إلى يحيى فمُرْه أن يأتيَنى ، فقال له : لبّيك ، ولم يفهم عنه ، فقال له عمرو : اغرُب عنى ، فلمّا خرج حسّان وقبيصة أمَر بالأبواب فغلّقتْ ، ودخل عمرو فرّحب به عبدُ الملك ، وقال : ها هنا يا أبا أميّة ، يرَحمك الله ! فأجلسَه معه على السّرير ، وجعل يحدّثه[1] طويلا ، ثم قال : يا غلام ، خذ السّيف عنه ، فقال عمرو : إنّا لله يا أميرَ المؤمنين ! فقال عبدُ الملك : أوَ تطْمع أن تَجلِس معى متقلّدًا سيفَك ! فأخذ السيف عنه ، ثمّ تحدّثَا ما شاء الله ، ثمّ قال له عبدُ الملك : يا أبا أميّة ؛ قال : لبّيك يا أمير المؤمنين ؛ فقال : إنّك حيث خلعتَنى آليتُ بيمين إنْ أنا ملأتُ عينى منك وأنا مالِكٌ لك أن أجمعَك فى جامعة ، فقال له بنو مرْوان : ثمّ تُطلِقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثمّ أطلِقه ، وما عسيتُ أن أصنَع بأبى أميّة ! فقال بنو مرْوان : أبِرّ قَسم أميرِ المؤمنين ، فقال عمرو : قد أبرّ الله قسمك يا أمير المؤمين ، فأخرج من تحت فراشه جامعةً فطرحها إليه ، ثمّ قال : يا غلام ، قم فاجمعْه فيها ؛ فقام الغلام فَجمَعه فيها ، فقال عمرو : أذكّرك الله يا أميرَ المؤمنين أن تُخرِجَنى فيها على رءوس الناس ! فقال عبدُ الملك : أمكْرًا أبا أميّة عند الموت ! لا ها الله إذًا ! ما كنّا

٧٨٨/٢

---

(١) ف : « يحادثه » .

لنُخرجَنّك فى جامعة على رءوس الناس ، ولمّا نخرجها منك إلا صُعُداً .
ثمّ اجتبذه اجتباذةً أصاب فمَه السريرُ فكسَر ثَنيّته[١] ، فقال عمرو :
٢/٧٨٩ أذكّرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك إلى كسر عظم منّى أن تركب[٢] ما هو أعظم من ذلك . فقال له عبدُ الملك : والله لو أعلم أنك تُبقى علىّ إن أبقيتُ عليك وتصلح قريش لأطلقتُك ، ولكن ما اجتمع رجلان قطّ فى بلدة على مثل ما نحن عليه إلّا أخرج أحدُهما صاحبه . فلمّا رأى عمرو أنّ ثنيّته قد اندقّت[٣] وعرف الّذى يريد عبدالملك، قال : أغدْراً يا بن الزّرقاء !

* * *

وقيل : إنّ عبد الملك لمّا جذب عمراً فسقطتْ ثَنيّته جعل عمرو يمسّها ، فقال عبدُ الملك له : أرى ثنيّتك قد وقعتْ[٤] منك موقعاً لا تطيب نفسُك بعدَها . فأمر به فضُرِبَ عنقه .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عوانة . وأذّن المؤذّنُ العصرَ ، فخرج عبدُ الملك يصلّى بالناس ، وأمر عبدَ العزيز بنَ مروان أن يقتله ، فقام إليه عبدُ العزيز بالسّيف ، فقال له عمرو : أذكّرُكَ اللهَ والرّحِمَ أن تلىَ أنتَ قتْلى ، وليتولّ ذلك مَنْ هو أبْعَد رحِماً منك ! فألقى عبد العزيز السيفَ وجلس ، وصلّى عبدُ الملك صلاةً خفيفة ، ودخل ، وغُلّقت الأبواب ورأى الناسُ عبدَ الملك حيث خرج وليس عمرٌو معه ، فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فأقبَل فى النّاس حتّى حلّ بباب عبدِ الملك ومعه ألفُ عبدٍ لعمرو ، وأناس بعدُ من أصحابه كثير ، فجعل من كان معه يصيحون : أسمِعْنا صوتَك
٢/٧٩٠ يا أبا أميّة ! وأقبل مع يحيى بن سعيد حُمَيد بن حُرَيث وزُهَير بن الأبرد فكسروا بابَ المقصورة ، وضربوا الناسَ بالسيوف ، وضرب عبدٌ لعمْرو بن سعيد يقال له مصْقَلة الوليدَ بنَ عبد الملك ضربةً على رأسه ، واحتمله إبراهيم ابنُ عربىّ صاحبُ الديوان فأدخله بيتَ القراطيس، ودخل عبدُ الملك حين صلّى فوجد عمراً حيّاً ، فقال لعبد العزيز : ما منعك من أن تقتُله ! قال :

---

(١) ف : « ثنيتيه » . (٢) بعدها فى ف : « منى » .
(٣) ف : « أن ثنيتيه اندقتا » . (٤) ف : « أرى أن ثنيتيك اندقتا » .

مسْتَعْني أنّه ناشدني اللهَ والرّحِمَ فرققْتُ له . فقال له عبدُ الملك : أخزَى الله أمّكَ البوّالة على عقبيْها ، فإنّكَ لم تُشبه غيرَها — وأمّ عبدالملك عائشةُ بنتُ معاوية بنِ المغيرة بن أبي العاص بن أميّة ، وكانت أمّ عبد العزيز ليلى ، وذلك قول ابن الرُّقيّات :

ذاك ابنُ لَيلَى عبدُ العزيزِ ببا بِلْيون تَغــدُو جِفَانُهُ رُذُمَا[1]

ثم إنّ عبد الملك قال : يا غلام ، ائتني بالحرْبة. فأتاه بالحرْبة فهزّها ، ثمّ طعنه بها فلم تجزُ ، ثمّ ثنّى فلم تجزُ ، فضرب بيده إلى عضُد عمرو ، فوجَد مسّ الدِّرْع ، فضحك ، ثمّ قال : ودارِعٌ أيضًا يا أبا أميّة ! إن كنت لمعدًّا ! يا غلام ، ائتني بالصّمصامة ، فأتاه بسيفه ، ثمّ أمر بعمْرو فصُرِع ، وجلَس على صدرِه فذَبَحه وهو يقول :

٧٩١/٢

ياعمرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتِي أضرِبْكَ حيثُ تقولُ الهَامةُ اسقُوني[2]

وانتفَض عبدُ الملك رِعْدةَ — وكذلك الرجلُ زعموا يُصيبُه إذا قتَل ذا قَرَابة له — فحُمل عبدُ الملك عن صدرِه فوُضع على سريره ، فقال : ما رأيتُ مِثلَ هذا قطّ ، قتَلَه صاحبُ دُنْيا ولا طالبُ آخرة . ودخل يحيى ابنُ سعيد ومن معه على بني مرْوان الدارَ فجرّحوهم ومن كان معهم من مواليهم ، فقاتلَوا يحيى وأصحابَه ، وجاء عبدُ الرحمن بنُ أمّ الحكَم الثّقَفي فدَفَع إليه الرأس ، فألقاه إلى النّاس ، وقامَ عبدُ العزيز بنُ مَروان فأخذَ المال في البدور ، فجعل يلقيها إلى الناس ، فلمّا نظر الناسُ إلى الأموال ورأوا الرأسَ انتَهبُوا الأموالَ وتفرّقوا . وقد قيل : إنّ عبدَ الملك ابن مروانَ لمّا خرج إلى الصّلاة أمر غلامَه أبا الزُّعَيْزِعَةِ بقتلِ عَمرو ، فقتَله وألقَى رأسَه إلى النّاس وإلى أصحابه .

٧٩٢/٢

قال هشام : قال عَوانةُ : فحدّثتُ أنّ عبد الملك أمرَ بتلك الأموال التي طُرحتْ إلى الناس فجُبِيَتْ حتّى عادت كلّها إلى بيت المال ، ورُمِي يحيى بنُ سعيد يومئذ في رأسه بصخرة ، وأمر عبدُ الملكِ بسريره فأبرز إلى

(١) ديوانه ١٥٢ . رذما : ملاء . وبابليون : اسم لموضع الفسطاط .

(٢) لذى الإصبع ، من المفضلية ٣١ .

المسجد ، وخرج فجلس عليه ، وفُقِد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول : ويحكم ! أين الوليد ؟ وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم ، فأتاه إبراهيمُ بنُ عربيّ الكنانيّ فقال : هذا الوليد عندى ، قد أصابته جراحة ، وليس عليه بأس ، فأُتِيَ عبدُ الملك بيحيى بن سعيد ، فأمر به أن يُقتَل ، فقام إليه عبدُ العزيز ، فقال : جعلنى الله فداك يا أميرَ المؤمنين ! أتُراك قاتلاً بنى أميّة فى يوم واحد ! فأمر بيحيى فحُبِس ، ثم أتى بعَنبسةَ بن سعيد ، فأمر به أن يقتَل ، فقام إليه عبد العزيز فقال : أذكّرك الله يا أميرَ المؤمنين فى استئصال بنى أميّة وهلاكها ! فأمر بعنبسة فحبس ، ثم أُتِيَ بعنبسة بن سعيد فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز بن مروان ، فقال : اذكـــرك الله يا أمير المؤمنين فى استئصال بنى أمية وهلاكها ! فأمر بعَنْبسة فحُبس ، ثمّ أتِيَ بعامر بن الأسود الكلبيّ فضرب رأسَه عبدُ الملك بقَضيب خَيْزُرانٍ كان معه ، ثم قال : أتقاتلنى مع عمرو وتكون معه علىّ ! قال : نعم ، لأنّ عَمراً أكرَمنى وأهنتَنى ، وأدنانى وأقصيتَنى ، وقرّبنى وأبعدْتَنى ، وأحسن إلىّ وأسأتَ إلىّ ، فكنتُ معه عليك . فأمر به عبدُ الملك أن يُقتَل ، فقام عبدُ العزيز فقال : أذكرك الله يا أميرَ المؤمنين فى خالى ! فوهَبه له . وأمر ببنى سعيد فحُبسوا ، ومكث يحيى فى الحَبْس شهرًا أو أكثر . ثمّ إنّ عبدالملك صَعِد المنبر ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ، ثم استشار الناس فى قتله ، فقام بعضُ خطباء الناس فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هل تلد الحيّةُ إلاّ حيّة ! نرى والله أن تَقتُله فإنّه منافق عدوّ . ثمّ قام عبدُ الله بن مَسعَدةَ الفَزاريّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ يحيى ابنُ عمّك ، وقرابته ما قد علِمت ، وقد صنعوا ما صنعوا ، وصنعتَ بهم ما قد صنعتَ ، ولست لهم بآمِن ، ولا أرَى لك قتلهم ، ولكن سيِّرهم إلى عدوّك ، فإن هم قُتِلوا كنتَ قد كُفيت أمرهم بيَد غيرك ، وإن هم سلِموا ورجعوا رأيتَ فيهم رأيك .

٧٩٣/٢

فأخذ برأيه ، وأخرَجَ آلَ سعيد فألحقَهم بمُصعَب بن الزبير ، فلمّا قدِموا عليـه دخل يحيى بنُ سعيد ، فقال له ابن الزبير : انفلتَّ وانحصّ الذَّنَب ، فقال : والله إن الذنَب لبهُلْبه . ثمّ إنّ عبد الملك بعث إلى امرأة عمرٍو الكلبيّة : ابعثى إلىّ بالصّلح الّذى كنتُ كتبته

لعمرو ، فقالت لرسوله : ارجع إليه فأعلِمْه أنى قد لففتُ ذلك الصلحَ معه فى أكفانِه ليُخاصِمك به عند ربّه ، وكان عَمرو بنُ سعيد وعبدُ الملك يلتقيان فى النّسب إلى أميّة ، وكانت أمّ عَمرو أمّ البنين ابنةُ الحكَم ابنِ أبى العاص عمّةَ عبد الملك .

قال هشام : فحدّثنا عَوانة أنّ الّذى كان بين عبدِ الملك وعمرو كانَ شرًّا قديمًا ، وكان ابنَا سعيد أمّهُما أمّ البنين ، وكان عبدُ الملك ومعاويةُ ابنى مَرْوان ، فكانوا وهم غِلْمان لا يزالون يأتون أمّ مَرْوان بن الحكَم الكنانيّة يتحدّثون عندها ، فكان ينطلق مع عبدِ الملك ومعاوية غلام لهم أسوَد ، وكانت أمّ مروانَ إذا أتَوْها هيّأتْ لهم طعامًا ، ثمّ تأتيهم به فتضع بين يدىْ كلّ رجل صَحفةً على حدَة ، وكانت لا تزال تؤرّش بين معاويةَ ابن مروان ومحمّد بن سعيد ، وبين عبد الملك وعَمرو بنِ سعيد ، فيَقتتِلون ويتصارمون الحين ، لا يكلّم بعضُهم بعضًا ، وكانت تقول : إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين ، فكان ذلك دأبها كلّما أتَوْها حتّى أثبتت الشّحْناء فى صدورهم .

٧٩٤/٢

وذكر أنّ عبدَ الله بن يزيد القَسْرىّ أبا خالد كان مع يحيى ابن سعيد حيث دخل المسجد فكسر بابَ المقصورة ، فقاتل بنى مَرْوان ، فلمّا قتِل عمرو وأخرِج رأسه إلى النّاس ركب عبدُ الله وأخوه خالد فلَحِقوا بالعراق ، فأقام مع وُلد سعيد وهم مع مُصعَب حتّى اجتمعت الجماعةُ على عبد الملك ، وقد كانت عينُ عبد الله بن يزيد فُقِئت يوم المَرْج ، وكان مع ابن الزبير يُقاتِل بنى أميّة ، وإنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة ، فقال : كيف أنتم آلَ يزيدَ ؟ فقال عبد الله : حُرباء حُرباء ، فقال عبد الملك : ذلك بما قدّمتْ أيديكم ، وما اللهُ بظلاّم للعَبيد .

٧٩٥/٢

قال هِشام عن عوانة : إنّ وُلْد عمرو بن سعيد دَخَلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة : أميّة ، وسعيد ، وإسماعيل ، ومحمّد ، فلمّا نظر إليهم عبدُ الملك قال لهم : إنّكم أهل بَيْت لم تزالوا ترَوْن لكم على جميع قومِكم فَضْلا لم يَجعلْه الله لكم ، وإنّ الّذى كان بينى وبين أبيكم لم

يكن حديثًا ، بل كان قديمًا فى أنفُس أوّليكم على أوّلينا فى الجاهليّة .
فأقطع بأميّة بن عمرو – وكان أكبرهم – فلم يقدر أن يتكلّم ، وكان أنبلَهم
وأعقلَهم ، فقام سعيدُ بنُ عمرو وكان الأوسطَ فقال : يا أميرَ المؤمنين ،
ما تَنعى علينا أمرًا كان فى الجاهليّة ، وقد جاء الله بالإسلام فهَدَم ذلك ،
فوعَدَنا جنّة ، وحذّرنا نارًا ! وأمّا الّذى كان بينك وبين عَمرو فإنّ عَمرًا
ابن عمك ، وأنت أعلَم وما صنعت ، وقد وَصَل عَمرٌو إلى الله ، وكَفَى بالله
حسيبًا ، ولعَمرى لئن أخذتَنا بما كان بينك وبينَه لبطن الأرض خيرٌ لنا من
ظَهرها . فرقّ لهم عبدُ الملك رقّةً شديدة ، وقال : إنّ أباكم خيّرنى بين أن يقتُلنى
أو أقتلَه ، فاخترتُ قتلَه على قتلى ، وأمّا أنتم فما أرغبنى فيكم ، وأوصلنى
لقرابتكم ، وأرعانى لحقّكم ! فأحسن جائزتَهم ، ووصَلَهم وقرّبهم .

وذكر أنّ خالد بنَ يزيدَ بنَ معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجبٌ
منك ومِن عَمرو بن سعيد ، كيف أصبت غِرّته فقتلتَه ! فقال عبد الملك :

دَانَيتُه مِنّى لِيَسكنَ رُوعُه ... فأَصُولَ صَولَةَ حازِمٍ مُسْتَمكنِ
غَضَباً ومَحمِيةً لدِينىَ إنَّه ... ليسَ المُسِىءُ سبيلُه كالمُحسِنِ

٧٩٦/٢ قال عَوانة : لَقِىَ رجلٌ سعيدَ بنَ عَمرو بن سعيد بمكّة ، فقال له : وربِّ
هذه البَنيّة ، ما كان فى القوم مِثل أبيك ، ولكنّه نازع القومَ ما فى أيديهم
فعَطِب .

وكان الواقدىّ يقول : إنّما كان فى سنة تسع وستّين بين عبد الملك
ابن مروانَ وعَمرو بن سعيد الحصار ، وذلك أنّ عمرو بنَ سعيد تَحصّن
بدمَشق فرجَع عبدُ الملك إليه من بُطنان حَبيب ، فحاصَرَه فيها ؛ وأمّا
قتلُه إيّاه فإنّه كان فى سنة سبعين .

• • •

وفى هذه السّنة[1] حَكّم محكّم من الخوارج بالخَيْف من مِنًى فقُتِل
عند الجمرة ، ذكر محمّد بنُ عمرَ أن يحيى بنَ سعيد بن دينار حدّثه عن

(١) قبلها فى ا : « قال أبو جعفر » .

أبيه، قال: رأيته عند الجمرة سلّ سيفه، وكانوا جماعةً فأمسكَ اللهُ بأيديهم، وبَدَر هو من بينهم، فحكم، فقال الناسُ عليه فقَتلوه.

وأقام الحجَّ للناس فى هذه السنة عبدُ الله بنُ الزبير.

وكان عاملَه فيها على المصرَين: الكوفة والبَصْرة[1] أخوه مصعب بن الزّبير[2]. وكان على قضاء الكوفة شُرَيح [2]وعلى قضاء البَصْرة هِشام بنُ هُبيرة، وعلى خُراسانَ عبدُ الله بنُ خازم.

(١) ب، ف: «البصرة والكوفة».

(٢ – ٢) ب،: «وعلى الكوفة شريح يتولى قضاءها».

ثم دخلت سنة سبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فى هذه السَّنة ثارت الرّوم ، واستجاشوا على مَن بالشأم من ذلك من المسلمين ؛ فصالح عبدُ الملك ملكَ الروم ، على أن يؤدّى إليه فى كلّ جمعة ألفَ دينار خوفًا منه على المسلمين .

* * *

وفيها شخص — فيما ذَكر[1] محمّدُ بن عمرَ — مصعبُ بن الزبير إلى مكّة فقدمها بأموال عظيمة ، فقسمها فى قومه وغيرهم ، وقدم بدوابَّ كثيرة وظَهْر وأثقال ، فأرسل إلى عبد الله بن صَفْوانَ وجُبَير بن شَيْبة ، وعبد الله بن مطيع مالاً كثيرًا ، ونحر بُدْنًا كثيرة .

٧٩٧/٢

* * *

وحجّ بالنَّاس فى هذه السَّنة عبدُ الله بن الزّبير .

وكان عُمَّاله على الأمصار فى هذه السنة عمَّاله فى السنة الّتى قبلها على المعاون والقضاء .

---

(١) ب ، ف : « زعم » .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مسيرُ عبد الملك بن مَرْوان فيها إلى العراق لحرب مُصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك – فيما قيل – لا يزال يقرب من مُصعب ، حتّى يبلغ بُطْنان حَبيب ، ويخرج مصعب إلى بَاجُمَيرَا ، ثم تهجُم الشتاء فيرجع كلّ واحد منهما إلى موضعه ، ثم يعودان ؛ فقال عديّ بن زيد بن عديّ بن الرّقاع العامليّ :

لعمْرى لقدْ أَصحرَتْ خيلُنا ... بأَكْناف دِجْلةَ للمُصعَبِ[1]

إذا ما مُنافق أَهل العِرَا ... قِ عُوتب ثُمّتَ لم يُعْتَبِ[2]

دَلَفَنْا إليهِ بذى تُدْرَإٍ ... قليل التَّفَقُّدِ للغُيَّبِ[3]

يهزُّون كلَّ طويل القَنا ... ةِ مُلْتَئِم النَّصْلِ والثَّعْلَبِ[4]

كأَنَّ وعَاهُمْ إذا ماغَدوْا ... ضجيجُ قَطًا بلدٍ مُخصبِ

فقدَّمنا واضحٌ وجْهُهُ ... كريم الضَّرائب والمَنْصِبِ

أُعِينَ بِنَا ونُصِرْنا بِهِ ... ومن يَنْصُر اللهُ لم يُغْلَبِ[5]

٧٩٨/٢

(١) الأغانى ٩ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ . (٢) هذا البيت والذى يليه لم يرد فى رواية الأغانى .

(٣) ذو تدرأ . مدافع ذو عز ومنعة . وفى المسعودى : « لدى موقف » .

(٤) الثعلب هنا : رأس الرمح . (٥) الأبيات برواية الأغانى :

لعمرِى لقد أَصحرتْ خيلُنَا ... بأَكناف دِجْلةَ للمُصْعبِ

يهزُّون كلَّ طَوِيل القنا ... ةِ لدْنٍ ومعتدِلِ الثعلَبِ

فداؤُك أمّى وأَبناؤُها ... وإن شئتَ زدت عليها أَبى

وما قُلتُها رَهْبةً إنما ... يحلّ العِقَاب علىٰ المذنب

إذا شِئْتُ نازلت مستقتلا ... أُزاحم كالجمل الأَجرَبِ

فمن يكُ منّا يبت آمناً ... ومن يكُ من غيرنا يهرُب

فحدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثني عليّ بن محمد ، قال : أقبل عبدُ الملك من الشأم يريد مُصعباً — وذلك قبل هذه السنة ، في سنة سبعين — ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال خالد لعبد الملك : إن وجّهتني إلى البصرة وأتبعتني خيلا يسيرة رجوتُ أن أغلب لك عليها . فوجّهه عبد الملك ، فقدمها مستخفياً في مواليه وخاصّته ، حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهليّ .

قال عمر : قال أبو الحسن : قال مسلمة بن محارب : أجار عمرو بن أصمع خالداً ، وأرسل إلى عبّاد بن الحُصين وهو على شُرطة ابن معمَر — وكان مُصعب إذا شخص عن البصرة استخلَف عليها عبيدَ الله بن عبيد الله بن معمر — ورجا عمرو بن أصمع أن يبايعه عبّاد بن الحُصين — بأنّي قد أجَرْتُ خالداً فأحببت أن تعلم ذلك لتكون لي ظَهراً . فوافاه رسولُه حين نزل عن فرسه ، فقال له عبّاد : قل له : والله لا أضع لبدَ فرسي حتى آتيكَ في الخيل . فقال عمرو لخالد : إني لا أغرّك ، هذا عبّاد يأتينا الساعة ، ولا والله ما أقدر على منعك ؛ ولكن عليك بمالك بن مسمَع .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : ويقال إنّه نزل على عليّ بن أصمع ، فبلغ ذلك عبّاداً[1] فأرسل إليه عبّاد : إني سائر إليك . ٧٩٩/٢

حدّثني عُمر [بن شبّة][2] ، قال : حدّثني عليّ بن محمد ، عن مسلمة وعَوانة[3] أنّ خالداً خرج من عند ابن أصمع يركُض ، عليه قميص قُوهيّ رقيق ، قد حسَره عن فخذيه ، وأخرَج رجليه من الركابين ؛ حتى أتى مالكاً ، فقال : إني قد اضطررتُ إليك ، فأجِرْني ، قال : نعم ، وخرج هو وابنه ، وأرسل إلى بكْر بن وائل والأزد ؛ فكانت أوّل راية أتته رايةُ بني يشكرُ . وأقبل عبّاد في الخيل ، فتواقَفوا ، ولم يكن بينهم ، فلما كان من الغد غدوْا إلى حُفْرة نافع بن الحارث التي نُسبت بعدُ إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميمٍ قد أتوْه ؛ منهم صعصعة بن معاوية ، وعبد العزيز بن

(١) ب ، ف : « فقال » . (٢) من ب ، ف .
(٣) ب ، ف : « عن عوانة » .

بشر ، ومرّة بن محكان ، فى عدد منهم ؛ وكان أصحاب خالد جُفريّة ينسبون إلى الجُفْرة ، وأصحاب ابن معمر زُبيريّة ؛ فكان من الجُفْريّة عبيد الله بن أبى بكْرة وحُمْران والمغيرة بن المهلّب ، ومن الزبيريّة قيس بن الهيثم السُّلَمىّ ؛ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه ، فتقاضاه رجل أجرةً فقال : غداً أعطيكها ، فقال غَطَفان بن أنيف ، أحد بنى كعب بن عمرو :

لبئس ما حكَمتَ يا جلاجِلُ النَّقْدُ دَيْنٌ والطِّعانُ عاجِلُ

* وأنتَ بالبابِ سميرٌ آجِلُ *

وكان قيس يعلّق[1] فى عنق فرسه جلاجل ، وكان على خيل بنى حنظلة عمرو بن وبرة القحيفىّ[2] ؛ وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كلّ يوم ، فيعطيهم عشرة عشرة ، فقيل له : ٢/٨٠٠

لبئس ما حكمت يا بنَ وَبرَهْ تُعطَى ثلاثينَ وتُعطِى عَشَرهْ

ووجّه المصعب زَحْر بن قيس الجُعْفىّ مَدداً لابن مَعمَر فى ألف ، ووجّه عبدُ الملك عُبيدَ الله بنَ زياد بن ظَبْيانَ مدداً لخالد ، فكَره أن يدخلَ البَصرة ، وأرسل مطرَ بنَ التّوءم فرجع إليه فأخبره بتفرّق الناس ، فلَحق بعبد الملك .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : فحدّثنى شيخٌ من بنى عرين ، عن السكن بن قَتادة ، قال : اقتتلوا أربعةً عشرين يوماً ، وأصيبتْ عين مالك ، فضجر من الحرب ، ومشت السفراء ، بينهم يوسف بنُ عبد الله بن عثمان بن أبى العاص ، فصالحه ، على أن يُخرج خالداً وهو آمن ، فأخرج خالداً من البصرة ، وخاف ألا يجيز المُصعبُ أمانَ عُبيد الله ، فلَحق مالك بثأج ، فقال الفرَزدق يذكر مالكاً ولُحوقَ التميميّة به وبخالد :

عجِبْتُ لأقوامٍ تميمٌ أبوهُمُ وهُمْ فى بنى سعدٍ عِظامُ المَبارِكِ[3]

---

(١) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « يعلم » .

(٢) ب : « الجعيفى » ، س : « العجيفى » . (٣) ديوانه ٦٠٠ .

وكانوا أَعزَّ الناسِ قبل مَسيرِهِمْ إلى الأَزْد مُصْفَرًّا لِحاها ومالكِ

٢/٨٠١ فما ظَنُّكم بابن الحَوَارِىِّ مُصْعَبٍ إذا افتَرَّ عن أَنيابهِ غيْرَ ضاحِكِ

ونحنُ نفَيْنا مالكاً عن بِلادِهِ ونحن فَقَأْنا عَيْنَهُ بالنَّيَازِك

قال أبو زيد: (١)قال أبو الحسن: حدّثنى مسلمة(١) أنّ المُصعَب لمّا انصرَف عبدُ الملك إلى دمَشق لم يكن(٢) له همّة إلّا البصرة، وطَمِع أن يُدرك بها خالداً، فوجده قد خرج، وأمّن ابنُ مَعمَر النّاس، فأقام أكثرهم، وخاف بعضهم مُصعَباً فشخص، فغضب مُصعَب على ابن مَعمَر، وحلَف ألّا يوليه، وأرسل إلى الجُفْرِيّة فسبَّهم وأنّبهم.

قال أبو زيد: فزعم المدائنىّ وغيرُه من رُواة أهل البَصْرة أنّه أرسَل إليهم فأتِىَ بهم، فأقبل على عُبيد الله بن أبى بكْرة، فقال: يابنَ مَسْروح، إنّما أنت ابن كَلْبة تعاوَرُها الكلاب، فجاءت بأحمر وأسوَد وأصفرَ من كلّ كلب بما يُشبهه، وإنّما كان أبوك عبداً نزَل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم من حصن الطائف، ثم أقمتم البيّنة تدّعون أن أبا سفْيانَ زنى بأمّكم، أما والله لئن بقيتُ لألحقنّكم بنَسبكم. ثمّ دعا بحُمْران فقال: يابن اليَهوديّة، إنّما أنت علْج نَبَطىّ سُبيت من عَيْن التّمر. ثمّ قال للحكَم بن المنذر بن الجارود: يابنَ الخَبيث، أتَدرى مَن أنت ومن الجارودُ! إنّما كان الجارودَ علْجاً بجزيرة ابن كاوَان فارسيًّا، فقطع إلى

٢/٨٠٢ ساحل البحر، فانتمى إلى عبد القيس، ولا والله ما أعرف حيًّا أكثرَ اشتمالا على سَوْءة منهم. ثمّ أنكَح أختَه المُكَعْبِر الفارسىّ فلم يُصب شرَفاً قطّ أعظم منه، فهؤلاء ولدُها يابن قُباذ. ثمّ أتِىَ بعبد الله بن فضالة الزّهرانىّ فقال: ألستَ من أهل هَجَر، ثمّ من أهل سَماهيج! أما والله لأردّنّك إلى نَسَبك. ثمّ أتِى بعلىّ بن أصمع، فقال: أعَبْد لبنى تميم مرّةً وعَزْىٌ من باهلة! ثمّ أتِىَ بعبد العزيز بن بشْر بن حنَّاط فقال: يا بن المشتور، ألم يسرق عمُّك عنزاً فى عهد عمرَ؛ فأمر به فسيرَّ ليقطعه! أما والله ما أعنتَ إلّا

(١ - ١) ب، ف: «عمر بن شبة عن أبى الحسن المدائنى عن مسلمة».

(٢) ب، ف: «لم تكن».

من يَنكح أختَكَ — وكانت أختُه تحت مقاتل بن مِسمَع — ثم أتِيَ بأبى حاضر الأسدىّ فقال : يابن الإصْطَخريَّة ، ما أنتَ والأشراف ! وإنما أنت من أهل قطَر دَعِيٌّ فى بنى أسَد، ليس لك فيهم قريب ولا نسيب . ثم أتِيَ بزياد بن عمرو فقال : يابن الكَرْمانىّ، إنَّما أنت علْج من أهل كَرْمان قطعت إلى فارسَ فصرتَ مَلاّحًا ، مَا لَكَ وللحَرْب ! لأنتَ بَجرّ القَلْس[1] أحذقُ . ثمّ أتِيَ بعبد الله بن عثمانَ بن أبى العاص فقال : أعلَىَّ تُكَثِّر وأنتَ علْج من أهل هَجَر ، لحق أبوك بالطَّائف وهم يضمّون من تأشَّب إليهم يتعزَّزون به! أما والله لأردَّنَّك إلى أصلك . ثمّ أتِيَ بشَيْخ بن النُّعْمان فقال: يابن الخبيث، إنَّما أنت علْج من أهل زَنْدَوَرْد ، هَرَبت أمك وقُتل أبوك ، فتزوّج أختَه رجلٌ من بنى يشكر ، فجاءت بغلامين ، فألحقنَاك بنسبهما ، ثم ضربهم مائةً مائةً ، وحلَّق رءوسهم ولحاهم ، وهدمَ دُورهم ، وصَهرَهم فى الشَّمس ثلاثًا ، وحملهم على طلاق نسائهم ، وجمَّر أولادَهم فى البُعوث ، وطاف بهم فى أقطار البصرة ، وأحلفهم ألاّ يَنكحوا الحَرائر . وبعث مُصعبٌ خداشَ بنَ يزيدَ[2] الأسَدىَّ فى طلب من هَرَب من أصحاب خالد ، فأدرك مُرّة بن مَحْكانَ فأخذه ، فقال مُرّةُ :

٨٠٣/٢

بنى أسَدٍ إن تَقْتلونى تُحاربُوا	تميماً إذا الحرب العَوَانُ اشمَعَلَّتِ
بنى أسد هَلْ فيكمُ من هَوَادَةٍ	فتَعْفُونَ إنْ كانَتْ بِىَ النَّعلُ زَلَّتِ
فلا تَحْسبِ الأعْدَاءُ إذغبتُ عَنهُمُ	وأوريتُ مَعْناً أنَّ حربىَ كلَّت
تَمشَّى خِدَاشٌ فى الأَسِكَّة آمِناً	وقد نَهلَتْ مِنِّى الرِّماحُ وعَلَّتِ

فقرّبه خداش فقتله — وكان خِداش على شُرْطة مُصعب يومئذ — وأمر مصعب سنانَ بن ذهل أحد بنى عمرو بن مَرْثَد بدار مالك بن

(١) القلس : حبل غليظ من حبال السفن .

(٢) ب ، ف : « مرثد » .

مسمعَ فهدَمها ، وأخذ مُصعب ما كان فى دار مالك ، فكان فيما أخذ جارية ولدتْ له عمرَ بن مُصعَب . قال : وأقام مُصعَب بالبصرة حتى[1] شخص إلى الكوفة ، ثم لم[2] يزل بالكوفة حتى خرج[3] لحرب عبد الملك ، ونزل عبدُ الملك مَسكِن ، وكتب عبدُ الملك إلى المرْوانيَّة من أهل العراق ، فأجابَه كلُّهم وشرطُوا عليه ولاية أصبهان ، فأنعم بها لهم كلّهم ، منهم حَجَّار ابن أُبجَر ، والغَضْبان بن القبَعْثَرَى ، وعتَّاب بن ورقاء ، وقَطَن بنُ عبد الله الحارثىّ ، ومحمَّدُ بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس ، وزَحْر بن قيس ، ومحمَّد ابن عُمَير ، وعلى مقدّمته محمَّد بن مروان ، وعلى ميمنته عبدُ الله بنُ يزيدَ بن معاوية ، وعلى ميسرته خالدُ بن يزيدَ ، وسار إليه مصعب وقد خذَله أهلُ الكوفة .

٢/٨٠٤

قال عروة بن المغيرة بن شُعْبة : فخرج يسيرُ متّكئا على معَرَفة دابّته ، ثمّ تَصفَّح[4] الناس يمينًا وشمالا فوقعت عينُه علىّ ، فقال : يا عرْوة ، إلىّ ، فدنوتُ منه ، فقال : أخبرنى عن الحسين بن علىّ ، كيف صنَع بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب ؟ فقال :

إنَّ الأُلَى بالطَّف من آل هاشم تأسَّوْا فسَنُّوا للكرام التأسِّيا[5]

قال : فعلمتُ أنه لا يَريمُ حتَّى يُقتَل ، وكان عبدُ الملك — فيما ذَكَر محمَّد بنُ عمر عن عبد الله بن محمَّد بن عبد الله بن أبى قرّة ، عن إسحاقَ ابن عبد الله بن أبى فَرْوَة ، عن رَجاء بن حَيْوَة — قال : لمَّا قتَل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه ، فلمَّا أجمع بالمسير إلى مُصعب وقد صفت له الشأمُ وأهلها خطَب الناسَ وأمرهم بالتهيُّؤ إلى مصعب ، فاختلف عليه رؤساء أهل الشأم من غير خلاف لما يريده ، ولكنهم أحبُّوا أن يقيمَ ويقدّم الجيوش ، فإن ظفروا فذاك ، وإن لم يظفروا أمدَّهم بالجيوش خشيةً على الناس إن أصيب فى لقائه مصعبًا لم يكن وراءه ملك ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، لو أقمتَ مكانَك وبعثتَ على هؤلاء الجيوش رجلاً من أهل بيتك ، ثمّ

٢/٨٠٥

(١) ب ، ف : « ثم » .
(٢) ب ، ف : « ولم » . (٣) ب ، ف : « شخص » .
(٤) ب ، ف : « يتصفح » .
(٥) اللسان (أسى) من غير نسبة ، وروايته : « التأسيا » .

سرّحتَه إلى مصعب ! فقال عبدُ الملك : إنّه لا يقوم بهذا الأمر إلاّ قرشيّ له رأى، ولعلّى أبعث من له شجاعة ولا رأى له ، وإنى أجد فى نفسى أنى بصيرٌ بالحرب ، شجاعٌ بالسَّيف إنْ أُلجِئتُ إلى ذلك ، ومصعب فى بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش ، وهو شجاع ولا علم له بالحرب ، يُحبّ الخفض ، ومعه من يُخالفه ، ومعى من ينصح لى . فسار عبد الملك حتّى نزل مَسْكِن، وسار مصعب إلى باجُمَيْرا ،وكتب عبدُ الملك إلى شيعته من أهل العراق ، فأقبل إبراهيمُ بنُ الأشتر بكتاب عبد الملك مختومًا لم يقرأه ، فدفعه إلى مصعب ، فقال : ما فيه ؟ فقال : ما قرأته ، فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق، فقال لمصعب : إنّه والله ما كان من أحد آيس[1] منه منى ، ولقد كتب إلى أصحابك كلّهم بمثل الّذى كتب إلىّ ؛ فأطعنّى فيهم فاضربْ أعناقهم . قال : إذًا لا تُناصحُنا عشائرُهم . ٨٠٦/٢ قال : فأوقرْهم حديدًا وابعث بهم إلى أبيض كسرَى فاحبسْهم[2] هنالك ، ووكّل بهم من إن غُلِبْتَ ضرب أعنقهم، وإن غلَبت مَنَنتَ بهم على عشائرهم . فقال : يا أبا النعمان ، إنى لَفِى شغل عن ذلك ، يرحمَ اللهُ أبا بحر ، إنْ كان ليحذّرنى غدرَ أهل العراق ، كأنّه كان ينظُر إلى ما نحن فيه !

حدّثنى عمر، قال: حدّثنا محمّد بن سُلاّم، عن عبد القاهر بن السَّرىّ، قال : همّ أهلُ العراق بالغَدْر بمُصعَب ، فقال قيسُ بنُ الهيثم : ويحكم ! لا تُدخلوا أهلَ الشأم عليكم ، فوالله لئن تَطعَّموا بعيشكم لَيُصْفِينّ عليكم منازلكم ،والله لقد رأيتُ سيّدَ أهل الشأم على باب الخليفة يفرح إن أرسلَه فى حاجة ، ولقد رأيتُنا فى الصّوائف وأحدُنا على ألف بعير، وإنّ الرجلَ من وجوههم ليَغزُو على فرَسه وزادُه خلْفَه .

قال : ولمّا تدانَى العسكران بدَيْر الجاثَليق من مَسْكِنَ ، تقدّم إبراهيمُ بنُ الأشتر فحمَل على محمّد بن مرْوان فأزالَه عن موضعه ، فوجّه عبدُ الملك بن مروانَ عبدَ الله بنَ يزيد بن معاوية ، فقرب من محمد بن

---

(١) ب ، ف : « آنس » . (٢) ب ، ف : « واحبسهم » .

مروان . والتقى القومُ فقُتِل مُسلم بن عَمرو الباهليّ ، وقتِل يَحيَى ابن مبشّر، أحد بنى ثعلبة بن يَرْبوع ، وقتل إبراهيم بن الأشتر ، فهرب عتّاب ابنُ وَرْقاء — وكان على الخيل مع مصعَب — فقال مصعب لقطَن بن عبد الله الحارثىّ : أبا عثمان ، قَدّم خيلك، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولِمَ؟ ٢/٨٠٧ قال : أكرَه أن تُقتَل مذْحِجٌ فى غير شىء ، فقال لحجّار بن أبجَر : أبا أسيد ، قدّم رايتَك ؛ قال : إلى هذه العَذرة ! قال : ما تتأخّر إليه والله أنتن وألأم ؛ فقال لمحمّد بنِ عبد الرّحمن بنِ سعيد بنِ قَيْس مثل ذلك ، فقال : ما أرَى أحدًا فعَل ذلك فأفْعله ، فقال مصعب : يا إبراهيم ولا إبراهيمَ لىَ اليوم !

حدّثنى أبو زيد، قال: حدّثنى محمّد بنُ سَلاّم، قال : أخبر ابنُ خازم بمسير مُصعب إلى عبدِ الملك ، فقال : أمَعَه عمر بنُ عُبيد الله بن معمر ؟ قيل: لا ، استَعمله على فارس، قال : أفمعَه المهلّب بنُ أبى صفرة ؟ قيل : لا ، استعمله على الموصل، قال : أفمعَه عبّاد بن الحُصين ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة ، فقال : وأنا بخُراسان !

خُذِينِى فجُرِّينِى جَعَارِ وأَبْشِرِى بلَحْمِ امرئٍ لم يَشْهَدِ اليوْمَ ناصِرُهْ

فقال مصعب لابنه عيسى بن مُصعَب : يا بُنىّ، اركَب أنتَ ومن معك إلى عمّك بمكّة فأخبره ما صنع أهلُ العراق ، ودَعْنى فإنى مَقْتول . فقال ابنُه : والله لا أخبر قريشًا عنك أبدًا ، ولكن إن أردت ذلك فالحقْ بالبصرة فهم على الجماعة ، أو الحَقْ بأمير المؤمنين . قال مصعب : والله لا تتحدّث قريش أنى فررت بما صنعتْ ربيعةُ من خذلانها حتى أدخلَ الحرمَ مُنهزمًا ، ولكن[1] أقاتل، فإنْ[2] قُتلت فلعَمْرى ما السّيف بعار ، ٢/٨٠٨ وما الفرار لى بعادة ولا خُلُق ، ولكن إن أردت أن ترجعفارجع فقاتلْ . فرجع فقَاتل حتّى قتل .

قال علىّ بنُ محمّد عن يحيى بن سعيد بن أبى المُهاجر ، عن أبيه

(١) ب ، ف : « ولكنى » . (٢) ب ، ف : « فلئن » .

إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان : إنّ ابنَ عمِّك يعطيك الأمان ، فقال مصعب : إنّ مثلي لا ينصرِف عن مثلِ هذا الموقف إلاّ غالبًا أو مغلوبًا .

وقال الهيثم بنُ عَدِيّ : حدّثنا عبدُ الله بن عُيَّاش ، عن أبيه ، قال : إنّا لوُقُوفٌ مع عبد الملك بنِ مروان وهو يُحارب مصعبًا إذْ دنا زياد بن عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ إسماعيلَ بنَ طَلْحَةَ كان لي جارَ صدق ، قلّما أرادَني مُصعَب بسوء إلّا دَفَعَهُ عني ، فإن رأيتَ أن تؤمّنَه على جرمه ! قال : هو آمن ، فمضى زياد — وكان ضَخمًا على ضَخم — حتّى صار بين الصّفّين ، فصاح : أين أبو البخْتَرِيّ إسماعيلُ بنُ طَلْحة ؟ فخرج إليه ، فقال : إني أريد أن أذكرَ لك شيئًا ، فدَنا حتّى اختلفت أعناقُ دوابّهما — وكان الناسُ ينتَطقون بالحَواشِي المحشوّة — فوَضَع زياد يده في منطَقة إسماعيلَ ، ثمّ اقتلَعه عن سرْجه — وكان نَحيفًا — فقال : أنشدك الله يا أبا المغيرة ، إنّ هذا ليس بالوفاء لمصعب ، فقال : هذا أحبّ إليّ من أن أراك غدًا مقتولا .

ولمّا أبى مصعب قبول الأمان نادَى محمّد بن مُروان عيسى بن مصعب وقال له : يا بن أخي ، لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مُصعب : قد آمنَك عمُّك فامض إليه ، قال : لا تتحدّث نساءُ قريش أني أسلَمتك للقتل ؛ قال : فتقدّم بين يدىَّ أحتَسِبْك ، فقاتل بين يديه حتّى قتل ، وأثخِن مصعب بالرّمْي ، ونظر إليه زائدة بن قدامةَ فشَدّ عليه فطعنه ، وقال : يا لثارات المختار ! فصرعه ، ونزل إليه عُبيد الله ابنُ زياد بنِ ظَبْيانَ ، فاحتزّ رأسَه ، وقال : إنّه قَتَل أخي النابئ بن زياد . فأتِيَ به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار ، فأبَى أن يأخذها ، وقال : إني لم أقتله على طاعتك ، إنما قتلتُه على وِتْرٍ صَنَعه بِي ، ولا آخذُ في حَمْل رأس مالاً . فترَكه عند عبد الملك .

٢/٨٠٩

وكان الوِتْر الذي ذكَرَه عُبيدُ الله بن زياد بن ظبيانَ أنه قتل عليه مصعبًا أنّ مصعبًا كان وَلِي في بعضِ وِلايته شرطه مطرّف بن سيدان الباهلي ثمّ أحد بني جأوة .

فحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني أبو الحسن المدائني ومخلد بن يحيى بن حاضر ، أن مطرفًا أتى بالنابئ بن زياد بن ظبيان ورجل من بني نمير قد قطعا الطريق ، فقتل النابئ ، وضرب النميري بالسياط فتركه ، فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعًا بعد أن عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز، فخرج يريده ، فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر، فعبر مطرف إليه النهر، وعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله، فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلب ابن ظبيان ، فسار حتى بلغ عسكر مكرم ، فنسب إليه ، ولم يلق ابن ظبيان . ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لما قتل أخوه ، فقال البعيث اليشكري بعد قتل مصعب يذكر ذلك :

٢/٨١٠

ولما رأينا الأمر نكسًا صدوره ... وهم الهوادي أن تكون تواليا[1]

صبرنا لأمر الله حتى يقيمه ... ولم نرض إلا من أمية واليا

ونحن قتلنا مصعبًا وابن مصعب ... أخا أسد والنخعي اليمانيا

ومرت عقاب الموت منا بمسلم ... فأهوت له نابًا فأصبح ثاويا

سقينا ابن سيدان بكأس روية ... كفتنا ، وخير الأمر ما كان كافيا

حدثني أبو زيد ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مر ابن ظبيان بابنة مطرف بالبصرة ، فقيل لها : هذا قاتل أبيك ، فقالت: في سبيل الله أبي ، فقال ابن ظبيان :

فلا في سبيل الله لاقى حمامه ... أبوك ولكن في سبيل الدراهم

فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق إلى البيعة ، فبايعوه ، وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدجيل عند دير الجاثليق فلما قتل أمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدفنا .

٢/٨١١

ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد، عن أبي بكر بن عمر ، عن عروة

---

(١) ا : « أن تكون » .

قال : قال عبدُ الملك حين قُتِل مُصعَب : وارُوهُ فقد والله كانت الحُرْمة بيننا وبينَه قديمةً ، ولكن هذا المُلْك عقيم .

قال أبو زيد : وحدّثني أبو نعيم، قال : حدّثني عبدُ الله بنُ الزّبير أبو أبي أحمَد ، عن عبد الله بن شريك العامريّ ، قال : إني لَواقفٌ إلى جنب مصعب بن الزّبير فأخرجتُ له كتابًا من قَبائي ، فقلتُ له : هذا كتابُ عبد الملك ، فقال : ما شئتَ ، قال : ثم جاء رجلٌ من أهل الشأم فدخل عسكره، فأخرجَ جارية فصاحت: واذُلّاه ! فنظر إليها مُصعَب ، ثمّ أعرَض عنها .

قال : وأتِيَ عبدُ الملك برأس مُصعب ، فنظر إليه فقال : متى تَغذو قريشٌ مِثلَك ! وكانا يتحدّثان إلى حُبَّى ، وهما بالمدينة ، فقيل لها : قُتِل مصعب ، فقالتْ : تَعِس قاتِلُه ! قيل : قتله عبدُ الملك بنُ مروان ، قالت : بأبِي القاتلُ والمقتول !

قال : وحجّ عبدُ الملك بعدَ ذلك ، فدخلتْ عليه حُبَّى ، فقالت : أقتلتَ أخاك مُصعبًا ؟ فقال : ٨١٢/٢

من يذُقِ الحربَ يَجِد طَعْمَهَا ... مُرًّا وتَتْرُكهُ بجعجاعِ[1]

وقال ابن قيس الرُقيّات :

لقد أَوْرَثَ المِصرَيْنِ خِزيًا وذِلةً ... قتيلٌ بدَيْر الجاثَلِيقِ مُقيمُ[2]

فما نصحتْ لله بكرُ بنُ وائلٍ ... ولا صَبرتْ عندَ اللِّقَاءِ تميمُ

ولو كان بكْرِيًّا تَعطَّفَ حَوْلَهُ ... كتائبُ يَغلِي حَمْيُها ويَدُومُ

ولكنّه ضاعَ الذمامُ وَلَمْ يكن ... بهـا مُضَرِيٌّ يَوْمَ ذاكَ كريم ٨١٣/٢

جزَى الله كُوفيًّا هنــاك ملامَةً ... وبَصْرِيَّهم إنَّ المُليمَ مُليم

وإنَّ بني العَلّاتِ أَخلَوْا ظُهورَنا ... ونحن صريح بينَهُمْ وصميمُ

(١) لأبي قيس بن الأسلت ، من المفضلية ٧٥ . والجعجاع : المحبس في المكان الخشن أو الضيق .

(٢) ديوانه ١٩٦ ، وبعده في رواية الديوان :

تولى قتال المارقين بنفسِهِ ... وقد أسلماه مُبعَدٌ وحَمِيمُ

فإن نَفْنَ لا يَبْقَوْا وَلاَ يَكُ بعْـــدَنا ... لِذِى حُرْمةٍ فى المسلمين حَرِيمُ[١]

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنّ ما ذكرتُ من مَقتَل مصعب والحرب الّتى جرتْ بينه وبين عبد الملك كانت فى سنة اثنتين وستين ، وأن أمر خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره إلى البَصْرة من قِبَل عبد الملك كان فى سنة إحدى وسبعين ، وقُتِل مصعب فى جُمادَى الآخرة .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة]

وفى هذه السَّنة دخل عبدُ الملك بنُ مروانَ الكوفةَ وفرّق أعمالَ العراق والمصرَيْن الكوفة والبصرة على عُمّاله فى قول الواقدىّ ؛ وأمّا أبو الحسن فإنّه ذكَر أنّ ذلك فى سنة اثنتين وسبعين .

وحدّثنى عمرُ ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد، قال : قُتِل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلتْ من جُمادَى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين.

٨١٤/٢ ولمّا أتَى عبدُ الملك الكوفةَ — فيما ذكِر — نزل النُّخَيلة ، ثمّ دعا النّاسَ إلى البيعة ، فجاءت قُضاعةُ ، فرأى قِلّة ، فقال : يا معشر قُضاعة ، كيف سَلِمتم من مُضَرَ مع قِلّتكم ! فقال : عبدُ الله بنُ يَعلى النَّهدىّ : نحن أعزّ منهم وأمنَع ؛ قال : بِمَن ؟ قال : بمن معك منّا يا أميرَ المؤمنين . ثمّ جاءت مَذْحِج وهَمْدان فقال : ما أرَى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئًا . ثمّ جاءت جُعفِىٌّ ، فلمّا نظر إليهم عبدُ الملك قال : يا معشر جعفىّ ، اشتَملتم على ابن أختكم ، وواريتموه ؟ يعنى يحيَى بنَ سعيد بن العاص — قالوا : نعم ، قال : فهاتوه ؛ قالوا : وهو آمنٌ ؟ قال : وتَشترطون أيضًا ! فقال رجل منهم : إنا والله ما نشترط جهْلا بحقِّك ، ولكنّا نتسحّب عليه تَسحّب الولد على والِده ، فقال : أما والله لَنِعمَ الحىّ أنتم ؛ إن كنتم لَفُرسانًا فى الجاهليّة والإسلام ، هو آمِن، فجاءوا به وكان يُكنى أبا أيوب ، فلمّا نظر إليه عبدُ الملك قال أبا قبيح ، بأىّ وجهٍ تَنظُر إلى ربِّك وقد

---

(١) كذا ورد البيت فى ا .

خلعتَنى ! قال : بالوجه الّذى خلقه ، فبايع ثمّ ولى فنظر عبدُ الملك فى قفاه فقال : لله درّه ! أىّ ابن زَوْملَةَ هو! يعنى غريبة .

وقال علىّ بن محمّد : حدّثنى القاسم بنُ معن وغيرُه أنّ معبد بنَ خالد الجدَلىّ قال : ثمّ تقدّمنا إليه معشرَ عدْوان، قال : فقدّمنا رجلا وسيما جميلاً ، وتأخّرتُ — وكان معبد دميا — فقال عبدُ الملك: من ؟ فقال الكاتب: عدْوان ، فقال عبدُ الملك :

عذيرَ الحىِّ من عدْوا نَ كانوا حيّةَ الأرضِ

بغى بعضُهُمُ بعْضاً فلَم يرْعَوْا على بعضِ

ومنهمْ كانتِ السّادَا تُ والمُوفُون بالقرْضِ

ثمّ أقبل على الجميل فقال : إيه ! فقال : لا أدرى ، فقلتُ من خلفه :

ومنهمْ حَكَمٌ يقضِى فلا يُنقَض ما يَقضِى

ومنهمْ من يجيزُ الحجَّ بالسُّنة والفرْضِ[1]

وَهُمْ مُذْ ولِدوا شبّوا بسِر النسب المحض

٨١٥/٢

قال: فتركنى عبدُ الملك ، ثمّ أقبل على الجميل فقال : مَن هو ؟ قال : لا أدرى ؛ فقلتُ من خلفه : ذو الإصبع ؛ قال : فأقبل على الجميل فقال : ولِمَ سمّى ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدرى ؛ فقلتُ من خلفه : لأنّ حيّةً عضّت إصبعَه فقطعتْها ، فأقبل على الجميل فقال : ما كان اسمُه ؟ فقال : لا أدرى ؛ فقلتُ من خلفه : حُرْثان بنُ الحارث ؛ فأقبل على الجميل، فقال : من أيّكُم كان؟ قال : لا أدرى ، فقلت من خلفه : من بنى ناج ، فقال :

أبَعْدَ بنى ناجٍ وسَعْيك بينهم[2] فلا تُتْبِعنْ عَيْنيك ما كان هالِكا

---

(١) قال أبو الفرج : «قوله : "ومنهم من يجيز الناس" فإن إجازة الحج كانت لخزاعة ، فأخذتها عدوان ، فصارت لرجل فيهم يقال له سيارة» . الأغانى ٣ : ٨٩ (٢) رواية الأغانى :

* وأمّا بنُو ناجٍ فلا تَذْكرنّهمْ *

٨١٦/٢

إذا قُلْتُ مَعْرُوفاً لأُصلَح بينهمْ يقول وُهَيْبٌ : لا أُصالح ذَلكا
فأضحى كظَهْر العَيْر جُبّ سَنَامُهُ تُطيفُ به الوِلدانُ أحدبَ بَاركا

ثمّ أقبَل على الجميل، فقال: كم عطاؤك؟ قال: سبْعمائة، فقال لى: فى كَمْ أنتَ؟ قلتُ: فى ثلثمائة؛ فأقبل على الكاتبيَن، فقال: حُطّا من عطاء هذا أربعمائة، وزيداها فى عَطاء هذا، فرجعتُ وأنا فى سبعمائة، وهو فى ثلثمائة. ثم جاءتْ كِنْدة فنظر إلى عبد الله بن إسحاقَ بن الأشعث، فأوصَى به بِشْرًا أخاه، وقال: اجعلْه فى صَحابتِك. وأقبَل داودُ بنُ قَحْذَم فى مائتين من بكر بن وائل، عليهم الأقْبية الداوديّة، وبه سُمّيَتْ، فجلس مع عبد الملك على سريره، فأقبل عليه عبدُ الملك، ثمّ نهض ونهضوا معه، فأتبعهم عبدُ الملك بصره، فقال: هؤلاء الفُسَّاق، والله لولا أنّ صاحبهم جاءنى ما أعطانى أحدٌ منهم طاعة[1].

ثمّ إنّه ولّى – فيما قيل – قَطَنَ بن عبد الله الحارثىّ الكوفةَ أربعين يومًا ثمّ عزَله، وولّى بِشْرَ بنَ مرْوان وصَعِد منبرَ الكوفة فخطَب فقال:

إنّ عبدَ الله بنَ الزبير لو كان خليفةً كما يزعم لخرج فآسى بنفسه، ولم يغرزْ ذَنبَه فى الحرَم. ثم قال: إنى قد استعملتُ عليكم بِشرَ بنَ مروان، وأمَرْته بالإحسان إلى أهل الطاعة، والشدّة على أهل المعصية، فاسمعوا له وأطيعوا.

٨١٧/٢

واستَعمَل محمّد بنَ عُمَير على هَمَذان، ويَزيدَ بنَ رُوَيم على الرَّىّ، وفرّق العُمّالَ، ولم يف لأحد شرَط[2] عليه ولايةَ أصبهان؛ ثم قال: علىّ هؤلاء الفُسَّاق الّذين أنْغَلُوا الشأم، وأفسدوا العراق، فقيل: قد أجارهم رؤساءُ عشائرهم، فقال: وهل يجير علىّ أحد! وكان عبدُ الله بن يزيد بنَ أسد لجأ إلى علىّ بن عبد الله بن عبّاس، ولجأ إليه أيضًا يحيى بن مَعْيُوف الهمدانىّ، ولجأ الهذَيل بنُ زُفرَ بن الحارث وعمرو بن زيد[3] الحكَمىّ إلى خالد بن يزيدَ بن معاوية، فآمَنهم عبدُ الملك، فظهروا.

(١) انظر الأغانى ٣: ٩١، ٩٢. (٢) ب، ف: «يشرط».
(٣) س، ابن الأثير: «يزيد».

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة تنازَع الرِّياسة بالبصرة عُبيدُ الله بنِ أبى بكرة وحُمران بن أبان، فحدّثنى عمرُ بنُ شبّة قال : حدّثنى علىّ بنُ محمّد قال : لمّا قُتِل المُصعَب وثب حُمرانُ بن أبان وعُبيد الله بنُ أبى بكْرة فتنازَعا فى ولاية البَصرة ، فقال ابن أبى بكرة : أنا أعظم غناءً منك ، أنا كنتَ أُنفِق على أصحاب خالد يوم الجُفْرة . فقيل لحُمران : إنّك لا تقوَى على ابن أبى بكْرة ، فاستعِنْ بعبد الله بن الأهتم ، فإنّه إن أعانك لم يقوَ عليك ابنُ أبى بكْرة ، ففعل ، وغلب حُمْران على البَصْرة وابن الأهتمِ على شُرَطها .

وكان لحُمْرَان منزلةٌ عند بنى أميّة ؛ حدثنى أبو زيد قال : حدّثنى أبو عاصم النَّبيل قال : أخبرنى رجلٌ قال : قَدِم شيخٌ أعرابىٌّ فرأى حُمرانَ فقال : من هذا ؟ فقالوا : حُمْران ؛ فقال : لقد رأيتُ هذا وقد مال رِداؤه عن عاتقه فتَابتدره مروان وسعيدُ بنُ العاص أيّهما يسوّيه . قال أبو زيد : قال أبو عاصم : فحدّثتُ بذلك رجلاً من ولَد عبدِ الله بنِ عامر ، فقال : حدّثنى أبى أنّ حُمْرانَ مدّ رجلَه فابتدر معاوية وعبد الله بنَ عامر أيّهما يغمِزها . ٢/٨١٨

* * *

[ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة]

وفى هذه السنة بعث عبدُ الملك خالدَ بنَ عبد الله على البَصرة واليًا ، حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بنُ محمّد ، قال : مكث حمرانُ على البصرة يسيرًا ، وخرج ابن أبى بكْرة حتّى قدِم على عبدِ الملك الكوفة بعد مقتل مُصعَب، فولّى عبدُ الملك خالدَ بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها، فوجّه خالدٌ عُبيدَ الله بن أبى بكْرة خليفتَه على البصرة ، فلمّا قدِم على حُمْران ، قال : أقدْ جئت لاجئت ! فكان ابنُ أبى بكْرة على البَصْرة حتّى قدِم خالد .

* * *

وفى هذه السنة رَجَع عبدُ الملك — فيما زَعَم الواقدىّ — إلى الشأم .

قال : وفيها نَزَع ابنُ الزبير جابرَ بنَ الأسوَد بنِ عوف عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف . قال : وهو آخر والٍ لابن الزّبير على المدينة ، حتّى قدم عليها طارقُ بنُ عَمرو مولى عثمان ، فهَرَب طلحة ، وأقام طارقٌ بالمدينة حتّى كتب إليه عبد الملك .

وحَجّ بالناس فى هذه السّنة عبدُ الله بنُ الزّبير فى قول الواقدىّ .

[خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب]

وذكر أبو زيد عن أبى غَسّانَ محمّد بن يحيى ، قال : حدّثنى مصعب ابنُ عثمانَ ، قال: لمّا انتهَى إلى عبد الله بنِ الزبير قتلُ مُصعب قام فى الناس فقال :

الحمد لله الّذى له الخلق والأمر ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزِع الملك ممّن يشاء ، ويُعزّ من يشاء ، ويُذلّ من يشاء . ألا وإنّه لم يُذْلل اللهُ من كان الحقّ معه وإن كان فردًا ، ولم يُعزز من كان وليّه الشّيطان وحِزْبُه وإن كان[1] معه الأنام طُرًّا. ألا وإنّه قد أتانا من العراق خبرٌ حزننا وأفرَحنا ، أتانا قَتل مصعب رحمةُ الله عليه ، فأما الّذى أفرحَنا فعلْمُنا أنّ قتلَه له شهادة ، وأمّا الذى حزَننا فإنّ لفراقِ الحميم لوعة يَجِدها حميمُه عند المصيبة ، ثمّ يرْعَوى منْ بَعدِها ذو الرأى إلى جميل الصبرِ وكريمِ العزَاء، ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبلَه ، وما أنا من عثمانَ بخلْوِ مصيبة ، وما مصعب إلاّ عبدٌ من عَبيد الله وعَونٌ من أعوانى . ألا إنّ أهل العراق أهلُ الغَدْر والنفاق ، أسلَموه وباعُوه بأقلّ الثمن ، فإنْ يُقتلْ فإنّا والله ما نموت على مَضاجِعنا كما تموت بنو أبى العاص ، والله ما قُتِل منهم رجلٌ فى زَحْف فى الجاهليّة ولا الإسلام، وما نموت إلاّ قَعْصًا[2] بالرّماح ، وموتًا تحت ظِلال السيوف. ألا إنّما الدنيا عاريّة من المَلِك الأعلى الّذى لا يزول سلطانُه، ولا يَبِيد مُلكُه، فإن تُقبِل لا آخذها أخذ الأشِر البَطِر ، وإن تُدْبر لا أبكِ عليها بكاءَ الحَرِق المَهِين ؛ أقول قولى هذا وأستغفرُ اللهُ لى ولكم.

* * *

(١ – ١) ف : « الناس معه طرا » . (٢) القعص : الموت السريع .

٨١٩/٢

وذكر أنّ عبدَ الملك لمَّا قتل مصعبًا ودخل الكوفة أمرَ بطعام كثير فصُنِع ، وأمر به إلى الخَوَرْنَق ، وأذِن إذنًا عامًّا ، فدخل الناسُ فأخذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حُرَيْث المخزوميّ فقال : إلىّ وعلى سريرى ، فأجلسَه معه ، ثم قال : أىّ الطعام أكلتَ أحبّ إليك وأشهى عندك ؟ قال : عَنَاق[1] حَمراء قد أجيد تمليحُها ، وأحكِم نضجها ، قال : ما صنعتَ شيئًا ، فأين أنتَ من عُمْروس[2] راضع قد أجيدَ سَمطُه ، وأحكِم نُضجُه ، اختلجتَ إليك رجْلَه ، فأتْبعتَها يدَه ، غُذِىَ بشَرِيجَيْن من لبن وسمن . ثمّ جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبدُ الملك بنُ مَرْوان : ما ألذّ عيشَنا لو أنّ شيئًا يدوم ! ولكنَّا كما قال الأوّل : ٨٢٠/٢

وكلّ جديدٍ ياأُمَيمَ إلى بِلًى ... وكلُّ امرئٍ يَوْماً يَصيرُ إلى كانْ

فلما فرغ من الطعام طاف عبدُ الملك فى القصر يقول لعَمرو بنِ حُرَيث : لِمَنْ هذا البيت ؟ ومَنْ بَنَى هذا البيت ؟ وعَمرو يُخبِره ، فقال عبدُ الملك :

وكلُّ جديدٍ ياأُمَيمَ إلى بِلًى ... وكلُّ امرئٍ يومًا يصيرُ إلى كانْ

ثمّ أتى مجلسَه فاستلْقَى ؛ وقال :

اعْمل على مَهَلٍ فإنَّك مَيّتٌ ... واكدَحْ لنَفْسِك أيّهَا الإنْسَانْ ٨٢١/٢

فكأنَّ ما قد كان لم يكُ إذ مضَى ... وكأنَّ ما هو كائنٌ قد كانْ

* * *

وفى هذه السنة افْتَتَح عبدُ الملك — فى قول الواقدىّ — قَيْسارِيَّة .

---

(١) العناق : الأنثى من أولاد المعزى .

(٢) فى اللسان : « وفى حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمروس راضع ! العمروس بالضم : الخروف أو الجدى إذا بلغا العدو » .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث الجليلة

قال أبو جعفر : فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلّب بن أبى صُفْرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسِيد .

ذكَر هِشامُ بنُ محمّد ، عن أبى مِخنَف أنّ حَصِيرة بن عبد الله وأبا زُهير العبسى حدّثاه أنّ الأزارقة والمهلّب بعدما اقتتلوا بسُولافَ ثمانيةَ أشهر أشدّ القتال ، أتاهم أنّ مصعب بن الزّبير قد قُتِل ، فبلغ ذلك الخوارجَ قبل أن يبلغ المهلّب وأصحابه، فناداهم الخوارجُ : ألا تُخبِرونَنا ما قولكم فى مُصعَب؟ قالوا : إمام هُدًى؛ قالوا : فهو وليّكم فى الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم ، قالوا : وأنتم أولياؤه أحياءً وأمواتًا ؟ قالوا : ونحن أولياؤه أحياءً وأمواتًا ؛ قالوا : فما قولُكم فى عبد الملك بن مرْوان ؟ قالوا : ذلك ابنُ اللّعين ، نحن إلى الله منه بُراء ، هو عندنا أحلُّ دمًا منكم ، قالوا : فأنتم منه بُراء فى الدّنيا والآخرة؟ قالوا : نعم كبراءتِنا منكم ؛ قالوا : وأنتم له أعداءٌ أحياءً وأمواتًا ؟ قالوا : نعم نحن له أعداء كعداوتِنا لكم ، قالوا : فإنّ إمامكم مُصعبًا قد قتله عبدُ الملك بنُ مروان، ونراكم ستجعلون غدًا عبد الملك إمامكم، وأنتم الآن تتبرّءون منه ، وتلعَنون أباه ! قالوا : كذبتم يا أعداء الله . فلما كان من الغد تبيّن لهم قتلُ مصعَب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارجُ فقالوا : ما تقولون فى مصعَب ؟ قالوا : يا أعداء الله ؛ لا نخبركم ما قولنا فيه ، وكرهوا أن يكذّبوا أنفسَهم عندهم ، قالوا : فقد أخبرتمونا أمسِ أنه وليّكم فى الدنيا والآخرة، وأنكم أولياؤه أحياءً وأمواتًا ، فأخبرونا ما قولكم فى عبدِ الملك ؟ قالوا: ذاك إمامنا وخليفتُنا — ولم يجدوا إذ بايعوه بُدًّا من أن يقولوا هذا القول— قالت لهم الأزارقة: يا أعداء الله ، أنتم أمسِ تتبرّءون منه فى الدّنيا والآخرة ، وتزعمون أنكم له أعداء أحياءً وأمواتًا ، وهو اليوم إمامكم وخليفتُكم ، وقد قتل إمامكم الذى كنتم

٨٢٢/٢

تولّونه ! فأيهما المحقّ ، وأيهما المهتدي. وأيهما الضالّ ! قالوا لهم : يا أعداء الله، رضينا بذاك إذ كان وليّ[1] أمورنا ، ونرضى بهذا كما رضينا بذاك . قالوا : لا والله ولكنّكم إخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعَبيدُ الدنيا . وبَعث عبدُ الملك بنُ مروان بشرَ بن مروان على الكوفة ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البَصْرة . فلما قَدم خالد أثبت المهلب على خَراج الأهواز ومَعُونتها ، وبعث عامر بن مِسْمع على سَابُور ، ومُقاتِل بن مسمع على أرْدشِيرْ خُرَّه ، ومِسمَع بن مالك بن مِسمَع على فَسَا ودرابْجِرْد ، والمغيرة بن المهلب على إصطخر .

ثمّ إنه بعث إلى مُقاتِل فبَعثَه على جيش ، وألحقَه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة ، فانحطّوا عليه من قِبَل كَرْمان حتى أتَوْا دَرَا بْجِرد ، فسار نحوَهم. وبعث قَطَرِيٌّ مع صالح بن مِخْراق تسعمائة فارس، فأقبَل ٨٢٣/٢ يسيرُ بهم حتى استقبَل عبدَ العزيز وهو يسير بالناس ليلا ، يجرون على غير تعبية ، فهزم الناس ، ونَزَل مُقاتِل بن مِسمَع فقاتل حتى قُتِل ، وانهزم عبدُ العزيز بنُ عبد الله ، وأخِذت امرأتُه ابنة المنذر بن الجارود ، فأقيمت فيمن يزيد ، فبلغت مائةَ ألف — وكانت جميلةً — فغار رجلٌ مِن قومها كان من رءوس الخوارج يقال له : أبو الحديد الشَّنِّيّ ، فقال : تنحّوا هكذا ، ما أرَى هذه المُشرِكة إلّا قد فتنتْكم ، فضرب عنقَها . ثمّ زعموا أنه لَحِق بالبَصْرة ، فرآه آلُ منذر فقالوا : والله ما ندرى أنحْمَدُك أم نُذمّك ! فكان يقول : ما فعلتُه إلّا غيْرة وحَمِيّة . وجاء عبدُ العزيز حتى انتهَى إلى رامَهُرْمُز ، وأتَى المهلّب فأخبِر به ، فبعث إليه شيخًا من أشْياخ قومه كان أحدَّ فُرْسانه، فقال : ائته فإن كان منهزمًا فعزّه وأخبره أنه لم يَفعَل شيئًا لم يَفعَله الناسُ قَبلَه ، وأخبره أنّ الجنود تأتيه عاجلا، ثمّ يُعزّه الله ويَنصرُه . فأتاه ذلك الرجل، فوجدوه نازلاً فى نحو من ثلاثين رجلا كئيبًا حزينًا ، فسلم عليه الأزْديّ ، وأخبره أنه رسول المهلّب، وبلّغه ما أمَره به، وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة . ثمّ انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر ، فقال له المهلب : الحق الآنَ بخالد بالبصرة فأخبرْه الخبرَ ، ٨٢٤/٢

---

(١) ف : « يتولى » .

فقال: أنا آتيه أخبرُه أنّ أخاه هـُزِم ! والله لا آتيه ، فقال المهلّب[١]: لا والله لا يأتيه غيرُك ، أنتَ الذى عاينتَه ورأيته ، وأنت كنتَ رسولى إليه ، قال : هو إذًا يـهديك[٢] يامهلّب أن ذهبَ إليه العامَ ، ثمّ خرج . قال المهلّب : أمّا أنت والله فإنك لى آمن ، أمَا والله لو أنك مع غيرى ، ثمّ أرسلك على رجليك خرجت تشتد ! قال له وأقبَل عليه : كأنك إنما تمنّ علينا بحِلْمك ! فنحن والله نُكافئكَ بل نزيد ؛ أما تَعلَم أنا نُعرِّض أنفسنا للقتل دُونَك ، ونحميك من عدوّك ! ولو كنا والله مع من يَجهَل علينا ، ويَبعثنا فى حاجاته على أرْجُلِنا ، ثمّ احتاج إلى قتالنا ونُصْرتنا جعلناه بينَنا وبين عدوّنا ، ووقينا به أنفسنا. قال له المهلّب : صدقتَ صدقتَ. ثم دعا فتًى من الأزْد كان معه فسرّحه إلى خالد يخبره خبر أخيه ، فأتاه الفتى الأزدىّ وحوله الناسُ ، وعليه جُبّةٌ خضراءُ ومُطرَفٌ أخضَر ، فسلم عليه ، فردّ عليه ، فقال : ما جاءَ بك[٣] ؟ قال : أصلحك الله ! أرسلنى إليك المهلب لأخبرَك خبرَ ما عاينتُه ، قال : وما عاينتَ ؟ قال : رأيت عبدَ العزيز برامَهُرمُز مهزومًا ، قال : كذبت ، قال : لا ، والله ما كذبتُ ، وما قلتُ لك إلّا الحقّ ، فإن كنتُ كاذبًا فاضربْ عُنُقى ، وإن كنتُ صادقًا فأعطنى أصلحك الله جُبّتَك ومُطرفَك . قال : وَيْحَك ! ما أيسَر ماسألت ، ولقد رضيت مع[٤] الخطر العظيم إن كنت كاذبًا بالخطر الصّغير إن كنت صادقًا . ٨٢٥/٢ فحَبَسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبيّنتْ له هزيمةُ القوم ، فكَتَب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإني أخبر أميرَ المؤمنين أكرمه الله أنى بعثتُ عبدَ العزيز بنَ عبد الله فى طلب الخوارج ، وأنّهم لقُوه بفارسَ ، فاقتَتَلوا قتالا شديدًا ، فانهزَم عبدُ العزيز لما انْهزَم عنه الناس ، وقتِل مقاتل بنُ مِسمَع ، وقدم الفَلّ إلى الأهْواز . أحببتُ أن أعلِم أميرَ المؤمنين ذلك ليأتيَنى رأيُه وأمرُه أنزل عندَه إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمةُ الله .

---

(١) ا ، ب ، ف : «قال : فقال له المهلب» . (٢) كذا فى ا ، فى ط «يهديك» .
(٣) ب ، ف : «ما حاجتك» . (٤) ب ، ف : «من» .

فكَتَب إليه :

أما بعد، فقد قَدِم رسولُك فى كتابِك، تُعلِمنى فيه بَعْثَتك أخاك على قتال الخوارج ، وبهزيمة مَنْ هُزم ، وقَتْل مَن قُتِل ، وسألتُ رسولك عن مكان المهلّب ، فحدّثنى أنه عامل لك على الأهواز ، فقَبح الله رأيك حين تَبْعث أخاك أعرابيًّا من أهل مكّة على القتال ، وتدَع المهلب إلى جنبك يَجبِى الخَراج ، وهو المَيْمونُ النقيبةُ، الحَسَن السياسة ، [١]البصير بالحَرْب، المُقاسى لها[١] ، ابنها وابنُ أبنائها ! انظر أن تنهض بالناس حتى تَستقبِلهم بالأهواز ومِن وراء الأهواز . وقد بَعثتُ إلى بِشْر أن يُمدّك بجَيْش من أهل الكوفة ، فإذا أنت لقيتَ عدوَّك فلا تَعمَل فيهم برأى حتى تُحضره المهلّب ، وتستشيره فيه إن شاء الله . والسلامُ عليكَ ورحمةُ الله .

فشَقّ عليه أنّه فَيَّل رأيَه فى بِعْثة أخيه[٢] وتَرْكِ المهلب، وفى أنه لم يَرضَ رأيَه خالصًا حتى قال : أحضرْه المهلّبَ واستشرْه فيه . ٨٢٦/٢

وكَتَب عبدُ الملك إلى بِشْر بن مَرْوان :

أما بعد، فإنى قد كتبتُ إلى خالد بنِ عبد الله آمُرُه بالنّهوض إلى الخوارج ، فسرِّحْ إليه خمسةَ آلاف رجل ، وابعثْ عليهم رجلا من قِبَلك ترضاه ، فإذا قضَوْا غزاتَهم تلك صرفْتَهم إلى الرّىّ فقاتلُوا عدوَّهم ، وكانوا فى مَسالِحهم ، وجَبَوْا فيئهم حتى تأتى أيام عقَبهم فتُعقبهم[٣] وتبعث آخرين مكانَهم .

فقطع على أهل الكوفة خمسةَ آلاف ، وبعث عليهم عبدَ الرحمن بنَ محمد بن الأشعث ، وقال : إذا قضيتَ غزاتَك هذه فانصرفْ إلى الرَّىّ . وكتب له عليها عهْدًا . وخرج خالدٌ بأهل البصرة حتى قَدِم الأهواز ، وجاء عبد الرحمن بنُ محمَّد ببعث أهل الكوفة حتَّى وافاهم بالأهواز ،

(١ - ١) ب ، ف : « المقاسى للحرب » . (٢) ب ، ف : « بعثه بأخيه » .
(٣) س : « فتعفيهم » .

وجاءت الأزارقة حتّى دنَوْا من مدينة الأهواز ومن مُعسكَر القوم ، وقال المهلّب لخالد بن عبد الله : إنى أرَى هاهنا سُفُناً كثيرة ، فضُمَّها إليك ، فوالله ما أظُنّ القومَ إلاّ مُحرِقيها . فما لبث إلّا ساعةً حتّى ارتفعتْ خيلٌ من خيلهم إليها فحرّقتْها . وبعث خالد بن عبد الله على ميمنته المهلَّبَ ، وعلى ميسرته داود بن قَحذَم من بنى قيس بن ثعلبة ، ومرّ المهلّب على عبد الرحمن بن محمّد ولم يُخندق ، فقال : يابن أخى ، ما يمنعك من الخنْدق! فقال : والله لهمْ أهوَنُ علىّ من ضَرْطة الجمَل[1] ، قال : فلا يَهونوا عليك يابن أخى ، فإنّهم سِباعُ العرَب ، لا أبرح أو[2] تَضرِب عليك خندقاً ؛ ففعَل .

٨٢٧/٢

وبلغ الخوارجَ قول عبد الرحمن بن محمّد لهم : «أهوَنُ علىّ مِن ضَرْطة الجمل» ، فقال شاعرُهم :

يا طالبَ الحقّ لا تُستَهْو بالأَمَلِ … فإنَّ من دون ما تَهوَى مَدَى الأَجلِ
واعمَل لربِّك واسأله مَثوبَتَهُ … فإنَّ تَقْواه فاعلمْ أفضلُ العملِ
واغزُ المَخانِيثَ فى الماذِىّ مُعْلِمَةً[3] … كيما تُصبّح غدْوًا ضَرْطَةَ الجملِ

فأقاموا نحوًا من عشرين ليلةً . ثمّ إن خالدًا زَحَف إليهم بالناس ، فرأوا أمرًا هالهم من عدَد الناس وعُدّتهم ، فأخذوا يَتَحازُون ، واجترأ عليهم الناس ، فكرّت عليهم الخيل ، وزحف إليهم فانصرفوا كأنّهم على حامية وهم مولّون لا يروْن لهم طاقة بقتال جماعة الناس ، وأتبعهم خالدُ بنُ عبد الله داودَ بن قحذَم فى جيش من أهل البصرة ، وانصرف خالد إلى البصرة ، وانصرف عبدُ الرحمن بنُ محمّد إلى الرّىّ وأقام المهلّب بالأهواز ، فكتب خالدُ بنُ عبدِ الله إلى عبد الملك :

أمّا بعد ، فإنى أخبِر أميرَ المؤمنين أصلحه الله أنى خرجتُ إلى الأزارقة الّذين مرقوا من الدّين ، وخرجوا من وِلاية المسلمين ، فالتقيْنا بمدينة الأهْواز

(١) الميدانى ٢ : ٤٠٩ . (٢) ب ، ف : «حتى» .
(٣) ا : «معملة» .

فتناهضْنا فاقتتلنا كأشدّ قتال كان فى الناس . ثمّ إنّ الله أنزَل نصرَه على المؤمنين والمسلمين ، وضربَ الله وجوه أعدائه ، فاتبعهم المسلمون يقتّلونهم ، ولا يَمنعون ولا يمتنعون ، وأفاءَ الله ما فى عسكرهم على المسلمين ، ثمّ ٨٢٨/٢ أتبعتُهم داودَ بنَ قَحْذَم ، والله إن شاءَ مهلِكهم ومستأصِلهم ؛ والسلام عليك .

فلمّا قَدم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبدُ الملك إلى بشْر ابن مرْوان :

أما بعد ، فابعث من قِبَلك رجلا شجاعًا بصيرًا بالحرب فى أربعة آلاف فارس ، فلْيَسيروا إلى فارس فى طلب المارقة ، فإنّ خالدًا كتب إلىّ يخبرنى أنّه قد بعث فى طلبهم داود بن قَحْذَم ، فمرْ صاحبك الّذى تبعث ألا يُخالف داودَ بنَ قَحْذَم إذا ما التقَيا ، فإنّ اختلافَ القوم بينهم عوْن لعدوّهم عليهم . والسلامُ عليك .

فبعث بشر بنُ مروان عتّاب بنَ ورقاء فى أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة ، فخرجوا حتّى التقَوا هم وداودُ بنَ قَحْذم بأرض فارسَ ، ثمّ اتّبعوا القوم يطلبونهم حتّى نَفقتْ خيولُ عامّتهم ، وأصابتهم الجَهْد والجوع ، ورَجع عامّةُ ذَيْنك الجَيْشَين مُشاةً إلى الأهواز ، فقال ابن قيسِ الرّقيّات — من بنى مخزوم — فى هزيمة عبد العزيز وفرارِه عن امرأته :

عبدَ العزيزِ فَضَحْتَ جَيْشَك كلَّهمْ	وتركتَهم صرعى بكلِّ سبيل[1]
من بين ذِى عَطَشٍ يجودُ بنفْسِه	ومُلَحَّبٍ بين الرِّجال قَتِيل[2]
هلاّ صبرْتَ مع الشهيد مقاتِلا	إذ رُحْت منتكث القُوَى بأَصيل
وتركت جيْشَك لا أمير عليهمُ	فارجع بِعارٍ فى الحياةِ طَويل ٨٢٩/٢
ونَسيتَ عِرسك إذ تُقَادُ سَبِيَّةً	تُبكى العيونَ برنَّةٍ وعَوِيلِ

* * *

(١) ديوانه ١٩٠ . (٢) ملحب : قطعه السيف .

[خروج أبى فُدَيك الخارجىّ وغلبته على البحرين]

وفى هذه السنة كان خروج أبى فُدَيك الخارجىّ، وهو من بنى قَيْس ابن ثعلبة، فغلب على البحرين، وقتل نجدةَ بنَ عامر الحنَفىّ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نُزول قَطَرىّ الأهواز وأمرُ أبى فُديك، فبعث أخاه أميَّة بنَ عبد الله على جُند كثيف إلى أبى فُدَيك، فهزمه أبو فُدَيك، وأخذ جاريةً له فاتّخذها لنفسه، وسار أميَّةُ على فرس له حتَّى دخل البَصْرة فى ثلاثة أيَّام، فكتب خالدٌ إلى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة.

* * *

[خبر توجيه عبد الملك الحجَّاج لقتال ابن الزبير]

وفى هذه السنة وجَّه عبدُ الملك الحجَّاجَ بن يوسفَ إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزّبير، وكان السبب فى توجيهه الحَجّاجَ إليه دونَ غيره - فيما ذُكر - أن عبدَ الملك لمَّا أراد الرّجوع إلى الشأم، قام إليه الحجَّاج بنُ يوسفَ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنى رأيتُ فى منامى أنى أخذتُ عبدَ الله بنَ الزبير فسلَخْته، فابْعثْنى إليه، وولّنى قتالَه. فبعثه فى جيش كثيف من أهل الشام، فسار حتَّى قَدِم مكَّة، وقد كتب إليهم عبدُ الملك بالأمان إنْ دخلوا فى طاعته.

فحدّثنى الحارثُ، قال: حدّثنى محمَّد بن سَعْد، قال: أخبرَنا محمَّد بن عمرَ، قال: حدّثنا مُصعَب بنُ ثابت، عن أبى الأسوَد، عن عبَّاد بن ٢/٨٣٠ عبد الله بن الزبير، قال: بعث عبدُ الملك بنُ مروان حين قُتِل مُصعَب ابن الزبير الحجَّاجَ بنَ يوسف إلى ابن الزّبير بمكّة، فخرج فى ألفين من جُند أهل الشأم فى جُمَادى من سنة اثنتين وسبعين، فلم يَعرِض للمدينة، وسلَك طريقَ العِراق، فنزل بالطَّائف، فكان يَبْعَث البُعوثَ إلى عرَفة فى الخيل[1]، ويبعث ابن الزّبير بَعْثاً فيقتتلون هنالك، فكلّ ذلك تُهزَم خيل ابن الزّبير وتَرجع خيلُ الحجَّاج بالظّفَر. ثمّ كتب الحجَّاج إلى عبدِ الملك يستأذنه فى حصار ابن الزبير ودخولِ الحرَم عليه، ويُخبِره أنّ

(١) كذا فى ا، ب، ف وفى ط: «الحل».

شوكَتَه قد كَلَّت، وتَفرَّق عنه عامَّة أصحابه، ويَسأله أن يمدَّه برجال ، فجاءَه كتابُ عبدِ الملك ، وكتب عبدُ الملك إلى طارِق بن عَمْرو يأمره أن يَلحَق بمن معه من الجُنْد بالحجَّاج ، فسار فى خمسة آلاف من أصحابه حتَّى لحق بالحَجَّاج . وكان قدُومُ الحَجَّاج الطائفَ فى شعبان سنة اثنتين وسبعين . فلمَّا دخل ذو القعدة رَحَل الحجَّاج من الطائف حتَّى نزل بئْرَ مَيْمون وحصرَ ابن الزّبير .

حجّ الحجَّاجُ بالناس فى هذه السنة، وابن الزبير محصور، وكان قدومُ طارق مَكَّة لهلالِ ذى الحِجَّة ، ولم يَطُف بالبَيْت ، ولم يصل إليه وهو مُحرِم ، وكان يَلبَس السلاح ، ولا يَقرَب النساء ولا الطيب إلى أن قُتِل عبدُ الله بنُ الزبير . ونَحرَ ابنُ الزّبير بُدْنًا بمكَّة يومَ النحر ، ولم يحجَّ ذلك العامَ ولا أصحابه لأنَّهم لم يَقِفوا بعَرَفة .

قال محمَّد بنُ عمر : حدّثنى سعيد بنُ مسلِم بن بابك ، عن أبيه ، قال : حجَجتُ فى سنة اثنتين وسبعين فقَدِمْنا مكَّة ، فدخَلناها من أعلاها ، فنجدُ أصحابَ الحجَّاج وطارق فيما بين الحَجون إلى بئْرِ مَيْمون ، فطفْنا بالبيت وبالصَّفا والمرْوة، ثمّ حَجّ بالناس الحجَّاجُ، فرأيتُه واقفاً بالهَضَبات من عرَفة على فرس ، وعليه الدِّرع والمِغفَر ، ثم صَدَر فرأيتهُ عَدَل إلى بئْرِ ميمون ، ولم يَطفْ بالبيت وأصحابه متسلّحون ، ورأيتُ الطَّعام عندهم كثيرًا ، ورأيت العير تأتى من الشأم تحمل الطَّعام ؛ الكعْك والسَّويق والدَّقيق؛ فرأيتُ أصحابَه مخاصيبَ ، ولقد ابْتعْنا من بعضهم كعكًا بدرْهم ، فكفانا إلى أن بَلَغنا الجُحْفة وإنَّا لثلاثة نفر .

٨٣١/٢ قال محمَّد بن عمر : حدّثنى مصعب بنُ ثابت ، عن نافع مَولى بنى أسَد ، قال — وكان عالمًا بفتنة ابنِ الزّبير — قال : حُصر ابنُ الزبير ليلَةَ هلالِ ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين .

* * *

[أمر عبد الله بن خازم السُّلمىّ مع عبد الملك]

وفى هذه السنة كتَب عبدُ الملك إلى عبد الله بن خازم السلَمىّ يدعوه إلى بيْعته ويُطعِمه خُراسانَ سبعَ سنين ، فذَكر علىٌّ بن محمّد أنّ المفضَّل بنَ محمّد ويحيى بن طُفَيل وزُهيرَ بنَ هُنَيد حدّثوه — قال : وفى خبرِ بعضِهم زيادةٌ على خبر بعض — أنّ مُصعَب بنَ الزبير قُتِل سنة اثنتين وسبعين وعبدُ الله بنُ خازم بأبْرشَهْر يُقاتِل بحير بن ورْقاء الصُّرَيمىّ صُرَيم بن الحارث ؛ فكَتَب عبدُ الملك بنُ مروان إلى ابن خازم ٨٣٢/٢ مع سورة بن أشيم النُّمَيرى : إنّ لك خُراسانَ سبعَ سنين على أن تُبايع لى . فقال ابنُ خازم لسَوْرة : لولا أن أضرّب بين بنى سُلَيم وبنى عامر لقتلتُك ولكن كلْ هذه الصحيفة ، فأكلها .

قال : وقال أبو بكر بن محمّد بن واسع : بل قدِم بعهد عبد الله بنِ خازم سوادةُ بنُ عُبيد الله النُّمَيرىّ .

وقال بعضُهم : بعث عبدُ الملك إلى ابن خازم سِنانَ بن مكمّل الغنَوىّ ، وكتب إليه : إنّ خُراسان طُعْمة لك ، فقال له ابن خازم : إنما بعثك أبو الذِّبّان(١) لأنك من غنَىّ ، وقد علم أنى لا أقتُل رجلا من قيس ، ولكن كُلْ كتابَه .

قال : وكتب عبدُ الملك إلى بكير بن وشاح أحدِ بنى عوْف بن سعد — وكان خليفة ابن خازم على مرْوَ — بعهده على خراسان ووعده ومنّاه ، فخلع بكيرُ بن وشاح عبدَ الله بن الزبير ، ودعا إلى عبد الملك بنِ مروان ، فأجابه أهلُ مرْوَ ، وبلغ ابنَ خازم فخاف أن يأتيَه بُكَير بأهلِ مرْو ، فيجتمع عليه أهلُ مرْو وأهل أبرشَهْر ، فترك بَحيرًا ، وأقبل إلى مرْو يريد أن يأتىَ ابنه بالترمذ ، فأتبعه بحير ، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية : «شاهميغد» ، بينها وبين مرْو ثمانية فراسخ .

قال : فقاتله ابن خازم ، فقال مولًى لبنى ليث : كنت قريبًا من معترك

(١) ب : «الدبان» .

القوم فى منزل ، فلما طلعت الشمس تهايج العسكران ، فجعلتُ أسمع وقع السيوف ، فلمّا ارتفع النهارُ خفيت الأصواتُ ، فقلتُ: هذا لارتفاع النّهار، ٨٣٣/٢ فلمّا صلّيت الظهر — أو قبل الظهر — خرجتُ ، فتلقّانى رجلٌ من بنى تميم ، فقلتُ : ما الخبر ؟ قال : قتلتُ عدوَّ الله ابن خازم وها هو ذا ، وإذا هو محمول[1] على بغل ، وقد شدّوا فى مذاكيره حبْلاً وحجراً وعدلوه به على البغْل .

قال : وكان الّذى قتله وكيعُ بنُ عُميْرة القُريعىّ وهو ابن الدّوْرقيّة ، اعتور عليه بحير بن ورْقاء وعمّار بنُ عبد العزيز الجُشمىّ ووكيع ، فطعنوه فصرعوه، فقعد وكيع على صدره فقتله، فقال بعضُ الوُلاة لوكيع : كيف قتلتَ ابنَ خازم ؟ قال : غلبتُه بفضْل القنا ، فلمّا صُرع قعدتُ على صدره ، فحاول القيامَ فلم يقدر عليه ، وقلتُ : يا لثارات دُويلة ! ودُويْلةُ أخٌ لوكيع لأمّه ، قُتِل قبل ذلك فى غير تلك الأيّام .

قال وكيع : فتنخّم فى وجهى وقال : لعنك الله ! تقتل كبش مضر ، بأخيك ، علْج لا يساوى كفًّا من نوًى — أو قال : من تراب — فما رأيت أحدًا أكثر ريقًا منه على تلك الحال عند الموت .

قال : فذكر ابنُ هُبيرة يومًا هذا الحديثَ فقال : هذه والله البسالة.

قال : وبعث بحير ساعةَ قُتل ابن خازم رجلا من بنى غُدانة إلى عبد الملك ابن مرْوانَ يُخبره بقتل ابن خازم ، ولم يبعث بالرأس ، وأقبل بُكير بنُ وشاح فى أهل مرْو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأراد أخذ رأس ابن خازم، فمنعه بحيرٌ، فضربه بكير بعمود، وأخذ الرأسَ وقيّد بحيرًا وحبسه، وبعث بكير ٨٣٤/٢ بالرأس إلى عبد الملك ، وكتب إليه يُخبره أنّه هو الذى قتله ، فلمّا قُدم بالرأس على عبد الملك دعا الغُدانىّ رسولَ بحير وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدرى ، وما فارقتُ القومَ حتّى قُتِل ، فقال رجل من بنى سُليم :

أليْلتنَا بنيسابُورَ رُدّى ... علىَّ الصبحَ ويْحك أو أنيرِى

كواكبُها زَواحِفُ لاغِبَاتٌ ... كأنَّ سماءَها بيدى مُدِيرِ

---

(١) ب ، ف : « معارض » .

تَلومُ عَلى الحوادثِ أمُّ زيدٍ ... وهل للِّيفِ الحوادثِ من نَكيرِ!
جَهلن كَرامتى وصَدَدنَ عنِّى ... إلى أجل من الدّنيا قصير
فلو شهدَ الفوارسُ من سُلَيْمٍ ... غَدَاةَ يُطَاف بالأَسَدِ العَقِيرِ
لنازَلَ حولهُ قومٌ كِرامٌ ... فعَزَّ الوِترُ فى طلب الوُتورِ
فقد بَقِيتْ كلابٌ نابِحاتٌ ... وما فى الأَرضِ بعدَكَ من زَئيرِ

فولى الحجّ بالناس فى هذه السنة الحجّاج بن يوسف .

وكان العامل على المدينة طارقٌ مولى عثمان من قِبَل عبد الملك، وعلى الكوفة بِشْر بنُ مروان ، وعلى قضائها عُبيد الله بنُ عبد الله بن عُتبةَ بن مسعود . وعلى البصرة خالدُ بنُ عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضائها هشام ابنُ هُبيرة . وعلى خُراسان فى قول بعضهم عبدُ الله بنُ خازم السُلَمىّ ، وفى قولِ بعض : بكير بن وِشاحٍ . وزعم مَن قال : كان على خُراسانَ فى سنة اثنتين وسبعين عبدُ الله بنُ خازم أنّ عبدالله بنَ خازم إنّما قتل بعد ما قتل عبد الله بن الزبير ، وأنّ عبد الملك إنّما كتب إلى عبد الله بن خازم يدعوه إلى الدخول فى طاعته على أن يُطْعِمه خُراسان عشرَ سنين بعد ما قتل عبدُ الله بنُ الزُّبير ، وبعث برأسه إليه ، وأنّ عبد الله بنَ خازم حلَف لمّا ورد عليه رأسُ عبد الله بنِ الزبير ألّا يُعطيه طاعةً أبدًا ، وأنّه دعا بطست فغَسل رأسَ ابن الزبير ، وحنّطه وكفّنه ، وصلّى عليه ، وبعث به إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة ، وأطعم الرسول الكتاب ، وقال : لولا أنّك رسولٌ لضربتُ عنقك . وقال بعضهم : قطع يَدَيه ورجليه وضرَبَ عنقَه .

٨٣٥/٢

* * *

فصل نذكر فيه الكتّاب من بدء أمر الإسلام[1]

روى هشام وغيره أنّ أوّل من كتب من العرب حرب بن أميّة بن عبدِ شمس بالعربيّة ، وأنّ أوّل من كتب بالفارسيّة بيوراسب ، وكان فى زمان إدريس. وكان أول من صنّف طبقاتِ الكتّاب وبيّن منازلهم لهراسب ابن كاوغان بن كيموس .

(١) هذا الفصل ساقط من ا .

وحُكِى أن أبروَيْز قال لكاتبه : إنما الكلام أربعةُ أقسام : سؤالُك الشىءَ ، وسؤالُك عن الشىء ، وأمرُك بالشىء ، وخبرك عن الشىء ؛ فهذه دعائمُ المقالات إن التُمس لها خامس لم يوجَد ، وإن نقص منها رابعٌ لم تتِمّ ، فإذا طلبتَ فأسجح ، وإذا سألتَ فأوضح ، وإذا أمرْت فاحتْم ، وإذا أخبرت فحقّق . ٨٣٦/٢

وقال أبو موسى الأشعرىّ : أوّل من قال : أما بعدُ داود ، وهى فصلُ الخِطاب الذى ذكره الله عنه .

وقال الهيثم بنُ عَدِىّ : أوّل مَن قال : أما بعدُ قسّ بنُ ساعدةَ الإيادىّ .

أسماء من كتب للنبىّ صلّى الله عليه وسلم

علىّ بن أبى طالب عليه السلام وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحْىَ ؛ فإن غابا كتبه أُبَىُّ بن كعب وزيدُ بنُ ثابت .

وكان خالد بنُ سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سُفْيان يكتُبان بين يديه فى حوائجه .

وكان عبدُ الله بنُ الأرقم بن عبد يغُوثَ والعلاءُ بن عُقبة يكتُبان بين القوم فى حوائجهم ، وكان عبدُ الله بنُ الأرقم ربّما كتب إلى الملوك عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

* * *

[أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة]

وكتَب لأبى بكر عثمانُ ، وزيدُ بنُ ثابت ، وعبدُ الله بنُ الأرقم وعبدُ الله بنُ خلَف الخُزاعىّ ، وحنْظلة بن الربيع .

وكتَب لعمرَ بن الخطاب زيدُ بنُ ثابت ، وعبدُ الله بنُ الأرقم ، وعبدُ الله بنُ خلَف الخُزاعىّ أبو طلحة الطلَحات على ديوان البَصْرة ، وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبِيرةَ بن الضحّاك الأنصارىّ .

وقال عمرُ بنُ الخطّاب لكتّابه وعمّاله : إنّ القوّة على العمل ألّا

تؤخِّروا عملَ اليوم لغَد . فإنكم إذا فعلتم ذلك تذاءبت[١] عليكم الأعمال ، فلا تدْرون بأيها تبدءون ، وأيِّها تأخذون . وهو أوّلُ مَنْ دوَّن الدَّواوين ٢/٨٣٧ في العرَب في الإسلام .

وكان يكتُب لعثمانَ مروانُ بنُ الحكَم ، وكان عبدُ الملك يكتُب له على ديوان المدينة ، وأبو جَبيرة الأنصاريّ على ديوان الكوفة ، وكان أبو غطفان ابن عوف بن سعد بن دينار من بني دُهمانَ من قيس عَيْلان يكتُب له ، وكان يكتُب له أهيبُ مولاه ، وحمران[٢] مولاه .

وكان يكتُب لعليّ عليه السلام سعيدُ بنُ نِمْران الهمدانيّ ، ثمّ وليَ قضاءَ الكوفة لابن الزّبير . وكان يكتب له عبد الله بن مسعود ، ورُوِى أنّ عبد الله بنَ جُبير كتب له . وكان عُبيدُ الله بنُ أبي رافع يكتُب له . واختلف في اسم أبي رافع ، فقيل : اسمُه إبراهيم ، وقيل : أسلم ، وقيل : سنان ، وقيل : عبدُ الرحمن .

وكان يكتُب لمعاوية على الرّسائل عبيد[٣] بنُ أوْس الغَسّانيّ . وكان يكتب له على ديوان الخَراج سَرجُون بنُ منصور الرّوميّ . وكتب له عبدُ الرحمن بنُ دَرّاج ، وهو مَولَى معاوية ، وكَتَب على بعض دواوينه عُبيدُ الله بنُ نصر بن الحجاج بن عِلاء السُّلَميّ .

وكان يكتُب لمعاويةَ بن يزيدَ الرّيانُ بنُ مسلم ، ويكتُب له على الديوان سرجُون . ويُروَى أنه كتب له أبو الزعَيْزِعة .

وكَتَب لعبد الملك بن مروان قبيصةُ بنُ ذؤيب بن حَلحلة الخُزاعيّ ، ويُكْنَى أبا إسحاق . وكَتَب على ديوان الرسائل أبو الزعَيْزعة[٤] مولاه .

وكان يكتُب للوليد القَعقاعُ بنُ خالد — أو خُلَيد العبْسيّ ، وكتب له على ديوان الخراج سليمانُ بنُ سعد الخُشَنيّ ، وعلى ديوانَ الخاتَم شُعيبُ

(١) تذاءبت الأعمال : اجتمعت وتراكمت .

(٢) ط : « عمران » ، وانظر الفهرس .

(٣) ط : « عبيد الله » وانظر الفهرس .

(٤) ب : « الزعيريعة » .

العُمَانيّ مولاه ، وعلى ديوان الرّسائل جناح مولاه ، وعلى المستَغلاّت نُفَيع ابن ُ ذُوَيب مولاه .

٨٣٨/٢

وكان يكتُب لسليمان سليمانُ بنُ نعيم الحِمْيريّ .

وكان يكتُب لمسلَمة سميع مولاه ، وعلى ديوان الرسائل اللّيث بن أبي رُقَيّة مولًى أمّ الحكَم بنت أبي سُفْيان ، وعلى ديوان الخراج سليمانُ بنُ سعد الخُشَنيّ ، وعلى ديوان الخاتَم نُعَيمُ بنُ سلامة مَولًى لأهل اليمن من فِلَسْطين ؛ وقيل : بل رجاء بن حَيْوَة كان يتقلّد الخاتَم .

وكان يكتب ليزيدَ بن المهلب المغيرةُ بنُ أبي فَرْوة .

وكان يكتب لعمرَ بن عبدالعزيز اللّيثُ بنُ أبي رقيّة[1] مولى أمّ الحكَم بنت أبي سُفْيان ، ورَجاء بن حَيْوة . وكتب له إسماعيلُ بن أبي حكيم مولى الزّبير ، وعلى ديوان الخراج سليمانُ بنُ سعد الخُشَنيّ ، وقلّد مكانَه صالح بن جُبير الغَسّاني — وقيل : الغُدَانيّ — وعَدِيّ بنُ الصبّاح بن المثنى ، ذكَر الهيثمُ بنُ عَدِيّ أنه كان من جِلّة كُتّابه .

وكتَب ليزيدَ بن عبد الملك قبل الخلافة رجلٌ يقال له يزيد بن عبد الله ، ثمّ استكتب أسامةَ بنَ زيد السَّلِيحيّ .

وكتَب لهشام سعيدُ بنُ الوليد بن عمرو بن جَبَلة الكلبيّ الأبرَش ، ويُكنَى أبا مجاشع ، وكان نصر بن سيّار يتقلّد ديوان خراج خُرَاسان لهشام . وكان من كتّابه بالرُّصافة شعيبُ بنُ دينار .

وكان يكتب للوليد بن يزيدَ بكير بن الشمّاخ ، وعلى ديوان الرسائل سالمُ مولى سعيد بن عبد الملك ، ومن كتّابه عبدُ الله بنُ أبي عمرو ، ويقال : عبد الأعلى بن أبي عمرو ، وكتب له على الحضرة عَمْرو بنُ عُتْبة .

٨٣٩/٢

وكتَب ليزيد بن الوليد الناقص عبدُ الله بنُ نُعَيم ، وكان عَمرو ابنُ الحارث مولى بني جُمَح يتولّى له ديوانَ الخاتَم ، وكان يتقلد له ديوانَ

---

(١) ط : « ابن أبي فروة » ، وانظر تصويبات ط .

الرسائل ثابتُ بنُ سليمانُ بن سعد الخُشَنيّ — ويقال الرّبيع بن عرعرة الخُشَنيّ — وكان يتقلد له الخراجَ والدّيوانَ الذى للخاتَم الصغير النّضْرُ بنُ عَمْرو مِن أهل اليَمَن .

وكَتَب لإبراهِيمَ بن الوليد ابنُ أبي جمعة ، وكان يتقلّد له الديوانَ بفِلسطين ، وبايع الناس إبراهيم — أعنى ابنَ الوليد — سوى أهل حِمْصَ ، فإنهم بايعوا مروانَ بنَ محمد الجَعْدىّ .

وكَتَب لمروانَ عبدُ الحميد بنُ يحيى مولى العلاء بن وَهْب العامرىّ ، ومُصعَب بن الربيع الخَثْعمىّ ، وزيادُ بنُ أبى الوَرْد . وعلى ديوان الرسائل عثمانُ بنُ قيس مولى خالد القَسْرىّ . وكان من كتّابه مَخلَد بن محمد بن الحارث — ويُكْنى أبا هاشم — ومن كتّابه مُصعَب بن الرّبيع الخَثْعمىّ ، ويُكْنَى أبا موسى . وكان عبدُ الحميد بنُ يحيى من البلاغة فى مكان مَكِين ، ومما اختير له من الشعر :

تَرحَّلَ ما ليس بالقَافِـلِ وأعقَبَ ما لَيْسَ بالزَّائلِ
فلَهْفِى على الخَلَفِ النازلِ ولَهفى على السلفِ الراحلِ
أبكِّى على ذا وأبكِى لذا بكاءَ مُولَّهةٍ ثاكِلِ
تُبَكِّى من ابن لها قاطعٍ وتبكى على ابنٍ لها واصلِ
فليستْ تفَتَّرُ عن عَبْرةٍ لها فى الضّمير ومن هامِـل
٢/٨٤٠
تقضَّت غَواياتُ سُكْرِ الصِّبَى وردَّ التُّقَى عَنَنَ الباطِلِ

وكَتَب لأبى العباس خالدُ بنُ برْمَك ، ودفع أبو العباس ابنتَه رَيْطة إلى خالد بن برْمك حتى أرضعتْها زوجتُه أم خالد بنت يزيد بلبان بنت خالد تُدعَى أمَّ يحيى ، وأرضعت أم سلمة زوجة أبى العبَّاس أمَّ يحيى بنت خالد بلبان ابنتها رَيطة . وقلَّد ديوان الرسائل صالح بن الهَيْثم مولى رَيْطة بنت أبى العبَّاس .

وكَتَب لأبى جعفر المنصور عبدُ الملك بنُ حُميد مولى حاتم بن النّعمان الباهليّ من أهل خُراسان ، وكتب له هاشم بنُ سعيد الجُعْفىّ وعبدُ الأعلى بن أبى طَلْحة من بنى تميم بواسِطَ . ورُوى أنّ سليمانَ بنَ مخلد كان يكتُب لأبى جعفر ، وممّا كان يتمثّل به أبو جعفر المنصور :

وما إنْ شَفَى نفساً كأَمرِ صريمةٍ إذا حاجةٌ فى النفس طالَ اعتراضُها

وكَتَب له الرّبيع . وكان عُمارةُ بنُ حَمزةَ من نُبلاء الرّجال، وله :

لا تَشْكوَنْ دهْرًا صَححْتَ بهِ إنَّ الغِنَى فى صِحّة الجسمِ
هَبْك الإمامُ أكنتَ منتفِعاً بغضارةِ الدّنيا مع السُّقْم !

وكان يتمثّل بقول عبد بنى الحَسْحَاس :

أَمِنْ أُمَيّةَ دمعُ العين مَذْروفُ لو أنّ ذا منكَ قبلَ اليومِ معروفُ[1]
لا تُبكِ عينَك إنَّ الدَّهرَ ذو غِيَرٍ فيه تفرُّقَ ذو إلْفٍ ومألوفُ

وكَتَب للمهدىّ أبو عُبيد الله وأبانُ بنُ صَدَقة على ديوان رسائله ، ومحمَّد بن حُمَيد الكاتب على ديوان جُنْده ويعقوب بن داود ، وكان اتّخذه على وَزارته وأمْره ، وله : ٨٤١/٢

عَجبــاً لتصريفِ الأُمو رِ محبَّـــةً وكراهيَـــهْ
والدَّهرُ يَلعَب بالرِّجا ل له دوائرُ جـــاريَهْ

ولابنه عبد الله بن يعقوب — وكان له محمّدٌ ويعقوبُ ، كلاهما شاعرٌ مجيدٌ :

وزع المَشيبُ شراستى وغَرامى ومَرَى الجفونَ بمُسْبَلٍ سَجّامِ

---

(١) ديوانه ٦٢ ، ٦٣ ؛ وهى أبيات ثلاثة روايتها هناك :

أَمِنْ سُميَّةَ دمْعُ العيْن مَذْرُوفُ لو أَنَّ ذا منكِ قبْلَ اليَوْم معروف
المال مالكُمُ والعَبْد عبدُكُمُ فهل عذابُك عنِّى اليوم مَصْروفُ!
كأَنَّها يَوم صدّتْ ما تكلِّمنا ظبىٌ بعُسفانَ ساجى الطرف مطروف

ولقد حَرَصتُ بأَن أُوارِى شخصه عن مقلتىَّ فرُمْتُ غَيرَ مرام
وصبغتُ ما صَبَغَ الزمانُ فلم يدمْ صِبغى ودامت صبغةُ الأَيام
لا تَبعَدنَّ شبيبةٌ ذيّالةٌ فارقتُها فى سالفِ الأَعوام
ما كان ما آستصحَبْت من أَيَّامها إِلَّا كبعضِ طوارقِ الأَحلامِ

ولأَبيه :

طَلِّق الدنيا ثلاثاً واتَّخِذ زَوْجًا سِواها
إنَّها زَوْجةُ سَوْءٍ لا تُبالى مَنْ أَتاها

واستوزر بعدَه الفَيْض بنَ أَبى صالح ، وكان جواداً .

وكتب للهادى موسى عُبيدُ الله بن زياد بن أبى ليلى ومحمَّد بن حُمَيد .
وسأل المهدىّ يوماً أبا عُبيد الله عن أشعار العرب ، فصنَّفها له ، فقال :
٨٤٢/٢ أحكمُها قولُ طَرَفة بن العَبْد :

أَرى قبر نحامٍ بخيلٍ بماله كقَبْرِ غَوِىٍّ فى البَطالة مُفسدِ[1]
ترى جُثوتَيْنِ من تُرابٍ عليهما صفائحُ صُمٌّ من صفيحٍ مصمَّدِ[2]
أَرَى الموتَ يعْتام الكرامَ وَيَصطفى عقيلةَ مالِ الفاحِشِ المتشدِّدِ[3]
أَرَى العَيْشَ كنزًا ناقصاً كلّ ليلة وما تَنقُص الأَيام والدهر يَنفَدِ
لعمرُك إنَّ الموتَ ما أَخطأَ الفتى لكالطوَلِ المُرْخَى وثِنْياه باليَدِ[4]

وقوله :

وقد أَرانا كِلَانا هَمَّ صاحبِه لو أَنَّ شيئاً إذا ما فاتَنا رَجعَا
وكان شىءٌ إلى شىءٍ ففرَّقَه دَهرٌ يكرُّ على تفريقِ ما جمَعا

(١) ديوانه ٥٢ : ٥٤ . (٢) الجثوتان ، مثنى جثوة ؛ وهى كومة التراب .
(٣) يعتام : يختار ؛ وكذلك يصطفى . وعقيلة كل شىء : خياره .
(٤) الطول : الحبل الذى يطوَّل للدابة فترعى به .

وقول لبيد :

أَلا تَسأَلانِ المرءَ ماذا يُحاوِلُ أَنَحْبٌ فيُقضَى أم ضلالٌ وباطلُ[١]
أَلاَ كلُّ شىءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ
أَرَى الناسَ لا يدرون ما قدرُ أمرِهِمْ بلى كلُّ ذى رأىٍ إلى الله واسِلُ

وكقول النابغة الجَعْدِىّ :

وقد طالَ عهدى بالشَّباب وأَهلِه ولاقيتُ رَوْعاتٍ تُشيبُ النَّواصيَا[٢]
فلم أَجِدِ الإخوانَ إلاَّ صحـــابةً ولم أَجِدِ الأَهلين إلاَّ مثاويا
أَلم تعْلمى أَن قد رُزِئتُ مُحارِباً فما لكِ منه اليوم شىءٌ ولا لِيا

وكقول هُدْبَةَ بن خَشْرَم :

ولستُ بِمفراحٍ إذا الدهرُ سرَّنى ولا جازعٍ من صَرفه المتقلِّبِ[٣]
ولا أَبتغى الشرَّ والشرُّ تاركى ولكن مَتَى أُحَملْ على الشَّرِّ أَركبِ[٤] ٢/٨٤٣
وما يَعرف الأَقوامُ للدَّهر حَقَّـــهُ وما الدَّهْر مِما يكرهون بمُعتِبِ
وللدهر فى أَهل الفتى وتِلادِهِ نصيب كَحزِّ الجازِرِ المتشعِّبِ

وكقول زيادة بن زيد ؛ وتمثَّل به عبدُ الملك بن مروان :

تذكَّر عن شَحْطٍ أُميمةَ فارْعَوى لها بعد إكثارٍ وطُول نحيبِ
وإنَّ امرأً قد جَرَّب الدهر لم يخَفْ تقلُّبَ عَصْرَيه لغيرُ لبيبِ
هل الدهرُ والأَيام إلاَّ كما تَرَى رزيئةُ مالٍ أَو فراقُ حبيبِ
وكلّ الذى يأْتى فأَنتَ نَسيبُهُ ولستَ لشىءٍ ذاهبٍ بنَسيبِ

---

(١) ديوانه ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) أبيات منها فى الحماسة – بشرح المرزوقى برقمى ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، وأبيات منها أيضًا فى خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الكامل ٤ : ٨٦ ، مع اختلاف فى الرواية . (٤) بعده فى الكامل :

وَحَرَّبنى مَوْلاىَ حتَّى غَشِيتُه مَتَى ما يجرِّبْك ابن عَمِّكَ تَحْرَبِ

وليس بعيدٌ ما يجىء كمقبلٍ ولا ما مَضَى من مُفْرِح بقَريبِ

وكقول ابن مُقْبِل[1] :

لمَّا رأت بَدل الشَّبابِ بكتْ له والشَّيب أرْذَلُ هذه الأبدالِ

والناس همهُمُ الحياةُ ولا أرَى طول الحياة يَزيدُ غير خَبالِ

وإذا افتقرتَ إلى الذَّخائر لم تَجِدْ ذُخرًا يكون كصالحِ الأعمال

ووزر له يحيى بن خالد . ووَزَر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد ، فن مَلِيح كلامه : الخَطّ سِمَة الحِكمة ، به تفصَّل شُذورُها ، ويُنظَم منثورُها . قال ثُمامة : قلتُ لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون الاسم محيطًا بمعناك ، مُخبِرًا عن مَغْزاك ، مُخرجًا من الشركة ، غير مستعان عليه بالفِكرة . قال الأصمعيّ : سمعتُ يحيى بنَ خالد يقول : الدنيا دُوَل ، والمال عاريّة . ولنا بمن قَبلَنا أسْوة ، وفينا لمن بعدنا عِبْرة .

ونأتى بتسمية باقى كتاب خلفاء بنى العباس إذا انتهيْنا إلى الدّولة العبّاسيّة إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا فى الأصول ؛ والأبيات من قصيدة للأخطل فى ديوانه ١٥٩ – ١٦٣ ، ومطلعها :

لمن الديار بجابلٍ فوُعالِ دَرَسَتْ وغيّرها سِنونٌ خوالْ

ونسب المبرد فى الكامل ٣ : ١٤ البيت الثالث إلى الخليل بن أحمد .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

٨٤٤/٢

ذكر الكائن الذى كان فيها من الأمور الجليلة

[خبر مقتل عبد الله بن الزبير]

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير .

* ذكر الخبر عن صفة ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بنُ سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن عُمر . قال : حدّثنى إسحاق بنُ يحيى ، عن عُبيد الله بن القبطيّة ، قال : كانت الحرب بين ابن الزّبير والحجّاج ببطن مكّة ستّة أشهر وسبعَ عشرةَ ليلة .

قال محمّد بنُ عمر : وحدّثنى مصعب بنُ ثابت ، عن نافع مولى بنى أسد — وكان عالماً بفتنة ابن الزبير — قال : حُصِر ابن الزّبير ليلةَ هلالِ ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرةَ ليلةً خلتْ من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكان حصرُ الحجّاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبعَ عشرة ليلة .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بنُ سعد ، قال : أخبرنا محمّد ابن عمر : قال : حدّثنى إسحاقُ بنُ يحيى ، عن يوسفَ بن ماهَك ، قال : رأيتُ المَنجنيقَ يُرمَى به ، فرعدت السماء وبرقت ، وعلا صوتُ الرّعد والبرق على الحجارة ، فاشتمل عليها ، فأعظم ذلك أهلُ الشأم ، فأمسكوا بأيديهم ، فرفع الحجّاج بِركة قَبائه فغرَزَها فى مِنطَقته ، ورفع حجر المَنجنيق فوضعه فيه ، ثم قال : ارمُوا ، ورمى معهم . قال : ثمّ أصبحوا ، فجاءت صاعقة تتبعها أخرى ، فقتلتْ من أصحابه اثنَى عشرَ رجلا ، فانكسر أهلُ الشأم ، فقال الحجّاج : يا أهل الشأم ، لا تُنكروا هذا فإنى ابن تِهامة ، هذه صواعقُ تِهامة ، هذا الفتح قد حضر فأبشِروا ، إنّ القوم يُصيبهم مثل ما أصابكم ، فصعقت من الغد . فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدّة ؛ فقال الحجّاج : ألا ترَوْن أنّهم يصابون وأنتم على الطّاعة ، وهم على خلاف

٨٤٥/٢

الطاعة! فلم تزل الحربُ بينَ ابنِ الزبير والحجَّاج حتّى كان قُبيلَ مقتله وقد تفرّق عنه أصحابه، وخرج عامّة أهلِ مكّة إلى الحجّاج في الأمان.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمّد بنُ عمر، قال: حدّثني إسحاق بنُ عبدالله[1]، عن المنذر بن جَهْم الأسَديّ، قال: رأيتُ ابنَ الزبير يوم قُتِل وقد تفرّق عنه أصحابُه وخذله من معه خذلاناً شديداً، وجعلوا يخرجون إلى الحجّاج حتّى خرج إليه نحوٌ من عشرةِ آلاف.

وذكر أنّه كان ممّن فارقه وخرج إلى الحجّاج ابناه حَمزة وخُبَيب، فأخذا منه لأنفسهما أماناً، فدخل على أمّه أسماء — كما ذكر محمّد بنُ عمرَ عن أبي الزّناد، عن مَخرَمة بن سليمان الوالبيّ، قال: دخل ابنُ الزبير ٢/٨٤٦ على أمّه حين رأى من الناس ما رأى من خِذلانهم، فقال: يا أمّه؛ خذلَني الناسُ حتّى ولدي وأهلي، فلم يَبقَ معي إلّا اليسير ممّن[2] ليس عنده من الدّفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيُك؟ فقالت: أنتَ والله يا بُنيَّ أعلم بنفسك، إن كنتَ تعلم أنّك على حقّ وإليه تدعو فامضِ له، فقد قُتِل عليه أصحابك، ولا تُمكّن من رقبتك يتلعّب بها غِلمانُ أميّة، وإن كنتَ إنّما أردتَ الدّنيا فبئس العبدُ أنتَ! أهلكتَ نفسَك، وأهلكت من قُتِل معك. وإن قلتَ: كنتُ على حقّ فلمّا وَهَن أصحابي ضعفتُ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدّين، وكم خلودُكَ في الدنيا! القتلُ أحسن. فدنا ابن الزبير فقبّل رأسها وقال: هذا والله رأيي، والذي قمتُ به داعياً إلى يومي هذا ما ركَنْتُ إلى الدنيا، ولا أحببتُ الحياةَ فيها، وما دعاني إلى الخروج إلّا الغضب لله أن تُستحَلَّ حُرَمه، ولكنّي أحببتُ أن أعلم رأيك، فزدْتِني[3] بصيرةً مع بصيرتي. فانظري يا أمّهْ فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتدَّ حُزْنك، وسلّمي الأمر لله، فإنّ ابنَك لم يتعمّد إتيان[4] مُنكَر، ولا عَملا بفاحشة، ولم يَجُرْ في

(١) ط: «عبيد»، وصوابه من ا. (٢) ب: «ومن»، ا، ف: «من».
(٣) ب، ف: «فقد زدتني». (٤) ب، ف: «إيثار».

حكم الله ، ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعمَّد ظُلْم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عُمَّالى فرضيتُ به بل أنكرتُه ، ولم يكن شىءٌ آثرَ عندى[1] من رِضَا رَبى . اللهمّ إنى لا أقول هذا تزكية منّى لنفسى ، أنت أعلمُ بى ، ولكن أقولُه تعزية لأمّى لتسلوَ عنّى . فقالت أمه : إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حَسَنًا إن تقدّمتَنى ، وإن تقدّمْتُك ففى نفسى ، اخرج حتّى أنظر إلى ما يصير أمرك . قال : جزاكِ الله يا أمّه خيرًا ، فلا تَدَعى الدّعاء لى قبلُ وبعدُ . فقالت : لا أدَعه أبدًا ، فمن قُتِل على باطل فقد قُتِلْتَ على حقّ . ثم قالت : اللّهمّ ارحمْ طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النّحيب والظّمأ فى هَواجِر المدينة ومكّة، وبرّه بأبيه وبى . اللّهمّ قد سلّمته لأمرك فيه ، ورضيتُ بما قضيتَ ، فأثِبْنى فى عبد الله ثوابَ الصابرين الشاكرين[2] . ٨٤٧/٢

قال مصعب بنُ ثابت : فما مكثتْ بعدَه إلّا عَشْرًا ، ويقال : خمسة أيّام .

قال محمد بنُ عمر : حدّثنى موسى بنُ يعقوب بن عبد الله ، عن عمّه قال : دخل ابنُ الزبير على أمه وعليه الدّرع والمِغفَر ، فوقف فسلّم ، ثمّ دنا فتناول يدها فقبّلها[3] . فقالت : هذا وداع فلا تَبعَد ، قال ابن الزبير : جئت مودّعا ، إنى لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمرّ بى ، واعلمى[4] يا أمّه أنى إن قُتِلت فإنّما أنا لحم لا يضرّنى ما صُنِع بى . قالت : صدقتَ يا بُنىَّ ، أتمِم على بصيرتك ، ولا تُمكّن ابنَ أبى عَقِيل منك ، وادنُ منى أوَدّعْك ، فدنا منها فقبّلها وعانقَها ، وقالت حيث مَسَّت الدّرْع : ما هذا صنيعُ من يريد ما تريد ! قال : ما لبستُ هذا الدّرع إلّا لأشدّ منك ، قالت العجوز : فإنّه لا يشدّ منّى ، فنزَعها ثمّ أدرج كمّيْه ، وشَدّ أسفلَ قميصه ، وجُبّةَ خزّ تحت القميص فأدخلَ أسفلَها فى المِنطقة ، وأمّه تقول : البَس ثيابَك مشمَّرةً . ثمّ انصرَف ابن الزبير وهو يقول : ٨٤٨/٢

---

(١) ب ، ف : « عندى آثر » . (٢) ب ، ف : « الشاكرين الصابرين » .
(٣) ف : « يديها فقبلهما » . (٤) ب : « وأعلم » .

إنّى إذَا أعْرِف يومِى أصبِرْ إذ بَعْضُهمْ يَعْرِفُ ثم يُنكِرْ

فسمعت العجوزُ قولَه، فقالت : تَصبَّرْ واللهِ إنْ شاء الله، أبوك أبو بكر والزّبير، وأمّك صفيّة بنتُ عبد المطّلب .

حدّثنى الحارث، قال : حدّثنى ابنُ سعد، قال: أخبرنى محمّد بنُ عمر، قال : أخبرنا ثورُ بنُ يزيدَ، عن شيخ من أهل حِمْصَ شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشأم، قال: رأيتُه يوم الثّلاثاء وإنّا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخلُه ؛ لا يدخله غيرُنا ، فيخرج إلينا وحدَه فى أثرنا ، ونحن منهزمون منه ، فما أنسىَ أرجوزةً له :

إنّى إذَا أعْرِفُ يومِى أصبِرْ وإنَّما يَعْرِف يَوْمَيْهِ الحُرّْ

* إذْ بعضُهمْ يَعرِف ثم يُنكِرْ *

فأقول : أنتَ واللهِ الحرّ الشريف، فلقد رأيتُه يقف فى الأبْطح ما يدنو منه أحدٌ حتّى ظننّا أنّه لا يقتَل .

٢/٨٤٩ حدّثنى الحارث، قال : حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرَنا محمّد بنُ عمر، قال : حدّثنا مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بنى أسد، قال : رأيتُ الأبوابَ قد شُحِنت من أهل الشأم يوم الثلاثاء، وأسلَم أصحابُ ابن الزّبير المحارس، وكثرهم القومُ فأقاموا على كلّ باب رجالا وقائدًا وأهل بلد، فكان لأهل حمص الباب الّذى يواجه بابَ الكعبة، ولأهل دِمَشق باب بنى شَيْبة، ولأهل الأرْدُنّ باب الصّفا، ولأهل فِلَسطين باب بنى جُمَح، ولأهل قِنّسْرِين باب بنى سَهْم، وكان الحجّاج وطارق بن عمرو جميعًا فى ناحية الأبطح إلى المروة، فمرّة يَحمِل ابنُ الزبير فى هذه الناحية، ومرة فى هذه الناحية. فلكأنّه أسدٌ فى أجَمة ما يُقدِم عليه الرّجال، فيعدو فى أثَر القوم وهم على الباب حتّى يُخرِجَهم وهو يرتجز :

إنّى إذَا أعْرِف يومِى أصبرْ وإنَّما يَعرف يومَيْه الحُرّْ

ثم يصيح : يا أبا صَفوان[١]، ويلُ أمّه فتْحًا لو كان له رجال !

(١) ا : « أباصفوان » وهو عبد الله بن صفوان وانظر ص ١٩٢ .

* لو كانَ قِرْنِي وَاحِدًا كفَيْتُهُ[1] *

قال ابن صفوان : إى والله وألف .

حدّثنى الحارث، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال: أخبرَنا محمَّد بنُ عمرَ ، قال : فحدّثنى ابنُ أبى الزّناد وأبو بكر بنُ عبدالله بنِ مصعب، عن أبى المنذر[2] . وحدّثنا نافع موْلى بنى أسد، قالا: لمَّا كان يوم الثلاثاء صبيحةَ سبع عشرة من جُمادَى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجَّاجُ على ابن الزبير بالأبواب، بات ابنُ الزّبير يصلّى عامّةَ اللّيل، ثمّ احتبَى بحمائلِ ٨٥٠/٢ سيفه فأغفى ، ثمّ انتبه بالفجر فقال : أذّن يا سعد ، فأذّن عند المقام ، وتوضّأ ابنُ الزبير ، وركع ركعتى الفجر ، ثم تقدّم ، وأقام المؤذّن فصلّى بأصحابه، فقرأ ﴿ نٓ والقلم ﴾ حرْفًا حرفًا ، ثمّ سلّم ، فقام فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال :

اِكشفوا وجوهكم حتَّى أنظر، وعليهم المغافر والعمائم، فكشفوا وجوههم فقال : يا آل الزبير ، لو طِبْتم لى نَفْسًا عن أنفسكم كنَّا أهلَ بيت من العرب اصطُلِمْنا فى الله لم تصبْنا زبَّاءُ بتَّة . أمَّا بعد يا آل الزبير ، فلا يرُعْكم وقعُ السيوف ، فإنى لم أحضر موطنًا قطّ إلّا ارتُثِثْتُ فيه من القتل، وما أجدُ من أدواء جراحها أشدّ ممَّا أجد من ألمِ وقعِها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ، لا أعلم امرأً كَسَر سيفَه ، واستَبقَى نفسَه ، فإنّ الرجلَ إذا ذهب سلاحُه فهو كالمرأة أعزل، غُضوا أبصاركم عن البارقة، وليَشْغَلْ كلّ امرئٍ قِرْنَه ، ولا يلُهينّكم السؤالُ عنّى، ولا تقولُنّ: أين عبدُ الله بنُ الزبير ؟ ألا من كان سائلا عنّى فإنى فى الرَّعيل الأوّل .

أَبى لابن سَلْمَى أَنَّهُ غيرُ خالِدٍ مُلاقى المنايا أَىَّ صَرْفٍ تيمَّمَا[3]

فلَسْتُ بمُبتاعِ الحَياة بسُبَّةٍ ولا مُرتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الموتِ سُلَّمَا[4]

---

(١) لدويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨ .

(٢) ط : « ابن » وصوابه من ا ، وهو أبو المنذر هشام بن محمد الكلبى .

(٣) الحصين بن الحمام المرى ، من المفضلية ١٢ . (٤) المفضليات : « ولا مبتغ » .

احملوا على بركة الله .

٨٠١/٢ ثمّ حمل عليهم حتّى بلغ بهم الحَجُون ، فرُمِى بآجُرّة فأصابته فى وجهه فأرعِش لها ، ودمى وجهُه ، فلمّا وَجد سخونةَ الدّم يسيل على وجهه ولحيته قال :

فَلسْنَا على الأَعقاب تَدْمَى كُلُومُنا ولكنْ على أَقدامِنَــا تَقْطُرُ الدّما[1]

وتغاوَوْا عليه .

قالا : وصاحت مولاة لنا مجنونة : وا أميرَ المؤمنيناه ! قالا : وقد رأته حيث هوى ، فأشارتْ لهم إليه ، فقتل وإنّ عليه ثيابَ خزّ . وجاء الخبر إلى الحجّاج ، فسجد وسار حتّى وقف عليه وطارق بنُ عمرو ، فقال طارق : ما وَلَدت النساءُ أذكرَ من هذا؛ فقال الحجّاج : تَمدَح مَن يُخالف طاعةَ أمير المؤمنين ! قال : نعم ، هو أعذَر لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عُذر ، إنّا مُحاصروه وهو فى غير خَندَق ولا حصن ولا مَنَعة منذ سبعة أشهر ينتصف منّا ، بل يفضل علينا فى كلّ ما التقينا نحن وهو ؛ فبلغ كلامُهما عبدَ الملك ، فصوّب طارقًا .

حدّثنا عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن، عن رجاله، قال : كأنى أنظر إلى الزبير وقد قتل غلامًا أسوَد، ضَرَبه فعرقَبه، وهو يمرّ فى حملته عليه ويقول : صَبْرًا يا بن حام ، فى مِثلِ هذه المواطن تَصْبر الكرام !

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمّد ابنُ عمر ، قال : حدثنى عبد الجبار بنُ عُمَارة ، عن عبد الله بن أبى بكر ٨٠٢/٢ ابن محمّد بنِ عمرو بنحزْم ، قال : بعث الحجّاجُ برأس ابنِ الزّبير ورأسِ عبدِ الله بنِ صفْوان ورأس عُمارة بن عَمرو بن حزم إلى المدينة فنصبتْ بها، ثم ذُهِب بها إلى عبد الملك بنِ مروان ، ثمّ دخل الحجّاج

---

(١) الحصين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة — بشرح المرزوقى ١ : ١٩٢ ، وفى ط : « لسنا » وأثبت ما فى ب ، ف ، وهو يوافق ما فى الحماسة .

مكّة ، فبايع[1] مَن بها مِن قريش لعبد الملك بن مروان .

***

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة ولّى عبدُ الملك طارقًا مولى عثمانَ المدينة فوليَها خمسةَ أشهر .

وفى هذه السنة تُوفّىَ بِشرُ بنُ مروانَ فى قول الواقدىّ ، وأمّا غيرُه فإنّه قال : كانت وفاته فى سنة أربع وسبعين .

وفيها أيضًا وَجّه — فيما ذُكر — عبد الملك بن مروان عمرَ بن عبيد الله بن معمَر لقتال أبى فُدَيك ، وأمره أن يندب معه من أحبّ من أهل المِصْرين ، فقدِم الكوفة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرةُ آلاف ، ثم قَدِم البَصْرة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرةُ آلاف ، فأخرج لهم أرزاقَهم وأعطياتِهم ، فأعطُوها . ثمّ سار بهم عمرُ بن عُبيد الله ، فجَعل أهلَ الكوفة على الميمنة وعليهم محمّد بن موسى بن طلحة ، وجَعل أهلَ البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عُبيد الله ، وجعل خيلَه فى القلب ، حتّى انتهوْا إلى البحرَيْن ، فصفّ عمر بنُ عبيد الله أصحابه . وقَدِم الرَّجّالة فى أيديهم الرّماح قد ألزَموها الأرض ، واستتروا بالبراذع ، فحَمل أبو فُدَيك وأصحابُه حملةَ رجل واحد ، فكَشفوا ميسرة عُمرَ بن عبيد الله حتّى ذهبوا فى الأرض إلا المغيرةَ بن المهلّب ومَعْن بن المغيرة ومُجّاعة بن عبد الرحمن وفُرسان الناس فإنّهم مالوا إلى صَفّ أهل الكوفة وهم ثابتون ، وارتُثّ عمرُ بن موسى بن عبيد الله ، فهو فى القتلى قد أُثخِن جراحةً . فلمّا رأى أهلُ البصرة أهلَ الكوفة لم ينهزموا تذمّموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مرّوا بعمر بن موسى بن عُبيد الله جريحًا فحملوه حتّى أدخلوه عسكرَ الخوارج وفيه تبْن كثير فأحرقوه ، ومالت عليهم الرّيح . وحمل أهلُ الكوفة وأهلُ البصرة حتّى استباحوا عسكرَهم وقتلوا أبا فُدَيك . وحَصَروهم فى المُشَقَّر ، فنزلوا على الحكم ، فقَتل عمرُ بنُ عُبيدِ الله منهم — فيما ذُكر — نحوًا من ستّة آلاف ، وأسَر ثمانمائة ، وأصابوا جارية أميّة بن عبد الله حُبْلَى من أبى فديك وانصرَفوا إلى البَصْرة . ٨٥٣/٢

(١) ب : «فبايعه» ، ا ، س : «فبايع بها» .

وفى هذه السنة عزَل عبدُ الملك خالدَ بنَ عبد الله عن البَصرة وولّاها أخاه بِشْر بن مروان ، فصارت ولايتُها وولايةُ الكوفة إليه ، فشخص بِشر لمّا وُلّيَ مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستَخلف على الكوفة عمرو بنَ حرَيث .

وفيها غزا محمّد بنُ مروانَ الصائفة . فهزم الرّوم .

وقيل : إنّه كان فى هذه السنة وقعةُ عثمانَ بنِ الوليد بالرّوم فى ناحية أرْمينيَةَ وهو فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفًا ، فهزَمَهم وأكثرَ القَتلَ فيهم .

٨٠٤/٢ وأقام الحجّ فى هذه السّنة للناس الحجّاج بن يوسف وهو على مكّة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة — فى قول الواقدىّ — بشر بن مُروان ، وفى قولِ غيرِه على الكوفة بِشْر بن مرْوان . وعلى البصْرة خالد بن عبد الله بن خالدِ بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيح بن الحارث ، وعلى قَضَاء البَصْرة هشامُ ابنُ هُبيرة ، وعلى خُراسانَ بُكَير بن وِشاح .

ثمّ دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

[قال أبو جعفر :] فمما كان فيها من ذلك عَزْلُ عبدِ الملك طارقَ بن عمرو عن المدينة ، واستعمالُه عليها الحجّاج بن يوسف . فقدِمها – فيما ذكر – فأقام بها شهرًا ثمّ خرج معتمرًا .

وفيها كان – فيما ذُكِر – نَقْضُ الحجّاج بن يوسفَ بنيان الكعبة الّذي كان ابنُ الزبير بناه ، وكان إذ بناه أدخل فى الكعبة الحِجْر ، وجعل لها بابَيْن ، فأعادها الحجّاجُ على بنائها الأوّل فى هذه السنة ، ثمّ انصرف إلى المدينة فى صفر ، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبّث بأهل المدينة ويتعنّتهم ، وبنى بها مسجدًا فى بنى سلِمة ، فهو يُنسَب إليه .

واستخفّ فيها بأصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فختَم فى أعناقهم ؛ فذَكرَ محمّد بنُ عمرانَ بن أبى ذئب . حدّثه عمّن رأى جابرَ بنَ عبد الله مختومًا فى يده .

وعن ابن أبى ذئب ، عن إسحاق بن يزيد ، أنه رأى أنس بن مالك مختومًا فى عنقه ، يريد أن يُذِلّه بذلك . ٢/٨٥٥

قال ابن عمر : وحدّثنى شُرَحبيل بن أبى عون ، عن أبيه ، قال : رأيتُ الحجّاج أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه ، فقال : ما منعك أن تنصرُ أميرَ المؤمنين عثمانَ بنَ عفّان ! قال : قد فعلتُ . قال : كذبتَ ، ثمّ أمَر به فختم فى عنقه برَصاص .

وفيها استقْضَى عبدُ الملك أبا إدريسَ الخوْلانيّ – فيما ذكَر الواقدىّ .

وفى هذه السنة شَخَص فى قول بعضِهم بِشر بنُ مروان من الكوفة إلى البَصْرة واليًا عليها .

* * *

[ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة]

وفى هذه السنة وُلّىَ المهلّبُ حرْبَ الأزارقة من قِبَل عبدِ الملك .

• ذكر الخبر عن أمرِه وأمرِهم فيها :

ولمَّا صار بِشْر بالبصرة كتب عبدُ الملك إليه — فيما ذكَر هشامٌ عن أبي مِخنَف ، عن يونسَ بن أبي إسحاق ، عن أبيه :

أمَّا بعد ، فابعث المهلَّب في أهل مصره[١] إلى الأزارقة ، ولْينتخب من أهلِ مِصْره وجوههم وفُرسانهم وأولى الفَضْلَ والتجربة منهم[١] ، فإنَّه أعرف بهم ، وخلِّه ورأيه في الحرب ، فإني أوثَقُ شيء بتجربتِه ونصيحته للمسلمين . وابعثْ من أهل الكوفة بَعْثًا كثيفًا ، وابعثْ عليهم رجلا معروفًا شريفًا ، حسيبًا صليبًا ، يُعرَف بالبأس والنَّجْدة والتَّجربة للحَرْب ، ثمّ أنهِضْ إليهم أهلَ المِصْرين فلْيَتبِعوهم أيَّ وجهٍ ما توجَّهوا حتَّى يُبيدَهم الله[٢] ويستأصلَهم . والسلام عليك[٣] . ٢/٨٥٦

فدعا بِشْرٌ المهلَّبَ فأقرأه الكتاب ، وأمره أن ينتخب مَنْ شاء ، فبعث بجُديع بن سَعيد بن قَبيصة بن سرّاق الأزْدي — وهو خالُ يزيدَ ابنه — فأمره أن يأتي الدّيوان فينتخب الناسَ ، وشقّ على بشر أنّ إمرَةَ المهلَّب جاءتْ من قِبَلِ عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره ، فأوغرتْ صدرَه عليه حتَّى كأنَّه كان له إليه ذنب . ودعا بِشر بنُ مروانَ عبدَ الرحمن بنَ مِخْنفَ فبعَثه على أهل الكوفة ، وأمره أن ينتخب فُرسانَ الناس ووجوهَهم وأولى الفَضْل منهم والنَّجْدة .

قال أبو مِخنَف : فحدّثني أشياخ الحيّ ، عن عبد الرحمن بن مِخنَف قال : دعاني بِشر بنُ مروانَ فقال لي : إنَّك قد عرفتَ منزلتَك منّي ، وأثَرَتك عندي ، وقد رأيتُ أن أولِّيَك هذا الجيش للَّذي عرفتُ من جَزئك وغَنائك وشَرَفك وبأسِك ، فكن عند أحسن ظَنّي بك . انظرْ هذا الكذا كذا — يقع في المهلب — فاستبدّ عليه بالأمر ، ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأيًا ، وتَنَقَّصْه وقَصِّر به .

قال : فترَك أن يُوصِيَني بالجُنْد ، وقتالِ العدُوّ ، والنَّظر لأهل

(١ – ١) ب ، ف : « ووجوههم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم إلى الأزارقة وليستخب من أحب » . (٢) ب ، س : « يبيرهم » . (٣) بعدها في ف : « ورحمة الله وبركاته » .

الإسلام ، وأقبل يُغريني بابن عمّى كأنى من السُّفهاء أو ممَّن يُستَصْبى ويُستجهَل ، ما رأيتُ شيخًا مِثْلى فى مِثْل هيئى ومنزلتى طَمِع منه فى مِثلِ ما طَمِع فيه هذا الغلامُ مِنّى ، شَبَّ عَمرو عن الطَّوْق .

٨٥٧/٢ قال : ولمَّا رأى أنى لستُ بالنَّشيط[1] إلى جوابه قال لى : مَا لَكَ ؟ قلتُ : أصلحَكَ الله ! وهل يَسعنى إلّا إنفاذ أمرِك فى كلّ ما أحببت وكرهت ! قال : امضِ راشدًا . قال : فودّعتُه وخرجتُ مِن عنده ، وخرج المهلَّب بأهل البصرة حتَّى نزل رامَ مَهُرْمُز فلقىَ بها الخوارج ، فخندق عليه ، وأقبل عبدُ الرحمن بنُ مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه[2] بِشْر بنُ جريرٍ ، وعلى ربع تميم وهَمْدان محمَّد بنُ عبدِ الرحمن بن سعيد بن قيس ، وعلى ربع كِنْدَةَ وربيعةَ إسحاقُ بنُ محمَّد بن الأشعث ، وعلى ربعِ مَذحِج وأسَد زَحْر بن قيس . فأقبَل عبدُ الرحمن حتَّى نزل من المهلَّب على مِيل أو مِيل ونصف . حيث تراءى العسكران برَام مَهُرْمُز ، فلم يلبَث الناسُ إلّا عشرًا حتّى أتاهم نعىُ بِشر بن مروان ، وتُوفّىَ بالبصرة ، فارفضَّ ناس كثيرٌ من أهل البصرة وأهلِ الكوفة ، واستَخلف بشر خالدَ بنَ عبد الله ابن أسيد ، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حُرَيث ، وكان الّذين انصرفوا من أهل الكوفة زَحْر بن قيس وإسحاق بن محمَّد بن الأشعث ومحمَّد بن ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، فبعث عبدُ الرحمن بنُ مخنف ابنَه جعفرًا فى آثارهم ، فردّ إسحاقَ ومحمَّدًا ، وفاتَه زحْر بن قيس ، فحبسهما يومين ، ثمّ أخذ عليهما ألاّ يفارقاه ، فلم يلبثا إلّا يوما[3] حتى انصرفا ، فأخذا[4] غير الطريق ، وطُلبا فلم يُلحقَا ، وأقبَلا حتى لحقا زَحْر بنَ قيس بالأهواز ، فاجتمع بها ناس كثير ممَّن يريد البَصْرة ، فبلغ ذلك خالد بن عبد الله ، ٨٥٨/٢ فكتب إلى الناس كتابًا[5] وبعث رسولاً يضرب وجوهَ الناس ويردّهم[5] ، فقدم بكتابه مولًى له ، فقرأ الكتاب على الناس ؛ وقد جُمِعوا له :

---

(١) ب ، ف : « بنشيط » . (٢) ب ، ف : « ومعه » .

(٣) ب ، ف : « يومين » . (٤) س : « انصرفوا فأخذوا » .

(٥ - ٥) ب ، ف : « وبعث رسلا تضرب وجوه الناس وتردهم » .

بسم الله الرّحمن الرحيم ، من خالد بن عبد الله ، إلى من بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين. سلامٌ عليكم ؛ فإنى أحمد إليكم الله الّذى لا إله إلاّ هو . أمّا بعد ، فإنّ الله كتب على عباده الجهاد ، وفرض طاعةَ وُلاة الأمر ، فمن جاهد فإنّما يُجاهد لنفسه ، ومن ترك الجهادَ فى الله كان الله عنه أغنى ، ومن عصَى وُلاةَ الأمر والقوّام بالحق أسخَط اللهَ عليه ، وكان قد استحقّ العُقوبة فى بشره ، وعرّض نفسَه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه ، والتسيير إلى أبعد الأرض وشرّ البلدان . أيّها المسلمون ، اعلموا[1] على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنّه عبدُ الملك بنُ مروان أميرُ المؤمنين ، الذى ليست فيه غميزة ، ولا لأهل المعصية عنده رُخْصة ، سوطه على من عصى ، وعلى من خالف سيفُه ، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا ، فإنى لم آلُكم نصيحةً . عبادَ الله ، ارجعوا إلى مكتبكم[2] وطاعة خليفتكم ، ولا ترجعوا عاصين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أثقف عاصيًا بعد كتابى هذا إلّا قتلتُه إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله .

وأخذَ كلما قرأ عليهم سطرًا أو سطرين قال له زحْر : أوْجز ؛ فيقول له مولى خالد : والله إنى لأسمع كلامَ رجل ما يريد أن يفهم ما يَسمع . أشهد لا يعيج[3] ، بشىء مما فى هذا الكتاب. فقال له: اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرتَ به ، ثم ارجع إلى أهلك ، فإنك لا تدرى ما فى أنفسنا .

٨٥٩/٢

فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناسُ إلى ما فى كتابه ، وأقبل زَحْر[4] وإسحاقُ بنُ محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قريةً لآل الأشعث إلى جانب الكوفة ، وكتبوا إلى عمرو بن حُرَيث :

أما بعد ، فإنّ الناس لمّا بلغهم وفاةُ الأمير رحمةُ الله عليه تفرّقوا فلم يبقَ معنا أحد ؛ فأقبلنا إلى الأمير وإلى مصرنا ، وأحببنا ألّا ندخل الكوفة إلّا بإذن الأمير وعلمه .

---

(١) ب ، ف : « أتعلمون » . (٢) ب ، ف : « أمكنتكم » .
(٣) لا يعيج : لا يكترث . وفى ب ، ف : « لا تهيج فتنة إلا كنت رأسها » .
(٤) بعدها فى ب ، ف : « وأصحابه » .

فكتب إليهم :

أما بعد، فإنكم تركتم مكتَتَبكم[1] وأقبلتم عاصين مخالفين ، فليس لكم عندنا إذْن ولا أمان .

فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رحالهم ، فلم يزالوا مقيمين حتى قَدِم الحجاج بن يوسف .

* * *

[عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها]

وفي هذه السنة عزل عبدُ الملك بُكيرَ بن وشاح عن خُراسان وولّاها أميةَ بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

* ذكر الخبر عن سبب عزل بُكَير وولايةِ أميّة :

وكانت ولايةُ بُكَير بن وِشاح خُراسان إلى حينِ قدم[2] أمية عليها والياً سنتين في قول أبي الحسَن، وذلك أن ابن خازم قتِل سنة ثلاث وسبعين وقدم أميّة سنة أربع وسبعين .

وكان سبب عزل بُكير عن خُراسان أنّ بحيرًا — فيما ذكَر عليّ عن المفضّل — حبَسهُ بُكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت في رأس ابن خازم ٢/٨٦٠ حين قتله، فلم يزل محبوساً عنده حتى استعمل عبدُ الملك أميّة بنَ عبد الله ابن خالد بن أسيد ، فلما بلغ ذلك بُكيرًا أرسل إلى بَحِير ليصالحَه ، فأبى عليه وقال: ظنّ بُكير أنّ خُراسان تبقى له في الجماعة ! فمشت السفراء بينهم ، فأبى بَحير ، فدخل عليه ضرار بن حصين الضَّبيّ ، فقال : ألا أراك مائقاً ! يُرسل إليك ابنُ عمِّك يَعتذِر إليك وأنت أسيرُه ، والمَشرَفيّ في يده — ولو قتلك ما حبَقَتْ فيك عنز — ولا تَقبَل منه! ما أنت بموفَّق[3]. اقبل الصّلح ، واخرج وأنت على أمرك . فقبِل مشورته ، وصالح بُكَيرا ، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفاً، وأخذ على بَحير ألّا يقاتله . وكانت تميم قد اختلفت بخُراسان ، فصارت مُقاعس والبطونُ يتعصّبون له ، فخاف أهلُ خُراسان أن تعود الحربُ وتَفسد البلاد ، ويقهرهم عدوّهم من المشركين ، فكتبوا إلى

(١) ب ، ف : « أمكنتكم » . (٢) ب ، ف : « قدوم » .
(٣) ب ، ف : « بموثق » .

عبد الملك بن مَرْوان : إنّ خُراسان لا تصلح بعد الفتنة إلّا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصّبون عليه ، فقال عبد الملك : خُراسان ثَغْر المَشرق ، وقد كان به من الشرّ ما كان ، وعليه هذا التميميّ ، وقد تعصّب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه ، فيَهلك الثّغر ومَنْ فيه ، وقد سألوا أنْ أولّيَ أمرَهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا ، فقال أميّة بنُ عبد الله : يا أمير المؤمنين ، تداركهم برجل منك ، قال : لولا انحيازُك عن

٢/٨٦١ أبي فُدَيك كنت ذلك الرجل . قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما انحزْتُ حتى لم أجدْ مُقاتِلاً ، وخَذَلني الناس ، فرأيت أنّ انحيازي إلى فئة أفضل من تعريضي عصبةً بقيتْ من المسلمين للهلكة ، وقد علم ذلك مَرّار بن عبدالرحمن بن أبي بكْرة ، وكتبَ إليك خالدُ بن عبدالله بما بلَغه من عُذْري — قال : وكان خالد كتب إليه بعذره ، ويُخبره أنّ الناس قد خذلوه — فقال مرّار: صدق أميّة يا أمير المؤمنين ، لقد صبر حتى لم يَجد مقاتِلاً ، وخَذَلَه الناس . فولاّه خُراسان ، وكان عبدُ الملك يُحبّ أميّة ، ويقول: نتيجتي ، أي لِدَتي ، فقال الناس : ما رأيْنا أحداً عُوّض من هزيمة ما عُوّض أمية ، فرّ من أبي فُدَيْك فاستُعْمِل على خراسان ؛ فقال رجل من بكر بن وائل في مَحبس بُكَيْر بن وشاح :

أَتَتْكَ العِيسُ تَنْفحُ في بُراها ... تُكَشِّفُ عَنْ مَنَاكِبِهَا القُطوعُ[1]

كأَنَّ مَواقِعَ الأَكوارِ منها[2] ... حَمَامُ كَنَائِسٍ بُقْعٌ وُقوعُ

بِأَبْيَضَ من أُميّةَ مضرحِيٍّ ... كأَنَّ جبينَهُ سَيْفٌ صنيعُ[3]

وبَحير يومئذ بالسِّنْج يَسأل عن مسير أميّة ؛ فلما بلغه أنه قد قارب

٢/٨٦٢ أبْرشَهر قال لرجل من عجم أهل مرْوَ يقال له رُزَين — أو زرير : دُلّني

---

(١) الأغاني ١٢ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ونسب الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص ؛ وذكر البيت الأول ، ثم الثالث . العيس : النوق البيض يخالط بياضها شقرة . والبرى ؛ جمع برة ، وهي حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل في أنف البعير . والقطوع ، بضم القاف : جمع قطع ؛ وهو الطنفسة تحت الرحل على كتفي البعير . (٢) كذا في ا ، وفي ط : « الأكرار » .

(٣) المضرحي : السيد الكريم . والصنيع : السيف الأبيض المجلو .

على طريق قريب لألقَى الأميرَ قبل قدومه، ولك كذا وكذا، وأجزِل لك العطية؛ وكان عالماً بالطريق، فخرج به فسار من السِّنج إلى أرض سَرَخْسَ في ليلة، ثمّ مضى به إلى نيسابورَ فوافَى أميّة حين قدم أبرَشَهْر، فلقيَه فأخبره عن خُراسان وما يُصلح أهلَها وتَحسُن به طاعتُهم، ويخف على الوالى مئونتهم، ورفع عن[1] بُكَير أموالاً أصابها، وحذّره غدرَه.

قال: وسار معه حتى قدم مَرْو، وكان أمية سيّداً كريماً، فلم يَعرِض لبُكَير ولا لعماله، وعرض عليه أن يوليَه شُرطتَه، فأبى بُكَير، فولّاها بَحير بن وَرْقاء، فلام بُكيراً رجالٌ من قومه، فقالوا: أبيتَ أن تلِي، فولّى بَحيراً وقد عرفتُ ما بينكما! قال: كنتُ أمس والىَ خُراسانَ تُحمَل الحرابُ بين يدىّ، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة!

وقال أمية لبُكَير: اختَر ما شئت من عَمَل خُراسانَ، قال: طُخارِسْتان، قال: هي لك. قال: فتجهزَ بُكَير وأنفق مالا كثيراً، فقال بحير لأمية: إنْ أتى بُكَير طُخارِسْتانَ خلعك، فلم يزل يحذّره حتى حذِر، فأمَره بالمُقام عندَه.

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة الحجّاج بنُ يوسفَ. وكان وَلى قضاءَ المدينة عبدَ الله بنَ قيس بن مَخرَمة قبل شخُوصه إلى المدينة كذلك، ذُكِر ذلك عن محمّد بن عمر.

وكان على المدينة ومكّةَ الحجّاجُ بنُ يوسف، وعلى الكوفة والبَصرة بِشْرُ بنُ مَرْوان، وعلى خُراسانَ أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضاء الكُوفة شُرَيح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشامُ بنُ هُبَيرة، ٢/٨٦٣ وقد ذُكر أنّ عبدَ الملك بن مروانَ اعتمر في هذه السنة، ولا نَعلَم صحّةَ ذلك.

---

(١) ط: «على».

ثمّ دخلت سنة خمس وسبعين

ذكرُ الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قِبَل مَرْعَش .

وفى هذه السنة ولّى عبدُ الملك يحيى بن الحكم بن أبى العاص المدينة .

وفى هذه السنة وَلّى عبدُ الملك الحَجّاجَ بنَ يوسفَ العراقَ دون خُراسان وسِجِسْتان .

* * *

[ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته فى أهلها]

وفيها قَدِم الحجّاج الكوفة . فحدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنى محمد ابنُ يحيى أبو غَسّان ، عن عبد الله بن أبى عُبيدَة بن محمّد بن عمّار ابن ياسر ، قال[1] : خرج الحجّاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروانَ بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مَرْوان فى اثنى عشر راكبًا على النّجائب حتى دخل الكوفة حين انتَشَر النهار فجاءةً[2] ، وقد كان بِشْر بعث المهلّب إلى الحَروريّة ، فبدأ بالمسجد فدَخَله ، ثمّ صعد المنبرَ وهو متلثّم بعمامة خَزّ حمراء ، فقال : علىّ بالناس ، فحسبوه وأصحابَه خارجةً[3] ، فهَمّوا به ، حتى إذا اجتَمَع إليه الناسُ قام فكشف عن وجهه وقال : ٨٦٤/٢

أنا ابنُ جَلَا وطَلّاعُ الثَّنَايا مَتَى أَضَعِ العِمامَةَ تَعْرِفونى[4]

---

(١) الخبر وما تضمنه من خطبة الحجاج أورده الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ٣٠٧ — ٣١٠ بهذا السند أيضاً ، والخطبة أيضاً فى الكامل ١ : ٣٨٠ — ٣٨٢ ، والعقد ٤ : ١١٩ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٣ .

(٢) البيان : « فجأة » .

(٣) البيان : « خوارج » .

(٤) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى ، رواها الأصمعى فى الأصمعيات ٧٣ . (ليبسك) .

أما واللهِ إنّي[(١] لأحملُ[١)] الشرَّ بحملِه ، وأحذُوه بنعلِه ، وأجزيه بمثله ، وإني لأرى رءوساً قد أينعَتْ وحانَ قطافُها ، وإني لأنظر إلى الدّماء بين العمائم واللِّحَى .

* قد شمَّرَتْ عن ساقِها تَشْميرا[٢] *

هذا أوانُ الشّدِّ فاشتدِّي زِيَمْ قد لفَّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ[٣]

ليسَ براعِي إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزّارٍ على ظهرِ وَضَمْ[٤]

قد لفَّها الليلُ بعصْلَبيٍّ[٥] أرْوَعَ خرّاجٍ من الدَّوِّيِّ

* مُهاجرٍ لَيْسَ بأعْرَابيِّ *

ليس أوانَ يكْرِه الخِلاطُ جاءت به والقُلُص الأعلاطُ

* تَهوِي هُوِيَّ سابقِ الغَطاطِ *

وإني واللهِ يا أهلَ العراق ما أُغمَزُ كتَغْماز التّين[٦] ، ولا يُقَعْقَعُ لي بالشِّنان ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء[٧] ، وجرّيْتُ إلى الغاية القصوى[٨] . إن أمير المؤمنين، عبدَ الملك نَثَرَ كنانتَه ثمّ عجَمَ عيدانَها فوجدني أمرَّها عُوداً ، وأصلبَها ٢/٨٦٥ مَكسِراً ، فوجّهني إليكم ؛ فإنكم طالما أوضعتُم[٩] في الفتَن ، وسنَنتُم سنَن الغيِّ . أما واللهِ لألحُوَنّكم لَحْوَ العود ، ولأعصبنّكم عَصْبَ السَّلَمة ،

(١ – ١) البيان : « لأحتمل الشر بحمله » .

(٢) البيان : « فشمرا » ، العقد : « فشمرى » .

(٣) الرجز لرويشد بن رميض العنبرى ؛ كما فى حواشى الكامل واللسان (حطم) ؛ والأغانى ١٥ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، قال : « والشعر لرشيد بن رميض العنزى يقوله فى الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة . وكان شريح قد غزا اليمن ، فغنم وسبى ، ثم أخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً حتى نجوا ووردوا الماء ، فقال فيه رشيد الرجز مادحاً ، فلقب الحطم بذلك الرجز » . (٤) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

(٥) الرجز فى اللسان (عصلب) . والعصلبي : الشديد القادر على المشى والعمل .

(٦) البيان : « تغماز التين » .

(٧) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليعرف بذلك عمره . والذكاء ؛ نهاية الشباب وتمام السن .

(٨) الغاية : قصبة تنصب فى الموضع الذى تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفى العقد : « وأجريت إلى الغاية القصوى » . (٩) الإيضاع : ضرب من السير .

ولأضربنكم ضربَ غرائب[1] الإبل . إنى والله لا أعِد إلّا وَفَيْتُ ، ولا أخلُق إلّا فَرَيْتُ . فإيّاى وهذه الجماعاتِ وقيلاً وقالا ، وما يقول[2] ، [و[3]] فيمَ أنتم وذاك ؟ والله لتستقيمُنّ على سُبُل الحق أو لأدَعَنّ لكلّ رجل منكم شُغُلا فى جسَده . مَن وَجَدتُ بعد ثالثة من بَعْث المهلب سفكتُ دَمَه ، وأنهبتُ مالَه .

ثم دخل منزله ولم يزدْ على ذلك .

قال : ويقال : إنه لما طال سكوتُه تناوَل محمد بنُ عُمَير حَصًى فأراد أن يَحصِبه بها ، وقال : قاتله الله ! ما أعيَاه وأدمَه ! والله إنّى لأحسَب خبرَه كرُوَائه . فلما تكلم الحجاج جعَل الحَصَى ينتثر من يدِه ولا يعقل به ، وأنّ الحجاج قال فى خُطْبته :

شاهت الوجوه ! إنّ الله ضرَبَ ﴿ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ ، فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون ﴾[4] ، وأنتم أولئك وأشباه أولئك ، فاستوثقوا واستقيموا . فوالله لأذيقنّكم الهوَان حتّى تَدِرُّوا[5] ، ولأعصبنّكم عَصْبَ السَّلَمة حتّى تنقادوا ، أقسِم بالله لتقبلُنّ على الإنصاف ، ولتدَعُنّ الإرجاف ، وكان وكان ، وأخبرنى فلان عن فلان ، والهَبْر وما الهبْر ! أو لأهبُرنكم[6] بالسَّيف هبْراً يدَع النساءَ أيامَى ، والولدان يتامى ، وحتّى تمشوا السُّمَّهَى ، وتقلعوا عَن هَاوهَا . إيّاى وهذه الزّرافاتِ ، لا يركبَنّ الرجلُ منكم إلّا وحدَه . ألا إنّه لو ساغ لأهل المعصية معصيتُهم ماجُبِى فىءٌ ولا قُوتل عدوّ ، ولعُطّلت الثغور ، ولولا أنّهم يُغزَون كَرْهاً ما غزوا طَوْعاً ، وقد بلَغنى رَفْضكم المهلّب ، وإقبالُكم على مصركم عُصاةً مخالفين ، وإنى أقسِم لكم بالله لا أجد أحداً بعد ثالثة إلاّ ضربتُ عنقَه .

٨٦٦/٢

---

(١) الإبل إذا وردت الماء ودخل فيها غريبة من غيرها ضربت وطردت .

(٢) البيان « ما يقولون » .

(٣) من البيان .

(٤) سورة النحل : ١١٢ .

(٥) ب ، ف : « تدروا العصيان » .

(٦) س ، ف : « ولأ هبرنكم » .

ثمَّ دعا العُرَفاءَ فقال : ألحقُوا الناس بالمهلَّب ، وأتُونى بالبراءات بموافاتهم ولا تُغلقنَّ أبوابَ الجسْر ليلاً ولا نهارًا حتَّى تنقضيَ هذه المدّة .

تفسير الخُطْبة : قولُه : «أنا ابنُ جَلاَ» ، فابنُ جلا الصُّبْح لأنَّه يجلو الظُّلمة . والثنايا : ما صَغُر من الجبال ونَتأ . وأينَع الثَّمر : بلغ إدْراكه . وقولُه : «فاشتدّى زِيَم» ، فهى اسمٌ للحَرْب . والحُطَم : الَّذى يَحطم كلَّ شىء يَمُرّ به . والوَضَم : ما وُقِى به اللَّحم من الأرض . والعَصْلَبىّ : الشديد . والدَّوِّيَّة : الأرض الفضاء الَّتى يُسمَع فيها دَوِىٌّ أخفاف الإبل . والأعلاط : الإبلُ الَّتى لا أرسانَ عليها . أنشَد أبو زيد الأصمعىّ :

واعرَوْرَت العُلُطُ العُرْضِىُّ تركضُهُ أمُّ الفوارس بالدِّيدَاءِ والرَّبَعَهْ

والشِّنان ، جمع شَنَّة : القِرْبة البالِيَة اليابسة ، قال الشاعر :

كأنَّك مِنْ جمالِ بَنِى أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجلَيْه بِشَنِّ

وقولُه : «فعَجَم عيدانَها» ، أى عَضَّها ، والعَجَم بفتح الجيم : حَبّ الزبيب ، قال الأعشى : ٨٦٧/٢

* ومَلفوظُها كلَقيط العَجَمْ

وقوله : «أمَرّها عُودًا» ، أى أصلَبها ، يقال : حبْل مُمَرّ ، إذا كان شديدَ الفتْل . وقولُه : «لأعصبنَّكم عَصْب السَّلَمَة» ، فالعَصْب القَطْع ، والسَّلَمَة ؛ شجرةٌ من العِضاه . وقولُه : «لا أخلُق إلاّ فرَيْت» ، فالخلْق : التَّقدير ، قال الله تعالى : ﴿ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وغير مُخَلَّقَةٍ ﴾[1] ، أى مقدَّرة وغير مقدّرة ، يعنى ما يتمّ وما يكون سِقْطاً ، قال الكُمَيت يصف قِرْبة :

لم تَجْشَمِ الخالقاتُ فِرْيتَها ولم يَفِضْ مِن نِطاقِها السَّرَبُ

(١) سورة الحج : ٥ ، وفى الأصول : «من نطفة» ، وهو خطأ .

وإنّما وصف حواصل الطّير ، يقول : ليست كهذه . وصَخْرة خَلْقاء ، أى مَلْساء ، قال الشاعر :

وبَهْوٌ هَواءٌ فوقَ مَورٍ كأنَّه من الصَّخْرة الخَلْقاءِ زُحْلوقُ مَلعَبِ

ويقال: فَرَيتُ الأديمَ إذا أصلحتَه ، وأفريْتَ ، بالألف إذا أنتَ أفسَدْته . والسُّمَّهَى : الباطل ، قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : وأصله ما تُسمّيه العامّةُ مُخاطَ الشَّيطان ، وهو لُعاب الشَّمس عند الظَّهيرة ، قال أبو النّجم العجْلىّ :

وذَابَ للشَّمسِ لُعَابٌ فنزَلْ وقامَ مِيزانُ الزَّمان فاعتدَلْ

والزَّرافات : الجماعات . تمّ التفسير .

٨٦٨/٢ قال أبو جعفر : قال عمر : فحدَّثنى محمّد بن يحيى ، عن عبد الله بن أبى عُبيدَة ، قال : فلمّا كان اليومُ الثالث سمع تكبيرًا فى السُّوق ، فخرج حتّى جلس على المنبر ، فقال :

يا أهلَ العراق ، وأهلَ الشّقاق والنفاق ، ومساوئَ الأخلاق ، إنى سمعتُ تكبيرًا ليس بالتّكبير الّذى يراد اللهُ به فى التّرغيب ، ولكنّه التكبيرُ الّذى يُراد به التّرهيب ، وقد عرفتُ أنّها عَجاجةٌ تحتَها قَصْف . يا بنى اللّكيعة وعَبيد العصا ، وأبناء الأيامَى ، ألا يَربَع رجلٌ منكم على ظَلْعه ، ويُحْسن حَقْن دمه ، ويبصر موضعَ قدمه ! فأقسم بالله لأوشكُ أن أوقعَ بكم وقعةً تكون نكالا لما قَبْلها ، وأدبًا لما بَعدَها .

قولُه: «تحتَها قَصْف» ، فهو شدّة الرّيح . واللّكعاء : الوَرْهاء ، وهى الحَمْقاء مَن الإماء . والظَّلْع : الضّعْف والوَهن من شدّة السير . وقوله : «تَهوى هُوِىّ سابق الغَطاط» ، فالغُطاط بضم الغين : ضربٌ من الطير . قال الأصمعىّ : الغَطَاط بفتح الغَين : ضربٌ من الطّير ، وأنشد لحسّان ابن ثابت[1] :

---

(١) ديوانه ٣٠٩ .

يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ لا يَسأَلون عن الغَطَاطِ المُقْبِلِ(١)

بفتح الغين. قال: والغُطاط بضم الغين: اختلاط الضوء بالظلمة من آخر ٨٦٩/٢ الليل، قال الراجز:

قامَ إلى أَدْمَاءَ فى الغُطَاطِ يَمْشِى بِمِثْلِ قَائِمِ الفُسْطاطِ

تمّ التفسير.

قال: فقام إليه عُمَير بنُ ضابئ التَّميمىّ ثمّ الحنظلىّ فقال: أصلَح اللهُ الأمير! أنا فى هذا البعث، وأنا شيخٌ كبير عليل، وهذا ابنى، وهو أشبّ منى؛ قال: ومَنْ أنت؟ قال: عُمَير بنُ ضابئ التَّميمىّ، قال: أسمعتَ كلامنا بالأمس؟ قال: نعم، قال: ألستَ الّذى غزا أميرَ المؤمنين عثمانَ؟ قال: بلى؛ قال: وما حملك على ذلك؟ قال: كان حبَس أبى، وكان شيخاً كبيراً، قال: أوَليس يقول:

هَمَمْتُ وَلَم أفعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِى تَرَكْتُ على عثمانَ تَبكى حَلَائلُهْ

إنى لأحسَب فى قتلك صلاح المِصرَيْن، قم إليه يا حرَسىّ فاضرب عنقَه؛ فقام إليه رجلٌ فضرَب عنقَه، وأنهَب(٢) ماله.

ويقال: إنّ عَنبَسة بنَ سعيد قال للحجّاج: أتعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا أحدُ قَتَلة أمير المؤمنين عثمان؛ فقال الحجّاج: يا عدوّ الله، أفلا إلى أمير المؤمنين بعثتَ بديلا! ثمّ أمر بضرْب عنقه، وأمر منادياً ٨٧٠/٢ فنادَى: ألا إنّ عُمَير بنَ ضابئ أتَى بعد ثالثة؛ وقد كان سَمع النداء، فأمرنا بقَتْله. ألا فإنّ ذمّة الله بريئةٌ ممَّن بات الليلة من جُنْد المهلَّب. فخرج الناسُ فازدَحموا على الجِسْر، وخرجت العُرَفاء إلى المهلَّب وهو برامَهُرْمُز فأخذوا كتُبَه بالمُوافاة، فقال المهلَّب: قدم العراقَ اليومَ رجل ذكَر: اليومَ قُوتِل العدوّ.

قال ابن أبى عُبيدة فى حديثه: فعَبر الجِسْر تلك الليلة أربعةُ آلاف من مَذْحج؛ فقال المهلَّب: قدم العراقَ رجل ذكَر.

---

(١) الديوان: «السواد المقبل». (٢) أنهب ماله: جعله نهباً لغيره.

قال عمر عن أبي الحسن ، قال : لمَّا قرأ عليهم كتابَ عبد الملك قال القارئ : أمَّا بعد ، سلامٌ عليكم فإني أحمَد إليكم الله . فقال له : اقطع ، يا عبيد العصا ، أيسلّم عليكم أميرُ المؤمنين فلا يَرُدّ رادٌّ منكم السَّلام ! هذا أدبُ ابن نِهية[1] ، أما والله لأؤدبنَّكم غير هذا الأدب ، ابدأ بالكتاب ، فلمَّا بلغ إلى قوله : « أما بعد ، سلامٌ عليكم » ، لم يَبق منهم أحدٌ إلاّ قال : وعلى أمير المؤمنين السَّلام ورحمة الله .

قال عمر : حدّثني عبدُ الملك بنُ شيبان بن عبد الملك بن مِسمَع ، قال : حدّثني عمرو بن سعيد ، قال : لمَّا قدم الحجَّاجُ الكوفة خطبهم فقال : إنّكم قد أخللتم بعسكر المهلَّب ، فلا يُصبِحنّ بعد ثالثة من جُنْده أحدٌ ، فلمَّا كان بعد ثالثة أتى رجلٌ يَستدمى ، فقال : مَن بك ؟ قال : عمير بنُ ضابئ البُرْجُميّ ، أمرتُه بالخروج إلى مُعسكَره فضربني — وكَذَب عليه . فأرسل الحجَّاج إلى عُمير بن ضابئ ، فأتِيَ به شيخًا كبيرًا ، فقال[2] له : ما خلَّفَك عن مُعسكَرك ؟ قال : أنا شيخ كبيرٌ لا حراك بي ، فأرسلتُ ابني بدِيلاً فهو أجلد منّي جَلَدًا ، وأحدَث مني سنًّا ، فسلْ عمّا أقول لك ، فإن كنتُ صادقًا وإلاّ فعاقبني . قال : فقال عَنْبسة بنُ سعيد : هذا الّذي أتى عثمان قتيلا ، فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه ، فأمر به الحجَّاجُ فضربتْ عنقه . قال عمرو بنُ سعيد : فوالله إني لأسير بينَ الكوفة والحيرة إذ سمعتُ رَجَزًا مُضَريًّا ، فعدلْت إليهم فقلت : ما الخبر ؟ فقالوا : قَدِم علينا رجل مِن شرّ أحياء العرَب من هذا الحيّ من ثمود ، أسقَف الساقين[3] ، مَمْسُوح الجاعِرَتين[4] ، أخفَش العينين[5] ، فقدّم سيِّد الحيّ عميرَ بن ضابئ فضرَبَ عنقَه .

٨٧١/٢

---

(١) في زيادات الكامل ١ : ٣٨٢ : « زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » .

(٢) ب ، ف : « قال » .

(٣) في اللسان : « السقف : أن تميل الرجل على وحشيّها » ووحشى الرِّجل : جانبها .

(٤) الجاعرتان : حرفا الوركين المشرفان على الفخذين ، وفى اللسان : « وفى كتاب عبد الملك إلى الحجاج : قاتلك الله ، أسود الجاعرتين ! قيل : هما اللذان يبدوان الذنب » .

(٥) الخفش : ضعف فى البصر مع ضيق فى العين .

ولما قَتَل الحجاج عمير بنَ ضابئ لقى إبراهيمُ بنُ عامر أحد بنى غاضرَةَ من بنى أسَد عبدَ الله بن الزّبير فى السوق فسأله عن الخبر ، فقال ابن الزّبير :

أَقُولُ لإبراهِيمَ لمَّا لقِيتُهُ أَرَى الأَمرَ أَمْسَى مُنْصِباً متشعِّبا[(١)]

تجَهَّزْ وأَسْرِعْ والحق الجَيْشَ لا أرى سِوَى الجيْش إلَّا فى المَهالِكِ مَذْهَبَا

تَخيَّرْ فإما أن تزور ابنَ ضابئٍ عُمَيرًا وإمَّا أن تزور المهَلَّبا

هما خُطَّتا كرهٍ نَجَاؤُكَ مِنهُمَا[(٢)] رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا من الثَّلج أشْهَبَا[(٣)] ٨٧٢/٢

فحالَ ولو كانت خُراسَان دونَه رآها مَكان السّوقِ أَوْ هِيَ أَقْربا

فكائنْ ترَى من مُكْرهِ العَدْوِ مُسْمنٍ[(٤)] تحَمْحَمَ حِنْوَ السَّرْجِ حتَّى تحنَّبَا[(٥)]

وكان قُدومُ الحجاج الكوفة — فيما قيل — فى شهر رمضانَ من هذه السنة ، فوجّه الحكَم بن أيوب الثقَفىّ على البَصْرة أميرًا ، وأمره أن يشتدّ على خالد بن عبد الله ، فلما بلغ خالدًا الخبرُ خرج من البَصْرة قبل أن يدخلَها الحكَمَ ، فنزل الجلْحاءَ وشيَّعه أهلُ البصرة ، فلم يبرَح مُصَلّاه حتى قسّم فيهم ألف ألف .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبدُ الملك بنُ مرْوان ، حدّثنى بذلك أحمَد ابنُ ثابت عمّن حدّثه ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر . ووفَد يحيى بن الحكَم فى هذه السنة على عبد الملك بن مروان ، واستخلف على عمله بالمدينة أبان بنَ عثمان ، وأمر عبدُ الملك يحيى بنَ الحكم أن يقرّ على عمله على ما كان عليه بالمدينة . وعلى الكوفة والبصرة الحجّاج بن يوسف . وعلى خُراسانَ ٨٧٣/٢

(١) الكامل ١ : ٣٨٣ مع اختلاف فى الرواية .

(٢) الكامل : « هما خطتا خسف » .

(٣) الحولىّ : المهر أتى عليه الحول . وقوله : « من الثلج أشهبا » ، يريد أن لونه أشد شهبة من الثلج .

(٤) ا : « وكائن » .

(٥) ا : « يحمم » .

أميّة بن عبد الله . وعلى قضاء الكوفة شُرَيح ، وعلى قضاء البَصْرة زُرارة ابن أوْفى .

* * *

وفى هذه السنة خرج الحجّاجُ من الكوفة إلى البَصْرة ، واستَخْلَفَ على الكوفة أبا يَعْفُور عُروَةَ بن المغيرة بن شُعْبة ، فلم يزل عليها حتى رَجَع إليها بعد وَقْعة رُستقْباذ .

* * *

[ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجّاج بالبصرة]

وفى هذه السنة ثار الناسُ بالحجّاج بالبَصْرة .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

ذكر هشام،عن أبى مخنف ، عن أبى زهير العَبْسىّ ، قال : خرج الحجّاج بنُ يوسفَ من الكوفة بعد ما قدمها ، وقتل ابن ضابئ من فوره ذلك حتّى قدم البصرة ، فقام فيها بخُطْبة مثل التى قام بها فى أهْل الكوفة، وتوعدهم مثْل وعيدهِ إياهم، فأتِىَ برجل من بنى يَشْكُرَ فقيل : هذا عاص ، فقال : إنّ بى فتْقاً ، وقد رآه بِشر فعذَرَنى ، وهذا عطائى مرْدود فى بيت المال ، فلم يقبل منه وقتله، ففزع لذلك أهلَ البَصْرة ، ٨٧٤/٢ فخرجوا حتى تداكئوا[1] على العارض بقَنْطرة رامَهُرْمز ، فقال المهلب : جاء الناسَ رجلٌ ذَكَر .

وخرج الحجّاج حتى نزل رُسْتقْباذَ فى أوّل شعبان سنة خمس وسبعين فثارَ الناسُ بالحجاج، عليهم عبد الله بنُ الجارود، فقتل عبد الله بن الجارود ، وبعث بثمانية عشر رأساً[2] فنُصِبتْ برامَهُرْمُز للناس ، فاشتدّت ظهورُ المسلمين ، وساء ذلك الخوارج ، وقد كانوا رَجوْا أن يكونَ من الناس فُرقة واختلاف ، فانصرَف الحَجاج إلى البَصْرة .

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أنّ الحجاج لما ندب الناسَ إلى

(١) س : « تداركوا » ، والمداكأة : التزاحم على المكان ، وفى ا : « تذاكروا » ، وفى ط « تداكوا » تصحيف .   (٢) ب ، ف : « وبعث الحجاج ثمانية » .

اللحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار[١] الحجاج حتى نزل رستقُباذ قريباً من دَسْتَوَى فى آخر شعبانَ ومعه وجوهُ أهل البصرة ، وكان بينه وبين المهلّب ثمانيةَ عشرَ فرْسَخاً ، فقام فى الناس ، فقال : إنّ الزيادة التى زادكم ابنُ الزبير فى أعطياتكم زيادة فاسق منافق ، ولستُ أجيزُها . فقام إليه عبدُ الله بن الجارود العبْدىّ فقال : إنها ليست بزيادة فاسق منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتَها لنا . فكذّبه وتوعّده ، فخرج ابنُ الجارود على الحجّاج وتابعَه وجوهُ الناس ، فاقتتَلوا قتالا شديداً ، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه ، وبعث برأسه ورءوس عشرة من أصحابه إلى المهلب ، وانصرفَ إلى البَصْرة ، وكتَب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن ٢/٨٧٥ ابن مخنف : أما بعد ، إذا أتاكم كتابى هذا فناهِضوا الخوارجَ ؛ والسلام .

* * *

[نفى المهلّب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز]

وفى هذه السنة نفى المهلّب وابنُ مخنَف الأزارقةَ عن رامَهُرْمُز .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم فى هذه السنة :

ذكر هشام عن أبى مخنف ، عن أبى زهير العبسىّ ، قال : ناهض المهلب وابنُ مخنف الأزارقة برامَهُرْمز بكتاب الحجّاج إليهما لعشر بقِين من شعبان يومَ الاثنين سنة خمس وسبعين ، فأجلوهم عن رامَهُرْمُز من غير قتال شديد ، ولكنهم زَحفوا إليهم حتى أزالوهم ، وخرج القوم كأنهم على حامية ، حتى نزلوا سابُورَ بأرض منها يقال لها كازَرُون ، وسار المهلب وعبدُ الرحمن بنُ مخنَف حتى نزلوا بهم فى أول رمضانَ ، فخندقَ المهلب عليه ، فذكر أهلُ البصرة أنّ المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف : إنْ رأيتَ أن تُخندق عليك فافعلْ ؛ وإنّ أصحاب عبد الرحمن أبَوْا عليه وقالوا : إنما خندقُنا سيُوفنا . وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليُبيّتوه ، فوجدوه قد أخذ حِذْره ، فمالُوا نحوَ عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق ،

---

(١) ب ، ف : « شخصوا فسار » .

فقاتلوه ، فانهزم عنه أصحابُه ، فنزل فقاتل فى أناس من أصحابه فقُتِل ، وقتلوا حوله[1] ، فقال شاعرهم :

لمن العسْكَرُ المكلَّلُ بالصَّرْ عى فَهُمْ بين ميِّتٍ وقَتِيلِ
فتَرَاهُم تَسْفِى الرياحُ عليهمْ حاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الذُّيولِ

٨٧٦/٢ وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أنّ كتاب الحجاج بن يوسفَ أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف ، أنْ ناهِضَا الخوارجَ حين يأتيكما كتابى . فناهضاهم يومَ الأربعاء لعشر بقين من رمضانَ سنة خمس وسبعين واقتتلوا قتالاً شديداً لم يكن بينهم فيما مضى قتالٌ كان أشدَّ منه ، وذلك بعد الظهر ، فالت الخوارجُ بحدّها على المهلب بن أبى صُفْرة فاضطروه إلى عَسْكره ، فسرّح إلى عبد الرحمن رجالاً من صلحاء الناس ، فأتَوْه ، فقالوا : إنّ المهلب يقول لك : إنما عدوُّنا واحد ، وقد ترَى ما قد لقِىَ المسلمون ، فأمِدَّ إخوانك يرحمك الله . فأخذ يُمِدّه بالخيل بعد الخيل ، والرّجال بعد الرّجال ، فلما كان بعد العصر ورأت الخوارجُ ما يجىء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرّجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خفّف أصحابه ، فجعلوا خمس كتائبَ أو ستًّا تُجاهَ عَسكر المهلب ، وانصرَفوا بحدّهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مخنَف ، فلما رآهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القُرّاء ، عليهم أبو الأحوص صاحبُ عبد الله بن مسعود ، وخُزَيمة بن نصر أبو نصر ابن خُزَيمة العبسىّ الذى قُتل مع زيد بن علىّ وصُلب معه بالكُوفة ، ونزل معه من خاصّة قومه أحدٌ وسبعون رجلا ، وحملت عليهم الخوارجُ فقاتلتْهم قتالا

٨٧٧/٢ شديداً . ثمّ إنّ الناس انكشفوا عنه ، فبقِى فى عِصابة من أهل الصّبر ثبتوا معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب ، فنادَى فى الناس ليتْبعوه إلى أبيه ، فلم يتْبعه إلاّ ناس[2] قليل ، فجاء حتى إذا دنا من أبيه حالت الخوارجُ بينه وبين أبيه ، فقاتل حتى ارتُثّه الخوارج ، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تلّ مُشرف حتى ذهب نحوٌ من ثُلُثى الليل ، ثمّ قُتل فى تلك العصابة ، فلما أصبحوا جاء المهلب حتى

(١) بعدها فى ب ، ف : « كلهم » . (٢) ب ، ف : « أناس » .

أتاه ، فدَفَنه وصلّى عليه ، وكتب بمُصابه إلى الحجّاج ، فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مرْوان ، فنعى عبد الرحمن بِمنًى ، وذمّ أهلَ الكوفة ، وبعثَ الحجّاجُ على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتّابَ بن وَرْقاء ، وأمره إذا ضمّتْهما الحَرْب أن يَسمَع للمهلّب ويطيع ، فساءه ذلك ، فلم يجدْ بُدًا من طاعة الحجاج ولم يَقْدر على مراجعته ، فجاء حتى أقام فى ذلك العسكر ، وقاتل الخوارج وأمرُه إلى المهلب ، وهو فى ذلك يَقْضى أمورَه ، ولا يكاد يستشير المهلب فى شىء . فلما رأى ذلك المهلب اصطَنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بِسطامُ بن مَصْقَلة بن هُبيرة ، فأغراهم بعتّاب .

قال أبو مخنف عن يوسفَ بن يزيد : إن عتّابا أتى المهلّب يسأله أن يرزق أصحابَه ، فأجلسَه المهلّب معه على مجلسه ، قال : فسأله أن يرزق أصحابه سؤالاً فيه غِلظة وتجهُّم ، قال : فقال له المهلب : وإنّك لها هنا يابن اللَّخناء! فبنو تميم يزْعمون أنّه رَدَّ عليه ، وأمّا يوسفُ بنُ يزيدَ وغيرُه فيزْعمون أنّه قال : والله إنّها لمعمّةٌ مُخْوِلَةٌ ، ولوَددتُ أن الله فرّق بينى وبينك . قال : فجرى بينهما الكلام حتّى ذهب المهلّب ليرفع القضيب عليه ، فوثب عليه ابنُه المغيرة ، فقَبَض على القضيب وقال : أصلَح الله الأمير! شيخٌ من أشياخ العرب ، وشريفٌ من أشرافهم ، إنْ سمعتَ منه بعضَ ما تكرهه فاحتملْه له ، فإنّه لذلك منك أهل ، ففعل . وقام عتّاب فرجع من عنده ، واستقبله بسطامُ بنُ مَصقلَة يشتُمه ، ويقَع فيه . ٨٧٨/٢

فلما رأى ذلك كَتَب إلى الحجّاج يشكو إليه المهلّب ويُخبِره أنّه قد أغرى به سُفهاءَ أهل المصر ، ويسأله أن يضمّه إليه ، فوافق(١) ذلك من الحجّاج حاجةً إليه فيما لقى أشرافُ الكوفة من شبيب ، فبعث إليه أن اقدَمْ واترك أمر ذلك الجيش إلى المهلّب ، فبعث المهلّب عليه حبيب بنَ المهلّب .

وقال حُمَيد بنُ مسلم يرثى عبدَ الرحمن بنَ مخنف :

إن يقتُلوك أبا حكيم غُدوةً فلقدْ تَشُدُّ وتَقتُل الأبطَالَا

(١) ا : « ووافق » .

أو يُثْكِلُونا سيدًا لَمُسوَّدٍ سَمْحَ الخليقةِ ماجِدًا مِفضالاَ
فلَمِثل قتلك هَدَّ قومَكَ كلَّهُمْ مَن كان يَحمِلُ عنهمُ الأثقالاَ
من كان يَكشِفُ غُرمهم وقتالَهم يوماً إذا كان القتالُ نِزالاَ !
أقسمتُ ما نِيلَتْ مَقاتِلُ نفسِه حتى تَدَرَّعَ من دَمٍ سِرْبالاَ
٨٧٩/٢ وتناجَزَ الأبْطــالُ تحتَ لوائِه بالمَشْرَفيَّة فى الأكُفّ نِصالاَ
يوماً طويلاً ثمّ آخرَ ليلِهم حين آستبانوا فى السماء هِلالاَ
وتكشَّفَتْ عنه الصُّفوف وخَيلُهُ فهنــاكَ نالَتْهُ الرِّماحُ فمالاَ

وقال سُراقة بنُ مِرْداس البارقىّ :

أَعَيْنَىَّ جُودَا بالدُّموع السواكبِ وكُونَا كَواهِى شَنَّةٍ معَ راكبِ[1]
على الأزْدِ لمّا أن أصِيب سَراتُهُمْ فنُوحَا لعيشٍ بعدَ ذلك خائبِ
نُرجِّى الخلودَ بعدهمْ وتَعُوقنا عوائِقُ موتٍ أو قِرَاعُ الكتَائبِ
وكنّا بخيرٍ قبلَ قَتل ٱبنِ مِخْنفٍ وكلُّ امرئٍ يوماً لبعضِ المذاهب
أمارَ دُموعَ الشِّيبِ من أهل مِصرِهِ وعَجّل فى الشُّبّان شَيْب الذّوائبِ
وقَاتَل حتّى ماتَ أكرَمَ مِيتةٍ وخَرَّ على خَدٍّ كَرِيم وحاجبِ
وضَارَب عنه المارقينَ عصابةٌ مِنَ الأزْدِ تمشى بالسّيوف القَواضبِ
فلا ولَدَتْ أنثَى ولا آبَ غائبٌ إلى أهلِه إنْ كان ليسَ بآيبِ
٨٨٠/٢ فياعينُ بَكِّى مِخنفاً وٱبنَ مخنفٍ وفُرسانَ قومِى قُصْرَةً وأقاربى[2]

وقال سُراقة أيضًا يرثى عبدَ الرحمن بن مِخنَف :

ثَوَى سيّدُ الأزْدينِ أزْد شَنُوءةٍ وأزد عُمانَ رهن رَمْسٍ بكازِرِ[3]
وضارب حتّى ماتَ أكرم مِيتةٍ بأبيضَ صافٍ كالعقيقة باترِ
وصُرِّعَ حولَ التَّلّ تحتَ لوائه كِرامُ المَساعى من كِرَام المعاشِر

(١) ديوانه ٨٥ ، ٨٦ (٢) قصرة ، أى الدوانى فى النسب (٣) ديوانه ٤٣

قضَى نجبَهُ يومَ اللِّقاء ابنُ مِخنفٍ وأَدبَر عنه كلُّ ألوَثَ دَاثر
أمدَّ فلم يُمدَدْ فراحَ مُشمِّرًا إلى الله لم يَذهبْ بأَثواب غَادِرِ

وأقامَ المهلَّب بسابُورَ يقاتِلُهم نحوًا من سنة .

وفى هذه السَّنة تحرَّك صالح بنُ مُسَرِّح أحدُ بنى امرئ القيس ، وكان يرى رأىَ الصُّفْرِيّة . وقيل : إنَّه أوّل من خرج من الصُّفْرِيّة .

***

ذكر الخبر عن تحرُّك صالح للخروج
وما كان منه فى هذه السنة

ذكر أنّ صالح بن مسرّح أحد بنى امرئ القيس حجّ سنة خمس وسبعين ومعه شبيبُ بنُ يزيدَ وسُوَيد والبَطين وأشباهُهم . ٨٨١/٢

وحجَّ فى هذه السنة عبدُ الملك بنُ مروان ، فهمّ شبيب بالفتْك به ، وبلغه ذَرْءٌ من خبرَهم ، فكتب إلى الحجَّاج بعد انصرافه يأمره بطَلَبهم ، وكان صالح يأتى الكوفةَ فيقيم بها الشَّهْرَ ونحوه فيلقَى أصحابه ليَعِدَهم ، فنبتْ بصالح الكوفة لمَّا طلبه الحجَّاج ، فتنكَّبَها .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك خروج صالح بن مسرّح .

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرّح

وعن سبب خروجه

وكان سببُ خروجه – فيما ذكَر هشام، عن أبي مِخْنف، عن عبد الله ابن علقمة ، عن قَبيصة بن عبد الرّحمن الخَثْعميّ – أنّ صالح بنَ مسرّح التميميّ كان رجلا ناسكًا مُخبِتاً مصفرّ الوجه ، صاحب عبادة ، وأنه كان بدَارًا وأرض المَوْصل والجزيرة له أصحابٌ يُقرئهم القرآن ويفقّههُم ويقصّ عليهم ، فكان قبيصة بنُ عبد الرحمن حدّث أصحابنا[1] أنّ قصص صالح بن مسرّح عنده ، وكان ممّن يرى رأيَهم ، فسألوه أن يبعث بالكتاب إليهم ، ففعل . ٨٨٢/١

وكان قصصه : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ ﴾[2] . اللهمّ إنّا لا نَعدل بك ، ولا نحْفِد إلّا إليك ، ولا نَعبُد إلّا إيّاك ، لك الخَلْق والأمر ، ومنك النّفع والضرّ ، وإليك المصير . ونَشهد أنّ محمّدًا عبدُك الّذى اصطفيتَه ، ورسولُك الّذى اختَرْتَه وارتضَيْتَه لتبليغ رسالاتك ، ونصيحةِ عبادك ، ونَشهَد أنّه قد بلّغ الرسالة ، ونَصَح للأمّة ، ودعا إلى الحقّ ، وقام بالقِسْط ، ونصر الدّين ، وجاهد المشركين ، حتّى توفّاه الله صلّى الله عليه وسلم . أوصيكم بتقوى الله والزّهدِ فى الدنيا ، والرّغبةِ فى الآخرة ، وكثرةِ ذكر الموت ، وفراقِ الفاسقين ، وحبِّ المؤمنين[3] ، فإنّ الزّهادة فى الدنيا تُرغّب العبدَ فيما

---

(١) ب ، ف : « يحدث أصحابه » . (٢) سورة الأنعام:١.

(٣) ب ، ف : « وحبّ المؤمنين وفراق الفاسقين » .

عند الله ، وتُفرّغ بدنَه لطاعة الله ، وإنّ كثرةَ ذكر الموت يُخيف العبد من ربّه حتى يَجأرَ إليه ، ويستكين له ، وإن فراق الفاسقين حقٌّ على المؤمنين ، قال الله فى كتابه : ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1] .

وإن حُبّ المؤمنين للسّبب[2] الّذى تُنال به كرامة الله ورحمته وجنّته ، جعلنا الله وإيّاكم من الصادقين الصابرين . ألا إنّ من نعمة[3] الله على المؤمنين أنْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ، فعلّمهم الكتابَ والحكمة وزكّاهم وطهّرهم ٨٨٣/٢ ووفّقهم فى دينهم ، وكان بالمؤمنين رءوفاً رحيماً ، حتّى قبضه الله ، صلواتُ الله عليه ، ثمّ ولىَ الأمر من بعده التقىّ الصدّيق على الرّضا من المسلمين ، فاقتدى بهديه ، واستنّ بسُنّته ، حتى لحق بالله — رحمه الله — واستخلف عمرَ ، فولّاه الله أمر هذه الرعيّة ، فعمِل بكتاب الله ، وأحيا سُنّة رسول الله ، ولم يُحنِقْ فى الحقّ على جِرّته[4] ، ولم يخفْ فى الله لومة لائم ، حتى لَحِقَ به رحمةُ الله عليه ، وولىَ المسلمين من بعده عثمان ، فاستأثر بالفىء ، وعطّل الحدُود ، وجارَ فى الحُكْم ، واستذلّ المؤمن ، وعزّز المجرِم ، فسار إليه المسلمون فقتلوه ، فبرئ الله منه ورسولُه وصالحُ المؤمنين[5] ؛ وولى أمر الناس من بعده علىّ بنُ أبى طالب ، فلم ينشب أن حكّمَ فى أمر الله الرّجال ، وشكّ فى أهل الضلال ، وركن وأدْهن ، فنحن من علىّ وأشياعه بُراء ، فتيسّروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزّبة ، وأئمة الضلال الظّلمة وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء ، واللّحاق بإخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة ، وأنفقوا أموالَهم التماس رضوان الله فى العاقبة ، ولا تجزعوا من القتل فى الله ، فإنّ القتل أيْسرُ من الموت ، والموتُ نازلٌ بكم غير ما ترجُم الظنون ، فمفرّق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم ، وحلائلكم ٨٨٤/٢ ودنياكم ، وإن اشتدّ لذلك كُرْهكم وجزعكم . ألاَ فبيعوا اللهَ أنفسكم

---

(١) سورة التوبة ٨٤ . (٢) ب ، ف : « السبب » .

(٣) ب ، ف : « نعم » . (٤) س : « جربه » ، ب ، ف : « حزبه » .

(٥) ف : « وصالحو المؤمنين » .

طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين ، وتعانقوا الحُور العين ، جعلنا الله وإيّاكم من الشاكرين الذاكرين ، الذين يَهْدون بالحق وبه يَعدِلون .

قال أبو مِخنَف : فحدّثني عبدُ الله بنُ عَلْقمة ، قال : بينا أصحابُ صالح يختلفون إليه إذْ قال لهم ذاتَ يوم : ما أدرى ما تنتظرون ! حتّى متى أنتم مقيمون ! هذا الجوْر قد فشا ، وهذا العَدْل قد عفا ، ولا تَزداد هذه الولاةُ على الناس إلاّ غُلُوًّا وعُتُوًّا ، وتباعداً عن الحقّ ، وجُرأةً على الرّبّ ؛ فاستعِدّوا وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون مِن إنكار الباطل والدعاء إلى الحقّ مِثلَ الذي تريدون ، فيأتوكم فنلتقى وننظر فيما نحن صانعون ، وفى أىّ وقت إنْ خرجْنا نحن خارجون .

قال : فتَراسل أصحابُ صالح ، وتلاقَوا فى ذلك ، فبَيْناهم فى ذلك إذْ قَدِم عليهم المحلّل بن وائل اليَشْكُرىّ بكتاب من شَبيب إلى صالح بن مسرّح :

أما بعد ، فقد علمتُ أنّك كنت أردتَ الشخوص[1] ، وقد كنتَ دعوتَنى إلى ذلك فاستجبْتُ لك ، فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنتَ شيخُ المسلمين ، ولن نَعدِل بك منّا أحداً ، وإن أردت تأخيرَ ذلك اليوم أعلَمْتَنى ؛ فإنّ الآجال غادِية ورائحة ، ولا آمَن أن تخترِمَنى المنيّةُ ولما أجاهِد الظالمين . ٢/٨٨٥ فيالَه غَبْنًا ، ويالَه فَضْلا متروكًا! جعَلَنا الله وإيّاك ممن يريد بعَمَله اللهَ[2] ورضوانَه ، والنظر إلى وجهه ، ومرافقةَ الصالحين فى دار السلام . والسلام عليك .

قال : فلما قَدِم على صالح المحلّل بن وائل بذلك الكتابِ من شبيب كتب إليه صالح :

أما بعد ، فقد كان كتابُك وخبرُك أبطآ عنى حتى أهمّنى ذلك ، ثمّ إنّ امرأً من المسلمين نبّأنى بنبإ مُخرجك ومَقدَمك ، فنَحمَد الله على قضاء ربّنا . وقد قَدِم علىّ رسولُك بكتابك ، فكلّ ما فيه قد فهمتُه ، ونحن

---

(١) ب ، ف : « الخروج والشخوص » .

(٢) ا : « بفعله الله » ، وبعدها فى ب ، ف : « والدار الآخرة » .

فى جهاز واستعداد للخروج ، ولم يمنعْنى من الخروج إلّا انتظارك ، فأقبِل إلينا ، ثمّ اخرج بنا متى ما أحببْتَ ، فإنك ممن لا يُستغنَى عن رأيه ، ولا تُقضَى دونَه الأمور . والسلام عليك .

فلما قَدِم على شبيب كتابُه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه ؛ منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نُعيم ، والمحلل بن وائل اليَشكُرىّ ، والصقر بن حاتم من بنى تَيم بن شيبان ، وإبراهيم بن حجر أبو الصُّقَير من بنى مُحلِّم ، والفضل بنُ عامر من بنى ذُهْل بن شَيْبان ، ثمَّ خرج حتى قَدِم على صالح بن مسرِّح بِدارًا ، فلمّا لقيه قال : اخرُج بنا رحمك الله ! فوالله ما تزداد السنّة إلّا دُروسًا ، ولا يزداد المجرمون إلّا طُغْيانًا . فبثّ صالحٌ رسله فى أصحابه ، وواعدهم الخروج فى هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ستٍّ وسبعين . فاجتمع بعضُهم إلى بعض،وتهيَّئوا ، وتيسروا للخروج فى تلك اللّيلة ، واجتمعوا جميعًا عنده فى تلك الليلة لِميعاده . ٨٨٦/٢

قال أبو مِخنف : فحدّثنى فَروة بن لقيط الأزْدىّ ، قال : والله إنى لَمعَ شبيب بالمَدائن إذْ حدّثنا عن مخرجهم ، قال : لما هممنا بالخروج اجتمعْنا إلى صالح بنِ مسرّح ليلة خرج ، فكان رأيى استعراضُ الناس لِمَا رأيتُ من المنكر والعدوان والفساد فى الأرض ، فقمتُ إليه فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، كيف تَرَى فى السيرة فى هؤلاء الظلَمة؟ أنقتلهم قبل الدّعاء ، أم ندعوهم قبلَ القتال ؟ وسأخبرك برأيى فيهم قبل أن تُخبرَنى فيهم برأيك ؛ أمّا أنا فأرَى أن نَقتُل كلّ من لا يرى رأيَنا قريبًا كان أو بعيدًا ، فإنانخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله ، واستحوذ عليهم الشيطان . فقال : لا بل ندعوهم، فلعمْرى لا يُجيبك إلّا منَ يرى رأيَك وليقاتِلنَّك مَنْ يزرِى عليك ، والدعاءُ أقطع لحجّتِهم ، وأبلغ فى الحجة عليهم . قال : فقلت له : فكيف ترى فيمن قاتَلَنا فظفرْنا به ؟ ما تقول فى دِمائهم وأموالهم ؟ فقال : إن قتلنا وغنمنا فلنا ، وإن تجاوزنا وعفونا فوسع علينا ولنا . قال : فأحسن القول وأصابَ ، رحمة الله عليه وعلينا .

قال أبو مخنف : فحدّثنى رجلٌ من بنى محلّم أنّ صالحَ بنَ مسرح

قال لأصحابه ليلةَ خرج : اتّقوا الله عبادَ الله ، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلّا أن يكونوا قوماً يريدونكم ، وينصبون لكم ، فإنكم إنّما خرجتم غَضباً لله حيث انتُهكتْ محارمه ، وعُصِي فى الأرض ، فسُفكت الدماء بغير حِلّها ، وأُخذتْ الأموال بغير حقّها ، فلا تَعيبوا على قوم أعمالا ثمّ تعملوا بها ، فإن كلّ ما أنتم عاملون أنتم عنه مسئولون ، وإنّ عُظْمكم رجّالة ، وهذه دوابّ لمحمّد بن مروان فى هذا الرُّسْتاق ، فابدَءوا بها ، فشُدّوا عليها ، فاحمِلوا أراجِلكم[1] ، وتقوّوا بها على عدُوّكم . ٨٨٧/٢

فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدوابّ فحمَلوا رَجّالتهم عليها ، وصارت رجّالتُها فُرسانًا ، وأقاموا بأرضِ دارا ثلاثَ عَشْرَةَ ليلة ، وتَحصَّن منهم أهل دارا وأهلُ نَصيبِين وأهلُ سِنْجار ، وخرج صالحٌ ليلةَ خرجَ فى مائة وعشرين — وقيلَ فى مائة وعشرة — قال : وبلغ مخرجهُم محمد بن مروان وهو يومئذ أميرُ الجزيرة ، فاستخفّ بأمرهم ، وبعث إليهم عدىّ بن عدىّ بن عُميرة من بنى الحارث بن معاوية بن ثور فى خَمسمائة ، فقال له : أصلح الله الأمير ! أتَبعثنى إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة ! قد خرج معه رجالٌ من ربيعة قد سُمُّوا لى ، كانوا يعازّوننا ، الرجلُ منهم خيرٌ من مائة فارس فى خمسمائة رجل . قال له : فإنى أزيدك خمسمائة أخرى ، فسر إليهم فى ألف ، فسار من حرّان فى ألف رجل ، فكان أوّل جيش سار إلى صالح وسار إليه عدىّ ، وكأنّما يساق إلى الموت ، وكان عدىّ رجلا يتنسّك ، فأقبل حتى إذا نزل دوْغانَ نزل بالنّاس وسرّح إلى صالح بنِ مسرّح رجلا دَسّه إليه من بنى خالد من بنى الورْثة ؛ يقال له : زِياد بن عبد الله ، فقال : إنّ عديّاً بَعثَنى إليك يسألُك أن تخرج من هذا البلد وتأتىَ بلداً آخر فتُقاتِلَ أهلَه ؛ فإنّ عديًّا للقائك كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، فقل له : إن كنتَ ترى رأينا[2] فأرنا من ذلك ما نَعرِف[3] ، ثمّ نحن مُدْلجون عنك من هذا البلد إلى غيره ، وإن كنتَ على رأى الجبابرة وأئمة السّوء[4] رأيْنا رأينا ، فإن شئنا ٨٨٨/٢

(١) ط : « أرجلكم » ، وانظر ابن الأثير . (٢) بعدها فى ب ، ف : « فأنت آمن » .
(٣) ب ، ف : « ما نعرفه » . (٤) ب ، ف : « العدوان » .

بدأنا بك، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك . فانصرف إليه الرسولُ فأبلغه ما أرسل به ، فقال له : ارجعْ إليه فقل له : إنى والله ما أنا على رأيك ، ولكنى أكره قتالك وقتال غيرك ، فقاتِلْ غيرى، فقال صالح لأصحابه : اركبوا، فركبوا وحبَس الرجلَ عنده حتى خرجوا ، ثمّ تركه ومضَى بأصحابه حتى يأتىَ عدىَّ بن عدىّ بن عميرة فى سُوقِ دَوغان وهو قائمٌ يصلّى الضّحى ، فلم يَشعُر إلاّ والخيل طالعةٌ عليهم ، فلما بَصُروا بها تنادوا ، وجعل صالحٌ شبيباً فى كتيبة فى ميمنة أصحابه ، وبعث سويد بن سليم الهندىّ من بنى شيبان فى كتيبة فى ميسرةِ أصحابه ، ووَقَف هو فى كتيبة فى القَلْب ، فلما دنا منهم رآهم على غير تعبية، وبعضهم يجول فى بعض ، فأمرَ شبيباً فحمل عليهم ، ثمّ حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يُقاتلوا ، وأُتِىَ عدىّ بن عدىّ بدابّته وهو يصلّى فركبها ومضى على وجهه ، وجاء صالحُ ابنُ مسرّح حتى نزل عسكره وحوى ما فيه ، وذهب فلُّ عدىّ وأوائلُ أصحابه حتى دخلوا على محمّد بنِ مروان ، فغَضِبَ ، ثم دعا خالدَ بن جزْء السُّلَمىّ فبعثه فى ألف وخمسمائة ، ودعا الحارث بنَ جَعْوَنة من بنى ربيعة بن عامر بن صعصَعة فبعثه فى ألف وخمسمائة ، ودعاهما ، فقال : اُخرُجا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة ، وعجّلا الخروج ، وأغِذّا السيْر ، فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه ؛ فخرجا من عنده فأغذّا السير ، وجعلا يسألان عن صالح بن مسرّح فيقال لهما : إنّه توجّه نحو آمِدَ ، فأتبعاه حتى انتهيا إليه ، وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلا، فخندقا وانتهيا إليه وهما متساندان كلّ واحد منهما فى أصحابه على حدته ، فوجّه صالح شَبيباً إلى الحارث بنِ جعْونة العامرىّ فى شطر أصحابه ، وتوجّه هو نحو خالد بن جزْء السُّلَمىّ .

٨٨٩/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى المُحلّمىّ، قال : انتهوا إلينا فى أوّل وقت العصر ، فصلّى بنا صالح العصر ، ثمّ عبّانا لهم فاقتتلنا كأشدّ قتال اقتتله قومٌ قطّ ، وجعلنا والله نرى الظفَر يحمل الرجل منّا على العشَرة منهم فيهزمهم، وعلى العشرين فكذلك ، وجعلتْ خيلهم لا تثبت لخيلنا .

فلما رأى أميراهُم ذلك ترجّلا وأمرا جُلّ من معهما فترجّل ، فعند ذلك جعلنا لا نَقدِر منهم على الذى نريد ، إذا حَمَلْنا عليهم استقبلتْنا رَجّالتهم بالرّماح ، ونضحتنا رماتُهم بالنَّبل ، وخيلُهم تُطاردنا فى خلال ذلك ، فقاتلناهم إلى المَساء [1] حتى حالَ الليلُ بيننا وبينهم ، وقد أفشَوْا فينا الجراحة ، وأفشيناها فيهم ، وقد قتلوا منا نحوًا من ثلاثين رجلاً ، وقتلْنا منهم أكثرَ من سبعين ، ووالله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا ، فوقفْنا مُقابِلَهم ما يَقْدمون علينا وما نَقدُم عليهم ، فلما أمسوا رجعوا إلى عسكرهم ، ورجعْنا إلى عسكرنا فصلّينا وتروّحْنا وأكلنا من الكِسَر . ٢/٨٩٠

ثمّ إنّ صالحًا دعا شبيبًا ورءوسَ أصحابه فقال : يا أخلاّئى ، ماذا ترون ؟ فقال شبيب : أرَى أنّا قد لقينا هؤلاء القومَ فقاتلناهم ، وقد اعتصموا بخندقهم ، فلا أرى أن نقيم عليهم ، فقال صالح : وأنا أرى ذلك ، فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين ، فمضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ، ثمّ دخلوا أرضَ المَوصِل فساروا فيها حتى قطعوها ومضَوا حتى قطعوا الدّسْكرَة .

فلما بلغ ذلك الحجّاج سرّح إليهم الحارث بنَ عميرة بن ذى المِشعار الهَمْدانىّ فى ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ، ألف من المقاتلة الأولى ، وألفَين من الفَرْض الذى فرض لهم الحجّاج . فسار حتى إذا دنا من الدّسْكرة خرج صالح بن مسرّح نحو جَلولاءَ وخانِقِين ، وأتبعه الحارثُ ابن عميرةَ حتى انتهى إلى قرية يقال لها المدبّج من أرض الموصِل على تُخوم ما بينها وبين أرض جُوخَى ، وصالح يومئذ فى تسعين رجلا ، فعبّى الحارث ابن عميرة يومئذ أصحابه ، وجعل على ميمنته أبا الرّوّاغ [2] الشاكرىّ ، وعلى ميسرَته الزّبير بن الأروَح التميمىّ ، ثمّ شدّ عليهم — وذلك بعد العصر — وقد جعل أصحابه ثلاثة كراديس ؛ فهو فى كُرْدوس ، وشبيب فى كُرْدوس فى ميمنته ، وسُوَيدبن سليم فى كرْدوس فى الميسرة ، فى كلّ كُرْدوس منهم ثلاثون رجلا. ٢/٨٩١

فلما شدّ عليهم الحارثُ بن عميرة فى جماعة أصحابه انكشف سُوَيد

---

(١) ب ، ف : « المنى » . (٢) ط : « الرداع » تحريف .

ابن سليم ، وثبت صالح بنُ مسرّح فقُتِل ، وضارب شبيبٌ حتى صُرِع ، فوقع فى رجّالة ، فشدّ عليهم فانكشفوا ، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح ابن مسرّح فأصابه قتيلا ، فنادى: إلىّ يا معشر المسلمين ؛ فلاذُوا به ، فقال لأصحابه : ليَعجِّل كلّ واحد منكم ظهرَه إلى ظهر صاحبه ، وليطاعِن عدوَّه إذا أقدَم عليه حتى ندخل هذا الحِصن ، ونرى رأينا ؛ ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشَبيب ، وأحاط بهم الحارثُ بنُ عميرة مُمْسياً ، وقال لأصحابه : احرقوا الباب ، فإذا صار جَمْرًا فدعوه فإنهم لا يَقدِرون على أن يخرجوا منه حتّى نصبّحهم فنقتلهم . ففعلوا ذلك بالباب ، ثمّ انصرَفوا إلى عسكرهم ، فأشرَف شبيب عليهم وطائفةٌ من أصحابه، فقال بعضُ أولئك الفَرْض: يا بنى الزَّوانى، ألم يُخزِكم الله ! فقالوا: يا فُسَّاق ، نعم تقاتلوننا لقتالِنا إيّاكم إذْ أعماكُم الله عن الحقّ الّذى نحن عليه، فما عُذْرُكم عند الله فى الفَرْىِ على أمّهاتِنا! فقال لهم حُلَماؤهم [(١)]: إنّما هذا من قول شباب فينا سُفهاء ، والله ما يُعجِبنا قولهم ولا نستحلّه .

وقال شبيب لأصحابه : يا هؤلاء ، ما تَنتظِرون ! فوالله لئن صبّحكم هؤلاء غُدْوةً إنّه لَهَلاكُكم ، فقالوا له : مرنا بأمرِك ، فقال لهم : إنّ اللّيل أخفَى للوَيْل ، بايعونى و مَن شئتم [(٢]) منكم ، ثم اخرجوا [٢)] بنا حتّى نشُدّ عليهم فى عسكرهم، فإنّهم لذلك منكم آمنون، وأنا أرجو أن ينصُركم الله عليهم . قالوا : فابسُطْ يدك فلنُبايعْك ، فبايَعوه ، ثمّ جاءوا ليخرجوا ،وقد صار بابُهم جمرًا ، فأتوا باللُّبود فبلّوها بالماء ، ثمّ ألقَوْها على الجَمْر ، ثمّ قطعوا عليها ، فلمَ يشعرُ الحارث بن عميرة ولا أهلُ العسكر إلاّ وشبيب وأصحابُه يضربونهم [(٣)] بالسيوف فى جوفِ عسكرِهم [(٤)] ، فضارب الحارث حتّى صُرِع ، واحتمَلَه أصحابُه وانهزموا ، وخلَّوْا لهم العسكر وما فيه ، ومضَوا حتّى نزلوا المدائن ، فكان ذلك الجيشُ أوّلَ جيش هزَمَه شبيب ، وأصيب صالحُ بن مسرّح يومَ الثلاثاء لثلاثَ عشرة بقيتْ من جُمادَى الأولى من سنته . ٨٩٢/٢

(١) ب ، ف : « علماؤهم » . (٢ - ٢) ب ، ف : « من أصحابكم واخرجوا » .
(٣) ب ، ف : « يضاربونهم » . (٤) ب ، ف : « العسكر » .

[خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجّاج]

وفى هذه السنة دخل شبيب الكوفة ومعه زوجتُه غزالة .

• ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمرِه وأمرِ الحجّاج بها والسبب الّذى دعا شبيبًا إلى ذلك :

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر هشام ، عن أبى مخنَف ، عن عبد الله ابن علقمة ، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمىّ — أنّ شبيبًا لمّا قُتِل صالحُ بنُ مسرّح بالمدبَّج وبايعه أصحابُ صالح ، ارتفع إلى أرض الموْصل فلقىَ سلامة بن سيّار بن المضاء التيْمىّ تيْم شيبان ، فدعاه إلى الخروج معه ، وكان يعرفه قبل ذلك إذ كانا[1] فى الدّيوان والمغازى ، فاشترط عليه سلامةُ أن ينتخب ثلاثين فارسًا ، ثم لا يغيب عنه إلّا ثلاثَ ليال عددًا . ٨٩٣/٢

فعل ، فانتخب ثلاثين فارسًا ، فانطلق بهم نحو عَنَزة ، وإنّما أرادهم ليشْفِى نفسَه منهم لقتلهم أخاه فضالة ، وذلك أنّ فضالة كان خرج قبل ذلك فى ثمانية عشر نفْسًا حتّى نزل ماءً يقال له الشّجرَة من أرض الجبال ، عليه أثلة عظيمة ، وعليه عنَزة ، فلمّا رأتْه عنَزة قال بعضهم لبعض : نقتلهم ثمّ نغدو بهم إلى الأمير فنُعطَى ونُحبَى ، فأجمعوا على ذلك ، فقال بنو نصر أخوالُه : لعَمر الله لا نساعدكم على قتل ولدنا . فنهضتْ عنَزَةُ إليهم فقاتلوهم فقتلوهم ، وأتوا برءوسهم عبدَ الملك بنَ مروان ، فلذلك أنزلهم بانِقيَا ، وفرض لهم ، ولم تكن لهم فرائضُ قبلَ ذلك إلّا قليلة ، فقال سلامة بنُ سيّار ، أخو فضالة يذكُر قتل أخيه وخذلان أخوالِه إيّاه :

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الفَتَى يُسلِمونَهُ ... لِوَقْعِ السلاحِ قبلَ ما فَعَلتْ نَصْرُ

قال : وكان خروج أخيه فضالةَ قبل خروج صالح بن مسرّح وشبيب .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « كان » .

فلمَّا بايع سلامةُ شبيباً اشترط عليه هذا الشرط ، فخرج فى ثلاثين فارساً حتَّى انتهى إلى عنَزة ، فجعل يقتل المحلَّة منهم بعد المحلة حتَّى انتهى ٢/٨٩٤ إلى فريق منهم فيهم خالته ، وقد أكبَّت على ابن لها وهو غلام حين احتلم ، فقالت وأخرجتْ ثديَها إليه : أنشدك برَحِم هذا يا سلامة ! فقال : لا والله ، ما رأيتُ فضالة مذ أناخ بعمُر الشَّجرة — يعنى أخاه — لتقومِنَّ عنه ، أو لأجْمَعَنَّ حافَّتك بالرّمح ، فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى المفضّل بن بكر من بنى تَيْم بن شيبان أنّ شبيباً أقبل فى أصحابه نحو راذانَ ، فلمَّا سمعتْ به طائفة من بنى تَيم ابن شيبانَ خرجوا هُرّاباً منه ، ومعهم ناس من غيرهم قليل ، فأقبلوا حتى نزلوا دَير خرّزاد إلى جنب حوْلايا ، وهم نحو من ثلاثة آلاف ، وشبيب فى نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا ، فنزل بهم ؛ فهابوه وتحصّنوا منه . ثمّ إنّ شبيباً سرَى فى اثنى عشرَ فارساً من أصحابه إلى أمه ، وكانت فى سَفْح ساتيدَما نازلةً فى مَظلّة من مَظالّ الأعراب : فقال : لآتينّ بأمّى فلأجعلنّها فى عسكرى فلا تفارقنى أبدًا حتَّى أموتَ أو تموت . وخرج رجلان من بنى تَيم بن شيبانَ تخوّفَا على أنفسهما فنزلا من الدّير ، فلَحِقا بجماعة من قومهما وهم نُزول بالجال منهم على مسيرةِ ساعة من النهار ، وخرج شبيبٌ ، فى أولئك الرّهط فى أوّلهم وهم اثنا عشر ، يريد أمَّه بالسفح ، فإذا ٢/٨٩٥ هو بجماعة من بنى تَيْم بن شيبان غارّين فى أموالهم مقيمين ، لا يروْن أنّ شبيبًا يمرّ بهم لمكانهم الَّذى هم به ، ولا يشعر بهم ، فحمل عليهم فى فرْسانه تلك ، فقتل منهم ثلاثين شيخًا ؛ فيهم حوْثرةُ بنُ أسَد ووَبرة بن عاصم اللَّذان كانا نزَلا من الدَّير ، فلحقا بالجبال ، ومَضى شبيب إلى أمه فحملَها من السَّفح ، فأقبل بها ، وأشرف رجلٌ من أصحاب الدّير من بكرِ بن وائل على أصحابِ شبيب ، وقد استَخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ، ويقال لذلك الرّجل الّذى أشرف عليهم سلاّمُ بن حيان ، فقال لهم : يا قوم ، القرآن بيننا وبينكم ، ألم تسمعوا قول الله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ .

قالوا : بلى ، قال لهم : فكفّوا عنّا حتّى نُصبح ، ثمّ نخرج إليكم على أمان لنا منكم ، لكيلا تَعرِضوا لنا بشىء نكرهه حتّى تَعرِضوا علينا أمركم هذا ، فإن نحن قَبِلناه حرُمتْ عليكم أموالنا ودماؤنا ، وكنّا لكم إخوانًا ، وإن نحن لم نقبَلْه رددْتمونا إلى مأمَننا ، ثمّ رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم ؛ قالوا لهم : فهذا لكم . فلما أصبحوا خرجوا إليهم ، فعَرَض عليهم أصحابُ شبيب قولَهم ، ووصفوا لهم أمرَهم ، فقَبِلوا ذلك كلَّه ، وخالطوهم ، ونزلوا إليهم ، فدخل بعضُهم إلى بعض ، وجاء شبيب وقد اصطلحوا ، فأخبرَه أصحابُه خبرَهم ، فقال : أصبتم ووُفّقتم وأحسنتم . ٨٩٦/٢

ثمّ إن شبيبًا ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامتْ طائفةٌ جانحة ، وخرج يومئذ معه إبراهيمُ بنَ حَجَرَ المحلّمىّ أبو الصُّقَير كان مع بنى تَيْم بن شيبان نازلاً فيهم ، ومضى شبيب فى أدانى أرض المَوْصل وتخوم أرض جُوخَى ، ثمّ ارتفع نحو أذرَبيجانَ ، وأقبل سفيان بن أبى العالية الخَثْعمىّ فى خيل قد كان أمر أن يدخل بها طَبَرسْتان ، فأمر بالقُفول ، فأقبلَ راجعًا فى نحو من ألف فارس ، فصالح صاحب طَبَرستانَ .

قال أبو مخنف : فحدّثنى عبدُ الله بنُ علقمة عن سفيان بن أبى العالية الخثعمىّ أنّ كتاب الحجّاج أتاه : أما بعد ، فسرْ حتّى تنزل الدّسْكرة فيمن معك ، ثمّ أقِم حتّى يأتيك جيشُ الحارث بن عميرة الهَمْدانىّ بن ذى المِشعار ، وهو الّذى قَتَل صالحَ بن مسرّح وخيل المناظر ، ثمّ سِرْ إلى شبيب حتّى تُناجزَه . فلمّا أتاه الكِتابُ أقبَل حتّى نزل الدّسْكرة ، ونُودىَ فى جيشِ الحارثِ بنِ عميرة بالكوفة والمَدائن : أنْ بَرِئت الذّمّة من رجل من جيش الحارث بنِ عميرة لم يُوافِ سُفيان بن أبى العالية بالدّسْكرة .

قال : فخرجوا حتّى أتوه ، وأتته خيلُ المناظر ، وكانوا خمسمائة ، عليهم سَوْرة بن أبْجَر التميمىّ من بنى أبَان بنِ دارم ، فوافوْه إلا نحوًا من خمسين رجلا تخلّفوا عنه ، وبعث إلى سُفيان بن أبى العالية ألّا تبرح العسكَر حتّى آتيَك . فعَجل سفيانُ فارتحل فى طلب شبيب ، فلَحِقه بخانِقِين فى سَفْح جبل على ميمنته خازمُ بن سُفيان الخثعمىّ من بنى ٨٩٧/٢

عمرو بن شَهْران، وعلى ميسرته علىّ بن عميرة الشَّيبانىّ، وأصحَر لهم شبيب ، ثم ارتفع عنهم حتَّى كأنَّه يكره لقاءَه، وقد أكمن له أخاه مصاداً معه خمسون فى هَزْم[1] من الأرض .

فلمَّا رأوْه جمَع أصحابَه ثمّ مضى فى سفح الجبل مُشرّقاً فقالوا : هرب عدوّ الله فاتَّبعوه ، فقال لهم علىّ بن عميرة الشَّيبانىّ : أيّها الناس ، لا تعجلوا عليهم حتَّى نَضرب فى الأرض ونسير بها ، فإن يكونوا قد أكمنوا لنا كميناً كنّا قد حذِرْناه، وإلاّ فإنّ طلبهم لن يفوتنا . فلم يسمع منه الناس، وأسرعوا فى آثارهم. فلمَّا رأى شبيب أنَّهم قد جازوا الكَمينَ عطَف عليهم .

ولما رأى الكَمينُ أن قد جاوَزُوهم خرَجوا إليهم ، فحمل عليهم شبيب من أمامِهم ، وصاح بهم الكمين مِن ورائهم ، فلم يقاتلهم أحد ، وكانت الهزيمة ، فثبت ابنُ أبى العالية فى نحو من مائتى رجل ، فقاتلهم قتالا شديداً حسناً ؛ حتَّى ظنّ أنَّه انتصف من شبيب وأصحابه . فقال سُوَيد بن سُليم لأصحابه : أمِنْكم أحد يَعرف أميرَ القوم ابنَ أبى العالية ؟ فوالله لئن عرَفْتُه لأجهدَنّ نفسى فى قتْله ، فقال شبيبٌ : أنا مِن أعرَف الناس به، أما ترَى صاحب الفرس الأغرّ الَّذى دونَه المُرامية! فإنَّه ذلك ، فإن كنت تريدُه فأمهِلْه قليلاً . ثمّ قال : يا قعنب، اخرج فى عشرين فأتهم من ورائهم ، فخرج قعنب فى عشرين فارتفع عليهم . ٢/٨٩٨

فلمَّا رأوه يريدُ أن يأتيَهم من ورائهم جعلوا يتنقّضون ويتسلَّلون، وحمل سُوَيد بنُ سُليم على سُفيان بن أبى العالية فطاعنه، فلم تصنع رُمْحاهما شيئاً ، ثم اضطربا بسيْفيهما ثمّ اعتنق كل منهما صاحبه ، فوقعا إلى الأرض يعتركان ؛ ثم تحاجزوا وحمَل عليهم شبيب فانكشفوا ، وأتى سُفيان غلامٌ له يقال له غَزْوان، فنزل عن بِرْذَونه، وقال : اركبْ يا مولاى ، فرَكب سفيان ، وأحاط به أصحاب شبيب ، فقاتَل دونَه غَزْوان فقُتل ، وكانت معه رايتُه. وأقبل سُفيانُ بن أبى العالية حتَّى انتهى إلى بابل مَهْرُوذ،

---

(١) الهزم : ما اطمأن من الأرض .

فنزل بها ، وكتب إلى الحجّاج :

أمّا بعد ، فإنى أخبر الأميرَ أصلحه الله أنى اتّبعت هذه المارقةَ حتّى لحقتُهم بخانِقِين فقاتلتهم ، فضرَبَ الله وجوههم ، ونصرنا عليهم ، فبينا نحن كذلك إذْ أتاهم قوم كانوا غُيَّبًا عنهم ، فحَملوا على الناس فهزموهم ، فنزلتُ فى رجال من أهل الدّين والصّبر فقاتلتهم ، حتّى خررتُ بين القتلى ، فحُمِلت مرتثًّا ، فأُتِىَ بى بابل مهروذ ، فهأنذا بها والجند الّذين وجّهتهم إلىّ الأمير وافَوا إلا سَوْرَةَ بن أبْجَر فإنه لم يأتنى ولم يشهد معى حتّى إذا ما نزلت بابل مَهْروذ أتانى يقول ما لا أعرُف[1] ، ويَعتذر بغير العُذْر . والسلام .

٨٩٩/٢ فلمّا قرأ الحجّاجُ الكتاب قال : مَنْ صنع كما صنع هذا ، وأبلى كما أبلى فقد أحسن . ثم كتب إليه :

أمّا بعد ، فقد أحسَنْتَ البلاء ، وقضيتَ الّذى عليك ، فإذا خفّ عنك الوجع فأقبِل مأجورًا إلى أهْلِك . والسلام .

وكتب إلى سَوْرة بن أبجَر :

أمّا بعد فيابن أمّ سَوْرَة ، ما كنتَ خليقًا أن تجترئ على ترك عهدى وخذلان جُندى ، فإذا أتاك كتابى فابعث رَجُلا ممّن معك صَلِيبًا إلى الخيل الّتى بالمدائن ، فَلْيَنتخِب منهم خمسمائة رجل ، ثمّ ليُقدم بهم عليك ، ثمّ سِرْ بهم حتّى تَلقى هذه المارقة . واحزِمْ فى أمرك ، وكِدْ عدوّك ، فإنّ أفضل أمر الحرب حسن المكيدة . والسلام .

فلمّا أتَى سَوْرةَ كتابُ الحجّاج بعث عدىّ بن عميرة إلى المدائن ، وكان بها ألفُ فارس ، فانتَخب منهم خَمسمائة ، ثمّ دخل على عبد الله بن أبى عُصَيْفِير — وهو أميرُ المدائن فى إمارته الأولى — فسلّم عليه ، فأجازه بألف درْهم ، وحمله على فرس ، وكساه أثوابًا . ثم إنّه خرج من عنده ، فأقبل بأصحابه حتّى قدم بهم على سَورة بن أبجر ببابل مَهْروذ ، فخرج فى طلب شبيب ، وشبيب[2]

(١) ب ، ف : « أعرفه » . (٢) ا : « وخرج شبيب » .

يَجُول فى جُوخَى وسَوْرة فى طَلَبه، فجاء شبيب حتَّى انتهى إلى المَدائن، فتحصَّن منه أهلُ المدائن وتحرّزوا . ووهى أبْنية المدائن الأولى ، فدخل المدائن، فأصاب بها دوابَّ جند كثيرة[1] ، فقتل مَن ظهر له ولم يَدخلُوا البيوت، فأُتِيَ فقيل له : هذا سَوْرة بنُ أبجر قد أقبَل إليك . فخرج فى أصحابه ٩٠٠/٢ حتَّى انتهى إلى النَّهرَوان، فنزلوا به وتوضّئوا وصلّوا، ثمّ أتَوْا مصارعَ إخوانهم الذين قَتَلهم علىّ بنُ أبى طالب عليه السلام . فاستغفروا لإخوانهم ، وتبرّءوا من علىّ وأصحابه، وبَكَوْا فأطالوا البكاءَ ، ثم خرجوا فقطعوا جِسْرَ النَّهرَوان ، فنزلوا من جانبه الشرقىّ ، وجاء سَوْرة حتَّى نزل بقطراثا ، وجاءته عُيونه فأخبرتْه بمنزل شبيب بالنَّهروان ، فدعا رءوس أصحابه فقال: إنَّهم قلَّما يُلْقَوْن مُصحِرين أو على ظَهر إلّا انتصَفوا منكم ، وظهروا عليكم ، وقد حُدّثت أنَّهم لا يزيدون على مائة رجل إلّا قليلا ، وقد رأيتُ أن أنتخبكم فأسيرَ فى ثلثمائة رجل منكم من أقويائكم وشُجْعانكم فآتيهم الآن إذْ هم آمنون لبَياتكم ؛ فوالله إنى لأرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم الّذين صُرِعوا منهم بالنَّهروان مِن قبلُ . فقالوا : اصْنع ما أحببتَ . فاستعمل على عسكره حازم بنَ قُدامة الخثعمىّ ، وانتخب من أصحابه ثلثمائة رجل من أهل القوّة والجَلَد والشَّجاعة ، ثمّ أقبَل بهم نحو النَّهروان، وبات شبيب وقد أذكى الحرَس، فلمَّا دنا أصحابُ سَوْرة منهم نَذِروا بهم، فاستَوَوا على خُيولهم وتعبَّوا تعبيتهم .

فلمَّا انتهى إليهمْ سَوْرة وأصحابُه أصابوهم قد حَذِروا واستعدّوا ، ٩٠١/٢ فحمل عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم،وضارَبوهم حتَّى صدّ عنهم سَوْرة وأصحابه ، ثمّ صاح شبيب بأصحابه ، فحمل عليهم حتَّى تركوا له العرصة ، وحَملوا عليهم معه ، وجعَل شبيب يَضرب ويقول :

من يَنِكِ العَيْرَ يَنِكْ نَيَّاكَا جَنْدلَتانِ اصْطَكّتا اصطِكَاكَا

فرجع سَوْرة إلى عسكره وقد هُزِم الفُرْسان وأهلُ القُوّة، فتحمَّل بهم حتَّى أقبل بهم نحوَ المدائن ، فدفع إليهمْ وقد تَحمَّل وتعدّى الطريق الذى

(١) ا : « فأصاب دواب من دواب الجند » .

فيه شبيب ، واتبعه شبيب وهو يرجو أن يَلحقه فيُصيب عسكره ، ويصيب بهزيمته أهل العسكر ، فأغَذّ السير في طلبهم ، فانتهَوْا إلى المدائن فدَخلوها ، وجاء شبيب حتّى انتهى إلى بيُوت المدائن ، فدفع إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابنُ أبي عُصَيْفِير في أهل المَدائن فرماهم الناس بالنَّبْل ، ورمُوا من فوق البيوت بالحجارة ، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فمرّ على كَلْواذَا فأصاب بها دوابّ كثيرةً للحجّاج فأخَذَها ، ثمّ خرج يسيرُ في أرض جُوخَى ، ثمّ مضَى نحو تكْريت ، فبينا ذلك الجُنْد في المدائن إذ أرجفَ الناسُ بينهم ، فقالوا : هذا شبيب قد دَنَا ، وهو يريد أن يبيِّت أهلَ المدائن اللّيلة ، فارتَحَل عامّة الجُنْد . فلَحِقوا بالكوفة .

قال أبو مخنف : وحدّثني عبدُ الله بنُ عَلْقمة الخَثْعميّ ، قال : والله لقد هربوا من المدائن وقالوا : نُبيَّتُ اللّيلة ، وإنّ شبيبًا لبِتَكْريتَ ، قال : ولمّا قَدم الفَلّ على الحَجّاج سرّح الجَزْل بن سعيد بن شُرَحبيل بن عَمرو الكنديّ . ٩٠٢/٢

قال أبو مخنف : حدّثنا النَّضر بنُ صالح العَبْسيّ وفُضيلُ بنُ خَديج الكِنديّ أنّ الحجّاج لمّا أتاه الفَلّ قال : قبح الله سَوْرة! ضَيَّع العسكر والجُنْد ، وخرج يبيِّت الخَوارِج ، أمّا والله لأسُوءنّه ، وكان بعدُ قد[١] حَبَسَه ثمّ عَفَا عنه .

قال أبو مخنف : وحدّثني فضَيل بن خديج أنّ الحجّاج دعا الجزْل — وهو عثمان بنُ سعيد — فقال له : تيسّر للخروج إلى هذه المارقة ، فإذا لقيتَهم فلا تعجلْ عجلةَ الخَرِق ، ولا تُحجِم إحجامَ الواني الفَرِق ، هل فهمتَ ؟ لله أنتَ يا أخا بني عمرو بن معاوية ! فقال : نعم أصلَح الله الأمير قد فهمت ؛ قال له : فاخرج فعسكِر بديْر عبد الرحمن حتّى يخرج إليك الناس ، فقال : أصلَحَ الله الأمير! لا تبعثنّ معي أحدًا من أهل هذا الجُنْد المفلول المهزوم ، فإنّ الرعب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيتُ ألّا ينفعك والمسلمين منهم أحد ؛ قال له : فإنّ ذلك لك ، ولا أراك إلّا قد أحسنْتَ الرأى ووُفِّقتَ . ثمّ دعا أصحابَ الدّواوين فقال : اضربوا على

(١) ا : « بعده » .

الناس البَعْث ، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس ، من كلّ رُبع ألف رجل ، وعجّلوا ذلك ، فجُمِعت العُرفاء ، وجلس أصحابُ الدّواوين ، وضربوا البعث فأخرجوا أربعةَ آلاف ، فأمرهم بالعسكر فعسكروا ، ثمّ نودى ٩٠٣/٢ فيهم بالرّحيل ، ثم ارتحلوا ونادى منادى الحجّاج : أن بَرِئت الذّمّة من رجل أصبْناه من هذا البعث متخلّفاً ؛ قال : فمضى الجزْل بنُ سعيد ، وقد قدم بين يديه عياض بن أبى لينة الكِنْدىّ على مُقدّمته ، فخرج حتّى أتى المدائنَ ، فأقام بها ثلاثاً ، وبعث إليه ابنُ أبى عُصيْفير بفرس وبِرْذَوْن وبغلين وألفىْ درهم ، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتّى ارتحلوا ، فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعَلَف الّذى وَضَع لهم ابنُ أبى عُصيْفير . ثمّ إنّ الجزل بنَ سعيد خرج بالناس فى أثر شبيب ، فطلَبه فى أرض جُوخَى ، فجعل شبيب يُريه الهيبة ، فيَخرج من رُسْتاق إلى رُسْتاق ، ومن طَسّوج إلى طَسّوج ، ولا يقيم له إرادة أن يفرّق الجزل أصحابه ، ويتعجّل إليه فيلقاه فى يسير من الناس على غير تعبية ، فجعل الجزْل لا يسير إلّا على تعبية ، ولاينزل إلّا خندق على نفسه خندقاً ، فلمّا طال ذلك على شبيب أمرَ أصحابه ذاتَ ليلة فسرَوْا .

قال أبو مخنف : فحدّثنى فروة بنُ لَقيط أنّ شبيباً دعانا ونحن بدير بيرما ستون ومائة رجل ، فجعل على كلّ أربعين من أصحابه رجلا ، وهو فى أربعين ، وجعل أخاه مصاداً فى أربعين ، وبعث سُوَيد بن سُليم فى أربعين ، وبعث المحلّل بن وائل فى أربعين ، وقد أتتْه عيونُه فأخبرتْه أنّ الجزل بن ٩٠٤/٢ سعيد قد نزل ديرَيزدَجِرْد ، قال : فدعانا عند ذلك فعبّانا هذه التعبية ، وأمرنا فعلّقْنا على دوابنا ، وقال لنا : تيسّروا فإذا قضمتْ دوابُّكم فاركبوا ، ولْيسر كلّ امرئ منكم مع أميره الّذى أمّرناه عليه ، ولْينظر كل امرئ منكم ما يأمرُه أميرُه فليتّبعه . ودعا أمراءنا فقال لهم : إنى أريد أن أبيّت هذا العسكرَ اللّيلة ، ثم قال لأخيه مصاد : إيتهم فارتفعْ من فوقهم حتّى تأتيَهم من ورائهم من قِبَل حُلْوان ، وسآتيهم أنا من أمامى من قِبَل الكوفة ، وأتِهم أنتَ يا سُوَيد من قِبَل المشرق ، وأتِهم أنتَ يا محلّل من قِبَل المغرب ، ولْيَلج

كلّ امرئٍ منكم على الجانب الّذى يَحمِل عليه ، ولا تُقلِعوا عنهم ، تَحمِلون وتكرّون عليهم، وتصيحون بهم حتّى يأتيكم أمرى . فلم نزل على تلك التعبية ، وكنتُ أنا فى الأربعين الّذين كانوا معه ، حتى إذا قَضِمتْ دوابُّنا — وذلك أوّل اللّيل أوّل ماهدأت العيون — خرجْنا حتى انتهينا إلى دَيْر الخرّارة ، فإذا للقوم مَسلَحة ، عليهم عِياض بنُ أبى لينة ، فما هو إلا أن انتهَينا إليهم ، فحَمَل عليهم مصاد أخو شبيب فى أربعين رجلا ، وكان أمام شبيب ، وقد كان أراد أن يَسبِق شبيباً حتّى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائهم كما أمره ، فلمّا لقِىَ هؤلاء قاتَلَهم فصبروا ساعةً ، وقاتلوهم . ثمّ إنّا دفعنا إليهم جميعاً ، فحَمَلْنا عليهم فهزمناهم ، وأخذوا الطريق

٩٠٥/٢ الأعظم،وليس بينهم وبين عسكرهم بدَيْر يَزْدَجِرد إلّا قَريب من مِيل . فقال لنا شبيب : اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتّى تدخُلوا معهم عسكرَهم إن استطعتم؛ فاتّبعناهم والله مُلِظِّين[1] بهم ، ملحّين عليهم، ما نرفَه عنهم وهم منهزمون، ما لهم همّة إلّا عسكرهم، فانتهوا إلى عسكرهم، ومنعهم أصحابُهم أن يدخلُوا عليهم، ورَشَقونا بالنَّبْل، وكانت عيون لهم قد أتتْهم فأخبرتْهم بمكاننا ، وكان الجزْل قد خندق عليه ، وتحرّز ووضع هذه المسلحة الّذين لقيناهم بدَيْر الخرّارة ، ووَضَع مسلحةً أخرى ممّا يلى حُلوان على الطريق ، فلمّا أن دفعنا إلى هذه المسلَحة التى كانت بدَير الخرّارة فألحقْناهم بعسكر جماعتهم ورجعت المسالح الأخر حتى اجتمعت ، منعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم : قاتِلوا ، وانضحوا عنكم بالنَّبل .

قال أبو مخنف : وحدّثنى جَرير بن الحسين الكندىّ ، قال : كان على المَسلحتَيْن الأخرَيَيْن عاصمُ بنُ حجر على الّتى تلى حُلْوان ، وواصلُ ابنُ الحارث السّكونىّ على الأخرى . فلمّا أن اجتمعتْ المَسالحُ جَعَل شبيبٌ يَحْمِل عليها حتّى اضطرّها إلى الخندَق ، ورَشَقَهم أهلُ العسكر بالنَّبل حتّى ردّوهم عنهم . فلمّا رأى شبيب أنّه لا يصل إليهم قال لأصحابه : سِيروا ودَعُوهم، فمضى على الطريق نحو حُلْوان حتّى إذا كان قريباً

(١) ملظّين ، بمعنى ملحين .

من موضع قِباب حسين بن زُفَر من بنى بَدْر بن فزارة - وإنّما كانت قبابُ حُسين بن زُفَر بعد ذلك - قال : لأصحابه : انزلوا فاقضموا وأصلحوا نَبلكم وتروّحوا وَصَلّوا ركعتين، ثمّ اركبوا ؛ فنزلوا ففعلوا ذلك . ثمّ إنّه أقبل بهم راجعًا إلى عسكر أهل الكوفة أيضًا ، وقال : سيروا على تعبيتكم الّتى عبّأتكم عليها بديربيرما أوّل الليل ، ثمّ أطيفوا بعسكرهم كما أمرتُكم ، فأقبلوا . قال : فأقبلنا معه وقد أدخل أهلُ العسكر مَسالِحهم إليهم ، وقد أمّنونا فما شعروا حتى سمعوا وَقع حَوافِر خيولنا قريبًا منهم ، فانتهينا إليهم قُبيلَ الصّبح فأحَطْنا بعسكرهم ، ثم صيّحنا[1] بهم من كلّ جانب ، فإذا هم يُقاتلوننا من كلّ جانب ، ويرموننا بالنَّبل . ثم إنّ شبيبًا بعث إلى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أنْ أقبِل إلينا وخلِّ لهم سبيل الطريق إلى الكُوفة ، فأقبل إليه ، وترك ذلك الوجه ، وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة ؛ حتّى أصبحْنا ، فأصبحنا ولم نستفل منهم شيئًا ، فسرنا وتركناهم ، فجعلو يصيحون بنا: أين يا كلاب النار ! أينَ أيّتها العِصابة المارقة ! أصبِحوا نخرجْ إليكم ، فارتفعنا عنهم نحوًا من مِيل ونصف، ثم نزلْنا فصلّينا الغَداةَ، ثمّ أخذْنا الطريق على براز الرُّوذ ، ثمّ مَضينا إلى جَرجَرايا وما يليها ، فأقبلوا فى طلبنا .

٩٠٦/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى مولى لنا يُدعَى غاضرة أو قيصر ،قال : كنت مع الناس تاجرًا وهم فى طلب الحَروريّة، وعلينا الجزْل بنُ سعيد ، فجعل يتبعهم فلا يسير إلّا على تعبية ، ولا يَنزل إلا على خندق ، وكان شبيبٌ يَدَعه ويَضرب فى أرض جُوخَى وغيرها يكسر الخَراج ، وطال ذلك على الحجّاج ، فكتب إليه كتابًا ، فقرئ على الناس :

٩٠٧/٢

أما بعد ، فإنى بعثتُك فى فرسان أهل المِصر ووجوه الناس ، وأمرتُك بإتباع هذه المارقة الضّالة المُضِلّة حتّى تلقاها ، فلا تُقلِع عنها حتّى تَقتلها وتُفنيها ؛ فوجدتَ التعريسَ فى القُرَى والتّخييمَ فى الخَنادق أهونَ عليك من المُضىّ لما أمرتك به من مناهَضتهم ومناجزَتِهم . والسّلام .

فقرئ الكتابُ علينا ونحن بقطراثا ودَيْر أبى مَرْيم ، فشَقّ ذلك على

---

(١) ا : « صحنا » .

الجزْل ، وأمَرَ الناسَ بالسَّير ، فخرجوا فى طلب الخوارج جادّين ، وأرجَفْنا بأميرنا وقلنا : يُعزَل .

قال أبو مخنف : فحدّثنى إسماعيلُ بنُ نعيم الهَمْدانىّ ثمّ البُرسمىّ أنّ الحجّاج بعثَ سعيد بنَ المجالد على ذلك الجيش ، وعَهِد إليه إن لقيتَ المارقةَ فازحفْ إليهم ولا تُناظرْهم ولا تُطاولْهم وواقِفْهم واستَعِن بالله عليهم ، ولا تصنع صنيع الجزْل ، واطلبهم طلبَ السَّبع ، وحِدْ عنهم حَيَدان الضَّبع . وأقبلَ الجزْل فى طلب شبيب حتّى انتهوا إلى النَّهْرَوان فأدركوه فلزم عسكرَه ، وخندق عليه . وجاء إليه سعيدُ بن المجالد حتّى دخل عسكرَ أهل الكوفة أميرًا ، فقام فيهم خطيبًا فحمِد الله وأثْنَى عليه ثمّ قال : ٩٠٨/٢

يا أهلَ الكوفة ، إنّكم قد عجزتم ووَهَنتم ، وأغضبتم عليكم أميرَكم . أنتم فى طلب هذه الأعاريب العُجْف منذ شهرين ، وهم قد خرّبوا بلادكم ، وكسروا خراجكم ، وأنتم حاذرون فى جَوْف هذه الخنادق لا تزايلونها إلّا أن يَبلُغكم أنّهم قد ارتَحلوا عنكم ، ونزلوا بلدًا سوى بلدكم ، فاخرجوا على اسم الله إليهم .

فخرج وأخرج الناس معه ، وجمع إليه خيول أهل العسكر ، فقال له الجزل : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقدم على شبيب فى هذه الخيل ، فقال له الجزْل : أقمْ أنت فى جماعة الجيش ، فارسهم وراجلهم ، وأصحِرْ له ؛ فوالله ليقدمنّ عليك ، فلا تُفرّق أصحابك ؛ فإنّ ذلك شرّ لهم وخيرٌ لك . فقال له : قف أنت فى الصّفّ ، فقال : يا سعيد بن مجالد ، ليس لى فيما صنعتَ رأى ، أنا برىءٌ من رأيك هذا ، سَمِع اللهُ ومَن حضر من المسلمين . فقال : هو رأيى إن أصبتُ ؛ فالله وفّقنى له ، وإن يكن غيرَ صواب فأنتم منه بُراء ، قال : فوقف الجزل فى صفّ أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق ، وجعل على ميمنتهم[٢] عياض بن أبى لينة الكِنْدىّ ، وعلى ميسرتِهم عبد الرحمن بن عوف أبا حُميد الرّواسىّ ، ووقف الجزل فى جماعتهم

(١) ب ، ف : « كصنيع » . (٢) ا : « ميمنته » .

واستقدم سعيد بن مجالد ، فخرج وأخرج الناسَ معه ، وقد أخذ شبيبٌ إلى ٩٠٩/٢
بَرَاز الرُّوز ، فنزل قَطَفُتا[١] ، وأمر دهْقانَها أن يشترى لهم ما يُصلحهم ،
ويتّخذ لهم غَدَاءً ، ففعل ، ودخل مدينة قَطَفُتا[١] وأمر بالباب فأغلِق ، فلم
يَفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بنُ مجالد فى أهل ذلك العسكر ، فصعد
الدّهقان السور فنظر إلى الجُنْد مقبلين قد دنَوا من حِصْنه ، فنزل وقد تغيّر
لونُه ، فقال له شبيب : ما لى أراك متغيِّر اللون ! فقال له الدّهقان : قد
جاءتك الجنود من كلّ ناحية ، قال : لا بأس ، هل أدرَك غداؤنا ؟ قال :
نعم ، قال : فقرِّبْه ، وقد أغلَق الباب ، وأُتِىَ بالغداء ، فتغدَّى وتوضأ وصلّى
ركعتين ، ثمّ دعا ببغل له فركبه .

ثمّ إنّهم اجتمعوا على باب المدينة ، فأمر بالباب فَفُتح ، ثمّ خرج على
بغله فحمَل عليهم . وقال : لا حكمَ إلّا للحَكَم الحكيم ، أنا أبو مدلّه ،
اثبتوا إن شئتم . وجعل سعيد يجمع قومه وخيلَه ، ويُزلفها[٢] فى أثره ، ويقول :
ما هؤلاء ! إنّما هم أكلَةُ رأس ، فلمّا رآهم شبيب قد تقطّعوا وانتشروا
لفّ خيله كلّها ، ثمّ جمعها ، ثم قال[٣] : استعرضوهم استعراضًا ، وانظروا ٩١٠/٢
إلى أميرهم ، فوالله لأقتلنّه أو يقتلنى . وحَمَل عليهم مستعرضًا لهم ، فهزَمهم
وثبت سعيد بن المجالد ، ثمّ نادى أصحابه : إلىّ إلىّ ، أنا ابن ذى مُرّان !
وأخذ قَلَنْسُوَته فوضعها على قَرَبوس سَرْجه ، وحَمَل عليه شبيب فعمّمه
بالسيف ، فخالط دماغَه ، فخرّ ميتًا ، وانهزم ذلك الجيش ، وقتِلوا كلّ
قِتْلة ، حتّى انتهوا إلى الجَزْل ، ونزل الجزل ونادَى : أيها الناس ، إلىّ .
وناداهم عِياضُ بن أبى لينة : أيها الناس ، إن كان أميركم القادم قد
هَلَك فأميركم الميمونُ النَّقيبة المبارك حىٌّ[٤] لم يَمت ، فقاتل الجزل قتالا
شديدًا حتّى حُمِل من بين القتلَى ، فحُمل إلى المدائن مرْتثًّا ، وقَدم
فلّ أهل ذلك العسكر الكوفة ، وكان من أشدّ الناس بلاءً يومئذ خالدُ بن

---

(١) كذا فى ابن أبى الحديد ٤ : ٢٤١ ، وهو الصواب ، وانظر مراصد الاطلاع .

(٢) ا : « يدلفها » . (٣) ب ، ف : « فقال » .

(٤) ب ، ف : « حى وهو الأمير المبارك » .

نَهيك من بنى ذُهْل بن معاوية وعياض بن أبى لِينة ، حتى استنقذاه وهو مرتَثّ . هذا حديثُ طائفة من الناس ، والحديث الآخرُ قتالهم فيما بين دَيْر أبى مريم إلى بَراز الرّوز . ثمّ إنّ الجزْل كتب إلى الحجاج .

قال : وأقبَل شبيب حتّى قَطع دجْلة عند الكَرْخ ، وبعث إلى سوق بغداذ فآمنهم ، وذلك اليوم يوم سُوقهم ، وكان بلغه أنّهم يخافونه ، فأحَبّ أن يؤمّنهم ، وكان أصحابُه يريدون أن يشتروا من السوق دوابّ وثياباً وأشياءَ ليس لهم منها بُدّ ، ثمّ أخذ بهم نحو الكوفة ، وساروا أول الليل حتّى نزلوا عُقْر المَلِك الّذى يلى قصر ابن هُبَيرة . ثمّ أغَذّ السَّيرَ من الغد ، فبات بين حمّام عمر بن سعد وبين قُبِّينَ . فلمّا بلغ الحجّاج مكانه ٩١١/٢ بعث إلى سُوَيد بن عبد الرحمن السعدىّ ، فبعثه فى ألفَىْ فارس نقاوَة ، وقال له : اخرُج إلى شبيب فالقه ، واجعل ميمنةً وميسَرة ، ثمّ انزل إليه فى الرّجال فإن استطرد ذلك فدَعه ولا تتبعه . فخرج فعسكر بالسَّبَخة ، فبلغه أنّ شبيباً قد أقبل ، فأقبل نحوه وكأنّما يساقُون إلى الموت ، وأمر الحجّاج عثمان ابنَ قَطَن فعسكَر بالناس بالسَّبَخة[١] ، ونادى : ألا بَرِئت الذّمّة من رجل من هذا الجند باتَ اللّيلة بالكوفة لم يَخرُج إلى عثمانَ بن قَطَن بالسَّبَخة ! وأمر سُوَيد بن عبد الرحمن أن يسيرَ فى الألفين اللّذين معه حتّى يلقى شبيباً فعبَر بأصحابه إلى زُرَارة وهو يعبّئهم ويحرّضهم إذ قيل له : قد غشيَك شبيب ، فنزل ونزل معه جُلُّ أصحابه ، وقَدّم رايتَه ومضى إلى أقصى زُرارة ، فأخبِر أن شبيباً قد أخبِر بمكانك فتركك ، ووجد مَخاضةً فعبر الفُرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الّذى أنت به . ثم قيل له : أما تراهم ! فنادى : فى أصحابه ، فركبوا فى آثارهم .

وإنّ شبيباً أتى دارَ الرّزق[٢] ، فنزَلها ، فقيل : إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسَّبَخة ، فلمّا بلغهم مكانُ شبيب صاح[٣] بعضهم ببعض

(١) ب ، ف : « فى السبخة » :

(٢) ف : « الزرق » .

(٣) ا : « ماج » .

وجالوا ، وهمّوا أن يدخلوا الكوفة حتّى قيل لهم : إنّ سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل .

قال هشام : وأخبرني عمرُ بنُ بشير،قال : لمّا نزل شبيب الدّير أمر بغنم تُهيّأ له ، فصعد الدّهقان ، ثمّ نزل وقد تغيّر لونُه ، فقال : ما لك ! ٩١٢/٢
قال : قد والله جاءك جمعٌ كثير ؛ قال : أبلغ الشّواءُ بعدُ؟ قال : لا ، قال : دَعْه. قال : ثمّ أشرف إشرافةً أخرى ، فقال : قد والله أحاطُوا بالجوْسق ، قال : هات شِواءَك ، فجعل يأكل غير مكترِث لهم ، فلما فرغ توضّأ وصلّى بأصحابه الأولى ، ثمّ تقلّد سيفين بعدما لبس درْعه ، وأخذ عمود حديد ثمّ قال : أسرجوا لي البغلة ، فقال أخوه مصاد : أفي هذا اليوم تُسرَج بغلة ! قال : نعم أسرِجوها ، فركبها . ثم قال : يا فلان، أنت على الميْمَنة وأنت يا فلان على الميسرة ، وقال لمصاد : أنت في القلب ، وأمر الدّهْقان ففتح الباب في وجوههم . قال : فخرج إليهم وهو يحكّم ، فجعل سعيد وأصحابه يرجِعون القَهقَرى حتّى صار بينهم وبين الدّير نحوٌ من مِيل . قال : وجعل سعيد يقول : يا معشر همْدان ، أنا ابن ذي مُرّان ، إليّ إليّ . ووجّه سِرْباً مع ابنه وقد أحسّ أنّها تكون عليه ، فنظَر شبيب إلى مصاد فقال : أثكلَتْنِيك الله إنْ لم أثكله ولَده . قال : ثمّ علاه بالعَمود ، فسَقَطَ ميتاً ، وانهزم أصحابهُ وما قُتِل بينهم يومئذ إلّا قتيل واحد . قال : وانكشف أصحابُ سعيد بن مجالد حتّى أتَوا الجزْل ، فناداهم الجزل : أيها الناس ، إليّ إليّ . وناداهم عِياض بنُ أبي لينة : أيها الناس ، إنْ يكن أميرُكم هذا القادمُ قد هلك فهذا أميرُكم الميمون النقيبة ، أقبِلوا إليه ، ٩١٣/٢
وقَاتِلوا معه ؛ فمنهم من أقبل إليه ، ومنهم من ركب رأسَه منهزماً ، وقاتل الجزْلُ قتالا شديداً حتّى صُرِع ، وقاتل عنه خالدُ بن نهيك وعياض ابن أبي لِينة حتّى استنقَذاه وهو مُرْتَثّ ، وأقبَل الناسُ منهزمين حتّى دخلوا الكوفة ، فأُتِي بالجزْل حتى أدخِل المدائن ، وكُتب إلى الحجّاج بن يوسف .

قال أبو مِخنَف : حدّثني بذلك ثابتٌ مولى زُهير :

أمَّا بعد ، فإنى أخبر الأمير أصلحه الله أنى خرجت فيمن قِبَلى من الجند الّذى وجّهنى إلى عدوّه ، وقد كنت حفظتُ عهدَ الأمير إلىّ فيهم ورأيَه ، فكنتُ أخرجُ إليهم إذا رأيت الفُرْصة ،وأحبِس الناس عنهم إذا خشيت الوَرْطة ، فلم أزل[1] كذلك ،ولقد أرادنى العدوّ بكلّ رِيدة[2] فلم يُصِب منّى غِرّةً ،حتّى قدم علىّ سعيدُ بن مجالد رحمة الله عليه، ولقد أمرته بالتؤدَة ، ونهيته عن العَجلة ، وأمرتُه ألّا يقاتلهم إلّا فى جماعة الناس عامّةً فعصانى ، وتعجّل إليهم فى الخيل ، فأشهدتُ عليه أهل المِصْرَيْن أنّى برىءمن رأيه الّذى رأى،وأنى لا أهوى ما صَنع . فمضى فأصيب تجاوز الله عنه ، ودُفِع الناس إلىّ ، فنزلتُ ودعوتُهم إلىّ ، ورفعتُ لهم رايتى ، وقاتلتُ حتّى صُرِعتُ ، فحملنى أصحابى من بين القَتلى ، فما أفقت إلا وأنا على أيديهم على رأس مِيل من المعركة ، فأنا اليومَ بالمدائن فى جراحة قد يموت الرجلُ من دونِها ويُعافَى مِن مِثلها . فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتى له ولجنده ، وعن مكايدتى عدوّه ، وعن موقفى يومَ البأس ، فإنه يستبين له عند ذلك أنى قد صَدَقته ونصحتُ له . والسلام . ٢/٩١٤

فكتب إليه الحجّاج :

أمَّا بعد ، فقد أتانى كتابُك وقرأته ، وفهمتُ كلَّ ما ذكرتَ فيه ، وقد صدّقتُك فى كلّ ما وصفتَ به نفسَك من نصيحتك لأميرك ، وحَيْطتك على أهلِ مصْرك ، وشدّتك على عدوّك ، وقد فهمتُ ما ذكرتَ[3] من أمر سعيد وعجلته إلى عدوّه ، فقد رضيتُ عَجلَته وتُؤَدَتك ، فأمّا عجلته فإنّها أفضت به إلى الجنّة،وأمّا تُؤَدَتُك فإنّها لم تَدَع الفرصة إذا أمكنتْ، وترْك الفرصة إذا لم تُمكِن حزْمٌ ، وقد أصبتَ وأحسنتَ البلاء،وأجِرْتَ[4]، وأنتَ عندى من أهل السمع والطاعة والنّصيحة ، وقد أشخصتُ إليك حيّان

(١) ب ، ف : « فإذا لم » .

(٢) أى بكل نوع من أنواع الإرادة . وفى ط: « إرادة » وأثبت ما فى ا .

(٣) ب ، ف : « ذكرته » .

(٤) أجِرت ، أى لقيت الأجر .

ابن أبجر ليداويَك ويعالجَ جراحتَك ، وبعثتُ إليك بألفَيْ درهم فأنفقْها في حاجتك[١] وما ينوبُكَ . والسلام .

فقدم عليه حَيَّان بنُ أبجر الكنانيّ من بني فِراس — وهم يعالجون الكيَّ وغيرَه — فكان يداويه ، وبعث إليه عبد الله بن أبي عُصَيفير بألف درهم ، وكان يعوده ويتعاهدُه باللُّطَف والهديّة . قال : وأقبل شبيب نحوَ المدائنِ ، فعلم أنّه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة ، فأقبل حتّى انتهى إلى الكرْخ ، فعبر دجلة إليه ، وبعث إلى أهل سُوق بَغْداذ وهو بالكَرْخِ أن اثبتُوا في سُوقكم فلا بأس عليكم — وكان ذلك يوم سوقهم — وقد كان بلغه أنّهم يخافونه . ٢/٩١٥ قال : ويَخرُج سُويد حتّى جعل بيوتَ مُزَينة وبني سُلَيم في ظهره وظهور أصحابه ، وحمل عليهم شبيب حملةً منكرة ، وذلك عند المساء ، فلم يقدِر منهم على شيء ، فأخذ على بيوت الكُوفة نحو الحِيرة ، وأتبعه سُويد لا يفارقه ، حتّى قطع بيوتَ الكوفة كلَّها إلى الحِيرة ، وأتبعه سُوَيد حتى انتهى إلى الحيرة ، فيَجِده قد قَطَع قنطرةَ الحِيرة ذاهباً ، فترَكه وأقام حتى أصبح . وبعث إليه الحجّاج أن اتبعه فأتبعه ، ومَضى شبيب حتّى أغار في أسفل الفُرات على من وجد من قَوْمه ، وارتفع في البرّ من وراء خَفَّان في أرض يقال لها الغلطة[٢] ، فيصيب رجالا من بني الورْثة ، فَحَمل عليهم ، فاضطرّهم إلى جَدَد من الأرض ، فجعلوا يَرْمونه وأصحابَه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولَهم . فلمّا نَفِدَت وصل إليهم فقتل منهم ثلاثةَ عشر رجلا ، منهم حنظلة بن مالك ومالكُ بن حنظلة وحمران بن مالك ؛ كلّهم من بني الورْثة .

قال أبو مِخْنَف : حدّثني بذلك عطاءُ بنُ عَرْفَجة بن زياد بن عبد الله الورثيّ . ومضى شبيب حتّى يأتي بني أبيه على اللصف (ماءٌ لرَهْطه) وعلى ذلك الماء الفِزْر بنُ الأسود ، وهو أحد بني الصَّلْت ، وهو الّذي كان يَنهَى شبيباً عن رأيه ، وأن يُفسِد بني عمه وقومه ، فكان شبيب يقول : والله لئن ملكتُ سبعةَ أعنّة لأغزُوَنّ الفِزْر . فلمّا غشيَهم شبيب ٢/٩١٦

(١) ب ، ف : « جراحتك » .

(٢) ب ، ف : « الملطة » .

فى الخيل سأل عن الفِزْر فاتَّقاه الفِزْر ، فخرج على فرس لا تُجارَى من وراء البيوت ، فذهب عليها فى الأرض ، وهرب منه الرجال ، ورجع وقد أخاف أهلَ البادية حتَّى أخذ على القُطقُطانة ؛ ثمّ على قصر مُقاتِل ، ثمّ أخذ على شاطئ الفُرات حتَّى أخذ على الحَصّاصة ، ثمّ على الأنبار ، ثمّ مضى حتَّى دخلَ دقُوقاء ، ثمّ ارتفع إلىَ أدانى آذْربيجان . فتركه الحجّاج وخرج إلى البَصْرة ، واستَخلَف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فما شعر الناس بشىء حتَّى جاء كتابٌ من ماذرواسب دِهْقان بابل مَهْرُوذ وعظيمها إلى عُروَة بن المغيرة بن شُعْبة أنّ تاجرًا من تجّار الأنبار من أهل بلادى أتانى فذكَر أنّ شبيبًا يريد أن يدخُل الكوفة فى أوّل هذا الشهر المستقبل ، أحببتُ إعلامَك ذلك لترَى رأيك ، ثمّ لم ألبث إلّا ساعةً حتَّى جاءنى جابِيان من جُباتى فحدّثانى أنَّه قد نزل خانيجار . فأخذ عروة كتابَه فأدْرَجَه وسرّح به إلى الحجّاج بالبصرة ، فلمَّا قرأه الحجّاج أقبل جوادًا إلى الكُوفة ، وأقبَل شبيب يسيرُ حتَّى انتهى إلى قرية يقال لها حَرْبى على شاطئ دِجْلة فعبر منها ، فقال : ما اسمُ هذه القرية ؟ فقالوا : حَرْبَى ؛ فقال : حرْب يَصْلَى بها عدوّكم ، وحرَب تُدخِلونه بيُوتهم ، إنَّما يتطيَّر من يَقُوف ويَعيف ، ثم ضرب رايتَه وقال لأصحابه : سيروا ؛ فأقبَل[1] حتَّى نزل عَقْرقُوفَا ، فقال له سُويد بن سُليم : يا أميرَ المؤمنين ، لو تَحوّلتَ بنا من هذه القرية المشئومة الاسم ! قال : وقد تطيَّرتَ أيضًا ! والله لا أتحوّل عنها حتَّى أسيرَ إلى عدوّى منها ، إنَّما شؤمُها إن شاء الله على عدوّكم تَحمِلون عليهم فيها ، فالعَقْر لهم .

٩١٧/٢

ثمّ قال لأصحابه : يا هؤلاء ، إنّ الحجّاج ليس بالكوفة ، وليس دون الكوفة إن شاء الله شىءٌ ، فسيروا بنا . فخرج يُبادِر الحجّاج إلى الكوفة ، وكتب عُروةُ إلى الحجّاج أنّ شبيبًا قد أقبل مسرعًا يريد الكوفة ، فالعجلَ العجلَ . فطوى الحجّاج المنازل ، واستبَقا إلى الكوفة ، ونزلها الحجّاج صلاةَ الظهر ، ونزل شبيبٌ السَّبَخة صلاةَ المغرب ، فصلَّى المغرب والعشاء ، ثمّ أصاب هو وأصحابه من الطّعام شيئًا يسيرًا ، ثمّ ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة ، فجاء شبيبٌ حتَّى انتهى إلى السوق ، ثم شدّ حتى ضربَ بابَ القصر بعموده .

(١) ا : « وأقبل » .

قال أبو المنذر: رأيت ضربةَ شبيب بباب القصر قد أثَّرتْ أثرًا عظيماً، ثمّ أقبل حتّى وقف عند[1] المَصْطبة، ثم قال:

وكأنَّ حافِرَهَا بكلّ خَمِيلَةٍ كَيْلٌ يَكِيلُ به شَحِيحٌ مُعْدِمُ

عَبْدٌ دَعِيٌّ من ثمودٍ أصلُه لا بل يُقال أبُو أبيهمْ يَقْدُمُ

ثمّ اقتحموا المسجد الأعظم وكان كبيرًا لا يفارقه قومٌ يصلّون فيه، فقتل عقيلَ بن مصعب الوادعيّ وعديّ بنَ عمرو الثّقفيّ وأبا ليْث بن أبي ٩١٨/٢ سُلَيم مولى عنْبسة بن أبي سفْيان، وقتلوا أزهرَ بنَ عبد الله العامريّ، ومرّوا بدار حَوْشب وهو على الشُّرَط فوقفوا على بابه وقالوا: إنّ الأمير يدعو حَوْشباً، فأخرج ميمون غلامه بِرْذَونَ حَوْشب ليركبه حَوْشب، فكأنّه أنكرهم فظنّوا أنّه قد اتّهمهم، فأراد أن يدخل، فقالوا له: كما أنت، حتّى يخرُجَ صاحبُك. فسمع حَوْشب الكلامَ، فأنكرَ القوم، فخرج إليهم، فلمّا رأى جماعتَهم أنكرَهم، وذهب لينصرف، فعجّلوا نحوه، ودخل وأغلق الباب، وقتلوا غلامَه ميموناً، وأخذوا بِرْذَوْنه ومضوا حتى مرّوا بالجحّاف ابن نبيط الشّيبانيّ من رَهْط حَوْشب، فقال له سويد: انزلْ إلينا، فقال له: ما تصنع بنزولي! قال له سويد: أقضيك ثمنَ البكْرة الّتي كنتُ ابتعتُ منك بالبادية، فقال له الجحّاف: بئس ساعةُ القضاء هذه الساعة، وبئس قضاءُ الدَّين هذا المكان! أما ذكرتَ أمانتك إلّا واللّيل مظلم، وأنت على ظهر فرسك! قبّح الله يا سويد ديناً لا يَصلُح ولا يتمّ إلا بقتل ذوي القَرابة وسفك دماء هذه الأمّة.

قال: ثمّ مضوا فمرّوا بمسجد بني ذُهْل فلقوا ذُهل بن الحارث، وكان يصلّي في مسجد قومه فيُطيلُ الصلاة، فصادفوه منصرفًا إلى منزله، فشدّوا عليه ليقتُلوه، فقال: اللهمّ إني أشكو إليك هؤلاء وظلمَهم وجَهلَهم. اللّهمّ إني عنهم ضعيف، فانتصرْ لي منهم! فضربوه حتّى قتلوه، ثمّ مضَوا ٩١٩/٢ حتّى خرجوا من الكوفة متوجّهين نحو المردَمة.

---

(١) ب، ف: «على متن».

قال هشام : قال أبو بكر بنُ عيّاش : واستقبلَه النَّضرُ بنُ قَعقاع ابن شوْر الذّهليّ ،وأمّه ناجية بنت هانئ بن قبيصة بن هانئ الشّيبانيّ فأبطرَه حين نظر إليه ــ قال : يعني بقوله : «أبطرَه» أفزعه[١] ــ فقال : السلام عليكَ أيّها الأمير ورحمة الله ؛ قال له[٢] سويد مبادرًا : أميرَ المؤمنين ، ويْلكَ ! فقال : أمير المؤمنين . حتّى خرجوا من الكوفة متوجّهين نحو المردمة ، وأمر الحجّاج المنادىَ فنادَى : يا خيلَ الله اركبى وأبْشرى ، وهو فوق باب القصْر ، وثَمّ مصباحٌ مع غلام له قائم ، فكان أوّل من جاء إليه من الناس عثمان بن قَطَن بن عبد الله بن الحصين ذى الغُصّة ، ومعه مواليه ، وناس من أهله ، فقال : أنا عثمان بن قَطَن ، أعلموا الأمير مكانى ، فليأمر[٣] بأمره ، فقال له ذلك الغلام : قفْ مكانك حتّى يأتيكَ أمرُ الأمير ، وجاء الناسُ من كلّ جانب ، وبات عثمانُ فيمن اجتمع إليه من الناس حتّى أصبح .

ثمّ إن الحجّاج بعث بُسْرَ بن غالب الأسَدىّ من بنى والبة فى ألفى رجل ، وزائدة بن قدامةَ الثقفىّ فى ألفَىْ رجل ، وأبا الضريس مولى بنى تميم فى ألف من الموالى ، وأعْيَن ــ صاحب حمّام أعيَن مولى بِشْر بن مروان ــ فى ألف رجل ، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمّد بن موسى بن طلحة على ٩٢٠/٢ سجِسْتان ، وكتب له عليها عهده ، وكتب إلى الحجّاج : أمّا بعد ، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهّز معه ألفَىْ رجل إلى سجِسْتان ، وعجّلْ سراحه . وأمرَ عبد الملك محمّد بن موسى بمكاتبة الحجّاج ، فلمّا قدم محمّد ابنُ موسى جعل يتحبّس فى الجهاز ، فقال له نصحاؤه : تعجّل أيّها الأمير[٤] إلى عمَلك ؛ فإنّك لا تدرى ما يكون من أمر الحجّاج ! وما يبدو له . فأقام على حاله ، وحدَث من أمر شبيب ما حدثَ ، فقال الحجّاج لمحمّد ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله : تلقَى شبيبًا وهذه الخارجةَ فتجاهدْهم ثمّ تمضي إلى عملك ، وبعث الحجّاج مع هؤلاء الأمَراء أيضًا عبد الأعلى بن

---

(١) ب ، ف : « أهله » . (٢) ب ، ف : « فقال » .
(٣) ب ، ف : « بمكانى فليأمرنى » . (٤) ب ، ف : « الرجل » .

عبد الله بن عامر بن كُرَيز القُرَشىّ وزياد بن عمرو العَتَكىّ ، وخرج شبيبٌ حيث خرج من الكوفة ، فأتى المردمة وبها رجل من حضرَمَوْت على العُشور يقال له ناجية بن مَرْثد الحضرمىّ ، فدخل الحمَّام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه ، واستقبل شبيب النضرَ بن القَعْقَاع بن شَوْر — وكان مع الحجَّاج حين أقبل مَن البصرة ، فلمَّا طوى الحجَّاجُ المنازل خلّفه وراءه — فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه ، فقال له شبيب : يا نضر بن القَعْقَاع ، لا حُكم إلّا لله — وإنَّما أراد شبيب[1] بمقالته له تَلقينَه ، فلم يفهم النَّضر — فقال : ﴿ إنَّا لله وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فقال أصحاب شبيب : يا أمير المؤمنين ؛ كأنَّك إنَّما تريد بمقالتك أن تلقِّنَه . فشدّوا على نضر فقتَلوه . ٩٢١/٢

قال : واجتمعتْ تلك الأمراء فى أسفل الفرات ، فترك شبيب الوجهَ الذى فيه جماعةُ أولئك القوّاد ، وأخذ نحو القادسيَّة ، ووجَّه الحجَّاج زَحْر بن قيس فى جَريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس ، وقال له : أتبع شبيباً حتى تواقعَه حيثما أدركتَه ، إلّا أن يكون منطلقاً ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك ، فلا تبرحْ إن هو أقام حتَّى تواقعه ، فخرج زَحْر حتى انتهى إلى السَّيْلحِين ، وبلغ شبيباً مَسيرُه إليه ، فأقبل نحوه فالتقَيا ، فجَعل زَحْر على ميمنته عبد الله بن كَنَّاز النَّهدىّ ، وكان شجاعاً ، وعلى ميسرته عدىّ بن عدىّ بن عَميرة الكندىّ الشيبانىّ ، وجمع شبيب خيلَه كلَّها كَبْكَبَةً واحدة ، ثمّ اعترض بها الصفّ ، فوجف وجيفاً ، واضطرب حتَّى انتهى إلى زَحْر بن قيس ، فنزل زَحْر بن قيس ، فقاتل زَحْر حتَّى صُرِع ، وانهزم أصحابُه ، وظَنّ القومُ أنَّهم قد قتلوه ، فلما كان فى السَّحَر وأصابَه البرد قام يتمشّى حتَّى دخل قريةً فبات بها ، وحُمل منها إلى الكوفة وبوَجْهه ورأسه بضع عشرة جراحة ما بين ضربة وطعنة ، فمكث أيّاماً ، ثمّ أتى الحجَّاج وعلى وجْهه وجراحه القُطن ، فأجْلسه الحجَّاج معه على السَّرير ، وقال لمن حوله : مَن سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنَّة يمشى بين الناس وهو ٩٢٢/٢

(١) ب ، ف : « تلقينه بمقالتك هذه » .

شَهيد فلينظرْ إلى هذا . وقال أصحابُ شبيب لشبيب وهم يظنّون أنّهم قد قتلوا زَحْراً : قد هزمنا لهم جُنْداً ، وقتَلنا لهم أميراً من أمرائهم عظيماً ، انصرِفْ بنا الآن وافرين ، فقال لهم : إنّ قتلنا هذا الرجل ، وهزيمتنا هذا الجند، قد أرْعبتْ هذه الأمراء والجنود التي بُعثَتْ في طلبكم ، فاقصِدوا بنا قصْدَهم ؛ فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجّاج من شيء وأخْذ الكوفة إن شاء الله . فقالوا : نحن لرأيك سمع تَبَع ، ونحن طوع يديك .

قال : فانقضّ بهم جواداً حتّى يأتى نَجْران — وهى نَجْران الكوفة ناحية عَيْن التَّمر — . ثمّ سأل عن جماعة القوم فخُبِّر باجتماعهم برُوذبار فى أسفل الفُرات فى بِهْقُباذ الأسفل ، على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكُوفة . فبلغ الحجّاجَ مسيره إليهم ، فبعث إليهم عبد الرحمن بن الغَرِق مولى ابن أبى عَقيل — وكان على الحجّاج كريماً — فقال له : الحَق بجماعتهم — يَعنى جماعةَ الأمراء — فأعلمْهم بمسير المارقة إليهم ، وقل لهم : إنْ جمعكم قِتالٌ فأميرُ الناس زائدة بن قدامة، فأتاهم ابن الغرِق فأعْلمهم ذلك ، وانصرَفَ عنهم .

٩٢٣/٢ قال أبو مِخنَف : فحدّثنى عبد الرحمن بن جُنْدب قال : انتهى إلينا شَبيب وفينا سَبعة أمراء على جماعتهم زائدةُ بن قدامة، وقد[1] عبّى كلّ أمير أصحابه على حِدَة ، فى ميمنتنا زيادُ بن عمرو العتكىّ ، وفى ميسرتنا بِشْر بن غالب الأسدىّ ، وكلّ أمير واقف فى أصحابه . فأقبل شبيبٌ حتّى وقف على تَلّ ، فأشرف على الناس وهو على فرس له كُمَيت أغرّ ، فنظر إلى تعبيتهم ، ثمّ رجع[2] إلى أصحابه، فأقبل فى ثلاث كتائب يوجفون ، حتّى إذا دنا من الناس مضتْ كتيبةٌ فيها سُوَيد بن سُلَيم ، فتقف فى ميمنتنا ، ومضت كتيبة فيها مَصاد أخو شبيب ، فوقفتْ على ميسرتنا ، وجاء شبيبٌ فى كتيبة حتّى وقف مُقابِل القلب . قال : وخرج زائدةُ ابنُ قدامة يسيرُ فى الناس فيما بين ميمنتهم إلى ميسرتهم يحرّض الناس ويقول :

---

(١) ب ، ف : « فعبى » . (٢) ب ، ف : « ورجع » .

يا عبادَ الله ، أنتم الكثيرُون الطيبّون ، وقد نزل بكم القليلون الخبيثون ، فاصبروا — جُعلت لكم الفداء — لكرّتَين أو ثلاث تَكرّون عليهم ، ثم هو النَّصر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء . ألا ترْون إليهم والله ما يكونون مائتى رجل ، إنّما هم أكلَةَ رأس ، إنّما هم السّرّاق المُرّاق ، إنّما جاءوكم ليُهَرِيقوا دماءكم ، ويأخذوا فَيئَكم ، فلا يكونوا على أخذه أقوَى منكم على مَنْعه ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أهلُ فُرْقة وأنتم أهلُ جَماعة ، غُضّوا الأبصار ، واستقبلوهم بالأسنَّة ، ولا تَحملوا عليهم حتى آمركم ، ٢/٩٢٤ ثمّ انصرف إلى مَوْقفه .

قال : ويَحْمِل سُوَيد بنُ سليم على زياد بن عَمرو ، فانكشف صَفُّهم ، وثَبَتَ زياد فى نحو من نصف أصحابه ، ثمّ ارتفع عنهم سُوَيد قليلا ، ثم كرّ عليهم ثانيةً ، ثمّ اطّعنوا ساعة .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى فروة بن لقيط ، قال : أنا والله فيهم يومئذ ، قال : اطَّعَنَّا ساعةً وصبروا لنا حتَّى ظننتُ أنَّهم لن يزولوا ، وقاتل زياد بنُ عمرو قتالا شديداً ، وجعل[1] ينادى : يا خيلى ، ويشُدّ بالسيف فيقاتِل قتالا شديداً ، فلقد رأيتُ سويد بن سليم يومئذ وإنّهُ لأشجع العرب وأشدّه قتالاً ، وما يُعرض له . قال : ثمّ إنا ارتَفَعْنا عنهم آخِراً فإذا هم يتقوّضون ، فقال له أصحابه : ألا تراهم يتقوّضون ! احْمِل عليهم ، فقال لهم شبيب : خلّوهم حتّى يَخِفّوا ، فتركُوهم قليلا ، ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا . فنظرت إلى زياد ابن عمرو وإنَّه ليُضرَب بالسيف[2] وما مِن سيف يُضْرَب به إلّا نبا عنه وهو مجفَّف ، ولقد رأيته اعتوره أكثرُ من عشرين سيفًا فما ضَرّه من ذلك شيء . ثمّ إنه انهزم وقد جُرِح جراحةً يسيرة ، وذلك عند المساء .

قال : ثمّ شدَدْنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه ، وما قاتَلَنَا كثيرَ قتال ، وقد ضارب ساعةً ، وقد بلغنى أنه كان جُرِح ثمّ لحق بزياد بن عمرو ، فمضينا منهزمين حتى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب ، فقاتلنا قتالاً شديداً وصبر لنا . ٢/٩٢٥

---

(١) ب ، ف : « وحمل » . (٢) ب ، ف : « بالسيوف » .

ذكر هشامٌ عن أبى مِخنَف ، قال : حدّثنى عبد الرحمن بن جندَب وفروة بن لقيط ،أن أخا شبيب مصاداً حمل على بِشْر بن غالب وهو فى الميسرة ، فأبْلَى وكرُم واللهِ وصبر ، فنزل ونزل معه رجالٌ من أهل الصَّبر نحوٌ من خمسين ، فضارَبوا بأسيافهم حتَّى قُتِلوا عن آخرِهم ، وكان فيهم عروة بنُ زهير بنِ ناجذ الأزْدىّ ، وأمه زارة امرأة ولدتْ فى الأزْد ، فيقال لهم بنو زارة ، فلمَّا قَتلوه وانهزَم أصحابهُ مالُوا فَشدّوا على أبى الضُّرَيْس مولى بنى تميم ، وهو يلى بِشر بن غالب ، فهزموه حتى انتهَى إلى موقف أعْيَن، ثمّ شَدّوا عليه وعلى أعْيَن جميعًا فهزموهما حتَّى انتهوا بهما إلى زائدةَ بن قدامة ، فلمَّا انتهَوا إليه نزل ونادى : يا أهل الإسلام ، الأرضَ الأرض، إلىّ إلىّ! لا يكونوا على كُفْرهم أصبر منكم على إيمانِكم؛ فقاتلهم عامّةَ اللَّيل حتَّى كان السَّحَر . ثمّ إنّ شبيبًا شدّ عليه فى جماعة من أصحابه فقتَلَه وأصحابه وتركهم ربْضةً حولَه من أهلِ الحِفاظ .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الرحمن بن جندب قال : سمعتُ زائدةَ ابنَ قدامة ليلتئذ رافعًا صوتَه يقول : يأيها الناس ، اصبروا وصابِروا ، ﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾. ثمّ واللهِ ما برَح يقاتلُهم مقبلا غيرَ مدبر حتَّى قُتِل . ٩٢٦/٢

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى فروة بنُ لَقيط أنّ أبا الصُّقَيْر الشَّيبانىّ ذكر أنه قَتَل زائدة بن قدامة ، وقد حاجَّه فى ذلك آخر يقال له الفَضْل ابن عامر . قال : ولمَّا قَتَل شبيبٌ زائدةَ بنَ قدامة دخل أبو الضُّرَيس وأعيَن جَوْسَقًا عظيمًا ، وقالشبيب لأصحابه : ارفَعوا السيف عن الناس وادعوهم إلى البَيْعة ، فَدَعَوْهم إلى البيعة عند الفَجْر .

قال عبدُ الرحمن بن جُنْدَب : فكنتُ فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقفٌ على فرس وخيلُه واقفة دونه ، فكلّ من جاء ليبايِعه نُزِع سيفُه عن عاتقِه ، وأخِذ سلاحُه منه ، ثم يُدْنَى من شبيب فيسلّم عليه بإمرة المؤمنين ، ثم يخلَّى سبيله . قال : وإنَّا لكذلك إذ انفجر الفَجْر ومحمَّد بن

موسى بن طلحة بن عبيد الله فى أقصى العسكر ، معه عصابةٌ من أصحابه قد صبروا ، فلمّا انفجر الفجر أمر مؤذّنه فأذّن ، فلمّا سمِع شبيب الأذان قال : ما هذا ؟ فقال : هذا محمّد بن موسى بن طلحة بن عُبيد الله لم يَبرَح ؛ فقال : قد ظننت أنّ حُمقه وخُيَلاءه سيحمله على هذا ؛ نَحُّوا هؤلاء عنّا وانزلوا بنا فلنُصَلّ . قال : فنزل فأذّن هو ، ثمّ استقدم فصلّى بأصحابه ، فقرأ : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[1] ، و ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾[2] ، ثم سلّم ، ثم ركبوا فحَمَلَ عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه ، وثبتتْ طائفة . قال فروة : فما أنسى قوله وقد غَشيْناه وهو يقاتل بسيفه وهو يقول : ﴿ آلم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ ﴾[3] . ٩٢٧/٢

قال : وضارب حتّى قتِل . قال : فسمعتُ أصحابى يقولون : إنّ شبيبًا هو الّذى قتله . ثمّ إنّا نزلْنا فأخذنا ما كان فى العسكر من شىء ، وهرب الذين كانوا بايعوا شبيبًا ، فلم يبق منهم أحد .

* * *

وقد ذكر من أمر محمّد بن موسى بن طلحة غيرُ أبى مِخنَف أمرًا غير الّذى ذكرته عنه ، والذى ذكر من ذلك أنّ عبدَ الملك بن مروان كان ولّى محمّدَ بن موسى بن طلحة سِجِستان ، فكتب إليه الحجّاج : إنك عامل كلّ بلد مررت به ، وهذا شبيب فى طريقك . فعدل إليه محمّد ، فأرسل إليه شبيب : إنك امرؤ مخدوع ، قد اتّقى بك الحجّاج ، وأنت جارٌ لك حقّ ، فانطلِقْ لِما أمِرتَ به ولك الله لا آذَيْتُك ، فأبى إلّا محاربته ، فواقفه شبيب ، وأعاد إليه الرسول ، فأبى إلّا قتاله ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه البطين ثم قعنب ثم سويد ، فأبى إلّا شبيبًا ، فقالوا لشبيب : قد رغب عنا إليك ، قال : فما ظنّكم هذه[4] الأشراف ! فبرز إليه شبيب ، وقال[5] : إنى أنشدُكَ اللهَ فى دَمِكَ ، فإنّ لك جِوارًا . فأبى إلّا قِتَاله ، فحَمَل عليه شبيبٌ فضربه بعصا حديدٍ

---

(١) سورة الهمزة: ١ . (٢) سورة الماعون: ١ .
(٣) سورة العنكبوت: ١ - ٣ . (٤) ا ، ب ، ف : « هاهم » .
(٥) ب ، ف : « فقال » .

فيها اثنا عشر رطلا بالشأمىّ ، فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ، ثم كفّنه ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره ، فبعث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه ٢/٩٢٨
وقال : هو جارى بالكوفة ، ولى أن أهَبَ ما غنمتُ لأهل الرِّدّة .

قال عمرُ بنُ شَبَّة : قال أبو عبيدة : كان محمّد بنُ موسى مع عمر ابن عبيدالله بن معمر بفارس ، وشهد معه قتال أبى فُدَيك وكان على ميمنته ، وشُهِر بالنَّجْدة[1] وشدة البأس[2] وزوّجه عمر بنُ عُبيدالله بن معمر ابنتَه أمّ عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان — فولاه سِجِسْتان ، فمرّ بالكوفة وبها[3] الحجّاج بن يوسف ، فقيل للحجّاج : إن صار هذا إلى سِجِسْتان مع نجدته وصهره لعبد الملك فلجأ إليه أحد ممّن تطلب ، مَنَعَك منه ؛ قال : فما الحيلة ؟ قيل : تأتيه وتسلّم عليه ، وتذكر نجدته وبأسه وأنّ شبيبًا فى طريقه ، وأنّه قد أعياك ، وأنّك ترجو أن يريحَ الله منه على يده ، فيكون له ذكر ذلك وشهرته . ففعل ، فعدل إليه محمّد بن موسى بن طلحة بن عُبيد الله ، فواقعه شبيب ، فقال له شبيب : إنى قد علمتُ خِداعَ الحجّاج ، وإنّما اغترّك ووَقى بك نفسَه ، وكأنى بأصحابك لو قد التقَتْ حَلْقتَا البِطان قد أسلَموك ، فصُرعتَ مَصرع أصحابِك ؛ فأطِعْنى وانطلِق لشأنِك ، فإنى أنفسُ بك عن الموت ؛ فأبَى محمّد بن موسى ، فبارَزَه شبيب فقتله .

* * *

٢/٩٢٩ رجع الحديث إلى حديث أبى مِخنَف . قال عبدُالرحمن : لقد كان فيمن بايعَه تلك الليلة أبو بُرْدة بن أبى موسى الأشعرىّ ، فلمّا بايعه قال له شبيب : ألَسْتَ أبا بردة ! قال : بلى ؛ قال شبيب لأصحابه : يا أخلاّئى ، أبو هذا أحد الحَكَمين ، فقالوا : ألا نقتل هذا ؟ فقال : إنّ هذا لا ذنبَ له فيما صنع أبوه ؛ قالوا : أجل قال : وأصبح شبيب : فأتى مُقبِلا نحوَ القَصْر الّذى فيه أبو الضُّريس وأعيَن

(١) ب : « وكان مشهوراً » . (٢) ب ، ف : « واليأس » .
(٣) ب ، ف : « وفيها » .

فرَموه بالنَّبل ، وتحصَّنا منه ، فأقام ذلك اليوم عليهم ، ثمّ شخص عنهم ، فقال له أصحابُه : ما دون الكوفة أحد يمنعنا ؛ فنظر فإذا أصحابُه قد جُرحوا[1] ؛ فقال لهم : ما عليكم أكثر ممَّا قد فعلتم ، فخرج بهم على نِفَّر ، ثمّ على الصَّراة ، ثمّ على بَغْداد ، ثم خرج إلى خانيجَار فأقام بها .

قال : ولمَّا بلغ الحجَّاجَ أن شبيبًا قد أخذ نحو نِفَّر ظَنّ أنّه يريد المدائن — وهى باب الكوفة ، ومَن أخذ المدائن كان ما فى يده من أرض الكوفة أكثر — فهال ذلك الحجَّاج ، وبعث إلى عثمان بن قَطَن ، ودعاه وسرّحه إلى المدائن ، وولّاه منبرَها والصّلاة ومَعونة جُوخى كلّها وخَراجَ الأسْتان . فخرج مسرعًا حتَّى نزل المدائن ، وعزل الحجَّاجُ عبدَ الله بن أبى عُصَيفير ؛ وكان بها الجزْل مقيمًا أشهرًا يُداوِى جراحتَه ، وكان ابن أبى عصيفير يعوده ويكرمه ، فلمَّا قدم عثمانُ بن قطن المدائن لم يتعَهّده ، ولم يكن يتعاهده ولا يُلطِفه بشىء ، فقال الجزل : اللَّهمّ زِد ابنَ عصيفير جودًا وكرمًا وفضلا ، ٩٣٠/٢ وزد عثمان بن قطن ضيقًا وبُخلا . قال : ثم إن الحجَّاج دعا عبدَ الرّحمن بنَ محمد بن الأشعث فقال : انتخِب الناس ، واخرجْ فى طلب هذا العدوّ ، فأمره بنُخْبة ستّةِ آلاف ، فانتخب فُرْسان الناس ووجوههم ، وأخرج من قومه ستّمائة من كِنْدة وحَضْرَموت ، واستحثّه الحجّاجُ بالعسكر ، فعسكر بدير عبد الرحمن ، فلمَّا أراد الحجَّاج إشخاصَهُم كتب إليهم :

أما بعد ، فقد اعتدتُم عادةَ الأذلّاء ، وولَّيْتم الدُّبر يومَ الزَّحْف ، وذلك دأب الكافرِين ، وإنى قد صفحتُ عنكم مرّة بعد مرّة ، ومرّة بعد مرّة . وإنى أقسِم لكم بالله قَسَمًا صادقًا لئن عدتم لذلك لأوقِعنّ بكم إيقاعًا أكون أشدّ عليكم من هذا العدوّ الذى تَهرُبون منه فى بطون الأودية والشِّعاب ، وتَستترون منه بأثناء الأنهار وألْواذ[2] الجبال ، فخافَ من له مَعقولٌ على نفسه ، ولم يَجعل عليها سبيلاً ، وقد أعذَر من أنذَر

وقد أسمعتَ لَوْ ناديتَ حَيًّا ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادِى[3]

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « جرحوا » . (٢) لوذ الجبل : جانبه .
(٣) لعمرو بن معد يكرب ، سرح العيون ٤٦٦ .

والسلامُ عليكم .

قال : ثمّ سرّح ابن الأصمّ مؤذّنَه ، فأتى عبدَ الرحمن بن محمّد ابن الأشعث عندَ طلوع الشمس ، فقال له : ارتحِلْ الساعةَ ونادِ فى الناس : أن برِئتِ الذّمّةُ من رجل من هذا البَعْث وَجَدْناه متخلفاً . فخرج عبدُ الرّحمن بنُ محمد بن الأشعَث فى الناس حتّى مرّ بالمدائن فنزل يوماً وليلةً ، وتشرّى أصحابه حوائجَهم ، ثمّ نادَى فى الناس بالرّحيل ، فارتَحلوا ، ثمّ أقبلوا حتى دَخل على عثمان بن قَطَن ، ثم أتى الجزْلَ فسأله عن جِراحَته ، وسأله ساعةً وحدثه . ثم إنّ الجزْل قال له : يا بن عمّ : إنّك تسير إلى فُرْسان العرَب وأبناءِ الحرب ، وأحْلاس الخيل ، واللهِ لكأنّما خُلِقوا من ضُلوعها ، ثم بُنوا على ظهورها ، ثم هم أسْد الأجَم ، الفارسُ منهم أشدّ من مائة ، إن لم تبدأ به بدأ ، وإن هُجْهِج أقدَم ، فإنى قد قاتلتُهم وبلَوْتُهم ، فإذا أصحرتُ لهم انتَصفوا منّى ، وكان لهم الفضل علىّ ، وإذا خَندقت علىّ وقاتلتُهم فى مَضيق نلتُ منهم بعضَ ما أحِبّ ، وكان لى عليهم الظّفَر ، فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا فى تعبيةٍ أو فى خندق . ثمّ إنه ودّعه ، فقال له الجزْل : هذه فرَسى الفُسَيْفِساء ، خُذْها فإنّها لا تجارَى . فأخذَها ثمّ خرج بالناس نحو شبيب ، فلمّا دنا منه ارتفع عنه شبيبٌ إلى دَقُوقاء وشَهْرَزُور ، فخرج عبدُ الرحمن فى طلبه ، حتّى إذا كان على التخوم أقام ، وقال : إنمّا هو فى أرض المَوْصِل ، فليقاتلوا عن بلادهم أو ليَدَعوه ، فكتب إليه الحجّاج بنُ يوسف :

أمّا بعد ، فاطلب شبيباً واسلُكْ فى أثَره أين سلَك حتّى تُدرِكَه فتقتله أو تَنفِيَه ، فإنّما السلطان سلطانُ أميرِ المؤمنين والجندُ جندُه . والسلام .

فخرج عبدُ الرحمن حين قرأ كتابَ الحجّاج فى طلب شبيب ، فكان شبيبٌ يدَعه حتى إذا دنا منه بيّته ، فيجده قد خندق على نفسه وحَذِر ، فيمضِى ويَدَعُه ، فيتبعه عبد الرحمن ، فإذا بلغه أنّه قد تحمّل وأنّه يسير أقبل فى الخيل ، فإذا انتهى إليه وجدَه قد صَفّ الخيل والرّجال وأدنى

المرامية ، فلا يصيبُ له غِرّة ولا له عِلّة ، فيمضي ويدعه .

قال : ولمّا رأى شبيب أنّه لا يصيب لعبد الرحمن غِرّةً ولا يصل إليه ، جعل يَخرُج إذا دنا منه عبد الرحمن فى خيله ، فينزل على مسيرةِ عشرين فرسخًا ، ثمّ يقيم فى أرض غَليظة حَزْنة[1] ، فيجيء عبد الرحمن ، فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فسار خمسةَ عشرَ أوعشرين فرسخًا ، فنزل منزلا غليظًا خَشِنًا ، ثم يقيم حتّى يدنوَ عبد الرحمن .

قال أبو مخنف : فحدّثني عبد الرحمن بن جُندب أنّ شبيبًا كان قد عَذّب ذلك العسكرَ وشقّ عليهم ، وأحفى دوابّهم ، ولَقُوا منه كلَّ بلاء ، فلم يزل عبد الرحمن يتّبعه حتّى مرّ به على خانقين ثمّ على جلولاء ثم على تامرّا ، ثمّ أقبَل حتّى نزل البتّ — قرية من قُرَى المَوْصل على تُخوم المَوْصِل ، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلّا نهر يسمّى حَولايا — قال : وجاء عبدُ الرحمن بنُ محمّد بن الأشعث حتّى نزل فى نهر حولايا وفى راذان[2] الأعلى من أرض جُوخَى ، ونزل عَواقيل من النّهر ، ونزلها عبدُ الرحمن حيث نزلها وهي تُعجِبه ، يرى أنّها مثل الخندق والحصن . قال : ٩٣٣/٢ وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن : إنّ هذه الأيام أيامُ عيدٍ لنا ولكم ، فإن رأيتم أن تُوادِعونا حتّى تمضي هذه الأيّام فافعلوا . فقال له عبدُ الرحمن : نعم ، ولم يكن شيء أحبّ إلى عبدِ الرحمن من المطاولة والموادعة . قال : وكتب عثمان بنُ قَطَن إلى الحجّاج :

أمّا بعد ، فإني أخبِر الأميرَ أصلَحه الله أنّ عبد الرحمن بنَ محمّد قد حَفر جُوخَى كلّها خَندَقًا واحدًا ، وخلّى شبيبًا وكسر خَراجها وهو يأكل أهلَها . والسلام .

فكتب إليه الحجّاج :

أمّا بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ لي عن عبد الرحمن ، وقد لَعَمري فعل

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « جدبة » . (٢) ب ، ف : « وهو فى رازان » .

ما ذكرت ، فسِرْ إلى الناس فأنتَ أميرُهم، وعاجِل المارقةَ حتّى تلقاهم ، فإن الله إن شاء الله ناصِرُك عليهم . والسلام .

قال : وبعث الحجّاج إلى المدائن مطرّف بن المغيرة بن شعبة ، وخرج عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمّد ومَنْ معه من أهل الكوفة وهم مُعسكرون على نهر حَوْلايا قريبًا من البَتّ ، عشيّة الثلاثاء ، وذلك يوم التّروية ، فنادى الناس وهو على بغلة : أيّها الناس ، اخرجوا إلى عدوّكم . فوثب إليه الناس ، فقالوا : نُنْشِدك اللهَ ، هذا المساءُ قد غَشِينا ، والناس لم يُوطِّنوا أنفسهم على القتال ، فبت الليلة ثمّ اخرج بالناس على تعبية . فجعل يقول : لأناجزنّهم ، ولتكوننّ الفرصة لى أوْ لهم . فأتاهم عبد الرحمن فأخذ بعنان دابّته ، وناشده الله لمّا نزل ، وقال[1] له عَقيلُ بنُ شدّاد السَّلُولىّ : إن الّذى تريد من مُناجزتهم الساعةَ أنت فاعلُه[2] غدًا ، وهو غداً خيرٌ لك وللناس . إن هذه ساعة ريح وغُبرة ، وقد أمسيت فانزل ، ثمّ أبكِرْ بنا إليهم غُدْوةً . فنزل ، فَسفت عليه الريحُ ، وشَقّ عليه الغُبارُ ، ودعا صاحب الخراج العُلُوج فبَنَوا له قُبَّةً فبات فيها ، ثمّ أصبح يومَ الأربعاء ، فجاء أهلُ البتّ إلى شبيب — وكان قد نزل ببِيعتهم — فقالوا : أصلحك الله! أنت ترحم الضّعفاء وأهلَ الجزْية ، ويكلّمك مَنْ تلى عليه ، ويَشْكون إليك ما نزل بهم فتنظر لهم ، وتكفّ عنهم ، وإنّ هؤلاء القوم جبابرة لا يُكلّمون ولا يَقْبَلون العُذْر ، والله لئن بلغهم أنّك مقيم فى بيعتنا ليَقتلُنّنا إن قُضِى لك أن ترتحِل عنّا ، فإن رأيتَ فانزل جانبَ القرْية ولا تجعل لهم علينا مقالاً ، قال : فإنى أفعل ذلك بكم ، ثمّ خرج فنزل جانبَ القرْية . قال : فباتَ عثمان ليلتَه كلّها يحرّضهم ؛ فلمّا أصبح — وذلك يومَ الأربعاء — خرج بالنّاس فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة ، فصاحَ الناس إليه ، فقالوا[3] : نُنْشِدُك الله أن تخرج بنا فى هذا اليوم ، فإنّ الريح علينا ! فأقام بهمْ ذلك اليوم ، وأراد شبيبٌ قتالهم ، وخرجَ أصحابُه ، فلمّا رآهم لم يَخرجُوا إليه أقام، فلمّا كان

٩٢٤/٢

---

(١) س : « فقال » . (٢) ب ، ف : « قادر عليه » .
(٣) ب ، ف : « وقالوا له » .

ليلة الخميس خرج عثمانُ فعبّى الناسَ على أرباعِهم ، فجعل كلّ رُبْع فى جانب العسكر ، وقال لهم : اخرُجوا على هذه التعبية ، وسألهم : من كان على ميمنتكم ؟ قالوا : خالدُ بنُ نَهيك بن قيس الكِنْدىّ ، وكان على ميسرتنا عَقيل بنُ شدّاد السَّلولىّ ، فدعاهما فقال لهما : قفا مواقفكما التى كنتما بها ، فقد ولّيتكما المجنّبتيْن ، فاثبتا ولا تَفِرّا ، فوالله لا أزول حتّى يزول نَخْل راذان عن أصوله . فقالا : ونحن والله الّذى لا إله إلا هو لا نَفِرّ [١] حتّى نظفر أو نُقتَل [١] ، فقال لهما : جزاكما اللهُ خيرًا . ثمّ أقام حتّى صلّى بالناس الغداة ، ثمّ خرج فجعل ربْع أهل المدينة تميم وهَمْدان نحوَ نهر حَوْلايا فى الميسَرة ، وجعل ربع كِندة وربيعةَ ومَذحِج وأسَد فى الميمنة ، ونزل يمشى فى الرّجال ، وخرج شبيب وهو يومئذ فى مائة وأحد وثمانين رجلا ، فقطع إليهم النّهر ، فكان هو فى ميمنة أصحابه ، وجعل على ميسرته سُوَيد بن سُليم ، وجعل فى القلب مصاد بن يزيدَ أخاه ، وزحفوا وسما [٢] بعضُهم لبعض . ٩٣٥/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى النَّضر بنُ صالح العبسىّ أنّ عثمان كان يقول فيُكثر : ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٣] . أين المحافظون على دينهم ، المحامون عن فيئهم! فقال عَقيل بن شَدّاد بن حُبْشى السَّلُولىّ : لعلّى أن أكون أحدَهم ، قتِل أولئك يومَ رُوذْبار . ثم قال شبيب لأصحابه : إنى حاملٌ على ميسرتهم ممّا يلى النهر ، فإذا هزمتُها فليحمِل صاحبُ ميسرتى على ميمنتهم ، ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيَه أمرى . وحمل فى ميمنة أصحابه ممّا يلى النّهر على ميسرة عثمانَ بن قَطَن فانهزموا ، ونزل عقيل بنُ شدّاد فقاتلَ حتّى قُتِل ، وقُتل يومئذ مالكُ بنُ عبد الله الهمْدانىّ ثمّ المرْهبىّ [٤] ، عمّ عيّاش بن عبد الله بن عيّاش المنْتوف ، وجعل يومئذ عَقيل بنُ شَدّاد يقول وهو يُجالِدهم : ٩٣٦/٢

لأَضْرِبَنّ بالحُسَام البـاتِرِ ضَرْبَ غُلَامٍ مِنْ سَلُولٍ صابر

(١-١) ب ، ف : « لا نفر نشهد الله الذى لا إله إلا هو علينا بذلك » .
(٢) ب ، ف : « وتسمى » . (٣) سورة الأحزاب : ١٦ .
(٤) ب ف ، « والموهبى » .

ودخل شبيب عسكرَهم ، وحمل سُويد بن سليم فى مَيسَرة شبيب على ميمنة عثمان بن قَطَن فهزَمها ، وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندىّ ، فنزل خالد فقاتل [1] قتالاً شديداً ، وحمل عليه شبيبٌ من ورائه وهو على ربْع كِندة وربيعةَ يومئذ ، وهو صاحب الميمنة ، فلم ينثن شبيبٌ حتى علاه [2] بالسيف فقتله ، ومضى عثمان بن قَطَن وقد نزلت معه العُرَفاء وأشرافُ الناس والفُرسان نحو القلب ، وفيه أخو شبيب فى نحو من ستين راجلا ، فلمّا دنا منهم عثمانُ بنُ قطَن شدَّ عليهم فى الأشراف وأهلِ الصبر فضاربوهم حتّى فرّقوا بينهم ، وحمل شبيب بالخيل من ورائهم ، فما شعروا إلّا والرّماح فى أكتافهم تُكبّهم لوجُوهِهم ، وعطَف عليهم سُوَيد بنُ سليم أيضًا فى خَيْله ، ورجع مصاد وأصحابُه ، وقد كان شبيب رَجَّلهم ، فاضطربوا ساعةً ، وقاتل عثمان بن قَطَن فأحسنَ القتال . ثم إنّهم شدّوا عليهم فأحاطوا به ، وحَمَل عليه مصاد أخو شَبيب فضربه ضربةً بالسيف استدارَ لها ، ثمّ قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [3] . ثمّ إنّ الناس قتلوه ، وقُتل يومئذ الأبْرَد بنُ ربيعة الكِنْدىّ ، وكان على تَلّ ، فألقى سلاحه إلى غلامه وأعطاهُ فرسه ، وقاتل حتى قُتِل . ووقع عبدُ الرحمن فرآه ابن أبى سَبْرة الجُعْفىّ وهو على بغلة فعرَفه ، فنزل إليه فناوَله الرّمح وقال له : اركب ، فقال عبد الرحمن ابن محمّد : أيُّنا الرَّديف ؟ قال ابنُ أبى سَبْرة : سبحانَ الله ! أنت الأمير تكون المقدّم ، فركب وقال لابن أبى سَبْرة : نادِ فى الناس : الحقوا بدَيْر أبى مرْيم ، فنادَى ، ثمّ انطلقَا ذاهبَين ، ورأى واصلُ بن الحارث السَّكونىّ فرسَ عبدِ الرحمن الّذى حمله عليه الجزْلُ يجُول فى العسكر ، فأخذها بعضُ أصحاب شبيب ، فظَنّ أنّه قد هلك ، فطلبه فى القتلى فلم يجدْه ، وسأل عنه فقيل له : قد رأيْنا رجلاقد نزل عن دابّته فحمَله عليها ، فما أخلقه أن يكون إيّاه ؛ وقد أخذ هاهنا آنفًا . فأتبعه واصلُ بنُ الحارث على برْذَوْنه ومع واصل غلامُه على بغْل ، فلمّا دَنوا منهما قال محمّد بن أبى سَبْرة لعبد الرحمن : قد واللهِ لَحِق بنا فارسان ، فقال عبدُ الرحمن : فهل

٩٣٧/٢

(١) ب ، ف : « وقاتل » . (٢) ب ، ف : « عطف » .
(٣) الأحزاب : ٣٧ .

غيرُ اثنين ؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن : فلا يعجز اثنان عن اثنين .
قال : وجعل يحدّث ابن أبى سَبْرة كأنّه لا يكترث بهما ، حتّى لحقهما الرجلان ، فقال له ابنُ أبى سَبْرة : رحمك الله ! قد لحقَنَا الرّجلان ، فقال له : فانزل بنا ، فنزلا فانتضيا سيفَيهما ، ثمّ مضيَا إليهما ، فلما رآهما ٩٣٨/٢ واصِل عرَفهما ، فقال[1] لهما : إنّكما قد تركتما النزول فى موضعه ، فلا تَنزلا الآن ، ثمّ حسَر العمامةَ عن وجهه ، فعرفاه فرحّبا به ، وقال لابنِ الأشعث : إنى لمّا رأيتُ فرسك يجولُ فى العسكر ظننتُك راجلا ، فأتيتك ببِرْذَونى هذا لتركَبَه ، فترك لابن أبى سَبْرة بغلته ، وركب البِرْذَون ، وانطلق عبدُ الرحمنُ بنُ الأشعث حتّى نزل دَيْر اليعار ، وأمرَ شبيبٌ أصحابَه فرفعوا عن الناس السّيف ، ودعاهم إلى البَيْعة ، فأتاه من بقى من الرّجّالة فبايعوه ، وقال له أبو الصُّقَيْر[2] المحلّمىّ : قتلت من الكوفيّين سبعةً فى جوف النّهر كان آخرهم رجلا تعلّق بثوبى وصاح ، ورهّبنى حتّى رهبتُه ، ثمّ إنى أقدَمْت عليه فقتلتُهُ . وقُتِل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألفٌ من سائرِ الناس أو ستّمائة ، وقُتِل عُظْم العُرَفاء يومئذ .

قال أبو مِخنَف : حدّثنى قُدامة بن حازم بنِ سُفْيان الخَثْعمىّ أنّه قَتَل منهم يومئذ جماعةً ، وبات عبد الرحمن بنُ محمّد تلك الليلة بدَير اليعار ، فأتاه فارسان فصعِدا إليه فوقَ البيت ، وقام آخرُ قريبًا منهما فخلا أحدُهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ، ثمّ نزل هو وأصحابُه ، وقد كان الناسُ يتحدّثون أنّ ذلك كان شبيبًا ، وأنّه قد كان كاتبه ، ثمّ خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دَيْرَ أبى مريم ، فإذا هو بأصحاب الخيل قد وَضع ٩٣٩/٢ لهم محمّد بن عبدالرحمن بن أبى سَبْرة صُبَرَ الشّعير والقَتّ بعضهُ على بعض كأنه القُصور ، ونحر لهم من الجزر[3] ما شاءوا ، فأكلوا يومئذ ، وعلَفوا دوابّهم ، واجتمع الناسُ إلى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث فقالوا له : إنْ سمِعَ شبيبٌ بمكانك أتاك وكنتَ له غنيمة ، قد ذهب الناس وتفرّقوا وقُتِل خيارهم فالحقْ أيها الرجل بالكوفة . فخرج إلى الكوفة ورجع الناسُ أيضًا ، وجاء

(١) ب ، ف : « وقال » . (٢) ط : « الصفر » . (٣) ا : « الجزور » .

فاختبأ من الحجّاج حتّى أخذ الأمانَ بعد ذلك .

* * *

[نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان]

وفى هذه السَّنة أمر عبدُ الملك بن مروان بنَقْش الدّنانير والدّراهم .

ذكَر الواقدىّ : أنّ سعدَ بن راشد حدّثه عن صالح بن كَيْسان بذلك .

قال : وحدّثنى ابن أبى الزّناد ، عن أبيه ، أنّ عبدَ الملك ضرب الدراهمَ والدّنانير عامئذ ، وهو أوّل من أحدَثَ ضرْبَها .

قال : وحدّثنى خالدُ بنُ أبى ربيعة، عن أبى هلال ، عن أبيه ، قال : كانت مثاقيلُ الجاهلية الّتى ضرَبَ عليها عبدُ الملك اثنين وعشرين قيراطاً إلاّ حبّةً ، وكان العشرةُ وزنَ سبْعة .

قال : وحدّثنى عبد الرحمن بن جرير اللّيثىّ عن هلال بن أسامة قال : سألتُ سعيدَ بن المسيّب فى كَمْ تَجِب الزكاة من الدّنانير ؟ قال : فى كلّ عشرين مثقالاً بالشأمىّ نصفُ مثقال ، قلت : ما بالُ الشأمى من المصرىّ ؟ ٢/٩٤٠ قال : هو الّذى تُضرب عليه الدّنانير . وكان ذلك وزنُ الدّنانير قبل أن تُضرَب الدّنانير ، كانت[٢] اثنين وعشرين قيراطاً إلاّ حبّة ، قال سعيد . قد عرفتهُ ، قد أرسلتُ بدَنانيرَ إلى دِمَشق فضُرِبتْ على ذلك .

* * *

وفى هذه السَّنة : وفد يحيى بن الحكَم على عبدِ الملك بنِ مَرْوان ووَلِىَ أبانُ بنُ عثمانَ المدينَةَ فى رجب.

وفيها استُقضِىَ أبانُ بنُ نوفل بن مُساحِق بن عَمرو بنِ خِداش من بنى عامر بن لؤىّ .

وفيها وُلِد مروانُ بنُ محمّد بن مَرْوان .

وأقام الحجّ للناس فى هذه السنة أبانُ بنُ عثمانَ وهو أميرٌ على المدينة ، حدّثنى بذلك أحمدُ بنُ ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاقَ بنِ عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ .

وكان على الكوفة والبصرة الحجّاج بن يوسف ، وعلى خُراسانَ أميّة بنُ عبدالله بن خالد ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيح ، وعلى قضاء البَصْرة زُرَارة بن أوْفى .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

[محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حَوِية وقتلهما]

فى هذه السنة قتل شبيبٌ عتّاب بن ورقاءَ الرّياحىّ وزُهرة بنَ حَوِية

* ذكر الخبر عن سبب مقتلهما :

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام[1] عن أبى مخنف ، عن عبد الرحمن ابن جندَب وفَرْوة بن لَقيط ، أنّ شبيبًا لمَّا هزم الجيشَ الّذى كان الحجّاج وجّههَ[2] مع عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث إليه ، وقتَل عثمان ابن قطن، وذلك فى صَيْف وحرّ شديد ، اشتدّ الحرّ عليه وعلى أصحابه ، فأتَى ماه بَهزاذان فتصيَّف بها ثلاثة أشهر ، وأتاه ناسٌ كثير ممَّن يطلب الدُّنيا فلَحِقوا به ، وناس ممَّن كان الحجَّاج يَطلبهم بمال أو تِباعات ؛ كان منهم رجلٌ من الحىّ يقال له الحرّ بنُ عبد الله بن عَوْف ، وكان دِهْقانان من أهل نهر دُرْقيط قد أساءا إليه وضيّقا عليه ، فشدّ عليهما فقتَلهما ، ثم لَحِق بشبيب فكان معه بماه ، وشَهِد معه مواطنَه حتّى قُتل ، فلمَّا آمن الحجّاجُ كلَّ مَنْ كان خرَج إلى شبيب من أصحاب المال والتِّباعات — وذلك بعد يوم السَّبَخة — خرج إليه الحرّ فيمن خرج ، فجاء أهلُ الدِّهقانَين يَستعدُون عليه الحجَّاج ، فأتِىَ به فدخل ، وقد أوصى ويئِس من نفسه ، فقال له الحجّاج : يا عدوَّ الله ، قتلتَ رَجُلين من أهل الخراج ! فقال له : قد كان أصلحَكَ الله ما هو أعظم من هذا، فقال : وما هو ؟ قال : خروجى من الطاعة وفراق الجماعة ، ثمّ آمنتَ كلَّ من خرج إليك ، فهذا أمانى وكتابُكَ لى . فقال له الحجّاج : أوْلَى لك ! قد لَعَمرى فعلتُ ، وخلَّى سبيلَه .

قال : ولمَّا انفسخ الحرّ عن شبيب خرج من ماه فى نحو من ثمانمائة رجل ، فأقبل نحو المَدائن وعليها مُطرِّف بنُ المغيرة بن شُعْبة ، فجاء

٩٤١/٢
٩٤٢/٢

(١) ب ، ف بعدها : « بن محمد » . (٢) ب ، ف : « وجهه الحجاج » .

حتّى نزل قناطرَ حُذيفةَ بن اليمان، فكتب ماذرواسب عظيم بابل مهروذ إلى الحجّاج :

أمّا بعد : فإنى أخبر الأميرَ أصلحه اللهُ أنّ شبيباً قد أقبل حتى نزل قناطر حُذَيفة ، ولا أدرى أين يُريد !

فلمّا قرأ الحجّاج كتابَه قام فى الناس فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال :

أيها الناس ، والله لتقاتِلُنّ عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثنّ إلى قوم هم أطوع وأسمَع وأصبرُ على اللأواء والغيظ منكم ، فيقاتلون عدوّكم ، ويأكلون فيئكم .

فقام إليه الناس من كلّ جانب، فقالوا: نحن نُقاتلُهم ونُعتِب الأميرَ، فليندبنا الأميرُ إليهم فإنّا حيث سرّه . وقام إليه زُهْرة بن حَوِيّة وهو شيخ كبيرٌ لا يستتمّ قائماً حتّى يؤخَذ بيده . فقال له : أصلح اللهُ الأميرَ ! إنّك إنّما تبعث إليهم الناسَ متقطّعين، فاستنفر الناسَ إليهم كافةً فليَنفروا إليهم كافّة[1] ، وابعثْ عليهم رجلا ثَبْتاً شُجاعاً مجرّباً للحرب ممّن يرى الفرارَ هَضْماً وعاراً والصبرَ مجداً وكرماً . فقال الحجّاج : فأنت ذاك فاخرج ، فقال : أصلح الله الأميرَ ! إنما يصلح للناس فى[2] هذا رجل يَحْمِل الرّمح والدّرع ، ويهزّ السيفَ ، ويَثبت على متن الفرس ، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً ، وقد ضعف بصرى وضعفتُ ، ولكن أخرِجْنى فى الناس مع الأمير ، فإنى إنما أثبت على الراحلة[3] فأكون مع الأمير فى عسكره وأشيرَ عليه برأيى . فقال له الحجّاج : جزاك الله عن الإسلام وأهله فى أوّل الإسلام خيراً ، وجزاك اللهُ عن الإسلام فى آخر الإسلام خيراً ، فقد نصحت وصدقتَ ، أنا مُخْرِجُ الناسَ كافّة . ألَا فسيروا أيّها الناس . فانصرف الناسُ فجعلوا يَسيرون وليس يَدرون مَنْ أميرُهم !

٢/٩٤٣

وكتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان :

أمّا بعد، فإنى أخبِر أميرَ المؤمنين أكرَمه الله أنّ شبيباً قد شارف المدائن وإنّما يريد الكوفةَ ، وقد عجز أهلُ الكوفة عن قتاله فى مواطن كثيرة ، فى

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فلينفر إليهم » (٢) ا ، س : « الناس فى هذا » .
(٣) س : « الرجالة » .

كلها يَقتُلُ أمراءَهم ، ويَفُلّ جنودهم ؛ فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يبعثَ إلى أهل الشأم فيُقاتِلوا[١] عدوَّهم ويأكلوا بلادَهم فلْيَفعل ، والسلام .

فلمَّا أتى عبدَ الملك كتابُه بعث إليه سُفْيان بن الأبرد فى أربعة آلاف ، وبعث إليه حبيبَ بنَ عبدالرحمن الحكَمىّ[٢] من مَذْحج فى ألفين ، فسرَّحهم ٩٤٤/٢ حين أتاه الكتاب إلى الحجّاج ، وجعل أهلُ الكوفة يتجهّزون إلى شبيب ولا يدرون مَن أميرُهم ! وهم يقولون : يبعث فلانًا أو فلانًا ، وقد بعث الحجّاج إلى عتّاب بن وَرْقاء ليأتيَه وهو على خَيْل الكوفة مع المهلّب ، وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الّذين كان بِشْر بنُ مروانَ بعث عبد الرحمن بن مِخنَف عليهم إلى قطرىّ ؛ فلم يلبث عبدُ الرحمن بنُ مِخنَف إلّا نحوًا من شهرين حتّى قدم الحجّاج على العراق ، فلم يلبثْ عليهم عبدُ الرحمن بنُ مخنف بعد قدوم الحجّاج إلّا رَجبَ وشعبان ، وقَتَل قطرىٌّ عبدَ الرحمن فى آخرِ رمضان ؛ فبعث الحجّاج عتّاب بنَ ورقاءَ على ذلك الجيش من أهلِ الكوفة الّذين أصيب فيهم عبدُ الرحمن ابنُ مخنف ، وأمر الحجّاجُ عتّابًا بطاعةِ المهلّب ، فكأنّ ذلك قد كَبُر على عتّاب ، ووقع بينَه وبين المهلّب شرّ ، حتّى كتب عتّاب إلى الحجّاج يَستعفيه من ذلك الجيش ويضمُّه إليه ، فلمّا أن جاءه كتابُ الحجّاج بإتيانه سُرَّ بذلك .

قال : ودعا الحجّاج أشرافَ أهل الكوفة ؛ فيهم زُهرةُ بن حَوِيّة السَّعْدىّ من بنى الأعرَج ، وقَبيصة بن والق التَّغلَبىّ ، فقال لهم : مَن ترَوْن أن أبعثَ على هذا الجيش ؟ فقالوا : رأيُك أيّها الأمير أفضل ؛ قال : فإنى قد بعثتُ إلى عتّاب بنِ ورقاء ؛ وهو قادمٌ عليكم الليلة أو القابلة ، ٩٤٥/٢ فيكون هو الّذى يسير فى النّاس[٣] ؛ قال زُهْرة بن حَوِيّة : أصلحَ الله الأميرَ ! رَمَيْتَهُمْ بِحَجَرِهِم ، لا والله لا يَرجع إليك حتّى يَظفَر أو يُقتَل . وقال له قَبيصةُ بن وَالق : إنى مُشيرٌ عليك برأيى ، فإن يكن خطأ فبعدَ

---

(١) ب ، ف : « فليقاتلوا » . (٢) بعدها فى ب ، ف : « من حكم سعد العشيرة » .

(٣) ب ، ف : « بالناس » .

اجتهادى فى النصيحة لأمير المؤمنين وللأمير ولعامّة المسلمين ، وإن يك صَوابًا فالله سدّدنى له ؛ إنّا قد تحدّثنا وتحدّث الناس أنّ جيشًا قد فصل إليكَ من قِبَل الشأم ، وأن أهلَ الكوفة قد هُزِموا وفُلّوا واستخفّوا بالصبر ، وهان عليهم عارُ الفِرار ، فقلوبهم كأنّها ليست فيهم ، كأنّما هى فى قوم آخرين ، فإنْ رأيتَ أن تبعث إلى جيشك الّذى أمْددتَ به من أهل الشأم، فيأخذوا حِذْرَهم ، ولا يبيتوا إلّا وهم يرون أنّهم مُبيَّتون فعلت ، فإنك تُحارب حُوّلا قُلّبًا ، ظَعّانًا رَحّالا ، وقد جهّزتَ إليه أهل الكوفة ولستَ واثقًا بهم كلّ الثقة ، وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الّذين بُعثوا إليك من الشأم. إنّ شبيبًا بينا هو فى أرض إذْ هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتيَهم وهم غارّون فإن يَهلِكوا نَهلِك ويهلك العراق . فقال : لله أنت! ما أحسن ما رأيت ! وما أحسن ما أشرت به علىّ !

قال : فبعث عبد الرحمن بن الغرق مَولى عَقيل إلى مَنْ أقبل من أهل الشأم ، فأتاهم وقد نزلوا هيتَ بكتاب من الحجّاج :

٩٤٦/٢ أمّا بعد ، فإذا حاذَيتم هيتَ[1] فدَعُوا طريقَ الفُرات والأنبار ، وخذوا على عين التّمر حتّى تقدمُوا الكوفة إن شاء الله ، وخذوا حذركم ، وعجّلوا السّيرَ . والسلام .

فأقبل القومُ سِراعًا . قال : وقدم عتّاب بنُ وَرْقاء فى اللّيلة الّتى قال الحجّاج إنّه قادم عليكم فيها ، فأمرَه الحجّاج فخرج بالناس فعسكر بهم بحمّام أعيَنَ ، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كَلْوَاذَا فقطع منها دِجلة ، ثمّ أقبل حتّى نَزَل مدينة بَهُرَسير الدّنيا ، فصار بينه وبين مطرّف بن المغيرة ابن شُعْبة جِسر دِجْلة .

فلمّا نزل شبيب مدينةَ بَهُرَسير قَطَع مطرّف الجِسْر ، وبعث إلى شبيب : أن ابعثْ إلىّ رجالا من وجوه أصحابك أدارِسهم القرآن ، وأنظر فيما تدعو إليه . فبعث إليه شبيب رجالاً من وجوهِ أصحابه ؛ فيهم قعنَب وسُوَيد والمحلّل . فلمّا أرادوا أن ينزِلوا فى السفينة بعث إليهم شبيب ألّا

(١) ا : « فإذا حاربتم بهيت » .

تدخلوا السفينة حتّى يرجع إليّ رسولى من عند مطرّف ، فرجع الرسولُ. وبعث إلى مطرّف أن ابعث إليّ من أصحابك بعدد أصحابى يكونوا رهناً فى يدى حتى تردّ علىّ أصحابى . فقال مطرّف لرسوله : القَه وقل له : كيف آمنك أنا على أصحابى إذا أنا بعثتُهم الآن إليك ، وأنتَ لا تأمننى على أصحابك! فرجع الرسولُ إلى شبيب فأبلغَه ، فأرسل إليه شبيب : إنّك قد علمتَ أنّا لا نستحلّ الغدْر فى ديننا ، وأنتم تفعلونه وتستحلّونه ، فبعث إليه مطرّف الرّبيعَ بنَ يزيد الأسَدىّ وسليمانَ بن حذيفة بن هلال بن مالك المُزَنىّ ويزيد بن أبى زياد مولاه وصاحب حرَسه ، فلمّا صاروا فى يدى[1] شبيب سرّح إليه أصحابه، فأتوا مطرّفا فمكثوا أربعة أيّام يتراسلون ، ثمّ لم يتّفقوا على شىء ، فلمّا تبيّن لشبيب أنّ مطرّفاً غير تابعه ولا داخل معه تهيّأ للمسير إلى عتّاب بن ورْقاء وإلى أهل الشأم . ٩٤٧/٢

قال أبو مخنَف : فحدّثنى فروة بنُ لقيط أنّ شبيباً دعا رءوس أصحابه فقال لهم : إنّه لم يثبّطنى على رأى قد كنتُ رأيتُه إلّا هذا الثّقَفىّ منذ أربعة أيّام ، قد كنتُ حدّثتُ نفسى أن أخرُجَ فى جريدة خيل حتّى ألقَى هذا الجيش المُقْبِل من الشأم رجاءَ أن أصادفَ غِرّتهم أو يَحذَروا فلا أبالى كنت ألقاهم منقطعين من المِصْر ، ليس عليهم أمير كالحجّاج يَستندون إليه ولا مِصْرٌ كالكوفة يَعتصمون به ؛ وقد جاءتْنى عيونى اليوم فخبّرونى أن أوائلَهم قد دخلوا عَينَ التَّمر ، فهم الآن قد شارفوا الكوفة ، وجاءتْنى عُيونى من نحو عتّاب بن ورْقاء فحدّثونى أنه قد نزل بجماعة أهل الكُوفةالصّراة ، فماأقربمابيننا وبينهم! فتيسّروا بناللمَسير إلىعتّاببن ورْقاء.

قال : وخاف مطرّف أن يَبلُغ خبرُه وما كان من إرساله إلى شبيب الحجّاج ، فخرج نحو الجبال ، وقد كان أراد أن يقيمَ حتّى ينظر ما يكون بين شبيب وعتّاب ، فأرسل إليه شبيب : أمّا إذ لم تُبايعنى فقد نبذتُ إليك على سَواء ، فقال مطرّف لأصحابه : اخرجوا بنا وافرين فإنّ الحجّاج سيقاتلُنا ، فيقاتلناوبنا قوّةٌ أمثلُ . فخرج ونزل المدائن ؛ فعقَد شبيبالجسْر ، ٩٤٨/٢

---

(١) ب ، ف : « يد شبيب » .

وبعث إلى[1] المدائن أخاه مصادًا ، وأقبل إليه عَتّاب حتّى نزل بسُوق حَكَمة ، وقد أخرج الحجّاج جماعةَ أهلِ الكوفة مقاتلتهم ، ومن نَشِط إلى الخروج[2] من شبابِهم[3] ، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفًا سوى الشّباب ، ووافى مع عَتّاب يومئذ أربعون ألفًا من المقاتِلة وعشرة آلاف من الشّباب بِسُوقِ حَكَمة ، فكانوا خمسين ألفًا ، ولم يَدَع الحجّاج قُرَشيًّا ولا رجلا من بُيوتاتِ العرَب إلّا أخرَجه .

قال أبو مِخنَف : فحدّثني عبدُ الرحمن بنُ جُندَب ، قال : سمعتُ الحجّاج وهو على المِنبَر حين وجّه عَتّابًا إلى شبيب فى الناس وهو يقول : يا أهل الكوفة ، اخرُجوا مع عَتّاب بنِ ورْقاء بأجمَعكم ، لا أرَخّص لأحد من الناس فى الإقامة إلّا رجلا قد ولّيناه من أعمالنا . ألَا إنّ للصابر المجاهِد الكرامة والأثَرة ، ألا وإنّ للناكل الهارِب[4] الهَوانَ والجَفْوة . والّذِى لا إله غيره لئن فعلتم فى هذا الموطنِ كفِعلِكم فى المواطن الّتى كانت لأولينّكم كنفًا خَشِنًا ، ولأعرُكنّكم بِكَلكلٍ ثقيل .

ثم نزل ، وتَوافَى الناس مع عتّاب بسُوقِ حَكَمة .

٩٤٩/٢ قال أبو مِخنَف : فحدّثني فَروةُ بنُ لقيط ، قال : عرضَنا شبيبٌ بالمدائن فكنّا ألف رجل ، فقام فينا فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال : يا معشرَ المسلمين ، إنّ الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلا ، وأنقَص منه قليلا ، فأنتم اليومَ مئون ومئون ، ألا إنى مصلٍّ الظهرَ ثمّ سائر بكم . فصلّى الظهر ثمّ نُودِى فى الناس : يا خيلَ اللهِ اركبِى وأبشِرِى ، فخرج فى أصحابه ، فأخذوا يتخلّفون ويتأخّرون ، فلمّا جاوَزْنا ساباطَ ونزلنا معه قَصّ علينا وذكّرنا بأيّام الله ، وزهّدنا فى الدنيا ، ورغّبنا فى الآخرة ساعةً طويلة ، ثمّ أمر مؤذّنه فأذّن ، ثمّ تقدّم فصلّى بنا العصر ، ثمّ أقبلَ حتّى أشرف بنا على عَتّاب بنِ ورْقاء وأصحابِه ، فلما أن رآهم من ساعتِه نزل وأمر مؤذّنه فأذّن ، ثمّ تقدّم فصلّى بنا المغرب .

---

(١) ا : «على المدائن» . (٢) ب ، ف : «للخروج» . (٣) ب ، ف : « من شبانهم» .
(٤) ب ، ف : « للناكل والهارب » : ا « للناكب الهارب » .

وكان مؤذّنه سلّام بنُ سيّار الشّيبانيّ ، وكانت عيونُ عتّاب بن ورْقاء قد جاءوه فأخبَروه أنّه قد أقبل إليه ، فخَرَج بالناس كلّهم فعبّأهم ، وكان قد خندَق أوّل يوم نزل ، وكان يُظهِر كلّ يوم أنّه يريد أن يسير[١] إلى شبيب بالمدائن [١] ، فبلغ ذلك شبيبًا ، فقال : أسيرُ إليه أحبّ إليّ من أن يسير إليّ ، فأتاه، فلمّا صفّ عتّاب الناسَ بعثَ على ميمنته محمّد بن عبدِ الرحمن بنِ سعيد بنِ قيس ، وقال : يابن أخي ، إنّك شريف فاصبر وصابِر ، فقال : أمّا أنا فوالله لأقاتلنّ ما ثبَت معي إنسان.وقال لقَبيصةَ بن والق — وكان يومئذ على ثُلُث بني تَغلِب : اكفِني الميسَرة ، فقال : أنا شيخٌ كبير ،كثيرٌ منى أن أثبت[٢] تحت رايتي ،قد انبتّ مني[٣] القيام ، ما أستطيع القيام إلّا أن أقام ؛ ولكنّ هذا عبيد الله بن الحُليس ونُعَيم بن عُلَيم التّغلبيّان — وكان كل واحد منهما على ثُلُث من أثلاث تَغلِب — فقال : ابعثْ أيّهما أحببتَ، فأيّهما بعثت فلتبعثنّ ذا حزم وعزم[٤] وغَناء. فبعث نُعيم بن عُلَيم على ميسرته ، وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعيّ — وهو ابن عم عتّاب شيخ أهل بيته — على الرّجّالة ، وصفّهم ثلاثةَ صفوف : صفٌّ فيهم الرجال معهم السيوف ، وصفّ وهم[٥] أصحاب الرّماح ، وصفّ فيه المرامية ، ثمّ سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمرّ بأهلِ راية راية ؛ فيحثّهم على تقوى الله ، ويأمُرهم بالصّبر ويقصّ عليهم .

٩٠٠/٢

قال أبو مِخنَف : فحدّثني حَصيرة بنُ عبد الله أن تميم بن الحارث الأزديّ قال : وَقف علينا فقصّ علينا قصصًا كثيرًا ، كان ممّا حفظتُ منه ثلاثَ كلمات ؛ قال : ياأهلَ الإسلام ، إنّ أعظم الناس نصيبًا في الجنّة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقهِ بأحمَدَ منه للصّابرين ، ألا ترَون أنّه يقول : ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٦]! فمن حمِد اللهُ فعلَه فما أعظم

٩٠١/٢

(١ – ١) ب ، ف : « يلق شبيبًا بالمدائن وأن يسير إليه » .
(٢) ا : « أبيت » . (٣) ب ، ف : « فقد انبت » .
(٤) ا : « وحد » (٥) ب ، ف : « قبلهم » . (٦) سورة الأنفال: ٤٦ .

درجته ، وليس اللهُ لأحد أمقتَ منه لأهل البَغْى ؛ ألا ترون أنّ عدوّكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ، لا يرون إلّا أنّ ذلك لهم قربةٌ عند الله ! فهم شِرار أهل الأرض وكِلاب أهل النار ، أين القصاص ؟ قال ذلك فلم يُجبْه والله أحدٌ منّا ؛ فلمّا رأى ذلك ، قال : أين مَنْ يَروِى شعرَ عَنْتَرة ؟ قال : فلا والله ماردّ عليه إنسان كلمةً . فقال : إنّا لله ! كأنى بكم قد فررتُم عن عتّاب بن ورقاء وتركتموه تَسفِى فى استه الرّيح .

ثمّ أقبل حتى جلس فى القلب معه زُهْرة بن حَوِيّة جالس وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبى جَهْم العدوىّ. وأقبل شبيبٌ وهو فى ستّمائة وقد تخلّف عنه من الناس أربعمائة ، فقال : لقد تخلّف عنّا من لا أحبّ أن يُرَى فينا . فبعث سُوَيد بن سُلَيم فى مائتين إلى المَيْسرة ، وبعث المحلّل بن وائل فى مائتين إلى القلب ، ومضى هو فى مائتين إلى المَيْمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمرُ ، فناداهم : لِمَن هذه الرايات ؟ قالوا : راياتُ ربيعة . فقال : شبيب : راياتٌ طالمَا نصرت الحقّ ، وطالما نصرت الباطل ، لها فى كلّ نصيبٌ ، والله لأجاهدنّكم محتسبًا للخير فى جهادكم ، أنتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو المدلّه ، لا حُكْم إلا للحَكَم ، اثبتُوا إن شئتم . ثمّ حمَل عليهم وهو على[1] مسنّاة أمامَ الخندق ففضّهم ، فثبت أصحابُ رايات قبيصةَ بن والق وعبيد بن الحُلَيْس ونُعَيم بن عليم ، فقُتلوا ، وانهزمت الميسرة كلّها وتنادَى أناس من بنى تَغلِب : قُتِل قبيصة بن والق . فقال شبيب : قتلتم قبيصةَ بن والق التغلبىّ يا معشَر المسلمين! قال الله:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[2] ، هذا مثل ابن عمّكم قبيصة بن والق ، أتى رَسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فأسلَم ، ثمّ جاء يُقاتلكم مع الكافرين! ثمّ وقف عليه فقال : وَيْحك! لو ثبتَّ على إسلامك الأوّل سعدتَ ، ثمّ حمل من الميسرة على عتّاب بن ورقاءَ ، وحمل سُوَيد بن سليم على الميمنة وعليها محمّد بن عبد الرحمن ،

٩٥٢/٢

(١) ا : « فى مسناة » .
(٢) سورة الأعراف: ١٧٥ .

فقاتَل فى الميمنة فى رجال من بنى تميم وهَمْدان ، فأحسنوا القتال ، فما زالوا كذلك حتّى أتُوا فقيل لهم : قُتِل عتّاب بن ورقاء ، فانفضّوا ، ولم يزل عتّاب جالسًا على طِنْفِسة فى القلب وزُهرة بن حَوِيَّة معه ، إذ غشيَهم شبيب ، فقال له عتّاب : يا زُهرة بن حَوِيَّة ، هذا يومٌ كثُر فيه العدد ، وقلّ فيه الغَناء ، والهفى على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم معى من جميع الناس! ألا صابرٌ لعدوّه ! ألا مُؤاسٍ بنفْسه ! فانفضّوا عنه وتركوه ، فقال له زهرة : أحسنتَ يا عتّاب ، فعلتَ فعلَ مثلك ، والله والله لو منحتَهم كتِفَك ما كان بقاؤك إلاّ قليلاً ، أبشر فإنى أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشّهادة عند فَناء أعمارنا ؛ فقال له : جزاك الله خيرًا ما جزَى آمرًا[1] بمعروف وحاثًّا على تقوَى .

٩٥٣/٢

فلمّا دنا منه شبيب وثب فى عصابة صبرتْ معه قليلة ، وقد ذهب الناسُ يمينًا وشمالا ، فقال له عمّار بنُ يزيدَ الكلبىّ من بنى المدينة : أصلحك الله ! إنّ عبدَ الرحمن بن محمّد قد هرَب عنك فانصفَق[2] معه أناسٌ كثير ، فقال له : قد فرّ قبل اليوم ، وما رأيتُ ذلك الفتى يُبالى ما صنع ، ثمّ قاتلهم ساعة وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطّ موْطنًا لم أبتَلَ بمثله قطّ أقلّ مقاتلا ولا أكثر هاربًا خاذلا ؛ فرآه رجلٌ من بنى تغلب من أصحاب شبيب من بنى زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عَمرو ، وكان قد أصابَ دمًا فى قومه ، فلَحِق بشبيب ، وكان من الفُرسان ، فقال لشبيب : والله إنى لأظنّ هذا المتكلّم عتّابَ بنَ ورْقاء ! فحمَل عليه فطعنَه ، فوقَع فكان هو ولِىَ قتلَه . ووطِئَت الخيلُ زُهرة بن حَوِيَّة ، فأخذ يذُبّ بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقومَ ، فجاء الفضلُ بنُ عامر الشَّيبانىّ فقَتَله ، فانتهى إليه شبيب فوجَده صريعًا فعرَفه ، فقال : مَنْ قتَل هذا ؟ فقال الفضل : أنا قتلتُه ، فقال شبيب : هذا زهرة بن حَوِيّة ، أما والله لئن كنتَ قتِلت على ضلالة لربَّ يوم من أيّام المسلمين قد حسُن فيه بلاؤك ، وعظم فيه غَناؤك ! ولربَّ خيلٍ للمشركين قد هزمْتَها ، وسَرِيَّة لهم قد

٩٥٤/٢

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أمر المعروف » . (٢) ب ، ف : « وانصفق عنك » .

ذعرتها[١] وقرية من قراهم جسَم[٢] أهلُها قد افتتحتَها ، ثم كان فى علم الله أن تُقتَل ناصرًا للظّالمين !

قال أبو مخنَف : فحدّثنى فَرْوة بنُ لقَيط قال : رأيناه والله توجّعَ له ، فقال رجل من شُبَّان بكر بنِ وائل : والله إنّ أمير المؤمنين منذ اللّيلة ليتوجَّع لرجل من الكافرين ! قال : إنّك لستَ بأعرف بضلالتهم منّى ، ولكنى أعرف من قديم أمرهم ما لاتعرف ؛ ما لو ثبتوا عليه كانوا إخوانًا . وقُتِل فى المعركة عمّار بن يزيدَ الكلبىّ ، وقُتل أبو خَيثمة بن عبد الله يومئذ ، واستَمكن شبيبٌ من أهل العسكر والناس ، فقال : ارفعوا عنهم السيف ، ودعا إلى البيعة ، فبايعه الناس من ساعتهم ، وهربوا من تحت ليلتهم ، وأخذ شبيب يُبايعهم ، ويقول : إلى ساعةٍ يَهْرُبُون. وحوى شبيب على ما فى العسكر ، وبعث إلى أخيه ، فأتاه من المدائن ، فلمَّا وافاه بالعسكر أقبَل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرّة يومين ، ثم توجَّه نحو وجه أهلِ الكوفة ، وقد دخل سُفْيان بنُ الأبرد الكلبىّ وحبيب بن عبد الرحمن الحكمىّ من مَذْحِج فيمن معهما من أهل الشأم الكوفة ، فشَدّوا للحَجّاج ظهرَه ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبر الكوفة فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال : أمَّا بعد يا أهل الكوفة ، فلا أعزَّ اللهُ من أراد بكم العِزّ ، ولا نَصَر من أراد بكم النَّصْر ، اخرُجوا عنّا ، ولا تَشهَدوا معنا قتال عدوّنا ، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا ، ومن لم يكن شَهِدَ قتالَ عَتَّاب بنِ وَرْقاء .

٢/٩٥٥

قال أبو مخنَف : فحدّثنى فروة بن لقيط ، قال : والله لَخرَجْنا نَتَبّع آثارَ الناس ، فانتهى إلى عبد الرحمن بن محمَّد بن الأشعث ومحمَّد بن عبد الرحمن بنِ سعيد بنِ قيس الهمْدانىّ ، وهما يَمشيان كأنى أنظر إلى رأسِ عبد الرحمن قد امتلأ طِينًا ، فصددتُ عنهما ، وكرهت أن أذْعَرَهما ، ولو أنى أوذِن بهما أصحاب شبيب لقُتِلا مكانَهما ، وقلت فى نفسى : لئن سُقْت إلى مِثْلِكما من قومى القتلَ ما أنا برشيدِ الرأى ؛ وأقبل شبيبٌ حتّى نزل الصَّراة .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أغرتها » ، وفى ب ، ف : « فللتها » . (٢) ا : « حم أهلها » .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى موسى بن سوار أنّ شبيبًا خرج يريدُ الكوفَة ، فانتهى إلى سُورا ، فندبَ الناس ، فقال : أيُّكم يأتينى برأسِ عامل سُورا ؟ فانتدب له بَطِينٌ وقَعْنَب وسُوَيد ورجُلان من أصحابه ، فساروا مُغِذّين حتّى انتهوا إلى دار الخَراج والعُمّال فى سَمَرَّجة[1] فدخلوا الدارَ وقد كادُوا الناسَ بأن قالوا : أجيبوا الأميرَ ، فقالوا : أىّ الأمراء ؟ قالوا : أميرٌ خرج من قِبَل الحجّاج يريد هذا الفاسق شبيبًا ، فاغترّ بذلك العامل منهم . ثم إنهم شَهَروا السيوف وحكّموا حين وصلوا إليه فضربوا عنقَه ، وقبضوا على ما كان من مال ، ولحقوا بشبيب ، فلمّا انتهوا إليه قال : ما الّذى أتيتُمونا به ؟ قالوا : جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال[2] ، والمال على دابّة فى بُدوره ، فقال شبيب : أتيتمونا بفِتنة للمسلمين ، هلُمّ الحرْبة يا غلام ، فخرّق بها البُدور ، وأمر فنُخِس بالدّابة والمالُ يتناثر من بدوره حتّى وردت الصَّراة ، فقال : إن كان بقِىَ شىء فاقذفه فى الماء . ثمّ خرج إليه سُفْيان بن الأبرد مع الحجّاج ، وكان أتاه قبلَ خروجه معه ، فقال : ابعثْنى أستقبِله قبل أن يأتيَك ، فقال : ما أحِبّ أن نفترق حتى ألقاه فى جماعتكم والكُوفةُ فى ظهورنا والحصنُ فى أيدينا . ٩٠٦/٢

* * *

[ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية]

وفى[3] هذه السنة دَخل شبيبٌ الكوفةَ دَخْلَتَهُ الثانية .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجّاج :

قال هشام : حدّثنى أبو مِخنَف ، عن موسى بن سوار ، قال : قَدِمَ سَبْرة بنُ عبد الرحمن بن مِخنَف من الدَّسْكرة الكوفةَ بعد ما قدم جيشُ الشأم الكوفة ، وكان مُطَرِّف بن المغيرة كَتَب إلى الحجّاج : إنّ شبيبًا قد أطلّ علىّ ، فابعث إلى المَدائن بَعْثًا . فبعث إليه سبْرة بن عبد الرحمن ابن مخنف فى مائتى فارس ، فلمّا خرج مطرّف يريد الجبل خرج بأصحابه

(١) فى اللسان : « السمرّج يوم جباية الخراج » . (٢) ب ، ف : « أمواله » .
(٣) قبلها فى ا : « قال محمد بن جرير » .

معه وقد أعلمهم ما يريد ، وكتم ذلك سَبْرة ، فلمَّا انتهى إلى دَسْكرة الملك
٩٥٧/٢ دعا سَبْرةَ فأعلمه ما يريد ، ودعاه إلى أمره ، فقال له : نعم أنا معك ، فلمَّا
خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم ،وأقبل بهم فصادف[1] عتَّاب
ابنَ ورْقاء قد قُتِل وشبيبًا قد مضى إلى الكوفة ، فأقبل حتى انتهى
إلى قرية يقال لها بيطرى . وقد نزل شبيب حمَّام عُمر ، فخرج سَبْرة
حتَّى يعبر الفرات فى معبر قرية شاهى ، ثم أخذ الظَّهر حتَّى قدِم على الحجَّاج ،
فوجد أهل الكوفة مَسْخوطًا عليهم ، فدخل على سُفْيان بن الأبرد ، فقَصّ
قِصّته عليه[2] وأخبره بطاعته وفراقه مُطرَّفًا ، وأنه لم يشهد عتَّابًا ولم يشهد
هزيمةً فى موطن من مواطن أهلِ الكوفة ، ولم أزل للأمير عاملا ، ومعى مائتا
رجل لم يشهدوا معى هزيمةً قطّ ، وهم على طاعتهم[3] ولم يدخلوا فى فتنة .
فدخل سُفيانُ إلى الحجَّاج فخبَّره بخبر[4] ما قصّ عليه سَبْرة بن
عبد الرحمن ، فقال : صَدقَ وبرَّ ! قُلْ له : فليَشْهد معنا لقاءَ عدوّنا ،
فخرج إليه فأعلَمه ذلك . وأقبلَ شبيب حتَّى نزل موضعَ حمَّام أعيَن ،
ودعا الحجَّاج الحارث بن معاوية بن أبى زرعة بن مسعود الثَّقفىّ فوجَّهه فى
ناس من الشرَط لم يكونوا شهدوا يوم عتَّاب ، ورجالا كانوا عمَّالا فى نحو من
مائتى رجل[5] من أهل الشأم ، فخرج فى نحو من ألف ، فنزل زُرارَة ،
وبلغ ذلك شبيبًا ، فتعجَّل إليه فى أصحابه ، فلمَّا انتهى إليه حمل عليه
فقتَلَه ، وهزَم أصحابه ، وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة . وجاء شبيب
٩٥٨/٢ حتَّى قطع الجسر ، وعسكر دونه إلى الكوفة ، وأقام شبيب فى عسكره ثلاثةَ
أيَّام ؛ فلم يكن فى أول يوم إلّا قتل الحارث بنُ معاوية ، فلمَّا كان فى
اليوم الثانى أخرج الحجَّاج مواليَهُ وغلمانَه عليهم السلاح ، فأخذوا[6] بأفواه
السِّكَك ممَّا يلى الكُوفَة ، وخرج أهلُ الكوفة فأخذوا بأفواه سِكَكهم ،
وخشوا إن لم يخرجوا مَوْجدةَ الحجَّاج وعبدِ الملك بن مروان . وجاء شبيب

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فيصادف » . (٢) ب ، ف : « فقص عليه قصته » .
(٣) ف : « طاعته » . (٤) ب ، ف : « فأخبره بخبر هؤلاء وبخبر ما قص عليه » .
(٥) ب ، ف : « فارس » . (٦) ب ، ف : « وأخذوا » .

حتى ابتنى مسجداً فى أقصى السَّبَخة مما يلى موقفَ أصحاب القتّ عند الإيوان ، وهو قائمٌ حتَّى الساعة ، فلمَّا كان اليومِ الثالث أخرَج الحجَّاج أبا الوَرْد مولًى له عليه تِجْفاف ، وأخرج مجفَّفة كثيرة وغلماناً له ، وقالوا : هذا الحجاج ، فحَمَل عليه شبيبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحجَّاج فقد أرَحْتُكم منه .

ثم إن الحجَّاج أخرج له غلامه طُهمانَ فى مِثلِ تلك العُدّة على مثل تلك الهيئة ، فحَمَل عليه شبيبٌ فقتله، وقال: إن كان هذا الحجَّاج فقد أرَحْتُكم منه .

ثمّ إنّ الحجَّاج خرج ارتفاعَ النهار من القَصْر فقال : ائتونى ببَغْل أركبُه ما بَيْنى وبين السَّبَخة، فأُتِىَ ببغل محجَّل ، فقيل له: إنّ الأعاجمَ أصلحك الله تَطيَّرُ[1] أن تركَب فى مثل هذا اليوم مثلَ هذا البَغل، فقال: أدنُوه مِنّى ، فإنّ اليوم يومٌ أغرّ محجَّل ؛ فركبه ثمّ خرج فى أهل الشأم حتَّى أخذ فى سكة البريد ، ثمّ خرج فى أعلى السَّبَخة، فلمَّا نظر الحجَّاج إلى شبيب[2] وأصحابه نزل ، وكان شبيب فى ستِّمائة فارس ، فلما رأى الحجَّاج قد خرج إليه أقبل بأصحابه ، وجاء سبْرة بنُ عبد الرحمن إلى الحجَّاج فقال : أين يأمرنى الأمير أن أقف ؟ فقال : قِفْ على أفواه السكَك ، فإن جاءوكم فكان فيكم قِتالٌ فقاتِلوا ، فانْطَلَق حتَّى وَقف فى جماعة الناس، ودَعا الحجَّاج بكرسىّ له فقَعَد عليه ، ثمّ نادَى : يا أهل الشأم ، أنتم أهلُ السَّمع والطاعة والصَّبر واليَقين ، لا يغلبنّ باطلُ هؤلاء الأرجاس حقَّكم ، غضّوا الأبصار ، واجثُوا على الرّكَب، واستقبلوا القوم بأطراف الأسنَّة ، فجثَوا على الركب ، وأشرَعوا الرّماح ، وكأنَّهم حَرّة سوداء ، وأقبَل إليهم شبيب حتَّى إذا دنا منهم عبّى أصحابه ثلاثةَ كَراديسَ ، كتيبة معه ، وكَتيبة مع سُويد بن سُليم ، وكتيبة مع المحلَّل بن وائل ، فقال لسويد : احمِل عليهم فى خيلِك، فحَمَل عليهم، فثَبتوا له، حتَّى إذا غَشِيَ أطراف الأسنَّة وَثبوا فى وجهه ووجوه أصحابه ، فطَعنوهم[3] قُدُماً حتَّى انصَرف ،

٩٥٩/٢

(١) ا: « تتطير ». (٢) ب، ف: « فلما رأى الحجاج شبيباً » . (٣) ب، ف: « فطعنوه » .

وصاحَ الحجّاج: يا أهلَ السَّمع والطاعة، هكذا فافعلوا. قدّم كُرسيّ يا غلام، وأمر شبيب المحلّل فحَمَل عليهم، ففعلوا به مثلَ ما فعلوا بسُويد، فناداهم الحجّاج: يا أهلَ السمعِ والطاعة؛ هكذا فافعلوا، قدّمْ كُرْسيّ يا غلام [١].

ثمّ إنّ شبيبًا حَمَل عليهم في كتيبته فثَبَتُوا له، حتّى إذا غشى أطراف الرّماح وثَبوا في وجهه، فقاتَلَهم طويلا. ثمّ إنّ أهل الشأم طَعَنوه قُدُمًا حتّى ألْحَقُوه بأصحابه، فلمّا رأى صبرَهم نادى: يا سويد، احمِل في خيْلك على أهل هذه السكة — يَعنِي سِكّة لحّام جرير — لعلك تزيل أهلَها عنها، فتأتى الحجّاجَ من ورائه، ونَحمل نحن عليه من أمامه. فانفرد سُوَيد بن سُلَيم فحَمَل على أهل تلك السكة؛ فرمى من فوق البيوت وأفواه السكك، فانصرَف، وقد كان الحجّاج جعل عروةَ بن المغيرة بن شعبة في نحو من ثلثمائة رجل من أهل الشأمِ ردْءًا له ولأصحابه لئلاّ يُؤْتَوا من وَرائِه [٢].

٢/٩٦٠

قال أبو مخنف: فحدّثني فَرْوة بن لَقيط: إنّ شبيبًا قال لنا يومئذ: يا أهل الإسلام إنّما شريْنا لله، ومن شرى اللهَ لم يكبر[٣] عليه ما أصابه من الأذَى والألم في جنْب الله. الصَّبرَ الصَّبر؛ شَدّةً كشَدّاتكم في مواطنِكم الكريمة. ثمّ جمع أصحابَه، فلَمّا ظنّ الحجّاج أنه حاملٌ عليهم قال لأصحابه: يا أهل السمع والطاعة؛ اصبِروا لهذه الشّدّة الواحدة، ثمّ وربِّ السماء ما شيءٌ دونَ الفتح. فجثَوا على الرُّكَب، وحَمَل عليهم شبيب بجميع أصحابه، فلمّا غشيهم نادى الحجّاج بجماعة الناس، فوثبوا في وجهه، فما زالوا يَطعنُون ويَضربون قُدمًا ويَدفَعون شبيبًا وأصحابَه وهو يقاتِلُهم حتّى بلغوا موضع بُسْتان زائدة، فلما بلغ ذلك المكان نادى شبيب أصحابَه: يا أولياءَ الله، الأرضَ الأرض، ثمّ نزل وأمر أصحابه فنزل نصفُهم وترك نصفهم مع سُوَيد بن سليم، وجاء الحجّاج حتى انتهى إلى مسجد شبث، ثم قال: يا أهل الشأم، يا أهل السَّمع والطاعة، هذا

(١) ساقطة من م. (٢) ب، ف: «ورائهم». (٣) ا: «لم يكثر».

أوّل الفتح والّذى نفسُ الحجّاج بيده ! وصَعد المسجد معه نحوٌ من عشرين رجلامعهم النَّبْل، فقال: إن دَنَوْا منا فارشقوهم، فاقتتلوا عامّة النهار من أشدّ قتال فى الأرض، حتّى أقرّ كل واحد من الفريقين لصاحبه . ثمّ إنّ خالد بن عتّاب قال للحجّاج : ائذَنْ لى فى قتالهم فإنى موتور ، وأنا ممّن لا يُتّهم فى نصيحة[1]، قال : فإنى قد أذنتُ لك ، قال : فإنى آتيهم من ورائهم حتّى أغيرَ على عسكرهم ؛ فقال له : افعل ما بدا لك ، قال : فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتّى دخل عسكرَهم من ورائهم ، فقتل مصادًا أخا شبيب ، وقتل غزالة امرأته ، قتلها فروةُ بنُ الدّفان الكلبيّ ، وحرّق فى عسكره ، وأتى ذلك الخبرُ الحجّاج وشبيبًا ، فأمّا الحجّاج وأصحابه فكبّروا تكبيرة واحدة ، وأمّا شبيب فوثب هو وكلّ راجل معه على خيولهم ، وقال الحجّاج لأهل الشأم : شُدّوا عليهم فإنّه قد أتاهم ما أرعب قلوبَهم . فشدّوا عليهم فهزموهم ، وتخلّف شبيب فى حامية الناس .

٩٦١/٢

قال هشام : فحدّثنى أصغر الخارجىّ، قال: حدّثنى من كان مع شبيب قال : لما انهزم الناسُ فخرج من الجسْر تبعه[2] خيل الحجّاج ، قال : فجعل يخفق برأسه ، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، التفت فانظرْ مَن خلفك؛ قال : فالتفت غيرَ مكترث ، ثمّ أكبّ يخفق برأسه ؛ قال : ودنَوا منّا ؛ فقلنا : يا أمير المؤمنين ، قد دنَوا منك، قال: فالتفت والله غيرَ مكترث ، ثمّ جعل يخفق برأسه . قال : فبعث الحجّاج إلى خيله أن دعوه فى حرق الله وناره ، فتركوه ورجعوا .

٩٦٢/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : حدّثنى أبو عمرو العذرىّ[3] ، قال : قطع شبيب الجسْر حين عبَر. قال : وقال لى فرْوة : كنتُ معه حين انهزمْنا فما حرّك الجسر ، ولا اتّبعونا حتّى قطعنا الجسر. ودخل الحجّاج الكوفة ، ثمّ صعِد المنبرَ فحمِد الله ، ثمّ قال : والله ما قوتل شبيب

---

(١) ب ، ف : «نصيحته» . (٢) ف ، ف : «والجيش تبعته» .

(٣) ب : «العدوى» .

قَبْلها ، وَلّى واللهِ هارباً ، وترك امرأته يُكسَر فى أستِها القَصَب .

وقد قيل فى قتال الحجّاج شبيباً بالكُوفة ما ذَكَرَه عُمر بنُ شَبّة قال : حدّثنى عبدُ الله بنُ المغيرة بن عطيّة ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنا مزاحم بن زُفر بن جسّاس التّيمىّ ، قال : لما فَضّ شبيبٌ كتائبَ الحجّاجِ أذن لنا فدخلنا عليه فى مَجلِسه الّذى يبيت فيه وهو على سرير عَليه لِحاف ، فقال : إنى دعوتُكم لأمر فيه أمان ونظر ، فأشيروا علىّ ؛ إنّ هذا الرجل قد تبَحْبَح بُحْبُوحَتكم ، ودخل حَرِيمَكم ، وقتل مُقاتِلتكم ، فأشيروا علىّ ؛ فأطرَقوا . وفَصَل رجل من الصّفّ بكرسيّه فقال : إنْ أذِن لى الأميرُ تكلّمت ، فقال : تكلم ، فقال : إنّ الأمير والله ما راقَبَ اللهَ ، ولا حَفِظ أميرَ المؤمنين ، ولا نَصَح للرعيّة ، ثمّ جلس بكرسيه فى الصفّ . قال : وإذا هو قُتَيبة ، قال : فَغضِب الحجّاج وألقَى اللحاف ، ودَلّى قَدَميه من السرير كأنى أنظر إليهما ؛ فقال : مَن المتكلّم ؟ قال : فخرج قُتيبةُ بكُرسيّه من الصّفّ فأعاد الكلاَم ، قال : فما الرأى ؟ قال : أن تَخرُج إليه فتحاكِمَه ؛ قال : فارتد لى مُعسكرًا ثم اغدُ إلىّ . قال : فخرجْنا نَلعَن عَنْبسة بنَ سعيد . وكان كلّم الحجّاج فى قُتيبة . فجعله من أصحابه ، فلمّا أصبَحْنا وقد أوصَيْنا جميعًا ، غَدونا فى السلاح ، فصلّى الحجّاج الصّبح ثم دخل ، فجعل رسوله يخرج ساعةً بعد ساعة فيقول : أجاء بعدُ ؟ أجاء بعدُ ؟ ولا ندرى مَن يريد ! وقد أفعمت المقصورةُ بالناس ، فَخَرَج الرسولُ فقال : أجاء بعدُ ؟ وإذا قُتيبةُ يمشى فى المسجد عليه قباء هروىّ أصفر ، وعمامة خزّ أحمر ، متقلّدًا سيفًا عريضًا قصيرَ الحمائل كأنّه فى إبطه ، قد أدخل بِرْكة قَبائه فى مِنطَقته ، والدّرع يصفق ساقَيْه فَفُتح له الباب فدخل ولم يُحْجَب ، فَلَبِث طويلا ثمّ خرج ، وأخرج معه لِواءً منشورًا . فصلّى الحجّاج ركعتين ، ثم قام فتكلّم ، وأخرج اللواء من باب الفيل ، وخرج الحجّاج يتبعه ، فإذا بالباب بغلة شَقراء غرّاءُ محجّلة فركبها ، وعارضه الوُصَفاء بالدّوابّ ، فأبَى غيرَها . وركب النّاسُ .

٢ ٩٦٣

وركب قُتَيبة فرسًا أغرّ محجّلا كُمَيْتًا كأنّه فى سرْجه رُمّانة من عُظْم السَّرج ، فأخذ فى طريق دارِ السقاية حتّى خرج إلى السَّبَخة وبها عسكر شبيب ، وذلك يوم الأربعاء ، فتواقَفوا ، ثمّ غَدَوْا يومَ الخميس للقتال ، ثمّ غادوهم يوم الجمعة ، فلمّا كان وقت الصلاة انهزَمت الخوارج .

* * *

قال أبو زيد: حدّثنى خلاّد بن يزيد . قال : حدّثنا الحجّاج بنُ قتيبة، قال: جاء شبيبٌ وقد بعث إليه الحجّاجُ أميرًا فقتَله، ثم آخر[1] فقتَله . أحدُهما أعْيَنُ صاحبُ حمّام أعْيَن ، قال : فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة ، وقد كانت نذرتْ أن تُصلّىَ فى مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران . قال : ففعلتْ . قال: واتّخذ شبيب فى عسكره أخْصاصًا، فقام الحجّاج فقال : لا أراكم تَناصَحون[2] فى قتال هؤلاء القوم يا أهلَ العراق ! وأنا كاتبٌ إلى أمير المؤمنين ليُمِدّنى بأهل الشأم . قال : فقام قُتيبة فقال : إنّك لم تنصح لله ولا لأمير المؤمنين فى قِتالهم . ٢/٩٦٤

قال عمرُ بنُ شَبّة : قال خلّاد : فحدّثنى محمّد بنُ حفص بن موسى ابن عُبيد الله بن مَعمر بن عثمان التميمىّ أنّ الحجّاج خَنَق قُتيبة بعمامته خَنْقًا شديدًا .

* * *

ثمّ رَجعَ الحديثُ إلى حديث الحجّاج وقُتَيبة . قال : فقال : وكيف ذاك ؟ قال : تَبعث الرجل الشريف وتبعث معه رَعاعًا من الناس فينهزمون عنه ، ويَستَحيِى فيقاتل حتّى يُقتَل ؛ قال : فما الرأى ؟ قال : أن تَخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك فيؤاسُونك بأنفسهم . قال :فلعنه مَنْ ثَمّ . وقال الحجّاج :والله لأبرُزنّ له غدًا ؛ فلمّا كان الغدُ حضرَ الناس . فقال قتيبة : اذكرْ يمينَك أصلح الله الأمير ! فلعنوه أيضًا ، وقال الحجّاجُ :اخرج فارتدْ لى مُعسكَرًا ، فذهب وتهيّأ هو وأصحابُه فخرجوا ، فأتى على موضع فيه بعضُ القَذَر ، موضع كُناسة ،

(١) ب ، ف : « أميرًا » . (٢) ب ، ف : « تتناصحون » .

فقال : ألقُوا لى هاهنا . فقيل : إنّ الموضع قَذِر ، فقال : ما تَدعوننى إليه أقذَر ، الأرض تحتَه طيِّبة ، والسماءُ فوقه طيِّبة . قال : فنزل وصَفَّ الناس وخالد بن عَتّاب بن وَرْقاء مسخوط عليه فليس فى القوم ، وجاء شبيب وأصحابه فقرّبوا دوابَّهم ، وخرجوا يمشون ، فقال لهم شبيب : الهُوا عن رَمْيكم ، ودِبُّوا تحت تِراسكم ، حتّى إذا كانت أسنَّتهم[1] فوقَها ، فأزلِقوها صُعُدًا ، ثمّ ادخلُوا[2] تحتَها لتستقِلوا فتَقطعُوا أقدامهم ، وهى الهزيمة بإذن الله . فأقبلوا يدِبّون إليهم . وجاء خالد بنُ عَتّاب فى شاكِريّته ، فدار من وراء عسكرهم ، فأضرم أخْصاصَهم بالنار ، فلمّا رأوْا ضوءَ النار وسمعوا مَعْمَعتَها التفتوا فرأوها فى[3] بيوتهم ، فولّوا[4] إلى خَيْلهم وتَبِعهم الناسُ ، وكانت الهزيمة . ورضِىَ الحجّاج عن خالد ، وعَقَدَ له على قتالهم.

٩٦٥/٢

قال : ولمّا قَتَل شبيبٌ عَتّابًا أراد دخول الكوفة ثانية ، فأقبَل حتى شارَفها فوجّه إليه الحجّاج سيف بن هانئ ورجلاً معه ليأتياه بخبر شبيب ، فأتيا عسكره ، ففطن بهما ، فقتل الرجل ، وأفلت سيفٌ ، وتَبِعه رجلٌ من الخوارج ، فأوثب سيفٌ فرسه ساقية ، ثمّ سأل الرجلَ الأمان على أن يُصدقه ، فآمنه ، فأخبره أنّ الحجّاج بعثه وصاحبَه ليأتياه بخبر شبيب .

قال : فأخبرْه أنا نأتيه يوم الاثنين . فأتى سيف الحجّاج فأخبره ؛ فقال : كَذَب وماق ، فلمّا كان يومَ الاثنين توجّهوا يريدون الكوفة ، فوجّه إليهم الحجّاجُ الحارثَ بن معاوية الثَّقَفىّ ، فلقيه شبيب بزُرارَة فقتله ، وهزم أصحابَه ودنا من الكوفة فبعث البَطين فى عشرة فوارس يرتاد له مَنزلاً على شاطئ الفرات فى دارِ الرِّزْق ، فأقبل البَطين وقد وجّه الحجّاج حَوشبَ بنَ يزيدَ فى جمع من أهل الكوفة ، فأخذوا بأفواهِ السِّكك ، فقاتلَهم البَطين فلم يقْوَ عليهم ، فبعث إلى شبيب فأمدّه بفوارس ، فعَقَروا فرس حَوْشب وهزموه ونجا ، ومضَى البَطين إلى دار الرِّزق ، وعسكر على شاطئ الفرات ، وأقبَل شبيب فنزل دون الجِسْر ، فلم يوجّه إليه الحجّاج أحدًا ، فمضى فنزل

٩٦٦/٢

(١) ب ، ف : « أسنتكم » .
(٢) ب ، س : « ادخلوها » .
(٣) ب ، ف : « فرأوا ما فى بيوتهم » .
(٤) ب ، ف : « ولوا » .

السَّبَخة بين الكُوفة والفُرات ، فأقام ثلاثًا لا يوجّه إليه الحجّاج أحدًا ، فأشير على الحجّاج أن يخرج بنفسه ، فوجّه قتيبةَ بنَ مسلم، فهيّأ له عسكرًا ثم رجع ، فقال : وجدتُ المأتى سهْلا ، فسِرْ على الطائر الميمون ؛ فنادى فى أهل الكوفة فخرجوا ، وخرج معه الوجوهُ حتّى نزلوا فى ذلك العسكر[1] وتواقفوا ، وعلى ميْمنة شبيب البَطين ، وعلى ميسرته قعْنب مولى بنى أبى ربيعة بن ذهل، وهو فى زُهاءِ مائتين، وجعل الحجّاج على ميمنته مطرَ بن ناجية الرّياحىّ ، وعلى ميسرته خالد بن عتّاب بن ورْقاء الرّياحىّ فى زُهاء أربعة آلاف ، وقيل له : لا تُعرّفْه موضعك، فتنكّر وأخفى مكانَه ، وشبّه له أبا الورد مولاه ، فنظر إليه شبيب ،فحمل عليه،فضربه بعمود وزنُه خمسة عشر رِطْلاً فقتله ، وشبّه له أعيَن صاحب حمّام أعيَن بالكوفة ، ٩٦٧/٢ وهو مولًى لبكر[2] بن وائل فقتَله، فركب الحجّاج بغلة غرّاء محجّلة ، وقال : إن الدّين أغرّ محجّل ، وقال لأبى كعب : قدّم لواءك ، أنا ابن أبى عقيل . وحمل شبيب على خالد بن عتّاب وأصحابه، فبلغ بهم الرّحبة ، وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه ، فنزل عند ذلك الحجّاج وأمرَ أصحابه فنزلوا، فجلس على عباءة ومعه عنْبسة بن سعيد ، فإنّهم على ذلك إذْ تناول مَصقلة بن مُهلهل الضّبىّ لجامَ شبيب ؛ فقال : ما تقول فى صالح بن مُسرّح ؟ وبمَ تَشهد عليه ؟ قال : أعلى هذه الحال، وفى هذه الحزّة[3] ! والحجّاج ينظُر ، قال : فبرئ من صالح ، فقال مَصقلة : برئ اللهُ منكَ ؛ وفارقوه إلا أربعين فارسًا هم أشدّ أصحابه ، وانحاز الآخَرون إلى دار الرّزْق ؛ وقال الحجّاج : قد اختلفوا ، وأرسل إلى خالد بن عتّاب فأتاهم فقاتلهم، فقُتلت غزالةُ ،ومرّ برأسها إلى الحجّاج فارسٌ فعرفه شبيبٌ، فأمر علوان فشدّ على الفارس فقتله وجاء بالرأس ، فأمر به فغُسل ودفنه وقال : هى أقرب إليكم رُحْمًا — يعنى غزالة .

ومضى القومُ على حاميتهم ، ورجع خالدٌ إلى الحجّاج فأخبره بانصراف

---

(١) ب ، ف : « المعسكر » . (٢) ف : « البكير » .

(٣) الحزّة : الشدّة .

القوم ، فأمرَه أن يحمل على شبيب فحمل عليهم، وأتبعه ثمانية ، منهم قعنب والبَطِين وعلْوان وعيسى والمهذَّب وابن عُوَيمر وسِنان ، حتّى بلغوا به الرّحبة، وأُتِيَ شبيب في موقفه بخُوط بن عُمَير السَّدوسيّ ، فقال له شبيب : يا خُوط ، لاحُكْمَ إلاّ لله . فقال : لا حُكم إلاّ لله ، فقال شبيب : خُوط من أصحابكم، ولكنّه كان يخاف، فأطلقه . وأُتِيَ بعُمَير بن القَعْقَاع ، فقال له : لا حُكم إلاّ لله يا عُمَير ، فجعل لا يفقه عنه، ويقول : في سبيل الله شبابي ، فردّد عليه شبيبٌ: لاحُكْمَ إلاّ لله، ليتخلّصه[1] ، فلم يفقهْ . فأمر بقتله ، وقُتِل مصاد أخو شَبيب ، وجعل شبيب ينتظر النّفرَ الّذين تبعوا خالدًا فأبطئوا. ونعس شبيب فأيقظَه حبيب بن خدرة ، وجعل أصحابُ الحجّاج لا يُقدِمون عليه هيبةً له، وسار إلى دار الرِّزْق ، فجمع رِثّة[2] مَن قُتِل من أصحابه، وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه ، فظنوا أنّهم قتلوه ، ورجع مطرٌ وخالدٌ إلى الحجّاج فأمرَهما فأتبعا الرّهط الثمانية . وأتبع الرّهط شبيبًا . فمضوْا جميعًا حتّى قطعوا جسر المدائن ، فدخلوا دَيْرًا هنالك وخالد يَقْفُوهم ، فحصرهم في الدّير ، فخرجوا عليه فهزموه نحوًا من فرسخين حتّى ألقَوْا أنفسَهم في دِجْلة بخَيلهم ، وألقَى خالدٌ نفسَه بفرسه فمرّ به ولواؤه في يده ، فقال شبيب : قاتله الله فارسًا وفرَسَه ! هذا أشدّ الناس ، وفرسُه أقوى فرس في الأرض ، فقيل له: هذا خالدُ بن عتّاب ، فقال : مُعْرَقٌ له في الشجاعة ؛ والله لو علمتُ لأقحمتُ خلفه ولو دَخَل النار .

٩٦٨/٢

* * *

٩٦٩/٢

رجع الحديث إلى حديث أبي مِخنَف . عن أبي عَمرو العُذْريّ ، أن الحجّاج دخل الكوفةَ حين انهزَم شبيب ، ثم صَعِد المنبر ، فقال: والله ما قُوتِل شَبيب قطّ قبلَها مثلَها ، ولّى والله هاربًا ، وترك امرأته يُكسَر في استها القصب . ثمّ دعا حبيب بن

(١) ف : « ليخلصه » . (٢) الرثة : المتاع .

عبد الرحمن الحكميّ فبعثه فى أثره فى ثلاثة آلاف من أهل الشأم ، فقال له الحجّاج: احذَر بياتَه، وحيثما لقيتَه فنازِله، فإن الله قد فَلّ حَدّه ، وقصم نابَه. فخرج حبيبُ بنُ عبد الرحمن فى أثر شبيب حتّى نزل الأنبار ، وبعث الحجّاج إلى العمّال أن دُسُّوا إلى أصحاب شبيب أنّ مَنْ جاءنا منهم فهو آمِن ؛ فكان كلّ من ليست له تلك البصيرة ممّن قد هدّه القتال يجىء فيؤمن ، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجّاج يومَ هُزِموا : إنّ من جاءنا منكم فهو آمن ، فتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه ، وبلغ شبيباً مَنْزَلُ حبيب بنِ عبد الرحمن الأنبارَ ، فأقبَل بأصحابه حتّى إذا دنا من عسكرِهم نَزَل فصلّى بهم المغرب .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى أبو يزيدَ السكسكيّ ، قال : أنا والله فى أهل الشأم ليلةَ جاءنا شبيب فبيَّتَنا . قال: فلمّا أمسَيْنا جَمعنا حبيبُ بنُ عبد الرحمن فجعَلَنا أرباعاً . وقال لكل رُبْع منا : ليُجزِئ كلّ رُبْع منكم جانبَه ؛ فإن قاتل هذا الرّبع فلا يُغثهم [1] هذا الرّبْع الآخَر ، فإنّه قد بلغنى أنّ هذه الخوارج منّا قريب ، فوطّنوا أنفسكم على أنّكم مبيَّتون ومقاتَلون؛ فما زِلنا على تعبيتنا حتّى جاءنا شبيب فبيَّتنا، فشدّ على رُبْع منّا، عليهم عثمانُ بنُ سعيد العذرىّ فضاربهم طويلا ، فما زالتْ قدمُ إنسان منهم ، ثمّ تركهم وأقبلَ على الرّبْع الآخر . وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامرىّ فقاتلهم، فما زالت قدم إنسان منهم. ثمّ تركهم وأقبَل على الرّبع [2] الآخر وعليهم النعمان بنِ سَعْد الحميرىّ فما قدر منهم على شىء ؛ ثمّ أقبل على الربع الآخَر وعليهم ابنُ أقيصِر الخَثعْمىّ فقاتلهم طويلا ، فلم يَظفر بشىء ، ثم أطاف بنا يحمِل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع اللّيل ، وألزّ بنا حتى قلنا ، لا يفارِقنا ، ثم نازلنا راجلا طويلا ، فسقطتْ واللهِ بيننا وبينهم الأيدى ، وفُقِئت الأعيُن ، وكثُرت القتلى ، قتلنا منهم نحواً من ثلاثين ، وقتلوا منّا نحواً من مائة ، والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا ، وايمُ الله على ذلك ما فارَقونا حتّى مَلِلناهم ومَلّونا ، وكرِهونا وكرهناهم .

٩٧٠/٢

(١) س : « يغثهم » ، ف : « يعنهم » . (٢) ف : « الرابع » .

ولقد رأيت الرجل منّا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضرّه شيء من الإعياء والضّعف ، ولقد رأيت الرّجل منّا يقاتل جالسًا ينفَح بسيْفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء[1]، فلمّا يئسوا منّا ركب شبيب ثمّ قال لمن كان نزل من أصحابه : اركبوا ، فلمّا استوَوا على متُون خيُولهم وجّه[2] منصرفًا عنّا .

٩٧١/٢

قال أبو مِخنف : حدّثني فروة بنُ لقيط ، عن شبيب ،قال : لمّا انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة ، وجراحة ظاهرة ، قال لنا : ما أشدَّ هذا الّذى بنا لوكنّا إنما نطلب الدنيا ! وما أيسرَ هذا فى ثواب الله! فقال أصحابُه: صدقت يا أمير المؤمنين ، قال : فما أنسَى منه إقبالَه على سُويد بن سليم ولا مقالَته له : قتلتُ منهم أمس رجلين : أحدُهما أشجعَ الناسِ ، والآخر أجْبَن الناس ، خرجتُ عشيّــة أمس طليعةً لكم فلقيتُ منهم ثلاثةَ نفر دخلوا قريةً يشترون منها حوائجَهم ، فاشترى أحدُهم حاجتَه ، ثمّ خرج قبل أصحابه وخرجتُ معه ، فقال : كأنّك لم تشترِ علَفًا ، فقلت : إنّ لى رُفَقاءَ قد كفَوْنى ذلك، فقلت له : أين ترَى عدوَّنا هذا نزَل ؟ قال : بلغنى أنّه قد نزل منّا قريبًا ، وايم الله لودِدْت أنّى قد لقيتُ شبيبَهم هذا ، قلت: فتحبّ ذلك؟ قال: نعم، قلت: فخذ حِذْرَك ، فأنا والله شبيب، وانتضيْت سيْفى ، فخرّ والله ميّتًا ، فقلت له: ارتفِع ويْحَك[3] ! وذهبتُ أنظُر فإذا هو قد مات ، فانصرفتُ راجعًا ، فأستقبِل الآخر خارجًا من القرية ، فقال : أين تذهب هذه الساعة ؟ وإنّما يرجع الناس إلى عسكرهم ! فلم أكلّمه، ومضيتُ يقرِّب بى فرسى، وأتبعنى حتّى لحِقنى ،فقطعت عليه فقلت له :ما لَك ؟ فقال : أنتَ والله من عدّونا ؟ فقلتُ : أجل والله ، فقال : والله لا تبرح حتّى تقتُلنى أو أقتُلَك ، فحمَلت عليه وحَمَل علىّ ، فاضطربْنا بسيْفينا ساعةً ، فوالله ما فضَلْتُه فى شدّة نفْس ولا إقدام إلا أن سيفى كان أقْطعَ من سيفه ، فقتَلتُه ؛ قال : فمضَينا حتّى قطعنا دِجلة ، ثم أخذْنا فى أرض جُوخَى حتى قطعْنا دجلَة مرّة أخرى من

٩٧٢/٢

(١) ب ، ف : « من الإعياء والضعف » . (٢) ب : « وجه » .
(٣) ب ، ف : « ارفع ويحك رأسك » .

عند واسِط ، ثم أخذنا إلى الأهواز ثمّ إلى فارس ، ثم ارتفعْنا إلى كِرْمان .

* * *

[ذكر الخبر عن مهلك شبيب]

وفى هذه السنة هلك شبيبٌ فى قولِ هشامِ بنِ محمّد . وفى قول غيرِه كان هلاكُه سنة ثمان وسبعين .

* ذكر سبب هلاكه :

قال هشام ، عن أبى مِخْنَف : قال : حدّثنى أبو يزيدَ السَّكْسَكىّ ، قال : أقفَلنا الحَجّاج إليه — يعنى إلى شبيب — فقسَّم فينا مالاً عظيماً ، وأعطَى كل جريح منا وكل ذى بلاء ، ثمّ أمر سفيان بن الأبرد أن يسيرَ إلى شبيب ، فتجهّز سُفيان ، فشقّ ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمىّ ، وقال : تبعث سُفْيانَ إلى رجل قد فللتَه وقتلتَ فُرسانَ أصحابِه ! فأمضى سفيان بعدَ شهرين ، وأقام شبيب بكِرْمان ، حتّى إذا انجبر واستراش هو وأصحابُه أقبل راجعاً ، فيستقبله سُفْيان بجِسْر دُجيل الأهواز ، وقد كان الحجّاج كتب إلى الحكَم بن أيّوب بن الحكَم بن أبى عَقيل ، وهو زوج ابنة الحجّاج وعاملُه على البَصْرة . ٩٧٣/٢

أما بعد ، فابعثْ رجلا شجاعاً شريفاً من أهل البصْرة فى أربعة آلاف إلى شبيب ، ومُرْه فلْيَلْحق بسفْيان بن الأبرد ، وليَسْمع له ولْيُطعْ .

فبعث إليه زياد بن عَمْرو العَتَكىّ فى أربعة آلاف ، فلم ينته إلى سُفيان حتى التقى سُفْيان وشبيب ، ولمّا أن التقيا بجِسْر دجيل عبر شبيب إلى سُفيان فوجد سُفيانَ قد نَزَل فى الرجال ، وبعث مُهاصر[1] بن صيفىّ العُذرىّ على الخيل ، وبعث على ميمنته بِشر بن حسّان الفِهْرىّ ، وبعث على ميسرته عمر بن هُبَيرة الفزارىّ ، فأقبل شبيب فى ثلاثة كراديسَ من أصحابه ، هو فى كتيبة وسُوَيد فى كتيبة ، وقَعنَب المُحلّمىّ فى كتيبة ، وخلّف المحلّل بن وائل فى عسكره . قال : فلمّا حمل سُويد وهو فى ميمنته

(١) ف : « مضاهر » .

على ميسرة سُفْيانَ ، وقعنبٌ وهو فى ميسرته على ميمنته حَمَل هو على سُفْيان ، فاضْطَرَبْنا طويلا من النهار ، حتّى انحازوا فرجعوا إلى المكان الّذى كانوا فيه ، فكرّ علينا هو وأصحابه أكثرَ من ثلاثين كَرّة ، كلّ ذلك لا نزول من صَفّنا . وقال لنا سُفْيان بنُ الأبرد: لاتتفرّقوا ، ولكن لِتزحَف الرجالُ إليهم زحفًا ، فوالله ما زلْنا نطاعِنُهم ونضاربهم حتّى اضطررناهم إلى الجِسْر ، فلمّا انتهى شبيب إلى الجِسْر نزل ونزل معه نحوٌ من مائة رجل ، فقاتَلْناهم حتى المساء أشدّ قتال قاتله قومٌ قطّ ، فما هو إلا أن نزلوا فأوقعوا لنا من الطّعن والضّرب شيئًا ما رأينا مِثلَه من قوم قطّ . فلمّا رأى سفيانُ أنّه لا يَقدِر عليهم ، ولا يأمن مع ذلك ظفرهم ، دعا الرّماةَ فقال : ارشقُوهم بالنَّبل ، وذلك عند المساء ، وكان التقاؤهم نصفَ النهار . فرماهم أصحابُ النَّبل بالنَّبل عند المساء ، وقد صَفّهم سُفْيان بن الأبرد على حِدَة ، وبعث على المُرامِية رجلا ، فلمّا رشقوهم بالنَّبل ساعةً شدّوا عليهم ، فلمّا شدّوا على رُماتنا شَدَدْنا عليهم ، فشغَلْناهم عنهم ، فلما رموا بالنَّبل ساعةً ركب شبيب وأصحابُه ثمّ كَرّوا على أصحاب النَّبل كرّةً صُرِع منهم أكثرُ من ثلاثين رجلا ، ثمّ عطف بخَيْله علينا ، فمشى عامدًا نحونا ؛ فطاعَنّاه حتّى اختلط الظلام ، ثمّ انصَرَف عنّا . فقال سُفيان لأصحابه : أيُّها الناس ، دَعُوهم لا تتبّعوهم حتى نُصبِّحهم غُدْوة . قال : فكَفَفْنا عنهم وليس شىء أحبّ إلينا من أن ينصرفوا عنّا .

٩٧٤/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى فَرْوة بنُ لَقيط ، قال : فما هو إلاّ أن انتهَينا إلى الجِسْر ، فقال : اعبرُوا معاشرَ المسلمين ، فإذا أصبَحْنا باكَرْناهم إن شاء الله ، فعَبَرْنا أمامَه ، وتخلّف فى أخرانا ، فأقبل على فرسه ، وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيانة ، فنزا فرسُه عليها وهو على الجسر فاضطربَت الماذِيانة ، ونزل حافرُ رجل فرس شبيب على حرف السَّفينة ، فَسقَط فى الماء ، فلمّا سَقَط قال : ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ . فارتمس[1] فى الماء ، ثمّ ارتفَع فقال : ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ .

٩٧٥/٢

(١) ارتمس فى الماء . إذا انغمس فيه حتى يغيب رأسه وجميع جسده فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكيّ بهذا الحديث — وكان ممّن يقاتله من أهل الشأم، وحدّثني فروة بن لقيط ، وكان ممّن شهد مواطنه — فأمّا رجل من رهطه من بنى مرّة بن همّام فإنّه حدّثنى أنه كان معه قومٌ يقاتلون من عشيرته ، ولم يكن لهم تلك البصيرةُ النافذة ، وكان قد قتل من عشائرهم رجالا كثيرًا ، فكأن ذلك قد أوجع قلوبهم ، وأوغر صدورهم ؛ وكان رجلٌ يقال له مقاتل من بنى تيم بن شيبان من أصحاب شبيب ، فلمّا قتل شبيبٌ رجالاً من بنى تيم بن شيبانَ أغار هو على بنى مرّة بن همّام فأصاب منهم رجلا ، فقال له شبيب : ما حملك على قتلهم بغير أمرى ! فقال له : أصلحك الله ! قتلتُ كفّار قومى، وقتلتَ كفّار قومك، قال : وأنت الوالى علىّ حتّى تقطع الأمور دونى ! فقال : أصلحك الله ! أليس من ديننا قتل مَنْ كان على غير رأينا، منّا كان أو من غيرنا ! قال: بلى، قال : فإنّما فعلت ما كان ينبغى ، ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عُشر ما أصبت من رهطى ، وما يحلّ لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين ؛ قال : إنى لا أجد من ذلك . وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائرهم ، فزعموا أنّه لمّا تخلّف فى أخرْيات أصحابه قال بعضهم لبعض: هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثأرنا الساعة ! فقطعوا الجسر ، فمالت السفن، ففزع الفرس ونفر ، ووقع فى الماء فغرق . ٩٧٦/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى ذلك المرّىّ بهذا الحديث ، وناسٌ من رهط شبيب يذكرون هذا أيضًا ؛ وأمّا حديث العامّة فالحديثُ الأوّل .

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبو يزيدَ السكسكىّ ، قال : إنّا والله لنتهيّأ للانصراف إذ جاء صاحبُ الجسر فقال : أين أميركم ؟ قلنا : هو هذا ، فجاءه فقال : أصلحك الله ! إن رجلاً منهم وقع فى الماء ، فتنادَوا بينهم : غرق أميرُ المؤمنين ! ثمّ إنّهم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد ، فكبّر سفيانُ وكبّرنا ، ثمّ أقبل حتّى انتهى إلى الجسر ، وبعث مهاصر بن صيفىّ فعبر إلى عسكرهم ، فإذا ليس فيه منهم صافرٌ

ولا آثِر[1]، فنزل فيه، فإذا أكثرُ عسكر خلقِ الله خيرًا، وأصبحْنا فطلبنا شبيبًا حتَّى استخرجْناه وعليه الدِّرْع، فسمعتُ النَّاس يزعمون أنه شقّ بطنَه فأخرج قلبَه، فكان مجتمعا صُلْبًا كأنَّه صَخْرة، وإنَّه كان يَضرب به الأرض فيَثِب قامةَ إنسان؛ فقال سفيان: احْمَدوا الله الَّذى أعانكم فأصبح عسكرهم فى أيدينا.

قال أبو زيد عُمر بنُ شبَّة: حدَّثنى خلّاد بنُ يزيد الأرقط، قال: كان شبيب يُنْعَى لأمّه فيقال: قتِل فلا تَقبل قال: فقيل لها: إنَّه غرِق، فقَبِلتْ، وقالت: إنى رأيتُ حين ولدتُه أنَّه خرج منّى شِهاب نار، فعلِمتُ أنه لا يُطفِئه إلّا الماء.

٩٧٧/٢ قال هِشام عن أبى مِخنَف: حدّثنى فَرْوة بن لقَيط الأزْدىّ ثمّ الغامرىّ أن يزيد بن نُعيْم أبا شبيب كان ممَّن دخل فى جيش سَلْمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه[2] الوليد بن عُقْبة عن أمرِ عثمانَ إيَّاه بذلك مَدَدا لأهل الشأم أرض الروم، فلمَّا قَفَل المسلمون أقيمَ السَّبى للبيع، فرأى يزيد ابن نُعَيم أبو شبيب جاريةً حمراءَ، لا شَهْلاء ولا زَرْقاء طويلةً جميلةً تأخُذُها العين، فابتاعَها ثم أقبل بها، وذلك سنة خمس وعشرين أوّل السنة، فلمَّا أدخلَها الكوفة قال: أسلِمى، فأبتْ عليه، فضربها فلم تزدَد إلا عصيانًا، فلمَّا رأى ذلك أمر بها فأصلِحت، ثمّ دعا بها فأدخِلَتْ عليه، فلما تَغشَّاها تَلقَّتْ منه بحَمْل فولدتْ شبيبًا، وذلك سنة خمس وعشرين فى ذى الحجَّة فى يومِ النَّحر يومَ السبت. وأحبَّت مولاها حُبًّا شديدًا — وكانت حَلِرثة[3] — وقالت: إن شئت أجبتُك إلى ما سألتَنى من الإسلام، فقال لها: شئتُ، فأسلَمَت، وولدتْ شبيبًا وهى مُسْلمة، وقالت: إنى رأيت فيما يرَى النائم أنَّه خرج من قُبُلى شِهابٌ فثَقب يسطع حتَّى بلغ السماءَ وبَلغ الآفاقَ كلَّها، فبينا هو كذلك إذ وقع فى ماء كثير جارٍ فخبا، وقد ولدتُه فى يومِكم هذا الَّذى تُهريقون فيه الدماء، وإنى

(١) يقال: ما فى الدار من صافر، أى أحد يصفر، وهو مثل.

(٢) ا: «معد الوليد بن عقبة». (٣) كذا فى ا، وفى ط: «تحدثه».

قد أوّلْتُ رؤيايَ هذه أنى أرى ولدى هذا غلامًا، أراه سيكون صاحب دماء يُهَرِيقها، وإنى أرى أمره سيعلو ويَعظم سريعًا . قال: فكان أبوه يَختلف ٢/٩٧٨ به وبأمّه إلى البادية إلى أرضِ قومه على ماء يُدعَى اللَّصَف .

قال أبو مِخنَف: وحدّثنى موسى بنُ أبى سُويد بن رادِى أنّ جُنْدَ أهل الشام الَّذين جاءوا حملوا معهم الحَجَر فقالوا: لا نفرّ من شبيب حتَّى يفرّ هذا الحجر؛ فبلغ شبيبًا أمرُهم، فأراد أن يكيدهم، فدعا بأفراس أربعة، فربط فى أذنابها ترَسة فى ذَنَب كلّ فرس تُرْسَيْن، ثمّ ندب معه ثمانيةَ نفر من أصحابه، ومعه غلامٌ له يقال له حيَّان، وأمره أن يحمل معه إداوَةً من ماء، ثم سار حتَّى يأتى ناحيةً من العسكر، فأمر أصحابه أن يكونوا فى نواحى العسكر، وأن يجعلوا مع كلّ رجلين فرسًا، ثم يُمِسُّوها الحدِيدَ حتَّى تجد حرَّه ويخلّوها فى العسكر، وواعدهم تلعةً قريبةً من العسكر، فقال: من نجا منكم فإنّ موعده هذه التَّلْعة؛ وكره أصحابُه الإقدامَ على ما أمرهم به، فنزل حيثُ رأى ذلك منهم حتى صنع بالخَيْل مِثلَ الَّذى أمرهم، ثمّ وغلتْ فى العسكر؛ ودخل يتلوها مُحكِّمًا فضرب الناسُ بعضُهم بعضًا، فقام صاحبُهم الَّذى كان عليهم، وهو حبيب بن عبد الرحمن الحكَمىّ، فنادى: أيها الناس، إنّ هذه مكيدة، فالزَموا الأرض حتَّى يتبيَّن لكم الأمرُ، ففعلوا وبقِى شبيب فى عسكرهم، فلزم الأرض حيث رآهم قد سكنوا، وقد أصابتْه ضَربةُ عمود أوهنتْه، فلمَّا أن هدأ الناسُ ورجعوا إلى أبنيتهم خرج فى غِمارهم حتَّى أتى التلعة، ٢/٩٧٩ فإذا هو بحيَّان، فقال: أفرِغ يا حيَّان على رأسى من الماء؛ فلمَّا مدّ رأسه ليصبّ عليه من الماء همّ حيَّان أن يَضرِب عنقه، فقال لنفسه: لا أجد لى مكرُمةً ولا ذكرًا أرفعَ مِن قتلِى هذا، وهو أمانى عند الحجَّاج، فاستقبلتْه الرِّعْدة حيثُ هَمّ بما هَمّ به، فلمَّا أبطأ بحَلّ الإداوة قال: ما يُبطئك بحلّها! فتناوَل السكّين من موْزَجِه[1] فخرَقها به، ثمّ ناولَها إياه، فأفرَغ عليه من الماء. فقال حيان: منَعنى واللهِ الجُبْن وما أخذَنى من

(١) الموزج: الخف، فارسى معرب. الجواليق ٣١١ .

الرِّعدة أن أضرِب عُنقه بعد ما هممتُ به. ثمّ لَحِق شبيب بأصحابه فى عسكره.

* * *

[خروج مطرّف بن المغيرة على الحجّاج وعبد الملك]

قال أبو جعفر: وفى هذه السنة خرج مُطَرّف بن المغيرةِ بنِ شُعْبة على الحجّاج، وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجبال فقُتل.

* ذكر السبب الذى كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان:

قال هشامٌ عن أبى مخنَف، قال: حدّثنى يوسفُ بنُ يزيدَ بن بكر الأزْدىّ أنّ بنى المغيرة بن شعبة كانوا صُلَحاء نُبَلاء، أشرافًا بأبدانهم سوى شرَف أبيهم ومنزلتِهم[1] فى قومهم. قال: فلمّا قدم الحجاج فلقوه وشافَهَهم عَلِم أنّهم رجال قومه وبنو أبيه، فاستعمل عُروةَ بنَ المغيرة على الكوفة، ومطرّفَ بنَ المغيرة على المدائن، وحمزة بن المغيرة على هَمَذَان. ٢/٩٨٠

قال أبو مِخنَف: فحدّثنى الحُصَين بن يزيد بن عبدالله بن سعد بن نُفَيلٍ الأزْدىّ، قال: قَدِم علينا مطرّف بنُ المغيرة بنِ شُعْبة المدائن فصَعِد المنبرَ فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إن الأمير الحجّاجَ أصلحه الله قد ولّانى عليكم، وأمرَنى بالحُكْم بالحق، والعدل فى السيرة، فإن عملتُ بما أمرَنى به فأنا أسعدُ الناس، وإن لم أفعلْ فنفسى أوبَقْتُ، وحظّ نفسى ضيّعت، ألّا [2] إنى جالس لكم العَصْرين، فارفَعوا إلىّ حوائجكم[2]، وأشيروا علىّ بما يصلحكم ويُصلح بلادكم، فإنى لن آلُوكم خيرًا ما استَطعتُ. ثمّ نزل.

وكان بالمدائن إذ ذاك رجالٌ من أشراف أهل المصْر وبيوتات الناس، وبها مقاتلة لا تسعُها عدّة، إن كان كَوْنٌ بأرض جُوخَى أو بأرض الأنبار. فأقبل مطرّف حين نزل حتّى جلس للناس فى الإيوان، وجاء حكيمُ بنُ الحارث الأزدىّ يمشى نحوه، وكان من وجوه الأزد وأشرافهم، وكان الحجّاج قد

(١) ا: «وميراثهم».
(٢ – ٢) ب، ف: «ارفعوا إلى حوائجكم فإنى جالس لكم العصرين».

استعمله بعد ذلك على بيت المال — فقال له: أصلحك الله! إنى كنتُ منك نائيًا حين تكلّمتَ، وإنى أقبلتُ نحوك لأجيبك، فوافق ذلك نزولك، إنّا قد فهمنا ما ذكرتَ لنا، أنّه عهد إليك، فأرشد الله العاهدَ والمعهودَ إليه، وقد منّيتَ من نفسك العَدل، وسألتَ المعونة على الحقّ، فأعانك الله على ٩٨١/٢ ما نويتَ، إنّك تُشبه أباك فى سيرته برضا الله والناس. فقال له مطرّف: ها هنا إلىّ؛ فأوسَع له فجلَس إلى جَنْبِه.

قال أبو مخنَف: فحدّثنى الحُصَين بن يزيدَ أنّه كان من خير عامل قدم عليهم قطّ، أقمعه لمُريب، وأشدّه إنكارًا للظلم. فقَدِم عليه بشر بن الأجْدَع الهَمْدانىّ، ثم الثورىّ، وكان شاعرًا فقال:

إنى كلِفتُ بَخُود غيرِ فاحشةٍ ... غَرّاءَ وَهْنَانَةٍ حُسّانَةِ الجِيدِ
كأنها الشمس يومَ الدَّجْنِ إذ برزَتْ ... تمشى مَعَ الآنِسِ الهيفِ الأماليدِ
سلِّ الهوى بعَلَنْدَاةٍ مُذَكَّرَةٍ ... عنها إلى المُجْتَدَى ذى العُرْفِ والجود
إلى الفتى الماجدِ الفيّاضِ نَعرفهُ ... فى الناس ساعةَ يُخْلَى كلّ مردُود
منَ الأكارم أنْسَاباً إذا نُسِبُوا ... والحامِلِ الثِّقْل يومَ المغرَم الصِّيدِ
إنى أعِيذُكَ بالرحمنِ مِن نَفَرٍ ... حمر السِّبال كأُسْدِ الغابةِ السُّودِ
فُرسانُ شَيْبان لم نسمعْ بِمثلِهِم ... أبناءُ كلِّ كريم النَّجلِ صِنديدِ ٩٨٢/٢
شَدُّوا على ابنِ حُصينٍ فى كَتِيبَتِهِ ... فغادَرُوهُ صريعاً ليلةَ العِيدِ
وابنُ المجالِدِ أَرْدَتْهُ رِمَاحُهُمُ ... كأنما زَلَّ عن خَوصاءَ صَيْخُودِ
وكلُّ جَمعٍ برُوذابارَ كان لهمْ ... قد فُضَّ بالطَّعن بينَ النَّخلِ والبيدِ

فقال له: وَيْحَكَ! ماجئت إلا لتُرغّبنا. وقد كان شبيب أقبل من ساتيدما، فكتب مطرّف إلى الحجّاج:

أمّا بعد، فإنى أخبر الأميرَ أكرَمه الله أنّ شبيبًا قد أقبل نحونا، فإن رأى الأميرُ أن يُمِدّنى برجال أضبط بهم المَدائن فعَل، فإن المدائن بابُ الكوفة وحصنُها.

فبعث إليه الحجّاجُ بنُ يوسفَ سَبْرَة بن عبد الرحمن بن مِخنَف فى مائتين وعبد الله بنَ كنّاز فى مائتين ، وجاء شبيب فأقبل حتّى نزل قناطرَ حُذَيفة ، ثمّ جاء حتّى انتهى إلى كَلْوَاذا ، فعبَر منها دِجلة ، ثم أقبل حتى نزل مدينة بَهُرَسير ومطرّف بن المغيرة فى المدينة العتيقة الّتى فيها منزل كسْرى والقَصْر الأبيض ، فلمّا نزل شبيب بَهُرَسيرَ قطع مطرّف الجسر فيما بينه وبين شبيب ، وبعث إلى شبيب أن ابعثْ إلىّ رجالا من صُلَحاء أصحابك أدارِسْهم القرآن ، وأنظر ما تَدْعون إليه ، فبعث إليه رجالا ؛ منهم سويد بن سُليم وقعْنب والمحلّل بن وائل ، فلما أدنِيَ منهم المِعْبر وأرادوا أن يَنزِلوا فيه أرسَل إليهم شبيب ألّا تدخلوا السَّفينة حتّى يرجع إلىّ رسولى من عند مطرّف ، وبعث إلى مطرّف : أن ابعثْ إلىّ بعِدّة من أصحابك حتّى تردّ علىّ أصحابى ، فقال لرسوله : القَه فقل له : فكيف آمنُكَ على أصحابى إذا بعثتُهم الآن إليك ، وأنتَ لا تأمننى على أصحابك ! فأرسَلَ إليه شبيب : إنّك قد علمتَ أنّا لا نستحلّ فى دِيننا الغَدْر ، وأنتم تفعلونه وتهوّنونه . فسَرّح إليه مطرّف الربيعَ بنَ يزيدَ الأسدىّ ، وسليمان بن حُذَيفة بنَ هلال بن مالك المزَنىّ ، ويزيدَ بن أبى زياد مولى المغيرة — وكان على حرَس مطرّف — فلمّا وقعوا فى يديه بعث أصحابَه إليه .

٩٨٣/٢

قال أبو مِخنَف :

حدثنى النّضرُ بنُ صالح ، قال : كنت عند مطرّف بن المغيرةِ ابن شُعْبة فما أدرى أقال : إنى كنت فى الجنـد الّذين كانوا معه ، أو قال : كنت بإزائه حيث دخلتْ عليه رُسُلُ شبيب ! وكان لى ولأخى وَدًّا مكرمًا ، ولم يكن ليستر منّا شيئًا ، فدخلوا عليه وما عنده أحدٌ من الناس غيرى وغير أخى حلاّم بن صالح ، وهم ستّة ونحن ثلاثة ، وهم شاكُون فى السلاح ، ونحن ليس علينا إلا سيوفنا ، فلمّا دَنوا قال سُوَيد : السّلام على من خاف مقام ربه وعرفَ الهُدَى وأهلَه ، فقال له مطرّف : أجَلْ ، فسلّم الله على أولئك ، ثم جلس القومُ ، فقال لهم

٩٨٤/٢

مطرّف : قُصّوا علىّ أمرَكم ، وخبّرونى ما الّذى تَطلُبون ؟ وإلامَ تَدْعون ؟ فحَمِد الله سُويدُ بن سُليم وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ الذى نَدْعو إليه كتاب الله وسنّة محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وإنّ الذى نقمنا على قومنا الاستئثار بالفَىْء وتعطيل الحدود والتسلّط بالجبريّة . فقال لهم مطرّف : ما دعوتم إلا إلى حقّ ، ولا نقَمتم إلا جَوْرًا ظاهرًا ، أنا لكم على هذا مُتابع ، فتابِعونى إلى ما أدعوكم إليه ليجتمعَ أمرى وأمرُكم ، وتكون يدى وأيديكم واحدة ، فقالوا : هاتِ ، اذكر ما تريد أن تَذكُر ، فإن يكن ما تدعونا إليه حقًّا نُجِبْك ؛ قال : فإنى أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظَّلَمَةَ العاصين على إحداثهم الّذى أحدثوا[1] ، وأن ندعوَهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين ، يؤمّرون عليهم من يرضوْن لأنفسهم على مثل الحال التى تركهم عليها عمرُ بنُ الخطّاب ؛ فإنّ العرب إذا علمتْ أنّ ما يراد بالشورَى الرِّضا من قريش رَضُوا ، وكثُر تبعُكم منهم وأعوانُكم على عدوّكم ، وتمّ لكم هذا الأمر الّذى تريدون .

قال : فوَثَبوا مِن عنده ، وقالوا : هذا ما لا نجيبك إليه أبدًا ، فلمّا مَضَوْا فكادوا أن يخرجوا من صُفّة البيت التفت إليه سُويد بن سليم ، فقال : يابن المغيرة ، لوكان القوم عُدَاةً غُدُرًا كنتَ قد أمكنتَهم من نفسك ، ففَزِع لها مطرّف ، وقال : صدقتَ وإله موسى وعيسى . ٢/٩٨٥

قال : ورجعوا إلى شبيب فأخبروه بمَقالته ، فطَمع فيه ، وقال لهم : إنْ أصبحتم فليأتِه أحدُكم ؛ فلمّا أصبحوا بعث إليه سُويدًا وأمَرَه بأمره ، فجاء سُوَيد حتّى انتهى إلى باب مطرّف ، فكنتُ أنا المستأذِن له ، فلمّا دخل وجلس أردتُ أن أنصرفَ ، فقال لى مطرّف : اجلسْ فليس دونَك ستر ؛ فجلستُ وأنا يومئذ شابّ أغيَد ، فقال له سويد : مَن هذا الذى ليس لك دونَه ستْر ؟ فقال له : هذا الشّريف الحسيب ، هذا ابنُ مالك بنِ زُهير بنِ جَذِيمة ، فقال له : بَخٍ أكرمت فارتبِط ، إن كان دِينُه على

(١) ا ، س : « على أحداثهم التى أحدثوا » .

قدْر حسبه فهو الكامل ، ثم أقبل عليه فقال: إنَّا لقِينا أميرَ المؤمنين بالّذى ذكرتَ لنا ، فقال لنا : القَوْه فقولوا له : ألستَ تَعلَم أنّ اختيار المسلمين منهم خيرَهم لهم فيما يرون رأىٌ رشيد! فقد مضتْ به السنة بعدَ الرسول صلَّى الله عليه وسلّم ، فإذا قال لكم : نعم ، فقولوا له : فإنَّا قد اخترنا لأنفسنا أرضَانا فينا ، وأشدّنا اضطلاعًا لِمَا حُمِّل ، فما لم يغيِّر ولم يُبدّل فهو ولىٌّ أمرِنا . وقال لنا : قُولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلتَ: إنّ العرب ٩٨٦/٢ إذا علمتْ أنّكم إنّما تريدون بهذا الأمر قُرَيشًا[1] كان أكثر لتبعكم منهم ؛ فإنّ أهلَ الحقّ لا ينقُصُهم عند الله أن يقِلّوا ، ولا يزيد الظالمين خيرًا أن يَكثُروا ، وإن تركنا حقَّنا الّذى خرجْنا له، ودخولنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئةٌ وعَجزٌ ورُخصةٌ إلى نصر الظالمين ووَهْن ، لأنَّا لا نرى أنّ قريشًا أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب . وقال[2] : فإن زعم أنّهم أحقّ بهذا الأمر من غيرِها من العرب فقولوا له : ولِم ذَاك؟ فإن قال : لقرابة محمَّد صلَّى الله عليه وسلم بهم فقولوا[3] له : فوالله ما كان يَنبغِى إذًا لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأوّلين أن يتولّوا على أسْرة محمَّد ، ولا على ولد أبى لَهَب لو لم يبقَ غيرُهم ؛ ولولا أنّهم علموا أنّ خيرَ الناس عندَ الله أتقاهم ، وأنّ أوْلاهم بهذا الأمر أتْقاهم وأفضَلُهم فيهم ، وأشدّهم اضطلاعًا بحَمْل أمورهم ما تَولّوا أمور الناس ؛ ونحن أوّل مَن أنكر الظلم وغيَّر الجَوْر وقاتَل الأحزاب ، فإن اتَّبَعنا فله ما لنا وعليه ما علَينا ، وهو رجلٌ من المسلمين ، وإلا يفعلْ فهو كبعضِ من نُعادِى ونُقاتِل من المشركين .

فقال له مطرّف : قد فهمتُ ما ذكرتَ ، ارجع يومَك هذا حتَّى تنظرَ فى أمرنا .

فرجع ، ودعا مطرّف رجالاً من أهل ثِقاتِه وأهلِ نُصائحه ؛ منهم سليمانُ بنُ حذيفة المزَنىّ ، والرّبيع بنُ يزيدَ الأسَدىّ . قال النَّضر بن ٩٨٧/٢ صالح : وكنتُ أنا ويزيد بن أبى زياد مولَى المغيرة بن شُعْبة قائمَين على

---

(١) ب : « قريشاً » . (٢) ط : « فقال له » . (٣) ط : « فقل » .

رأسه بالسَّيف ،وكان على حرَسه ،فقال لهم مطرّفٌ: يا هؤلاء،إنّكم نُصَحائى وأهلُ مودّتى ومَن أثق بصلاحه وحسن رأيه ، والله ما زلتُ لأعمال هؤلاء الظَّلَمة كارهاً ، أنكرها بقلبى ، وأغيّرها ما استطعتُ بفعلى وأمرى ، فلمَّا عظمتْ خطيئتُهم ، ومرّ بى هؤلاء القومُ يجاهدونهم ، لم أرَ أنَّه يسعنى إلا مناهَضتَهم وخِلافَهم إنْ وجدتُ أعوانًا عليهم ، وإنى دعوتُ هؤلاء القومَ فقلت لهم كَيْتَ وكَيْت ، وقالوا لى كيتَ وكَيت ، فلستُ أرَى القتالَ معهم ، ولو تابعَونى على رأيى وعلى ما وصفتُ لهم لخلعتُ عبدَ الملك والحجَّاج ،ولسرْت إليهم أجاهدهم . فقال له المُزَنىّ: إنَّهم لن يُتابعوك ، وإنَّك لن تُتابعَهم فأخْفِ هذا الكلامَ ولا تُظهرْه لأحد ، وقال له الأسَدىّ مثل ذلك ، فَجثَا مولاه ابن أبى زياد على ركبتَيه ثمّ قال: والله لا يَخفَى ممَّا كان بينَك وبينَهم على الحجَّاج كلمة واحدة، وليُزادَنّ على كلّ كلمة عشرة أمثالها ، والله أن لو كنتَ فى السَّحاب هاربًا من الحجَّاج ليلتمسنّ أن يصل إليك حتَّى يُهلِكك[1] أنتَ ومَنْ معك؛ فالنَّجاءَ النجاء من مكانك هذا، فإنّ أهلَ المَدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب، وأهل عسكر شبيب يتحدّثون بما كان بينك وبين شبيب ، ولا تمس من يومك هذا حتَّى يَبْلُغَ الخبرُ الحجَّاج ؛ فاطلبْ دارًا غيرَ المَدائن . فقال له صاحباه: ما نَرَى الرأى إلا كما ذكرك[2]، قال لهما مطرّف : فما عندكما ؟ قالا : الإجابَة إلى ما دعوتَنا إليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجَّاج وغيره . قال : ثمّ نظر إلىّ، فقال: ما عندكَ ؟ فقلت : قتال عدوّك، والصَّبر معك ما صبرتَ ، فقال لى : ذاك الظَّنّ بك .

٢/٩٨٨

قال : ومكث حتَّى إذا كان فى اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له : إنْ تابعتَنا فأنتَ منَّا ، وإن أبيت فقد نابذْناك ، فقال: لا تَعجلوا اليومَ فإنَّا نَنظر .

قال : وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا اللَّيلةَ من عند آخركم حتَّى تُوفُوا الدَّسكرة معى لحدَث حدث هنالك .

---

(١) ب ، ف : « تهلك » . (٢) ب ، ف ، « ما قال » .

ثم أدلجَ وخرج أصحابُه معه حتّى مرَّ بدَيْر يَزْدَجِرد فنزله ، فلقيه قَبيصةُ بنُ عبد الرحمن القحافيّ من خَثْعم ، فدعاه إلى صُحبته ، فصَحبه فكَساه وحَمَلَه ، وأمَرَ له بنَفقة ، ثم سَارحتى نزل الدَّسكرة ، فلمَّا أراد أن يرتحل منها لم يجد بدًّا من أن يُعلِمَ أصحابَه ما يريد ، فجمع إليه رءوسَ أصحابِه ، فذكر الله بما هو أهلُه وصلَّى على رسوله ، ثم قال لهم : أمَّا بعد ، فإنّ الله كتب الجهاد على خَلْقه ، وأمر بالعدل والإحسان ، وقال فيما أنزَل علينا : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾(١) وإنى أشهِد الله أنى قد خلعتُ عبدَ الملك بنَ مروانَ والحجَّاجَ بن يوسفَ ، فمن أحبّ منكم صُحبتى وكان على مثل رأيى فليُتابعنى ، فإن له الأسوة وحُسن الصّحبة ، ومَن أبى فليذهب حيث شاء ، فإنى لست أحبّ أن يتّبعنى من ليست له نيَّة فى جهادِ أهلِ الجَوْر ، أدعوكم إلى كتابِ الله وسنَّة نبيِّه وإلى قِتال الظَّلمة ، فإذا جمع الله لنا أمرَنا كان هذا الأمرُ شُورَى بين المسلمين يرتَضون لأنفسهم مَن أحبُّوا .

٢/٩٨٩

قال : فوثَب إليه أصحابُه فبايعوه ، ثمّ إنَّه دخل رحلَه وبعث إلى سَبْرة بن عبد الرحمن بن مِخنَف وإلى عبد الله بن كنَّاز النَّهدىّ فاستخلاهما ، ودعاهما إلى مثل ما دعا إليه عامَّة أصحابه ، فأعطَياه الرّضَا ، فلمَّا ارْتَحَل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتَّى أتيَا الحجَّاج فوجداه قد نازَل شبيبًا ، فشهِدا معه وقعة شبيب . قال : وخرج مطرّف بأصحابه من الدَّسْكرة موجِّهًا نحو حُلْوان ، وقد كان الحجَّاج بعث فى تلك السنة سُويد بن عبد الرحمن السَّعدىّ على حُلوان وماسبذان ؛ فلمَّا بلَغه أنّ مطرّف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضِه عرَف أنَّه إن رَفَق فى أمره أو داهَن لا يَقبل ذلك منه الحجَّاج ، فجمع له سُويد أهلَ البلد والأكراد ، فأما الأكراد فأخذوا عليه ثَنيَّة حُلْوان ، وخرج إليه سُويد وهو يحبّ أن يَسلَم من قتاله ، وأن يُعافَى من الحجَّاج ، فكان خروجُه كالتعذير .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى عبدُ الله بنُ علقمة الخَثعمىّ أنّ

(١) سورة المائدة: ٢ .

الحجَّاج بن جارية الخَثعميّ حين سمع بخروج مطرّف من المدائن نحو الجبل أتْبعه فى نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرِهم . قال : وكنت فيهم فلحقْناه بحُلْوانَ ، فكنَّا ممَّن شهد معه قتال سُوَيد بنِ عبدِ الرحمن .

٩٩٠/٢

قال أبو مخنف : وحدثنى بذلك أيضًا النَّضْر .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى عبدُ الله بنُ علقمة . قال : ما هو إلا أن قَدِمنا على مطرّف بن المُغيرة ، فُسرَّ بمَقدَمنا عليه ، وأجلس الحجَّاج ابنَ جارية معه على مَجلِسه .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى النضرُ بن صالح ، وعبدُ الله بنُ علقمة ، أنّ سُويداً لمَّا خرج إليهم بمن معه وقف فى الرّجال ولم يخرج بهم من البُيوت ، وقدِم ابنهُ القَعقاع فى الخَيْل ، وما خيلُه يومئذ بكثير .

قال أبومِخنَف : قال النَّضر بنُ صالح : أراهم كانوا مائتين ، وقال ابنُعلقمة : أراهم كانوا يَنقصُون عن[1] الثلثمائة . قال: فدعا مطرّف الحجَّاج بنجارية فسرَّحه إليهم فى نحو منعِدّتهم[2] ، فأقبَلوا نحوَ القَعْقاع وهم جادّون فى قتاله ، وهم فرسان متعالِمون ، فلمَّا رآهم سُويد قد تيسَّروا[3] نحوَ ابنهِ أرسَلإليهم غلامًا له يقالله رُستَم — قُتل معه بعد ذلك بدَيْر الجَماجم — وفى يده رايةُ بنى سعد ، فانطلق غلامُه حتَّى انتهَى إلى الحجَّاج بن جارية ، فأسرَّ إليه : إن كنتم تريدون الخروجَ من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنَّا ، فإنَّا لا نريد قتالَكم ، وإن كنتم إيَّانا تريدون فلا بدّ من مَنْع ما فى أيدينا . فلمَّا جاءه بذلك قال له الحجَّاج بنُ جارية : ائتِ أميرَنا فاذكرْ له ما ذكرتَ لى ، فخرج حتى أتى مطرّفاً فذَكر له مِثل الَّذى ذَكر للحجَّاج بن جارية ، فقال له مطرّف : ما أريدكم ولا بلادَكم ، فقال له : فالزمْ هذا الطريقَ حتَّى تَخرُج من بلادنا ، فإنَّا لا نجد بدًّا من أن يرَى الناسُ وتَسمع بذلك أنَّا قد خرجْنا إليك . قال : فبعث مطرّف إلى الحجَّاج فأتاه ، ولَزموا الطريقَ حتى مرّوا بالثّنيَّة فإذا الأكرادُ بها ، فنزل مطرّف ونزل معه عامَّة أصحابه

٩٩١/٢

(١) كذا فى ا ، وفى ط : «من» . (٢) ا : «عددهم» . (٣) ا ، س : «سيلوا» .

وصَعِد إليهم فى الجانب الأيمن الحجَّاجُ بنُ جارية،وفى الجانب[1]الأيسر سليمانُ بنُ حُذَيفة ، فهزَمَاهم[2] وقَتَلاهم ، وسلم مطرِّف وأصحابُه فمضَوا حتَّى دنَوْا من هَمَذَان، فتركَها وأخذَ ذاتَ اليسار إلى ماه دينار ، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على هَمَذان ، فكَرِه أن يدخلَها فيُتَّهمَ أخوه عند الحجَّاج ، فلمَّا دخل مطرِّف أرضَ ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة :

أمَّا بعد ، فإن النَّفقة قد كَثُرت والمؤنة قد اشتدَّت ، فأمدِد أخاك بما قدَرتَ عليه من مال وسلاح .

وبعث إليه يزيدَ بن أبى زياد مولى المغيرة بن شُعبة، فجاء حتَّى دخل على حمزةَ بكتاب مطرِّف ليلاً ، فلمَّا رآه قال له : ثكلتك أمُّك! أنت قتلتَ مطرِّفاً ؟ فقال له : ما أنا قتلتُه جُعلتُ فداك ! ولكنَّ مطرِّفًا قتل نفسَه وقتلَنى ، وليتَه لا يقتلُك ، فقال له : وَيْحَك ! مَن سوَّل له هذا الأمر ! فقال : نفسُه سوّلتْ هذا[3] له. ثمّ جلس إليه فقصّ عليه القصص ، وأخبَرَه بالخبر ، ودفع كتابَ مطرِّف إليه ، فقرأه ثمّ قال : نعم ، وأنا باعثٌ إليه بمال وسلاح ، ولكن أخبرنى تَرَى ذلك يَخفَى لى ؟ قال : ما أظنّ أن يخفى ، فقال له حمزة : فوالله لئن أنا خذلته فى أنفع النَّصرَين له نصر العلانية ، لا أخذلُه فى أيسر النَّصْرين نصر السَّريرة . قال : فسرّح إليه مع يزيد بن أبى زياد بمال وسلاح ، فأقبل به حتَّى أتى مطرِّفًا ونحن نزولٌ فى رُسْتاق من رَساتيق ماه دينار ، يقال له : سامان مُتاخِم أرضَ أصبهان ، وهو رُسْتان كانت الحمراءُ تَنزِله . ٩٩٢/٢

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى النّضرُ بنُ صالح ،قال: والله ماهو إلاّ أن مضى يزيدُ بنُ أبى زياد ، فسمعتُ أهلَ العسكر يتحدّثون أنّ الأمير بَعث إلى أخيه يسأله النفقة والسلاح ، فأتيتُ مطرِّفًا فحدّثته بذلك ، فضرب بيده على جَبهته ثمّ قال: سبحان الله ! قال الأوّلُ: ما يخفى إلا مالا يكون[4]،

(١) ب ، ف : « فى الجانب » . (٢) س : « فهزموهم » .
(٣) ب ، س : « له هذا » . (٤) كذا فى ا ، ونحو الصواب ، وفى ط : « قال » .

قال : وما هو إلا أن قدم يزيدُ بن أبي زياد علينا . فسار مطرّف بأصحابه حتى نزل قُمّ وقاشان وأصبهان.

قال أبو مخنف : فحدّثني عبدُالله بنُ علقمة أنّ مطرّفًا حين نزل قُمّ وقاشانَ واطمأنّ ، دعا الحجّاج بن جارية فقال له: حدّثني عن هزيمة شبيب يومَ السَّبخة أكانت وأنتَ شاهدَها ، أم كنتَ خرجتَ قبل الوقْعة ؟ قال: لا ، بل شهدتُها[1] ؛ قال : فحدّثني حديثَهم كيف كان ؟ فحدّثه ، فقال : إني كنتُ أحبّ أن يَظفَر شبيب وإن كان ضالًّا فيقتل ضالًّا . قال : فظننت أنه تمنى ذلك لأنه كان يرجو أن يتمّ له الذى يَطلُب لو هلك الحجّاج . قال: ثمّ إنّ مطرّفاً بعث عمّاله .

قال أبو مخنف : فحدثني النّضرُ بنُ صالح أنّ مطرّفًا عمل عملا حازمًا لولا أنّ الأقدار غالبة . قال : كتب[2] مع الرّبيع بن يزيد إلى سُويد ابن سرحانَ الثقفيّ ، وإلى بكير بن هارونَ البَجَليّ : ٩٩٣/٢

أما بعد . فإنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، وإلى جهاد مَنْ عَنَدَ عن الحقّ ، واستأثر بالفَيء ، وترك حُكم الكتاب ، فإذا ظهر الحق ودُمِغ الباطل ، وكانت كلمةُ الله هي العليا ، جعلْنا هذا الأمرَ شُورَى بين الأمة يرتضي المسلمون لأنفسهم الرضا ، فمَن قَبِل هذا منّا كان أخانا في ديننا ، ووليّنا في محيانا ومماتنا ، ومَن ردّ ذلك علينا جاهدْناه واستنصرْنا اللهَ عليه فكَفَى بنا عليه حجة ، وكفى بتركه الجهادَ في سبيل الله غَبْنًا ، وبمُداهنة الظالمين في أمر الله وَهْنًا ! إن الله كتب القتال على المسلمين وسماه كُرْهًا ، ولن يُنالَ رضوانُ الله إلا بالصّبر على أمر الله ، وجهادِ أعداء الله ، فأجيبوا رحمَكم الله إلى الحقّ ، وادعوا إليه مَن ترجون إجابتَه ، وعرّفوه ما لا يَعرفه ، وليقْبِل إليّ كلُّ من رأى رأينا ، وأجاب دعوتَنا ، ورأى عدوّه عدوّنا . أرشدنا الله وإياكم ، وتاب علينا وعليكم ، إنه هو التّواب الرحيم . والسلام .

---

(١) ب ، ف : « شاهدتها » . (٢) ب ، ف : « وكتب » .

فلما قَدِم الكتابُ على ذَيْنك الرجلين دَبَّا فى رجال من أهل الرىّ ودَعَوا من تابعَهما ، ثم خرجا فى نحو من مائة من أهل الرَّى سرًّا لا يُفطَن[1] بهم ، فجاءوا حتى وافوا مطرِّفاً . وكتب البراءُ بن قبيصة ، وهو عامل الحجّاج على أصبهانَ :

٢/٩٩٤

أما بعد ، فإن كان للأمير أصلحه الله حاجةٌ فى أصبهانَ فليبعث إلى مطرِّف جيشًا كثيفًا يستأصله ومن معه ، فإنه لا تزال عصابة قد انتفحتْ له من بلدة من البلدان حتى تُوافيَه[2] بمكانه الذى هو به ، فإنه قد استكثَف وكَثُر تبَعه ، والسلام .

فكتب إليه الحجّاج :

أما بعد ، إذا أتاك رسولى[3] فعَسْكِرْ بمن معك ، فإذا مرّ بك عَدِىّ ابن وتّاد فاخرج معه فى أصحابك ، واسمع له وأطِع . والسلام .

فلما قرأ كتابَه خرج فعسكَر ، وجعل الحجاج بن يوسف يسرِّح إلى البراء بن قَبيصة الرِّجالَ على دوابّ البريد[4] عشرين عشرين ، وخمسة عشر خمسةَ عشر ، وعشرة عشرة ، حتى سرّح اليه نحوًا من خمسمائة ، وكان فى ألفين . وكان الأسوَد بن سعد الهمذانى[5] أتى الرَّىّ فى فتح الله على الحجّاج يومَ لَقِى شبيباً بالسَّبَخة ، فمرّ بهَمَذان والجبال ، ودخل على حمزةَ فاعتذر إليه ، فقال الأسوَد : فأبلغت الحجّاج عن حمزة ، فقال : قد بلغنى ذاك ، وأراد عزلَه ، فخشى أن يَمكر به ، وأن يمتنع منه ، فبعث إلى قيس بن سعد العِجْلىّ — وهو يومئذ على شُرْطة[6] حمزة بن المغيرة ولبنى عِجْل ورَبيعةَ عددٌ بهَمَذان — فبعث إلى قيس بن سعد بعَهْده على هَمَذان ، وكتب إليه أن أوثِقْ حمزةَ ابن المغيرة فى الحديد[7] ، واحبسْه قِبَلك حتى يأتيَك أمرى .

٢/٩٩٥

فلما أتاه عهده وأمرُه أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير ، فلما دخل المسجد وافق الإقامة لصلاة العصر ، فصلّى حمزة[8] ، فلما انصرف حمزة انصرف معه

---

(١) ب ، ف : « فقطن » .
(٢) ب : « يوافيه » .
(٣) ب : ف : « كتابى ورسولى » .
(٤) ب : « البرد » .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط : « الهمدانى » .
(٦) ب ، ف : « شرط » .
(٧) ب ، ف : « بالحديد » .
(٨) ا : « وصلى مع حمزة » .

قيس بن سعد العجلىّ صاحب شُرَطه ، فأقرأه كتابَ الحجّاج إليه ، وأراه عهدَه ، فقال حمزة . سمعًا وطاعة؛ فأوثقه وحبَسه فى السجن ، وتولى أمر هَمَذان، وبعث عمّاله عليها ، وجعل عماله كلهم من قومه ؛ وكتب إلى الحجاج :

أما بعد ، فإنى أخبِر الأميرَ أصلحه الله ، أنى قد شددتُ حمزةَ بنَ المغيرة فى الحديد ، وحبَسْته فى السجن ، وبعثتُ عمّالى على الخرَاج ، ووضعتُ يدى فى الجِباية ، فإن رأى الأميرُ أبقاه الله أن يأذَن لى فى المَسير إلى مطرّف أذن لى حتى أجاهدَه فى قومى، ومن أطاعَنى من أهل بلادى؛ فإنى أرجو أن يكون الجهادُ أعظمَ أجراً من جباية الخرَاج . والسلام .

فلما قرأ الحجاج كتابَه ضَحِك ثمّ قال : هذا جانب آمِنٌ ممّا قد أمّناه . وقد كان حمزة بهَمَذَان أثقَل ما خلق الله على الحجّاج مخافة أن يمدّ أخاه بالسلاح والمال ، ولا يدرى لعله يبدو له فيعقّ ، فلم يزل يكيدُه حتى عزله؛ فاطمأنّ وقصد قصْد مطرّف .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى مطرّف بن عامر بن واثلة أنّ الحجاج لما قرأ كتابَ قيس بنِ سعد العِجْلىّ وسمع قولَه : إنْ أحبَّ الأميرُ سرت إليه حتى أجاهدَه فى قومى ، قال : ما أبغض إلىّ أن تكثُر العربُ فى أرض الخرَاج . قال : فقال لى ابن الغرق : ما هو إلا أن سمعتها من الحجّاج فعلمتُ أنه لو قد فرَغ له قد عزَله . ٢/٩٩٦

قال : وحدّثنى النّضر بن صالح أنّ الحجاج كتب إلى عدىّ بن وتّاد الإيادىّ وهو على الرّىّ يأمره بالمسير إلى مطرّف بن المغيرة وبالممرّ على البرَاء ابن قبيصَة ، فإذا اجتمعوا فهو أميرُ الناس .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى أبى عن عبدالله بن زهير ، عن عبدِالله بن سُلَيم الأزْدىّ ، قال : إنّى لَجالسٌ مع عدىّ بن وتّاد على مجلسه بالرّىّ إذ أتاه كتاب الحجّاج ، فقرأه ثمّ دفعه إلىّ ، فقرأته فإذا فيه :

أما بعد ، فإذا قرأتَ كتابى هذا فانهض بثلاثة أرباعِ مَن معك من أهل الرّىّ ، ثمّ أقبِل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصَة بجَىّ ، ثم سيرَا جميعًا ، فإذا

لقيتهما فأنتَ أمير الناس حتى يَقتل الله مطرّفاً ، فإذا كَفَى الله المؤمنينَ مؤُنتَه فانصرف إلى عملك فى كَنَف من الله وكلاءتِه وستره . فلما قرأتهُ قال لى : قمْ وتجهزْ .

قال : وخرج فعسكَرَ ، ودعا الكتّاب فضَرَبوا البَعْث على ثلاثة أرباع الناس ، فما مضت جُمُعة حتى سرنا فانتهينا إلى جَىّ ، ويُوافينا بها قبَيصة القُحافىّ فى تسعمائة من أهل الشأم ، فيهم عُمر بنُ هُبيرة ، قال : ولم نلبث بجَىّ إلا يومين حتى نهض عدىّ بن وتّاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مُقاتِل من أهل الرّىّ وألف مُقاتِل مع البرَاء بن قبيصة بعثهم إليه الحجّاج من الكوفة ، وسبعمائة من أهل الشأم ، ونحو ألف رجل من أهل أصبَهان والأكراد ، فكان فى قريب من ستة آلاف مُقاتِل ، ثمّ أقبلَ حتى دخل على مطرّف بن المغيرة .

٩٩٧/٢

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى النّضر بنُ صالح ، عن عبد الله بن علقمة ، أن مطرّفًا لما بلغه مسيرُهم إليه خنَدَق على أصحابه خنْدقاً ، فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه .

قال أبو مِخنَف : وحدّثنى يزيدُ مولى عبد الله بن زهير ، قال : كنتُ مع مولاى إذ ذاك ؛ قال : خرج عدىّ بن وتّاد فعبّى الناسَ ، فجعل على ميمنتِه عبدَالله بنَ زهير ، ثمّ قال للبرَاء بن قبيصة : قُمْ فى الميسرَة ، فغَضب البراء ، وقال : تأمرنى بالوقوف فى الميسرة وأنا أمير مِثلك! تلك خَيْلى فى الميسرة ، وقد بعثتُ عليها فارسَ مُضَرَ الطُّفَيل بن عامر بن واثلة ؛ قال : فأنْهِىَ ذلك إلى عدىّ بن وتّاد ، فقال لابن أقيصر الخثعمىّ : انطلِق فأنت على الخيل ، وانطلِق إلى البرَاءِ بن قبيصة فقل له : إنك قد أمِرت بطاعتى ، ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرّجالة فى شىء ، إنما عليك أن تؤمَر فتُطيع ، ولا تَعرض لى فى شىء أكرهه فأتنكّر لك — وقد كان له مُكرِمًا .

ثمّ إنّ عديًّا بعث على الميسرة عمرَ بنَ هبيرة ، وبعثه فى مائة من أهل الشأم ، فجاء حتى وقف برايته ، فقال رجل من أصحابه للطُّفيل بن عامر :

خَلِّ رايتَك وتَنحَّ عنّا، فإنما نحن أصحابُ هذا الموقف ؛ فقال الطُّفَيل: إنّى لا أخاصمكم، إنما عقد لى هذه الراية البَراء بنُ قبيصة ، وهو أميرُنا ، وقد علمْنا أنّ صاحبَكم على جماعة الناس ، فإن كان قد عَقَد لصاحبكم هذا فبارَكَ الله له، ما أسمَعَنا وأطوَعنا! فقال لهم عمرُ بنُ هبيرة: مهلا ، كُفّوا عن أخيكم وابنِ عمِّكم، رايتنا رايتك ، فإن شئتَ آثرْناك بها . قال : فما رأينا رجلَين كانا أحلمَ منهما فى موقفهما ذلك. قال : ونزل عدىّ بن وتّاد ثمّ زحف نحو مطرّف.

٢/٩٩٨

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى النَّضر بنُ صالح وعبدُ الله بنُ علقمة أنّ مطرّفاً بعث على ميمنته الحجّاج بنَ جارية ، وعلى ميسرته الرّبيع بن يزيدَ الأسدىّ، وعلى الحامية سليمان بن صخر المُزَنىّ[1]، ونزل هو يمشى فى الرّجال، ورأيته مع يزيد بن أبى زياد مولَى أبيه المغيرة بن شُعبة . قال : فلما زحف القوم بعضهم إلى بعض وتدانَوْا قال لبكير بن هارونَ البَجَلىّ : اخرُج إليهم فادعهم إلى كتاب الله وسُنة نبيه ، وبكّتْهم بأعمالهم الخبيثة . فخرج إليهم بكير بن هارونَ على فرس له أدهمَ أقرح ذنوب عليه الدِّرع والمغفَر والساعدان ، فى يده الرمح، وقد شدّ درعَه بعصابة حَمراءَ من حواشى البُرود ، فنادى بصوت له عالٍ رفيع : يا أهلَ قِبلتنا، وأهلَ مِلّتنا، وأهلَ دعوتِنا ، إنا نسألكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى علمه بما تُسرّون مثل علمه بما تُعلنون لمّا أنصفتمُونا وصدَقْتمونا، وكانت نَصيحتُكم لله لا لخَلقه، وكنتم شهداءَ لله على عباده بما يعلَمُه الله من عباده . خبّرونى عن عبد الملك بن مروان . وعن الحجّاج بن يوسف، ألستم تعلمونهما جبّارَيْن مستأثرَيْن يتّبعان الهوَى، فيأخذان بالظِّنّة ، ويَقتُلان على الغَضَب . قال: فتنادَوْا من كل جانب: ياعدوّ الله كذبتَ، ليسا كذلك، فقال لهم: ويْلكم ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[2] ويْلكم ، أوَ تعلمون من الله ما لا يعلم، إنى قد استشهدتكم وقد قال الله فى الشهادة: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [3].

٢/٩٩٩

(١) ا : « المرّى » . (٢) سورة طه:٦١ . (٣) سورة البقرة:٢٨٣ .

فخرج إليه صارمٌ مولَى عدىّ بن وتّاد وصاحب رايته، فحمل على بُكَير ابن هارونَ البجَلىّ ، فاضطرَبا بسيفَيهما ، فلم تعمل ضربةُ مولَى عدىّ شيئًا ، وضربه بكير بالسيف فقتَله ، ثمّ استقدم، فقال : فارس لفارس، فلم يخرج إليه أحدٌ ، فجعل يقول :

صَارِمُ قَدْ لَاقَيْتَ سَيْفاً صَارِمَا وأَسَدًا ذا لِبْدَةٍ ضُبَارِمَا[1]

قال : ثمّ إنّ الحجّاج بن جارية حَمل وهو فى الميمنة على عُمر بنِ هبيرةَ وهو فى الميسرة ، وفيها الطُّفَيل بن عامر بن واثلة، فالتقى هو والطُّفيل — وكانا صديقَين متؤاخِيَيْن — فتعارَفا ، وقد رفَع كُلّ واحد منهما السيفَ على صاحبه ، فكفَّا أيديَهما ، واقتتلوا طويلا . ثمّ إنّ ميسرةَ عدىّ بن وتّاد زالت غيرَ بعيد ، وانصرف الحجاج بنُ جارية إلى موقفه . ثمّ إن الربيع بنَ يزيد حَمَل على عبد الله بن زُهير ، فاقتتلوا طويلا ، ثمّ إن جماعة النـــاس حملتْ على الأسَدِىّ فقتلتْه ، وانكشفتْ ميسرةُ مطرّف ابن المغيرة حتى انتهت إليه . ثمّ إنّ عمرَ بنَ هُبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتَلَه قتالا طويلا ، ثمّ إنه حدّره حتى انتهى إلى مطرّف ، وحمل ابن أقيصر الخثعمىّ فى الخَيْل على سليمان بن صخر المُزَنىّ فقتَله ، وانكشفت خيلُهم، حتى انتهى إلى مطرّف ، فثَمّ اقتتلتْ الفرسان أشدّ قتال رآه الناس قطّ ، ثمّ إنه وصل إلى مطرّف .

٢/١٠٠٠

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى النَّضْر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2] .

قال : ولم يزل يقاتل حتى قُتل، واحتزّ رأسَه عُمر بنُ هبيرة ، وذكر أنه قتله ، وقد كان أسرع إليه غيرُ واحد ، غير أنّ ابن هُبيرة احتزّ رأسه وأوفده

(١) الضبارم : الشديد الخلق من الأسد . (٢) سورة آل عمران: ٦٤ .

إلى عدىّ بن وتّاد وحظىَ به ، وقاتل عُمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاءً حسناً .

قال أبو مخنف : وقد حدّثني حكيم بن أبى سفيان الأزدىّ أنه قتل يزيد بن زيادٍ مولى المغيرة بن شعبة ، وكان صاحب راية مطرّف . قال : ودخلوا عسكر مطرّف ، وكان مطرّف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدىّ ، فقتِل ، وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً .

أبو مخنف : حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمىّ ، فما ملكتُ نفسى أن قلت له : أما والله لقد قتلتَه من المصلّين العابدين الذاكرين الله كثيراً . قال : فأقبل نحوى وقال : منْ أنت ؟ فقال له مولاى : هذا غلامى ما له؟ قال : فأخبره بمقالتى ؛ فقال : إنه ضعيف العقل ؛ قال : ثم انصرفنا إلى الرّىّ مع عدى بن وتاد . قال : وبعث رجالا من أهلِ البلاء إلى الحجّاج ، فأكرمهم وأحسن إليهم . قال : ولما رجع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدىّ بن وتّاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فآمنه ، وطلبت ثقيف لسُويد بن سرحان الثقفىّ الأمان فآمنه ، وطلبت فى كلّ رجل كان مع مطرّف عشيرتُه ، فآمنهم وأحسن فى ذلك ، وقد كان رجال من أصحاب مطرّف أحيط بهم فى عسكر مطرف ، فنادوا : يابرّاء ، خذ لَنا الأمان ، يا براء ، اشفَع لنا . فشَفَع لهم ، فتُرِكوا ، وأسَر عدىّ ناساً كثيراً فخلّى عنهم .

١٠٠١/٢

قال أبو مخنف : وحدثني النّضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بحلوان ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة .

قال أبو مِخنَف : وحدّثني عبدُ الله بن علقمة أنّ الحجّاج بن جارية الخَثْعمىّ أتى الرىّ وكان مكْتَتَبُه بها ، فطُلب إلى عدىّ فيه ، فقال : هذا رجلٌ مشهور قد شُهِر مع صاحبه ، وهذا كتابُ الحجاج إلىّ فيه .

قال أبو مِخنَف : فحدّثني أبى عن عبد الله بن زُهير ، قال : كنت فيمن كلمه فى الحجّاج بن جارية ، فأخرج إلينا كتابَ الحجّاج بن يوسف :

أما بعد: فإن كان الله قتلَ الحجّاجَ بن جارية فبُعْداً له . فذاك ما أهوَى وأحِبّ ؛ وإن كان حيًّا فاطلبه قبَلَك حتى توثِقَه ، ثمّ سَرِّح به إليّ إن شاء الله . والسلام . ١٠٠٢/٢

قال : فقال لنا : قد كُتِب إليّ فيه ، ولا بدّ من السمع والطاعة ، ولو لم يُكتَب إليّ فيه آمنته لكم ، وكففتُ عنه فلم أطلبْه . وقمنا من عنده . قال : فلم يزل الحجّاج بن جارية خائفًا حتى عُزِل عديّ بن وتّاد ، وقدم خالد ابن عتّاب بن ورْقاء ، فمشيتُ إليه فيه ، فكلّمته فآمنه . وقال حبيب بن خِدْرَة مولى لبني هلال بن عامر :

هل أتى فائدَ عن أيسارِنا ... إذ خَشِينَا مِنْ عَدُوٍّ خرُقَا
إذ أتانا الخَوْفُ من مأْمَنِنا[1] ... فَطَوينا في سَوادٍ أُفُقَا
وسَلِي هَدْيَةَ يَوْمًا هل رَأَتْ ... بشَرًا أكرَمَ منَّا خُلُقا !
وسَليها أعَلَى العهدِ لنا ... أو يُصِرُّونَ علينا حَنَقَا !
ولكَمْ من خُلَّة من قَبلِها ... قَدْ صَرَمْنَا حَبلَهَا فانطَلَقَا
قَدْ أَصَبْنَا العَيْشَ عَيْشًا ناعمًا ... وأَصَبْنَا الْعَيْشَ عَيْشًا رَنَقَا
وأَصبْتُ الدَّهْرَ دهرًا أشْتَهِي ... طبَقًا منه وأَلوى طبَقَا
وشَهِدْتُ الخيل في مَلْمُومَةٍ ... ما ترى منهنَّ إلا الحَدَقَا
يَتَسَاقَوْنَ بأَطرافِ القَنَا ... من نَجيعِ الموتِ كأْسًا دَهِقا
فطِرادُ الخيلِ قد يُؤْنِقُني ... ويردُّ اللهْوُ عني الأَنَقَا
بمُشيح البَيْض حتَّى يَتركوا ... لسُيوفِ الهِنْد فيها طُرُقَا
فكأَنِّي من غدٍ وافقتها ... مثل ما وافَقَ شَنٌّ طَبَقَا ١٠٠٣/٢

* * *

[ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب

---

(١) ا : « هل أتانا الخوف » ، وسقط البيت الأول .

قَطَرِىَّ بن الفُجاءة ، فخالفه بعضهم واعتزلَه ، وبايع عبد ربّه[١] الكبير ، وأقام بعضُهم على بيعة قطرىّ .

* ذكر الخبر عن ذلك ، وعن السبب الذى من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك :

ذكر هشامٌ عن أبى مِخنَف ، عن يوسف بن يزيد ، أنّ المهلّب أقام بسابورَ فقاتلَ قَطَرِيًّا وأصحابه من الأزارقة بعد ماصرف الحجّاج عتابَ بن وَرْقاء عن عسكره نحواً من سنة . ثمّ إنه زاحفَهم يوم البُسْتان فقاتلَهم قتالا شديداً ، وكانت كِرْمانُ فى أيدى الخوارج ، وفارس فى يد المهلّب . فكان قد ضاق عليهم مكانُهم الذى هم به ، لا يأتيهم من فارس مادّة . وبَعُدَتْ[١] ديارهم عنهم ، فخرجوا حتى أتوا كرمانَ وتبعهم المهلب حتى نزل بجِيرَفْتَ — وجيرفْتُ مدينة كرمان — فقاتلَهم بها أكثر من سنة قتالا شديداً ، وحازهم عن فارسَ كلها ، فلما صارت فارسُ كلُّها فى يدى المهلب بعث الحجّاج عليها عمّالَه وأخذها من المهلّب ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إلى الحجّاج :

أما بعد ، فدَعْ بيَدِ المهلّب خراجَ جبالِ فارسَ ، فإنه لا بد للجيش من قوّة ، ولصاحب الجيش من معونة ، ودعْ له كُورَةَ فَسَاوَدَرَابجِرْدَ . وكورةِ إصْطَخْر .

فتركَها للمهلّب ، فبعث المهلّب عليها عمّالَه ، فكانت له قوّةً على عدّوه وما يصلحه ، ففى ذلك يقول شاعرُ الأزْد وهو يعاتِب المهلب :

نقاتِلُ عن قُصورِ دَرَابَجِرد ونَجْبِى للمُغيرَةِ والرُّقَادِ

وكان الرُّقاد بنُ زياد بن همّام — رجل من العَتيك — كريمًا على المهلّب ، وبعث الحجاج إلى المهلب البراءَ بنَ قبيصة ، وكتب إلى المهلب :

أما بعد ، فإنك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمتَ هذه الخارجة المارقةَ ، ولكنّك تحبّ طول بقائهم لتأكل الأرضَ حولَك ، وقد بعثتُ إليك البراء بن

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « عبد رب » . (٢) ا ، ط ، « بعد » ، وأثبت ما فى ب ، ف .

قبيصة ليُنهضك إليهم ، فانهض إليهم إذا قَدِم عليك بجميع المسلمين ، ثمّ جاهدهم أشدّ الجهاد ، وإيّاك والعِلَلَ والأباطيلَ ، والأمورَ التى ليست لك عندى بسائغة ولا جائزة ؛ والسلام .

فأخرَج المهلب بنيه ؛ كلٌّ ابن له فى كتيبة ،وأخرج الناسَ على راياتهم ومَصافِّهمْ وأخماسهم، وجاء البَرَاء بن قبيصة فوقف على تل قريب منهم حيث يراهم . فأخذتْ الكتائبُ تحمل على الكتائب ، والرّجالُ على الرجال ، فيقتتلون أشدّ(١) قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار ، ثم انصرفوا. فجاء البَرَاء بنُ قبيصةَ إلى المهلب فقال له : لا والله ما رأيت كبَنيك فُرساناً قطّ ، ولا كفُرسانك من العرب فُرساناً قطّ ، ولا رأيت مثلَ قوم يقاتلونك قطّ أصبرَ ولا أبأسَ ، أنتَ والله المعذور . فرجع بالناس المهلّب ، حتى إذا كان عند العصر خرج إليهم بالناس وبنيه فى كتائبهم ، فقاتلوه كقتالهم فى أول مرّة .

قال أبو مخنَف : وحدّثنى أبو المغلّس الكنانىّ ، عن عمه أبى طلحة ، قال : خرجت كتيبةٌ من كتائبهم لكتيبة من كتائبنا ، فاشتدّ بينهما القتال ، فأخذتْ كلٌّ واحدة منهما لا تصُدّ عن الأخرى ، فاقتتلتا حتى حجزَ الليلُ بينهما ، فقالت إحداهما للأخرى : ممن أنتم ؟ فقال هؤلاء : نحن من بنى تميم ؛ وقال هؤلاء : نحن من بنى تميم ؛ فانصرفوا عند المساء ، قال المهلّب للبراء : كيف رأيت ؟ قال : رأيتُ قوماً والله ما يعينك عليهم إلاّ الله . فأحسنَ إلى البراء بن قبيصة وأجازه ، وحملَه وكساه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثمّ انصرف إلى الحجاج فأتاه بعذر المهلّب ، وأخبره بما رأى ، وكتب المهلّب إلى الحجّاج :

أما بعد ، فقد أتانى كتابُ الأمير أصلحه الله ، واتهامه إيّاى فى هذه الخارجة المارقة ، وأمرنى الأميرُ بالنهوض إليهم ، وإشهادِ رسوله ذلك ؛ وقد فعلت ؛ فليسألْه عما رأى ، فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم و إزالتهم عن مكانهم ثمّ أمسكتُ عن ذلك لقد غششتُ المسلمين ، وما وفَيتُ

(١) بعدها فى ب ، ف : « وأعظم » .

لأمير المؤمنين، ولا نصحتُ للأمير [1] ــ أصلحه الله ــ فمعاذ الله أن يكون هذا من رأيى ، ولا مما أدين اللهَ به ، والسلام .

ثمّ إنّ المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقلّ منهم شيئًا ، ولا يرى فى موطن يُنْقِعون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يَرْدَعونهم به ويَكفّونهم عنهم .

ثمّ إنّ رجلاً منهم كان عاملا لقَطَرىّ على ناحية من كِرْمان خرج فى سَريّة لهم يُدعىَ المُقَعْطَرَ من بنى ضَبَّة، فقَتَل رجلا قد كان ذا بأس من الخوارج ، ودخل منهم فى ولاية ، فقتله المُقَعْطَرُ ، فوثَبت الخوارج إلى قَطَرىّ ، فذكروا له ذلك، وقالوا: أمْكِنّا من الضّبىّ نقتله بصاحبنا، فقال لهم: ما أرى أن أفعل ؛ رجلٌ تأوّل فأخطأ فى التأويل ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوِى الفضل منكم ، والسابقة فيكم ، قالوا : بلى ؛ قال لهم : لا ، فوقع الاختلاف بينهم ، فولّوا عبدَ ربّه الكبير ، وخلعوا قَطَريًّا ، وبايع قطريًّا منهم عصابةٌ نحواً من ربعهم أو خمسهم ، فقاتلهم نحواً من شهر غُدوةً وعَشية .

فكتب بذلك المهلّبُ إلى الحجّاج :

أما بعد ، فإن الله قد ألقى بأسَ الخوارج بينهم ، فخلع عظمهُم قطريًّا وبايعوا عبد ربّ ، وبقيت عصابة منهم مع قطرىّ ، فهم يقاتل بعضهم بعضًا غُدُوًّا وعشيًّا ، وقد رجوتُ أن يكونَ ذلك من أمرهم سبب هلاكهم ١٠٠٧/٢ إن شاء الله ؛ والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد فقد بلغنى كتابُك تَذكر فيه اختلافَ الخوارج بينها ، فإذا أتاك كتابى هذا فناهِضْهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا ، فتكونَ مئُونتهم عليك أشدّ ، والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغنى كتابُ الأمير ، وكلّ ما فيه قد فهمتُ ، ولستُ أرى أن أقاتلهم ما داموا يَقتلُ بعضُهم بعضًا ، وينقص بعضُهم عَدَدَ بعض ، فإن تموا على ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهُم ، وإن اجتمَعوا لم

---

(١) ا : « الأمير » .

يجتمعوا إلا وقد رقّق بعضُهم بعضًا ، فأناهِضُهم على تفيئة[1] ذلك ، وهم أهوَن ما كانوا وأضعَفُه شوكةً ، إن شاء الله ، والسلام .

فكفّ عنه الحجّاج ، وتركهم المهلب يقتتلون شهراً لا يحرّكهم .

ثمّ إنّ قَطَريًّا خرج بمن اتبعه نحو طَبَرستانَ ، وبايع عامّتهم عبد ربّه الكبير ، فنهض إليهم المهلّب ، فقاتلوه قتالا شديداً . ثمّ إنّ الله قتلهم فلم ينجُ منهم إلاّ قليل ، وأخذ عسكرهم وما فيه وسُبُوا ، لأنهم كانوا يَسبون المسلمين . وقال كعبٌ الأشقريّ — والأشقَر بطنٌ من الأزد — يذكر يومَ رامَهُرْمُز ، وأيام سابورَ ، وأيام جِيرَفْتَ[2] :

٢/١٠٠٨

يا حفْصَ إنى عَدَانى عنكم السفرُ ... وَقدْ أَرِقتُ فَآذَى عَيْنِيَ السهرُ[3]

عُلِّقْتَ يا كعبُ بعد الشَّيبِ غانِيَةً ... والشَّيبُ فيه عن الأَهواء مزْدَجرُ

أممْسكٌ أَنتَ عنها بالَّذى عَهِدَتْ ... أَم حَبْلُها إذ نَأَتْكَ اليومَ مُنْبَتِرُ

عُلِّقْتُ خَوْدًا بأَعْلى الطَّف مَنزِلُهَا ... فى غُرفَة دونَها الأَبوابُ والحَجَرُ[4]

دُرْماً مَنَاكِبُهَا رَيًّا مآكِمُهَــا ... تكاد إذ نهَضَتْ للمشى تنبَتِرُ

وقد تركْتُ بِشطِّ الزَّابِيَيْنِ لها ... دارًا بها يَسْعَدُ البَادُونَ والحَضَر

واختَرْتُ دارًا بها حىٌّ أَسَرُّ بِهِمْ ... ما زال فيهم لمن نختارُهُمْ خِيَرُ

لمَّا نَبَتْ بى بِلَادى سِرْتُ مُنتجِعاً ... وطَالِبُ الخير مُرْتادٌ ومُنتَظِرُ

٢/١٠٠٩

أَبا سعيد فإنى جئت مُنتجِعاً ... أَرجُو نَوالَكَ لمّا مَسَّنِى الضَّرَرُ

لولا المهلَّبُ ما زُرْنا بلادَهُمُ ... ما دامت الأَرض فيها الماءُ والشجرُ

فما من الناس من حىٍّ عَلِمتُهُمُ ... إلا يُرَى فِيهم من سَيْبِكم أَثرُ

أَحيَيْتَهُم بِسجَال مِن نَدَاكَ كما ... تحيَا البلادُ إذا ما مسَّها المطرُ

---

(١) أى بعد ذلك . (٢) بعدها فى ب ، ف : « قصيدة » .

(٣) مطلع القصيدة فى الكامل ٣ : ٤٠٣ ، وأبيات منها فى الأغانى ١٤ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ . وفى الكامل : «وقد سهرت فأودى عينى السهر » . وعدانى : صرفنى وشغلنى .

(٤) فى الأغانى : « ذكرت خوداً » .

إنى لأَرجو إذا ما فاقَةٌ نزَلَتْ … فضلا من الله فى كفَّيكَ يَبْتَدِرُ
فاجبرْ أَخاً لك أَوهَى الفقر قوَّته … لعلَّهُ بعد وهْى العظْمِ ينجبرُ
جَفَا ذَوُو نَسَبِي عنِّى وأَخلفَنى … ظنى فللهِ دَرِّى كيف آتمِرُ
يا واهِبَ القَينةِ الحَسناءِ سُنَّتُها … كالشمس هِرْكولةٌ فى طَرْفهافتَرُ[1]
وما تزال بُدُورٌ منك رائحــة … وآخرون لهم من سَيْبك الغُرَر
نمــاك للمجد أملاكٌ وَرِثْتَهُمُ … شُمٌّ العَرَانينِ فى أَخلاقهمْ يَسَرُ
ثارُوا بقَتْلَى وأَوتارٍ تُعدِّدُها … فى حِين لا حَدَثٌ فى الحرب يَثَّئِرُ ٢/١٠١٠
واستسلم الناسُ إذ حلَّ العدوُّ بهم … فما لأَمرِهِمُ وِردٌ ولا صَدَرُ
وما تجاوَزَ بابَ الجسر من أَحد … وعَضَّتِ الحربُ أَهلَ المصرِ فانجحَروا
وأُدخل الخوفُ أَجوافَ البيوت على … مِثْلِ النساءِ رِجال ما بهم غِيَرُ
واشتدَّتِ الحربُ والبَلْوَى وحلَّ بنا … أَمرٌ تُشَمِّرُ فى أَمثالِهِ الأُزُر
نظلٌّ من دون خفض مُعصمِين بهم … فَشمَّر الشيخُ لما أَعظمَ الخَطَر
كنا نهَوِّنُ قَبلَ اليومِ شأْنَهُمُ … حتى تفاقَمَ أَمرٌ كان يُحتَقَرُ
لمّا وَهَنَّا وقد حَلُّوا بساحتِنَا … واستُنفر الناسُ تاراتٍ فما نَفَرُوا
نادَى امرؤٌ لا خلافَ فى عَشِيرَتِه … عَنه وليس به فى مِثلهِ قِصَر
أَفشى هنالك ممَّا كان مذ عصروا … فيهم صنائع مما كان يُدَّخَــرُ ٢/١٠١١
تلبَّسُوا لقِراعِ الحربِ بَزَّتَهــا … فأَصبَحُوا من وراءِ الجسر قد عَبرُوا
ساروا بأَلويَة للمجدِ قد رُفِعَت … وتحتَهُنَّ لُيُوثٌ فى الوغَى وُقــرُ
حتى إذا خَلَّفُوا الأَهوازَ واجتمعوا … برَامَهُرْمُزَ وافاهُمْ بهــا الخبرُ
نَعِيٌّ بِشرٍ فجال القومُ وانصدعوا … إلا بَقايا إذا ما ذُكِّرُوا ذَكَرُوا
ثم استمرَّ بنا راضٍ ببَيعتِه … يَنوِى الوفاءَ ولم نغْدِرْ كما غَدَرُوا

---

(١) الهركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية .

حتى اجتمعنا بسَابورِ الجنود وقد ... شُبَّتْ لنا ولهم نارٌ لهـا شَررُ
نَلقَى مساعِيرَ أبطالاً كأنَّهمُ ... جِنٌّ نقارِعُهُمْ ما مثلُهم بَشَرُ
نُسْقَى ونَسْقِيهمُ سَمًّا عَلَى حنَقٍ ... مُستأْنِفِي اللَيْلِ حتَّى أسْفرَ السَّحَرُ
١٠١٢/٢ قَتْلَى هنالك لا عقلٌ ولا قَـوَدٌ ... مِنَّا ومنهم دِماءٌ سَفكهَا هـدَرُ
حتَّى تَنَحَّوْا لنا عنها تسُوقهُمُ ... منَّا ليوث إذا ما أقدَموا جَسروا
لَم يُغنِ عنهم غداةَ التلِّ كيدُهُمُ ... عند الطِّعان ولا المكرُ الذى مَكَرُوا
باتَتْ كتائبُنا تَرْدِى مسوَّمَةً ... حولَ المهلَّبِ حتَى نَوَّرَ القمرُ
هناك ولَّوْا خِزَاناً بعد ما فَرِحوا ... وحالَ دونهُم الأنْهارُ والجدُرُ
عبَّوْا جنودَهمُ بالسَّفح إذ نَزلوا ... بكازَرُونَ فما عزُّوا ولا ظفروا[١]
وقد لقوا مَصْـدَقاً منا بمنزلة ... ظنُّوا بأَن يُنصَرُوا فيها فما نُصِرُوا
بدَشْت بارينَ يومَ الشِّعْبِ إذ لَحقتْ ... أُسد بسفكِ دماءِ الناس قد زَئِرُوا
١٠١٣/٢ لَاقَوْا كتائبَ لا يُخلونَ ثَغْرَهُمُ ... فيهمْ على من يقاسى حربهم صَعَرُ
المقْدِمين إذ ما خيلهم وردَتْ ... والعاطفين إذا ما ضيّع الدُّبرُ
وفى جُبيْرِينَ إذ صفُّوا بزَحفهم ... ولَّوا خَزَايَا وقد فلُّوا وقد قُهِرُوا
واللهِ ما نزلوا يوماً بساحَتِنا ... إلاَّ أصابَهمُ من حربنا ظَفَرُ
نَنْفِيهمُ بالقَنا عن كلِّ منزِلةٍ ... تَروحُ منا مساعِيرٌ وتَبْتَكرُ
ولوا حذارًا وقد هَزُّوا أَسِنَّتَنَا ... نحو الحروب فما نجّاهمُ الحذرُ
صَلْتُ الجبين طويلُ الباع ذو فُرَحٍ ... ضَخْمُ الدَّسيعَة لا وَانٍ ولا غمرُ[٢]
مُجَرَّبُ الحربِ ميمونٌ نَقيبتُـهُ ... لا يُسْتَخَفُّ ولا من رأيِهِ البَطَرُ
١٠١٤/٢ وفى ثلاثٍ سنين يَستدِيمُ بنا ... يُقارِعُ الحربَ أطوارًا ويأْتَمِرُ

---

(١) الأغانى : « وما نصروا » .
(٢) الدسيعة : مجتمع الكتفين ، يقال ذلك للرجل الجواد .

يقولُ إنَّ غَدًا مُبْدٍ لناظرِهِ وفى الليالى وفى الأيام مُعْتَبرُ
دعوا التَّتابُعَ والإسراع وارتَقبُوا إنَّ المُحارِبَ يَستأْنِى ويَنتظرُ
حتى أتته أمورٌ عندها فرجٌ وقد تبيَّن ما يأْتى وما يذَرُ
لما زَوَاهمْ إلى كَرمانَ وانصدعوا وقد تقاربتِ الآجالُ والقدرُ
سرنا إليهم بمثل الموج وازدَلَفوا وقبلَ ذلك كانت بيَنَنا مِئرُ[1]
وزادَنَا حَنقاً قَتلَى نُذَكّرُها لا تَسْتَفِيقُ عيونٌ كلَّما ذُكِرُوا
إذا ذكَرنا جَرُوزًا والذينَ بها قتلى مضى لهمُ حولانِ ما قُبِرُوا
تأْتى علينا حزَازَاتُ النفوسِ فما نُبقِى عليهم وما يبقون إن قَدَرُوا ٢/١٠١٥
ولا يُقِيلونَنَا فى الحرب عَثرَتَنا ولا نقيلُهمُ يوماً إذا عثَرُوا
لا عُذْرَ يُقبَلُ منَّا دون أنفسِنا ولا لهم عندنا عذرٌ لوِ اعتذَروا
صفَّانِ بالقاع كالطَّودينِ بينهما كالبرقِ يَلمعُ حتى يَشْخَصَ البصَرُ
على بصائرَ كلٌّ غيرُ تاركِها كلاَ الفريقين تُتلى فيهم السُّوَرُ
يَمشون فى البَيض والأَبدان إذ وردُوا مَشْى الزوامل تهدى صفَّهمْ زُمَرُ[2]
وشيخنا حوله منَّا مُلَمْلَمَةٌ حىٌّ من الأَزْد فيما نابَهُمْ صبُرُ
فى موطنٍ يقطعُ الأَبطال مَنظَرُهُ تُشاطُ فيه نُفوسٌ حين تَبتكر
ما زال منَّا رجالٌ ثَمَّ نَضرِبهُمْ بالمشرفىّ ونارُ الحرب تَسْتَعِرُ
وباد كلٌّ سلاحٍ يُستعان به فى حَومة الموت إلا الصارم الذَّكَرُ ٢/١٠١٦
ندُوسُهُمْ بعَناجيجٍ مُجَفَّفَةٍ وبيننا ثَمَّ من صُمِّ القَنا كِسَرُ
يغشَيْنَ قتلى وعَقرَى ما بها رَمَقٌ كأنما فوقها الجادىُّ يُعتَصرُ
قتلى بقتلى قِصاصٌ يُستقَادُ بها تَشفِى صُدُورَ رجال طالما وُتِرُوا

---

(١) المِئر : جمع مِئرة؛ وهى الذحل والعداوة .

(٢) الزوامل : جمع زاملة ؛ وهو البعير يحمل الطعام والمتاع .

مُجاورينَ بها خَيلاً مُعقَّرَةً للطيرِ فيها وفى أجسادهم جَزَرُ
فى معْرَكٍ تَحْسَبُ القتلى بساحَتِهِ أعجازَ نخلٍ زَفَتْهُ الريحُ يَنعقِرُ
وفى مواطِنَ قبلَ اليومِ قد سَلَفتْ قد كان للأزد فيها الحمدُ والظَّفَر
فى كلِّ يومٍ تُلاقِى الأَزْدُ مُفظِعةً يَشيبُ فى ساعةٍ من هولها الشعرُ
والأَزْدُ قومى خيارُ القوم قد علموا إذا قُرومُهم يومَ الوغى خطروا
٢/١٠١٧ فيهم مَعاقِلُ من عِزٍّ يلاذُ بها يوماً إذا شَمَّرَتْ حربٌ لها دِرَرُ
حىٌّ بأَسيافِهِمْ يَبغونَ مَجدَهُمُ إنَّ المكارمَ فى المكروهِ تُبْتَدَرُ
لولا المهلَّب للجيش الَّذى وردوا أنهارَ كَرْمَانَ بعد اللهِ ما صدرُوا
إنَّا اعتَصَمْنَا بحبلِ اللهِ إذ جحَدوا بالمُحْكَمَاتِ ولم نكْفُرْ كما كَفَرُوا
جاروا عن القصد والإسْلام واتَّبعوا دِيناً يُخَالفُ ما جاءَت به النُّذُرُ

وقال الطفَيل بنُ عامر بن واثلة وهو يذكر قتلَ عبد ربّه[1] الكبير وأصحابه، وذهاب قَطَرىّ فى الأرض واتّباعهم إيّاه ومراوغته إيّاهم :

لقد مسَّ منَّا عبدَ ربّ وجنـدهُ عقابٌ فأَمسى سَبْيُهُمْ فى المقاسمِ
سما لهمُ بالجيشِ حتى أَزَاحَهُم بكرمانَ عن مثوًى من الأَرض ناعِمِ
وما قَطَرىُّ الكُفر إلَّا نَعَامَة طريدٌ يَدوِّى ليله غيـر نائِمِ
إذا فرّ منَّا هارباً كان وَجْهُهُ طريقاً سوى قصدِ الهُدى والمعالِمِ
فليس بمنجِيهِ الفرارُ وإنْ جَرَتْ به الفُلكُ فى لُجٍّ من البحرِ دائم

* * *

[ذكر الخبر عن هلاك قطرىّ وأصحابه]

٢/١٠١٨ قال أبو جعفر : وفى هذه السنة كانت هَلَكَة قَطَرىّ وعبيدة بن هلال وعبد ربّ الكبير ومن كان معهم من الأزارقة .

---

(١) كذا فى م ، وفى ط : « عبد رب » .

* ذكرُ سببِ مهلكِهم[١] :

وكان سبب ذلك أنّ أمر[٢] الذين ذكرْنا خبرَهم من الأزارقة لما تشتّت بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربّه الكبير وبعضهم مع قطرىّ وهىَ أمرُ قطرىّ ، توجّه يريد طَبَرستان، وبلغ أمرُه الحجّاج، فَوجّه — فيما ذكر هشامٌ عن أبى مخنف ، عن يونس بن يزيدَ — سفيانَ بن الأبرد، ووجّه معه جيشًا من أهل الشأم عظيمًا[٣] فى طلب قَطَرىّ، فأقبل سفيانُ حتى أتى الرَّىّ ثمّ أتبعهم. وكتب الحجّاج إلى إسحاقَ بن محمد ابن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطَبَرستان ، أن اسمَع وأطِع لسُفيان . فأقبَلَ إلى سفيان فسار معه فى طَلَب قطرىّ حتى لحقوه فى شِعْب من شِعاب طَبَرِستان ، فقاتلوه ، فتفرّق عنه أصحابُه ، ووقع عن دابته فى أسفل الشعب فتَدَهدى[٤] حتى خرّ إلى أسفله ، فقال معاوية بن مِحصن الكندىّ : رأيتُه حيث هوَى ولم أعرفْه ، ونظرت إلى خمس عشرَة امرأةً عربيّة هنّ فى الجمال والبَزازة وحُسن الهيئة كما شاء ربُّك ، ما عدا عجوزًا فيهنّ ، فحملتُ عليهنّ فصرفتهنّ إلى سُفيانَ بن الأبرد .

فلما دنوتُ بهنّ منه انتحتْ لى بسيفها[٥] العجوزُ فتَضرِب به عنقى ، فقطَعَت المِغْفر ، وقطَعَت جلدةً من حَلْقى ، وأختلِج السيفَ فأضرب به وجهَها ، فأصاب قِحفَ رأسِها ، فوقعت ميّتةً ، وأقبلتُ بالفَتَيات حتى دفعتهنّ إلى سُفيان وإنه ليضحك من العجوز . وقال : ما أردت[٦] إلى قتل هذه أخزاها الله — فقلت : أوَما رأيتَ أصلحك الله ضربتَها إيّاى ! والله إن كادت لتقتلنى ؛ قال : قد رأيتُ. فوالله ما ألومك على فعلك، أبعدَها الله . ويأتى قطريًّا حيث تَدهدَى من الشعب عِلجٌ من أهل البلد ، فقال له قطرىّ : اسقِنى من الماء — وقد كان اشتدّ عطشه — فقال: أعطنى شيئًا حتى أسقيَك ، فقالَ : وَيْحَك ؛ والله ما معى إلا ما ترى من سلاحى . فأنا مُؤتيكَه إذا

١٠١٩/٢

---

(١) ا : « هلكهم » ، ب ، ف : « هلاكهم » .
(٢) ف : « الأمراء » .
(٣) ب ، ف : « عظيمًا من أهل الشام » .
(٤) ب ، ف : « فتهدهد » ، ا ، س : « فتدهده » .
(٥) س : « سيفها » . (٦) ب : « أردت » .

أتيتني بماء ، قال : لا ، بل أعطنيه الآن ، قال : لا ، ولكن ائتني بماء قبلُ ، فانطلق العِلْج حتى أشرف على قَطَرىّ ، ثمّ حدر عليه حَجَراً عظيماً من فوقه َدهْدَاه عليه ، فأصاب إحدى وَرِكيه فأوْهته ، وصاح بالناس ، فأقبلوا نحوَه . والعلْجُ حينئذ لا يعرف قَطَرِيًّا ، غيرَ أنه يظنّ أنه من أشرافهم لحسن هيئته ، وكمال سلاحِه ؛ فدفع إليه نفرٌ من أهل الكوفة فابتَدروه فقتلوه ، منهم سَوْرة بن أبجر التميميّ ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مِخنَف ، والصباح بن محمّد بن الأشعث . وباذام مولَى بني الأشعث ، وعمر بن أبي الصَّلْت بن كنارا مولَى بني نصر بن معاوية ، وهو من الدّهاقين ، فكل هؤلاء ادّعَوا قتلَه . فدفع إليهم أبو الجَهْم بن كنانة الكلبيّ — وكلهم يزعم أنه قاتله — فقال لهم : ادفعوه إليّ حتى تصطلحوا ، فدفعوه إليه . ١٠٢٠/٢

فأقبل به إلى إسحاق بن محمد — وهو على أهل الكوفة — ولم يأته جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك — وكان لا يكلمه ، وكان جعفر مع سُفيان بن الأبرد ، ولم يكن معه إسحاق . وكان جعفر على ربع أهل المدينة بالريّ ، فلما مرّ سفيان بأهل الريّ انتخب فرسانهم بأمر الحجاج ، فسار بهم معه ، فلما أتى القومُ بالرأس فاختصموا فيه إليه وهو في يدي[1] أبي الجَهْم[2] بن كنانة الكلبيّ ، قال له : امضِ به أنت ، ودَعْ هؤلاء المختلفين ، فخرج برأس قَطَريّ حتى قدم به على الحجّاج ، ثمّ أتى به عبد الملك بن مروان ، فألحق في ألفين ، وأعطى فطما[3] — يعني أنه يفرض للصّغار في الدّيوان — وجاء جعفر إلى سُفْيان فقال له : أصلحك الله ! إن قَطَرِيًّا كان أصاب والدى فلم يكن لى همّ غيره ، فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادّعَوا قتلَه ، فسَلْهم ، ألم أكن أمامهم حتى بدرتُهم فضربتُه ضربةً فصرعتُه ، ثمّ جاءوني بعد ، فأقبلوا يضربونه بأسيافهم ! فإن أقرّوا لى بهذا فقد صَدَقوا ، وإن أبَوا فأنا أحلف بالله أني صاحبه ، وإلا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه ، وأنهم لا يعرفون ما أقول ، ولاحق لى فيه . قال : جئت الآن وقد سرّحنا بالرأس . فانصرفَ عنه فقال له أصحابه : أما والله إنك لأخلق القوم أن تكون صاحبه .

---

(١) ب ، ف : « يد » .

(٢) س : « جهم » .

ثمّ إنّ سُفيانَ بنَ الأبرد أقبل منصرفًا إلى عسكر عبيدة بن هلال ، وقد تحصّن فى قصر بقُومِسَ ، فحاصره فقاتلَه أيامًا . ثمّ إنّ سُفيان بن الأبرد سار بنا إليهم حتى أحَطْنا بهم ، ثمّ أمر منَاديَه فنادى فيهم : أيّما رجل قتل صاحبَه ثمّ خرج إلينا فهو آمن ؛ فقال عبيدة بن هلال : ١٠٢١/٢

لَعَمرى لقد قام الأَصَمُّ بخطبة ... لذى الشَّكّ منها فى الصُّدُورِ غَليلُ

لَعَمرى لئن أَعطيتُ سفيان بَيْعَتى ... وفارقْتُ دِينى إنَّنى لجهولُ

إلى الله أشكو ما ترى بجيادِنا ... تَساوَكُ هزلَى مُخُّهنَّ قليلُ[1]

تعاوَرَها القُذَّافُ مِن كلّ جانبٍ ... بقُومِسَ حتى صَعْبهُنَّ ذَلولُ

فإنْ يكُ أفناها الحِصارُ فرُبَّما ... تَشَحَّطَ فيما بينهنَّ قتيلُ

وقد كنَّ ممّا إن يُقَدْنَ على الوَجَى ... لهنَّ بأبوابِ القِبابِ صَهيلُ

فحاصرَهم حتى جهدوا ، وأكلوا دوابَّهم . ثمّ إنهم خرجوا إليه فقاتلوه ، فقتلهم وبعث برءوسهم إلى الحجّاج ، ثمّ دخل إلى دُنباوَنْد وطَبَرِسْتان ، فكان هنالك حتى عزلَه الحجّاج قبل الجَماجم .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قَتَلَ بُكيرُ بنُ وِشاح السعدىّ أميةَ بنَ عبد الله بن خالد بن أسيد : ١٠٢٢/٢

* ذكر سبب قتله إيّاه .

وكان سبب ذلك — فيما ذكر علىّ بن محمد، عن المفضّل بن محمد — أنّ أمية بن عبد الله وهو عاملُ عبدِ الملك بنِ مروانَ على خُراسان ، ولّى بكيراً غزوَ ما وراءِ النهر ، وقد كان ولاه قبل ذلك طُخارستان ، فتجهّز للخروج إليها ، وأنفق نفقةً كثيرةً ، فوشى به إليه بحير بن ورقاء الصُّرَيمىّ على ما بيّنت قبلُ ، فأمرَه أميّة بالمقام .

(١) التساوك : السير الضعيف ، والبيت فى اللسان (سوك) بنسبته إلى عبيد الله بن الحر الجعفى .

فلما ولاّه غزوَ ما وراء النهر تجهّز وتكلف الخيل والسلاح، وادّان من رجالِ السُّغْد وتجارِهم ، فقال بحير لأميَّة : إنْ صار بينك وبينه النهر ولَقِى الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه ، فأرسل إليه أمية : أقم لعلى أغزو فتكون معى، فغضب بكير وقال : كأنه يُضارّنى . وكان عَتابُ اللِّقْوة الغُدَانىّ استدان ليخرج مع بكير ، فلما أقام أخذه غرماؤه ، فحبِس فأدّى عنه بُكير وخرج ، ثمّ أجمع أميَّة على الغَزْو. قال : فأمر بالجهاز ليغزوَ بخارَى ، ثمّ يأتى موسى بن عبد الله بن خازم بالتِّرْمِذ ، فاستعدّ الناسُ وتجهّزوا ، واستخلف على خُراسانَ ابنَه زياداً ، وسار معه بكير فعسكَر بكُشْمَاهَن ، فأقام أيامًا، ثمّ أمر بالرحيل ، فقال له بحير : إنّى لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبُكَير : فلتكن فى الساقة ولتحشر الناس . قال : فأمَره أميَّة فكان على الساقة حتى أتى النهر ، فقال له أمية : اقطع يا بكير ؛ فقال عتّاب اللِّقوة الغُدانىّ: أصلَحَ الله الأمير ! اعبر ثمّ يَعبرُ الناسُ بعدَك . فعبَر ثمّ عَبَر الناس، فقال أمية لبكير : قد خفت ألّا يضبطِ ابنى عمله وهو غلام حدَث ، فارجع إلى مروَ فاكفِنيها فقد ولّيتُكَها، فزيّن ابنى وقم بأمره. فانتخب بكير فُرسانًا من فرُسان خُراسان قد كان عرفهم ووَثِق بهم وعبرَ ، ومضى أمية إلى بُخارَى وعلى مقدّمته أبو خالد ثابت مولى خُزاعة . فقال عتّاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية : إنا قتلْنا أنفسَنا وعشائرَنا حتى ضبطْنا خُراسان، ثم طلبنا أميراً من قُريش يجمع أمرنا ، فجاءنا أميرٌ يَلعَب بنا يحوّلنا من سجن إلى سجن ، قال : فما ترى ؟ قال:أحرق(١) هذه السفن ، وامضِ إلى مَرْوَ فاخلع أمية، وتقيم بمروَ تأكلها إلى يوم ما؛ قال : فقال الأحنف بن عبدالله العنبرىّ: الرأىُ ما رأى عتّاب ، فقال بكير : إنّى أخاف أن يَهلك هؤلاء الفُرسان الذين معى ، فقال : أتخاف عدم الرّجال ! أنا آتيك من أهل مروَ بما شئت إنْ هلك منْ هؤلاء الذين معك، قال : يهلك المسلمون؛ قال : إنما يكفيك أن ينادى منادٍ : مَن أسلمَ رفعْنا عنه الخَراج فيأتيك خمسون ألفًا من المصلين أسمَع لك من هؤلاء وأطوَع ؛قال: فيهلك أميةُ ومَن معه ؛ قال : ولِمَ يَهلِكون ولهم عُدّة وعَدَد ونَجْدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة، ليقاتلوا عن

(١) ا : « اخرق » .

أنفسهم حتى يبلغوا الصين ! فأحرق بكير السفن ، ورجع إلى مَرْوَ ، فأخذ ابن أمية فحبسه ، ودعا الناسَ إلى خلع أمية فأجابوه ، وبلغ أمية ، فصالح أهلَ بُخارى على فِدْية قليلة ، ورجع فأمر باتخاذ السفن ، فاتُّخذت له وجُمعت ، وقال لمن معه من وجوه تميم : ألا تعجبون من بكير ! إنّى قدمتُ خُراسانَ فحذّرته ، ورُفع عليه وشُكى منه ، وذكروا أموالا أصابها ، فأعرضت عن ذلك كله ، ثم لم أفتشه عن شىء ولا أحداً من عُمّاله ، ثمّ عرضت عليه شرطتى فأبَى ، فأعفيته ، ثمّ وليته فحذّرته ، فأمرتُه بالمُقام وما كان ذلك إلا نظراً له ، ثمّ رددته إلى مروَ ، وولّيته الأمر ، فكفر ذلك كلّه ، وكافأنى بما ترون . فقال له قوم: أيها الأمير ، لم يكن هذا من شأنه ، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتابُ اللّقوة ، فقال : وما عتّاب! وهل[1] عتاب إلا دجاجة حاضنة ، فبلغ قولُه[2] عتاباً ، فقال عتاب فى ذلك : ١٠٢٥/٢

إنَّ الحَوَاضِنَ تلقاهـا مجفَّفةً غُلْبَ الرِّقاب على المنسوبةِ النُّجُبِ

تركتَ أمرَك من جُبْنٍ ومن خَوَرٍ وجئتَنَـا حُمُقاً يا ألأَمَ العربِ

لما رَأَيتَ جبالَ السُّغْدِ مُعْرِضةً ولَّيتَ موسى ونوحاً عُكْوَةَ الذَّنَبِ

وجئتَ ذيخاً مُغِذًّا ما تُكلمُنا وطِرْتَ من سَعَفِ البحرينِ كالخَرِبِ

أَوعِدْ وعِيدكَ إنى سوف تَعرِفنى تحتَ الخوافِقِ دون العارضِ اللجِبِ

يَخُبُّ بى مشرفٌ عارٍ نواهقـهُ يغشَى الكتيبةَ بين العَدْوِ والخبَبِ

قال : فلمّا تهيأت السفن ، عبرَ أمية وأقبَل إلى مروَ ، وترك موسى بن عبد الله ، وقال : اللهمّ إنى أحسنت إلى بُكير ، فكفرَ إحسانى ، وصنع ما صنع ، اللهم اكفنيه .

فقال شمّاس بن دِثار — وكان رجع من سجِسْتانَ بعد قتل ابن خازم ، فغزا مع أمية : أيها الأمير ، أنا أكفيكه إن شاء الله . فقدّمه أمية فى ثمانمائة ، فأقبل حتى نزل باسان وهى لبنى نصر ، وسار إليه بكيرٌ ومعه مُدركُ بن أنيف وأبوه ١٠٢٦/٢

(١) ب ، ف : «وما» . (٢) ف : «ذلك» .

مع شماس ، فقال : أما كان فى تميم أحدٌ يحاربنى غيرك ! ولامَه . فأرسل إليه شماس : أنت ألوَم وأسوأ صنيعاً منى ، لم تَفِ لأمية ولم تشكر له صنيعَه بك ؛ قَدم فأكرمك ولم يَعرِض لك ولا لأحد من عمّالك .

قال : فبيّته بكير ففرّق جمعَه وقال : لا تَقتلُوا منهم أحداً ، وخذوا سلاحَهم ، فكانوا إذا أخذوا رجلا سلَبوه وخلّوا عنه ، فتفرّقوا ، ونَزَل شماس فى قرية لطيّىء يقال لها : بُوينَه ، وقدِم أمية فنزل كَشْماهن ، ورجع إليه شَمّاس بنُ دثار فقدّم أمية ثابتَ بن قطبة مولَى خُزاعة ، فلقيَه بكير فأسر ثابتاً وفرّق جمعَه ، وخلى بكير سبيلَ ثابت لِيَد كانت له عنده . قال : فرجع إلى أمية ، فأقبل أمية فى الناس ، فقاتله بكيرٌ وعلى شُرطة بكير أبو رُستم الخليل بن أوْس العَبْشَمىّ ، فأبلى يومئذ ، فنادَوه : يا صاحب شرطة عارمةَ — وعارمةُ جاريةُ بكير — فأحجمَ ، فقال له بكير : لا أبَالَك ، لا يَهدّك نداءُ هؤلاء القوم ، فإنّ للعارمة فَحْلا يمنعها ، فقدّمْ لواءَك ، فقاتلوا حتى انحاز بكيرٌ فدخل الحائط ، فنزل[1] السوقَ العتيقة ، ونزل أمية بَاسَانَ فكانوا يلتقون فى ميدان يَزيدَ ، فانكشفوا يوماً ، فحماهم بكير ، ثمّ التقَوا يوماً آخر فى الميدان ، فضرب رجلٌ من بنى تميم على رجله فجعل يَسحبَها ، وهُريم يَحميه ، فقال الرجل : اللهمّ أيّدْنا فأمدّنا بالملائكة ، فقال له هُريم : أيها الرّجل ، قاتلْ عن نفسك ، فإنّ الملائكة فى شُغْل عنك ، فتَحاملَ ثمّ أعاد قولَه : اللهمّ أمدّنا بالملائكة ، فقال هُريم : لتكُفنّ عنى أو لأدعنّك والملائكة ، وَحماهُ حتى ألحقَه بالناس . قال : ونادى رجلٌ من بنى تميم : يا أميةُ ، يا فاضحَ قريش ؛ فآلى أمية إنْ ظَفِر به أن يذبحه ، فَظَفِر به فذبحه بين شُرْفتَيْن من المدينة ، ثمّ التقَوا يوماً آخر ، فضرب بكير بن وشاح ثابتَ بن قطبة على رأسه وانتمَى : أنا ابنُ وِشاح ؛ فحمل حُريث بن قطبة أخو ثابت على بكير ، فانحاز بكير ، وانكشف أصحابُه ، وأتبع حُريث بكيراً حتى بلغ القنطرة ، فناداه : أين يا بكير ؟ فكرّ عليه ، فضربَه حريثٌ على رأسه ، فقطع المِغفَرَ ، وعَضّ

١٠٢٧/٢

(١) ا : « فترك » .

السيفُ برأسه ، فصُرِع ، فاحتمَلَه أصحابُه ، فأدخلوه المدينة .

قال : فكانوا على ذلك يقاتلونهم ، وكان أصحابُ بكير يَغدُون متفضّلين فى ثياب مصبَّغة ، وملاحفَ وأزُر صُفْر وحُمْر ، فيجلسون على نواحى المدينة يتحدّثون، وينادى مناد : مَن رَمَى بسهم رَمَيْنا إليه برأس رجل من ولده وأهله ؛ فلا يرميهم أحد .

قال : فأشفق بكير ، وخاف إن طال الحصار أن يخذُله الناس ، فطلب الصّلح ، وأحبّ ذلك أيضًا أصحابُ أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة ، فقالوا لأمية : صالِحْه – وكان أمية يحبّ العافية – فصالحه على أن يقضىَ عنه أربعمائة ألف ، ويَصِلَ أصحابَه ويولّيه أيضًا أىّ كُوَر خُراسانَ شاء ، ولا يسمع قولَ بَحير فيه ، وإن رابَه منه رَيْب فهو آمِن أربعين يومًا حتى يخرج عن مروَ ، فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك ، وكَتَب له كتابًا على باب سِنْجان[1] ، ودخل أميّةُ المدينة . ١٠٢٨/٢

قال : وقوم يقولون : لم يخرج بكير مع أمية غازيًا ، ولكنّ أمية لما غزا استخلفه على مروَ فخلعه ، فرجع أميةُ فقاتله ، ثمّ صالحه ودخل مروَ ووفَى أميةُ لبكير ، وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحُسْن الإذْن ، وأرسَل إلى عتّاب اللقوة ، فقال : أنت صاحبُ المَشُورة ؛ فقال : نعَم أصلَح الله الأمير ! قال : ولِمَ ؟ قال : خفّ ما كان فى يدى ، وكَثُر دَيْنى ، وأعديتعلى غرمائى ؛ قال : وَيْحك! فضرْبت بين المسلمين ، وأحرقت السفن والمسلمون فى بلاد العدوّ ، وما خفت الله ! قال : قد كان ذلك ، فأستغفر الله ، قال : كم دَينُك ؟ قال : عشرون ألفًا ؛ قال : تكفّ عن غِشّ المسلمين وأقضِى دينَك ؟ قال : نعم ، جعلنى الله فِداك ! قال : فضَحِك أميّة وقال : إنّ ظنى بك غير ما تقول ، وسأقضى عنك . فأدّى عنه عشرين ألفًا ، وكان أمية سهلا ليتّاسخيًّا ، لم يُعط أحدٌ من عُمال خُراسانَ بها مثل عطاياه ؛ قال : وكان مع ذلك ثقيلا عليهم ، كان فيه زَهْو شديد ، وكان يقول : ما أكتفِى بخُراسان[2] وسِجِسْتان لمَطْبخى . وعَزَل أميةُ بَحيرًا

---

(١) ا ، ب ، ف : « شنجار » . (٢) بعدها فى ب ، ف : « كلها » .

٢/١٠٢٩ عن شرطته ، وولاّها عطاءَ بن أبي السائب ، وكتب إلى عبدالملك بما كان من أمرِ بكير وصفحه عنه ، فضرب عبدُ الملك بَعْثًا إلى أميّة بخُراسان ، فتجاعلَ الناس ، فأعطَى شقيق بن سَليل الأسديّ جعالَته رَجُلاً من جَرْم ، وأخذ أمية الناسَ بالخراج ، واشتدّ عليهم فيه ، فجلس بكير يومًا في المسجد وعنده ناسٌ من بني تميم ، فذكروا شِدّة أمية على الناس ، فذمّوه ، وقالوا : سلّط علينا الدّهاقين في الجباية وبَحير وضِرار بن حُصَين وعبد العزيز بن جارية ابن قُدامة في المسجد ، فنقل بَحير ذلك إلى أميةَ فكذّبه فادّعى شهادة هؤلاء ، وادّعى شهادة مُزاحِم بن أبي المُجشر السلميّ ، فدعا أميةُ مزاحمًا فسأله فقال : إنما كان يَمزَح ، فأعرض عنه أمية ، ثمّ أتاه بحير فقال : أصلح الله الأمير ! إنّ بُكَيرًا والله قد دعاني إلى خَلعك ، وقال : لولا مكانك لقتلتُ هذا القرشيّ وأكلتُ خُراسانَ ؛ فقال أميّة : ما أصدّق بهذا وقد فعل ما فعل ؛ فآمنتُه ووصَلْته .

قال : فأتاه بضِرار بن حُصين وعبدِ العزيز بن جارية فشهدا أنّ بكيراً قال لهما : لو أطعتُماني لقتلتُ هذا القرشيّ المخنَّث ، وقد دعانا إلى الفَتْك بك . فقال أمية : أنتم أعلم وما شهدْتم ، وما أظُنّ هذا به وإن تركه ، وقد شهدتم بما شهدتم عجزٌ ؛ وقال لحاجبه عبيدة ولصاحب حَرَسه عطاء بن ٢/١٠٣٠ أبي السائب : إذا دخل بكير ، وبدل وشمردل ابنا أخيه ، فنهضتُ فخذوهم . وجلس أمية للناس ، وجاء بكير وابنا أخيه ، فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل ، وخرج الناس وخرج بكير ، فحبسوه وابنَيْ أخيه ، فدعا أمية ببكير فقال : أنت القائل كذا وكذا ؟ قال : تَثَبَّتْ أصلحك الله ولا تسمعنّ قول ابنِ المحلوقة ! فحبَسه ، وأخذ جاريته العارمةَ فحبَسها ، وحبَس الأحنف ابن عبد الله العنبريّ ، وقال : أنت ممن أشار على بُكَير بالخَلْع .

فلما كان من الغد أخرج بُكَيراً فشهد عليه بحيرٌ وضِرار وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خَلْعه والفتك به . فقال : أصلحك الله ! تثبّتْ فإنّ هؤلاء أعدائي . فقال أمية لزياد بن عُقْبة — وهو رأسُ أهل العالية — ولابن والان العدويّ — وهو يومئذ من رؤساء بني تميم — ليعقوب بن خالد الذّهليّ :

أتقتلونه ؟ فلم يجيبوه ؛ فقال لبَحير : أتقتُلُه ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه ، فنهض يعقوبُ بن القَعْقاع الأعْلَم الأزْدىّ من مجلسه — وكان صديقاً لبُكير — فاحتَضَن أميّة ، وقال : أذكّرك اللهَ أيها الأمير فى بكير ، فقد أعطيتَه ما أعطيتَه من نفسك ، قال : يا يعقوب ما يقتله إلا قومه ، شهدوا عليه ، فقال عطاءُ بن أبى السائب الليثىّ وهو على حرَس أميّة : خلّ عن الأمير ؛ قال : لا ، فضرَبه عطاء بقائم السيف ، فأصاب أنفَه فأدماه ، فخرج ، ثمّ قال لبحير : يا بحير ، إنّ الناس أعطوا بكيرًا ذمّتهم فى صلحه، وأنت منهم ، فلا تخفر ذمّتك ؛ قال : يا يعقوب ، ما أعطيته ذمّةً . ثمّ أخذ بحير سيفَ بكير الموصول الذى كان أخذه من أسوار الترجمان تَرْجُمان ابن خازم ، فقال له بكير : يا بحير ، إنك تُفرّق أمرَ بنى سعد إن قتلْتنى ، فدَعْ هذا القرشىّ يلى منى ما يريد ؛ فقال بحير : لا واللهِ يابن الإصبهانية لا تصلح بنو سعد ما دُمنْا حيّيْن، قال : فشأنك يابن المحلوقة، فقتلَه، وذلك يوم جمعـــة . ١٠٣١/٢

وقتَل أمية ابنى أخى بكير ، ووهب جارية بكير العارمةَ لبَحير ، وكلّمَ أمية فى الأحنف بن عبد الله العنبرىّ ؛ فدعا به من السجن ، فقال : وأنتَ ممن أشار على بكير ، وشتَمه ، وقال : قد وهبتُك لهؤلاء . قال : ثمّ وجّه أميّةُ رجلا من خُزاعة إلى موسى بن عبد الله بن خازم ، فقتَله عمرو بن خالد بن حُصين[1] الكلابىّ غيلةً ، فتفرّق جيشُه ، فاستأمن طائفةٌ منهم موسى ، فصاروا معه ، ورجع بعضُهم إلى أمية .

* * *

وفى هذه السنة عبر النهرَ، نهرَ بَلْخ أمية للغزْو ، فحُوصِر حتى جُهِد هو وأصحابه ، ثمّ نجوْا بعد ما أشرَفوا على الهلاك ؛ فانصرف والذين معه من الجُنْد إلى مروَ . وقال عبد الرحمن بنُ خالدِ بن العاص بنِ هشام بن المغيرة يهجو أميّة :

أَلَا أَبلغْ أميةَ أَنْ سيُجزَى ثَوابَ الشَّرِّ إنَّ له ثَوابَـــا
وَمَن يَنظر عتابَكَ أَو يُرِدْهُ فلستُ بناظر منكَ العِتَابَا

(١) ط : « حصن » ، وانظر الفهرس .

محا المعروفَ منك خلالُ سَوْءٍ ... مُنحتَ صَنِيعَهَا باباً فبابَا
ومَن سَمَّاكَ إذْ قسمَ الأَسامِي ... أُميَّةَ إذ وُلِدتَ فقد أصابا

***

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس فى هذه السنة أبان بن عثمان ، وهو أميرٌ على المدينة ، وكان على الكوفة والبَصْرة الحجّاج بن يوسف ، وعلى خُراسانَ أمية ابن عبد الله بن خالد بنِ أسيد .

١٠٣٢/٢

وحدّثنى أحمدُ بنُ ثابت، عمن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر، قال : حجّ أبانُ بن عثمانَ وهو على المدينة بالناس حجّتين سنة ستّ وسبعين وسنة سبع وسبعين .

وقد قيل : إنّ هلاكَ شبيب كان فى سنة ثمان وسبعين، وكذلك قيل فى هلاك قَطَرىّ وعبيدة بن هلال وعبد ربه[1] الكبير .

* * *

وغَزا فى هذه السنة الصائفةَ الوليدُ .

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « عبد رب » .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن فى هذه السنة من الأحداث الجليلة

فمن ذلك عزْلُ عبدِ الملك بن مروان أميَّة بن عبد الله عن خُراسان وضمّه خُراسان وسِجستانَ إلى الحجّاج بن يوسف . فلما ضمّ ذلك إليه فرّق فيه عمّاله[1] .

* * *

ذِكر الخبر عن العمّال الذين ولاّهم الحجّاج خُراسان وسجستان وذِكر السّبب فى توليته مَن ولاّه ذلك وشيئاً منه

ذُكر أنّ الحجاج لما فرغ من شَبيب ومطرّف شَخَص من الكُوفة إلى البَصْرة ، واستَخلَف على الكوفة المغيرةَ بنَ عبد الله بن أبى عقيل — وقد قيل : إنه استخلف عبدَالرحمن بن عبد الله بن عامر الحَضْرَمىّ ، ثمّ عَزلَه ، وجعل مكانَه المغيرة بن عبد الله — فقدِم عليه المهلَّبُ بها ، وقد فرغ من [أمر][2] الأزارقة . ١٠٣٣/٢

فقال هشام : حدّثنى أبو مِخنَف عن أبى المُخارِق الراسبىّ ، أنّ المهلّب بن أبى صُفْرة لما فرغ من الأزارقة قَدِم على الحجاج — وذلك سنة ثمان وسبعين — فأجلَسه معه ، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلّب ، فأخذ الحجّاج لا يَذكَر له المهلَّب رجلا من أصحابه ببلاء حَسَن إلا صدّقة الحجّاج بذلك، فحمَلَهم الحجّاج وأحسَنَ عطاياهم ، وزاد فى أعطِياتهِم ، ثمّ قال : هؤلاء أصحاب الفِعال ، وأحقّ بالأموال ، هؤلاء حُماةُ الثغور، وغيظ الأعداء .

قال هشام عن أبى مِخنَف : قال يونسُ بنُ أبى إسحاق : وقد كان الحجّاج ولى المهلّب سِجستانَ مع خُراسان، فقال له المهلّب : ألا أدلّك على رجل هو أعلَم بسِجِستانَ منّى ، وقد كان ولىَ كابُل وزابُل ، وجَباهم

(١) « عماله فيها » . (٢) من ا.

وقاتَلَهم وصالَحهم ؟ قال له : بلى ، فمن هو ؟ قال عبيد الله بن أبي بَكْرة .

ثمّ إنه بعث المهلّب على خُراسان وعبيدالله بن أبي بَكْرة على سِجِستان ، وكان العامل هنالك أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، وكان عاملا لعبد الملك بن مَرْوان ، لم يكن للحجاج شيءٌ من أمره حين بُعث على العراق حتى كانت تلك السنة ، فعزلَه عبدُ الملك وجمع سلطانه للحجّاج ، فمضى المهلب إلى خُراسانَ ، وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سِجِستان ، فمكث عُبيد الله بن أبي بَكْرة بقية سنتِه .

فهذه رواية أبي مخنَف عن أبي المخارق ، وأما عليّ بن محمد فإنه ذكر عن المفضّل بن محمد أن خُراسان وسِجستانَ جُمِعتا للحجّاج مع العراق في أول سنة ثمان وسبعين بعد ما قتل الخوارج ، فاستعمل عبيد الله بن أبي بَكْرة على خراسان ، والمهلّب بن أبي صفرة على سِجِستان ، فكره المهلب سجستان ، فلقيَ عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العَبْشَميّ — وكان على شُرْطة الحجاج — فقال : إنّ الأمير ولّاني سجستان ، وولى ابنَ أبي بَكْرة خُراسان ، وأنا أعرَف بخراسانَ منه ، قد عرفتها أيام الحكَم بن عَمرو الغِفاريّ ، وابنُ أبي بَكْرة أقوى على سِجستانَ منّي ، فكلِّم الأميرَ يحوّلني إلى خُراسان ، وابن أبي بَكْرة إلى سِجستان ؛ قال : نعم ، وكلِّم زاذانَ فَرُّوخ يُعِينُني ؛ فكلمه ، فقال : نعم ، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجّاج : وليتَ المهلب سجستان وابن أبي بَكْرة أقوى عليها منه ، فقال زاذان فَرّوخ : صَدَق ، قال : إنّا قد كتبنا عهدَه ؛ قال زاذان فروخ : ما أهْوَنَ تحويلَ عهدِه ! فحوّل ابن أبي بكرة إلى سِجستانَ ، والمهلّب إلى خُراسان ، وأخذ المهلّب بألف ألف من خرَاج الأهواز ، وكان ولاها إيّاه خالد بن عبد الله ، فقال المهلب لابنه المغيرة : إنّ خالداً ولّاني الأهواز ، وولّاك إصْطَخْر ، وقد أخذني الحجاج بألف ألف ، فنصفٌ عليّ ونصف عليك ، ولم يكن عند المهلّب مالٌ ، كان إذا عزِل استقرَض ؛ قال : فكلم أبا ماويّة مولى عبد الله بن عامر — وكان أبو ماويّة على بيتِ مال عبدالله بن عامر — فأسلف المهلّب ثلثمائة ألف[1] ،

١٠٣٤/٢

(١) ب ، ف : « ألف ألف » .

فقالت خَيْرَةُ القُشَيْرية امرأة المهلب : هذا لا يفى(1) بما عليك ؛ فباعت ١٠٣٥/٢
حُلِيًّا لها ومتاعًا ، فأكمَل خمسمائة ألف ، وحمل المغيرة إلى أبيه خَمسمائة
ألف(2) فحملها إلى الحجّاج ، ووجّه المهلب ابنه حبيبًا على مقدّمته ،
فأتى الحجّاج فودّعه ، فأمر الحجّاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء ، قال :
فسار حبيبٌ على تلك البغلة حتّى قَدِم خُراسانَ هو وأصحابُه على البريد ،
فسار عشرين يومًا ، فتلقاهم حين دخلوا حملُ حطب ، فنَفَرَت البغلة
فتعجّبوا منها ومن نِفارها بعد ذلك التّعب وشدة السير . فلم يعرض لأمية ولا
لعمّاله ، وأقام عشرةَ أشهر حتّى قدم عليه المهلّب سنة تسع وسبعين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك ، حدّثنى بذلك أحمدُ
ابنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكان أميرَ المدينة فى هذه السنة أبانُ بنُ عثمانَ ، وأميرَ الكوفة والبَصرة
وخُراسان وسِجستان وكِرمان الحجّاجُ بنُ يوسف ، وخليفتَه بخُراسان المهلّبُ ،
وبسجستان عُبيد الله ابن أبى بكْرة ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء
البَصرة — فيما قيل — موسى بن أنَسَ .

* * *

وأغزَى عبد الملك فى هذه السنة يَحيى بنَ الحَكَم .

---

(1) ب ، ف : « ولا يفى هذا » . (2) ب ، ف : « ألف ألف » .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

٢/١٠٣٦ فمن ذلك ما أصاب أهل الشأم فى هذه السنة من الطّاعون حتى كادوا يفنَوْن من شدّته ، فلم يغزُ فى تلك السنة أحدٌ — فيما قيل — للطاعون الذى كان بها، وكثرة الموت .

وفيها — فيما قيل — : أصابت الرّومُ أهلَ أنطاكية .

* * *

[ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبى بكرة رتْبيل]

وفيها غزا عُبيد الله بنُ أبى بكرة رُتْبيل.

ذكر الخبر عن غزوته إيّاه :

قال هشام : حدّثنى أبو مِخنَف ، عن أبى المُخارِق الراسبىّ ، قال : لما ولّى الحجّاجُ المهلّبَ خُراسان ، وعبيد الله بن أبى بكرة سِجستانَ ، مضى المهلّب إلى خُراسانَ وعبيد الله بن أبى بكْرة إلى سجستان ، وذلك فى سنة ثمان وسبعين ، فمكث عبيدُالله بن أبى بكْرة بقيّة سنته . ثمّ إنه غزا رُتْبيل وقد كان مصالحًا ، وقد[1] كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خَراجًا ، وربّما امتنع فلم يفعل ، فبعث الحجّاج إلى عُبيد الله بن أبى بكْرة أنْ ناجزْه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيحَ أرضَه ، وتَهدِم قِلاعَه ، وتَقتُل مُقاتِلَته ، وتَسبىَ ذرّيته . فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البَصرة ، وكان على أهل الكوفة شُرَيح بن هانئ الحارثىّ ثمّ الضّبابىّ ، وكان من أصحاب علىّ ، وكان عُبيد الله على أهل البَصْرة ، وهو أمير الجماعة ، فمضى حتى وَغَل فى بلاد رُتْبيل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء ٢/١٠٣٧ وَهدّم قِلاعًا وحُصونًا ، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة ، وأصحاب[2] رُتْبيل من التّرك يخلون لهم عن أرض بعد أرض ، حتى أمعنوا فى بلادهم

(١) ساقطة من ا . (٢) ب ، ف : «وأصاب» .

ودنَوا من مدينتهم ، وكانوا منها ثمانية عشرَ فرسخًا ، فأخذوا على المسلمين العقابَ والشِّعاب ، وخلّوهم والرَّساتيق ، فسُقِط فى أيدى المسلمين ، وظنوا أنْ قد هلكوا ، فبعث ابن أبى بَكْرة إلى شُرَيح بن هانئ : إنّى مصالح القوم على أن أعطيَهم مالا ، ويخلّوا بينى وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، فلقيَه شُريح فقال : إنك لا تصالح على شىء إلا حَسَبه السلطان عليكم فى أعطِياتِكم ، قال : لو مُنِعنا العطاءَ ما حَيِينا كان أهوَن علينا من هلاكنا ؛ قال شُريح : والله لقد بلغتُ سنًّا ، وقد هلكتْ لِدَاتى ، ما تأتى علىّ ساعة من ليل أو نهار فأظنّها تمضى حتّى أموت ، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ، ولئن فاتتنى اليومَ ما إخالنى مُدْرِكها حتى أموت ، وقال : يا أهل الإسلام ، تعاونوا على عدوّكم ؛ فقال له ابنُ أبى بَكْرة : إنك شيخ قد خَرِفْتَ ، فقال شريح : إنما حسبك أن يقال : بُستان ابن أبى بَكْرة وحَمام ابن أبى بَكْرة ، يا أهل الإسلام ، من أراد منكم الشهادةَ فإلىّ . فاتبعه ناسٌ من المتطوّعة غير كثير ، وفُرسان الناس وأهل الحفاظ ، فقاتلوا حتّى أصيبوا إلا قليلا ، فجعل شُريح يرتجز يومئذ ويقول :

١٠٣٨/٢

أصبحتُ ذا بَثٍّ أقاسى الكِبَرَا قد عِشتُ بين المشركين أعصُرَا
ثمّتَ أدركتُ النبىَّ المُنذِرا وبعــدَه صِدِّيقَهُ وعُمرَا
ويومَ مِهرانَ ويومَ تُستَرَا والجَمْعَ فى صِفِّينِهِم والنَّهَرَا
وباجُمَيْرَاتِ مع المُشَقَّرا هيهاتَ ما أطوَلَ هذا عُمُرا

فقاتل حتّى قُتِل فى ناس من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رُتْبيل حتّى خرجوا منها ، فاستقبلَهم مَن خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة ، فإذا أكلَ أحدُهم وشبِع مات ، فلما رأى ذلك الناسُ حذِروا يطعمونهم ، ثمّ جعلوا يطعمونهم السَّمْن قليلا قليلا ، حتى استمرءوا . وبلغ ذلك الحجاج ، فأخذه ما تقدّم وما تأخّر ، وبلغ ذلك منه كلّ مبلغ ، وكتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنّ جُند أمير المؤمنين الذين بسِجستان أصيبوا فلم

يَنجُ منهم إلا القليل ، وقد اجترأ العدوّ بالذى أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادَهم ، وغلبوا على حصونهم وقصورِهم ، وقد أردت أن أوجّه إليهم جنداً كثيفاً من أهل المِصرَين ، فأحببتُ أن أستطلع رأىَ أمير المؤمنين فى ذلك ، فإنْ رأى لى بعثةَ ذلك الجند أمضيْتُه ، وإن لم يرَ ذلك فإن أميرَ المؤمنين أولَى بجنده ، مع أنى أتخوّف إن لم يأت رُتْبيلَ ومن معه من المشركين جندٌ كثيف عاجلا أن يستوْلوُا على ذلك الفَرْج كلِّه . ١٠٣٩/٢

***

وفى هذه السنة قَدِم المهلّب خُراسانَ أميراً ، وانصرف عنها أمية بن عبد الله ، وقيل استعفَى شُريح القاضى من القضاء فى هذه السنة ، وأشار بأبى بُردَة بن أبى موسى الأشعرىّ ، فأعفاه الحجّاج وولّى أبا بُرْدة .

* * *

وحَجَّ بالناس فى هذه السنة – فيما حدّثنى أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر – أبانُ بن عثمان ، وكذلك قال الواقدىّ وغيرُه من أهل السيَر .

وكان أبان هذه السنة أميراً على المدينة من قِبَل عبدِ الملك بن مروان وعلى العراق والمَشرِق كلّه الحجّاج بن يوسف .

وكان على خُراسانَ المهلب من قبَل الحجاج .

وقيل : إنّ المهلب كان على حربها ، وابنه المغيرة على خَراجِها ، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة بن أبى موسى ، وعلى قضاء البَصرة موسى بن أنَس[1].

---

(١) بعدها فى ا : « وهو آخر الجزء السادس والأربعون » .

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الأحداث الجليلة التى كانت فى هذه السنة

(١ وفى هذه السنة جاء ١) — فيما حدّثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدىّ — سيل بمكة ذهب بالحُجّاج ، فغرِقت بيوتُ مكة فسمّى ذلك العامُ عامَ الجُحاف ، لأنّ ذلك السيل جَحَف كلّ شىء مرّ به . ١٠٤٠/٢

قال محمد بن عمر : حدّثنى محمد بن رفاعة بن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : جاء السيلُ حتى ذهب بالحُجّاج ببطن مكة ، فسمى لذلك عامَ الجُحاف ، ولقد رأيتُ الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تمرّ بهم ما لأحد فيهم حِيلة ، وإنى لأنظر إلى الماء قد بلغ الركنَ وجاوَزَه .

وفى هذه السنة كان بالبَصرة طاعونُ الجارف ، فيما زعم الواقدىّ .

***

[ذكر خبر غزو المهلّب ما وراءَ النهر]

وفى هذه السنة قطع المهلب نهرَ بَلْخ فنزل على كِسّ ، فذكر علىّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد وغيره أنه كان على مقدّمة المهلب حين نزل على كِسّ أبو الأدهم زيادُ بنُ عَمرو الزِّمّانىّ فى ثلاثة آلاف وهم خمسةُ آلاف إلا أنّ أبا الأدهم كان يُغنِى غَناءَ ألفَيْن فى البأس والتدبير والنصيحة . قال : فأتى المهلب وهو نازل على كِسّ ابن عمّ ملك الخُتَّل ، فدعاه إلى غزو الخُتّل ، فوجّه معه ابنه يزيد ، فنزل فى عسكره ، ونزل ابن عمّ الملك — وكان الملك يومئذ اسمه السَّبْل(٢) — فى عسكره على ناحية ، فبيّت السَّبْل ابن عمه ، فكبر فى عسكره ، فظن ابن عمّ السبْل أنّ العرب قد غدَرُوا به ، وأنهم خافُوه على الغدر حين اعتزل عسكرَهم ، فأسره السبْلُ ، فأتى به قلعتَه فقتله . قال : فأطاف يزيدُ بنُ المهلب بقلعة السَّبْل ، فصالحوه على فِدْية حَمَلوها إليه ، ورجع(٣) إلى المهلب فأرسلت أمّ الذى قتله السبل إلى أمّ السبْل : كيف ترجين ١٠٤١/٢

(١ – ١) ب ، ف : « ففيها » . وقبلها فى ا : « قال أبو جعفر » .
(٢) ط : « كس » ، صوابه من ا .   (٣) ابن الأثير : « رجع » .

بقاء السبْل بعد قتل ابن عمه ، وله سبعة إخوة قد وتَرَهم ! وأتت أمّ واحد فأرسلت إليها : إن الأسْدَ تقِلّ أولادُها ، والخنازير كثير أولادها .

ووجّه المهلب ابنه حبيبًا إلى رَبِنْجَن [١] فوافى صاحبَ بُخارَى فى أربعين ألفًا ، فدعا رجلٌ من المشركين إلى المبارزة ، فبرز له جَبَلَة غلام حبيب ، فقتل المشْرِك ، وحمل على جمعهم ، فقتل منهم ثلاثةَ نفر ، ثمّ رجع ورجع العسكر ، ورجع العدوّ إلى بلادهم ، ونزلتْ جماعةٌ من العدوّ قريةً ، فسار إليهم حبيب فى أربعة آلاف ، فقاتَلَهم فظَفر بهم ، فأحرَقَها ، ورجع إلى أبيه فسميت المحترِقة . ويقال إن الذى أحرقها جَبَلَة غلام حبيب .

قال : فمكث المهلب سنتين مقيمًا بكسّ ، فقيل له : لو تقدّمتَ إلى السغْد وما وراء ذلك ! قال : ليتَ حَظّى من هذه الغزْوة سلامة هذه الجُنْد ، حتى يرجعوا إلى مَرْوَ سالمين .

قال : وخرج رجلٌ من العدوّ يومًا ، فسأله البراز ، فبرز إليه هريم بن عدىّ ، أبو خالد بن هريم وعليه عمامةٌ قد شدّها فوق البَيْضة ، فانتهى إلى جَدْوَل ، فجاوَلَه المشرك ساعة فقتله هرَيْم وأخذ سَلَبه ، فلامَه المهلب ، وقال : لو أصبت ثم أمددتُ بألفِ فارس ما عَدَلوكَ عندى ، واتهم المهلبُ وهو بكِسْ قومًا من مضرَ فحبسهم بها ، فلما قفل وصار صُلْحٌ خلاّهم ، فكتب إليه الحجاج : إن كنت أصبتَ بحبسهم فقد أخطأتَ فى تخليتهم ؛ وإن كنتَ أصبت بتخليتهم فقد ظلمتَهم إذ حبستَهم . فقال المهلب : خفتُهم فحبستهم ، فلما أمنتُ خلّيتهم .

١٠٤٢/٢

وكان فيمن حبَس عبدالملك بن أبى شيخ القشيرىّ. ثم صالح المهلبُ أهلَ كِسْ على فدية ، فأقام ليقبضها ، وأتاه كتابُ ابن الأشعث بخَلْع الحجاج ويدعوه إلى مساعدته على خَلْعه ، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجّاج .

***

[تسيير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رُتبيل]

وفى هذه السنة وجّه الحجاج عبدَالرحمن بنَ محمد بن الأشعث إلى سِجستانَ لحرب رُتْبيل صاحب الترك ؛ وقد اختلف أهل السيرَ فى سبب

(١) ا : « صاحب ربنجن » .

توجيهه إياه إليها، وأين كان عبدُ الرحمن يومَ ولّاه الحجّاج سجستانَ وحرب رُتْبيل؛ فأما يونس بن أبي إسحاق - فيما حدّث هشام، عن أبي مِخنَف عنه - فإنه ذَكَر أنّ عبدالملك لما ورد عليه كتابُ الحجّاج بن يوسف بخبر الجيش الذى كان مع عُبيد الله بن أبي بَكْرة فى بلاد رُتْبيل وما لَقُوا بها كتب إليه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابُك تَذكُر فيه مُصابَ المسلمين بسجستانَ ، وأولئكَ قومٌ كَتَب الله عليهم القتل فبرَزوا إلى مَضاجِعهم ، وعلى الله ثوابهم . وأما ما أردتَ أن يأتيَك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها إلى[1] ذلك الفَرْج الذى أصيب فيه المسلمون أو كفّها ، فإنّ رأيي فى ذلك أن تُمضِيَ رأيَك راشداً موفَّقاً . ٢/١٠٤٣

وكان الحجّاج وليس بالعراق رجلٌ أبغضَ إليه من عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيتُه قطّ إلا أردتُ قتلَه .

قال أبو مِخنَف : فحدّثني نمير بن وَعْلة الهَمْدانيّ ، ثمّ اليناعيّ ، عن الشعبيّ ، قال : كنتُ عند الحجاج جالساً حين دخل عليه عبدُ الرحمن بنُ محمد بن الأشعث ، فلما رآه الحجاج قال : انظر إلى مِشيتِه ، والله لهممتُ أن أضربَ عنقه . قال : فلما خرج عبدالرّحمن خرجت فسبقتُه وانتظرته على باب سعيد بن قيس السَّبيعيّ ، فلما انتهى إليّ قلت : ادخل بنا الباب ، إني أريد أن أحدّثك حديثاً هو عندَك بأمانة الله أن تذكرَه ما عاش الحجّاج . فقال : نعم ، فأخبرتُه بمقالة الحجاج له ؛ فقال : وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاوِل أن أزيلَه عن سلطانه ، فأجهَد الجهد إذ طال بي وبه بقاء .

ثمّ إنّ الحجاج أخذ فى جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، وعشرين ألف رجل من أهل البَصْرة ، وجدّ فى ذلك وشمّر ، وأعطَى الناسَ أعطياتِهم كمَلاً[2] ، وأخذهم بالخيول الرّوائع ، والسلاحِ الكامل ، وأخذ فى عرض الناس ، ولا يرى رجلا تُذكَر منه شجاعةٌ إلا أحسَنَ معونَته ، فمرّ عبيد الله بن أبي محْجن الثقَفيّ على عبّاد بن الحصين الحَبَطيّ ، وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحَكَم الثقفيّ ، وهو يَعرِض الناس ، فقال ٢/١٠٤٤

(١) ا : « فى ذلك الفرج » . (٢) يقال : أعطاه المال كلا ، أى كاملا .

عبّادٌ : ما رأيتُ فرساً أرْوَعَ ولاأحسنَ من هذا[1] ، وإنّ الفرس قوّة وسلاح وإنّ هذه البغلة عَلَنْداة ، فزاده الحجاج خمسين وخمسمائة درهم ، ومرّ به عطية العنبرىّ ، فقال له الحجاج : يا عبدَ الرّحمن ، أحسِنْ إلى هذا .
فلما استَتَبّ له أمرُ ذَيْنِك الجندَين ، بعث الحجاج عطارد بن عمَر التميمىّ فعَسكَر بالأهواز ، ثمّ بعث عُبيدَ الله بن حجَر بن ذى الجوشن العامرىّ من بنى كلاب . ثم بدا له ، فبعث عليهم عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث وعزل عُبيد الله بن حجر ، فأتى الحجاجَ عمُّه إسماعيلَ بن الأشعث ، فقال له : لا تبعثه فإنى أخاف خلافَه ، والله ما جازَ جِسر الفرات قطّ فرأى لوالٍ من الوُلاة عليه طاعةً وسلطاناً . فقال الحجاج : ليس هناك ، هُو لى أهيَبُ وفىّ أرغَب من أن يخالف أمرى ، أو يخرج من طاعتى ؛ فأمضاه على ذلك الجيش ، فخرج بهم حتى قدم سِجستانَ سنة ثمانين ؛ فجمع أهلَها حين قَدِمَها .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى أبو الزّبير الأرحَبىّ — رجل من هَمْدان كان معه — أنه صَعِد منبرَها فحمِد الله وأثنىَ عليه ثم قال : أيها الناس ، إنّ الأمير الحجّاج ولّانى ثغرَكم ، وأمَرَنى بجهاد عدوّكم الذى استباح بلادكم وأباد خيارَكم ، فإياكم أن يتخلّف منكم رجل فيُحِلّ بنفسه العقوبة ، اخرجُوا إلى معسكركم فعسكِروا به مع الناس . فعسكر الناسُ كلهم فى معسكرهم ووُضِعت لهم الأسواق ، وأخذ الناسُ بالجهاز والهيئة بآلة الحرب ، فبلغ ذلك رُتْبيل ، فكَتَب إلى عبد الرحمن بن محمد يعتذر إليه من مُصاب المسلمين ويخبره أنه كان لذلك كارهاً ، وأنهم ألجئوه إلى قتالهم ، ويسأله الصّلح ويَعرِض عليه أن يقبلَ منه الخَراج ، فلم يُجبه ، ولَم يقبَل منه . ولم يَنشَب عبدُ الرحمن أن سار فى الجنود إليه حتى دخل أوّل بلاده ، وأخذ رُتْبيل يضمّ إليه جندَه ، ويدع له الأرض رُستاقاً رستاقاً ، وحصناً حصناً ، وطفِق ابن الأشعث كلما حوىَ بلَداً بعث إليه عاملا ، وبعَثَ معه أعواناً ، ووضع

١٠٤٥/٢

(١) ا : « من ذا » .
(٢) العلنداة : الغليظة .

البُرُدَ فيما بين كلّ بلد وبلد، وجعل الأرصادَ على العِقاب والشعاب،ووضع المَسالح بكلّ مكان مَخوف ، حتى إذا جاز من أرضه أرضًا عظيمة ، وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة ، حبس الناسَ عن الوُغول فى أرض رُتْبيل وقال : نكتفى بما أصبْناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ، وتجترئ المسلمون على طُرُقها ، ثمّ نتعاطى فى العام المقبل ما وراءها، ثم لم نزل نتنقّصهم فى كلّ عام طائفةً من أرضهم حتى نقاتلَهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريِّهم، وفى أقصى بلادهم، وممتنَع حصونهم ، ثمّ لا نزايل بلادَهم حتى يُهلكهم الله . ٢ / ١٠٤٦

ثم كتب إلى الحجّاج بما فتح الله عليه من بلاد العدوّ ، وبما صنع الله للمسلمين ، وبهذا الرأى الذى رآه لهم .

وأما غيرُ يونسَ بن أبى إسحاق وغيرُ من ذكرت الرواية عنه فى أمر ابن الأشعث فإنه قال فى سبب ولايته سجستانَ ومسيره إلى بلاد رُتْبيل غير الذى رويت عن أبى مِخنَف ، وزَعم أن السبب فى ذلك كان أن الحجاج وجّه هِميان بن عدىّ السدُوسىّ إلى كرمانَ ، مَسلَحة لها ليمد عاملَ سجستانَ والسِّنْد إن احتاجا إلى مَدَد ، فعصى هِميانُ ومن معه ، فوجّه الحجاج ابن الأشعث فى محاربته ، فهزمه ، وأقام بموضعه .

ومات عُبيد الله بن أبى بَكْرة ، وكان عاملاً على سِجِستان ، فكتب الحجاج عهدَ ابن الأشعث عليها ، وجهّز إليها جيشًا أنفَق عليهم ألفَى ألف سوى أعطِياتهم ، كان يُدعَى جيشَ الطواويس ، وأمره بالإقدام على رُتْبيل .

***

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبان بنُ عثمانَ ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال محمّد بن عُمر الواقدىّ . ٢ / ١٠٤٧

وقال بعضهم : الذى حجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن عبد الملك .

وكان على المدينة فى هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، وعلى العراق والمشرق كلّه

الحجّاجُ بن يوسف ، وعلى خُراسانَ المهلّب بنُ أبى صُفْرة من قِبَل الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة بن أبى موسى ، وعلى قضاء البَصْرة موسى بنُ أنَس

* * *

وأغزَى عبدُ الملك فى هذه السنة ابنه الوليد .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة كان فتح قاليقلا، حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثنا عليّ ابن محمد، قال: أغزى عبدُ الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عُبيدَ الله بنَ عبدالملك، ففتَح قاليقَلا.

***

[ذكر الخبر عن مقتل بَحير بن ورقاء بخُراسان]

وفي هذه السنة قُتِل بحير بن ورقاء الصُّرَيميّ بخُراسانَ.

ذكر الخبر عن مقتله:

وكان سببُ قتله أنّ بَحيراً كان هو الذي تولى قَتل بُكَير بن وشاح أمرِ أمية بن عبد الله إياه بذلك، فقال عثمان بنُ رجاء بن جابر بن شدّاد أحدُ بني عَوف بن سعد من الأبناء يحضّ رجلا من الأبناء من آل بُكَير بالوتْر:

لعَمْرِى لَقَدْ أغْضَيْتَ عَيْناً عَلَى القَذَى ... وبِتَّ بَطِيناً من رَحِيقٍ مُرَوَّقِ

وخَلَّيْتَ ثَأْرًا طُلَّ واخترْتَ نَوْمَةً ... ومَن شربَ الصَّهْبَاءَ بالوِتْرِ يُسْبَقِ[1]

فلو كنْتَ مِنْ عوْفِ بن سعدٍ ذُؤابَةً ... تَرَكْتَ بَحِيراً فى دَم مُتَرَقرِقِ 1048/2

فقل لبَحِيرٍ نَمْ ولا تخشَ ثائرًا ... بعَوفٍ فعوفٌ أهلُ شاةٍ حَبَلَّقِ[2]

دَعِ الضأْنَ يوماً قد سُبِقْتُم بوِترِكمْ ... وصرتُم حَدِيثاً بيْنَ غَربٍ ومَشْرِقِ

وَهُبّوا فلو أمسى بُكَيْرٌ كعَهْدِهِ ... صحيحاً لَغَادَاهم بِجَأْواءَ فَيلَقِ[3]

وقال أيضًا:

فلو كان بكرٌ بارزًا فى أَدَاتِهِ ... وذى العَرْشِ لم يُقْدِمِ عليهِ بَحِيرُ

---

(1) ابن الأثير: «ومن يشرب». (2) الحبلّق: صغار الغنم.

(3) فى اللسان: «كتيبة جأواء: بينة الجأى، وهى التى يعلوها لون السواد لكثرة الدروع».

فنى الدهر إنْ أبقَانِىَ الدَّهرُ مَطلَبٌ　　وفى الله طَلَّابٌ بذاكَ جديرُ

وبلغ بَحيرًا أنّ الأبناء يتوّعدونه ، فقال :

توَعَّدنى الأَبناءُ جَهْلاً كأنّما　　يَرَون فِنائى مُقْفِرًا من بنى كعبِ
رفَعْتُ له كفِّى بحدّ مُهَنَّد[1]　　حُسامٍ كلونِ المِلح ذى رَوْنَقٍ عَضْبِ[2]

١٠٤٩/٢ فذكر علىّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد ، أن سبعة عشر رجلا من بنى عوف بن كعب بن سعد تَعاقَدوا على الطلب بدم بُكَير ، فخرج فتًى منهم يقال له الشمَرْدَل من البادية حتى قدم خُراسان ، فنظر إلى بحير واقفًا ، فشدّ عليه فطعنه فصرَعه ، فظن أنه قد قتله ، وقال الناس : خارجىّ ، فراكَضَهم ، فعثَر فرسُه فندَر عنه فقُتِل .

ثمّ خرج صَعْصعة بن حرب العَوْفى ، ثمّ أحد بنى جُندُب ، من البادية وقد باع غُنَيْمات له ، واشترى حماراً ، ومضى إلى سِجستانَ فجاور قَرابةً لبَحير هناك ولاطَفَهم ، وقال : أنا رجل من بنى حنيفة من أهل اليمامة ، فلم يزَلْ يأتيهم ويجالسُهم حتى أنِسوا به ، فقال لهم : إنّ لى بخُراسان ميراثًا قد غُلبتُ عليه ، وبلغنى أنّ بَحيراً عظيمُ القَدْر بخُراسان ، فاكتُبوا لى إليه كتابًا يُعيننى على طلب حقى ، فكتبوا إليه ، فخرج فقَدِم مَرْوَ والمهلّب غاز . قال : فلقىَ قومًا من بنى عوف ، فأخبرَهم أمرَه ، فقام[3] إليه مولًى لبكير صَيْقَل[4] ، فقبّل رأسه ، فقال له صعصعة : اتخذ لى خنْجَراً ، فعمل له خنجراً وأحماه وغَمَسه فى لَبَن أتانٍ مِراراً ، ثمّ شخَص من مَرْوَ فقطع النهر حتى أتى عسكَرَ المهلب وهو بأخرون يومئذ ، فلقى بَحيراً بالكتاب ، وقال :

١٠٥٠/٢ إنى رجل من بنى حنيفة ، كنتُ من أصحاب ابن أبى بكْرة ، وقد ذهب مالى بسجستان ، ولى ميراثٌ بمَرْو ، فقدِمْت لأبيعَه ، وأرجع إلى اليمامة . قال : فأمر له بنَفَقة وأنزله معه ، وقال له : استعِن بى على ما أحببتَ ، قال : أقيمُ عندَك حتى يقفُل الناسُ ، فأقام شهراً أو نحوًا من شهر يَحضُر

(١) ب ، ف : « بعضب » .　(٢) ابن الأثير : « كلون الثلج » .
(٣) ب ، ف : « فأقبل » .　(٤) الصقيل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

معه بابَ المهلّب ومَجلسه حتى عرف به . قال : وكان بحير يخاف الفَتْك به ، ولا يأمن أحدًا ، فلما قَدِم صعصعةُ بكتاب أصحابه قال : هو رجلٌ من بكر بن وائل، فأمنه ، فجاء يومًا وبَحير جالس فى مجلس المهلّب ، عليه قميص ورداء ونعلان، فقعد خلفَه، ثمّ دنا منه، فأكبّ عليه كأنه يكلمه، فوَجأه بخِنجره فى خاصرته ، فغيّبه فى جوفه ، فقال الناس: خارجىّ ! ، فنادَى : يالَثارات بُكير ، أنا ثائر ببكير ! فأخذه أبو العَجْفاء بن أبى الخَرْقاء ، وهو يومئذ على شُرَط المهلب ، فأُتِىَ به المهلّب فقال له : بُؤسًا لك ! ما أدركتَ بثأرك، وقتلتَ نفسَك، وما على بَحير بأس، فقال: لقد طعنته طعنةً لو قُسِمتْ بين الناس لمَاتُوا ، ولقد وجدتُ ريح بطنِه فى يدى ، فحبَسه فدخل عليه السجنَ قومٌ من الأبناء فقبّلوا رأسَه . قال : ومات بَحير من غد عند ارتفاع النهار ، فقيل لصَعْصعة: مات بَحير ، فقال : اصنَعوا بى الآنَ ما شئتم ، وما بدا لكم ، أليس قد حلّت نُذورُ نساء بنى عوف ، وأدركتُ بثأرى ! لا أبالى ما لقيت، أما والله لقد أمكننى ما صنعتُ خاليًا غيرَ مرّة ، فكرهت أن أقتلَه سرًّا ؛ فقال المهلّب : ما رأيتُ رجلا أسخَى نفسًا بالمَوت صبرًا من هذا ؛ وأمَر بقتله أبا سُوَيقة ابن عمّ لبَحير ، فقال له أنس بن طلق: وَيحك ! قتِل بحير فلا تقتلوا هذا ، فأبى وقتَلَه ، فشتَمَه أنَس . ١٠٥١/٢

وقال آخرون : بعث به المهلّب إلى بَحير قبل أن يموت ، فقال له أنَس ابن طلْق العَبْشَمىّ : يا بحير ، إنك قتلتَ بكيراً ، فاستحْيِ هذا ، فقال بحير : أدنوه منّى ، لا والله لا أموت وأنتَ حىّ ، فأدنَوْه منه ، فوضع رأسَه بين رجليه وقال: اصبِر عفاق ، إنه شرّ باق ، فقال ابن طلحة لبَحير : لعنك الله ! أكلّمك فيه وتقتله بين يدىّ! فطعنه بَحير بسيفِه حتى قتَلَه ومات بَحير ، فقال المهلب : إنا لله وإنا إليه راجعون، غزوَة أصيبَ فيها بَحير ؛ فَغَضب عوف بنُ كعب والأبناء وقالوا : علامَ قُتِل صاحبنا ، وإنما طلب بثأره ! فنازعتهم مُقاعس والبُطون حتى خاف الناس أن يَعظُم البأس ، فقال أهلُ الحِجَى : احمِلوا دمَ صَعْصعة ، واجْعَلوا دمَ بحير بَواءً ببُكير

فودَوا صَعْصعة ، فقال رجل من الأبناء يمدَح صعصعة :

لله دَرُّ فتًى تجاوَزَ هَمُّهُ دونَ العِرَاق مَفَاوِزًا وبُحُورَا
ما زال يَدْأَبُ نَفْسَهُ ويكُـدُّها حتَّى تَنَاوَلَ فى خَزُونَ بَحيرَا

قال : وخرج عبدُ ربّه الكبير أبو وَكيع ، وهو من رَهْط صَعْصعة إلى البادية ، فقال لرَهْط بُكَير : قُتِل صعصعة بطَلَبه بدمِ صاحبكم ، فودَوْه ، فأخذ لصعصعة دِيتَين .

***

[ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجّاج]

١٠٥٢/٢ قال أبو جعفر : وفى هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجّاجَ ومَن معه من جُند العراق ، وأقبلوا إليه لحربه فى قول أبى مِخنَف، وروايته لذلك عن أبى المخارِق الراسبىّ ، وأما الواقدىّ فإنه زعم أنّ ذلك كان فى سنة اثنتين وثمانين .

* ذكر الخبر عن السبب الذى دعا عبد الرحمن بن محمّد إلى ما فعل من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجّاج فى هذه السنة :

قد ذكرْنا فيما مضى قبلُ ما كان من عبد الرحمن بن محمد فى بلاد رُتْبيل ، وكتابه إلى الحجّاج بما كان منه(١ هناك ، وبما عَرض١) عليه من الرأى فيما يستقبل من أيامه فى سنة ثمانين(٢) ، ونذكر الآن ما كان من أمره فى سنة إحدى وثمانين فى روايةِ أبى مِخنَف ، عن أبى المخارِق .

ذكَر هشامٌ عن أبى مِخنَف قال : قال أبو المُخارِق الراسبىّ : كتب الحجّاج إلى عبد الرحمن بن محمد جوابَ كتابه :

أما بعد ، فإن كتابك أتانى ، وفهمتُ ماذكرتَ فيه ، وكتابُك كتاب امرئ يحبّ الهدْنة ، ويستريح إلى الموادَعة، قد صانع عدوًّا قليلا ذليلا، قد أصابوا من المسلمين جُنداً كان بلاؤهم حسَنًا ، وغَناؤهم فى الإسلام عظيمًا .

١٠٥٣/٢ لَعمرُك يابن أمّ عبد الرحمن، إنك حيث تكفّ عن ذلك العدوّ بجُندى وحَدّى

(١ - ١) ب ، ف : « هناك وما عزم » .

(٢) انظر ص ٣٢٦ وما بعدها .

لسخِيٌّ النفس عمّن أصيب من المسلمين . إنى لم أعدد رأيكَ الذى زعمت أنك رأيتَه رأىَ مكيدة ، ولكنى رأيتُ أنه لم يحملك عليه إلا ضَعفك ، والتياثُ رأيك ، فامضِ لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم ، والهدمِ لحصونهم ، وقتلِ مُقاتلتِهم ، وسَبْى ذراريِّهم .

ثم أردفَه كتاباً فيه :

أما بعد ، فمُرْ مَن قِبلَك من المسلمين فلْيحرُثوا وليقيموا ، فإنها دارُهم حتى يَفتَحها الله عليهم .

ثمّ أردفه كتاباً آخر فيه :

أما بعد ، فامضِ لما أمرتكَ به من الوغول فى أرضهم ، وإلاّ فإن إسحاق ابنَ محمّد أخاك أمير الناس ، فخلّه وما وُلِّيتَهُ .

فقال حين قرأ كتابَه : أنا أحمل ثِقل إسحاق ؛ فعرَض له ، فقال : لا تَفعَل ، فقال : وربّ هذا — يَعنِى المُصحَف — لئن ذكرتَه لأحد لأقتلنّك . فظنّ أنه يريد السيف ، فوضع يَده على قائم السيف ، ثمّ دعا الناسَ إليه ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنى لكم ناصح ، ولصلاحِكم مُحِبّ ، ولكم فى كل ما يُحيط بكم نفعُه ناظر ، وقد كان من رأيى فيما بينكم وبين عدوّكم رأىٌ استشرتُ فيه ذوى أحلامِكم ، وأولى التجربة للحرْب[1] منكم ، فرضُوه لكم رأياً ، ورأوْه لكم فى العاجل والآجل صلاحاً ، وقد كتبت[2] إلى أميركم الحجّاج ، فجاءنى منه كتاب يعجّزنى ويضعفُنى ، ويأمُرنى بتعجيل الوغول بكم فى أرض العدوّ ، وهى البلاد التى هلك إخوانكم فيها[3] بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مَضَيتم ، وآبَى إذا أبيتم . فثارَ إليه الناسُ فقالوا : لا ، بل نأبَى على عدوّ الله ، ولا نَسمَع له ولا نطيع .

١٠٥٤/٢

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى مطرّف بن عامر بن واثلة الكنانىّ أنّ أباه كان أوّل متكلّم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً ، فقال بعدَ أن حَمِد الله وأثنى عليه :

أما بعد ، فإنّ الحجّاج والله ما يرَى بكم إلا ما رأى القائل الأوّل إذ قال

(١) ب ، ف : « منكم الحرب » . (٢) بعدها فى ب ، ف : « بذلك » .
(٣) ب ، ف : « فيها إخوانكم » .

لأخيه : احمل عبدك على الفرس ، فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك . إن الحجاج والله ما يبالى أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهوب واللصوب[1] ، فإن ظفرتم فغنمتم أكل البلاد وحاز المال ، وكان ذلك زيادة فى سلطانه ، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذى لا يبالى عنتهم ، ولا يبقى عليهم ، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن ، فإنى أشهدكم أنى أول خالع . فنادى الناس من كل جانب ، فعلنا فعلنا ، قد خلعنا عدو الله ، وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعى التميمى ثانياً — وكان على شرطته حين أقبل — فقال : عباد الله ، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وجمركم تجمير فرعون الجنود ، فإنه بلغنى أنه أول من جمر البعوث ، ولن تعاينوا الأحبة[2] فيما أرى أو يموت أكثركم[2]. بايعوا أميركم ، وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم ، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه ، فقال : تبايعونى على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لى وجهاده معى حتى ينفيه الله من أرض العراق . فبايعه الناس ، ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشىء .

٢ / ١٠٥٥

قال أبو مخنف : حدثنى عمر بن ذر القاص أن أباه كان معه هنالك ، وأن ابن محمد كان ضربه وحبسه لانقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد ، فلما كان من أمره الذى كان من الخلاف دعاه فحمله وكساه وأعطاه ، فأقبل معه فيمن أقبل ، وكان قاصاً خطيباً .

قال أبو مخنف : حدثنى سيف بن بشر العجلى ، عن المنخل بن حابس العبدى أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بست عياض ابن هميان البكرى ، من بنى سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمى ثم الدارمى ، ثم بعث إلى رتبيل ، فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقى ، وإن هزم فأراده ألجأه عنده .

---

(١) اللهوب : جمع لهب ، وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه ، واللصوب : جمع لصب ، وهو مضيق الوادى .

(٢ – ٢) ب ، ف : « فيما أرى أو يموت أكثرهم » .

قال أبو مِخنَف : حدّثني خُشَيْنة بنُ الوَليد العبسيّ أنّ عبد الرحمن لمّا خرج من سِجِستانَ مقبلا إلى العراق سار بين يديه الأعشَى على فرس، وهو يقول :

شَطَّت نَوَى مَنْ دارُهُ بالإيوانْ إيوانِ كِسْرى ذى القُرَى والرَّيحانْ[1] ١٠٥٦/٢

مِن عاشِقٍ أَمسَى بزَابُلِسْتانْ إنَّ ثقيفاً منهمُ الكذّابانْ

كذّابُهَا الماضِى وكذابٌ ثانْ أَمكَنَ ربِّى مِن ثقيفٍ هَمْدَانْ

يوماً إلى الليلِ يُسَلِّى ما كان إنَّا سَمَوْنا للكَفُور الفتّانْ

حين طَغَى فى الكفر بعدَ الإيمانْ بالسَّيِّد الغِطْرِيفِ عبدِ الرّحمنْ

سارَ بجمْع كالدَّبَى من قَحْطانْ[2] ومِن مَعَدٍّ قد أَتى ابن عَدْنانْ

بِجَحْفَل جَمٍّ شديدِ الإِرْنانْ[3] فقلْ لحجَّاجٍ ولىِّ الشيطانْ

يثبُتْ لَجمْعِ مَذْحِجٍ وهَمْدانْ فإنَّهمْ ساقُوه كأْسَ الذَّيْفَانْ

* ومُلحِقُوهُ بقُرَى ابنِ مَرْوَانْ * ١٠٥٧/٢

قال : وبعَث على مقدمته عطية بن عَمرو العنبرىّ ، وبعث الحجاج إليه الخيل، فجعل لا يلقَى خيلا إلّا هزمَها، فقال الحجاج : مَن هذا ؟ فقيل له : عطيّة ، فذلك قولُ الأعشى :

فإذا جَعلتَ دُرُوبَ فا رِسَ خَلفَهُمْ درْباً فدَرْبَا[4]

فابْعَثْ عطِيَّةَ فى الخُيو لِ يُكِبُّهُنَّ عَلَيْكَ كَبَّا

ثمّ إن عبد الرحمن أقبل يسير بالناس ، فسأل عن أبى إسحاق السَّبيعىّ ، وكان قد كتبه فى أصحابه ، وكان يقول : أنت خالى ، فقيل له : ألا تأتيه فقد سأل عنك ! فكرِه أن يأتيَه، ثمّ أقبل حتى مرّ بكَرْمان فبعث عليهم خرَشة ابن عمرو التميمىّ ، ونزل أبو إسحاق بها ، فلم يدخل فى فتنته حتى كانت

---

(١) هو أعشى همدان ، وانظر الأغانى ٦ : ٥٩ ، ٦٠ ، فهناك رواية مخالفة .

(٢) الدبى : الجراد ، وفى الأغانى : « كالقطا » .

(٣) الإرنان : الضوضاء والجلبة .

الجماجم ، ولما دخل الناسُ فارسَ اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنا إذا خلعنا الحجّاجَ عاملَ عبد الملك فقد خلعْنا عبدَ الملك، فاجتمعوا إلى عبد الرحمن ، فكان أول الناس .

قال أبو مِخنَف فيما حدّثنى أبو الصّلت التيمىّ : خلَع عبدَ الملك بن مروان تيحانُ بن أبْجر من بنى تيم الله بن ثعلبة ، فقام فقال : أيها الناس ، إنى خلعت أبا ذِبّان[1] كخلْعى قميصى ، فخلعه الناسُ إلّا قليلا منهم، ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه ، وكانت بيعتُه : تُبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة[2] وجهادِ المحلّين ، فإذا قالوا : نعم بايَع . فلما بلغ الحجّاج خلعُه كتب إلى عبد الملك يخبره خبرَ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث ، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه إلى عبدِ الملك يتمثّل فى آخره بهذه الأبيات ، وهى للحارث بنِ وَعْلة : ١٠٥٨/٢

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ هل جَنَيْتُ لهمْ حَرْباً تُفَرِّقُ بين الجِيرَةِ الخُلُطِ[3]

وهلْ سَمَوْتُ بِجَرَّارٍ له لَجِبٌ[4] جَمِّ الصَّوَاهِلِ بين الجمِّ والفُرُطِ[5]

وهل تركتُ نساءَ الحَيِّ ضاحيةً فى سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ[6]

وجاء حتّى نزل البصْرة . وقد كان بلغ المهلبَ شقاق عبد الرحمن وهو بسِجسْتان ، فكتب إليه :

١٠٥٩/٢ أما بعد ، فإنك وضعتَ رجْلك يا بن محمد فى غَرْز طويل الغَىّ على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . اللهَ اللهَ فانظر[7] لنفسك لا تُهلِكْها ؛ ودماء المسلمين فلا تَسْفِكْها ، والجماعة فلا تفرّقها ، والبَيعة فلا تَنكُثْها ، فإن قلتَ : أخاف الناسَ على نفسى فاللهُ أحقّ أن تخافه عليها من الناس ، فلا تُعرّضها لله فى سَفْك دم ، ولا استحلال محرّم والسلام عليك .

---

(١) أبو ذبان ، كنيته عبد الملك بن مروان ؛ وكان ينبز بها . وانظر ثمار القلوب ٢٤٦
(٢) ب ، ف : « وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم» .
(٣) الأغانى ١٩ : ١٤٠ . (٤) الأغانى : « أم هل علوت » .
(٥) الأغانى : « يغشى المحارم بين السهل والفرط » .
(٦) الأغانى : « حتى تركت » . (٧) ب ، ف : « انظر » .

وكتبَ المهلّب إلى الحجّاج :

أما بعد فإنّ أهلَ العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السَّيْل المنحدر من علٍ، وليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره، وإنّ لأهل العراق شِرّةً في أوّل مخرجهم، وصَبابة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردّهم حتى يَسقُطوا إلى أهليهم، ويشمّوا أولادهم ، ثمّ واقِفهم عندها ، فإنّ الله ناصرُك عليهم إن شاء الله .

فلما قرأ كتابَه قال : فَعَل الله به وفَعل، لا والله ما لى نَظَر . ولكنْ لابن عمّه نَصَح . لما وقع كتابُ الحجاج إلى عبد الملك هاله ثمّ نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، ودعاه فأقْرَأه الكتاب ، ورأى ما به من الجَزَع ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنْ كان هذا الحدث من قِبَل سجستان، فلا تَخفْه، وإن كان من قِبَل خُراسانَ تخوّفته . قال: فخرج إلى الناس فقام فيهم فَحمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : ١٠٦٠/٢

إن أهل العراق طال عليهم عُمرى فاستعجلوا قَدَرِى . اللهم سلط عليهم سيوفَ أهل الشأم حتى يَبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سُخْطك. ثمّ نزل .

وأقام الحجّاجُ بالبَصْرة وتجهّز ليَلقَى ابنَ محمّد، وترك رأيَ المهلب وفُرسان(١) الشأم يَسقُطون إلى الحجاج، فى كلّ يوم مائة وخمسون وعشرة وأقلّ على البُرد من قِبَل عبد الملك ، وهو فى كلّ يوم تَسقُط إلى عبدِ الملك كُتُبه ورُسله بخبر ابن محمد أىَّ كورة نَزَل ، ومن أىّ كورة يرتحِل ، وأىُّ الناس إليه أسرَع .

قال أبو مِخنَف : حدّثنى فُضيل بن خديج أنّ مكتبه كان بكَرْمان ، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فلما مرّ بهم ابن محمد بن الأشعث، انجفَلوا معه، وعزم الحجاج رأيه على استقبال ابن الأشعث ، فساربأهل الشأم حتى نزل تُسْتَر، وقدم بين يديه مطهر بن حرّ العكّىّ — أو الجُذامىّ — وعبد الله بن رُمَيثْه الطائىّ ، ومطهّر على الفريقين ، فجاءوا حتى انتَهَوْا إلى دُجَيْل، وقد قطَع عبد الرحمن بن محمد خيلا له،

(١) ب ، ف : «وسار».

عليها عبد الله بن أبان الحارثىّ فى ثلثمائة فارس — وكانت مَسلحةً له وللجُنْد — فلما انتهى إليه مطهّر بن حرّ أمَرَ عبد الله بن رُمَيثة الطائىّ فأقدَمَ عليهم ، فهزمتْ خيلُ عبد الله حتى انتهتْ إليه ، وجُرِح أصحابه .

١٠٦١/٢

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى أبو الزبير الهَمْدانىّ، قال : كنتُ فى أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثمّ قال : اعبُروا إليه من هذا المكان ، فأقحم الناسُ خيولَهم دُجَيل من ذلك المكان الذى أمرهم به ، فوالله ما كان بأسرَع من أن عبَر عُظْم خيولنا ، فما تكاملت حتى حملْنا على مطهّر بن حرّ والطائىّ فهزمناهما يوم الأضحى فى سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قَتْلا ذريعًا ،وأصبنا عسكرَهم ، وأتت الحجاجَ الهزيمةُ وهو يخطُب ، فصَعِد إليه أبو كعب بن عُبيد بن سَرْجِس فأخبَرَه بهزيمة الناس ، فقال : أيّها الناس، ارتحِلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتَل وطعام ومادّة ، فإنّ هذا المكان الذى نحن به لا يَحمل الجند . ثمّ انصرَف راجعًا وتبعتْه خيولُ أهل العراق ، فكلما أدركوا منهم شاذًّا قتَلوه ، وأصابوا ثِقْلا حووْه ، ومضى الحجاج لايَلوى على شىء حتى نزل الزاوية، وبعث إلى طعام التجار بالكلّاء [1] فأخذه فحمَله إليه ، وخلّى البَصرةَ لأهل العراق . وكان عامله عليها الحكَم ابن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل الثقفىّ . وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة . وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصّدمةَ وأقبل راجعًا دعا بكتاب المهلّب ، فقرأه ثمّ قال : لله أبوه ! أىّ صاحب حرب هو ! أشار علينا بالرأى ، ولكنّا لم نقبل .

* * *

١٠٦٢/٢

وقال غيرُ أبى مِخنَف : كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيّوب على الصّلاة والصدقة، وعبد الله بن عامر بن مِسمع على الشُّرَط ، فسار الحجاج فى جيشه حتى نزل رُستُقُباذ وهى من دَستَوَى من كور الأهواز ، فعَسكر بها ، وأقبل ابنُ الأشعث فنزل تُستَر ، وبينهما نهر ، فوجّه الحجاج مُطَهّر ابنَ حرّ العكّىّ فى ألفى رجل ، فأوقعوا بمسلحة لابن الأشعث ، وسار ابن

(١) الكلاء : سوق بالبصرة .

الأشعث مبادراً، فواقَعهم، وهى عشيّةُ عَرَفَة من سنة إحدى، وثمانين فيقال : إنهم قَتلوا من أهل الشأم ألفًا وخمسمائة ، وجاءه الباقون منهزمين ، ومعه يومئذ مائةٌ وخمسون ألف ألف، ففرّقها فى قُوّاده، وضمّنهم إياها، وأقبل منهزمًا إلى البَصْرة . وخطب ابن الأشعث أصحابَه فقال : أما الحجّاج فليس بشىء ، ولكنا نريد غزوَ عبدِ الملك ، وبلغ أهلَ البَصرة هزيمةُ الحجّاج ، فأراد عبدُ الله بنُ عامر بن مِسمَع أن يقطع الجِسر دونَه ، فرَشاه الحكَمَ ابن أيّوبَ مائة ألف ، فكفّ عنه . ودخل الحجاج البَصرة ، فأرسل إلى ابن عامر فانتزع المائةَ الألف منه .

* * *

رَجْع الحديث إلى حديث أبى مِخنَف عن أبى الزّبير الهَمْدانىّ .

فلما دخل عبدُ الرحمن بنُ محمد البَصرة بايعه على حرب الحجاج ، وخلْع عبدِ الملك جميعُ أهلها من قُرّائها وكُهولها ، وكان رجل من الأزد من الجَهاضِم يقال له عُقْبة بن عبد الغافر له صحابة ، فنزا فبايع [1] عبدالرحمن مستبصراً فى قتال الحجاج ، وخَنْدق الحجّاجُ عليه، وخندقَ عبدُالرحمن على البصرة . وكان دخولُ عبدِ الرحمن البَصرة فى آخر ذى الحجة من سنة إحدى وثمانين .

١٠٦٣/٢

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمانُ بنُ عبد الملك ، كذا حدّثنى أحمدُ ابنُ ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى مَعشَر . وكذلك قال الواقدىّ ، وقال : فى هذه السنة وُلِد ابنُ أبى ذئب .

وكان العاملَ فى هذه السنة على المَدينة أبانُ بنُ عثمان ، وعلى العراق والمشرِق الحجاجُ بنُ يوسف ، وعلى حرب خُراسانَ المهلَّب ، وعلى خَراجها المغيرة بن مهلب من قِبَل الحجاج ، وعلى قَضاء الكوفة أبو بُرْدة بن أبى موسى ، وعلى قَضاء البَصرة عبد الرحمن بن أذَيْنة .

(١) ب ، ف : « فرأى أن يبايع » .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

* * *

[خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية]

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزّاوية.

ذكر هشامُ بنُ محمد، عن أبي مِخنَف، قال: حدّثني أبو الزّبير الهَمْدانيّ قال: كان دخولُ عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحِجة، واقتتلوا في المحرّم ٢/١٠٦٤ من سنة اثنتين وثمانين، فتزاحفوا ذاتَ يوم، فاشتدّ قتالهم. ثمّ إن أهل العراق هزموهم حتّى انتهَوْا إلى الحجاج، وحتّى قاتلوهم على خنادِقهم، وانهزمتْ عامة قريش وثَقيف، حتّى قال عبيدُ بن مَوْهَب مولى الحجاج وكاتبه:

فر البَراءُ وابن عَمِّهِ مُصْعَبُ وفرَّتْ قريشٌ غيْرَ آل سَعِيد

ثمّ إنهم تَزاحَفوا في المحرّم في آخره في اليوم الذي هزمَ فيه أهلُ العراق أهلَ الشام، فنكصتْ ميمنتهم وميسرتهم، واضطربتْ رِماحهم، وتقوّض صفُّهم؛ حتّى دَنوا منّا، فلما رأى الحجاج[1] ذلك جثا على ركْبتيه، وانتَضى نحواً من شبِر من سيْفه، وقال: لله دَرّ مُصْعَب! ما كان أكرمه حين نزل به ما نَزَل! فعلمت أنه والله لا يريد أن يفرّ. قال: فغمزتُ أبي بعيني ليأذن لي فيه فأضربَه بسيفي، فغمزَني غمزةً شديدة، فسكنت[2]، وحانتْ مني التفاتة، فإذا سُفيان بنُ الأبرد الكلبيّ قد حَمل عليهم فهَزَمهم من قِبَل الميمنة، فقلتُ: أبشر أيُّها الأمير، فإنّ الله قد هَزَم العدوّ. فقال لي: قم فانظر؛ قال: فقمتُ فنظرت؛ فقلتُ: قد هزمهم الله، قال: قُمْ يازياد فانظر؛ قال: فقام فنظر فقال: الحقّ أصلحك الله يقيناً[3] قد هُزِموا، ٢/١٠٦٥ فخرّ ساجداً، فلما رجعت شتمني أبي وقال: أردتَ أن تُهلِكني وأهل بيتي.

---

(١) ب، ف: «فلما رأى ذلك الحجاج». (٢) س: «فسكت».

(٣-٣) ب، ف: «أيها الأمير أصلحك الله».

وقتل فى المعركة عبد الرحمن بن عَوْسجة أبو سُفْيان النِّهمىّ ، وقتِل عقبة ابن عبد الغافر الأزدىّ ثمّ الجهضمىّ، فى أولئك القرّاء فى رِبْضة[1] واحدة ، وقُتِل عبد الله بن رِزام الحارثىّ ، وقُتِل المنذرُ بنُ الجارود ، وقُتل عبد الله ابن عامر بن مِسمَع ، وأُتِىَ الحجاجُ برأسه، فقال: ماكنتُ أرى هذا فارقنى حتى جاءنى الآن برأسه ؛ وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتَلَه، وزعموا أنه كان مولًى للفضل[2] بن عباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، كان شجاعًا يُدعَى نُصَيرًا ، فلما رأى مِشيتَه بين الصفَّين، وكان يلومه على مِشْيته قال : لا ألومُه على هذه المِشْية أبداً .

وقتِل الطفيل بن عامر بن واثلة ، وقد كان قال وهو بفارسَ يُقبل مع عبد الرحمن من كَرْمانَ إلى الحجاج :

ألا طَرَقَتْنا بالغَرِيَّيْنِ بَعْدَمَا ... كَلِلْنَا على شَحْطِ المزَارِ جَنُوبُ

أتوْكَ يقُودُون المَنَايا وإنَّمَا ... هَدَتها بأَوْلانَا إليك ذُنُوبُ

ولا خيْرَ فى الدُّنيا لِمن لَم يكُن لَهُ ... مِنَ اللهِ فى دَارِ القَرَارِ نصيبُ ٢/١٠٦٦

ألا أَبلِغ الحجّاجَ أنْ قَدْ أَظَلَّهُ ... عذاب بأَيْدِى المؤمنينَ مُصيبُ

متى نَهْبط المصرَينِ يهْرُبْ مُحمّدٌ ... ولَيْسَ بِمُنْجى ابنِ اللعين هُرُوبُ

قال: منّيتَنا أمراً كان فى علم الله أنّك أولَى به ، فعجَّلَ لك فى الدنيا، وهو معذبك فى الآخرة . وانهزَم الناسُ، فأقبل عبد الرحمن نحوَ الكوفة وتبعه من كان معه من أهلِ الكوفة ، وتَبِعه أهلُ القوّة من أصحاب الخيل من أهل البَصْرة .

ولما مضى عبدُ الرحمن نحوَ الكوفة وَثَب أهل البَصرة إلى عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتَل بهم خمسَ ليال الحجّاج أشدّ قتال رآه الناس ، ثمّ انصرف فلَحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البَصْرة فلَحِقوا به ، وخرج الحَرِيش بن هلال السعدىّ وهو من بنى أنف الناقة — وكان جريحًا — إلى سَفَوانَ فماتَ من جِراحته،

(١) الربضة بكسر الراء وسكون الباء ؛ مقتل كل قوم قتلوا فى بقعة واحدة .

(٢) ط : « المفضل » ، تصحيف .

٢/١٠٦٧ وقُتِل فى المعركة زيادُ بنُ مقاتل بن مِسمَع من بنى قيس بن ثعلبة ، فقامت حَمِيدة ابنتُه تَندبُه ، وكان على خُمس بكرِ بن وائل مع ابن الأشعث وعلى الرّجال ، فقالت :

وحامَى زيادٌ على رايتَيْهِ[1] وفرَّ جُـدَىٌّ بنى العَنبَرِ

فجاء البلتَع السعدىّ فسمعها وهى تَندُب أباها ، وتعيب التميمىّ ،فجاء وكان يبيع سَمْنًا بالمِربَد، فترك سَمْنه عند أصحابه،وجاء حتّى قام تحتها فقال :

علامَ تَلومينَ من لم يُلِمْ تَطاول لَيْلِكِ من مُعْصِرِ !
فإنْ كَانَ أَردى أَباكِ السِّنانُ فقَدْ تلْحَقُ الخَيْلُ بالمدْبِرِ
وَقَدْ تَنْطَحُ الخَيْلُ تحْتَ العَجَا ج غيْرَ البرىّ ولا المُعْذِرِ
ونَحْنُ منَعْنا لواءَ الحَرِيشِ وطاح لواءُ بنى جحْـدرِ

فقال عامر بن واثلة يرثى ابنَه طُفيلا :

٢/١٠٦٨ خَلَّى طُفيلٌ عَلَىَّ الهَمَّ فانشَعَبـا وَهَدَّ ذلك رُكنِى هَدَّةً عجبًا[2]
وابْنَىْ سُمَيَّةَ لا أَنساهما أَبَدًا فيمن نسيتُ وكل كان لى نَصَبًا[3]
وأَخْطَأَتْنِى المنايا لا تُطَالعُنِى حتّى كبِرْتُ ولم يَتْرُكنَ لِى نَشَبَا
وكنْتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كالذى نَضَبَتْ عنه المِيَاه وفاض الماءُ فانْقَضَبَا
فلا بَعِيرَ لَهُ فى الأَرْضِ يَركَبُهُ وإن سَعى إثر مَنْ قَدْ فاتَهُ لَغَبَا
وسارَ من أَرضِ خاقانَ الَّتى غلَبت أبناءُ فارِس فى أَرْبائها غلَبَا
ومنْ سجِستَانَ أَسبــابٌ تُزَيِّنُهَا لك المَنِيَّةُ حَيْناً كان مُجْتلَبَا
٢/١٠٦٩ حتى وَرَدتَ حياض الموتِ فانكَشَفَتْ عنك الكتائِبُ لا تخفى لها عقبا
وَغَادَرُوكَ صريعاً رهْن مَعْرَكَةٍ تُرَى النُّسورُ على القتلى بها عُصَبا

(١) ط : « حامى » . (٢) الأغانى ١٥ : ١٥٣ ، مع اختلاف فى الرواية .
(٣) الأغانى : « وصبا » .

تعاهَدُوا ثمَّ لَمْ يُوفُوا بما عَهِدُوا وأَسلَمُوا لِلعَدُوِّ السَّبْيَ والسَّلَبَا
يا سَوْءَةَ القَوْمِ إذْ تُسْبَى نِسَاؤُهُمُ وهُمْ كثِيرٌ يَرَوْنَ الخزىَ والحَرَبَا

قال أبو مخنَف : فحدّثنى هشام بنُ أيوب بن عبد الرحمن بن أبى عقيل الثقفىّ أنّ الحجّاج أقامَ بقيّة المحرّم وأوّل صفر، ثم استعمل على البَصرة أيّوب ابن الحكم بن أبى عقيل، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة، وقد كان الحجاج خلّف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحَضْرمىّ، حليف حَرْب ابن أمية على الكوفة .

قال أبو مِخنَف – كما حدّثنى يونس بن أبى إسحاق: إنه كان على أربعة آلاف من أهل الشأم .

قال أبو مخنَف : فحدّثنى سهمُ بنُ عبد الرحمن الجُهَنىّ أنهم كانوا ألفين ، وكان حنظلة بنُ الورّاد من بنى رِياح بن يَرْبوع التميمىّ وابن عتّاب ابن ِ ورْقاء على المدائن ، وكان مطرُ بن ناجية من بنى يَرْبوع على المعونة ، فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبَل حتى دنا من الكوفة ، فتحصّن منه ابنُ الحَضْرمىّ فى القصر ، ووثب أهلُ الكوفة مع مطر بن ناجية بابن الحَضْرمىّ ومن معه من أهل الشأم فحاصَرَهم ، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلّوه والقصر ، فصالحهم . ٢ / ١٠٧٠

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى يونسُ بنُ أبى إسحاقَ أنه رآهم يتنزلون من القصر على العَجَل، وفتح باب القصر لمطر[1] بن ناجية، فازدَحَم الناسُ على باب القصر، فزُحِم مَطَر على باب القصر، فاخترط سيفَه، فضرَب به جَحْفَلة بغل من بغالِ أهل الشأم وهم يخرجون من القصر ، فألقى جحْفلته ودخل القَصْر ، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتى درْهم . قال يونس : وأنا رأيتها تُقسَم بينهم، وكان أبو السقر فيمن أعطِيَها. وأقبل ابنُ الأشعث منهزمًا إلى الكوفة ، وتبِعه الناسُ إليها .

(١) ب ، ف : « لمطرف » .

[وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة كانت وقعة دَيْر الجَماجم بين الحجّاج وابن الأشعث فى قول بعضهم . قال الواقدىّ : كانت وقعةُ دَيْر الجَماجم فى شعبانَ من هذه السنة ، وفى قول بعضهم : كانت فى سنة ثلاث وثمانين .

* ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دَيْر الجماجم وذكر ما جرى بينه وبين الحجّاج بها :

ذكر هشام عن أبى مِخْنَف، قال : حدّثنى أبو الزبير الهَمْدانىّ ثمّ الأرحبىّ، قال : كُنت قد أصابتْنى جِراحة ، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابنَ الأشعَث حين أقبَل ، فاستقبلوه بعد ما جازَ قنطرَة زبارا[1] ، فلما دنا منها قال لى : إن رأيتَ أن تعدل عن الطريق — فلا يرى الناسُ جِراحتَك فإنى لا أحبّ أن يستقبلهم الجرحى — فافعل . فعدلتُ ودخل الناسُ، فلما دخل الكوفة مالَ إليه أهلُ الكوفة كلهم ، وسبقتْ همْدان إليه ، فحفّت به عند دارِ عمرِو بن حُرَيث إلّا طائفةً من تميم لَيْسُوا بالكثير قد أتَوا مطرَ بنَ ناجية، فأرادوا أن يقاتِلوا دونَه، فلم يُطيقوا قتالَ الناس . فدعا عبد الرحمن بالسلالِم والعَجَل، فوُضِعتْ ليَصعَد الناسُ القَصْر ، فصعِد الناسُ القصر فأخذوه ، فأُتِىَ به عبد الرحمن بن محمد ، فقال له : استبقنى فإنى أفضلُ فُرسانِك وأعظمُهم عنك غَناء ؛ فأمر به فحُبِس ، ثمّ دعا به بعد ذلك فعفا عنه . وبايَعه مَطَرٌ ، ودخلَ الناس إليه فبايعوه ، وسَقَط إليه أهلُ البصرة ، وتَقَوَّضَتْ إليه المَسالِح والثغور ، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن ابنُ العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعرِف بذلك ، وكان قد قاتل الحجاج بالبَصْرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثًا ، فبلغ ذلك عبدالملك ابنُ مروان ، فقال : قاتل الله عُدىّ الرَّحْمن ، إنه قد فرّ ! وقاتل غلمانٌ من غِلمان قريش بعده ثلاثًا . وأقبل الحجاج من البصرة فسار فى البرّ حتى مرّ بين القادسيّة والعُذَيب ، ومنَعوه من نزول القادسيّة ، وبعث إليه عبدُالرحمن بنُ محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العبّاس فى خيل عظيمة من خيل المصرَيْن

/١٠٧١ /١٠٧٢

---

(١) ب : « زبارا » ، س : « دبارا » .

فنعوه من نزول القادسيّة ، ثمّ سايروه حتى ارتفعوا على وادى السباع ، ثمّ تَسايرَوا حتى نزل الحجاج دير قُرَّة ، ونزل عبدُ الرحمن بنُ العباس ديرَ الجماجم ، ثمّ جاء ابن الأشعث فنزل بدير الجمَاجم والحجاج بدير قُرَّة ، فكان الحجاج بعد ذلك يقول : أما كان عبدُالرحمن يزْجُر الطيرَ حيث رآنى نزلتُ ديرَ قُرَّة ، ونزل ديرَ الجماجم !

واجتمع أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة وأهلُ الثغور والمسالح بدَيْر الجماجم والقرّاء من أهل المِصرَين، فاجتمعوا جميعًا على حرب الحجاج، وجمعَهم عليه بغضُهم والكراهية له ، وهم إذ ذاك مائة ألف مُقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مَواليهم . وجاءت الحجاجَ أيضًا أمدادُه[1] من قِبَل عبد الملك من قبل أن ينزل ديرَ قُرَّة ، وقد كان الحجاج أراد قبل أن يَنزل ديرَ قُرَّة أن يرتفع إلى هيتَ وناحية الجزيرة إرادةَ أن يقترب من الشأم والجزيرة فيأتيَه المددُ من الشأم من قريب ، ويقترب من رَفاغة سِعْر الجزيرة، فلما مرّ بدَيْر قرة قال : ما بهذا المنزل بُعدٌ من أمير المؤمنين ، وإنّ الفلاليج وعين التمر إلى جَنْبنا . فنزل فكان فى عسكره مخندَقًا وابن محمد فى عسكره مخندقًا، ٢ / ١٠٧٣ والناس يخرجون فى كلّ يوم فيقتتلون، فلا يزال أحدهما يُدنِى خَندقَه نحو صاحبه ، فإذا رآه الآخر خندقَ أيضًا ، وأدنَى خندقه من صاحبه . واشتدّ القتال بينهم . فلما بلغ ذلك رءوس قريش وأهلُ الشأم قِبَل عبدِ الملك ومَواليه قالوا : إن كان إنما يُرْضِى أهل العراق أن يُنزَعَ عنهم الحجاج، فإنّ نزع الحجاج أيسرُ من حَرْب أهلِ العراق ، فانزِعْه عنهم تَخلُص لك طاعتُهم ، وتحقن به دِماءنا ودماءَهم . فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض المَوْصل يأمره بالقدوم عليه ، فاجتمَعا جميعًا عنده ؛ كلاهما فى جُنْدَيهما ، فأمرهما أن يَعرِضا على أهل العراق نزعَ الحجّاج عنهم ، وأن يُجرِىَ عليهم أعطياتِهم كما تُجرَى على أهل الشأم ، وأن ينزل ابن محمد أىّ بلد من عراق شاءَ ، يكون عليه واليًا ما دام حيًّا ، وكان عبد الملك واليًا ؛ فإن هم قبلوا ذلك عُزل عنهم الحجاج ، وكان محمد بن مروان

(١) ب ، ف : « أمداد » .

أمير العراق ، وإن أبَوا أن يقبلوا فالحجّاج أميرُ جماعة أهلِ الشأم ووليّ القتال ، ومحمد بن مروانَ وعبد الله بن عبد الملك فى طاعته . فلم يأتِ الحجاجَ أمرٌ قطّ كان أشدّ عليه ولا أغيَظ له ولا أوجعَ لقَلْبه منه مخافةَ أن يقبلوا فيُعزَلَ عنهم ، فكتَب إلى عبد الملك :

يا أميرَ المؤمنين ، والله لئن أعطيتَ أهلَ العراق نَزْعى لَا يلبثون إلّا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلّا جرأةً عليك ، ألم تر وتَسمع بوثُوب أهلِ العراق مع الأشتر على ابن عفّان ، فلما سألهم ما يريدون قالوا : نزعَ سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تتمّ لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ! إنّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَح . خارَ الله لك فيما ارتأيتَ . والسلام عليك . ٢/١٠٧٤

فأبَى عبدُ الملك إلّا عرضَ هذه الخِصال على أهل العراق إرادةَ العافية من الحَرْب . فلما اجتمعا مع الحجاج خرج عبدُالله بن عبد الملك فقال : يا أهل العراق ، أنا عبدُالله بنُ أمير المؤمنين ، وهو يُعطيكم كذا وكذا ، فذكَر هذه الخصالَ التى ذكرْنا . وقال محمد بنُ مروان : أنا رسولُ أمير المؤمنين إليكم ، وهو يَعرِض عليكم كذا وكذا ، فذكَر هذه الخصالَ . قالوا : نرجع العشيّة ، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يَبقَ قائدٌ ولا رأسُ قوم ولا فارسٌ إلاّ أتاه ، فحمِد اللهَ ابنُ الأشعث وأثنى عليه ثمّ قالَ :

أما بعد ، فقد أعطيتم أمراً انتهازكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن يكون على ذى الرّأى غداً حَسْرة ، وإنكم اليومَ على النّصف وإن كانوا اعتدّوا بالزاوية فأنتم تعتدّون عليهم بيوْم تُستَرَ ، فاقبلوا ما عَرضوا عليكم وأنتم أعزّاءُ أقوياءُ ، والقومُ لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون[1] . فلا والله[2] لا زِلتم عليهم جُرّاء ، ولا زلتمْ عندَهم أعزّاء ، إن أنتم قبلتم أبدًا ما بقيتم . ٢/١٠٧٥

فوَثَب الناسُ من كل جانب ، فقالوا : إنّ الله قد أهلكهم ، فأصبحوا فى

(١) ب : « متنقصون » .

(٢) ب ، ف : « فوالله » .

الأزْل والضَّنْك والمجاعة والقلّة والذلّة ، ونحن ذوو العَدَد الكثير ، والسعر الرفيغ [١] والمادّة القريبة ، لا والله لا نقبل .

فأعادوا خلعَه ثانية . وكان عبد الله بن ذواب السلمىّ وعمَير بن تيحان أوّل من قام بخلعه فى الجمَاجم ، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم [٢] أجمع من خلعهم إياه بفارسَ .

فرجع محمد بنُ مروانَ وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا : شأنَك بعَسْكرك وجندِك فاعمل برأيك ، فإنا قد أمِرْنا أن نَسمعَ لك ونطيع ، فقال : قد قلتُ لكما : إنه لا يُراد بهذا الأمر غيرُكما ، ثم قال : إنما أقاتل لكما . وإنما سلطانى سلطانُكما ، فكانا إذا لَقِياه سلّما عليه بالإمرة ، وقد زَعَم أبو يزيدَ السَّكْسَكىّ أنه إنما كان أيضًا يسلّم عليهما بالإمرة إذا لقيَهما ، وخلّياه والحرب فتولّاها .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى الكلبىّ محمد بن السائب أنّ الناس لما اجتمعوا بالجماجم سمعتُ عبد الرحمن بن محمد وهو يقول : ألا إنّ بنى مَرْوان يعيَّرون بالزّرقاء ، والله ما لهم نسبٌ أصحّ منه إلا أن بنى أبى العاص أعلاجٌ من أهل صَفّوريَة ، فإن يكنْ هذا الأمر فى قريش فعنّى فُقِئتْ بَيضة قريش ، وإن يَكُ فى العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس — ومدّ بها صوتَه يُسمِع الناسَ — وبَرَزوا للقتال ، فجعل الحجّاجُ على ميمنته عبدَ الرحمن ابنَ سُلَيم الكلبىّ ، وعلى مَيسرته عُمارة بن تميم اللّخمىّ ، وعلى خَيلِه سُفْيان ابن الأبرد الكلبى ، وعلى رجاله عبد الرحمن [٣] بن حبيب [٤] الحكمىّ ، وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجّاج بن جارية الخثعمىّ ، وعلى ميسَرته الأبرد بن قرّة التميمىّ ، وعلى خَيلِه عبد الرّحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمىّ ، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبى وَقّاص ، وعلى مجفّفته [٥] عبدالله بن رِزَام الحارثىّ ، وجعل على القرّاء جَبَلَة بن زَحْر بن قيس الجعفىّ ، ٢ / ١٠٧٦

---

(١) السعر الرفيغ : السهل .
(٢) ب ، ف : « بدير الجماجم » .
(٣) ب ، ف : « الله » .
(٤) ابن الأثير : « خبيب » .
(٥) الخيل المجففة : التى عليها التجفاف ، وهو ما جلل به من سلاح .

وكان معه خمسةَ عشرَ رجلا من قريش ، وكان فيهم عامر الشعبيّ ، وسعيد ابنُ جبير ، وأبو البختريّ الطائيّ ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

ثم إنهم أخذوا يتزاحفون في كلّ يومٍ ويقتتلون؛ وأهل العراق تأتيهم موادّهم من الكوفة ومن سوادِها فيما شاءوا من خِصبهم ، وإخوانُهم من أهل البَصْرة وأهل الشأم في ضِيق شديد، قد غلتْ عليهم الأسعار ، وقَلّ عندهم الطعام ، وفقَدوا اللحم ، وكانوا كأنهم في حصار ، وهم على ذلك يُغادون أهلَ العراق ويراوِحُونهم ، فيقتَتلون أشدّ القتال ، وكان الحجاجُ يُدنى خندقه مرّة وهؤلاء أخرى ، حتى كان اليوم الذى أصيبَ فيه جبَلة بن زحْر . ثمّ إنه بعث إلى كُمَيل بن زياد النخعيّ وكان رَجُلاً رَكيناً وقوراً عند الحرب ، له بأس وصوتٌ في الناس ، وكانت كتيبتُه تُدعى كتيبةَ القرّاء ، يُحمل عليهم فلا ٢/١٠٧٧ يكادون يبرحون ، ويَحملون فلا يكذبون ، فكانوا قد عرفوا بذلك ، فخرجوا ذاتَ يوم كما كانوا يخرجون ، وخرج الناسُ ، فعبّى الحجاج أصحابَه ، ثمّ زحف في صُفوفه ، وخرج ابن محمّد في سبعة صفوف بعضها على أثَر بعض ، وعبّى الحجاج لكتيبة القرّاء التي مع جبَلَة بن زَحْر ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجرّاح بن عبد الله الحَكَميّ ، فأقبلوا نحوَهم .

قال أبو مخنَف : حدّثني أبو يزيد السَّكْسَكيّ ، قال : أنا والله في الخيلِ التي عُبِّيت لجبلةَ بن زَحْر ، قال : حملْنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات ؛ كلّ كتيبة تحمل حمْلة ، فلا والله ما استنقَصْنا منهم شيئاً .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلّب]

وفي هذه السنة تُوُفِّي المغيرةُ بنُ المهلّب بخُراسانَ .

ذكَر عليّ بنُ محمد، عن المفضل بن محمد، قال : كان المغيرةُ بنُ المهلب خليفةَ أبيه بمَرْو على عمَله كله ، فمات في رجَب سنة اثنتين وثمانين ، فأتى الخبر يزيد ، وعلمَه أهلُ العسكر فلم يُخبِروا المهلّب ، وأحبّ يزيد أن يبلّغه ، فأمر النساء فصرَخْن ، فقال المهلّب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ،

فاسترْجَع ، وجَزِع حتى ظهر جزَعُه عليه ، فلاَمه بعضُ خاصّته ، فدعا يزيدَ فوجّههَ إلى مَرْوَ ، فجعل يُوصيه بما يَعمَل ودموعه تَنْحدِر على لحيته . وكتب الحجّاج إلى المهلب يعزّيه عن المغيرة ، وكان سيداً ، وكان المهلب يومَ مات المغيرة مقيماً بكِسّ وراء النهر لحرْب أهلِها . ٢/١٠٧٨

قال : فسار يزيدُ فى ستين فارساً — ويقال : سبعين — فيهم مُجّاعة بن عبد الرحمن العتَكىّ ، وعبد الله بن مُعمّر بن سُمير اليَشكرىّ ، ودينار السجِسْتانىّ ، والهيثم بن المنخّل الجُرْموزىّ ، وغَزوان الإسكاف صاحب زَمّ — وكان أسلَمَ على يد المهلب — وأبو محمد الزّمّىّ ، وعطية — مولى لعتيك — فلقيَهم خمسمائة من الترك فى مَفازة نَسَف ، فقالوا : ما أنتم؟ قالوا : تجّار ؛ قالوا : فأين الأثقال ؟ قالوا : قدّمناها ؛ قالوا : فأعطُونا شيئاً ، فأبى يَزيد ، فأعطاهم مُجّاعة ثوباً وكرابيسَ وقَوساً ، فانصرَفوا ثمّ غَدرُوا وعادوا إليهم ، فقال يزيد : أنا كنتُ أعلمُ بهم فقاتِلوهم ، فاشتدّ القتال بينهم ، ويزيدُ على فرس قريب من الأرض ، ومعه رجلٌ من الخَوارج كان يزيدُ أخذَه ، فقال : استَبْقِنى ؛ فمنّ عليه ، فقال له : ما عندَك ؟ فحمَل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قَتلَ رجلا ، ثمّ كرّ فخالطهم حتى تقدّمهمَ وقتَل رجلا ثمّ رجع[1] إلى يزيدَ . وقتَل يزيدُ عظيماً من عظمائهم . ورُمِى يزيدُ فى ساقه ، واشتدّت شوكتهم ، وهرب أبو محمد الزّمىّ ، وصبر لهم يزيدُ حتى حاجَزوهم ، وقالوا : قد غَدرنا ، ولكن لا ننصرف حتى نموتَ جميعاً أو تموتوا أو تُعطونا شيئاً ، فحلف يزيدُ لا يعطيهم شيئاً ، فقال مُجّاعة : أذكّرك اللهَ ، قد هلك المغيرة ، وقد رأيتَ ما دخل على المهلب من مصابه ، فأنشُدك الله أن تصابَ اليومَ ! ٢/١٠٧٩

قال : إنّ المغيرة لم يَعْدُ أجلَه ، ولستُ أعدو أجَلى . فرمى إليهم مُجّاعة بِعمامة صفراءَ فأخذوها وانصرَفوا ، وجاء أبو محمد الزّمّىّ بفوارسَ وطعام ، فقال له يزيد : أسلَمتنايا أبا محمد ؛ فقال : إنما ذهبتُ لأجيئكم بمَدَد وطعام ، فقال الراجز :

(١) س : « ورجع » .

يزيدُ يا سَيفَ أَبِى سعيدْ قد علمَ الأَقوامُ والجنودْ
والجمعُ يَوم المجمع المشهودْ أنك يوم التُّركِ صَلبُ العودْ

وقال الأشقرىّ :

والتُّرك تعلمُ إذ لَاقى جُموعَهُمُ أنْ قد لقوهُ شِهاباً يَفرِج الظُّلمَا
بفِتيَةٍ كأُسُودِ الغابِ لم يَجِدوا غيرَ التأسِّى وغيرَ الصبرِ مُعتَصَمَا
نرى شَرائجَ تَغشى القومَ من علقٍ وما أَرى نبوةً منهمْ ولا كَزَما
٢/١٠٨٠ وتحتَهُمْ قرَّحٌ يَرْكَبْنَ ما رَكِبوا من الكريهة حتى ينْتلعن دَمَا
فى حازَةِ الموتِ حتى جَنَّ لَيْلُهُمُ كِلاَ الفريقين ما وَلَّى ولا انهزما

* * *

وفى هذه السنة صالَح المهلب أهل كس[١] على فِدْية، ورحلَ عنها يريد مَرْوَ .

ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلَّب عن كِسّ

ذكر علىّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد ، أن المهلب اتّهم قوماً من مُضرَ فحبسهم وقَفَل من كِس وخلّفهم ، وخلّف حريث بنَ قُطْبة مولَى خزاعة ، وقال : إذا استوفيتَ الفِدْية فرُدَّ عليهم الرُّهُن . وقطع النَّهر فلما صار ببَلْخ أقام بها وكتَب إلى حُرَيث : إنى لستُ آمَن إن رددت عليهم الرّهُن أن يغيروا عليك ، فإذا قبضتَ الفِدْية فلا تخلّى الرُّهُن حتى تقدم أرض بلْخ . فقال حُرَيث لملِك كِس : إنّ المهلب كتب إلىّ أن احبس الرُّهُن حتى أقدم أرض بلْخ ، فإن عجّلت لى ما عليك سلّمتُ إليك رهائنك ، وسرت فأخبرتُه أن كتابه ورد ، وقد استوفيتُ ما عليكم ، ورددتُ عليكم الرهُن؛ فعجّل لهم صُلحَهم، وردّ عليهم من كان فى أيديهم منهم . وأقبَل فعرَضَ لهم الترك، فقالوا : افْدِ نفسك ومن معك، فقد لقينا

(١) ط : « كش » ، وكس مدينة تقارب سمرقند .

٢/١٠٨١ يزيدَ بن المهلّب ففَدَى نفسه. فقال حُرَيث: ولدَتْنى إذاً أمّ يزيد! وقاتلَهم فقتَلَهم، وأسرَ منهم أسرَى ففَدَوْهم، فمنّ عليهم وخلّاهم، وردّ عليهم الفِداء. وبلغ المهلّبَ قولُه: ولدتْنى أمّ يزيدَ إذاً، فقال: يأنف العبدُ أن تلده رَحِمُه! وغَضِب.

فلما قدم عليه بَلْخَ قال له: أين الرُّهُن؟ قال: قبضتُ ما عليهم وخلّيتُهم، قال: ألم أكتبْ إليك ألّا تخلّيَهم! قال: أتانى كتابُك وقد خليتُهم، وقد كُفيتُ ما خفتَ؛ قال: كذبتَ، ولكنك تقرّبت إليهم وإلى ملكهم فأطلعتَه على كتابى إليك. وأمرَ بتجريده، فجزِع من التجريد حتى ظنّ المهلبُ أن به برصًا، فجرّده وضرَبه ثلاثين سَوْطًا. فقال حُرَيث: وَدِدتُ أنه ضربنى ثلثمائة سَوْط ولم يجرّدنى، أنَفًا واستِحياء من التجريد، وحلف ليَقتلنّ المهلّب.

فركِب المهلب يومًا وركِب حُرَيث، فأمر غلامين له وهو يَسير خلفَ المهلّب أن يضرباه، فأبى أحدُهما وترَكه وانصرف، ولم يجترئ الآخَر لمّا صار وحده أن يُقدمَ عليه، فلما رجع قال لغلامه: ما منعك منه؟ قال: الإشفاق والله عليك، ووالله ما جزعتُ على نفسى، وعلمتُ أنا إنْ قتلناه أنك ستُقتَل ونقتَل، ولكن كان نظرى لك، ولو كنت أعلم أنك تسلم من القَتل لقتلتُه.

٢/١٠٨٢ قال: فترك حُرَيث إتيانَ المهلّب، وأظهر أنه وَجِعٌ، وبلغ المهلّب أنه تمارَض وأنه يريد الفتك به، فقال المهلب لثابت بن قطبة: جئنى بأخيك، فإنما هو كبعض ولدى عندى، وما كان ما كان منّى إليه إلّا نظراً له وأدبًا، ولربما ضربتُ بعضَ ولدى أؤدّبه. فأتى ثابت أخاه فناشَدَه، وسأله أن يركَبَ إلى المهلب، فأبى وخافَه وقال: والله لا أجيئه بعد ما صَنَع بى ما صَنَع، ولا آمنُه ولا يأمنُنى. فلما رأى ذلك أخوه ثابت قال له: أما إنْ كان هذا رأيُك فاخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم، وخاف ثابت أن يَفتِك حريثٌ بالمهلّب فيُقتلون جميعًا؛ فخرجا فى ثلثمائة من شاكريّتهما والمنقطعين إليهما من العرب.

[خبر وفاة المهلَّب بن أبي صفرة]

قال أبو جعفر: وفى هذه السنة توفِّىَ المهلب بنُ أبى صُفْرة.

* ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته:

قال علىّ بن محمد: حدّثنى المفضّل، قال: مضى المهلب منصرَفَهُ من كِسّ يريد مَرْوَ، فلما كان بزاغولَ من مَرْوالرُّوذ أصابتْه الشَّوْصة — وقوم يقولون: الشوْكة[1] — فدعا حبيباً ومَن حضَره من ولده، ودعا بسهام فحُزِمتْ، وقال: أترونكم كاسريها مجتمعةً؟ قالوا: لا، قال: أفترَوْنكم كاسريها متفرّقة؟ قالوا: نعم؛ قال: فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوَى الله وصلة الرّحِم، فإن صِلَةَ الرّحِم تُنسئ فى الأجل، وتُثْرى المال، وتُكثِر العَدَد؛ وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة تُعْقِب النار، وتورِث الذلّة والقِلّة، فتحابّوا وتواصَلوا، وأجمِعوا أمركم ولا تختلفوا، وتبارُّوا تجتمعْ أمورُكم؛ إنّ ٢/١٠٨٣ بنى الأمّ يختلفون، فكيف ببنى العَلّات! وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكن فعالُكم أفضل من قولِكم، فإنى أحبّ للرجل أن يكون لعمله فضلٌ على لسانه، واتقوا الجوَابَ وزَلّة اللسان، فإنّ الرجل تزِلّ قدمُه فينتعش من زَلته، ويزِلّ لسانُه فيَهلِك. اعرِفوا لمَن يغشاكم حقّه، فكفى بغُدوّ الرجل ورَواحه إليكم تذكرةً له، وآثروا الجُودَ على البُخْل، وأحِبّوا العرَب واصطنعوا العُرْف، فإنّ الرجل من العرب تَعِدُه العِدةَ فيموتَ دونَك، فكيف الصنيعة عندَه! عليكم فى الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع فى الحرب من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإنْ أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوّه قيل: أتَى الأمرَ من وَجْهه، ثمّ ظفِر فحُمد، وإن لم يَظفر بعد الأناة قيل: ما فرّط ولا ضيّع، ولكنّ القضاء غالب. وعليكم بقراءة القرآن، وتعلّم السنَن، وأدب الصّالحين، وإياكم والخِفّة وكثْرَة الكلام فى مجالسكم، وقد استخلفتُ عليكم يزيدَ، وجعلتُ حبيباً على الجُنْد حتى يَقدم بهم على يزيد، فلا تُخالفوا يزيدَ، فقال له المفضّل: لو لم تقدّمه لقدّمناه.

---

(١) فى اللسان: «الشوصة: ريح تأخذ الإنسان فى لحمه تجول مرة هنا ومرة هنا، ومرة فى الجنب ومرة فى الظهر ومرة فى الحواقن». وفيه أيضاً: «الشوكة داء كالطاعون».

ومات المهلّب وأوصى إلى حبيب، فصلّى عليه حبيب، ثمّ سار إلى مَرْوَ .
وكتب يزيدُ إلى عبد الملك بوَفاة المهلب واستخلافه إياه، فأقرّه الحجّاج[1].
ويقال : إنه قال عند موته ووصيّته : لو كان الأمرُ إليّ لولّيتُ سيد ولدي حبيبًا . قال : وتوفّيَ في ذي الحِجة سنة اثنتين وثمانين ، فقال نَهارُ بنُ تَوسِعة التميميّ : ٢/ ١٠٨٤

أَلَا ذَهبَ الغزوُ المُقرِّبُ للغِنَى ... ومات النَّدى والجُودُ بعد المهلَّبِ[2]

أقامَا بمروَالرُّوذِ رَهنَيْ ضريحِهِ ... وقد غُيِّبَا عن كلِّ شرقٍ ومغربِ

إذا قيلَ أيُّ الناسِ أولى بنعمةٍ ... على الناسِ؟ قلناه ولم نَتهيَّبِ

أبَاحَ لنا سهلَ البلادِ وحزنَها ... بخيلٍ كأرسال القَطَا المُتَسَرِّبِ

يُعرِّضُها للطَّعنِ حتّى كأنَّما ... يُجلِّلُها بالأرجُوان المُخضَّبِ

تُطيفُ به قَحطانُ قد عُصِّبتْ به ... وأحلافُها من حيّ بكرٍ وتَغلِبِ

وحَيًّا مَعَدٍّ عُوَّذٌ بِلِوائه ... يُفدُّونَه بالنفس والأم والأب

* * *

وفي هذه السنة ولي الحجّاجُ بن يوسفَ يزيدَ بنَ المهلب خُراسانَ بعد موت المهلّب . ٢/ ١٠٨٥

وفيها عَزَل عبدُ الملك أبانَ بن عثمان عن المدينة ؛ قال الواقديّ : عزله عنها لثلاث عشرة ليلة خلتْ من جُمادَى الآخرة .

قال : وفيها ولّى عبدُ الملك هشامَ بن إسماعيلَ المخزوميّ المدينة . وعَزَل هشامُ بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفَلَ بن مُساحق العامريّ، وكان يحيى بن الحكم هو الذي استقضاه على المدينة ، فلما عُزِل يحيى ووَلِيَها أبانُ ابنُ عثمان أقرّه على قضائها ؛ وكانت ولاية أبانَ المدينةَ سبع سنينَ وثلاثةَ أشهر وثلاث عشرةَ ليلة، فلما عَزَل هشامُ بنُ إسماعيلَ نوفَلَ بنَ مُساحق عن القضاء ولّى مكانَه عَمرو بن خالد الزُّرَقيّ .

(١) ابن الأثير : «فلما توفي كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته، فأقر يزيد على خراسان» .
(٢) البيت الأول والثاني في كتاب المعمرين ١٤٣ .

وحَجّ بالناس فى هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، كذلك حدّثنى أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكان على الكوفة والبَصْرة والمَشرِق الحجّاجُ، وعلى خُراسانَ يزيدُ بنُ المهلب من قبَل الحجّاج .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم]

فمما كان فيها من ذلك هزيمةُ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث بدَيْر الجمَاجم . ٢/١٠٨٦

* ذكر الخبر عن سبب انهزامه :

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مِخنَف، قال: حدّثني أبو الزّبير الهمْدانيّ، قال: كنتُ في خَيْل جبَلَة بن زحْل، فلما حَمَل عليه أهلُ الشأم مرة بعد مرّة، نادانا[1] عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال : يا معشرَ القرّاء، إنّ الفِرار ليس بأحد من الناس بأقبحَ منه بكم؛ إني سمعتُ عليًّا[2]ـ رفع الله درجتَه في الصّالحين ، وأثابَه[3] أحسنَ ثوَاب الشهداء والصدّيقين[3]ـ يقول يومَ لقينا أهل الشأم : أيها المؤمنون ، إنه مَن رأى عُدواناً يُعمَل به، ومُنكَراً يُدعَى إليه ، فأنكَرَه بقَلْبه فقد سَلِم وبَرِئ ، ومن أنكر بلِسانه فقد أجِر ، وهو أفضلُ من صاحبه ، ومَن أنكَره بالسيف لتكون كلمةُ الله العُليَا وكلمةُ الظالمين السفْلَى ، فذلك الذى أصابَ سبيلَ الهُدى ، ونوّر في قلبه اليقين[4] . فقاتِلوا هؤلاء المُحِلّين المُحدِثين المبتدِعين الذين قد جهلوا الحقّ فلا يعرفونه ، وعَمِلوا بالعدوان فليس يُنْكِرونه .

وقال أبو البَخْترِيّ : أيّها الناس، قاتلوهم على دِينكم ودُنْياكم، فوالله لئن ظهَروا عليكم ليُفسِدُنّ عليكم دِينَكم ، وليَغلِبُنّ على دنياكم .

وقال الشعبيّ : يا أهل الإسلام، قاتِلُوهم ولا يأخذْكم حَرَجٌ من قتالهم،

---

(١) ب : « نادى يا » ، ابن الأثير : « نادى جبلة يا » .

(٢) ب : « على بن أبي طالب » . (٣ - ٣) ب : « ثواب الصديقين والشهداء » .

(٤) نهج البلاغة ٢ : ٢٢٤ .

فوالله ما أعلم قوماً على بَسيطِ الأرض أعمَل بِظُلم ، ولا أجَورَ منهم فى الحُكم[١] ، فليكن بهم البدار . ٢/١٠٨٧

وقال سعيد بنُ جُبير : قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيّة ويقين ، وعلى آثامهم قاتِلوهم على جَوْرِهم فى الحُكْم ، وتجبّرهم فى الدين ، واستذلالِهم الضّعفاء ، وإماتتهم الصّلاة .

قال أبو مخنَف ، قال أبو الزّبير : فتهيّأنا للحَمْلة عليهم ، فقال لنا جَبَلة : إذا حملتم عليهم فاحملوا حملةً صادقة ، ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتى تُواقِعوا صفَّهم . قال : فحملنا عليهم حملةً بجدّ منّا فى قتالِهم ، وقوّة منا عليهم ، فضربنا الكتائبَ الثلاث حتى اشفترّت[٢] ، ثمّ مضينا حتى واقعْنا صفَّهم فضربناهم حتى أزلْناهم عنه ، ثمّ انصرفْنا فررنا بجَبلَة صريعاً لا نَدرى كيف قُتِل .

قال : فهدّنا ذلك وَجبُنّا فوقَفْنا موقفنا الذى كنّا به ، وإنّ قُرّاءنا لمتوافِرون ، ونحن نَتنَاعى جبلةَ بن زَحْر بيننا ، كأنما فقدَ به كلّ واحد منا أباه أو أخاه ، بل هو فى ذلك المَوطِن كان أشدّ علينا فَقداً . فقال لنا أبو البَخْترىّ الطائىّ : لا يستبينَنّ فيكم قتلُ جَبلَة بن زَحْر ، فإنما كان كرجل منكم أتَته منيّته ليَومها ، فلم يكن ليتقدّم يومُه ولا ليتأخّر عنه ، وكلّكم ذائق ما ذاقَ ، ومدعوّ فمجيب . قال : فنظرتُ إلى[٣] وجوه القُرّاء فإذا الكآبةُ على وجوههم بيّنة ، وإذا ألسنتهم منقطِعة ، وإذا الفَشَل فيهم قد ظَهَر ، وإذا أهلُ الشأم قد سُرّوا وجَذِلوا ، فنادَوا[٤] : يا أعداءَ الله ، قد هَلَكتم ، وقد قَتَل الله طاغُوتكم[٥] . ٢/١٠٨٨

قال أبو مخنَف : فحدّثنى أبو يَزِيد السَّكسكىّ أنّ جَبَلة حين حَمل هو وأصحابُه علينا انكشفْنا ، وتبعونا ، وافترقتْ منا فِرقة فكانت[٦] ناحيةً ، فنظرْنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابَنا ، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه على

---

(١) ب : « بحكم » . (٢) اشفترت : افترقت . (٣) ب : « فى » . (٤) ب ، ف : « فنادونا » . (٥) ب ، ف : « طاغيتكم » . (٦) ب ، ف : « فقامت » .

رأس رَهْوة ، فقال بعضُنا ، هذا والله جَبَلة بن زَحْر ، احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيلَ بالقِتال عنه لعلّكم تصيبونه. قال : فحملْنا عليه ، فأشهدُ ما وَلّى ، ولكن حَمل علينا بالسيف . فلمّا هبط من الرَّهوة[1] شَجرْناه بالرّماح فأذْرَيناه عن فرسه فوقع قتيلا ، ورجع أصحابُه ، فلما رأيناهم مقبلين تنحيْنا عنهم ، فلما رأوْه قتيلاً رأينا من استرجاعهم وجزعِهم ما قرّت به أعينُنا ؛ قال : فتبينّا ذلك فى قتالهم إيانا وخروجِهم إلينا .

* * *

قال أبو مخنَف : حدّثنى سهم بنُ عبد الرحمن الجُهَنىّ ، قال : لما أصيب جبَلَة هدّ الناسَ مَقتلُه ، حتى قدم علينا بِسطام بن مَصقَلة بن هُبيرة الشيبانىّ ، فشجع الناسَ مَقدمُه ، وقالوا : هذا يقوم مقامَ جَبَلة ، فسَمِع هذا القولَ من بعضهم أبو البَخترىّ ، فقال : قُبِّحتم ! إن قتل منكم رجل[2] واحد ظننتمْ أن قد أُحيط بكم ، فإن قُتل الآن ابنَ مصقَلة ألقيتم بأيديكم إلى التهلكة ، وقلتم : لم يَبقَ أحد يقاتِل معه ! ما أخلقكم أن يُخلَفَ رجاؤنا فيكم ! وكان مَقدَم بِسطام من الرّىّ ، فالتقى هو وقتيبة فى الطريق ، فدعاه قُتيبة إلى الحجّاج وأهل الشأم ، ودعاه بِسطام إلى عبدالرحمن وأهل العراق ، فكلاهما أبى على صاحبه ، وقال بِسطام : لأن أموتَ مع أهل العراق أحَبّ إلىّ من أن أعيشَ مع أهل الشأم ، وكان قد نزل ماسبَذانَ ؛ فلمّا قدِم قال لابن محمد : أمّرْنى على خيل ربيعةَ ؛ ففعل، فقال لهم : يا معشر ربيعة ، إنّ فىّ شَرسَفةً عند الحرب فاحتملوها لى — وكان شُجاعاً — فخرج الناسُ ذاتَ يوم ليَقتتلوا ، فَحمل فى خيل ربيعةَ حتى دخل عسكرَهم ، فأصابوا فيهم نحواً من ثلاثين امرأةً من بين أمَة وسُرّيّة ، فأقبل بهنّ حتى إذا دنا من عسكره ردّهنّ ، فجئن ودخلْنَ عسكر الحجاج ، فقال : أوْلَى لهم! منَع القومُ نساءَهم ، أما لولم يردّوهن لسبيت نساؤهم غداً إذا ظَهرت . ثم اقتتلوا يوماً آخرَ بعد ذلك ، فحمل عبدُالله بن مُلَيل الهَمْدانىّ فى خيل له حتى دخل

٢ / ١٠٨٩

---

(١) ب ، ف : « الرهو » ، والرهو : ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله .

(٢) ب ، ف : « رجل واحد منكم » .

عسكرهم فسبا ثمانىَ عشرةَ امرأةً، وكان معه طارقُ بنُ عبد الله الأسَدىّ — وكان رامياً — فخرج شيخٌ من أهل الشأم من فُسْطاطه ، فأخذ الأسدىّ يقول لبعض أصحابه : استرْ منّى[1] هذا الشيخَ لعلّنى أرميه أو أحمل عليه فأطعنه، فإذا الشيخ يقول رافعاً صوتَه: اللهمَّ لُمّنا وإيّاهم بعافية ؛ فقال الأسَدىّ : ما أحبّ أن أقتل مثلَ هذا ، فتركه ، وأقبل ابنُ مليل بالنساء غيرَ بعيد؛ ثمّ خلّى سبيلَهنّ أيضاً ، فقال الحجّاج مثلَ مقالته الأولى . ٢/١٠٩٠

قال هشام : قال أبى: أقبل الولَيد بن نُحيت الكلبىّ من بنى عامر فى كتيبة إلى جبَلَة بن زحْر ، فانحطّ عليه الوليد من رابية — وكان جسيماً ،وكان جبلَة رجلا ربْعةً — فالتقيا ، فضربه على رأسه فسقَط ، وانهزم أصحابُه وجِىء برأسه .

قال هشام : فحدثنى بهذا الحديث أبو مخنَف وعوانة الكلبىّ، قال: لمّا جِىء برأس جبلة بن زَحْر إلى الحجاج حمَله على رمحين ثمّ قال : يا أهل الشأم ، أبشروا؛ هذا أوّل الفتح ، لا والله ما كانت فتنة قطّ فخبَتْ حتى يُقتل فيها عظيمٌ من عظماء أهل اليمَن ، وهذا من عظمائهم . ثمّ خرجوا ذاتَ يوم فخرج رجلٌ من أهل الشأم يدعو إلى المبارَزة، فخرج إليه الحجّاج ابن جارية ، فحمل عليه ، فطعنه فأذْراه ، وحمل أصحابُه فاستنقذوه ، فإذا هو رجل من خَثْعم يقال له أبو الدَّرداء ، فقال الحجاج بن جارية : أما إنّى لم أعرفه حتى وقع ، ولو عرفتُه ما بارزته ، ما أحبّ أن يصابَ من قومى مثله . وخرج عبد الرحمن بن عوف الرّؤاسىّ أبو حميد فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه ابن عمّ له من أهل الشأم ، فاضطربا بسيفيهما ، فقال كلّ واحد منهما : أنا الغلام الكلابىّ ، فقال كلّ واحد منهما لصاحبه : مَنْ أنت؟ فلمّا تساءلا تحاجزَا . وخرج عبدُالله بنُ رزام الحارثىّ إلى كتيبة الحجّاج، فقال : اخرُجوا إلىّ رجلا رجلا، فأخرج إليه رجلٌ، فقتله ثمّ فعل ذلك ثلاثة أيام، يقتُل كلّ يوم رجلا، حتى إذا كان اليوم الرابع ٢/١٠٩١

---

(١) ب ، ف : «استراعنى» .

أقبَل ، فقالوا : قد جاء لا جاء الله به ! فدعا إلى المبارَزة ، فقال الحجاج للجرّاح : اخرُج إليه ، فخرج إليه ، فقال له عبدُالله بنُ رِزام — وكان له صديقًا : وَيْحَكَ يا جرّاح ! ما أخرجك إلىّ ! قال : قد ابتُليتُ بك ، قال : فهل لك فى خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنتَ عندَه وحَمِدَك ، وأما أنا فإنى أحتمل مقالَة الناس فى انهزامى عنك حُبًّا لسلامتك ، فإنى لا أحبّ أن أقتلَ مِن قومى مثلك ؛ قال : فافعل ، فحَملَ عليه فأخذ يَستَطرد له — وكان الحارثىّ قد قطعتْ لَهاتُه ، وكان يَعطَش كثيراً ، وكان معه غلامٌ له معه إدَاوةٌ من ماء ، فكلّما عَطِش سقاهُ الغلام — فاطَّرد له الحارثىّ ، وحَمَل عليه الجرّاح حملةً بجدٍّ لا يريد إلّا قتله ، فصاح به غُلامُه : إنّ الرجل جادّ فى قتلك ! فعَطَف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصرَعه ، فقال لغلامه : انضَحْ على وجهه من ماءِ الإداوة ، واسقِه ؛ ففعلَ ذلك به ، فقال : يا جرّاح ، بئْسمَا ما جزَيْتَنى ، أردتُ بك العافية وأردتَ أن تُزيرنى المنيّة ! فقال : لم أردْ ذلك ، فقال : انطَلِقْ فقد تركتُك للقرَابة والعشيرة .

١٠٩٢/٢

قال محمّد بن عمر الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى سَبْرة ، عن صالح بن كَيْسان ، قال : قال سعيد الحَرَشىّ : أنا فى صفّ القتال يومئذ إذ خرج رجلٌ من أهل العراق ، يقال له : قدامة بن الحَريش التميمىّ ، فوقف بين الصّفين ، فقال : يا معشر جرَامِقة أهلِ الشأم ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله ، فإن أبيتم فليَخرج إلىّ رجلٌ ، فخرج إليه رجلٌ من أهل الشأم فقتَله ، حتى قتل أربعة ، فلما رأى ذلك الحجاج أمر منادياً فنادَى : لا يَخرج إلى هذا الكَلْب أحد ، قال : فكفّ الناس . قال سعيد الحَرَشىّ : فدنوتُ من الحجاج فقلت : أصلحَ الله الأمير ! إنك رأيتَ ألّا يَخرُج إلى هذا الكلب أحد ، وإنما هلك مَن هلك مِن هؤلاء النفر بآجالهم ، ولهذا الرجل أجَلٌ ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأْذن لأصحابى الذين قَدِموا معى فليخرج إليه رجل منهم ، فقال الحجّاج : إن هذا الكلب لم يزل هذا[1] له عادة

---

(١) بعدها فى ب ، ف : « الدعاء » .

وقد أرعب الناس ، وقد أذنت لأصحابك ، فمن أحبَّ أن يقوم فليَقم .
فرجع سعيد الحَرشيّ إلى أصحابه فأعلمهم ، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز بَرَزَ إليه رجل من أصحاب الحَرشيّ ، فقتله قدامةُ ، فشقّ ذلك على سعيد ، وثَقُل عليه لكلامه الحجاج ، ثم نادى قدامة : مَن يُبارِز ؟ فدنا سعيد من الحجاج ، فقال : أصلَحَ الله الأمير ! ائذَن لى فى الخروج إلى هذا الكَلْب ، فقال : وعندَك ذلك ؟ قال سعيد : نعم ، أنا كما تحبّ[1] ؛ فقال الحجاج : أرِنى سيفَك ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج : معى سيفٌ أثقَل من هذا ، فأمر ١٠٩٣/٢ له بالسيف[2] ، فأعطاه إياه ، فقال الحجّاج - ونظر إلى سعيد فقال : ما أجوَدَ درعَك وأقوى فرسك ! ولا أدرى كيف تكون مع هذا الكلب ! قال سعيد : أرجو أن يُظفِرنى الله به ؛ قال الحجاج : اخرج على بَرَكة الله . قال سعيد : فخرجتُ إليه ، فلما دنوتُ منه ، قال : قِفْ يا عدوَّ الله ، فوقفتُ ، فسرّنى ذلك منه ، فقال : اختَر إما أن تُمكِننى فأضربَك ثلاثاً ، وإما أن أمكنك فتضربَنى ثلاثاً ، ثمّ تُمكِننى . قلت : أمكِنّى ، فوَضَع صدرَه على قَرَبوسه ثمّ قال : اضربْ ، فجمعتُ يدىّ على سَيْفى ، ثمّ ضربتُ على المِغفَر متمكّناً ، فلم يصنع شيئاً ، فساءنى ذلك من سيفى ومِن ضَرْبتى ، ثمّ أجمع رأيى أن أضربَه على أصل العاتق ، فإما أن أقطع وإما أن أوهن يدَه عن ضربته ، فضربتُه فلم أصنع شيئاً ؛ فساءنى ذلك ومن غاب عنى ممّن هو فى ناحية العسكر حين بلغه ما فعلت ، والثالثةَ كذلك . ثمّ اخترط سيفاً ثم قال : أمكِنّى ، فأمكنْتُه ، فضربنى ضربةً صَرَعَنى منها ، ثم نزل عن فرسه وجلس على صَدْرى ، وانتَزَع من خُفّيْه خنْجراً أو سكّيناً فوضعها على حَلْقى يريد ذَبْحى ، فقلتُ له : أنشُدُك الله ! فإنك لست مصيباً من قتلى الشرف والذكر مثلَ ما أنت مصيب من تَرْكى ، قال : ومن أنتَ ؟ قلت : سعيد الحَرشىّ ، قال : أوْلى يا عدوَّ الله ! فانْطلِق فأعلِم صاحبك[3] ما لقيت .
١٠٩٤/٢ قال سعيد : فانطلقتُ أسعَى حتى انتهيتُ إلى الحجاج ، فقال : كيف

---

(١) ب ، ف : « كما يحب الأمير » . (٢) ب ، ف : « بسيف » .
(٣) ب ، ف : « أصحابك » .

رأيتَ ! فقلتُ : الأميرُ كان أعلَم بالأمر[١] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبى مِخنَف ، عن أبى يزيد[٢] ، قال : وكان أبو البَختَرىّ الطائىّ وسعيد بن جُبَير يقولان : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ...﴾[٣] إلى آخر الآية، ثم يَحمِلان حتى يُواقِعا الصَّفّ.

قال أبو المُخارِق : قاتلْناهم مائةَ يوم سَوَاء أعدّها عدًّا . قال : نزَلْنا ديرَ الجماجم مع ابن محمد غداةَ الثلاثاء لليلة مضتْ من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين ، وهزِمنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضتْ من جُمادى الآخرة عند امتداد الضّحى ومُتُوع النهار ، وما كنا قطّ أجرأ عليهم ولا هم أهوَن علينا منهم فى ذلك اليوم .

قال : خرجْنا إليهم وخرجوا إلينا يومَ الأربعاء، لأربع عشرة مضتْ من جُمادى الآخرة ، فقاتلْناهم عامّة النهار أحسنَ قتال قاتلناهُمُوه قطّ ، ونحن آمنون من الهزيمة ، عالُون للقوم ، إذ خرج سُفيان بنُ الأبرد الكلبىّ فى الخيل من قِبَل ميمنة أصحابه ، حتى دنا من الأبرد بن قُرّة التميمىّ ، وهو على مَيْسرة عبد الرحمن بن محمد ، فوالله ما قاتَلَه كبير قتال حتى انهزم ، فأنكَرها الناسُ منه ، وكان شجاعًا ، ولم يكن الفِرار له بعادة ، فظنّ الناسُ أنه قد كان أومِن ، وصُولح على أن ينهزم بالناس ، فلما فعلها ١٠٩٥/٢ تقوّضَت الصفوفُ من نحوه ، وركِب الناس وجوههم[٤] وأخذوا فى كلّ وجه ، وصَعِد عبد الرحمن بن محمد المنبَر ، فأخذ[٥] يُنادِى الناس : عبادَ الله ، إلىّ أنا ابنُ محمد ؛ فأتاه عبدُ الله بن رزام الحارثىّ ، فوقف تحت منبره ، وجاء عبدُ الله بن ذؤاب السُّلَمىّ فى خيل له[٦] ، فوقف منه قريبًا ، وثبت حتى دنا منه أهلُ الشأم ، فأخذتْ نَبلُهم تحوزُه ، فقال : يا بن رِزام ، احمِل على هذه الرجال والخيل ، فحمل عليهم حتى أمعنوا . ثمّ جاءت

(١) بعدها فى ب ، ف : «منى» . (٢) أول الحديث ص ٣٥٨ .
(٣) سورة آل عمران: ١٤٥ . (٤) ب ، ف : «رءوسهم» .
(٥) ب ، ف : «وأخذ» . (٦) ب ، ف : «لهم خيل» .

خيل لهم أخرى وَرجّالة ، فقال : احمل عليهم يا بن ذُؤاب ، فحمَل عليهم حتّى أمعنوا ، وثبت لا يبرَح منبرَه ، ودخل أهل الشأم العسكر ، فكبَّروا[1] ، فصَعِد إليه عبدُالله بن يزيد بن المغفَّل الأزدىّ — وكانت مُلَيكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن — فقال : انزل ، فإنى أخافُ عليك إن لم تنزل أن تؤسَر ، ولعلك إن انصرفْتَ أن تجمع لهم جَمْعاً يُهلكهُم الله به بعد اليوم . فنزل وخلّى أهل العراق العسكر ، وانهزَموا لا يلوُون على شىء ، ومضى عبدُالرحمن بنُ محمد مع ابن جَعدة بن هُبيرة ومعه أناس من أهل بيته ؛ حتّى إذا حاذَوا قريةَ بنى جَعْدة بالفلّوجة دعوا بِمعبَر ، فعبَروا فيه ، فانتهى إليهم بِسطام بنُ مَصقَلة ، فقال : هل فى السفينة عبدُ الرحمن بن محمد ؟ فلم يكلّموه ، وظنّ أنه فيهم ، فقال :

* لا وألَتْ نفس عليها تُحاذِرُ *

ضَرَّمَ قَيْسٌ علىَّ البِلاَ ... دَ حتى إذا اضْطرَمت أجْذَمَا[2]

٢/١٠٩٦

ثم جاء حتّى انتهى إلى بيته وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم يَنزِل عنه ، فخرجتْ إليه ابنتُه فالتزمها ، وخرج إليه أهلُه يبكون ، فأوصاهم بوصيّة وقال : لا تبكُوا ، أرأيتم إن لم أترككم ، كم عسَيتُ أن أبقَى معكم حتّى أموت ! وإن أنا متّ فإن الذى رزَقكم الآن حىٌّ لا يموت ، وسيرْزقكم بعدَ وَفاتى كما رَزَقكم فى حياتى ؛ ثمّ ودّع أهلَه وخرج من الكوفة .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى الكلبىّ محمد بن السائب ، أنهم لما هُزموا ارتفاعَ النهار حين امتدّ ومتَع ، قال : جئتُ أشتدّ ومعى الرمح والسيف والتُّرس حتّى بلغتُ أهلى من يومى ، ما ألقيتُ شيئاً من سلاحى ، فقال الحجاج : اتركوهم فليتبدّدوا ولا تتبعوهم ، ونادى المنادِى : مَن رجع فهو آمِن . ورجع محمد بنُ مروانَ إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشأم بعد الوقعة ، وخلّيا الحجّاج والعراق ، وجاء الحجّاج حتّى دخل الكوفة ، وأجلس مَصقَلة ابن كرب بن رَقَبَة العبدىّ إلى جنْبه ، وكان خطيباً ، فقال : اشتم كلَّ

(١) س : «فكثروا» . (٢) من أبيات للربيع بن زياد ، ديوان الحماسة بشرح التبريزى ٢ : ٦١ .

امرئ بمافيه ممّن كُنّا أحسنا إليه، فاشتمه بقلّة شكره، ولؤم عهده؛ ومن علمتَ منه عيبًا فعبْه بما فيه، وصغّرْ إليه نفسَه . وكان لا يبايعه أحدٌ إلّا قال له : أتشهد أنك قد كفرتَ ؟ فإذا قال : نعم ، بايعه وإلّا قتله ، فجاء إليه رجل ٢/١٠٩٧ من خثعم قد كان مُعتزِلًا للناس جميعًا من وراء الفُرات ، فسأله عن حاله فقال : ما زلتُ معتزلا وراءَ هذه النطفة، منتظرًا أمرَ الناس حتى ظهرتَ، فأتيتُك لأبايعك مع الناس؛ قال : أمتربِّص ! أتشهد أنك كافر ؟ قال : بئسَ الرّجل أنا إن كنتُ عبدتُ الله ثمانين سنةً ثمّ أشهد على نفسي بالكفر؛ قال : إذاً أقتلُكَ ؛ قال : وإن قتلتني فوالله ما بقي من عُمْري إلّا ظِمءُ حمار ، وإني لأنتظر الموتَ صباحَ مساءَ ، قال : اضربوا عنقه ، فضُربتْ عنقه ، فزعموا أنه لم يبق حولَه قرشيّ ولا شاميّ ولا أحد من الحزبَيْن إلّا رحمه ورثى له من القتل .

ودعا بكُميل بن زياد النَّخَعيّ فقال له : أنت المقتصّ من عثمانَ أمير المؤمنين ؟ قد كنت أحبّ أن أجدَ عليك سبيلا ، فقال : والله ما أدرى على أيّنا أنتَ أشدّ غضبًا ؟ عليه حين أقادَ من نفسه، أم عليّ حين عفوتُ عنه ؟ ثمّ قال : أيّها الرجل من ثقيف، لا تصرف عليّ أنيابك ، ولا تهدَّمْ عليّ تهدُّم الكثيب ، ولا تكشرْ كشرانَ الذئب ، والله ما بقي من عمري إلّا ظِمْءُ الحمار ، فإنه يشرب غُدوةً ويموت عشيّة، ويشرب عشيّة ويموت غُدْوة ، اقضِ ما أنتَ قاض ، فإنّ الموعد اللهُ ، وبعد القتل الحساب . قال الحجاج : فإنّ الحُجة عليك ، قال: ذلك إن كان القضاء إليك ، قال : بلى ، كنتَ فيمن قتلَ عثمانَ ، وخلعتَ أميرَ المؤمنين ، اقتلوه . ٢/١٠٩٨ فقُدِّم فقُتل، قتلَه أبو الجهْم بن كنانة الكلبيّ من بني عامر بن عوف، ابن عمّ منصور بن جمهور .

وأتِيَ بآخرَ من بعده ، فقال الحجّاج : إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكُفر ، فقال : أخادِعي عن نفسي ! أنا أكفرَ أهلِ الأرض ، وأكفرَ من فرعون ذي الأوتاد ، فضحك الحجاج وخلّى سبيلَه .

وأقام بالكوفة شهراً ، وعزَل أهلَ الشأم عن بيوت أهـــل الكوفة .

[هزيمة ابن الأشعث وأصحابه فى وقعة مسكن]

وفى هذه السنة كانت الوقعة بمَسْكِن بين الحجّاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها :

قال هشام : حدّثنى أبو مِخْنَف ، عن أبى يَزيدَ السَّكْسَكىّ ، قال : خرج محمّد بن سعد بن أبى وَقّاص بعد وَقْعة الجماجم حتّى نزل المدائن ، واجتمع إليه ناسٌ كثير ، وخرج عُبيد الله بنُ عبد الرّحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس القُرَشىّ حتّى أتى البَصرة وبها أيّوب بن الحكَم بن أبى عَقِيل ، ابن عمّ الحجاج ، فأخذها ، وخرج عبد الرّحمن بن محمد حتّى قدم البَصرة وهو بها ، فاجْتَمَعَ الناسُ إلى عبد الرحمن ونزل ، فأقبل عُبيد الله حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث ، وقال له : إنى لم أرِد فِراقَك ، وإنما أخذتها لك . وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن ، فأقام عليها خَمساً حتى هيأ الرجال فى المعَابر ، فلما بلغ محمد بن سعد عبورُهم إليهم خرجوا حتّى لحِقوا بابن الأشعث جميعًا . وأقبَل نحوَهم الحجاج ، فخرج الناسُ معه إلى مَسكِن على دُجَيل ، وأتاه أهلُ الكوفة والفُلول من الأطراف ، وتَلاَوم الناسُ على الفِرار ، وبايع أكثرهم بِسطام بن مَصقَلة على الموت ، وخَندقَ عبدُالرحمن على أصحابه ، وبَثَق الماء من جانب ، فجعل القتال من وجه واحد ، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القَسْرىّ من خُراسان فى ناس من بَعْث الكوفة ، فاقتَتَلوا خمسَ عشرةَ ليلةً[1] من شعبان أشدَّ القتال حتّى قُتِل زيادُ بن غُنيم القَينىّ ، وكان على مَسالِح الحجّاج ، فهدّه ذلك وأصحابَه[2] هدًّا شديداً .

١٠٩٩/٢

قال أبو مِخنَف : حدّثنى أبو جَهْضَم الأزْدىّ ، قال : باتَ الحجّاج ليلَته كلَّه يسير فينا يقول لنا : إنكم أهل الطاعة ، وهم أهل المعصية ، وأنتم تَسعَوْن فى رضوان الله ، وهم يَسعَون فى سُخْط الله ، وعادة الله عندكم فيهم

(١) ب : « خمسة عشر يوماً » .
(٢) ب : « وهد أصحابه » .

حَسَنة ؛ ما صدقتمُوهم فى موطِن قطّ ولا صبرتُم لهم إلّا أعقبَكم الله النصرَ عليهم والظفَر بهم ؛ فأصبِحوا إليهم عادِين جادِّين ، فإنى لست أشكّ فى النصر إن شاء الله .

قال : فأصبَحْنا[1] ، وقد عبّأنا فى السَّحَر ، فباكرناهم[2] فقاتلْناهم أشدّ قتال قاتلناهمُوه قطّ ، وقد جاءنا عبدُالملك بن المهلب مجفّفاً ، وقد كُشفتْ خيل سُفيان بن الأبرد ، فقال له الحجاج : ضمّ إليك يا عبد الملك هذا النَّشَر[3] لعلى أحمِل عليهم ، ففعَل ، وحمل الناسُ من كلّ جانب ، فانهزم أهلُ العراق أيضاً ، وقتِل أبو البَخْترىّ الطائىّ وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وقالا قبل أن يُقتَلا : إنّ الفرار كلّ ساعة بنا لَقبيح . فأصيبا . ٢/١١٠٠

قال : ومشى بِسطام بن مَصقَلة الشيبانىّ فى أربعة آلاف من أهل الحِفاظ من أهل المصرَيْن ، فكَسَروا جفونَ السيوف ، وقال لهم ابن مَصقَلة : لو كنا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجوْنا منه فرَرنا ، ولكنا[4] قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل ، فأين المَحيد عما لا بدّ منه! ياقوم إنكم مُحِقون ، فقاتلوا على الحقّ ، والله لو لم تكونوا على الحقّ لكان موتٌ فى عزّ خيراً من حياة فى ذُلّ . فقاتَلَ هو وأصحابُه قتالا شديداً كَشَفوا فيه أهلَ الشأم مراراً ، حتى قال الحجّاج : علىّ بالرماة لا يقاتلهم غيرُهم ، فلما جاءتْهم الرّماة وأحاطَ بهم الناس من كلّ جانب قُتلوا إلّا قليلاً ، وأخِذ بكير بن ربيعة بن ثَرْوان[5] الضّبىّ أسيراً ، فأتِىَ به الحجاج فقتله .

قال أبو مِخنَف : فحدّثنى أبو الجَهْضَم ، قال : جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس ، فقال الحجاج : يا أهل الشأم ، إنه من صُنْع الله لكم أنّ هذا غلام من الغِلْمان جاء بفارس أهل العراق أسيراً ، اضرب عنقَه ، فقتله . ٢/١١٠١

قال : ومضى ابن الأشعث والفَلّ من المنهزِمين معه نحو سِجِسْتانَ فأتبَعهم الحجّاج عمارة بن تميم اللخمىّ ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أميرٌ

(١) بعدها فى ب : « إليهم » . (٢) ب : « وباكرناهم » .
(٣) النشر : القوم المتفرقون لا يجمعهم رئيس . وفى ب : « البشر » .
(٤) ب : « لكنا » . (٥) ط : « أبى ثروان » ، والصواب ما أثبته .

على القوم؛ فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرّحمن فأدركه بالسوس، فقاتلَه ساعةً من نهار، ثمّ إنه انهزَم هو وأصحابه فمضَوا حتّى أتَوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكرادُ مع من كان معه من الفُلول، فقاتلَهم عمارة بن تميم قتالا شديداً على العقَبة حتّى جُرِح عمارة وكثيرٌ من أصحابه، ثمّ انهزم عمارة وأصحابه وخلَّوْا لهم عن العقَبة، ومضى عبدُ الرحمن حتّى مرّ بكَرْمان.

قال الواقديّ: كانت وقعة الزاوية بالبَصرة فى المحرّم سنة ثلاث وثمانين.

قال أبو مِخنَف: حدّثنى سيف بن بِشْر العِجْلىّ، عن المنخّل بن حابس العبدىّ، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كَرْمان تلقاه عَمرو بن لَقيط العبدىّ — وكان عاملَه عليها — فهيأ له نُزُلا فنزَل، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له مَعقِل: والله لقد بلَغنا عنك يابن الأشعث أن قد كنت جبَانًا، فقال عبدُ الرحمن: والله ما جَبُنْتُ، والله لقد دلَفْتُ الرّجال بالرّجال، ولففتُ الخيلَ بالخيل، ولقد قاتلتُ فارسًا، وقاتلت راجلاً، وما انهزمتُ، ولا تركتُ العرْصة للقوم فى موْطِن حتّى لا أجِد مُقاتلا ولا أرى معى مُقاتِلا، ولكنى زاولتُ مُلْكا مؤجلا. ثمّ إنه مضى بمن معه حتّى فوّز فى مفَازةِ كرْمان.

١١٠٢/٢

قال أبو مِخنَف: فحدّثنى هشام بن أيّوبَ بن عبد الرحمن بن أبى عقِيل الثقفىّ، قال: لما مضى ابن محمد فى مفازة كَرمان وأتْبعه أهلُ الشأم دخل بعضُ أهل الشأم قصرًا فى المَفازة، فإذا فيه كتاب قد كَتَبه بعضُ أهل الكوفة من شعْر أبى جلدة اليَشكُرىّ، وهى قصيدة طويلة:

أيا لَهْفاً ويا حَزَناً جميعاً ... ويا حَرَّ الفؤاد لِمَا لَقِينَا!

تركنا الدِّينَ والدنيا جميعاً ... وأسلمْنا الحلائلَ والبنِينا

فما كنّا أناساً أهلَ دينٍ ... فَنَصبِرَ فى البلاء إذا ابتلينا

وما كنَّا أناساً أهل دنْيَا ... فنمْنَعَهَا وَلَوْ لم نرجُ دينا

تركنا دُورنا لطَغَام عَكٍّ وأنباطِ القُرَى والأشعَرينا[1]

ثمّ إنّ ابن محمد مضى حتى خرج على زَرَنْج مدينة سِجِستانَ، وفيها رجل من بنى تميم قد كان عبد الرحمن استعملَه عليها، يقال له عبد الله بن عامر البعّار من بنى مُجاشع بن دارِم، فلما قَدِم عليه عبد الرّحمن بن محمد منهزمًا أغلَق باب المدينة دونَه، ومنعه دخولَها، فأقام عليها عبد الرّحمن أياماً رجاءَ افتتاحها ودخولها. فلما رأى أنه لا يصل إليها خرج حتى أتى بُسْتَ، وقد كان استعمل عليها رجلا من بكر بن وائل يقال له عِياض بنُ هِمْيان أبو هِشام بن عياض السدوسىّ، فاستقبلَه، وقال له: انزِل، فجاء حتى نزل به، وانتظر حتى إذا غفَل أصحاب عبد الرحمن وتفرّقوا عنه وثب عليه فأوثَقه، وأراد أن يأمَن بهاعند الحجاج، ويتخذ بهاعندَه مكانًا. وقد كان رُتْبيل سمع بمقدم عبد الرّحمن عليه، فاستقبله فى جنوده، فجاء رُتْبيل حتى أحاط ببُسْت، ثمّ نزل وبعث إلى البكرىّ: والله لئن آذيتَه بما يُقذِى عينَه، أو ضررته ببعض المضرّة، أو رزأته حبْلا من شَعَرٍ لا أبرح العَرْصة حتى أستنزِلَك فأقتُلَك وجميعَ من معك، ثمّ أسبى ذراريكم، وأقسِّم بين الجند أموالَكم. فأرسل إليه البكرىّ أن أعطنا أمانًا على أنفسنا وأموالنا، ونحن ندفعه إليك سالمًا، وما كان له من مال مُوَفّراً. فصالحهم على ذلك، وآمنهم، ففتَحوا لابن الأشعث الباب وخلّوا سبيلَه، فأتى رُتْبيل فقال له: إنّ هذا كان عاملى على هذه المدينة، وكنتُ حيث ولّيته واثقًابه، مطمئنًّا إليه، فغدَرَ بى وركب منى ما قد رأيتَ، فأذَنْ لى فى قتْله، قال: قد آمنتُه وأكرَه أن أغدِر به، قال: فأذَنْ لى فى دفْعه ولَهزِه[2]، والتصغير به، قال: أمّا هذا فنعم. ففعَل به عبدُ الرحمن بن محمد، ثمّ مضى حتى دخل مع رُتْبيل بلاده، فأنزله رُتْبيل عنده وأكرمه وعظّمه، وكان معه ناس من الفَلّ كثير.

ثمّ إن عُظْم الفُلول وجماعةَ أصحاب عبد الرحمن ومن كان لا يرجو

(١) انظر: الأغانى ١١: ٣١٢، ٣١٣.

(٢) اللهز: الضرب.

الأمان؛ من الرّءوس والقادة الذين نصبوا للحجّاج فى كلّ موطن مع ابن الأشعث، ولم يَقبَلوا أمانَ الحجّاج فى أوّل مرّة، وجهَدوا عليه الجهْدَ كلَّه، أقبلوا فى أثر ابن الأشعث وفى طلبه حتى سَقَطوا بسِجستانَ، فكان بها منهم وممن تَبِعهم من أهل سِجِسْتان وأهل البلد نحو من ستّين ألفًا، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعّار فحصروه، وكتَبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدومِهم وعَددِهم وجماعتِهم، وهو عند رُتْبيل. وكان يصلى بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتَبوا إليه: أن أقبِلْ إلينا لعلنا نسير إلى خُراسان، فإنّ بها منا جُنْداً عظيمًا، فلعلّهم يبايعوننا على قتال أهلِ الشأم، وهى بلادٌ واسعة عريضة، وبها الرّجال والُحصون. فخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بمن معه، فحصروا عبد الله بن عامر البعّار حتى استنزَلوه، فأمر به عبد الرحمن فضُرِب وعُذّب وحُبِس. وأقبل نحوَهم عمارة بن تميم فى أهل الشأم، فقال أصحابُ عبدِ الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرُج بنا عن سِجِستانَ فلندعها[1] له ونأتى خُراسان، فقال عبدُ الرحمن بن محمد: على خُراسان يزيد بن المهلب، وهو شابّ شجاع صارم، وليس بتارك لكمْ سلطانَه، ولو دخلتمُوها وجدتموه إليكم سريعًا، ولن يدع أهل الشأم اتّباعكم، فأكره أن يجتمعَ عليكم أهلُ خُراسان وأهل الشأم، وأخاف ألّا تنالوا ما تَطلبون[2]، فقالوا: إنما أهل خُراسانَ منّا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر ممن يقاتلنا، وهى أرضٌ طويلة عريضة ننتحِى[3] فيها حيث شئنا، ونمكث حتى يُهلِك الله الحجّاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا. فقال لهم عبد الرحمن: سيرُوا على اسم الله.

٢/١١٠٥

فساروا حتى بلغوا هَراةَ، فلم يشعُروا بشىء حتى خرج من عسكره عُبَيد الله بنُ عبد الرحمن بن سَمُرة القرشىّ فى ألفين، ففارَقَه، فأخذ طريقًا سوى طريقِهم، فلمّا أصبح ابن محمد قام فيهم فحمِد اللهَ وأثنى عليه، ثمّ قال:

أما بعد، فإنى قد شهدتكم فى هذه الموَاطن، وليس فيها مَشهَد

(١) ب: «ولندعها». (٢) ب: «ألا تنالوا ما تطلبونه». (٣) ب «نتنحى».

إلّا أصبر لكم فيه نفسى حتى لا يبقى منكم فيه أحد ، فلما رأيتُ أنكم لا تقاتلون ، ولا تصبرون ، أتيتُ ملجأ ومأمنًا فكنتُ فيه ، فجاءتنى كتبُكم بأن أقبِل إلينا ، فإنا قد اجتمعْنا وأمرُنا واحد ، لعلنا نقاتل عدوّنا ، فأتيتكم فرأيت أن أمضىَ إلى خُراسان وزعمتم أنكم مجتمعون لى ، وأنكم لن تفرّقوا عنى . ثمّ هذا عبيد الله بن عبد الرّحمن قد صنع ما قد رأيتم ، فحسبى منكم يومى هذا فاصنعوا ما بدا لكم ، أما أنا فمنصرف إلى صاحبى الذى أتيتكم من قبَله ، فمن أحبّ منكم أن يتبعَنى فليتبعْنى ، ومن كرِه ذلك فليذهبْ حيث أحبّ فى عياذ من الله . ١١٠٦/٢

فتفرّقتْ منهم طائفة ، ونزلتْ معه طائفة[1] ، وبقى عُظْم العسكر ، فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العبّاس لما انصرف عبدُ الرحمن ، فبايعوه . ثمّ مضى ابن محمد إلى رُتْبيل ومضَوا هم إلى خُراسان حتى انتهوا إلى هَرَاةَ ، فلقوا بها الرّقاد الأزدىّ من العَتيك ، فقتلوه ، وسار إليهم يزيد بن المهلب .

وأما علىّ بن محمد المدائنىّ فإنه ذكر عن المفضّل بن محمد أنّ ابن الأشعث لما انهزَم من مَسكِن مضى إلى كابُل ، وأنّ عبيد الله بن عبد الرّحمن بن سَمُرة أتى هَرَاةَ ، فذمّ ابنَ الأشعث وعابَه بفراره ، وأتى عبد الرّحمن بن عباس سِجِسْتان فانضمّ إليه فلّ ابنِ الأشعث ، فسار إلى خُراسانَ فى جمع يقال فى[2] عشرين ألفًا ، فنزَل هَراةَ ولقوا الرُّقاد بن عبيد العتَكى فقتلوه ، وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس عبدُ الرحمن بن المنذر بن الجارود ، فأرسل إليه يزيدُ بن المهلّب : قد كان لك فى البلاد متّسعٌ ، ومن هو أكلّ منى حدًّا وأهونُ شوكة ، فارتحِلْ إلى بلد ليس فيه سلطان ، فإنى أكره قتالَك ، وإن أحببتَ أن أمدّك بمال لسفرك أعنتُك به ؛ فأرسَلَ إليه : ما نزلنْا هذه البلادَ لمحاربة ولا لمقام ، ولكنا أردنا أن نريحَ ، ثمّ نَشخَص إن شاء الله ، وليست بنا حاجةٌ إلى ما عرضتَ . فانصرفَ رسولُ يزيدَ إليه ، وأقبل الهاشمىّ على الجباية ، وبلغ يزيدَ ، فقال : من أراد أن يُريح ثمّ يجتازَ لم يجْبِ الخَراجَ ؛ فقدّم المفضّل فى أربعة آلاف — ويقال فى ستة آلاف — ١١٠٧/٢

(١) ب : « طائفة معه » . (٢) كذا فى ب .

ثمّ أتبعه فى أربعة آلاف ، ووَزَن يزيدُ نفسَه بسلاحه ، فكان أربعَمائة رطل، فقال : ما أرانى إلّا قد ثَقُلت عن الحرب، أىّ فرس يحملنى! ثمّ دعا بفرسه الكامل فرَكِبه ، واستخلَف على مرو خالَه جُدَيع بن يزيد، وصيّر طريقَه على مرْوَ الرُّوذ ، فأتى قبرَ أبيه فأقام عندَه ثلاثة أيام، وأعطى مَن معه مائةَ درهم مائةَ درهم، ثمّ أتى هرَاةَ فأرسل إلى الهاشمىّ: قد أرحْتَ وأسمنْتَ وجبَيْتَ ، فلك ما جبَيْتَ ، وإن أردتَ زيادةً زِدناك ، فاخرج فوالله ما أحِبّ أن أقاتلَك . قال : فأبى إلّا القتالَ ومعه عُبيد الله بنُ عبد الرحمن بن سَمُرة، ودسّ الهاشمىّ إلى جند يزيدَ يمنّيهم ويدعوهم إلى نفسه ، فأخبر بعضهم يزيدَ ، فقال : جلّ الأمرُ عن العتاب ، أتغدّى بهذا قبل أن يتعشّى بى ؛ فسار إليه حتى تَدانَى العسكران ، وتأهّبوا للقتال ، وأُلقِىَ ليزيد كرسىّ فقعد عليه، وولّى الحربَ أخاه المفضّل ، فأقبل رجلٌ من أصحاب الهاشمىّ — يقال له خُلَيد عَيْنَيْنِ من عبد القيس — على ظَهْر فرَسه ، فرفع صوتَه فقال[1] :

٢/١١٠٨

دَعتْ يا يَزِيدَ بنَ المهلَّب دَعْوَةً ... لها جَزَعٌ ثم استهلّتْ عيُونُها
ولو يُسمِع[2] الداعى النِّداء[3] أجابهَا ... بِصُمٍّ القَنَا والبيض تُلْقَى جفُونُها
وقدْ فَرَّ أشرافُ العِرَاق وغادَرُوا ... بها بقَرًا للحيْنِ جُمًّا قُرونُها[4]

وأراد أن يحضّ يزيد ، فسكت يزيدُ طويلا حتى ظنّ الناس أن الشّعر قد حرّكه، ثمّ قال لرجل : نادِ وأسمِعْهم ، جشّموهم ذلك ، فقال خُلَيد :

لبئس المنادِى والمنوَّهُ باسمِه ... تُنَادِيه أبكارُ العِراقِ وَعُونُها
يَزِيدُ إذا يُدعَى لِيَوْم حَفيظَةٍ ... ولا يَمْنَعُ السَّوْآتِ إلاّ حُصُونها
فإنّى أراه عن قليلٍ بنفسِهِ ... يُدانُ كما قد كان قَبْلُ يَدِينُها
فلا حُرَّةٌ تَبكِيهِ لكنْ نوَائحٌ ... تُبكِّى عليه البُقْعُ منها وَجُونُها

---

(١) ب : «وقال» .
(٢) ر : «تسمع» .
(٣) ب : «يزيد» .
(٤) ب : «بها نفر» .

فقال يزيدُ للمفضّل: قدِّم خيلَك ، فتقدّم بها ، وتهايَجوا فلم يكن بينهم كبيرُ قتال حتّى تفرّق الناس عن عبد الرحمن ، وصبر وصبرتْ معه ٢/١١٠٩ طائفةٌ من أهل الحفاظ ، وصبر معه العبديّون ، وحمل سعد بن نجد القُرْدوسيّ على حُلَيس[1] الشيبانيّ وهو أمام عبد الرحمن ، فطعنه حُلَيس فأذراه عن فرسه ، وحماه أصحابُه ، وكثرهم الناس فانكشفوا ، فأمر يزيدُ بالكَفّ عن اتباعهم ، وأخذوا ما كان فى عسكرهم ، وأسَروا منهم أسرَى ، فولى يزيدُ عطاءَ بنَ أبى السائب العسكر ، وأمرَه بضمّ ما كان فيه ، فأصابوا ثلاثَ عشرةَ امرأة ، فأتوا بهن يزيدَ ، فدفعهن إلى مرّة بن عطاء بن أبى السائب ، فحملَهن إلى الطَّبَسَين ، ثمّ حملهن إلى العراق . وقال يزيد لسعد بن نجد: مَن طَعنَك ؟ قال : حليس الشيبانىّ ، وأنا والله راجلا أشدّ منه وهو فارس . قال : فبلغ حُليسًا ، فقال : كذب والله ، لأنا أشدُّ منه فارسًا وراجلاً . وهرب عبد الرحمن بنُ منذر بن بِشر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد الله بن خازم . قال : فكان فى الأسرى محمد بن سعد بن أبى وقّاص ، وعمرو بن موسى بن عبيد الله بن مَعْمَر ، وعيّاش بن الأسوَد بن عوف الزّهرىّ والهلقام بن نُعيم بن القَعقاع بن مَعبد بن زُرارة ، وفَيروز حصين ، وأبو العِلْج مولَى عُبيد الله بن معمَر ، ورجل من آل أبى عَقيل ، وسَوّار بن مروان ، ٢/١١١٠ وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف ، وعبد الله بن فَضالة الزّهرانىّ. ولحق الهاشمىّ بالسِّند ، وأتى ابنُ سَمُرة مروَ ، ثمّ انصرف يزيدُ إلى مروَ وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سَبْرة بن نَخْف بن أبى صُفْرة ، وخلى عن ابن طلحة وعبد الله بن فضَالة ؛ وسعى قومٌ بعُبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة ، فأخذه يزيدُ فحبسه .

وأمّا هشام فإنه ذكر أنه حدّثه القاسم بن محمد الحضرمىّ ، عن حفص ابن عمرو بن قبَيصة ، عن رجل من بنى حنيفة يقال له جابر بن عمارة ، أنّ يزيدَ بنَ المهلب حبس عندَه عبدَ الرحمن بن طلحة وآمنَه ، وكان الطلحىّ قد آلَى على يمين ألا يرَى يزيدَ بنَ المهلب فى موقف إلّا أتاه حتّى يقبِّل يدَه شكراً لما أبلاه . قال : وقال محمد بن سعد بن أبى وقاص ليزيدَ : أسألك

(١) ب : « حلبس » .

بدعوةِ أبى لأبيك ! فخلَّى سبيلَه . ولقول محمد بن سعد ليزيدَ : « أسألك بدعوةَ أبى لأبيك » حديثٌ فيه بعضُ الطول .

قال هِشام : حدّثنى أبو مِخْنَف ، قال : حدّثنى هشام بن أيّوب بن عبد الرحمن بن أبى عَقِيل الثقفىّ ، قال : بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسفَ؛ بعمَر بن موسى بن عُبيد الله بن مَعمَر ، فقال : ٢/ ١١١١ أنت صاحبُ شرطة عبد الرحمن ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! كانت فتنةٌ شملت البَرَّ والفاجر ، فدخلنا فيها ، فقد أمكنَك الله منا ، فإنْ عفوتَ [١]فبحلمك وفضلِك[١] ، وإن عاقبْتَ عاقبتَ ظَلَمَةً مذنِبين ، فقال[٢] الحجّاج : أما قولك: « إنها شملتِ البرّ والفاجرَ» فكذبتَ، ولكنها شملت الفُجّارَ، وعُوفِىَ منها الأبرار ، وأما اعترافك بذَنبْك فعسى أن ينفَعك . فعُزِل ، ورجا الناس له العافية حتى قُدِم بالهلقام بن نعيم ، فقال له الحجاج : أخبِرْنى عنك ، ما رجوتَ من إتباع عبد الرحمن بن محمد ؟ أرجوتَ أن يكون خليفةً ؟ قال : نعم ، رجوتُ ذلك ، وطمعت[٣] أن يُنزلنى منزلتَك من عبد الملك، قال : فغضب الحجاج وقال : اضربوا عنقَه ، فقُتل .

قال : ونظر إلى موسى بن عمر بن عبيد الله بن مَعمَر وقد نُحِّى عنه فقال : اضرِبُوا عُنقَه ، وقتل بقيّتهم. وقد كان آمن عَمرو بن أبى قرّة الكندىّ ثمّ الحجْرىّ وهو شريف وله بيتٌ قديم ، فقال : يا عمرو ، كنت تُفضى إلىّ وتحدّثنى أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ، ثمّ تبعتَ عبد الرّحمن بن محمد بن الأشعث ؛ والله ما بك عن اتّباعهم رغبةٌ ، ولا نَعمةَ عين لك ولا كرامة .

قال : وقد كان الحجاجُ حين هُزِم الناس بالجماجم نادى منادٍ به : ٢/ ١١١٢ مَن لحق بقتَيبْة بن مسلم بالرىّ فهو أمانُه ، فلحق ناسٌ كثير بقتيبة[٤] ، وكان[٥] فيمن لحق به عامر الشَّعبىّ ، فذكر الحجّاجُ الشعبىَّ يومًا فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقال له يزيد بنُ أبى مسلم : بلغنى أيها الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالرّىّ ، قال : فابعث إليه فلنُؤتَ[٦] به،

(١ – ١) ب : « فبفضلك وحلمك » . (٢) بعدها فى ب : « له » .
(٣) ب : « فطمعت فيه » . (٤) ب : « بأرض قتيبة » .
(٥) ب : « فكان » . (٦) ر : « فليؤت » .

فكَتَبَ الحجّاج إلى قتيبة: أمّا بعد ، فابعث إلىّ بالشعبىّ حين تَنظُر فى كتابى هذا ؛ والسّلام عليك ؛ فسُرّح إليه .

قال أبو مِخنَف: فحدّثنى السرّىّ بن إسماعيل عن الشعبىّ ، قال: كنتُ لابن أبى مسلم صَدِيقًا ، فلما قَدِم بى[1] على الحجاج لقيتُ ابن أبى مسلم فقلتُ : أشِرْ علىّ ؛ قال : ما أدرى ما أشيرُ به عليك[2] غير أن أعتذِر ما استطعت من عذر[3] ! وأشار بمثل ذلك علىّ نُصَحائى وإخوانى ، فلما دخلتُ عليه رأيتُ والله غيرَ ما رأوا لى ، فسلّمت عليه بالإمرة[4] ثم قلت : أيّها الأمير ، إنّ الناس قد أمرونى أن أعتذرَ إليك بغير ما يَعلم الله أنه الحقّ ، وايمُ الله لا أقول فى هذا المقام إلّا حَقًّا ، قد والله سوّدنا[5] عليك ، وحرّضنا وجهدنا عليك كلّ الجهد ، فما آلونا[6] ، فما كنا بالأقوياء الفَجَرَة ، ولا الأتقياء[7] البرَرَة ، ولقد نصرك اللهُ علينا ، وأظفَرَك بنا ، فإن سطوتَ فبذُنوبنا وما جرّت إليه أيدينا ، وإن عفوتَ عنا فبحلمك ، وبعد الحجة[8] لك علينا ، فقال له الحجاج : أنت والله أحبّ إلىّ قولا ممن يدخل علينا يَقطر سيفُه من دمائنا ثمّ يقول : مافعلتُ ولاشهدتُ ؛ قد أمِنتَ عندنا يا شَعبىُّ ، فانصرِفْ. قال : فانصرفتُ ، فلما مَشَيتُ قليلا قال : هلمّ يا شعبىّ ؛ قال : فوَجِل لذلك قلبى ، ثمّ ذكرتُ قولَه : «قد أمِنْت يا شَعبىّ» ، فاطمأنت نفسى ، قال: كيف وجدتَ الناس يا شَعبىّ بعدنا ؟ قال — وكان لى مكرمًا : فقلتُ : أصلَح اللهُ الأمير ! اكتحلتُ والله بعدَك السَّهَر ، واستوعَرْتُ الجَناب ، واستحلَسْتُ الخوف ، وفقدْتُ صالح الإخوان ، ولم أجد من الأمير خَلَفاً . قال : انصرِف يا شَعبىّ ، فانصرَفْتُ .

٢/١١١٣

قال أبو مِخنَف : قال خالد بن قَطَن الحارثىّ : أتِىَ الحجّاجُ بالأعشى ، أعشىَ هَمْدانَ ، فقال: إيهِ ياعَدُوّ الله ! أنشِدْنى قولَك: « بين الأشجّ و بين

---

(١) ب : « قدمت » . (٢) ب : « عليك به » . (٣) ب : « بعذر » .

(٤) ر : « فلما دخلت عليه سلمت » . (٥) ب: « تمردنا» . (٦) ب : « وما آلونا » .

(٧) ب : « ولا بالأتقياء » .

(٨) ب : « فالحجة » .

قيس »، أنفِذْ بيتَك ، قال : بل أنشُدُك ما قلتُ لك ؛ قال : بل أنشدْنى هذه ؛ فأنشَدَه :

أَبى اللهُ إلا أن يُتَمِّمَ نُـورَهُ ... ويُطْفِئَ نُورَ الفَاسِقِينَ فَيَخمُدا[1]

ويُظهِرَ أَهْلَ الحَقِّ فى كلِّ مَوْطِنٍ ... ويُعْدِلَ وقْع السَّيْفِ مَن كان أَصيَدا

٢/١١١٤ ويُنْزِلَ ذُلًّا بالعِرَاقِ وأَهـلِهِ ... لِما نَقَضُوا العَهْدَ الوثيقَ المؤكَّدَا[2]

وما أَحْدَثوا مِنْ بِدْعَةٍ وعظيمةٍ[3] ... من القوْلِ لم تَصْعدْ إلى اللهِ مَصْعدا[4]

وما نكثوا مِنْ بَيْعَةٍ بعْد بَيْعَـةٍ ... إذَا ضَمِنُوها اليَوْمَ خَاسُوا بها غَدَا

وجُبْناً حشَاهُ رَبهُمْ فى قلوبِهِمْ ... فما يقْرَبُونَ الناس إلا تَهدُّدا

فلَا صِدْقَ فى قَولٍ ولا صَبْرَ عِندَهمْ ... ولكِنَّ فخرًا فيهِمُ وتَزيُّدا

فكَيْفَ رأيت اللهُ فَرَّقَ جَمْعَهُمْ ... ومَزَّقهُمْ عَرْضَ البلادِ وشرَّدَا !

فَقَتْلَاهم قَتلَى ضَلَالٍ وفتْنة ... وحيُّهُمُ أَمسى ذَلِيلا مُطرَّدا[5]

ولما زَحَفْنَا لابنِ يُوسُفَ غُـدْوةً[6] ... وأَبْرَقَ مِنّا العَارِضَانِ وأَرْعَدا

٢/١١١٥ قَطَعْنَا إليه الخندقَين وإنَّما ... قطَعْنا وأَفضينا إلى الموت مُرْصِدا[7]

فكافَحَنَا الحجّاجُ دُونَ صُفُوفِنَا[8] ... كِفاحاً ولَمْ يضْرِبْ لذلك مَوْعِدَا

بِصَفٍّ كأَنَّ البَرقَ فى حَجَراتِهِ ... إذا ما تجَلَّى بيْضُهُ وتَوقَّـدا

دلفْنَا إليه فى صُفُوفٍ كأَنَّها ... جِبَالُ شَرَوْرَى لو تُعـانُ فتَنْهدا

فما لَبثَ الحجّاجُ أَنْ سَلَّ سَيْفَهُ ... علَيْنَا فولَّى جَمْعُنا وتَبَدَّدَا

وما زاحَفَ الحجّاجُ إلا رأَيْتَهُ ... مُعَـاناً مُلَقًّى لِلْفتُوحِ مُعَوَّدَا

---

(١) الأغانى ٦ : ٥٩ — ٦١ ، المسعودى ٣ : ١٦٢

(٢) الأغانى : « كما نقضوا » .

(٣) المسعودى : « وضلالة » .

(٤) ابن الأثير : « لم يصعد » .

(٥) ابن الأثير : « وجيشهم أمسى » .

(٦) الأغانى : « ضلة » .

(٧) مرصداً : مترقباً .

(٨) الأغانى : « فصادفنا الحجّاج » .

وإنَّ ابْنَ عباسٍ لفى مرجَحِنَّةٍ نُشبِّهُهَا قِطْعاً من الليْل أَسْــوَدا
فما شَرَعُوا رُمْحاً ولا جَرَّدُوا له ألا رُبَّمَــا لاقى الجَبــانُ فَجَرَّدا ٢/١١١٦
وكرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَــرَّةً بفُرْســانها والسَمْهَرىِّ مُقَصدَا
وسُفْيَان يَهْدِيها كأَنَّ لواءَهُ من الطعن سِندٌ باتَ بالصِّبغ مُجْسدَا
كُهولٌ ومُرْدٌ مِنْ قُضَاعَةَ حَوْلَهُ مَسَاعيرُ أبطال إذا النُّكْسُ عَرَّدا
إذا قال شُدُّوا شَــدَّةً حملوا مَعًا فأَنْهَلَ خِرْصانَ الرِّماح وأَوردَا
جُنُودُ أمير المؤمنينَ وخَيْــلُهُ وســلطَانُهُ أمسى عزيزًا مؤيَّدَا
فيَهْنِى أميرَ المؤمنــينَ ظُهُورُه على أُمَّة كانوا بُغاةً وحُسَّدا
نزوْا يَشتكونَ البغْىَ من أمرائِهمْ وكانوا هُمُ أبغَى البغاةِ وأَعنَدَا
وجَدْنا بَنِى مروانَ خَيْرَ أئمّةٍ وأَفضلَ هذِى النّاسِ حِلْماً وسُودَدا
وخَيْرَ قُريشٍ فى قريش أَرُومَةً وأَكرمَهمْ إلا النبىَّ مُحَمّــدا ٢/١١١٧
إذَا ما تَدَبَّرنَا عَواقِبَ أَمرهِ وَجَدْنا أَمير المؤمنين مُسَدَّدَا
سيُغلَب قوم غالبُوا الله جَهرةً[1] وإن كايَدُوهُ كانَ أقوَى وأَكْيَدا
كذاك يضِلُّ اللهُ من كان قلبُه مريضاً ومَنْ وَالى النِّفَاقَ وأَلْحدَا
فقد تركوا الأَهلِينَ والمــالَ خلفَهُمْ وَبيضاً عليهنَّ الجلابيب خُرَّدًا
يُناديِنهم مُسْتَعْبِراتٍ إليهمِ ويُذْرِينَ دَمعاً فى الخُدُودِ وإثمِدَا
فإلّا تُنَاوِلْهُنَّ مِنكَ برحْمــةٍ يكنَّ سَبايَا والبُعُولَةُ أعبُدَا
أَنكثًا وعِصْيَاناً وغَدْرًا وذِلّةً أهان الإلٰهُ من أهانَ وأَبْعَدَا
لقد شَأَم المِصْرِيْنِ فَرْخُ مُحَمدٍ بحقٍّ وما لاقى من الطَيرِ أَسْعدَا[2]

---

(١) الأغانى : « سيغلب قوماً » .

(٢) رواية الأغانى :

لَقَدْشِمْتَ يابَنْ الأَشعثِ العام مِصْرَنا فظلّوا وما لاقوا من الطَّير أَسْعُدَا

٢/١١١٨ كما شأَمَ اللهُ النُّجَيْرَ وأَهــلَهُ بجَدٍّ لهُ قد كانَ أَشقى وأَنــكدَا

فقال أهل الشأم : أحْسَنَ ، أصلح الله الأمير ! فقال الحجّاج : لا ، لم يحْسن ، إنكم لا تدرون ما أراد بها ، ثمّ قال : يا عدوّ الله ، إنا لسنا نحْمَدُك على هذا القول ، إنما قلت : تأسُّفَ ألا يكون ظَهَر وظَفِر ، وتحريضًا لأصحابك علينا ، وليس عن هذا سألناك ، أنفِذْ لنا قولَك :

* بيْنَ الأشجّ وبيْنَ قيْسٍ باذخٌ *[1]

فأنفَذَها ، فلما قال :

* بَخْ بخْ لوالِدِه ولِلمَوْلودِ *

قال الحجاج : لا والله لا تُبَخْبخ بعدَها لأحد أبداً ، فقَدّمه فضرَبَ عُنقَــه .

وقد ذُكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسَرَهم يزيدُ بن المهلب ووجّههم إلى الحجّاج ومن فُلول ابن الأشعث الذين انهزَموا يومَ مسكِن أمرٌ غيرَ ما ذكره أبو مِخنَف عن أصحابه . والذى ذُكِر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابنُ الأشعث مضى هؤلاء مع سائر الفَلّ إلى الرّىّ ، وقد غلب عليها عُمر بن
٢/١١١٩ أبى الصّلت بن كنارا مولى بنى نَصْر بن معاوية ، وكان من أفْرَس الناس ، فانضمّوا إليه ، فأقبَل قتيبةُ بن مُسلم إلى الرّىّ من قِبَل الحجاج وقد ولاّه عليها . فقال النفرُ الذين[2] ذكرت أنّ يزيد بن المهلّب وجّههم إلى الحجاج مقيّدين وسائر فلّ ابن الأشعث الذين صاروا إلى الرىّ لعمرَ بن أبى الصّلت : نولّيك أمرَنا وتحارب بنا قتيبة ؛ فشاور عُمر أباه أبا الصّلت ، فقال له أبوه : والله يا بُنىّ ما كنتُ أبالى إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تُقتَل من غد . فعقد لواءه ، وسار فَهُزِم وهَزم أصحابه ، وانكشفوا إلى سجِستانَ ، واجتمعتْ بها الفُلول ، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رُتْبِيل ، ثمّ كان من أمرهم وأمرِ يزيدَ بن المهلب ما قد ذكرتُ .

(١) المسعودى ٣ : ١٦٣ .
(٢) ب : « الذى » .

وذكَر أبو عُبيدة أنّ يزيدَ لما أراد أن يوجّه الأسرى إلى الحجّاج قال له أخوه حبيب : بأىّ وجه تَنظر إلى اليمانية وقد بعثت ابن طلحة ! فقال يزيدُ : هو الحجاج ،ولا يُتعرّض له ! وقال : وَطن نفسَك على العَزْل ،ولا تُرسل به ، فإنّ له عندنا بلاءً ، قال : وما بلاؤه ؟ قال لُزم المهلب فى مسجد الجماعة بمائتى ألف ، فأدّاها طلحة عنه . فأطلَقه ، وأرسل بالباقين ، فقال الفرزدق :

وَجَد ابنُ طلحةَ يومَ لاقى قومَه قَحطانَ يوم هَراةَ خيرَ المعشرِ

وقيل : إنّ الحجاج لما أتِى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه: إذا دعوتُك بسيّدهم فأتنى بفَيْرُوز ، فأبرز سريره— وهو حينئذ بواسِط القَصَب قبل أن تُبنَى مدينة واسِط — ثمّ قال لحاجبه : جئنى بسيّدهم ؛ فقال لفَيْروز : قم ؛ فقال له الحجاج : أبا عثمان ، ما أخرَجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمُك من لحومِهم ، ولا دَمُك من دمائهم ! قال : فتنةٌ عمّت الناس ، فكنّا فيها ، قال : اكتبْ لى أموالَك ، قال : ثمّ ماذا ؟ قال : اكتبها أوّل ؛ قال : ثمّ أنا آمِن على دمى ؟ قال : اكتبها ، ثمّ أنظُر ؛ قال : اكتبْ يا غلام ، ألف ألف ألفىْ ألف ، فذَكَر مالاً كثيراً ، فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندى ، قال : فأدّها ؛ قال : وأنا آمِن على دمى ؟ قال : والله لتؤدّينها ثمّ لأقتلنك ؛ قال : والله لا تَجمعَ مالى ودمى ، فقال الحجاج للحاجب : نَحّهِ ، فنحّاه .

٢/١١٢٠

ثمّ قال : ائتنى بمحمد بن سعد بن أبى وقّاص ، فدعاه ، فقال له الحجاج : إيهاً ياظِلّ الشيطان أعظمَ الناس تِيهاً وكِبراً ، تَأبى بيعةَ يزيد بن معاوية ، وتشبّه بحسين وابن عُمر ، ثمّ صرتَ مؤذنًا لابن كنارا[1] عبد بنى نصر — يَعنى عمر بن أبى الصَّلت — وجعل يَضرب بعُود فى يده رأسَه حتى أدماه ؛ فقال له محمد : أيها الرجل ، مَلكتَ فأسجحْ ! فكَفّ يدَه ، فقال : إن رأيتَ أن تكتبَ إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفوٌ كنتَ شريكًا فى ذلك محموداً ، وإن جاءك غيرُ ذلك كنتَ قد أعذَرتَ . فأطرق مَليًّا ثمّ قال : اضرب عنقَه ، فضُربت عنقُه .

(١) ط : « كناز » ، وانظر التصويبات .

٢/١١٢١ ثمّ دعا بعمرَ بن موسى فقال : يا عبدَ المرأة ، أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك[1] ، وتَشرب معه الشراب فى حمّام فارسَ ، وتقول المقالة التى قلت ! أين الفرزدق ؟ قم فأنشدْه ما قلت فيه ، فأنشدَه :

وخَضَبْتَ أَيْرَكَ للزِّناءِ ولم تكنْ يومَ الهِيَاجِ لِتَخْضِبَ الأَبطالا

فقال : أما والله لقد رفعتُه عن عقائلِ نسائك ، ثمّ أمَر بضرْب عنقه .

ثمّ دعا ابنَ عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة ، فإذا غلام حدَث ، فقال : أصلحَ الله الأمير ! ما لى ذنبٌ ، إنما كنت غلامًا صغيراً مع أبى وأمى لا أمرَ لى ولا نَهْى ، وكنت معهما حيث كانا ، فقال : وكانت أمُّك مع أبيك فى هذه الفِتَن كلّها ؟ قال : نعم ، قال : على أبيك لعنةُ الله .

ثمّ دعا بالهِلْقام بن نعيم فقال : اجعل ابنَ الأشعث طلَبَ ما طلَب ، ما الذى أمّلت أنتَ معه ؟ قال : أمّلتُ أن يملك فيولّينى العراقَ كما ولاّك عبدُ الملك . قال : قم يا حَوْشَب فاضربْ عنقَه ، فقام إليه ، فقال له الهِلْقام : يا بن لقيطة[2] ، أتَنكأ القرح ! فضرب عنقه .

ثمّ أُتِىَ بعبد الله بن عامر ، فلما قام بين يديه قال : لا رأتْ عيناك يا حجّاج الجنة إن أقلتَ ابنَ المهلب بما صنَع . قال : وما صنَع ؟ قال :

لأنّه كاس فى إطلاقِ أسرتِهِ وقادَ نحوَكَ فى أغلالها مُضَرَا
وَقَى بقومِكَ ورد الموتِ أسرتَه وكان قومُكَ أدنى عندَه خَطَرا

فأطْرَق الحجّاج مليًّا ووَقَرتْ فى قلبه ، وقال : وما أنتَ وذاك ! اضرِب عنقَه . فضُربتْ عنقُه . ولم تزل فى نفس الحجّاج حتى عزَلَ يزيدَ عن ٢/١١٢٢ خُراسانَ وحبَسه .

ثمّ أمر بفَيْروزَ فعذّب ، فكان فيما عُذّب به أن كان يُشدّ عليه القصب الفارسىّ المشقوق ، ثمّ يجرّ عليه حتى يخرّق جسدَه ، ثم يُنْضَح عليه الخَلّ والملح ، فلما أحسّ بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يَشُكّون أنى قد قُتلتُ ، ولى ودائع وأموال عند الناس ، لا تؤدَّى

(١) ابن الحائك ، هو محمد بن الأشعث ، وكان يعير بذلك .
(٢) كذا فى ب ، س ، وفى ط : « لطيفة » .

إليكم أبداً ، فأظهِرونى للناس ليعلَموا أنى حىّ فيؤدّوا المالَ . فأعلِم الحجّاج ، فقال : أظهروه ، فأخرِج إلى باب المدينة ، فصاحَ فى الناس : مَن عرَفَنى فقد عرَفَنى ، ومن أنكرَنى فأنا فيروزُ حصين ؛ إنّ لى عند أقوام مالاً ، فمن كان لى عندَه شىء فهو له ، وهو منه فى حِلّ ، فلا يؤدينّ منه أحد درهماً ، ليُبلّغ الشاهدُ الغائبَ . فأمر به الحجاج فقُتِل. وكان ذلك مما رَوَى الوليدُ بنُ هشام بن قحذم ، عن أبى بكر الهُذَلىّ .

وذكر ضَمْرة بن ربيعة ، عن أبى شَوْذب ، أنّ عمّال الحجّاج كتبوا إليه : إنّ الخَراج قد انكسر ، وإنّ أهلَ الذّمة قد أسلموا ولَحقوا بالأمصار ، فكتَب إلى البَصْرة وغيرِها أنّ من كان له أصلٌ فى قرية فليخرج إليها . فخرج الناسُ فعَسكَروا ، فجعلوا يَبكون وَيتادَون : يا محمّداه يا محمّداه! وجعلوا لا يرون أين يذهبون! فجعل قرّاء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنّعين فيبكون لِما يَسمعون منهم وَيرَوْن . قال : فقدِمَ ابنُ الأشعثِ على تَفِيئة ذلك ، واستبْصَر قرّاء أهلِ البَصْرة فى قتال الحجّاج مع عبد الرحمن ابن محمّد بن الأشعث . ١١٢٣/٢

وذكر عن ضَمرة بن ربيعةَ عن الشيْبانىّ ، قال : قَتَل الحجاجُ يوم الزاوية أحدَ عشر ألفاً ، ما استحيَا منهم إلّا واحداً ، كان ابنهُ فى كُتّاب الحجاج ، فقال له : أتحبّ أن نَعفوَ لك عن أبيك ؟ قال : نعم ، فتركَه لابنه ؛ وإنما خدعَهم بالأمان ، أمر منادياً فنادى عند الهزيمة : ألا لا أمانَ لفلان ولا فلان ، فسمّى رجالا من أولئك الأشراف ، ولم يقُل : الناس آمنون ، فقالت العامّة : قد آمَن الناس كلهم إلّا هؤلاء النفرَ ، فأقبلوا إلى حُجرْته فلما اجتمعوا أمرَهم بوَضْع أسلحتِهم ، ثم قال : لآمرنّ بكم اليومَ رجلا ليس بينكم وبينه قرابة ، فأمر بهم عُمارة بن تميم اللخمىّ فقرّبهم فقتَلهم .

ورُوِى عن النّضر بن شُميل ، عن هشام بن حَسّان ، أنه قال : بلغ

(١) ب : « فانتصر » .

ما قَتَل الحجّاجُ صبراً مائةٌ وعشرين ، أو مائةٌ وثلاثين ألفاً .

وقد ذُكر فى هزيمة ابن الأشعث بمَسكِن قولٌ غيرُ الذى ذكره أبو مخنَف؛ والذى ذُكِر من ذلك أنّ ابن الأشعث والحجّاج اجتمَعا بمَسكِن من أرض أبزقباذ ، فكان عسكرُ ابن الأشعث على نهر يُدعَى خداش مؤخّر النهر ، نهر تِيرَى ، ونزل الحجاج على نهر أفريذ والعسكران جميعًا بين دِجلَة والسَّيْب والكَرْخ ، فاقتتَلوا شَهْراً — وقيل : دون ذلك — ولم يكن الحجّاج يَعرِف إليهم طريقًا إلّا الطريق الذى يلتقُون فيه ، فأُتِىَ بشَيْخ كان راعيًا يُدعَى زَوْرَقًا ، فدلّه على طريق من وراءِ الكَرْخ طولُه ستّة فراسخ ، فى أجَمة وضَحْضاح من الماء ، فانتخب أربعة آلاف من جِلّة أهلِ الشأم ، وقال لقائدهم : لِيكُن هذا العِلْج أمامَك ، وهذه أربعةُ آلاف دِرْهم معك ، فإن أقامَك على عسكرهم فادفع المالَ إليه ، وإن كان كَذِبًا فاضربْ عنقَه ، فإن رأيتَهم فاحملْ عليهم فيمن معك، وليكنْ شِعارُكم: يا حجّاج يا حجّاج. فانطلق القائدُ صلاةَ العصر ، والتقَى عسكرُ الحجاج وعسكرُ ابن الأشعث حين فَصَل القائد بمن معه ، وذلك مع صلاة العصر ، فاقتتَلوا إلى الليل ، فانكشف الحجّاج حتى عبر السَّيب — وكان قد عقده — ودخل ابنُ الأشعث عسكرَه فانتَهبَ ما فيه، فقيل له: لو اتبعتَهُ؟ فقال : قد تعِبنا ونَصِبْنا، فرَجَع إلى عسكرِه فألقَى أصحابُه السلاحَ ، وباتوا آمِنين فى أنفسِهم لهم الظَّفَر . وهجم القومُ عليهم نصفَ الليل يصيحون بشعارهم ، فجعل الرجلُ من أصحاب ابن الأشعث لا يدرى أين يتوجّه ! دُجَيل عن يساره ودِجلة أمامَه ، ولها جُرُف منكَر ، فكان منَ غَرِق أكثر ممن قُتِل . وسمع الحجاج الصوتَ فعبر السَّيبَ إلى عسكره، ثمّ وجّه خيلَه إلى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث ، وانحازَ فى ثلثمائة ، فمضى على شاطئ دِجلةَ حتى أتى دُجَيلا فعبرَه فى السفن ، وعقَروا دوابّهم ، وانحدَروا فى السفن إلى البَصْرة ، ودخل الحجاج عسكرَه فانتهب ما فيه ، وجعل يقتُل منَ وجد حتى قتَل أربعةَ آلاف ؛ فيقال : إنّ فيمن قُتِل عبد الله

٢/١١٢٤
٢/١١٢٥

ابن شدّاد بن الهاد ؛ وقتل فيهم بِسْطام بن مَصْقلَة بن هُبيرة ، وعمر [١]
ابن ضُبيْعة الرّقاشىّ ، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكَم بن مَخرَمة
العبدّييْن، وبُكَير بن ربيعة بن ثرْوان الضّبىّ؛ فأتِى الحجاجُ برءوسهم على
تُرْس ، فجعل يَنظُر إلى رأس بِسطامَ ويتمثّل :

إذا مرَرْتَ بوادِى حَيَّةٍ ذَكَرٍ فاذهبْ ودَعْنِى أقاسى حيةَ الوادِى

ثم نظر إلى رأس بُكَير ، فقال : ما ألقى هذا الشقىّ مع هؤلاء . خُذْ بأذنه
يا غلام فألقِه عنهم . ثمّ قال : ضَعْ هذا الترس بين يدىْ مسمَع بن مالك
ابن مِسمَع ، فوُضع بين يديه ، فبكى ، فقال له الحجّاج : ما أبكاك ؟ أحزنًا
عليهم ؟ قال : بل جزَعًا لهم من النار .

* * *

[ذكر خبر بناء مدينة واسط]

وفى هذه السنة : بنَى الحجّاج واسطاً ، وكان سبب بنائه ذلك — فيما ذُكر —
أنّ الحجاج ضرب البَعْث على أهل الكوفة إلى خراسان ، فعسكروا بحمّام
عُمر . وكان فتًى من أهل الكوفة من بنى أسَد حديثُ عهد بعرس بابنة
عمّ له ، انصرف من العسكر إلى ابنة عمّه ليلا ، فطرق البابَ طارقٌ ودقّه دقًّا
شديداً ، فإذا سكرانُ من أهل الشأم ، فقالت للرجل ابنةُ عمّه : لقد لقينا
من هذا الشأمى شرًّا ، يفعل بنا كلَّ ليلة ما ترَى ، يريد المكروهَ ، وقد
شكوته إلى مشيخة أصحابه ، وعرَفوا ذلك [٢] ، فقال : ائذنوا له ، ففعلوا ، ١١٢٦/٢
فأغلَق البابَ ، وقد كانت المرأة نجّدت منزلها وطيّبتْه ، فقال الشامىّ :
قد آن لكم ، فاستقناه الأسدىّ ، فأندَر رأسَه [٢] ، فلما أذّن بالفجر
خرج الرّجل إلى العسكر وقال لامرأته : إذا صلّيت الفجر فابعثى إلى الشاميّين
أن أخرِجوا صاحبكم ، فسيأتون بك الحجاجَ ، فاصدقيه الخبرَ على وجهه ؛

(١) ابن الأثير : « عمرو » .

(٢ — ٢) ابن الأثير : « فقال لها زوجها : ائذنى له ، فأذنت له ، فقتله زوجها » . وفى
اللسان : « أقنأت الرجل : حملته على القتل » .

ففعلتْ ، ورُفع القتيلُ إلى الحجاج ، وأدخلت المرأة عليه وعنده عنْبَسة ابن سعيد على سريره، فقال لها: ما خَطْبُكِ؟ فأخبرتْه، فقال : صدَقَتْني. ثم قال لوُلاة الشامىّ : ادفنوا صاحبكم فإنه قتيلُ الله إلى النار ، لا قَوَدَ له ولا عَقْل ، ثمّ نادى مناديه : لا يتزلنّ أحدٌ على أحد، واخرُجوا فعَسْكروا. وبعث رُوّادًا يرتادون له منزِلا ، وأمعن [١] حتى نزل أطراف كَسْكَر ، فبينا هو فى موضع واسِط إذا راهبٌ قد أقبل على حمار له وعبرَ دِجلةَ ، فلما كان فى موضع واسطَ تفاجّت الأتان فبالتْ، فنزل الراهبُ، فاحتفر ذلك البول، ثمّ احتملَه فرمى به فى دِجْلة ، وذلك بعَيْن الحجّاج ، فقال : علىَّ به ، فأتى به ، فقال : ما حمَلك على ما صنعتَ ؟ قال : نجد فى كُتُبنا أنه يُبْنَى فى هذا الموضع مَسجدٌ يُعْبَد اللهُ فيه ما دامَ فى الأرض أحدٌ يوحّده . فاختطّ الحجّاج مدينةَ واسِطَ ، وبنَى المسجدَ فى ذلك الموضع .

* * *

١١٢٧/٢ وفى هذه السنة عزَلَ عبدُ الملك — فيما قال الواقدىّ — عن المدينة أبَانَ بنَ عثمان ، واستَعمَل عليها هشامَ بنَ إسماعيل المخزومىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة هِشامُ بنُ إسماعيلَ ، حدّثنى بذلك أحمدُ ابن ثابت ، عمن حدّثه ، عن إسحاق بنِ عيسى ، عن أبى معشر .

وكان العمّال فى هذه السنة على الأمصار سِوَى المدينة هم العمّال الذين كانوا عليها فى السنة التى قبلَها ؛ وأمّا المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها [٢].

(١) ب : « فأبعد » .

(٢) ب : « فيها عليها » س : « عليها فى السنة التى قبلها » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوةُ عبد الله بنِ عبد الملك بن مَرْوانَ الرّوم ، ففتَح فيها المَصِّيصَة ، كذلك ذَكَر الواقديّ .

***

[خبر قتل الحجّاج أيوب بنَ القِرِّية]

وفيها قتَل الحجّاجُ أيوبَ بن القِرِّيّة ، وكان ممن كان مع ابن الأشعث ، وكان سبب قتله إياه -فيما ذُكر- أنه كان يدخل على حَوْشب بن يزيد بعد انصرافه من دَيْر الجَماجم- وحَوْشب على الكوفة عامل للحجاج[1] -فيقول حَوْشب : انظروا إلى هذا الواقف معي ، وغداً أو بعدَ غد يأتى[2] كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذَه ، فبينا هو ذاتَ يوم واقف إذ أتاه كتابٌ من الحجّاج :

أما بعد، فإنك قد صرت كَهْفاً لمُنافِقِى أهلِ العراق ومَأْوًى، فإذا نظرتَ في كتابي هذا فابعثْ إليَّ بابن القِرِّيّة مشدودة يدُه إلى عنقه ، مع ثقةٍ مِن قِبَلك . ١١٢٨/٢

فلما قرأ حوشب الكتابَ رَمى به إليه ، فقرأه فقال : سمعاً وطاعة ؛ فبعث به إلى الحجاج مُوثَقاً ، فلما دخل الحجّاج قال له : يابن القِرِّيّة ، ما أعددتَ لهذا الموقف ؟ قال : أصلح الله الأمير ! ثلاثةَ حروف كأنهنّ رَكْبٌ وُقوف، دنيا ، وآخرةٌ ، ومعروف. قال : اخرج مما قلتَ ، قال : أفعلُ ، أما الدنيا فمالٌ حاضر، يأكلُ منه البرّ والفاجر ، وأما الآخرة فميزان عادل، ومَشهد ليس فيه باطل، وأما المعروف فإن كان عليّ اعترفتُ، وإن كان لي اغترفتُ . قال: إمّا لا فاعترف بالسيف إذا وَقَع بك . قال : أصلح الله الأمير! أقِلْنى عَثْرتى ، وأسغنى[3] رِيقى؛ فإنه ليس جوادٌ إلا له

---

(١) ب.: «الحجاج» . (٢) ب : «يأتينى».
(٣) ط : «واسقنى»

كَبْوة، ولا شجاعٌ إلا له هَبْوة [١]. قال الحجّاج: كلا والله لأُرِينّكَ [٢] جهنّم، قال: فأرحْنى فإنّى أجد حرّها، قال: قدّمْه يا حرَسىّ فاضربْ عنقَه. فلما نظر إليه الحجّاج يتشحّط فى دمِه قال: لو كنّا تركْنا ابنَ القِرِيّة حتى نَسمعَ من كلامه! ثمّ أمر به فأخرِج فرُمِىَ به.

٢/١١٢٩ قال هشام: قال عَوانة: حين منَع الحجاجُ من الكلام ابنَ القِرِيّة، قال له ابنُ القِرِيّة: أما والله لو كنتُ أنا وأنت على السوّاء لسكتنا جميعًا، أو لألفَيْتَ مَنيعًا.

* * *

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس]

وفى هذه السنة فتَحَ يزيدُ بنُ المهلّب قلعَة نيزك ببَاذَغيس.

* ذكر سبب فتحه إيّاها:

ذَكَر علىّ بنُ محمد، عن المفضّل بن محمد، قال: كان نِيزَك يَنزل بقَلْعة باذغيس، فتحيّن يزيدُ غزوَه، ووَضَع عليه العيون، فبلغه خروجُه، فخالفه يزيدُ إليها، وبلغ نيزك فرجع، فصالَحه على أن يدفع إليه ما فى القلعة من الخزائن، ويَرتحِل عنها بعِياله، فقال كَعْبُ بنُ معْدانَ الأشقَرىّ:

وباذَغيسُ التى مَن حل ذُرْوَتَها ... عزَّ الملوكَ فإن شَا جَار أَوْ ظَلَما
مَنيعةٌ لم يَكِدْها قبله ملكٌ ... إلا إذا وَاجَهَتْ جيشاً له وجَما
تخَالُ نيرانها من بُعد مِنظرها ... بعضَ النّجوم إذا ماليلُهـا عَتَما
لمّا أَطافَ بها ضاقتْ صدورهُمُ ... حتى أقرّوا له بالحُكم فاحتكما
فذلّ ساكِنَها من بَعدِ عِزَّتهِ ... يُعطى الجِزَى عارفاً بالذل مُهتضَما
٢/١١٣٠ وبعد ذلك أياماً نعـدّدها ... وقبلها ما كَشَفْتَ الكرب والظلما
أعطاك ذاك ولىُّ الرزق يَقسِمُهُ ... بين الخلائق والمحرومُ من حُرما

(١) البيان والتبيين ١: ١١٢، ٣٥٠.
(٢) ابن الأثير: «لأزيرنك».

يداك إحداهما تُسقى العدو بها سَمًّا وأُخرى نداها لم يزَلْ دِيَمَا
فهل كَسَيْبِ يزيدَ أَوْ كنائِلِهِ إلا الفراتُ وإلا النِّيلُ حين طَما
ليسا بأَجوَد منه حينَ مَدِّهِما إذ يعلوَانِ حداب الأَرض والأَكَما

وقال :

ثَنائى على حيٍّ العتيك بأَنَّها كِرامٌ مقاريها، كِرامٌ نصابُها
إذا عقـدوا للجارِ حَلَّ بِنجْوةٍ عزيز مَراقيهـا، منيع هضَابُها
نَفَى نيزَكاً عن باذَغيس ونيزكٌ بمنزلة أعيا الملوكَ اغتِصابُها
مُحَلِّقَة دونَ السماءِ كأَنهـا غمَامةُ صَيف زلّ عنها سحابُها
ولا يبلُغ الأَرْوى شماريخَها العلا ولا الطيرُ إلّا نسرُها وعُقابها ١١٣١/٢
وما خُوفَتْ بالذئب وِلْدانُ أهلها ولا نَبَحَتْ إلا النجومَ كِلَابُها
تمنّيتُ أن ألقَى العتيكَ ذوى النُّهَى مُسلَّطة تُحمى بملكٍ ركابُها
كما يتمنى صاحبُ الحرثِ أعطشَت مَزارِعُهُ غيثاً غَزيرًا رَبابُها
فَأُسْقىَ بعد اليأس حتى تحيَّرَتْ جَدَاولها رِيًّا وَعبّ عبابُها
لقد جمع الله النوى وتَشعَّبَتْ شعُوبٌ مِنَ الآفاقِ شَتى مآبها

قال : وكان نيزك يُعظِّم القلعة إذا رآها سَجَد لها . وكَتَبَ يزيدُ بن المهلب إلى الحجاج بالفَتْح ، وكانت كُتُب يزيد إلى الحجاج يكتبها يحيى بن يَعمر العَدْوانيّ ، وكان حليفًا لهُذيل ، فكتب : إنا لَقِينا العدوَّ فمنحنَا الله أكتافَهم ، فقتلْنا طائفةً ، وأسرْنا طائفة . ولحقتْ طائفة برءوس الجبال وعَراعِرِ الأودية، وأهضامِ الغِيطان وأثناءِ الأنهار[1]؛ فقال الحجّاج: من يكتب ليزيدَ ؟ فقيل : يحيى بن يَعمر ، فكَتَبَ إلى يزيدَ فحملَه على البريد ، فقَدِم عليه أفصَح الناس ، فقال له : أينَ وُلِدتَ ؟ قال : بالأهواز ؛ ١١٣٢/٢
قال: فهذه الفَصاحة؟ قال: حفظتَ كلامَ أبِي وكان فصيحًا[2]. قال: من

(١) المرعرة قلة الجبل ، وجمعها عراعر ، والأهضام : أحضان الأودية وأسافلها .
(٢) الفائق ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هناك فأخبرني هل يَلحَن عنبسة بن سعيد؟ قال : نَعَم كثيراً ، قال: ففُلان ؟ قال : نعم ، قال : فأخبرني عنّي أألحَن ؟ قال : نعم تلحَن لحْنا خفيًّا ؛ تزيد حرفًا وتَنقص حرفًا ، وتجعَل أنْ في موضع إنْ ، وإنْ في موضع أنْ . قال : قد أجّلتك ثلاثًا ، فإن أجدْك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتُك . فرَجَع إلى خُراسان .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميّ ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذَكَره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكانت عمّال الأمصار في هذه السنة عمّالها الذين سمّيتُ قبلُ في سنة ثلاث وثمانين .

ثمّ دخلت سنة خمس وثمانين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث]

ففيها كان هلاكُ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث .

* ذكر السبب الذى به هلك ، وكيف كان :

ذَكَر هشام بنُ محمد ، عن أبي مِخنَف ، قال : لما انصرفَ ابنُ الأشعث من هَرَاةَ راجعاً إلى رُتْبيل [1] كان معه رجلٌ من أوْد يقال له علْقمة بن عمرو ، فقال له : ما أريد أن أدخُل معك ؛ فقال له عبد الرحمن : لمَ ؟ قال : لأنى [2] أتخوّف عليك وعلى من معك ، والله لكأنى بكتاب الحجاج قد جاء ، فوقع إلى رُتْبيل يُرغّبه ويُرهّبه ، فإذا هو قد بعث بك سَلْماً أو قتَلكم . ولكن ها هنا خمسمائة قد تبايعْنا على أن ندخل مدينة فنتحصّن [3] فيها ، ونقاتلَ حتى نُعطَى أماناً أو نموتَ كراماً . فقال [4] له عبد الرّحمن : أما لو دخلتَ معى لآسيتُك [5] وأكرَمتك ، فأبى عليه علقمةُ ، ودخل عبد الرّحمن بنُ محمد إلى رُتْبيل . وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودوداً النّضْرىّ ، وأقاموا حتى قدم عليهم عُمارة بن تميم اللّخمىّ فحاصرَهم ، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم ، فخرجوا إليه فوَفى لهم .

١١٢٣/٢

قال : وتتابعتْ كُتُب الحجاج إلى رُتْبيل فى عبد الرحمن بن محمد أن ابعث به إلىّ ، وإلا فوالذى لا إله إلا هو لأوطِئنّ أرضَك ألفَ ألف مُقاتِل . وكان عند رُتْبيل رجلٌ من بنى تميم ثمّ من بنى يَربوع يقال له عُبيد بن أبى سُبَيع ، فقال لرُتْبيل : أنا آخذُ لك من الحجّاج عهداً ليكفّنّ الخراجَ

---

(١) بعدها فى ب : « ملك الترك » . (٢) س : « إنى » .
(٣) ب : « نتحصن » . (٤) ب : « قال » .
(٥) ب : « لآمنتك » .

عن أرضك سبعَ سنينَ على أن تَدفعَ إليه عبدَ الرحمن بن محمّد . قال رُتبيل لعبيد : فإن فعلتَ فإنّ لك عندى ما سألتَ .

فكتَب إلى الحجّاج يُخبِره أنّ رُتبيلَ لا يعصيه، وأنه لن يَدَع رُتْبيل حتى يَبعث إليه بعبد الرحمن بن محمد ، فأعطاه الحجّاج على ذلك مالاً وأخذ من رُتْبيل عليه مالاً ، وبعث رُتْبيل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجّاج ، وترك له الصلح الذى كان يأخذه منه سبعَ سنين . وكان[1] الحجّاج يقول : بعث إلىّ رُتْبيل بعدوّ الله . فألقَى نفسه من فوق إجّار فمات .[2]

٢/١١٣٤

قال أبو مخنَف : وحدّثنى سليمان بنُ أبى راشد . أنه سمع مُليكةَ ابنة يَزيدَ تقول : والله لَماتَ عبدُ الرحمن وإنّ رأسَه لعلى فَخِذى ، كان السلّ قد أصابه . فلما مات وأرادوا دفنَه بعث إليه رُتْبيل فَحزّ رأسَه ، فبعث به إلى الحجاج ، وأخذ ثمانية عشرَ رجلا من آل الأشْعث فحبَسهم عندَه ، وترك جميعَ من كان معه من أصحابه . وكتب إلى الحجّاج بأخذه الثمانية عشر رجلا من أهل بيت عبد الرّحمن، فكتب إليه : أن اضرِب رقابَهم ، وابعث إلىّ برءوسهم ، وكره أن يُؤتَى بهم إليه أحياءً فيُطلبَ فيهم إلى عبد الملك ، فيَترك منهم أحداً .

وقد قيل فى أمر بن أبى سُبيع وابن الأشعث غير ما ذكرتُ عن أبى مخنَف ، وذلك ما ذكرعن أبى عُبيدة مَعمَر بن المثنّى أنه كان يقول : زعم أن عُمارة بن تميم خرج من كرْمان فأتَى سجستانَ وعليها رجلٌ من بنى العنبر يُدعَى مودوداً ، فحصرَه ثمّ آمنه ، ثم استولى على سجِسْتانَ ، وأرسل إلى رُتْبيل . وكتَب إليه الحجّاج : أما بعد ، فإنى قد بعثتُ إليك عُمارةَ بن تميم فى ثلاثين ألفًا من أهل الشأم لم يخالِفوا طاعة ، ولم يَخلَعوا خليفة، ولم يتّبعوا إمامَ ضلالة ، يُجرى على كل رجل منهم فى كلّ شهر مائة دِرْهم ، يستطعِمون الحربَ استطعامًا، يَطلُبون ابن الأشعث . فأبى رتبيل أن يسلمه . وكان مع ابن الأشعث عُبيد بن أبى سُبيع التميمىّ قد خصّ به ،

٢/١١٣٥

---

(١) ب : « فكان » .

(٢) كذا فى ط ، وانظر الصفحة التالية . والإجار : سطح المنزل .

وكان رسولُه إلى رُتْبيل ، فخصّ برتبيل أيضًا ، وخفّ عليه . فقال القاسم ابن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : إنى لا آمن غدرَ التميمىّ ، فاقتلْه ، فهمّ به ، وبلغ ابن أبى سُبيع ، فخافَه فوشَى به إلى رُتْبيل ، وخوّفه الحجّاج ، ودعاه إلى الغَدْر بابن الأشعث فأجابه ، فخرج سرًّا إلى عُمارة بن تميم ، فاستعجل فى ابن الأشعث ، فجعل له ألفَ ألف ، فأقام عندَه ، وكتَب بذلك عُمارة إلى الحجّاج ، فكتب إليه أن أعطِ عبيداً ورُتْبيلَ ما سألاك واشترط[1] ، فاشترط رُتبيلُ ألاّ تغزى بلادُه عشر سنين ، وأن يؤدّىَ بعد العشر سنينَ فى كلّ سنة تسعمائة ألف ، فأعطى رُتْبيل وعبيدًا[2] ما سألا ، وأرسَل رتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعدّ لهم الجوامع والقيود ، فألقى فى عنقه جامعةً ، وفى عنق القاسم جامعة ، وأرسل بهم جميعًا إلى أدنى مَسالح عمارة منه ، وقال لجماعة من كان مع ابنِ الأشعث من الناس : تفرّقوا إلى حيث شئتم ، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقَى نفسَه من فوق قَصْر فمات ، فاحتزّ رأسه ، فأتى به وبالأسرى عمارة ، فضرب أعناقَهم ، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرءوس أهلِه وبامرأته إلى الحجّاج ، فقال فى ذلك بعضُ الشعراء :

هيهات موضعُ جُثّةٍ من رأسِها رأسٌ بمصرَ وجثّة بالرُّخّجِ[3] ١١٣٦/٢

وكان الحجاج أرسل به إلى عبدِ الملك ، فأرسل[4] به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مِصر .

وذكر عمر بن شبّة أن ابن عائشةَ حدّثه قال : أخبرَنى سعد بنُ عُبيد الله قال : لما أتِى عبدُ الملك برأسِ ابن الأشعث أرسَل به مع خصىّ إلى امرأة منهم كانت تحتَ رجل من قريش ، فلما وُضع بين يديْها قالت : مرحبًا بزائر لا يتكلّم ؛ مَلِكٌ من الملوك طلَب ما هو أهلُه فأبت المقادير . فذهب الخَصِىّ يأخذ الرأس فاجتذبتْه من يدِه ، قالت : لا واللهِ حتى أبلغ

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « فاشترط » . (٢) ر : « وعبيد الله » .
(٣) ر : « بالرخح » ، س : « بالرجح » . (٤) ب : « وأرسل » .

حاجتى ، ثمّ دعت بخَطمىّ فغسلَتْه وغلَّفتْه ثمّ قالت : شأنَك به الآن . فأخذه ، ثم أخبر عبد الملك ، فلمَّا دخل عليه زوجُها ، قال : إن استطعتَ أن تصيبَ منها سَخْلة .

وذكر أنّ ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هاربٌ إلى بلاد رتْبيلَ فتمثّل :

يطرُده الخَوف فهُو تائهٌ[1] كذاكَ مَنْ يكرَهُ حَرَّ الجِلادِ
منُخَرِقُ الخُفَّين يشكو الوَجَا تنكبُهُ أطراف مَرْوٍ حِـــدادِ
قد كان فى الموت له راحــةٌ والموتُ حَتْمٌ فى رقابِ العبادِ

فالتفت إليه فقال : يالحية ، هلاّ ثبتَّ فى موطن من المواطن فنَموت بين يديك ، فكان خيراً لك مما صرتَ إليه !

١١٣٧/٢ قال هشام : قال أبو مِخنَف : خرج الحجّاج فى أيامه تلك يسير ومعه حُمَيد الأرْقَط وهو يقول :

ما زالَ يَبنى خَنْدقاً ويَهدِمُهْ[2] عن عسكرٍ يقودُه فيُسلِمُهْ
حتَّى يصيرَ فى يدْيكَ مَقسِمهْ هيهاتَ من مصفِّه منُهزَمُــهْ
* إنَّ أخَا الكِظاظِ من لا يسأَمُهْ *

فقال الحجّاج : هذا أصدَقُ من قولِ الفاسق أعشَى هَمْدان :

نُبِّئت أنّ بُنَىّ يو سف خرَّ من زَلَقٍ فتبَّا

قد تبيّن له من زَلَقَ وتبَّ وَدحَض فانكبّ ، وخاف وخابَ ، وشكّ وارتاب ؛ ورفع صوته فما بقى أحدٌ إلا فَزِع لغضبه ، وسكت الأرَيقط ، فقال له الحجّاج : عدْ فيما كنت فيه ، ما لَكَ يا أرْقط ! قال : إنى جُعلت فداكَ أيّها الأمير وسلطان الله عزيز ، ما هو إلا أن رأيتُك غضبتَ فأرعدَتْ خصائلى ، واحزألَّتْ مَفاصلى ، وأظلم بَصَرى ، ودارت بى الأرض . قال له

---

(١) ب : « طرده الخوف » . (٢) ر : « وتهدمه » .

الحجاج : أجلْ ، إنّ سلطان الله عزيز ، عدْ فيما كنتَ فيه ، ففعَل .

وقال الحجاج وهو ذاتَ يوم يسيرُ ومعه زياد بنُ جرَير بن عبد الله البَجَلىّ وهو أعوَر ، فقال الحجّاج للأريقط : كيف قلتَ لابن سَمُرة؟ قال : قلت :

يا أعورَ العَيْن فَدَيْتُ العُورَا[1] كنتَ حَسِبْتَ الخَنْدَقَ المحْفورا
يرُدُّ عنْك القدَرَ المقــدورا ودائرات السَّوْء أن تَدورا

وقد قيل : إنّ مَهلك عبد الرّحمن بن محمّد كان فى سنة أربع وثمانين . ١١٣٨/٢

* * *

[عزل يزيد بن المهلّب عن خراسان]

وفى هذه السنة عَزَل الحجّاج بن يوسف يزيدَ بن المهلّب عن خرُاسان وولّاها المفضّل بن المهلّب أخا يزيد .

* ذكر السبب الذى من أجله عزله الحجاج عن خرُاسان واستعمَل المفضّل :

ذَكَر علىّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد ، أن الحجاج وَفَد إلى عبد الملك ، فمرّ فى مُنصرَفه بدير فنزَلَه ، فقيل له : إنّ فى هذا الدّيْر شيخًا من أهل الكُتُب عالمًا ، فدعا به فقال : يا شيخ ، هل تجدون فى كُتُبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم ، نجد ما مضى من أمْركم وما أنتم فيه وما هو كائن ؛ قال : أفسمًّى أم موصوفًا ؟ قال : كلّ ذلك ؛ موصوف بغير اسم ، واسم بغير صفة ، قال : فما تجدون صفةَ أمير المؤمنين ؟ قال : نجده فى زماننا الذى نحن فيه ؛ ملك أقرَع ، مَن يقم لسبيله يُصرَع ، قال : ثمّ من ؟ قال : اسم رجل يقال له الوَليد ، قال : ثمّ ماذا ؟ قال : رجل اسمه اسمُ نبىّ يفتَح به على الناس ، قال : أفتعرفنى ؟ قال : قد أخْبِرت بك . قال : أفتعلم ما ألِى ؟ قال : نعم ، قال : فمن يَليه بَعدى ؟ قال : رجلٌ يقال له يزيد ، قال : فى حياتى أم بعد موتى ؟ قال : لا أدرى ، قال : أفتعرف صفتَه ؟ قال : يغدر غَدرةً ؛ لا أعرف غير هذا . ١١٣٩/٢

---

(١) ب : « قديت » .

قال : فوقَع فى نفسه يزيدُ بنُ المهلّب ، وارتحل فسار سَبْعًا وهو وَجِل من قول الشيخ ؛ وقَدِم فكتَب إلى عبد الملك يَستعفيه من العراق ، فكتب إليه: يا بنَ أمّ الحجاج ، قد علمتُ الذى تغزو ، وأنك تريد أن تَعلَم رأيى فيك ، ولعَمرى إنى لأرَى مكانَ نافع بنِ علْقمة ، فالْهُ عن هذا حتى يأتىَ الله بما هوَ آت ؛ فقال الفرزدق يَذكُر مسيرَه :

لو أنَّ طيْرًا كُلِّفتْ مثلَ سَيْره إلى واسطٍ من إيلياءَ لمَلَّتِ[1]

سَرى بالمَهارِى منْ فِلَسطينَ بعدما دنا الليلُ من شمس النهار فوَلَّتِ[2]

فما عاد ذاك اليومُ حتى أناخها بمَيْسان قدْ ملَّتْ سُراها وكلَّتِ[3]

كأنَّ قُطاميًّا على الرَّحْل طاوياً إذا غمْرةُ الظَّلماء عنْه تجلَّتِ[4]

قال فبينا[5] الحجّاج يومًا خال[6] إذ دعا عبيدَ[7] بنَ مَوْهب ، فدخل وهو يَنكُتُ فى الأرض ، فرفع رأسَه فقال : ويحَك يا عُبيد ! إن أهل الكتب يَذكُرون أنّ ماتحت يدى يليه رجلٌ يقال له يزيد، وقد تذكرت يزيدَ بنَ أبى كبشة ، ويزيدَ بنَ حُصَين بن نُمَير ، ويزيد بن دينار ، فليسوا هناك ، وما هوَ إن كان إلا يزيد بن المهلب ؛ فقال عبيد : لقد شرّفتَهم وأعظمت[8] ولايتَهم ، وإنّ لهم لعَدَداً وجَلَداً ، وطاعة وحظًّا ، فأخلق به . فأجمع على عزل يزيد فلم يَجِد له شيئًا حتى قدم الخيار بن أبى سَبْرة بن ذُؤيب بن عرْفجة بن محمد بن سُفيان بن مُجاشع — وكان من فُرسان المهلب — وكان مع يزيد — فقال له الحجاج : أخبرْنى عن يزيدَ ، قال : حَسَن الطاعة ، ليّن السيرة ، قال : كذبت ، أصدِقنى عنه ، قال : اللهُ أجلّ وأعظم ، قد أسرج ولم يُلجم ، قال : صدقتَ ، واستعمل الخيارَ على عُمان بعد ذلك .

٢/١١٤٠

(١) ديوانه ١٣٧ .
(٢) الديوان : « دنا النَّوء » .
(٣) الديوان : « قد حلت عراها وملت » .
(٤) بعده فى الديوان :

وقَدْ علم الأقوامُ أن ابن يوسُفٍ قطوبٌ إذا ما المشرفيةُ سُلَّتِ

(٥) ب : « فبينما » .
(٦) ب : « خاليا » .
(٧) ب : « بعبيد » .
(٨) ب : « وعظمت » .

قال : ثمّ كَتَب إلى عبد الملك يذمّ يزيدَ وآلَ المهلّب بالزبيريّة، فكتب إليه عبدُ الملك: إنى لا أرى نَقْصا بآل المهلب طاعتهم لآل الزّبير ، بل أراه وفاء منهم لهم ، وإنّ وَفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لى . فكَتَب إليه الحجّاج يخوّفه غدرَهم لما أخبره به الشيخ. فكتب إليه عبدُ الملك: قد أكثرتَ فى يزيدَ وآل المهلب، فسمّ لى رجلاً يَصلُح لخُراسان؛ فسَمّى له مُجّاعة بن سعر السعدىّ ، فكتب إليه عبدُ الملك : إنّ رأيك الذى دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك إلى مُجّاعة بن سعر ، فانظر لى رجلا صارماً ، ماضياً لأمرك، فسَمّى قتيبة بن مسلم، فكتب إليه: ولّه . وبلغ يزيد أنّ الحجاج عَزَلَه ، فقال لأهل بيته : مَن ترَوْن الحجاج يولى خُراسانَ ؟ قالوا : رجلا من ثَقيف ، قال : كلاّ ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعَهْده ، فإذا قدمتُ عليه عزلَه وولى رجلاً من قيس ، وأخلِق بقتيبة ! قال : فلما أذن عبد الملك للحجّاج فى عَزْل يزيدَ كره أن يكتب إليه بعزله، فكتب إليه أن استخلف المفضّل وأقبِل . فاستشار يزيدُ حُضَينَ بنَ المنذر ، فقال له : أقم واعتلّ ، فإنّ أميرَ المؤمنين حَسَن الرأى فيك ، وإنما أُتيتَ من الحجاج ، فإنْ أقمتَ ولم تَعجل رجوتُ أن يكتب إليه أن يقرّ يزيد ، قال : إنّا أهلُ بيت بُورِك لنا فى الطاعة ، وأنا أكره المعصية وَالخلاف ؛ فأخذ فى الجهَاز ، وأبطأ ذلك على الحجّاج ، فكتب إلى المفضّل : إنى قد ولّيتُك خُراسانَ ، فجعل المفضّل يستحِثّ يزيدَ ، فقال له يزيد : إنّ الحجّاج لا يُقرّك بعدى ، وإنما دعاه إلى ما صَنَع مخافَةُ أن أمتَنِعَ عليه ، قال : بل حسدتَنى ، قال يزيد : يا بن بَهلة ، أنا أحسدُك ! ستعلم . وخرج يزيدُ فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين.

٢/١١٤١

فعزل الحجاجُ المفضّل ، فقال الشاعر للمفضّل وعبد الملك وهو أخوه لأمّه :

٢/١١٤٢

يا بْنَىْ بَهَلَةَ إنَّما أَخْزَاكما ... رَبّى غَدَاةَ غَدَا الهُمَامُ الأَزْهَرُ

أَحَفَرْتُمُ لأَخيكُم فوَقَعْتمُ ... فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَخُوها المُعْوِرُ

جُودُوا بتَوْبةِ مُخْلِصينَ فإنَّما ... يَأْبَى ويَأْنَف أَن يَتُوبَ الأَخسَرُ

وقال حُضَين ليزيد :

أَمَرْتك أَمْرًا حازماً فَعَصَيْتَنى فأَصْبحْتَ مَسْلوب الإمارَةِ نادِما
فما أَنَا بالبَاكى عَليكَ صَبَابَةً وما أنا بالدَّاعى لتَرْجعَ سَالِمَا

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين : كيف قلت ليزيد ؟ قال : قلت :

أَمَرْتكَ أَمْرًا حازماً فعصيتنى فَنَفْسَكَ أَوْلِ اللوْمَ إنْ كُنْتَ لائما
فإن يَبلغ الحجَّاجَ أَنْ قَدْ عَصَيْتَهُ فإنَّك تَلْقى أَمْرَهُ متَفَاقما

قال : فماذا أمرتَه به فعصاك ؟ قال : أمرتُه ألّا يَدَع صفراءَ ولا بيضاءَ إلا حَمَلَها إلى الأمير ، فقال رجل لعياض بن حضين : أما أبوك فوجَده قتيبةُ حين فرّه قارِحًا بقوله : « أمرته ألّا يدعَ صَفْراء ولا بيضاءَ إلا حملها إلى الأمير » .

قال علىّ : وحدّثنا كُلَيب بن خَلَف ، قال : كتب الحجّاج إلى يزيدَ أن اغزُ خُوارزم ، فكتَب إليه : أيها الأمير ، إنها قليلة السَّلَب ، شديدةُ الكَلَب . فكتَب إليه الحجّاج : استخلِف واقدم ، فكتَب إليه : إنى أرِيد أن أغزوَ خُوارزم . فكتَب إليه : لا تَغزُها فإنها كما وصَفت ؛ فغزا ولم يُطِعه ، فصالَحه أهلُ خُوارزم ، وأصاب سَبْيًا ممّا صالحوه ، وقَفَل فى الشتاء ، فاشتدّ عليهم البردُ ، فأخذ الناس ثيابَ الأسرَى فلبِسوها ، فمات ذلك السبىُ من البَرْد . قال : ونزل يزيدُ بلستانة ، وأصاب أهلَ مَرْو الرُّوذ طاعونٌ ذلك العام ، فكتب إليه الحجاج : أن اقدم ، فقَدِم ، فلم يمرّ ببلد إلا فرَشوا له الرَّياحين . وكان يزيدُ ولى سنة اثنتين وثمانين ، وعزل سنة خمس وثمانين ، وخرج من خُراسان فى ربيع الآخِر سنة خمس وثمانين ، وولى قتيبة . ١١٤٣/٢

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكرعن أبِى مخنَف فى عزل الحجّاج يزيدَ عن خُراسان سببًا غير الذى ذكره علىّ بنُ محمد ، والذى ذُكر من ذلك عن أبِى مخنَف أن أبا المُخارق الراسبىّ وغيره حدّثوه أن الحجّاج لم يكن له حين فرَغ من عبد الرّحمن بن محمد همٌّ إلا يزيدَ بنَ المهلّب وأهل بيته — وقد

كان الحجاج أذلّ أهلَ العراق كلّهم إلا يزيد وأهل بيته ومَن معهم من أهل المِصْرَين بخُراسان ، ولم يكن يتخوّف بعدَ عبدِ الرحمن بن محمد بالعراق غيرَ يزيد بن المهلب — فأخذ الحجاجُ فى مواربة يزيد ليستخرجَه من خُراسان ، فكان يبعث إليه ليأتيه ، فيعتلّ عليه بالعدوّ وحَرْب خُراسان ، فمكث بذلك[1] حتى كان آخرَ سلطان عبدِ الملك . ثمّ إنّ الحجّاج كتب إلى عبدالملك يشير عليه بعَزْل يزيدَ بن المهلب، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزّبير ، وأنه لا وفاءَ لهم ؛ فكتب إليه عبدُ الملك : إنّى لا أرى تقصيراً بوَلَد المهلب ٢/١١٤٤ طاعتَهم لآل الزبير ووفاءهم لهم ، فإنّ طاعتهم ووفاءَهم لهم، هو دعاهم إلى طاعتى والوفاء لى .

ثمّ ذكر بقيّة الخبر نحوَ الذى ذكَره علىّ بن محمّد .

* * *

[غزو المفضّل باذغيس وأخْرون]

وفى هذه السنة غزا المفضّل باذَغيس ففتَحها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذَكَر علىّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد ، قال : عزل الحجّاج يزيد ، وكَتَب إلى المفضّل بولايته على خُراسان سنة خمس وثمانين ، فوليَها تسعةَ أشهر ، فغزا باذغيسَ ففتَحها وأصاب مغنماً ، فقسَمه بين الناس ، فأصاب كلّ رجل منهم ثمانمائة درهم ، ثمّ غزا أخْرون وشُومان ، فظَفِر وغَنِم ، وقَسَمَ ما أصاب بين الناس ، ولم يكن للمفضّل بيت مال ، كان يُعطِى الناسَ كلّما جاءه شىء ، وإن غنم شيئاً قسَمَه بينهم ، فقال كعبٌ الأشقرىّ يمدح المفضّل :

ترى ذا الغِنَى والفَقر من كلّ مَعشَرٍ[2] عصَائِبَ شتّى ينْتَوُونَ المفضَّلا
فمن زائرٍ يرجُو فَواضِلَ سَيْبِهِ وآخَرَ يَقضِى حاجَةُ قد ترحَّلَا[3]

(١) ب : « كذلك » .
(٢) ب : « نرى ذا الغنى » .
(٣) ب : « ترجلا » .

إذا ما انتوَينا غيْر أرضكَ لم نَجِد بهـا منتوًى خيْرًا ولا مُتعَلَّلَا
إذا ما عَدَدنا الأكرَمين ذَوِى النُّهى وقد قدَّموا من صالحٍ كنت أوَّلَا
١١٤٥/٢ لعَمْرى لقد صال المفضَّلُ صَوْلَةً أباحَتْ بشُومانَ المناهل والكلا
ويوم ابن عبَّاس تناولتَ مثلها فكانت لنا بين الفَريقين فَيْصَلَا
صَفَتْ لك أخلاقُ المُهَلَّبِ كُلُّها وسُرْبِلْتَ من مَسْعاته ما تَسَرْبلَا
أبُوك الذى لم يسْع ساعٍ كسعيِه فأوْرثَ مَجْدًا لم يكن مُتَنحَّلا[1]

* * *

[خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالتِّرمذ]

وفى هذه السنة قُتِل موسى بنُ عبد الله بن خازم السُّلَمىّ بالتِّرمِذ.

* ذكر سَبَبِ قتله ومصيره إلى التِّرمذ حتى قُتِل بها:

ذُكر أن سبب مصيره إلى التِّرمذ كان أنّ أباه عبد الله بن خازم لما قتَل مَنْ قتَل من بنى تميم بفرتَنا — وقد مَضَى ذِكرى خبرَ قتله إيَّاهم — تفرّقَ عنه عُظْمُ من كان بقِىَ معه منهم، فخرج إلى نيسابورَ وخاف بنى تميم على ثقله بمَرْو، فقال لابنه موسى: حوّل ثقَلى عن مَرْو، واقطع نهرَ بَلْخَ حتى تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى[2] حصن تقيم[3] فيه. فشَخَص موسى من مرْو فى عشرين ومائتى فارس، فأتى آمُل وقد ضوى إليه قومٌ من الصَّعاليك، ١١٤٦/٢ فصار فى أربعمائة. وانضمّ إليه رجال من بنى سُلَيم، منهم زُرْعة بن علقمة، فأتى زمّ فقاتلوه، فظَفِر بهم وأصاب[4] مالا، وقطع النهر، فأتى بُخارَى فسأل صاحبها أن يلجأ إليه، فأبى وخافَه، وقال: رجل فاتك، وأصحابُه مثله أصحاب حَرْب وشرّ، فلا آمنه. وبعث إليه بصلة عين ودوابّ وكُسْوة، ونزل على عظيم من عظماء أهل بُخارَى فى نوقان، فقال له: إنه

(١) ب: «متنخلا». (٢) ب: «وإلى».
(٣) ابن الأثير: «تقوم».
(٤) ب: «فأصاب».

لا خيرَ فى المُقام فى هذه البلاد ، وقد هابَك القومُ وهم لا يأمَنونك . فأقام عند دهْقان نوقانَ أشهراً ، ثمّ خرج يلتمس ملِكا يلجأ إليه أو حِصْنًا ، فلم يأت بلداً إلا كَرِهوا مُقامَه فيهم ، وسألوه أن يخرج عنهم .

قال علىّ بن محمد: فأتى سمرقَنْد فأقام بها، وأكرَمه طَرْخونُ ملِكُها، وأذِن له فى المُقام ، فأقام ما شاء الله ، ولأهل الصُّغْد مائدةٌ يوضَع عليها لحم وَدِك[1] وخُبْز وإبريق شراب، وذلك فى كلّ عام يوماً، يُجعل ذلك لفارس الصّغْد فلا يَقرَبه أحد غيرُه ، هو طعامه فى ذلك اليوم ، فإنْ أكل منه أحدٌ غيرُه بارَزَه فأيُّهما قَتَل صاحبَه فالمائدةُ له ، فقال رجلٌ من أصحاب موسى: ما هذه المائدة ؟ فأخبِر عنها ، فسكت ، فقال صاحب موسى : لآكلنّ ما على هذه المائدة ، ولأبارزنّ فارسَ الصُّغْد ، فإن قتلتُه كنتُ فارسَهم . فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة ، فجاء مُغضَبًا ، فقال : ياعربىّ ، بارِزْنى ، قال : نعم ، وهل أريدُ إلا المُبارزَة ! فبارَزَه فقتَله صاحب موسى ، فقال ملِك الصّغد: أنزلتُكم وأكرمتُكم فقتلتم فارسَ الصّغد ! لولا أنّى أعطيتُك وأصحابَك الأمان لقتلتُكم ، اخرُجوا عن بلدى ، ووَصَله . فخرج موسى فأتى كِسّ فكتَب صاحبُ كِس إلى طَرْخونَ يستنصِره ، فأتاه، فخرج إليه موسى فى سبعمائة فقاتَلهم حتى أمسَوْا، وتَحاجَزوا وبأصحاب موسى جِراحٌ كثيرة، فلما أصبحو أمرهم موسى فحلقوا رءوسَهم كما يَصنَع[2] الخوارج ، وقطعوا صفِنات أخبيتِهم كما يصنع العَجَم إذا استماتوا .

وقال موسى لِزُرْعة بن علقمة : انطلِق إلى طَرْخون فاحتلْ له . فأتاه ، فقال له طَرخون: لِمَ صَنَع أصحابُك ما صنَعوا ؟ قال : استقتلوا فما حاجتك إلى أن تَقتل أيّها الملك موسى وتُقتَل! فإنك لا تصل إليه حتى يقتَل مثل عدّتهم منكم ، ولو قتلتَه وإياهم جميعًا ما نلت حظًّا ، لأنّ له قَدْراً فى العَرَب ، فلا يلى أحدٌ خُراسانَ إلا طالَبَك بدمه ، فإن سلمتَ من واحد لم تَسلَم من آخَر ؛ قال : ليس إلى تَرْك كِسّ فى يدِه سبيل ؛ قال : فكُفَّ عنه حتى

(١) لحم ودك : فيه دسم .

(٢) ب : « تصنع » .

يرتحل ، فكفّ وأتى موسى الترْمذ وبها حصن يُشرف على النهر إلى جانب منه ، فنزل موسى على بعض دهاقين الترمذ خارجاً من الحصْن والدّهقان مُجانب لترْمذشاه ، فقال لموسى : إنّ صاحبَ الترمذ متكرّم شديدُ الحياء ، فإن ألطفتَه[1] وأهديْت إليه أدخلكَ حصنَه ، فإنه ضعيف ، قال : كلّا ، ولكنّي أسألُه أن يُدخلني حصنَه ، فسأله فأبَى ، فما كرَهُ

١١٤٨/٢ موسى وأهدى له[2] وألطفَه ، حتّى لطف الذى بينهما ، وخرج فتصيّد معه ، وكثر إلطاف موسى له ، فصنَع صاحبُ الترمذ طعاماً وأرسل إليه : إنّى أحبّ أن أكرمَك ، فتغدّ عندى ، وائتنى فى مائة من أصحابك . فانتخَب موسى من أصحابه مائةً ، فدخلوا على خُيولهم ، فلما صارت فى المدينة تصاهلَتْ ، فتطيّر أهلُ الترْمذ وقالوا لهم : انزِلوا ، فنزَلوا ، فأدخلوا بيتاً ، خمسين فى خمسين ، وغدّوهم .

فلما فرَغوا من الغَداء اضطجع موسى ، فقالوا له : اخرُج ، قال : لا أصيب منزِلا مثلَ هذا ، فلستُ بخارج منه حتى يكون بيتى أو قبْرى . وقاتلُوهم فى المدينة ، فقُتِل من أهل الترمذ عدّة ، وهرب الآخَرون فدخلوا منازلهم ، وغلب موسى على المدينة ، وقال لترمذ شاه : اخرج ، فإنّى لستُ أعرِض لك ولا لأحد من أصحابك . فخرج المَلِك وأهلُ المدينة فأتَوا الترْك يستنصرونهم ، فقالوا : دخل إليكم مائةُ رجل فأخرَجوكم عن بلادكم ، وقد قاتلناهم بِكسّ ، فنحن لا نقاتل هؤلاء . فأقام ابن خازم بالترمذ ، ودخل إليه أصحابُه ، وكانوا سبعمائة ، فأقام ، فلمّا قُتِل أبوه انضمّ إليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس ، فقوى ، فكان يخرج فيُغير على مَن حولَه . قال : فأرسل الترك قوماً إلى أصحاب موسى ليَعلَموا علمَه ، فلما قَدِموا قال موسى لأصحابه : لابدّ من مكيدة لهؤلاء — قال : وذلك فى أشدّ الحرّ — فأمر بنار فأجّجتْ ، وأمَرَ أصحابَه فلبسوا ثيابَ الشتاء ، ولبسوا فوقها لُبوداً ، ومدّوا أيديَهم إلى

١١٤٩/٢ النار كأنهم يصطَلُون . وأذن موسى للترك فدخلوا ، ففزِعوا ممّا رأوا ، وقالوا :

---

(١) ب : « لاطفته » .

(٢) ب : « إليه » .

لِمَ صنعتم هذا ؟ قالوا : نجد البَرْد فى هذا الوقت ، ونجد الحرّ فى الشتاء ، فرجعوا وقالوا : جِنٌّ لا نُقاتِلهم . قال : وأراد صاحبُ التّرك أن يغزوَ موسى ، فوجّه إليه رُسُلا ، وبعث بسمّ ونُشّاب فى مسك ، وإنما أراد بالسمّ أنّ حربهَم شديدة ، والنشّاب الحرب ، والمسك السلم ، فاخترْ الحربَ أو السلم ، فأحرق السمّ ، وكسر النشاب ، ونثر المِسْك ، فقال القوم : لم يريدوا الصّلح ، وأخبر أنّ حربهم مثل النار ، وإنه يكْسرُنا ، فلم يغزُهم .

قال : فولى بُكيْرُ بن وشاح خُراسانَ فلم يَعرِض له ، ولم يوجّه إليه أحداً ، ثمّ قدم أميّة[1] فسار بنفسه يريدُه ، فخالَفه بكير ، وخلع ، فرجع إلى مرْو ، فلما صالح أمية بكيراً أقام عامَه ذلك ، فلما كان فى قابِل وجّه إلى موسى رجلاً من خُزاعةَ فى جَمع كثير ، فعاد أهلُ الترمذ إلى التّرك فاستنصَروهم فأبَوا ، فقالوا لهم : قد غزاهم قومٌ منهم وحصروهم ، فإنْ أعنّاهم عليهم ظفِرْنا بهم . فسارت التّرْك مع أهل التّرْمذ فى جمع كثير ، فأطاف بموسَى التّرك والخُزَاعىّ ، فكان يُقاتِل الخُزاعىّ أول النهار والتّركَ آخر النهار ، فقاتَلَهم شهرين أو ثلاثة ، فقال موسى لعمرو بن خالد بن حصين[2] الكلابىّ — وكان فارساً : قد طال أمرُنا وأمرُ هؤلاء ، وقد أجمعتُ أن أبيِّتَ عسكرَ الخُزاعىّ ، فإنهم للبيات آمنون ، فما ترى ؟ قال : البيَات نِعمّا هو ، وليكن ذلك بالعَجَم ، فإنّ العرب أشدّ حذَراً ، وأسرَع فزَعاً ، وأجرأ على الليل من العَجَم ، فبَيِّتْهم فإنّى أرجو أن ينصرَنا الله عليهم ، ثمّ ننفردَ لقتال الخُزاعىّ فنحن فى حصن وهم بالعَرَاء ، وليسوا بأوْلَى بالصبر ، ولا أعلم بالحرْب منّا . قال : فأجمَعَ موسى على بياتِ التّرك ، فلما ذهب من الليل ثُلثُه خرج فى أربعمائة ، وقال لعمرو بنِ خالد : اخرجوا بعدَنا وكونوا منّا قريباً ؛ فإذا سمعتم تكبيرَنا فكبّروا ، وأخذ على شاطئ النهر حتى ارتفع فوق العسكر ، ثمّ أخذ من ناحية كفتان ، فلمّا قرُبَ من عسكرهم جعل أصحابَه أرباعاً ، ثمّ قال : أطيفوا بعسكرِهم ؛ فإذا سمعتم تكبيرَنا فكبّروا ، وأقبَل

١١٥٠/٢

---

(١) هو أمية بن عبدالله بن خالد بن الوليد .

(٢) ب ، ر : « حصن » .

وقدَّم عَمْراً بين يديه ومشَوْا خلفَه ، فلما رأتْه أصحاب الأرصاد قالوا : من أنتم ؟ قالوا : عابرِى سبيل .

قال : فلما جازوا الرَّصَد تفرّقوا وأطافوا بالعسكر وكبّروا ، فلم يشعر الترك إلا بوَقْع السيوف ، فثاروا يقتل بعضهم بعضًا وولّوا ، وأصيب من المسلمين ستّة عشر رجلاً ، وحَوَوا عسكرَهم وأصابوا سلاحًا ومالاً ، وأصبح الخُزاعىّ وأصحابه قد كسرَهم ذلك[1] ، وخافوا مِثلها من البَيات ، فتحذّروا[2] .

٢/١١٥١ فقال لموسى عمرو بن خالد : إنك لا تَظفر[3] إلا بمكيدة[4] ولهم أمداد وهم يكثُرون ، فدَعْنى آتِهم لعلّى أصيب من صاحبهم فرصة ؛ إنى[5] إن خلوتُ به قتلتُه ، فتناولْنى بضربٍ ، قال : تتعجّل الضّرب وتتعرّض للقتل ! قال : أما التعرّض للقَتْل فأنا كلّ يوم متعرِّضٌ له ، وأما الضرب فما أيْسرَه فى جَنْب ما أريد . فتناوَلَه بضرب ؛ ضربه خمسين سَوْطًا ، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخُزاعىّ مستأمِنًا وقال : أنا رجل من أهل اليَمَن كنتُ مع عبد الله بنِ خازم ، فلما قُتِل أتيتُ ابنَه فلم أزل معه ، وكنتُ أوّل من أتاه ، فلما قدمت اتهمَنى ، وتعصّب علىّ ، وتنكّر لى وقال لى : قد تعصّبت لعدوّنا ، فأنت عينٌ له ، فضَرَبنى ، ولم آمَن القَتْل ، وقلت : ليس بعد الضرب إلا القتل ، فهربت منه ، فآمنه الخُزاعىّ وأقام معه .

قال : فدخل يومًا وهو خالٍ ولم يرَ عنده سلاحًا ، فقال كأنه يَنصَح له : أصلَحَك الله ! إنّ مِثلَك فى مِثلِ حالك لا ينبغى أن يكون فى حال من أحواله بغيرِ سلاح ، فقال : إنّ معى سلاحًا ، فرفَع صدر فراشه فإذا سَيفٌ منتضًى ، فتناوَله عَمرو فضرَبَه فقتله ، وخرج فركب فرسَه ، ونَذِروا به بعد ما أمعَن ، فطلبوه ففاتَهم ، فأتى موسى وتفرّق ذلك الجيش ، فقطع بعضُهم النهر ، وأتى بعضُهم موسى مستأمِنًا ، فآمنه ، فلم يوجِّه إليه أميّةُ أحدًا .

قال : وعُزِل أميّة ، وقَدِم المهلب أميراً ، فلم يَعرِض لابن خازم ،

---

(١) ب : « ذاك » . (٢) ب : « فتحرزوا » .
(٣) ب : « إنكم لا تظفرون » . (٤) ب : « لمكيدة » .
(٥) ب : « فإنى » .

وقال لبنيه : إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون وُلاةَ هذا الثغر ما أقام هذا الثطّ[١] بمكانه ، فإنْ قُتل كان أوّل طالع عليكم أميراً على خُراسان رجلٌ من قيس . فماتَ المهلب ولم يوجّه إليه أحداً ، ثم تولى[٢] يزيدُ بنُ المهلب فلم يَعرِض له . وكان المهلب ضرب حُرَيْثَ بن قُطْبة الخُزاعيّ ، فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى ، فلما ولى يزيد بن المهلب أخذ أموالَهما وحرَمَهما وقتَل أخاهما لأمهما ؛ الحارث بن مُنقِذ ، وقتَل صِهراً لهما كانت عندَه أمّ حفص ابنةُ ثابت ، فبلغَهما ما صنع يزيد . ١١٥٢/٢

قال : فخرج ثابت إلى طَرْخون فشكا إليه ما صنع به — وكان ثابت محبَّباً فى العَجَم ، بعيدَ الصّوت ، يعظمونه ويثقون به ، فكان الرّجل منهم إذا أعطَى عهداً يريدُ الوَفاء به حلفَ بحياة ثابت فلا يَغدِر — فغَضِب له طَرْخون وجمَع له نَيْزك والسُّبل وأهلَ بخارى والصَّغانيان ، فقَدِموا مع ثابت إلى موسى بن عبد الله، وقد سقَط إلى موسى فَلّ عبد الرحمن بن العباس مِن هَرَاة ، وفلّ ابن الأشعث من العِراق ومن ناحية كابُل ، وقومٌ من بنى تميم ممن كان يقاتل ابنَ خازم فى الفتنة من أهل خُراسان ، فاجتمع إلى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن ، فقال له ثابت وحرَيْث : سرْ تقطع النهر فتُخرِج يزيدَ بنَ المهلب عن خُراسان ؛ ونوليك ، فإنّ طَرْخون ونَيزك والسبل وأهلَ بُخارَى معك ، فهمّ أن يفعَل ، فقال له أصحابه : إنّ ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد، وإن[٣] أخرجت يزيدَ عن خُراسان وأمِنا تولَّيا الأمر وغلَبَاك على خُراسان ، فأقِمْ مكانَك . فقبل رأيَهم ، وأقام بالترْمذ . وقال لثابت : إنْ أخرجْنا يزيدَ قَدِم عاملٌ لعبدِ الملك ، ولكنا نخرِج عمّال يزيدَ من وراء النهر مما يلينا ، وتكون هذه الناحية لنا نأكلها . فرضِىَ ثابت بذلك ، وأخرج من كان من عمال يزيدَ من وراء النهر ، وحُملت إليهم الأموالُ ، وقوىَ أمرُهم وأمرُ موسى ، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل إلى بلادهم ، وتدْبير الأمر لحريْث وثابت ، والأميرُ موسى ليس له غيرُ الاسم ، ١١٥٣/٢

(١) الثط : الثقيل البطن ، أو الكوسج الذى عرى وجهه من الشعر .

(٢) ر : « ولى » ، س : « نزل » . (٣) ب : « فإن » .

فقال لموسى أصحابُه : لسنا نرى من الأمر فى يديك شيئًا أكثرَ من اسم الإمارة ، فأمّا التدبير فلِحُرَيث وثابت ، فاقتُلْهما وتولَّ الأمرَ. فأبى وقال : ما كنت لأغدر بهما وقد قوّيا أمرى ، فحسَدُوهما وألحّوا على موسى فى أمرهما حتى أفسَدوا قلبَه ، وخوّفوه غدرَهما ، وهمَّ بمتابعتهم على الوثُوب بثابت وحُرَيث . واضطرَب أمرُهم ؛ فإنهم لفى ذلك إذ خرجتْ عليهم الهَياطلة والتُّبَّت والتُّرك ، فأقبلوا فى سبعين ألفًا لا يعُدّون الحاسرَ ولا صاحبَ بَيْضة جمّاء ، ولا يعدون إلّا صاحبَ بَيْضة ذات قَوْنَس . قال : فخرج ابنُ خازم إلى رَبَض المدينة فى ثلثمائة راجل وثلاثين مجفّفًا ، وأُلقِىَ له كرسىٌّ فقعد عليه . قال : فأمر طَرْخون أن يثلم[1] حائطَ الرّبض ، فقال موسى : دَعُوهم ، فهدموا ودخل أوائلهم ، فقال : دعُوهم يكثُرون ، وجعل يقلّب طَبَرْزِينًا بيده ، فلما كثُروا قال : الآن امنعوهم ، فركب وحمل[2] عليهم فقاتَلَهم حتى أخرَجهم عن الثُّلمة ، ثمّ رجع فجلس على الكرسىّ وذمّر الملكُ أصحابه ليعودوا ، فأبَوْا ، فقال لفرسانه : هذا الشيطان، منْ سَرّه أن ينظرَ إلى رستم فلينظرْ إلى صاحب الكرسىّ ، فمن أبى فليقدَم عليه . ثمّ تحوّلت الأعاجم إلى رُسْتاق كفتان . قال: فأغاروا على سَرْح موسى ، فاغتمّ ولم يَطعم ، وجعلَ يَعبثُ بلِحيته ، فسار ليلا على نهر فى حافتَيْه[3] نبات لم يكن فيه ماء، وهو يُفضِى إلى خَنْدَقهم ، فى سبعمائة ، فأصبحوا عند عسكرهم ، وخرج السَّرْح فأغار عليه فاستاقه ، وأتبعه قومٌ منهم ، فعطف عليه سَوّار ،مولًى لموسى ، فطعن رجلاً منهم فصرَعَه ، فرجعوا عنهم وسَلِم مُوسى بالسَّرح. قال : وغاداهم العَجَمَ القتال، فوقف مَلِكُهم على تلّ فى عشرة آلاف فى أكمل عُدّة ، فقال موسى : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشىء . فقصد لهم حُرَيْثُ بن قُطْبة فقاتَلَهم صدرَ النهار ، وألحّ عليهم حتى أزالوهم عن التلّ ، ورُمِى يومئذ حُرَيث بنُشابة فى جبهته ، فتحاجزوا، فبيّتَهم موسى ، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شمعة مَلِكهم،

٢/١١٥٤

(١) ب : « يستلم » . (٢) ب : « وركب فحمل » .
(٣) ب : « ناحيتيه » .

فوجأ رجلاً منهم بقَبيعة[1] سيفه، فطعن فرَسه، فاحتَملَه فألقاه فى نهر بَلْخ فغَرِق، وعليه درْعان، فقتل العجمَ قَتْلاً ذريعًا، ونجا منهم من نجا بشرّ، ومات حُرَيث بن قطبة بعد يومين، فدُفن فى قبّته. ١١٥٥/٢

قال: وارتحل موسى، وحَملوا الرءوسَ إلى التِّرْمذ، فبنَوا من تلك الرءوس جَوْسقَين، وجعلوا الرءوسَ يقابل بعضها بعضًا. وبلغ الحجاجَ خبرُ الوقعة، فقال: الحمد لله الذى نَصَر المنافقين على الكافرين، فقال أصحاب موسى: قد كُفِينا أمرَ حُريث، فأرِحْنا من ثابت، فأبَى وقال: لا. وبلَغ ثابتًا بعضُ مايخوضون فيه، فدسّ محمد بن عبد الله بن مَرثَد الخُزاعىّ، عمّ نَصْر بن عبد الحميد عامل أبى مسلم على الرّىّ - وكان فى خدمة موسى بن عبد الله - وقال له: إياك أن تتكلم بالعربية، وإن سألوك من أين أنتَ! فقل: من سَبْى البامیان[2]، فكان يَخدُم موسى ويَنقُل إلى ثابت خبرَهم، فقال له: تحفّظْ ما يقولون. وحَذِر ثابت فكان لا ينام حتى يرجعَ الغلام، وأمر قومًا من شاكريّته يحرسونه ويَبيتون عندَه فى داره، ومعهم قوم من العرَب، وألحّ القوم على موسى فأضجَروه، فقال لهم ليلةً: قد أكثرتم علىّ، وفيم تريدون هلاكَكم، وقد أبرَمْتمونى! فعلى أىّ وجه تَفتكون به، وأنا لا أغدِر به! فقال نوح بن عبد الله أخو موسى: خلّنا وإياه، فإذا غدا إليك غُدوةً عدَلْنا به إلى بعض الدّور، فضربْنا عنقَه فيها قبل أن يصلَ إليك، قال: أمَا والله إنه لهَلاككم، وأنتم أعلم - والغلام يَسمع - فأتى ثابتًا فأخبرَه، فخرج من ليلته فى عشرين فارسًا، فمضى، وأصبَحوا وقد ذهب فلم يَدْروا من أين أوتُوا، وفَقَدوا الغلام، فعلموا أنه كان عَيْنًا له عليهم، ولحق ثابت بحشورا فنزَل المدينة، وخرج إليه قومٌ كثير من العرَب والعَجَم، فقال موسى لأصحابه: ١١٥٦/٢ قد فتحتم على أنفسكم بابًا فسُدّوه، وسار إليه موسى[3]، فخرج إليه ثابت فى جمع كثير فقاتلَهم، فأمر موسى بإحراق السور، وقاتلَهم حتى ألجئوا ثابتًا وأصحابَه إلى المدينة، وقاتلوهم عن المدينة.

---

(١) القبيعة: ما يكون على طرف مقبض السيف، تكون من فضة أو حديد.

(٢) ر: «البابيان». (٣) ب: «موسى إليه».

فأقبل رقبة بن الحرّ العَنبرىّ حتى اقتحم النار[١]؛ فانتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقفٌ يَحمى أصحابَه ، فقَتَله ، ثمّ رجع فخاض النار وهى تَلتهب ، وقد أخذتْ بجوانب نَمَط عليه ، فرَمى به عنه ووقَفَ ، وتحصّن ثابت فى المدينة ، وأقام موسى فى الرّبَض ، وكان ثابت حين شَخَص إلى حشورا أرسَل إلى طَرْخون ، فأقبَل طرْخون مُعينًا له ، وبلغ موسى مجىءُ طَرْخون ، فرجع إلى التِّرْمِذ ، وأعانه أهلُ كِس ّ ونَسَف وبُخارَى ، فصار ثابت فى ثمانين ألفًا ، فحَصَروا موسى وقطعوا عنه المادّة حتى جُهِدوا .

قال : وكان أصحابُ ثابت يَعبرُون نهرًا إلى موسى بالنهار — ثمّ يرجعون بالليل إلى عسكرهم ، فخرج يومًا رَقَبة — وكان صديقًا لثابت ، وقد كان ينهى أصحاب موسى عمّا صنعوا — فنادى ثابتًا ، فبرَز له — وعلى رَقَبة قَباء خزّ — فقال له : كيف حالك يا رَقبة ؟ فقال : ما تسأل عن رَجل عليه جُبّة خزّ فى حَمارّة القَيْظ ! وشكا إليه حالهم ، فقال : أنتم صنعتم هذا بأنفسكم ، فقال : أما والله ما دخلتُ فى أمرهم ، ولقد كرهتُ ما أرادوا ، فقال ثابت : أين تكون حتى يأتيَك ما قُدّر لك ؟ قال : أنا عند المُحلّ الطفاوىّ — رجلٌ من قيس من يَعْصُر — وكان المحلّ شيخًا صاحب شراب — فنزل رَقَبة عندَه .

٢/١١٥٧

قال : فبعث ثابت إلى رَقَبة بخمسمائة درهم مع علىّ بن المهاجر الخُزاعىّ ، وقال : إنّ لنا تجّارًا قد خرجوا من بَلْخ ، فإذا بلغك أنهم قد قَدِموا فأرسِلْ إلىّ تأتِكَ حاجتُك . فأتى على باب المُحِلّ ، فدخل فإذا رَقَبة والمُحلّ جالسان بينهما جَفْنة فيها شراب ، وخوانٌ عليه دَجاج وأرغفة ، ورَقبة شَعِث الرأس ، متوشّح بملحفة حمراء ، فدفع إليه الكيس ، وأبلَغه الرسالة وما كلمه ، وتناوَلَ الكيس وقال له بيَده ، اخرجْ ، ولم يكلِّمه . قال : وكان رقبةُ جَسيًا كبيرًا ، غائرَ العينين ، ناتئ الوَجْنتَين ، مفلّج ، بين كلّ سِنَّيْن له موضع سنّ ، كأنّ وجهه تُرْس .

---

(١) ب : « الباب » .

قال : فلمّا أضاق أصحابُ موسى واشتدّ عليهم الحصار قال يزيد بنُ هزيل : إنما مقَام هؤلاء مع ثابت والقَتْل أحسَنُ من الموت جُوعـًا ، والله لأفتكنّ بثابت أو لأموتَنّ . فخرج إلى ثابت فاستأمنَه ، فقال له ظُهير : أنا أعرَفُ بهذا منك ، إنّ هذا لم يأتِك رغبةً فيك ولا جزَعاً لك ، ولقد جاءك بغَدْرَة ، فاحذرْه وخلّني وإياه ، فقال : ما كنتُ لأقدِم على رَجل أتاني ، لا أدرى أكذلك هو أم لا . قال : فدَعْني أرتهن منه رَهْنًا ، فأرسل ثابت إلى يزيدَ فقال : أما أنا فلم أكن أظنّ رجلا يَغدِر بعد ما يَسأل الأمان ، وابنُ عمِّك أعلَم بك منى ، فانظر ما يُعاملك عليه ، فقال يزيد لظُهير : أبيتَ يا أبا سعيد إلا حَسَداً! قال : أما يكفيك ما ترَى من الذُّل ! تشرّدتُ عن العراق وعن أهلي ، وصرتُ بخُراسان فيما ترى ، أفما تَعطِفك الرَّحمُ ! فقال له ظُهير : أما والله لو تُركْتُ ورأيى فيكَ لما كان هذا ، ولكن أرْهِنّا ابنيْك قُدامة والضحّاك . فدَفَعهما[1] إليهم ، فكانا فى يدىْ ظُهير . ٢/١١٥٨

قال : وأقام يزيدُ يلتَمس غِرّةَ ثابت ، لا يَقدِر منه على ما يريد ، حتى مات ابنٌ لزياد القصير الخُزاعىّ ، أتى أباه نَعيُه من مَرْوَ ، فخرج متفضّلا إلى زياد ليعزّيه ، ومعه ظُهير ورَهطٌ من أصحابه ، وفيهم يزيد بن هُزَيل ، وقد غابت الشمس ، فلما صار على نهر الصغَانيَان تأخّر يزيدُ بن هزيل ورجلان معه ، وقد تقدم ظُهير وأصحابه ، فدنا يزيد من ثابت فضربه فعضّ السيف برأسه ، فوصل إلى الدماغ . قال : ورمى يزيد وصاحباه بأنفسِهم فى نَهْر الصَّغانيان ، فرمَوْهم ، فنجا يزيدُ سباحة وقُتل صاحباه ، وحُمِل ثابت إلى منزله ، فلما أصبح طَرْخون أرسَل إلى ظهير : ائتنى بابنَىْ يزيدَ ، فأتاه بهما ، فقدّم ظهيرٌ الضّحاك بنَ يزيدَ فقتَله ، ورمى به وبرأسه فى النهر ، وقدّم قدامةَ ليقتلَه ، فالتفتَ فوقَع السيف فى صَدْره ، ولم يُبِنْ ، فألقاه فى النهر حيًّا فغرِق ، فقال طرخون : أبوهما قتلهما وغدرُه . فقال يزيد بن هزيل : لأقتلنّ بابنَىّ كلّ خزاعىّ بالمدينة ، فقال له عبدُالله بنُ بُدَيل بنِ عبد الله بن بُدَيل بنِ وَرْقاء — وكان ممن أتَى موسى من فَلّ ابن الأشعث :

---

[1] ب « فدفعهم » .

لو رُمْتَ ذاكَ من خُزاعة لَصعُب عليكَ . وعاش ثابت سبعةَ أيام ثُمّ مات . وكان يزيدُ بن هزيل سخيًّا شجاعًا شاعراً ، ولى أيّام ابن زياد جزيرةَ ابن كاوان ، فقال : ١١٥٩/٢

قد كنتُ أدعو اللهَ فى السرّ مخلصاً ليُمْكنّنى من جزيةٍ ورِجالِ[1]
فأترُك فيها ذِكْرَ طَلحةَ خاملًا ويُحمَدُ فيها نائلى وفِعالى

قال : فقام بأمرِ العَجَم بعد موت ثابت طَرْخون ، وقام ظُهَير بأمر أصحابِ ثابت ، فقاما قيامًا ضعيفًا ، وانتَشَر أمرُهم ، فأجمع موسى على بَياتِهم ، فجاء رجلٌ فأخبرَ طرخون ، فضَحِك وقال : موسى يَعجز أن يدخل متوضَّأه، فكيف يبيّتنا! لقد طار قلْبك، لا يحرسنّ الليلة أحدٌ العَسكرَ. فلما ذهب من الليل ثُلثُه خرج موسى فى ثمانمائة قد عبّاهم من النهار ، وصيّرهم[2] أرباعًا . قال : فصيّر على رُبْع رَقَبة بن الحرّ وعلى رُبْع أخاه نُوح بن عبد الله بن خازم ، وعلى رُبْع يزيدَ بن هزيل ، وصار هو فى ربع ، وقال لهم : إذا دخلتم[3] عسكرَهم فتفرّقوا، ولا يمُرّن أحدٌ منكم بشىء إلا ضربه ، فدخلوا عسكرَهم من أربع نواحٍ لا يمرّون بدابّة ولا رجل ولا خِباء ولا جوالق إلا ضَرَبوه . وسمع الوجبةَ نَيزْك فلَبس سلاحَه ، ووقف فى ليلة مظلمة ، وقال لعلىّ بن المُهاجر الخُزاعىّ : انطلِق إلى طرْخونَ فأعلِمه موقِفى ، وقل له: ما ترَى أعمل به، فأتى طرخونَ ، فإذا هو فى فازة[4] قاعدٌ على كرسىّ وشاكريّته قد أوقَدوا النيرانَ بين يديْه ، فأبلغه رسالةَ نَيزَك ، فقال : اجلسْ ، وهو طامح ببصره نحوَ العسكر والصّوت ، إذا أقبل مَحميَةُ السُّلَمىّ وهو يقول : «حم لا يُنْصَرونَ» ، فتفرّق فى الشاكريّة ، ودخل مَحمِيَةُ الفازة ، وقام إليه طرْخون فَبدَره فضرَبه ، فلم يُغنِ شيئًا ، قال : وطَعنَه طرْخون بذُباب السيف فى صَدْره فصرَعه ، ورجع إلى الكرسىّ فجلس عليه ، وخرج مَحمية يَعدُو . ١١٦٠/٢

---

(١) ب ، ر : « حربه وحلالى » . (٢) ب : « وميزهم » .
(٣) ب : « ادخلوا » . (٤) الفازة : مظلة تمد بعمود .

قال : ورجعت الشاكريّة ، فقال لهم طَرْخون : فَرَرْتم من رجل ! أرأيتم لو كان ناراً هل كانت تَحرق منكم أكثرَ من واحد ! فما فَرَغ من كلامه حتى دخل جواريه الفازَة ، وخرَج الشاكريّة هُرّاباً ، فقال للجوارى : اجلِسْن ، وقال لعلىّ بن المهاجر : قُمْ ، قال : فخرجا فإذا نوح بنُ عبد الله ابن خازم فى السُّرادق ، فتجاولَا ساعة ، واختلَفا ضربتيْن ، فلم يَصنَعا شيئاً ، وولّى نوح وأتبعَه طَرْخون ، فطَعَن فرسَ نُوح فى خاصِرته فشَبّ ، فسقَط نُوح والفرَس فى نهر الصَّغانيان ، ورجع طَرْخون وسيفُه يقطُر دماً ، حتى دخل السرادق وعلىّ بن المهاجر معه ، ثمّ دخلا الفازة .

وقال طَرْخون للجوارى : ارجعن ، فرَجَعن إلى السرادق ؛ وأرسَل طرخون إلى موسى : كُفّ أصحابَك ؟ فإنا نرتحل إذا أصبحْنا ، فرجَع موسى إلى عسكره ، فلما أصبحوا ارتَحَل طَرْخون والعَجَم جميعاً ، فأتى كلّ قوم بلادهم . قال : وكان أهلُ خُراسانَ يقولون : ما رأيْنا مِثْلَ موسى ابن عبد الله بن خازم، ولا سَمِعنا به، قاتَلَ مع أبيه سنتين ، ثمّ خرج يسير فى بلاد خُراسان حتى أتى مَلِكاً فغلَبه على مدينته وأخرجَه منها ، ثمّ سارت إليه الجنُود من العرَب والترك فكان يُقاتِلَ العرب أوّل النهار والعجَم آخر النهار ، وأقام فى حِصنه خمسَ عشرةَ سنة ، وصار ما وراءَ النهر لموسى ، لا يُعازّه فيه أحدٌ .

١١٦١/٢

قال : وكان بقُومِسَ رجلٌ يقال له عبد الله، يَجتمع إليه فِتيانٌ يتنادَمون عندَه فى مؤونته ونفَقَته ، فلزِمه دَيْن ، فأتى موسى بن عَبد الله ، فأعطاه أربعةَ آلاف ، فأتَى بها أصحابَه ، فقال الشاعر يُعاتِب رجلا يقال له موسى :

فما أنتَ مُوسَى إذ يُناجِى إلٰهَهُ ولاوَاهِبِ القَيْنَات موسَى بنُ خازمِ

قال : فلما عزُل يزيدُ ووُلِّىَ المفضّل خُراسانَ أراد أن يحظى عند الحجّاج بقِتال موسى بن عبد الله ، فأخرج عثمانَ بنَ مسعود — وكان يزيدُ حبَسَه — فقال : إنى أريد أن أوجِّهك إلى موسى بن عبد الله، فقال : والله لقد وَتَرَنى ، وإنّى لثائر بابن عمّى[1] ثابت وبالخُزاعىّ ، وما يَد أبيك

(١) س : « عمى » .

وأخيك عندى وعندَ أهل بيتى بالحسنة ، لقد حبستمونى وشرّدتم بنى عمّى ، واصطفيتم أموالهم . فقال له المفضّل : دعْ هذا عنك ، وسرْ فأدرِكْ بثأرك ، فوجّهه فى ثلاثة آلاف ، وقال له : مُرْ منادياً فلينادِ : مَن لحق بنا فله ديوان ، فنادَى بذلك فى السوق ، فسارعَ إليه الناس . وكتب المفضّل إلى مُدرِك وهو ببَلْخَ أن يسيرَ معه ، فخرج ، فلما كان ببلْخ خرج ليلةً يطوف فى العسكر ، فسَمِع رجلا يقول : قتلتُه واللهِ ، فرَجَع إلى أصحابه ، فقال : قتلتُ موسَى وربَّ الكعبة ! ١١٦٢/٢

قال : فأصبَح فسار مِنْ بلْخ وخرج مدرك معه متثاقلاً ، فقطع النهرَ فنزَل جزيرةً بالترمِذ يقال لها اليومَ جزيرة عثمان — لنزول عثمانَ بها فى خمسة عشر ألفاً — وكتبَ إلى السبَل وإلى طرْخونَ فقدِموا عليه ، فحصَروا موسى ، فضيّقوا عليه وعلى أصحابه ، فخرج موسى ليلاً فأتى كفتان ، فامتار منها ، ثمّ رجع فمكث شهرين فى ضيق ، وقد خندَق عثمان وحذر البيَات ، فلم يقدِر موسى منه على غِرّة ، فقال لأصحابه : حتى متى ! اخرُجُوا بنا فاجعلوا يومكم ؛ إما ظفرتم وإما قُتِلتم . وقال لهم : اقصِدوا للصُّغْد والترك ، فخرج وخلّف النضرَ بنَ سليمان بن عبد الله بن خازم فى المدينة ، وقال له : إن قُتِلتُ فلا تدفعنّ المدينةَ إلى عثمان ، وادفعْها إلى مُدرِك بن المهلّب . وخرج فصيّر ثُلثَ أصحابه بإزاء عثمان وقال : لا تهايجوه إلا أن يقاتلكم ، وقصد لطرْخون وأصحابه ، فصدقوهم ، فانهزم طرْخونُ والترك ، وأخذوا عسكرَهم فجعلوا ينقلُونه ، ونظر معاويةُ بن خالد بن أبى برْزة إلى عثمانَ وهو على برْذَوْن لخالد بن أبى برْزة الأسلَمىّ ، فقال : انزِل أيها الأمير ، فقال خالد : لا تنزلْ فإنّ معاوية مشئوم . وكرّت الصُّغْد والترك[1] راجعةً ، فحالوا بين موسى وبين الحصن ، فقاتلَهم ، فعُقِر به فسقَط ، فقال لمولًى له : احملنى ، فقال : الموتُ كريه ، ولكن ارتدِف ، فإنْ نجوْنا نجوْنا جميعاً ، وإن هلكْنا هلكنا جميعاً . قال : فارتدَف ، فنظر إليه عثمانُ حين وثَب فقال : وثْبةُ موسى وربِّ الكعبة ! وعليه مِغفَر له مُوشًّى بخزّ أحمر ١١٦٣/٢

(١) ب : « الترك والصغد » .

فى أعلاه[١] ياقوتة اسما نَجُونِيَّة، فخرج من الخندق فكَشَفوا أصحابَ موسى . فقصد لموسى ، وعثرتْ دابة موسى فسَقَط هو ومَوْلاه ، فابتدَرُوه فانطَوا عليه فقتلوه ، ونادى منادِى عثمان : لا تَقتُلوا أحداً ، من لقيتموه فخُذوه أسيراً .

قال : فتفرّق أصحابُ موسى ، وأسِر منهم قومٌ ، فعُرِضوا على عثمان، فكان إذا أُتِىَ بأسير من العرب قال : دماؤُنا لكم حلال ، ودماؤكم علينا حرام ! ويأمر بقتله ، وإذا أُتِىَ بأسير من الموالى شتَمه ، وقال : هذه العربُ تقاتلنى ، فهلّا غضبتَ لى ! فيأمر به فيُشدَخ . وكان فَظّاً غليظاً ، فلم يسلَم عليه يومئذ أسيرٌ إلا عبد الله بنَ بُدَيل بن عبد الله بن بُدَيل بن ورْقاء ؛ فإنه كان مولاه ، فلما نظر إليه أعرَض عنه وأشارَ بيده أن خَلّوا عنه، ورَقَبة بن الحرّ لما أُتِىَ به نَظَر إليه وقال : ما كان من هذا إلينا كبيرُ ذَنْب، وكان صديقاً لثابت ، وكان مع قوم فَوَفى لهم ، والعَجَب كيف أسرْتُموه! قالوا : طُعِن فرسُه فسَقَط عنه فى وهدة فأسِر ؛ فأطلَقه وحَمَله ، وقال لخالد بن أبى بَرْزة : ليكُنْ عندك . قال : وكان الذى أجهَز على موسى ابن عبد الله واصلُ بن طَيْسلة العَنْبرىّ .

ونظر يومئذ عثمانُ إلى زُرعة بن عَلْقمة السُّلَمىّ والحجاج بن مروان وسنان الأعرابىّ ناحيةً فقال : لكم الأمان ، فظنّ الناسُ أنه لم يؤمنهم حتى كاتَبوه .

قال : وبقيت المدينةُ فى يدَى النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم ، فقال : لا أدفعها إلى عثمانَ ، ولكنى أدفعها إلى مُدرك ، فدفعَها إليه وآمنه ، فدفعَها مُدرِك إلى عثمانَ . وكتب المفضّل بالفَتْح إلى الحجّاج ، فقال الحجّاج : العجب من ابن بَهْلة! آمرُه بقَتْل ابن سَمُرة فيكتب إلىّ أنه لمآبه و يكتب إلى : إنه قَتَل موسى بن عبد الله بن خازم ؛ قال : وقُتِل موسى سنة خمس وثمانين ، فذكَر البحترىّ أن مَغراء بن المغيرة بن أبى صُفْرة قَتَلَ موسى فقال : ١١٦٤/٢

وقد عَرَكتْ بالترمذ الخيلُ خازماً ونوحاً وموسى عَركةً بالكَلاكل

---

(١) ب : « وفى أعلاه » .

قال : فضرب رجل من الجند ساقَ موسى ، فلما ولّى قتيبة أخبر عنه فقال : ما دعاك إلى ما صنعتَ بفتى العرب بعد موته ! قال : كان قتَل أخى ، فأمَر به قُتَيبة فقُتِل بين يديه .

* * *

[عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز]

وفى هذه السنة أراد عبدُ الملك بنُ مروانَ خلعَ أخيه عبدِ العزيز بنِ مَرْوان .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه :

ذكَر الواقدىّ أنّ عبدَ الملك همّ بذلك ، فنَهاه عنه قبَيصةُ بن ذُؤَيب ، وقال : لا تَفعلْ هذا ، فإنك باعثٌ على نفسك صوتَ نعّار[1] ، ولعلّ الموتَ يأتيه فتستريحَ منه ! فكفّ عبدُ الملك عن ذلك ونفسُه تُنازعه إلى أن يَخلَعه . ودخل عليه رَوْح بنُ زِنْباع الجُذامىّ — وكان أجلَّ الناسِ عندَ عبدِ الملك — فقال : يا أميرَ المؤمنين، لو خلعتَه ما انتَطَح فيه عنْزان ، فقال : ترَى ذلك يا أبا زرْعة ؟ قال : إى والله ، وأنا أوّلُ من يُجيبُك إلى ذلك ؛ فقال : نَصيحٌ[2] إن شاء الله . قال : فبينا هو على ذلك وقد نامَ عبدُ الملك ورَوْح ابنُ زِنْباع إذ دخل عليهما قَبيصة بن ذُؤيب طروقاً ، وكان عبدُ الملك قد تقدّم إلى حُجّابه فقال : لا يُحجب عنّى قبيصة أىّ ساعة جاءَ من ليل أو نهار ، إذا كنت خالياً أو عندى رجل واحد ، وإن كنت عند النساء أدخِل المجلسَ وأعلِمتُ بمكانه فَدخَل ، وكان الخاتمُ إليه ، وكانت السكّة إليه ، تأتيه الأخبارُ قبل عبدِ الملك ، ويَقرأ الكتبَ قبلَه ، ويأتى بالكتاب إلى عبدِ الملك مَنْشوراً فيقرؤه ، إعظاماً لقبيصة — فدخل عليه فسلم عليه وقال : آجرَكَ اللهُ يا أميرَ المؤمنين فى أخيك عبدِ العزيز ! قال : وهل تُوفِّى ؟ قال : نعم ، فاسترجَع عبدُ الملك ، ثمّ أقبَل على رَوْح فقال : كفانا الله أبا زُرْعة ما كنا نريد وما أجمَعْنا عليه ، وكان ذلك مخالفاً لك يا أبا إسحاق ، فقال قَبيصة : ما هو ؟ فأخبَره بما كان ؛ فقال قبيصة : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الرأى كله

١١٦٥/٢

---

(١) ابن الأثير : « عار » . (٢) ابن الأثير : « نصيح » .

فى الأنَاة، والعجلةُ فيها ما فيها ، فقال عبدُ الملك : ربما كان فى العَجَلة خيرٌ كثير ، رأيتَ أمرَ عَمرو بنِ سعيد ، ألم تكن العَجَلة فيه خيراً من التأنّى!

* * *

[خبر موت عبد العزيز بن مروان]

وفى هذه السنة تُوفّىَ عبدُ العزيز بنُ مَروان بمصرَ فى جُمادَى الأولى، فضمّ عبد الملك عَملَه إلى ابنه عبدِ الله بن عبد الملك ، وولّاه مصرَ .

وأما المدائنىّ فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا به أبو زَيد عنه، أنّ الحجّاج كتَب إلى عبد الملك يزيّن له بيعةَ الوليد، وأوفَدَ وفداً فى ذلك عليهم عمرانُ بن عِصام العَنَزىّ ، فقام عِمْران خطيبًا ، فتكلّم وتكلّم الوَفْد وَحثّوا عبدَ الملك ، وسألوه ذلك ، فقال عمران بنُ عِصام : ١١٦٦/٢

أَميرَ المُؤْمنينَ إليك نُهدِى ... على النأْىِ التحيّةَ والسلَاما[1]

أَجِبْنى فى بَنيكَ يكُنْ جوابى ... لهمْ عادِيّةً ولنا قِوَامَا

فلو أنَّ الوليدَ أُطـاعُ فيه ... جَعلتَ له الخلافةَ والذِّماما[2]

شَبيهُكَ حَول قُبَّتهِ قريشٌ ... به يَستَمطِرُ الناسُ الغماما

ومثلك فى التُّقى لم يَصْبُ يوماً ... لدُنْ خَلَعَ القلائدَ والتِّماما

فإن تُؤْثِرْ أَخاكَ بها فإنَّا ... وجَدِّكَ لا نُطِيقُ لهـا اتِّهاما

ولكنَّا نُحاذرُ من بَنيـه ... بَنى العَلاّتِ مأْثَرَةً سَمَامَا

ونخشى إن جَعلتَ المُلكَ فيهمْ ... سَحَاباً أن تَعُودَ لهم جَهَـامَا

فلا يَكُ ما حَلَبْتَ غدًا لقومٍ ... وبعدَ غَدٍ بَنُوكَ هُمُ العِيـامَا

فأُقسِمُ لو تَخَطَّأَنى عِصَامٌ ... بذلك ما عَذَرتُ به عِصَاما

ولو أَنّى حَبَوتُ أخاً بفضل ... أُريدُ به المقـالة والمقاما

---

(١) الأغانى ١٦ : ٥٨ (ساسى) وفيه : «على الشحط» .

(٢) الأغانى : «جعلت له الإمامة» .

٢/١١٦٧

لعَقَّبَ في بَنِيَّ على بنيه كذلك أو لَرُمتُ له مرامًا[1]
فَمَن يَكُ في أقاربه صُدُوع فصَدعُ الملكِ أبطؤهُ التئامَا

فقال عبدُ الملك : يا عِمرانُ ، إنه عبد العزيز ، قال : احتَل ْ له يا أميرَ المؤمنين .

قال عليّ : أراد عبدُ الملك بيعةَ الوليدِ قبل أمرِ ابن الأشعث ، لأنّ الحجّاج بعثَ في ذلك عِمرانَ بن عصام، فلما أبى عبدُ العزيز أعرض عبدُالملك عمّا أراد حتى ماتَ عبدُ العزيز ، ولما أراد أن يَخلَع أخاه عبدَ العزيز ويُبايعَ لابنه الوليد كتب إلى أخيه : إن رأيت أن تصيِّر هذا الأمر لابن أخيك ! فأبى ، فكَتَب إليه: فاجعلْها له من بعدك، فإنه أعزّ الخلق على أمير المؤمنين . فكتب إليه عبد العزيز : إني أرَى في أبي بكر بنِ عبد العزيز ما تَرَى في الوليد ، فقال عبدُ الملك : اللهمّ إنّ عبد العزيز قَطعَني فاقطعهْ . فكتب إليه عبدُ الملك: احمِل خراجَ مصرَ. فكتَبَ إليه عبدُ العزيز : يا أميرَ المؤمنين ، إني وإيّاكَ قد بلَغْنا سِنّاً لم يبلغْها أحدٌ من أهلِ بيتك إلا كان بقاؤه قليلا ، وإنّي لا أدري ولا تَدرِي[2] أيُّنا يأتيه الموتُ أوّلا! فإن رأيتَ ألّا تغثّث[3] عليّ بقيةَ عمري فافعلْ .

فرقّ له عبدُ الملك وقال : لَعمْري لا أغثّث عليه بقية عُمره ، وقال لابنَيه: إن يُرِد الله أن يُعطِيكموها لا يَقدِرْ أحدٌ من العباد على ردّ ذلك . وقال لابنيه : الوليد وسليمان : هل قارفتُما حَراماً قطّ ؟ قالا : لا واللهِ ، قال : اللهُ أكبر ، نِلتُماها ورب الكعبة !

٢/١١٦٨

قال : فلما أبى عبدُ العزيز أن يجيبَ عبدَ الملك إلى ما أراد ، قال عبدُ الملك : اللهمّ قد قَطَعَني فاقطَعْه ، فلما مات عبدُ العزيز قال أهلُ الشأم : رَدّ على أمير المؤمنين أمرَه ، فدعا عليه، فاستُجيب له .

قال: وكتب الحجاج إلى عبدِ الملك يشيرُ عليه أن يستكتب محمد بن يزيدَ الأنصاريّ ، وكتب إليه: إن أردتَ رجلاً مأموناً فاضلاً عاقلاً وَديعاً مُسلِماً

---

(١) ب : « أو لزمت » . (٢) ب : « ولا أرى » . (٣) لا تغثث عليّ: أي لا تفسد .

كَتُوماً تتّخذه لنفسك، وتَضع عندَه سِرّك، وما لا تحبّ أن يَظهَر، فاتّخذْ محمد بن يزيدَ . فكتب إليه عبدُ الملك: احمله إلىّ. فَحَمله ، فاتّخذه عبدُ الملك كاتباً . قال محمد : فلم يكن يأتيه كِتابٌ إلا دفعه إلىّ ، ولا يَستُرُ شيئاً إلا أخبَرَنى به وكَتَمه الناسَ ، ولا يكتبُ إلى عامل من عماله إلا أعلَمنيه ، فإنى لجالسٌ يوماً نِصفَ النهار إذا ببَريد قد قَدِم من مصرَ ، فقال : الإذن على أمير المؤمنين . قلتُ : ليست هذه ساعة إذن ، فأعلمنى ما قد قدمتَ له ، قال : لا . قُلت : فإن كان معك كتاب فادفعه إلىّ . قال : لا ، قال : فأبلَغَ بعضُ من حضرَنى أميرَ المؤمنين ، فخرج فقال : ما هذا ؟ قلتُ : رسولٌ قَدِم من مصرَ ، قال: فخُذ الكتاب ، قلتُ : زَعَم أنه ليس معه كتاب ، قال : فسَلْه عما قَدِم له ، قلتُ : قد سألته فلم يُخبِرْنى ، قال أدخِلْه ، فأدخَلته ، فقال: آجرَك الله يا أميرَ المؤمنين فى عبد العزيز ! فاستَرْجَع وبَكَى ووَجَم ساعةً ثمّ قال : يَرحَم الله عبدَ العزيز ! مَضَى والله عبدُ العزيز لشأنه ، وتركَنا وما نحن فيه ، ثمّ بكى النساءُ وأهل الدار ، ثمّ دعانى من غَد ، فقال : إنّ عبدَ العزيز رحمه الله قد مَضَى لسبيله ، ولا بدّ للناس من عَلَم وقائم يقومُ بالأمْر من بَعدى ، فمن تَرَى ؟ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، سيّد الناس وأرضاهم وأفضلُهم الوليدُ بنُ عبد الملك ، قال : صدقتَ وفّقك الله ! فَمَن تَرى أن يكون بعده[1] ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أين تَعدلها عن سليمانَ فَتَى العرب ! قال : وفّقتَ ، أما إنّا لو تركْنا الوليدَ وإياها لجعلَها لبنيه ، اكتُب عهداً للوليد وسُليمانَ مِن بَعده ، فكتبتُ بيعةَ الوليد ثم سليمان من بعده . فغَضب علىّ الوليدُ فلم يُولِنى شيئاً حين أشرْتُ بسليمان من بعده . ١١٦٩/٢

قال علىّ ، عن ابن جُعْدُبة[2] : كتب عبدُ الملك إلى هِشام بن إسماعيلَ المخزومىّ أن يدعوَ الناس لبيعة الوليد وسليمان ، فبايعوا غيرَ سعيد بن المسيّب ، فإنه أبى ، وقال: لا أبايع وعبد الملك حىّ ؛ فضرَبه هشام ضَرْباً

---

(١) ب : « ثم من » ، ر : « ثم قال من » .

(٢) ب : « ابن جعدة » . ر : « عن أبى جعدبة » .

مُبرَّحاً وألبسَه المسُوحَ ، وسرّحه إلى ذباب — ثنيّة بالمدينة كانوا يُقتلون
عندَها ويُصلَبون فظنّ أنهم يريدون قتلَه ، فلما انتهوا به إلى ذلك الموضع ٢/١١٧٠
رَدّوه ، فقال : لو ظننت أنهم لا يَصْلبونى ما لبستُ سراويلَ مُسوح ،
ولكن قلتُ : يصلبونى فيسترنى . وبلغ عبدَ الملك الخبرُ ، فقال : قبح الله
هشاماً ! إنما كان ينبغى أن يدعوه إلى البيعة ، فإن أبى يَضرِب عنقَه ، أو
يكفّ عنه .

* * *

[بيعة عَبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان]

وفى هذه السنة بايع عبدُ الملك لابنَيه : الوليد ، ثمّ من بعده لسليمان ،
وجعلَهما وليَّىْ عهد المسلمين ، وكتب ببيعتِه لهما إلى البُلدان ، فبايع الناس ،
وامتنع من ذلك سعيدُ بنُ المسيَّب ، فضربه هشام بن إسماعيل — وهو عامل
عبد الملك على المدينة — وطافَ به وحبَسه ، فكتب عبدُ الملك إلى هشام
يلومُه على ما فَعل من ذلك ، وكان ضربه ستّين سَوْطاً ، وطاف به فى
تُبّان[1] شعَر حتى بلغ به رأس الثنيّة .

وأما الحارث فإنه قال : حدّثنى ابن سعْد ، عن محمد بن عمَر الواقدىّ ،
قال : حدثنا عبدُ الله بنُ جعفر وغيرُه من أصحابنا قالوا : استعمَل عبدُ الله
ابنُ الزبير جابرَ بن الأسود بنَ عوف الزّهرى على المدينة ، فدعا الناسَ إلى
البَيْعة لابن الزبير ، فقال سعيدُ بنُ المسيّب : لا ، حتى يجتمعَ الناسُ ؛
فضربَه ستّين سَوْطاً ، فبلَغ ذلك ابن الزبير ، فكتَب إلى جابر يلومُه ،
وقال : ما لَنا ولسعيد ، دَعْه !

٢/١١٧١ وحدّثنى الحارث ، عن ابن سعد ، أنّ محمد بنَ عمَر أخبرَه ، قال :
حدّثنا عبدُ الله بنُ جعفر وغيره من أصحابنا أن عبدالعزيزَ بن مروانَ تُوفِّىَ
بمصرَ فى جمادى سنة أربع وثمانين ، فعقد عبدُ الملك لابنيه الوليد وسليمان العهد ،
وكتب بالبَيعة لهما إلى البُلْدان ، وعامِلُه يومئذ هشامُ بنُ إسماعيل المخزومىّ ،

(١) التبّان : سراويل صغير يستر العورة .

فدعا الناسَ إلى البَيعة ، فبايَع الناسُ ، ودعا سعيد بن المسيّب أن يبايع لهما ، فأبى وقال : لا حتى أنظرَ ، فضَرَبه هشام بنَ إسماعيل ستين سَوْطاً ، وطاف به فى تُبّان شَعر حتى بلغ به رأسَ الثنيّة، فلما كرّوا به قال : أين تَكُرّون[١] بى ؟ قالوا : إلى السجْن ؛ قال : والله لولا أنى[٢]، ظننتُ أنه الصَّلْب لما لَبِست هذا التُّبّان أبداً. فردّه[٣] إلى السجن، وحبَسه[٤] وكتَب إلى عبد الملك يُخبِره بخِلافه[٥]، وما كان من أمره ، فكتب إليه عبدُ الملك يلومُه فيما صنَع ويقول : سعيدٌ والله كان أحوَجَ أن تَصل رحمَه من أن تَضربَه ، وإنا لنعلم ما عندَه من شِقاق ولا خِلاف .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هِشامُ بن إسماعيل المخزومىّ ، كذلك حدّثنا أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ .

وكان العامل على المَشرق فى هذه السنة مع العِراق الحجّاج بن يوسف .

---

(١) ر : « تكررون » . (٢) ب : « إنى » .
(٣) ب : « فردوه » . (٤) ب : « فحبسه » .
(٥) ب : « بخبر خلافته » .

١١٧٢/٢

ثمّ دخلت سنة ستّ وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر وفاة عبد الملك بن مروان]

فممّا كان فيها من ذلك هلاكُ عبدِ الملك بنِ مروان، وكان مَهلِكه فى النصف من شوّال منها . حدّثنى أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبى معشر، قال : توفّى عبدُ الملك بنُ مروان يومَ الخميس للنّصف من شوّال سنة ستّ وثمانين[١]، فكانت خلافتُه ثلاثَ عشرَة سنَة وخمسةَ أشهر[٢].

وأما الحارث فإنه حدّثنى عن ابن سعد، عن محمد بن عمَر، قال : حدّثنى شُرَحبيل بن أبى عَوْن، عن أبيه، قال : أجمعَ[٣] الناسُ على عبدِ الملك بنِ مَرْوان سنة ثلاث وسبعين .

قال ابنُ عمر : وحدّثنى أبو معشر نَجيح، قال : مات عبدُ الملك بنُ مروانَ بدِمشقَ يومَ الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين ، فكانت[٤] ولايتُه منذ[٥] يوم بُويع إلى يوم تُوفّىَ إحدى وعشرين سنةً وشهراً ونصفاً ، كان[٦] تسع سنين منها يقاتِل فيها عبدَ الله بنَ الزبير ، ويسلَّم عليه بالخلافة بالشأم ، ثمّ بالعراق بعد مَقتَل مصعب ، وبقىَ بعد مَقتَل عبدِ الله بنِ الزبير واجتماع الناسِ عليه ثلاثَ عشرةَ سنةً وأربعةَ أشهر إلا سبعَ ليال .

١١٧٣/٢

وأما علىّ بن محمد المدائنىّ، فإنه ــ فيما حدّثنا أبو زيد عنه ــ قال : مات عبد الملك سنة ست وثمانين بدمشق ، وكانت ولايتُه ثلاثَ عشرَة سنةً وثلاثة أشهُر وخمسةَ عشَر يوماً .

---

(١) بعدها فى س : « بدمشق » . (٢) بعدها فى س : « وذلك بعد موت ابن الزبير».
(٣) ب : « اجتمع » . (٤) ب : « وكانت » .
(٥) ب : « من يوم بويع » . (٦) ب : « وكان» .

ذكر الخبر عن مبلغ سنّه يومَ توفّى

اختلف أهلُ السِّيَر فى ذلك، فقال أبو معشر فيه — ما حدّثنى الحارثُ عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بنُ عمَر، قال: حدّثنى أبو معشر نَجيح. قال: مات عبدُ الملك بنُ مروانَ وله ستّون سنةً.

قال الواقدىّ: وقد رُوِى لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنةً. قال: والأوّل أثبت. وهو على مولده، قال: وولد سنة ست وعشرين فى خلافة عثمانَ ابن عفّان رضى الله عنه، وشهد يومَ الدار مع أبيه وهو ابنُ عشر سنين.

وقال المدائنىّ علىّ بنُ محمد — فيما ذكر، أبو زيد عنه: ماتَ عبدُ الملك وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين سنة.

ذكر نسبه وكنيته

أمّا نسبُه، فإنه عبدُ الملك بنُ مروانَ بن الحكَم بن أبى العاص بن أميّة ابن عبد شمس بن عبد مناف. وأمّا كنيتُه فأبو الوليد. وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أميّة، وله يقول ابن قيس الرُّقيّات:

أَنْتَ ابْنُ عائِشَةَ الّتى فَضَلَتْ أُرُومَ نِسَائِها[1]
لم تَلْتَفِتْ لِلِداتِهَا ومَضَتْ على غُلَوائِها

* * *

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوَليد، وسليمان، ومرْوان الأكبر — دَرَجَ[2] — وعائشة؛ أمّهم ولّادة بنت العبّاس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن ٢/١١٧٤

(١) ديوانه ١١٧.

(٢) درج، أى مات صغيراً.

ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض .

ويزيد، ومَرْوان، ومعاوية — دَرَج — وأمّ كُلْثوم، وأمّهم عاتكة بنت يَزيدَ بن معاوية بن أبي سُفْيانَ .

وهشام، وأمّه أمّ هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ . وقال المدائنيّ : اسمها عائشة بنت هشام .

وأبو بكْر، واسمُه بكار، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عُبَيْدالله، والحَكَم — دَرَج — أمه أمّ أيّوب بنت عمرو بن عثمانَ بن عفّان .

وفاطمة بنت عبدِ الملك، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص ابن هِشام بن المغيرة .

وعبد الله ومَسلَمة والمنذر وَعنْبسة ومحمد وسعيد الخير والحجّاج؛ لأمهاتِ أولاد .

* * *

قال المَدائنيّ : وكان لهمن النساء — سوى من ذكرْنا — شقراءُ بنتُ سَلَمة ابن حلبَس الطائيّ، وابنة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمّ أبيها بنت عبد الله بن جعفر .

وذَكَر المدائنيّ، عن عوانة وغيره أنّ سَلَمة بن زيدِ بن وهب بن نُباتَة الفَهميّ دخل على عبدِ الملك فقال له : أيّ الزمان أدركتَ أفضل ؟ وأيّ الملوك أكمَل ؟ قال : أما الملوك فلَمْ أرَ إلا ذامًّا وحامدًا ؛ وأما الزمان فيَرفَع أقواماً ويَضَع أقواماً، وكلهم يَذُمّ زمانَه لأنه يُبلي جديدَهم، ويُهرِم صغيرَهم، وكلّ ما فيه منقطع غير الأمل ؛ قال : فأخبِرْني عن فَهْم ، قال : هم كما قال مَن قال : ١١٧٥/٢

دَرَج الليْلُ والنَّهارُ على فَهـ ... ـمِ بنِ عَمْرو فأصبحُوا كالرَّميمِ

وَخلَتْ دارُهُمْ فأَضحَتْ يَبَاباً ... بَعْدَ عزٍّ وثَرْوَة ونعيمِ

كَذَاك الزمانُ يَذْهَبُ بالنا ... س وتبْقَى ديَارُهُمْ كالرُّسومِ

قال : فمن يقول منكم[١] :

رأيتُ الناسَ مذ خُلقُوا وكانوا يُحبُّون الغَنيَّ من الرجالِ
وإن كان الغَنيُّ قليلَ خيْرٍ بَخيلاً بالقليل من النوالِ
فما أدْرى عَلَامَ وفيمَ هــذا وماذا يَرْتَجُون من البِخَال[٢] !
أَلِلدّنيا ؟ فلَيْس هُنَاك دنْيا ولا يُرْجى لحادثَةِ اللَّيَالى

قال : أنا .

قال علىّ : قال أبو قطيفة عَمرو بن الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيْط لعبدِ المَلِك بنِ مَرْوان :

نبِّئتُ أنَّ ٱبنَ القَلَمَّس عابَنى ومَن ذا من النَّاس الصحيحُ المسَلَّمُ[٣] !
فأبصرَ سُبْلَ الرشدِ سيّدُ قومه وقد يُبْصِرُ الرشْدَ الرئيسُ المعَمَّمُ ١١٧٦/٢
فَمن أنتمُ ؟ ها خَبِّرونا منَ ٱنتُمُ ؟ وقد جعلت أشياءُ تبْدُو وتُكْتَمُ

فقال عبد الملك : ما كنتُ أرى أنّ مِثلَنا يقال له : مَن أنتُمْ ! أما واللهِ لولا ما تَعلم لقلتُ قَوْلا ألحقكم بأصلكم الخبيث ، ولضربتُك حتى تموت .

وقال عبدُ الله بنُ الحجّاج الثعلبىّ لعبدِ الملك :

يا بنَ أبى العاص ويا خيرَ فَتَى أنتَ سِدادُ الدِّينِ إن دِينٌ وَهَى[٤]
أنتَ الَّذى لا يَجعَلُ الأمرَ سُدَى جيبتْ قريشٌ عنكمُ جَوْبَ الرَّحَى
إنّ أبا العاصِى وفى ذاك ٱعْتَصَى أَوْصَى بَنيهِ فوَعَوْا عنه الوَصَى
إنْ يَسعروا الحرْبَ ويأْبوا ما أَبىَ الطاعنِين فى النُّحورِ والكُلَى
شَزْرًا ووصْلاً للسيوف بالخُطَا إلى القتال فَحوَوْا ما قد حَوَى

---

(١) ب : « فيكم » . (٢) البخال : جمع بخيل ، مثل كريم وكرام .
(٣) الأغانى ١ : ٣٤ ، والقلمس : الرجل الداهية . (٤) الأغانى ١٣ : ١٦٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

٢/١١٧٧ وقال أعشَى بنى شَيْبان :

عرفتْ قرَيشٌ كلُّهــا لِبَنى أَبى العاص الإِمَارهْ
لأَبَرِّهــا وأَحَقِّهــا عند المَشورَةِ بالإِشَارَهْ
المانعــين لِمَا وَلُوا والنافِعِين ذوِى الضَّرارهْ
وَهُمُ أَحَقُّهُمُ بهــا عند الحلاوة والمرارهْ

وقال عبد الملك : ما أعلم مكانَ أحد أقوَى على هذا الأمر منّى ، وإنّ ابنَ الزّبير لطويلُ الصّلاة ، كثيرُ الصّيام ، ولكنْ لبخله لا يَصلُح أن يكون سائساً .

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفى هذه السنة بُويِع للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فذُكِر أنه لما دفن أباه وانصرف عن قبره، دخل المسجدَ فصعد المنبرَ، واجتمع إليه الناس، فخطب فقال : إنّا لله وإنا إليه راجعون ! واللهُ المستعان على مصيبتنا بموتِ أميرِ المؤمنين، والحمدُ لله على ما أنعم به علينا من الخلافة . قوموا فبايِعوا .

فكان أوّل مَن قام لبيعته عبدُالله بن همّام السَّلولىّ، فإنه قام وهو يقول :

اللهُ أَعْطَاكَ الَّتِى لا فَوْقَهَا	وقد أراد المُلْحِدُون عَوْقَها
عَنْكَ ويأْبَى اللهُ إلَّا سَوْقَها	إلَيكَ حتى قَلَّدُوك طَوْقَها

فبايعه ، ثمّ تتابعَ الناسُ على البيعة . ١١٧٨/٢

وأما الواقدىّ فإنه ذكَر أنّ الوليدَ لمّا رجع من دفْن أبيه، ودُفِن خارج باب الجابية ، لم يدخُل منزلَه حتى صعد على منبرِ دمشقَ، فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثمّ قال :

أيّها الناسُ ، إنه لا مُقدِّم لما أخّر الله، ولا مؤخّر لمَا قدّم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابِق علمِه وما كتَب على أنبيائه وحمَلة عرشِه الموت . وقد صار إلى منازل الأبرار وليّ هذه الأمة الذى يحقّ عليه لله من الشدّة على المُريب، واللّين لأهل الحقّ والفضل، وإقامة ما أقام الله من منَار الإسلام وأعلامه؛ من حجّ هذا البيت ، وغزْو هذه الثغور ، وشنّ هذه الغارة على أعداء الله ، فلم يكن عاجزاً ولا مُفرِّطاً . أيها الناس ، عليكم بالطاعة ، ولزومِ الجماعة ، فإنّ الشيطان مع الفرد. أيها الناس، مَن أبدَى لنا ذاتَ نفسِه ضربْنا الذى فيه عينْاه ، ومن سكَت ماتَ بدائه.

ثمّ نزَل، فنظَر إلى ما كان من دوابّ الخلافة فحازه، وكان جبّاراً عنيداً .

[ولاية قتيبة بن مسلم على خُراسان من قِبَل الحجاج]

وفى هذه السنة قَدِم قتيبةُ بنُ مسلم خُراسانَ واليًا عليها من قِبَل الحجّاج ، فذكر علىّ بن محمد أنّ كُليب بن خلَف ، أخبرَه عن طُفَيل ابن مِرْداس العمىّ[1] والحسَن بن رُشيد ، عن سليمان بن كثير العمىّ ، قال : أخبرَنى عمّى قال : رأيتُ قُتيبةَ بنَ مُسلِم حين قَدِم خُراسانَ فى سنة ستّ وثمانين ، فقَدِم والمفضّلُ يَعرِض الجُندَ ، وهو يريد أن يغزُوَ أخْرون وشُومان ، فخَطَب الناسَ قتيبة ، وحثّهم على الجهاد ، وقال :

١١٧٩/٢

إنّ الله أحلّكم هذا المحَلّ ليُعِزّ دينَه ، ويذبّ بكم عن الحُرُمات ، ويزيد بكم المال استفاضة ، والعدوّ وَقْمًا[2] ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلّم النصر بحديث صادق ، وكتاب ناطق ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾[3]. ووعَدَ المجاهدين فى سبيله أحسنَ الثواب ، وأعظمَ الذُّخْر عندَه فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ ﴾، إلى قوله : ﴿ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[4] . ثم أخبر عمن قُتِل فى سبيله أنه حىّ مرزوق ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[5] . فتنجّزوا موعودَ ربّكم ووطّنوا أنفسكم على أقصَى أثر وأمضَى ألم ، وإيّاى والهُوَينى .

* * *

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخُراسان فى هذه السنة

ثمّ عرَض قُتيبةُ الجُندَ فى السلاح والكُراع ، وسار واستخلَف بمرْوَ على حرْبها إياسَ بنَ عبد الله بن عمرو ، وعلى الخَراج عثمان بن السعدىّ[6] ، فلما كان بالطالَقان تلقّاه دهاقينُ بلْخ وبعضُ عُظَمائهم فساروا معه ، فلما قطَع النهرَ تلقّاه تيش[7] الأعورَ ملِك الصَّغانيان بهدايا ومِفتاح من

١١٨٠/٢

(١) ب : « القمى » . (٢) الوقم : الذل . (٣) سورة الصف : ٩ .
(٤) سورة التوبة : ١٢٠ ، ١٢١ (٥) سورة آل عمران : ١٦٩ .
(٦) ابن الأثير : « عثمان السعيدى » . (٧) ط : « بيش » .

ذهب ، فدعاه إلى بلاده ، فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ، ودعاه إلى بلاده، فمضى مع بيش إلى الصَّغَانيان ، فسلَّم إليه بلادَه ، وكان ملك أخْرون وشُومان قد أساءَ جوارَ تيش وغزاه وضَيّق عليه ، فسار قُتيبةُ إلى أخْرون وشُومان — وهُما من طُخارسْتانَ ، فجاءه غشتاسبان[1] فصالَحه على فِدْية أدّاها إليه ، فَقبِلها قتيبة ورضىَ ، ثمّ انصرف إلى مَرْوَ ، واستخلفَ على الجند أخاه صالحَ بنَ مسلم، وتقدّم جندَه فسبقَهم إلى مَرْوَ ، وفتَح صالح بعد رجوع قتيبةَ باسارا ، وكان معه نصر بن سيّار فأبلَى يومئذ ؛ فوَهَب له قريةً تُدْعَى تنجانة، ثمّ قَدِم صالح على قُتيبةَ فاستعمَلَه على التِّرمذ .

قال : وأما الباهليّون فيقولون : قَدِم قتيبةُ خُراسانَ سنة خمس وثمانين فعرَض الجندَ ، فكان جميعُ ما أحصَوا من الدروع فى جُنْد خُراسان ثلثمائة وخمسين دِرْعًا ، فغزا أخْرون وشُومان، ثمّ قَفَل فركِبَ السفُن ٢/١١٨١ فانحدرَ إلى آمُل ، وخلّف الجُنْد، فأخذوا طريقَ بَلْخ إلى مَرْو ، وبلغ الحجّاج ، فكتَب إليه يلومه ويعجّز رأيَه فى تخليفه الجندَ، وكتب إليه : إذا غزوتَ فكنْ فى مُقدَّم الناس ، وإذا قفلتَ فكن فى أخْرَياتهم وساقتِهم .

وقد قيل : إنّ قتيبةَ أقامَ قبلَ أن يقطَع النهر فى هذه السنة على بَلْخ ، لأنّ بعضها كان منتقضًا عليه ، وقد ناصَبَ المسلمين، فحارَبَ أهلَها، فكان ممن سَبَى امرأة برْمك، أبى خالد بن برْمك — وكان برمَك على النُّوبَهار — فصارت لعبد الله بن مسلم الذى يقال له الفقير، أخى قُتيبَة بن مسلم ، فوقَع عليها ، وكان به شىء من الجُذام . ثمّ إنّ أهلَ بَلْخ صالحوا من غَد اليوم الذى حارَبهم قُتيبةُ ، فأمَر قتيبة بردّ السَّبْى، فقالت امرأة برْمَك لعبد الله بن مسلم : يا تازى ، إنّى قد علِقْتُ منك . وحضرتْ عبد الله بن مسلم الوفاةُ ، فأوصَى أن يُلحق به ما فى بطنها ، وردّت إلى برْمَك، فذكر أنْ ولدَ عبدِ الله بن مُسلم جاءوا أيامَ المهدىّ حين قَدِم الرّىّ إلى خالد ، فادّعَوْه ، فقال لهم مُسلِم بنُ قتيبة : إنه لا بدّ لكم إن

(١) ط : « غيسلشتان » .

استلْحَقْتموه فقَعَل مِنْ أن تُزوّجوه ، فتركوه وأعرضوا عن دعْواهم .
وكان بَرْمَك طبيباً ، فداوَى بعد ذلك مَسلمةَ من عِلّة كانت به .

* * *

وفى هذه السنةِ غزا مَسْلمة بن عبد الملك أرضَ الرّوم .

١١٨٢/٢ وفيها حبَس الحجّاج بنُ يوسفَ يزيدَ بنَ المهلّب ، وعزَل حبيبَ بن المهلّب عن كرمانَ ، وعبد الملك بن المهلب عن شُرْطته .

* * *

وحَجّ بالناس فى هذه السنة هِشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومىّ ، كذلك حدّثنى أحمد بنُ ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر.
وكذلك قال الواقدىّ .

وكان الأمير على العِراق كله والمَشرِق كلّه الحَجاج بنُ يُوسف . وعلى الصّلاة بالكُوفة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقَيل . وعلى الحرب بها من قِبل الحجّاج زِيادُ بنُ جريرِ بن عبد الله . وعلى البَصْرة أيّوب بن الحكَم . وعلى خرُاسانَ قُتيبة بن مُسلِم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فى هذه السنة عزَل الوليدُ بنُ عبد الملك هشامَ بنَ إسماعيل عن المدينة ، وورَدَ عزلُه عنها — فيما ذُكر — ليلةَ الأحد لسبع ليال خلَوْن من شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين . وكانت إمْرته[1] عليها أربعَ سنين غيرَ شهر أو نحوه .

* * *

[خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة]

وفى هذه السنة ولّى الوليدُ عمرَ بنَ عبد العزيز المدينةَ . قال الواقدىّ : قدِمَها واليًا فى شهر ربيع الأول ؛ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وُولد سنة اثنتين وستّين .

قال : وقَدِم على ثلاثين بعيراً ، فنَزَل دارَ مَروانَ . قال : فحدّثنى عبدُ الرحمن بن أبى الزّناد، عن أبيه، قال : لما قَدِم عمر بنُ عبد العزيز المدينةَ ونَزَل دارَ مروانَ دخل عليه الناسُ فسلّموا ، فلما صلّى الظهرَ دعا عشرةً من فُقهاء المدينة: عُرْوةَ بنَ الزبير ، وعبيدَ الله بن عبد الله بن عُتْبة ، وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا بكر بن سليمان بن أبى حثمة[2] ، وسليمان بن يَسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله ابن عمرو ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زَيْد ؛ فدخلوا عليه فجلسوا، فحمِد اللهَ وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثمّ قال : ١١٨٣/٢

إنى إنما دعوتكم لأمرٍ تؤجَرون عليه ، وتكونون فيه أعوانًا على الحقّ ، ما أريد أن أقطع أمراً إلّا برأيكم أو برأيِ من حضَر منكم، فإن رأيتم أحداً

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) ط : « خيثمة » ، وانظر الفهرس .

يتعدّى ، أو بلَغَكم عن عامل لى ظُلامة ، فأحَرّجُ الله على مَنْ بلغه ذلك إلا بلّغنى .

فخرجوا يُجزُونه خيراً ، وافترقوا .

قال : وكتَب الوليدُ إلى عمرَ يأمرُه أنْ يقف هشامَ بن إسماعيلَ للناس ، وكان فيه سيّئ الرأى .

قال الواقدىّ : فحدّثنى داودُ بن جُبير ، قال : أخبرتْنى أمّ وَلد سعيد بن المسيّب أن سعيداً دعا ابنَه ومواليَه فقال : إنّ هذا الرجل يُوقف للناس — أو قد وُقف — فلا يتعرّضْ له أحدٌ ولا يؤذِه بكلمة ، فإنا سنترُكُ ذلك لله وللرَّحِم ، فإن كان ما علمتُ لسيّئ النظر لنفسه ، فأمّا كلامُه فلا أكلّمه أبداً .

قال : وحدّثنى محمد بنُ عبد الله بن محمد بن عمَر ، عن أبيه ، قال : كان هشامُ بنُ إسماعيلَ يسيء جِوارَنا ويؤذِينا ، ولقىَ منه علىّ بنُ الحسين أذًى شديداً ، فلما عُزل أمَرَ به الوليدُ أن يُوقَف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من علىّ بنِ الحسين . فمَرّ به علىّ وقد وُقِف عند دارِ مَرْوان ، وكان علىّ قد تقدّم إلى خاصّته ألّا يَعرِض له أحد منهم بكلمة ؛ فلما مرّ ناداه هشامُ بنُ إسماعيل : اللهُ أعلمُ حيث يجعَل رِسالاته . ٢/١١٨٤

* * *

[خبر صلح قتيبة ونيزك]

وفى هذه السنة قَدِم نَيزَك على قُتيبة ، وصالَح قتيبةُ أهلَ باذَغيس على ألّا يَدخُلها قتيبة .

* ذكر الخبرِ عن ذلك :

* ذَكَر علىّ بنُ محمد أن أبا الحسَن الجُشَمىّ أخبرَه عن أشياخ من أهل خُراسانَ ، وجبلة بن فرّوخ عن محمد بن المثنّى ، أنّ نيزك طَرْخان كان فى يديه أسراءُ مِن المسلمين ، وكتب إليه قُتيبة حينَ صالَح مَلِكَ شُومان فيمن فى يدَيه مِن أسرَى المسلمين أن يُطلِقهم ، ويهدّده[1] فى كتابه ،

(١) ب : « وتهدده » .

فخافَه[1] نيزك ، فأطلَق الأسرى ، وبَعث بهم إلى قتيبة ، فوجّه إليه قتيبة سُليماً الناصح مولَى عُبيد الله بن أبى بَكرة يدعوه إلى الصّلح وإلى أن يؤمّنه ، وكتب إليه كتابًا يَحلِف فيه بالله: لئن لم يقدم عليه ليغزونّه، ثمّ ليطلبنّه حيث كان ، لا يُقلع عنه حتى يَظفَر به أو يموتَ قبل ذلك . فقَدِم سُلَيم على نَيزَك بكتاب قتيبة — وكان يَستنصحه — فقال له: ياسليم، ما أظنّ عند صاحبك خيراً ، كتَبَ إلىّ كتابًا لا يُكتَب إلى مثلِى ! قال له سليم : يا أبا الهَيّاج ، إنّ هذا رجل شديد فى سلطانه ، سَهْل إذا سُوهِل ، صعب إذا عُوسِر ، فلا يمنعْك منه غِلظة كتابه إليك ، فما أحسنَ حالَكَ عندَه وعندَ جميع مُضَر ! فقَدِم نيزك مع سُلَيم على قُتيبة ، فصالَحه أهلُ باذَغيس فى سنة سبع وثمانين على ألّا يَدخُل باذَغيس . ٢/١١٨٥

* * *

[خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم]

وفى هذه السنة غزا مَسلَمة بنُ عبد الملك أرضَ الرّوم، ومعه يزيدُ بن جُبَير ، فلقى الرّومَ فى عدد كثير بسُوسَنة من ناحية المَصّيصَة .

قال الواقدىّ : فيها لاقَى مسلمةُ مَيْموناً الجرْجمانىّ ومع مَسلمة نحوٌ من ألفِ مُقاتِل من أهل أنطاكيةَ عند طُوانَة، فقَتَل منهم بَشَراً كثيراً، وفَتَح الله على يديه حُصونًا .

وقيل : إنّ الذى غزَا الرّوم فى هذه السنة هشامُ بن عبد الملك ، ففتَح الله على يديه حِصْنَ بولَق وحِصن الأخرم وحِصْن بولس وقمقم، وقتَل من المُستعربة نحواً من ألفِ مُقاتِل ، وسبَى[2] ذراريَّهم ونساءَهم .

* * *

[خبر غزو قتيبة بيكَنْد]

وفى هذه السنة غزا قتيبة بيكَنْد .

* ذكر الخبر عن غزْوَته هذه :

---

(١) ب : «مخافة» . (٢) ر : «وساق» .

٢/١١٨٦ ذكَر علىّ بن محمّد أن أبا الذّيال أخبرَه عن المهلّب بن إياس، عن أبيه ، عن حسين[1] بن مُجاهِد الرّازىّ وهارون بن عيسى ، عن يونس ابن أبى إسحاق وغيرهم، أن قتيبة لما صالحَ نيزك أقام إلى وَقْت الغَزْو، ثمّ غزا فى تلك السنة — سنة سبع وثمانين — بيكند، فسار من مَرْوَ وأتى مَرْوَ الرُّوذ، ثمّ أتى آمُل ؛ ثمّ مضى إلى زَمّ فقَطَع النهر، وسار إلى بيكَنْد — وهى أدنى مدائن بُخارَى إلى النهر، يقال لها مدينة التجّار على رأس المَفازة من بُخارَى — فلما نزل بعَقْوتهم استنصَروا الصُّغْد، واستمدّوا مَن حَولهم، فأتَوْهم فى جمع كثير ، وأخذوا بالطريق، فلم ينفذ لقتيبة رسولٌ ، ولم يَصِل إليه رسول، ولم يجرِ له خبرٌ شَهْرَين، وأبطأ خبرُه على الحجّاج ، فأشفَق الحجّاج على الجند ، فأمر الناسَ بالدّعاء لهم فى المساجد ، وكتب بذلك إلى الأمصار وهم يَقتتِلون فى كلّ يوم .

قال : وكان لقُتيبة عينٌ يقال له تنذر[2] من العَجَم ، فأعطاه أهلُ بُخارَى الأعلى مالاً على أن يَفثأ عنهم قتيبة ؛ فأتاه ، فقال : أخْلنى ، فنَهَض الناسُ واحتَبَس قتيبةُ ضِرارَ بنَ حصين الضّبّىّ، فقال تنذر : هذا عاملٌ يَقدُم عليك، وقد عُزل الحجاج، فلو انصرفتَ بالناس إلى مروَ ! فدعا قُتيبة سِياه مولاه، فقال : اضرِب عُنُقَ تنذر ، فقتَله ، ثم قال لضرار : لم يبق أحدٌ يَعلَم هذا الخبر غَيْرى وغيرك ، وإنّى[3] أعطِى اللهَ ٢/١١٨٧ عَهْداً إن ظَهر هذا الحديثُ من أحد حتى تَنقضىَ حربُنا هذه لألحقنّك به ؛ فاملِكْ لسانَك ، فإنّ انتشار هذا الحديث يَفُتّ فى أعضاد الناس . ثمّ أذِن للناس .

قال : فدخلوا ، فَراعَهم قَتلُ تنذر ، فوَجَموا وأطرَقوا ، فقال قتيبة : ما يَروعُكم من قتل عبد أحانَه الله ! قالوا : إنا كنا نظنّه ناصحًا للمسلمين، قال : بل كان غاشًّا[4] فأحانَه الله بذنْبه ، فقد مضى لسبيلِه ، فاغدُوا على

---

(١) ب : « وحصين » .
(٢) ر : « تيذر » .
(٣) ب : « فإنى » .
(٤) بعدها فى ب : « لهم » .

قتال عدوّكم ، والقَوْهم بغير ما كنتم تلقَونهم به . فغدا الناسُ متأهّبين ، وأخذوا مَصافّهم ، ومَشَى قُتيبة فحضّ أهلَ الرايات ، فكانت بين الناس مُشاوَلة[1] ، ثم تزاحفوا[2] والتقَوا ، وأخذتِ السيوفُ مأخذَها ، وأنزل اللهُ على المسلمين الصبرَ ، فقاتلوهم حتى زالت الشمس ، ثمّ مَنَح اللهُ المسلمين أكتافَهم ، فانهزَموا يريدون المدينة ، واتبعهم المسلمون فشغَلوهم عن الدّخول فتفرّقوا ، وركِبهم المسلمون قتْلا وأسراً كيف شاءوا ، واعتصَم مَن دَخل المدينة بالمدينة ، وهم قليل ، فوَضع قتيبةُ الفَعَلة فى أصلها ليَهدِموها ، فسألوه الصلحَ فصالحهم ، واستعمل عليهم رجلا من بنى قُتيبة .

وارتَحل عنهم يريدُ الرّجوع ، فلما سار مَرحلةً أو ثِنتَين ، وكان منهم على خَمسة فراسخ نَقَضوا وكَفَروا ، فقتلوا العاملَ وأصحابَه ، وجدّعوا آنُفَهم وآذانَهم ، وبلغ قتيبة فرجع إليهم ، وقد تحصّنوا ، فقاتلَهم شهراً ، ثمّ وضع الفعلة فى أصل المدينة فعلّقوها[3] بالخشَب ، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتَنهدِم ، فسقط الحائط وهم يعلّقونه ، فقتل أربعين من الفَعلَة ، فطلبوا الصّلح ، فأبى وقاتلَهم ، فظَفِر بهم عَنْوة ، فقتل من كان فيها من المُقاتِلة ، وكان فيمن أخذُوا فى المدينة رَجُل أعوَر كان هو الذى استجاش التُّرْكَ على المسلمين ، فقال لقتيبة : أنا أفدى نفسى ، فقال له سُلَيم الناصح : ما تَبذُل ؟ قال : خمسةَ آلافِ حريرة صينية قيمتُها ألف ألف ، فقال قتيبة : ما تَرَون ؟ قالوا : نرى أنّ فداءه زيادة فى غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كَيْد هذا ! قال : لا والله لا تُروِّع بك مسلمةً أبداً ، وأمَرَ به فقُتِل . ٢/١١٨٨

قال علىّ : قال أبو الذّيال ، عن المهلّب بن إياس ، عن أبيه والحسن ابن رُشيد ، عن طُفَيل بن مِرْداس ، أنّ قتيبة لما فتح بِيكَنْد أصابوا فيها من آنيةِ الذهب والفضّة ما لا يُحصَى ، فولىَ الغنائمَ والقَسْمَ عبد الله بن وَألان العدوىّ أحد بنى مَلْكان — وكان قتيبة يسمّيه الأمينَ ابنَ الأمين — وإياس بن

(١) ب : « مساواة » . والمشاولة : القتال بالرماح . (٢) ب : « تراجعوا » .

(٣) ب : « فعقلها » .

بَيْهَس الباهلىّ ، فأذابا الآنيَة والأصنامَ فرفَعاه إلى قتيبة ، ورفَعا إليه خبَث ما أذابَا ، فوهبه لهما ، فأعطيا به أربعين ألفًا ، فأعلماه فرَجع فيه وأمرَهما أن يُذيباه فأذاباه ، فخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال — أو خمسون ألف مثقال — وأصابوا فى بِيكَنْد شيئًا كثيراً ، وصار فى أيدى المسلمين من بيكَنْد شىء لم يُصيبوا مثلَه بخُراسان . ورجع قتيبة إلى مروَ ، وقَوِىَ المسلمون ، فاشترَوا السلاح والخيلَ ، وجُلبتْ إليهم الدّوابّ ، وتَنافسوا فى حُسن الهيئة والعُدّة ، وغالَوْا بالسلاح حتى بلَغ الرّمح سبعين ؛ وقال الكُمَيت :

٢/١١٨٩

ويومَ بِيكَنْدَ لا تُحصَى عجائبهُ وما بُخاراءُ ممّا أخطأ العَدَدُ

وكان فى الخزائن سلاحٌ وآلةٌ من آلة الحرب كثيرة ، فكتَب قتيبةُ إلى الحجّاج يستأذنه فى دَفْع ذلك السلاح إلى الجُنْد ، فأذن له ، فأخرجوا ما كان فى الخزائن من عُدّة الحرب وآلة السَّفَر ، فقسَمه فى الناس ، فاستعدّوا ، فلما كان أيامُ الربيع ندب الناسَ وقال : إنّى أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حَمْل الزاد ، وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الإدْفاء ؛ فسار فى عُدّة حَسَنة من الدّوابّ والسلاح ، فأتى آمُلَ ؛ ثم عبرَ من زَمّ إلى بُخارَى ، فأتى نومُشكَث — وهى من بُخارَى — فصالحوه .

قال علىّ : حدّثنا أبو الذّيال ، عن أشياخ من بنى عَدِىّ ، أنّ مسلمًا الباهلىّ قال لِوَألانَ : إنّ عندى[1] مالًا أحبّ أن أستودعَكَه ، قال : أتريد أن يكون مكتومًا أو لا تكره أن يَعلَمه الناسَ ؟ قال : أحِبّ أن تكتُمه ؛ قال : ابعث به مع رجل تَثِق به إلى موضع كذا وكذا ، ومُرْه إذا رأى رجلا فى ذلك الموضع أن يَضَع ما معه ويَنصرِف ؛ قال : نعم ، فجَعَل مسلم المال فى خُرْج ، ثمّ حَمَله على بغل وقال لمولًى له : انطلق بهذا البغل إلى موضع كذا وكذا ، فإذا رأيت رجلاً جالسًا فخلّ عن البَغْل وانصرِف . فانطَلَق الرجلُ بالبَغْل ، وقد كان وَألان أتى الموضعَ لميعاده ،

٢/١١٩٠

(١) ب : « عندى مال » .

فأبطأ عليه رسولُ مسلم، ومضى الوقتُ الذى وَعدَه، فظنّ أنه قد بدا له، فانصرف، وجاء رجلٌ من بنى تَغلِبَ فجلس فى ذلك الموضع ، وجاء مولًى مسلم فرأى الرجل جالسًا ، فخلَّى عن البغل ورَجعَ ، فقام التغلبىُّ إلى البَغْل ، فلما رأى المال ولم يَرَ مع البَغْل أحداً قادَ البغل إلى منزله ، فأخذ البغلَ وأخذَ المال ، فظنّ مسلم أن المال قد صار إلى وَألان ، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه ، فلَقِيَه فقال : مالى ! فقال : ما قبضت شيئًا ، ولا لك عندى مال . قال : فكان مُسلِم يشكوه ويتنقّصه . قال : فأتى يومًا مجلس بنى ضُبَيعة فشكاه والتغلبىُّ جالسٌ ، فقام إليه فخلَا به وسأله عن المال، فأخبرَه، فانطلَق به إلى منزله ، وأخرج الخُرْج فقال : أتعرفه؟ قال : نَعَم ، قال : والخاتَم ؟ قال : نعم ؛ قال: اقبض مالَكَ، وأخبرَه الخبَر ، فكان مسلم يأتى الناسَ والقبائلَ التى كان يشكو إليهم وألان فيَعذِره ويُخبرهم الخبَر ، وفى وألان يقول الشاعر :

ولَسْتَ كَوَألانَ الّذى سَادَ بالتُّقى ... ولستَ كعمرانٍ وَلَا كالمُهلَّبِ ١١٩١/٢

وعِمْرانُ : ابنُ الفصيل البُرْجُمىّ .

***

وحجّ بالناس فى هذه السنة —فيما حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكرَه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى مَعشَر— عمَر بن عبد العزيز ، وهو أميرٌ على المدينة .

وكان على قضاء المدينة فى هذه السنة أبو بكر بن عَمْرو بن حَزْم من قِبَل عُمَر بن عبد العزيز .

وكان على العراق والمَشرِق كلّه الحجّاج بن يوسف، وخليفته على البَصْرة فى هذه السنة — فيما قيل — الجرّاح بن عُبدِ الله الحَكَمىّ. وعلى قضائها عبدالله ابن أذَينة ، وعامله على الحَرْب بالكوفة زياد بن جرَير بن عبد الله ، وعلى قَضائها أبو بكر بن أبى موسى الأشعرىّ ، وعلى خُراسانَ قُتيبة بن مسلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

* * *

[خبر فتح حصن طُوانة من بلاد الرّوم]

فمن ذلك ما كان من فَتْح الله على المسلمين حِصْنًا من حصون الرّوم يُدعَى طُوانة فى جُمادَى الآخرة [١] ، وشتَوا بها ، وكان على الجيش مَسْلمة بنُ عبد الملك ، والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك .

٢/١١٩٢ فذكر محمّد بن عمَر الواقدىّ أن ثورَ بنَ يزيدَ حدّثه عن أصحابه قال: كان فَتْح طُوانَة على يَدَىْ مَسلَمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وَهزَم المسلمون العدوّ يومئذ هزيمةً صاروا إلى كنيستهم ، ثمّ رَجَعوا فانهزَم الناس حتى ظَنّوا ألا يجتبروها أبداً ، وبقِىَ العباس معه نُفَير ؛ منهم ابن مُحَيْريز الجُمَحىّ ، فقال العباس لابن مُحَيريز : أين أهلُ القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابنُ مُحَيريز : نادِهم يأتوك ؛ فنادَى العبّاس : يا أهلَ القرآن ! فأقبَلوا جَميعًا ، فهزَم الله العدوّ حتى دخلوا طُوانة .

وكان الوليدُ بنُ عبد الملك ضرب البَعْث على أهل المدينة فى هذه السنة . فذكَر محمّد بنُ عمَر ، عن أبيه ، أنّ مَخرَمة بن سليم الوالبىّ قال: ضرب عليهم بعث ألفين . وأنهم تجاعَلوا فخرج ألف وخمسمائة ، وتخلّف خمسمائة ، فغَزوا الصائفة مع مَسلَمة والعبّاس ، وهما على الجيش . وإنهم شتَوا بطُوانة وافتتَحوها .

* * *

وفيها وُلِد الوليدُ بنُ يزيدَ بن عبد الملك .

* * *

---

(١) ب وابن الأثير : « الأولى منها » .

[ذكر عمارة مسجد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم]

وفيها أمَرَ الوليدُ بنُ عبد الملك بهَدْم مسجد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزْواج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها فى المسجد ، فذَكَر محمد بنُ عُمر ، أنّ محمد بن جعفر بن ورْدان البنّاء قال : رأيتُ الرسولَ الذى بعثَه الوليدُ بن عبدالملك قَدِم فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين ، قدم مُعتجِراً ، فقال الناس : ما قَدِم به الرسول ! فدَخَل على عمَر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حُجَر أزْواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد رسولِ الله ، وأن يشترىَ ما فى مؤخَّره ونواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع ويقول له : قدّم القِبْلة إنْ قَدَرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، فإنهم لايخالفونك ، فمن أبى منهم فرْ أهل المصر فليقوّموا له قيمة عدل ، ثم اهدمْ عليهم وادفَع إليهم الأثمان ، فإنّ لك فى ذلك سلَفَ صدق ؛ عمر وعثمانَ فأقرأهم كتابَ الوليد وهم عندَه ، فأجاب القوم إلى الثمن ، فأعطاهم إياه ، وأخذَ فى هدْم بيوتِ أزواج النبىّ[1] صلى الله عليه وسلّم وبناء المسجد ، فلم يَمكُث إلا يَسيراً[2] حتى قَدِم الفَعَلَة ، بعَث بهم الوليد .

قال محمد بنُ عمَر : وحدّثنى موسى بن يعقوبَ ، عن عمّه ، قال : رأيت عمَر بنَ عبد العزيز يَهدِم المسجدَ ومعه وجوهُ الناس : القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد الله بن عمَر ، يُرُونه أعلاماً فى المسجد ويقدّرونه ، فأسَّسُوا أساسَه .

قال محمّد بنُ عمر : وحدّثنى يحيى بنُ النعمان الغِفارىّ ، عن صالح بن كَيْسان ، قال : لما جاء كتابُ الوليد من دِمشقَ وسار[3] خمس عشرةَ بهدم المسجد ، تجرّد عمرُ بنُ عبدالعزيزَ . قال صالح : فاستعملنى على هَدْمه وبنائه ، فهدَمْناه بعمّال المدينة ، فبدأنا بهَدْم بيوت أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلّم حتى قَدِم علينا الفَعَلَة الذين بعَث بهم الوليد .

(١) ب : « رسول الله » . (٢) ب : « قليلا » .
(٣) ط : « سار » .

قال محمد : وحدّثني موسى بنُ أبي بكر ، عن صالح بن كَيْسان، قال : ابتدأنا بهَدْم مسجد رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم فى صَفَر من سنة ثمان وثمانين، وبَعَثَ الوليدُ إلى صاحب الرّوم يُعلِمه أنه أمر بهدم مَسجد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأن يُعينَه فيه ، فبعث إليه بمائة ألفِ مثقال ذهب ، وبَعث إليه بمائة عامل ، وبعث إليه من الفُسَيْفِساء بأربعين حِمْلا، وأمر أن يتتبّع الفُسَيْفِساء فى المدائن التى خُرِّبت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمرَ بنِ عبد العزيز .

وفى هذه السنة ابتدأ عمرُ بنُ عبد العزيز فى بناء المسجد .

* * *

وفيها غَزَا أيضًا مَسلمَةُ الرّوم ، ففُتِح على يديه حُصونٌ ثلاثة : حِصن قُسْطَنْطِينة ، وغَزَالة ، وحِصْن الأخْرم. وقتل مِنَ المستَعربة نحوٌ من ألف مع سَبْيِ الذرّيّة وأخذِ الأموال .

* * *

[ذكر غزو قتيبة نومُشَكَث وراميثَنه]

وفى هذه السنة غزا قتيبة نومُشكَث وراميثَنه .

* ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه :

٢/١١٩٥ ذكرَ عليّ بنُ محمد، أنّ المفضّل بن محمد أخبَرَه عن أبيه ومصعب بن حيّان ، عن مولًى لهم أدرك ذلك،أن قتيبة غزا نومشكَث فى سنة ثمان وثمانين، واستَخلَف على مرْو بشّار بن مُسلم ، فتلقّاه أهلُها ، فصالَحهم ، ثم صار إلى راميثنه فصالَحه أهلُها ، فانصرَف عنهم[1] وزحَفَ إليه الترْك، معهم[2] السُّغْد وأهلُ فَرْغانة ، فاعترَضوا المسلمين فى طريقِهم، فلَحِقوا عبدَالرحمن ابن مسلم الباهليّ وهو على الساقة ، بينه وبين قُتيبة وأوائلِ العسكر مِيلٌ ، فلما قربوا منه أرسل رسولاً إلى قتيبةَ بخبره ، وغشِيَه الترك فقاتَلوه ، وأتى الرسولُ قتيبةَ فرَجَع بالناس، فانتهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلُهم، وقد كاد

(١) ب : «عنها» . (٢) ب : «ومعهم» .

التّرْك يستعملُونهم، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبَروا ، وقاتلوهم إلى الظهر ، وأبلَى يومئذ نيزكُ وهو مع قتيبة ، فهزَم اللهُ الترك ، وفضّ جَمعهم ، ورجع قتيبةُ يُريدُ مَرْوَ، وقطع النهر من التِّرمِذ يريد بَلْخ ، ثم أتى مَرْوَ . وقال الباهليّون : لَقِي التّرْك المسلمين عليهم كُور مغانون[1] التركيّ ابن أخت مَلِك الصِّين فى مائتى ألف ، فأظهر اللهُ المُسلِمين عليهم .

* * *

[ذكر ما عمل الوليد من المعروف]

وفى هذه السنة كتب الوليد بنُ عبد الملك إلى عمرَ بن عبد العزيز فى تسهيل الثنايا وحَفْر الآبار فى البُلْدان .

قال محمد بنُ عمر : حدّثنى ابنُ أبى سَبْرة ، قال : حدّثنى صالح بن كَيْسان، قال : كتب الوليدُ إلى عمَر فى تسهيل الثنايا وحَفْر الآبار بالمدينة، وخرجتْ كتبُه إلى البُلْدان بذلك ، وكتب الوليدُ إلى خالد بن عبد الله بذلك . قال : وحَبَس المجذّمين عن أن يخرجوا على الناس ، وأجرَى عليهم أرزاقًا ، وكانت[2] تُجرَى عليهم .

١١٩٦/٢

وقال ابن أبى سَبْرة ، عن صالح بن كَيْسان؛ قال : كتب الوليدُ إلى عمَر ابن عبد العزيز أن يعمل الفوّارة التى عند دار يزيدَ بن عبد الملك اليومَ ، فعَمِلها عمرُ وأجرَى ماءَها ، فلما حجّ الوليد وقَف عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفوّارة ، فأعجبتْه ، وأمَرَ لها بقُوّام يَقُومون عليها ، وأن يُسقَى أهلُ المَسجِد منها ، ففُعِل ذلك .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز فى رواية محمّد بن عمر . ذكَر أنّ محمد بن عبد الله بن جُبير — مولًى لبنى العباس — حدّثه عن صالح بن كَيْسان، قال : خرج عمرُ بن عبد العزيز تلك السنة — يعنى سنة ثمان وثمانين — بعدّة من قريش ، أرسل إليهم بِصِلات وظَهْر للحُمولة ، وأحرموا معه من ذى الحُلَيْفة ، وساق معه بُدْنا ، فلما كان بالتّنعيم لقيَهم نَفَر

(١) ط : « كور بغانون » .   (٢) ب : « فكانت » .

من قريش، منهم ابن أبى مُلَيكة وغيره ، فأخبروه أنّ مكّة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاجّ العَطَش ، وذلك أن المطر قلّ ، فقال عمر : فالمَطْلب هاهنا بيِّن، تعالوا نَدْعُ الله . قال : فرأيتُهم دَعَوْا ودعا معهم ، فألحّوا فى الدّعاء . قال صالح : فلا[1] واللهِ إن وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع ١١٩٧/٢ المطر حتى كان مع الليل ، وسكَبت السماء ، وجاء سَيْلُ الوادى ، فجاء أمرٌ خافَه أهلُ مكة، ومُطرت عَرفةُ ومِنًى وجُمْعٌ ؛ فما كانت إلا عُبْراً ، قال : ونبتت مكّة تلك السنة للخِصْب .

وأمّا أبو مَعشَر فإنه قال : حجّ بالناس سنة ثمان وثمانين عمرُ بنُ الوليد ابن عبدِ الملك ، حدّثنى بذلك أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاقَ ابن عيسى عنه .

وكانت العمّال على الأمصار فى هذه السنة العمّال الذين ذكرْنا أنهم كانوا عمّالها فى سنة سبع وثمانين .

---

(١) ب : « فوالله » ، س : « ولا والله » .

ثمّ دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

* * *

[خبر غزو مسلمة أرض الرّوم]

فمن ذلك افتتاحُ المسلمين فى هذه السنة حصنَ سُورية ، وعلى الجيش مَسلَمة بن عبد الملك ، زَعَمَ الواقدىّ أنّ مَسلَمة غزا فى هذه السنة أرضَ الرّوم ، ومعه العبّاس بنُ الوليد ودخلاها جميعًا ثمّ تفرّقا ، فافتتح مَسلَمة حصنَ سُورية ، وافتتَح العبّاس أذرولية ، ووافق من الرّوم جَمْعاً فهزَمهم.

وأما غيرُ الواقدىّ فإنه قال : قصدمَسلمة عَمورّية فوافق بها للرّوم جَمعًا كثيراً ، فهزَمهم الله ، وافتتح هِرَقْلةَ وقمودية . ٢ / ١١٩٨

وغزا العبّاس الصائفة من ناحية البُدَنْدُون .

* * *

[خبر غزو قتيبة بخارى]

وفى هذه السنة غزا قُتيبةُ بُخارَى ، ففتح رامِيثنه . ذكر علىّ بنُ محمّد عن الباهليّين أنهم قالوا ذلك ، وأن قتيبة رَجَع بعد ما فتحها فى طريق بَلْخ ، فلمّا كان بالفارياب أتاه كتاب الحجّاج : أن رِدْ وَرْدان خُذَاه . فرَجَع قتيبة سنة تسع وثمانين ، فأتى زَمّ ، فقطع النهر ، فلقيَه السُّغد وأهل كِسّ ونَسَف فى طريق المفَازة ، فقاتَلوه ، فظَفِر بهم ومَضَى إلى بُخارَى ، فنَزل خَرْقانة السفلى عن يمين وَرْدان ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتَلهم يومَين وليلتَين ، ثمّ أعطاه الله الظّفَر عليهم ؛ فقال نَهار بن تَوسِعَة :

وباتت لَهُمْ منَّا بخَرْقانَ لَيْلة ... ولَيْلَتُنا كانت بِخَرْقانَ أَطْوَلَا

قال علىّ : أخبرَنا أبو الذّيّال عن المهلّب بن إياس ، وأبو العلاء عن

٢/١١٩٩ إدريس بن حنظلة ، أنّ قتيبة غزا وَرْدانَ خُذَاه [١] ملك بُخارَى سنة تسع وثمانين فلم يُطِقْه، ولم يَظفر من البلد بشيء ، فرجع إلى مرْو ، وكَتَب إلى الحجاج بذلك ، فكَتَب إليه الحجاج : أنْ صَوِّرْها لي، فبعث إليه بصُورتها ، فكتَبَ إليه الحجّاج: أن ارجِع إلى مَراغتك [٢] فتُبْ إلى الله مما كان منك ، وأتِها من مكان كذا وكذا .

وقيل : كتَبَ إليه الحجاج أن كِسْ بكسّ وانسفْ نَسف وردْ وَرْدان ، وإيّاك والتحويط [٣] ، وَدعْني من بُنيّات الطريق [٤] .

* * *

[خبر ولاية خالد القسرىّ على مكة]

وفى هذه السنة ولِيَ خالد بن عبد الله القَسْرىّ مكّة فيما زعم الواقدىّ ، وَذكَر أنّ عمَر بن صالح حدّثه عن نافع مولًى بنِى مخزوم،قال : سمعت خالدَ بنَ عبد الله يقول على مِنبرِ مكّة وهو يخطب :

أيّها الناس ، أيّهما أعظَم ؟ أخليفةُ الرّجل على أهلِه ، أمْ رسوله إليهم ؟ والله لو لم تَعلَموا فَضْل الخَليفة ، إلا أنّ إبراهيمَ خليلَ الرّحمن استَسْقَى فسَقاه ملْحًا أجاجاً، واستسقاه [٥] الخليفةُ فَسقاه عَذباً فراتاً، بِئْراً حفَرَها الوليد بنُ عبد الملك بالثّنيّتين — ثَنيّة طوًى وثنيّة الحَجُون [٦] — فكان ينقَل

٢/١٢٠٠ ماؤها فيوضَع فى حوض من أدَم إلى جَنْب زمزمَ ليُعْرف فضلُه على زَمْزَم .

قال : ثمّ غارت البئر فذهبتْ فلا يُدرَى أين هيَ اليوم .

---

(١) ب : « خداه » .

(٢) المراغة فى الأصل: متمرّغ الدابة ؛ أراد بها بخارى أى أن يفتحها ويتخذها معقلا يتقلب فيه كما تتقلب الدابة فى مراغتها .

(٣) حوّط حول الأمر ، أى دار ، وأصله من حوط كرمه تحويطاً ، أى بنى حوله حائطاً؛ يريد : إياك والدوران فى القول وكثرة المراجعة فيه .

(٤) بنيّات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادّة ، أى اسلك الطريق المستقيم الذى لا تعريج فيه .

(٥) ب: « واستسقى » .

(٦) ابن الأثير : « بثنية طوى فى ثنية الحجون » .

* * *

وفيها غَزَا مَسْلمة بنُ عبد الملك التُّرْكَ حتى بلغ البابَ من ناحية أذْرَبيجان ، ففَتَح حُصونًا ومدائنَ هنالك .

* * *

وحَجّ بالناس فى هذه السنة عمر بنُ عبد العزيز ، حدّثنى بذلك أحمدُ ابنُ ثابت ، عمّن ذَكَره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى مَعشَر .

وكان العمّال فى هذه السنة على الأمصار العمال فى السنة التى قَبْلَها ، وقد ذكرناهم قَبْلُ .

ثمّ دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فى هذه السنة غزا مَسْلمةُ أرضَ الرّوم ـ فيما ذكَر محمد بن عُمَر ـ من ناحية سُورِية ، ففَتَح الحصونَ الخمسةَ التى بسُورِية .

وغزا فيها العباس بن الوليد ؛ قال بعضهم: حتّى بلَغ الأرزَن ؛ وقال بعضُهم: حتّى بلَغ سُورِية . وقال محمد بن عمر : قولُ مَن قالَ : حتى بلَغ سُورِية أصحّ .

وفيها قتَل محمدُ بن القاسم الثقفىّ داهرَ بن صصّة ملِك السِّند، وهو على جيش من قِبَل الحجّاج بن يوسف .

وفيها استَعمَل الوليدُ قُرَّةَ بن شريك على مصرَ موضع عبدِ الله بن عبد الملك .

١٢٠١/٢ وفيها أسرت الرّومُ خالدَ بن كَيْسان صاحب البحر ، فذهبوا به إلى ملِكهم ، فأهداه ملك الروم إلى الوَليد بن عبد الملك .

* * *

[خبر فتح بخارى]

وفيها فتَح قتيبةُ بُخارَى ، وهزَم جُموعَ العدوّ بها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علىّ بن محمد أن أبا الذّيال أخبرَه عن المهلّب بن إياس؛ وأبا العلاء عن إدريس بن حنْظلة؛ أنّ كتَاب الحجّاج لمّا وردعلى قتيبة يأمره بالتوبة مما كان، من انصرافه عن وَرْدانَ خُذاه ملك بُخارَى قبل الظفر به والمصيرِ إليه ، ويعرّفه الموضعَ الذى ينبغى له أن يأتىَ بلده منه ، خرج قُتيبة إلى بُخارَى فى سنة تسعين غازيًا ، فأرسَل وَرْدان خذاه إلى السُّغْد والتُّرْك ومَن حَولَهم

يستنصرونهم [١]، فأتوهم وقد سبَق إليها قتيبةُ فحصَرهم، فلمّا جاءتهم أمدادُهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزْد : اجعلونا على حِدَة [٢]، وخلّوا بيننا وبين قتالهم . فقال قتيبة : تقدّموا؛ [٣]فتقدّموا يقاتلونهم[٣] وقتيبةُ جالسٌ، عليه رِداءٌ أصفر فوقَ سلاحِه، فصبَروا جميعًا مليًّا ، ثمّ جالَ المسلمون ، وركِبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا فى عسكر قتيبة وجازوه حتى ضربَ النساءُ وجوهَ الخيل وبكَين ، فكرّوا راجعين، وانطوت مُجنّبتا المسلمين على الترك ، فقاتلوهم حتى ردّوهم إلى مواقفهم ، فوقف الترك على نَشَز ، فقال قتيبة : مَن يُزيلهم لنا عن هذا الموضع [٤] ؟ فلم يقدم عليهم أحد ، [٥]والأحياء كلّها وقوف[٥] . ١٢٠٢/٢

فمشى قتيبة إلى بنى تميم، فقال : يا بنى تميم، إنكم أنتم بمنزلة الحطميّة، فيومٌ كأيّامكم، أبى [٦] لكم الفداء ! قال: فأخذ وكيعٌ اللواءَ بيده، وقال: يا بنى تميم ، أتسلمونني اليوم ؟ قالوا : لا يا أبا مطرّف — وهريم بن أبى طَلْحة المُجاشعىّ على خيل بنى تميم ووكيع رأسُهم، والناس وقوف — فأحجَموا جميعًا، فقال وكيع : يا هُرَيمُ، قَدِّم [٧]، ودفع إليه الرّاية، وقال: قدّم خيلَك فتقدّم هُرَيم ، ودَبّ وكيع فى الرجال ، فانتهى هُرَيم إلى نهر بينه وبين العدوّ فوقف ، فقال له وكيع : اقحم يا هُرَيم ؛ قال : فنظر هُرَيم إلى وكيع نظرَ الجَمَل الصَّئول [٨] وقال : أنا أُقحِم [٩] خيلى هذا النهرَ ، فإن انكشفتْ كان هلاكُها! والله إنك لأحمق ؛ قال : يا بن اللّخناء، ألا أراك تردّ أمرى! وحذَفه بعَمود كان معه ، فضرَب هريم فرسَه فأقحمَه ، وقال: ما بعد هذا أشدّ من هذا، وعبر هُريم فى الخَيل، وانتهى [١٠] وكيع إلى النهر، فدعا بخَشَب؛ فقَنْطر النهر وقال لأصحابه : مَن وطّن منكم نفسَه على الموت فليَعبُر ، ومَن لا فليَثْبت مكانَه ؛ فما عبَر معه إلا ثمانمائة

(١) ب : « يستصرخهم فأتوه » .
(٢) ب : « ناحية » .
(٣ – ٣) ب : « فقاتلهم » .
(٤) ب : « الموقف » .
(٥ – ٥) ب : « والأحياء من العرب كلهم وقوف » .
(٦) ر : « إنى » .
(٧) ابن الأثير : « قدم خيلك » .
(٨) ب : « الهائج » .
(٩) ابن الأثير : « أأقحم » .
(١٠) ب : « فانتهى » .

راجل [١]، فدبّ فيهم حتى إذا أعيوا [٢] أقعدَهم فأراحوا حتّى دنا من العدّو ، فجعل [٣] الخيل مجنّبتين ، وقال لهريم: إنى مُطاعن القوم ، فاشغلْهم عنّا بالخيل ، وقال للناس : شُدّوا ، فحملوا فما انثنَوْا حتّى خالطوهم ، ١٢٠٣/٢ وحَمل هُريم بخيلَه عليهم فطاعنوهم بالرّماح، فما كفّوا عنهم حتى حدّروهم عن موقفهم ، ونادى قتيبة : أما ترَون العدوّ منهزمين ! فما عبرَ أحدٌ ذلك النهر حتّى ولّى العدوّ منهزِمين ، فأتبعهم الناسُ ، ونادى قتيبة : مَن جاء برأس فله مائة .

قال : فزعم موسى بن المتوكّل القُريْعىّ ، قال : جاء يومئذ أحدَ عشرَ رجلا من بنى قُرَيع ، كلّ رجل يجىء برأس، فيقال له : من أنت ؟ فيقول : قُريعىّ . قال : فجاء رجل من الأزْد برأس فألقاه ، فقالوا له : مَن أنت ؟ قال: قُريعىّ؛ قال: وجَهْم بنُ زَحْر قاعد، فقال: كذَبَ والله أصلحك الله ! إنه لابن عمّى ؛ فقال له قُتيبة : وَيحك ! ما دعاك إلى هذا ؟ قال : رأيتُ كلّ من جاء قُريعىّ : فظننتُ أنه ينبغى لكلّ من جاء برأس أن يقول : قُريعىّ. قال : فضحك قُتيبة .

قال : وجُرح [٤] يومئذ خاقان وابنُه ، ورجع قتيبةُ إلى مَرْوَ ، وكتب إلى الحجّاج : إنى بعثتُ عبدَ الرحمن بنَ مسلم ، ففتح الله على يديه .

قال : وقد كان شهد الفتحَ مولًى للحجّاج ، فقَدِم فأخبرَه الخبر ، فغَضب الحجّاج على قتيبة ، فاغتمّ لذلك [٥] ، فقال له الناس . ابعثْ وَفْداً من بنى تميم وأعطِهم وأرضِهم يُخبروا الأميرَ أنّ الأمرَ على ما كتبْتَ ، فبعَث رجالاً فيهم عُرام بن شُتير الضّبىّ ، فلمّا قدموا على الحجّاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجّام بيَده مِقراض فقال: لأقطَعنّ ألسنتكم أو لتصدقُنّنى ، قالوا : ١٢٠٤/٢ الأميرُ قتيبة ، وبعث عليهم عبدَ الرحمن، فالفتحُ [٦] للأمير والرأسِ الذى يكون على الناس ، وكلّمه بهذا عُرام بن شُتير ، فسكَن الحجّاج .

---

(١) ب : « رجل » .
(٢) ب : « عبروا » .
(٣) ب : « وجعل » .
(٤) ب ، ر : « وخرج » .
(٥) ب : « كذلك » .
(٦) ب : « بالفتح » .

[خبر صلح قتيبة مع السُّغْد]

وفى هذه السنة جدّد قتيبةُ الصلحَ بينه وبين طَرْخون مَلِك السُّغْد .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال علىّ : ذكر أبو السَّرِىّ عن الجَهْم الباهلىّ ، قال : لما أوقع قتيبة بأهل بُخارَى ففَضّ جمعهم هابَه أهلُ السُّغْد ، فرجع طَرْخون مَلِك السُّغْد ومعه فارسان حتى وقف قريبًا من عسكر قُتيبة ، وبينهما نَهر بُخارى ، فسأل أن يَبعث إليه رجلاً يكلمه ، فأمر قتيبةُ رجلاً فدنا منه .

وأما الباهليّون فيقولون : نادى طَرْخونُ حيّانَ النَّبَطِىّ فأتاه ، فسألهم الصّلح على فِدْية يؤدّيها إليهم ، فأجابه قتيبة إلى ما طَلَب ، وصالحه ، وأخذَ منه رَهْنًا حتى يَبعثَ إليه بما صالحه عليه ، وانصرف طرخون إلى بلاده ، ورجع قتيبةُ ومعه نيزَك .

* * *

[غدر نيزَك]

وفى هذه السنة غَدَرَ نيزَك ، فنقض الصّلح الذى كان بينه وبين المسلمين وامتنعَ بقلعته ، وعاد حَرْبًا ، فغزاه قُتيبة .

* ذكر الخبر عن سبب غدره وسببِ الظَّفَر به :

قال علىّ : ذكر أبو الذّيال ، عن المهلّب بن إياس والمفضّل الضّبّىّ ، عن أبيه ، وعلىّ بن مجاهد وكُلَيب بن خَلَف العمىّ ؛ كلّ قد ذكر شيئًا فألّفته ؛ وذكر الباهليّون شيئًا فألحقتُه فى خبَر هؤلاء وألفتُه ؛ أنّ قتيبة فَصَل من بخارَى ومعه نيزَك وقد ذَعَره ما قد رأى من الفُتوح ، وخاف قتيبة ، فقال : لأصحابه وخاصّته : مُتَّهَم أنا مع هذا ، ولستُ آمَنُه ؛ وذلك أنّ العربىّ بمنزلة الكَلْب ؛ إذا ضربتَه نَبَح ، وإذا أطعَمْته بَصْبَص واتّبعك ، وإذا غَزَوْته ثم أعطيتَه شيئًا رضىَ ، ونسىَ ماصنعتَ به ، وقد قاتَلَه طَرْخونُ مرارًا ، فلما أعطاه فدية قبِلها ورضىَ ، وهو شديد السَّطْوة فاجر

١٢٠٥/٢

فلو استأذنت[1] ورجعتُ كان الرأى ، قالوا : استأذِنه . فلما كان قتيبة بآمُل استأذَنَه فى الرّجوع إلى تُخارِستان ، فأذن له ، فلما فارق عسكرَه متوجِّهًا إلى بَلْخَ قال لأصحابه: أغِذُّوا السَّيرَ ؛ فساروا[2] سيرًا شديدًا حتى أتَوا النَّوبَهار[3] ، فنزَل يصلّى فيه وتبرّك به . وقال لأصحابه : إنى لا أشكّ أنّ قتيبة قد ندِم حين فارقَنا عسكَرُه على إذنه لى ، وسيَقدم الساعةَ رسولُه على المغيرة بن عبدالله يأمرُه بحَبْسى ، فأقيموا ربيئةً تنظر ، فإذا رأيتم الرسولَ قد جاوَزَ المدينةَ وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البرُوقان حتى نبلغ تخارِستان ، فيبعث المغيرة رجلا فلا يُدرِكنا حتى ندخلَ شِعبَ خُلْم ؛ ففعلوا .

قال : وأقبل رسولٌ من قِبل[4] قتيبة إلى المغيرة يأمرُه بحبس نيزَك . فلما مرّ الرّسول إلى المغيرة وهو بالبرُوقان — ومدينة بَلْخ يومئذ خَراب — ركب نيزَك وأصحابه فمضَوا ، وقَدِم الرسولُ على المغيرة فركب بنفسه فى طلبه ، فوَجَدَه قد دَخَل شِعب خُلْم ، فانصرف المغيرة ، وأظهر نيزَك الخلع ، وكتب إلى أصبهبذ بَلْخ وإلى باذام مَلِك مَرْوَرُوذ ، وإلى سهرب[5] مَلِك الطالقان ، وإلى ترسُل ملك الفارياب ، وإلى الجُوزجانىّ ملك الجُوزجان يدعوهم إلى خلْع قتيبة ، فأجابوه ، وواعَدَهم الرّبيع أن يجتمعوا ويغزُوا قتيبة . وكتب إلى كابل شاه يَستظهِر به ، وبعث إليه بثَقَله وماله ، وسأله أنْ يأذَن له إن اضطر إليه أن يأتيَه ويؤمِّنَه فى بلاده ، فأجابه إلى ذلك وضَمّ ثقَلَه.

٢/١٢٠٦

قال : وكان جبْغويه مَلِك تخارستان ضعيفًا ، واسمه الشذّ ، فأخذه نيزَك فقيَّده بقَيْد من ذهَب مخافة أن يَشغَب عليه — وجبغويه ملك تخارستان ونيزَك من عبيده — فلما استوثق منه وضعَ عليه الرّقباء ، وأخرج عاملَ قُتيبةَ من بلاد جبْغويه ، وكان العامل محمد بن سُلَيم الناصح ، وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء ، وقد تفرّق الجند فلم يَبقَ مع قتيبة إلا أهل مَرْو ، فبعث عبد الرّحمن أخاه إلى بَلْخ فى اثنىْ عشرَ ألفًا إلى البروقان ، وقال : أقم بها ،

٢/١٢٠٧

---

(١) ب : « استأذنته » . (٢) ب : « وسار » .
(٣) ب : « التوبهار » . (٤) ب : « عند » .
(٥) ط : « سهرك » ، وانظر الطبرى ٢ : ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ (أوربا) .

ولا تُحدِث شيئاً، فإذا حَسَر الشتاء فعَسْكِر وسِرْ نحو تخارستان، واعلم أني قريب منك، فسار عبدُ الرّحمن فنزل البروقان، وأمهَل قتيبة حتى إذا كان في آخر الشتاء كَتَب إلى أبرشهر وبَيورْد وسَرَخْس وأهل هَراة ليقدَموا قبل أوانِهم الّذى كانوا يَقدَمون عليه فيه .

***

[خبر فتح الطالقان]

وفي هذه السنة ، أوقع قتيبة بأهل الطالَقان بخراسان — فيما قال بعض أهل الأخبار — فقتل من أهلها مقتلةً عظيمة ، وصلب منهم سِمَاطيْن أربعة فراسخَ في نظام واحد .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك — فيما ذُكر — أنّ نيزَك طرخان لما غدر وخلَع قتيبة وعزَم على حرَبه ، طابَقَه على حربه ملِك الطالَقان ، وواعدَه المصيرَ إليه مَن استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قُتيبة ، فلما هَرَب نيزَك من قتيبة ودخل شِعب خلُم الذى يأخذ إلى طُخارِستان علِم أنه لا طاقةَ له بقُتيبة ، فهرَب ، وسار قُتيبةُ إلى الطالقان فأوقع بأهلها ، ففعل ما ذكرتُ فيما قبل .

وقد خُولِف قائلُ هذا القول فيما قال من ذلك ، وأنا ذاكرُه في أحداث سنة إحدى وتسعين .

*** ١٢٠٨/٢

وحَجّ بالنّاس في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز ، كذلك حدّثني أحمد ابن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعشَر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكّة والمدينة والطائف . وعلى العراق والمشرِق الحجّاج بن يوسف ، وعامل الحجّاج على البَصْرة الجرّاح بن عبد الله . وعلى قَضائها عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى الكوفة زياد بن جَرير بن عبد الله . وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى . وعلى خُراسان قتيبة بن مُسلِم . وعلى مصرَ قُرّة بن قَرّة بن شَرِيك .

[هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج]

وفى هذه السنة هَرَب يزيدُ بن المهلّب وإخوته الذين كانوا معه فى السجن مع آخرين غيرهم، فلَحِقوا بسُليمانَ بن عبد الملك مستجيرين به من الحجّاج ابن يوسف، والوليدِ بنِ عبد الملك.

* ذكر الخبر عن سبب تخلّصهم من سجن الحجّاج ومسيرِهم إلى سليمان:

قال هشام: حدّثنى أبو مِخنَف، عن أبى المُخارِق الراسبىّ، قال: خرج الحجّاج إلى رُستُقُباذ للبَعْث، لأنّ الأكرادَ كانوا قد غلبوا على عامة أرضِ فارسَ، فخرج بيزيدَ وبإخوته المفضّل وعبد الملك حتى قَدِم بهم رستقُباذ؛ فجعلهم فى عسكره، وجعل عليهم كهَيْئة الخَنْدق، وجَعلَهم فى فُسطاط قريبًا من حُجْرته، وجعل عليهم حرَسًا من أهل الشأم، وأغرَمَهم ستّة آلاف ألف، وأخذ يعذّبهم، وكان يزيدُ يَصبِر صبرًا حَسَنًا، وكان الحجّاج يَغيظُه ذلك، فقيل له: إنه رُمى بنُشابة فثبتت نصلُها فى ساقه، فهو لا يمسّها شىء إلا صاح، فإن حرّكت أدنى شىء سمعْت صوتَه، فأمَرَ أن يعذَّب ويُدهَق[1] ساقُه، فلما فُعل ذلك به صاحَ، وأخته هند بنت المهلّب عند الحجّاج، فلما سمعتْ صِياحَ يزيدَ صاحتْ وناحتْ، فطلّقها. ثمّ إنه كفّ عنهم، وأقبَل يستأدِيهم، فأخذُوا يؤدّون وهم يَعمَلون فى التخلّص من مكانهم، فبعثوا إلى مروانَ بن المهلب وهو بالبَصْرة يأمرونه أن يضمّر لهم الخيل، ويُرِى الناسَ أنه إنما يريد بيعَها ويَعرِضها على البيع، ويُغلى بها لئلّا تُشتَرى فتكون لنا عُدّةً إن نحن قَدرنا على أن ننجوَ مما هاهنا. ففعل ذلك مَروان، وحبيب بالبَصرة[2] يعذَّب أيضًا، وأمر يزيدُ بالحرَس فصُنع لهم طعام كثير فأكلوا؛ وأمَر بشراب فسُقُوا، فكانوا متشاغلين به، ولبِسَ يزيدُ ثيابَ طبّاخه، ووَضَع على لحيته لحية

(١) الدهق: شد الساق بخشبتين. (٢) ب: «يعذب بالبصرة».

بَيْضاء ، وخرج فرآه بعضُ الحرس فقال : كأنّ هذه مِشْية يزيد ! فجاء حتى استعرض وجهَه ليلا ، فرأى بياضَ اللحية ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ . وخرج المفضَّل على أثره ، ولم يُفطَن له ، فجاءوا إلى سُفنهم وقد هيَّئوها في البطائح ، وبينهم وبين البَصرة ثمانية عشرَ فَرْسخًا ، فلما انتهَوا إلى السفن أبطأ عليهم عبدُ الملك وشُغِل عنهم ، فقال يزيد للمفضّل : اركَب بنا فإنه لاحقٌ ، فقال المفضّل — وعبد الملك أخوه لأمّه — وهي بهلة ، هنديّة : لا والله ، لا أبرَح حتى يجيء ولو رجعتُ إلى السجن . فأقام يزيدُ حتى جاءهم عبدالملك ، وركبوا عند ذلك السفُن ، فساروا ليلتَهم حتى أصبحوا ، ولما أصبح الحرَس علِموا بذَهابهم ، فرُفع ذلك إلى الحجّاج ، وقال الفرزدق في خروجهم[1] : ١٢١٠/٢

فلمْ أر كالرَّهْطِ الذينَ تَتَابعــوا ... على الجِذْع والحرَّاسُ غيرُ نِيامِ

مَضوْا وهُمُ مُسْتَيْقنُونَ بأنَّهمْ ... إلى قَدَرٍ آجالُهمْ وحِمَــامِ

وإنْ منهمُ إلا يُسَكِّن جأشَهُ[2] ... بعَضْب صقِيلٍ صارمٍ وحُسام

فلمَّا التقَوْا لم يلتَقوا بمُنَفَّه[3] ... كبيرٍ ولا رَخْصِ العظام غلام

بمثلِ أبيهمْ حين تمّت لِدَاتُهُمْ ... لخمسين قلْ في جُرْأةٍ وتمَامِ ١٢١١/٢

ففزع له الحجّاج ، وذهبَ وهمه أنّهم ذَهبوا قِبَل خُراسان ، وبعث البريدَ إلى قتيبة بن مسلم يحذّره قدومَهم ، ويأمُره أن يستعدّ لهم ، وبعث إلى أمَراء الثغور والكُوَر أن يرصدوهم ، ويستعدّوا لهم ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يُخبِره بِهرَبهم ، وأنه لايراهم أرادوا إلا خُراسان . ولم يزل الحجّاج يظنّ بيزيدَ ما صنع ، كان يقول : إني لأظنه يحدّث نفسَه بمِثل الذى صنع ابنُ الأشعث .

ولمّا دنا يزيدُ من البطائح ، من مَوْقُوع[4] استقبلتْه الخيلُ قد هُيِّئت له ولإخوته ، فخرجوا عليها ومعهم دليلٌ لهم من كَلْب يقال له : عبد الجبّار بن يزيدَ بن الربعة ، فأخذ بهم على السَّمَاوَة ، وأتِيَ الحجّاج بعد يومين ، فقيل

(١) ديوانه ٨١٦ — ٨١٧ . (٢) الديوان : « وما منهم » .

(٣) كذا في ب والديوان ، والمنفّه : الضعيف من العلة . وفي ط : « بمنقه » .

(٤) موقوع : ماء بناحية البصرة .

له : إنما أخذ الرجل طريقَ الشأم ، وهذه الخيلُ حَسْرَى فى الطريق ، وقد أتِىَ من رآهم موجِّهين فى البرّ ، فبعث إلى الوليد يُعلِمه ذلك ، ومَضَى يزيدُ حتّى قَدِم فِلَسطين، فنَزَل على وهيب بن عبد الرّحمن الأزْدىّ — وكان كريمًا على سليمان — وأنزل بعضَ ثَقَله وأهلِه على سُفْيان بن سليمان الأزدىّ ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتّى دخل على سليمان ، فقال : هذا يزيدُ بن المهلَّب، وإخوتُه فى منزلى، وقد أتوك هُرّابًا من الحجّاج متعوِّذين بك ؛ قال : فأتِنى بهم فهم آمِنون لا يُوصَل إليهم أبداً وأنا حىّ . فجاء بهم حتّى أدخلَهم عليه ، فكانوا فى مكان آمِن . وقال الكلبىّ[1] دليلهُم فى مَسيرِهم :

٢/١٢١٢

ألا جَعَلَ اللهُ الأخِلّاءَ كلَّهُمْ ... فداءً على ما كان لابنِ المُهلَّبِ
لَنِعْمَ الفتى يا مَعْشَر الأزْد أسعَفَتْ ... رِكابُكُمُ بالوهب شَرْقىَّ مَنْقَبِ[2]
عَدَلْنَ يَميناً عنهمُ رَمْلُ عالِجٍ ... وذات يمينِ القومِ أعلامُ غُرَّبِ[3]
فَإلَّا تُصَبِّحْ بعدَ خَمْسٍ ركابُنا ... سليمانَ مِن أهل اللِّوى تتأَوَّبِ[4]
تَقَرَّ قَرار الشّمس ممّا وراءنا[5] ... وتذْهَبُ فى داجٍ مِنَ الليلِ غَيْهَب
بِقومٍ هُمُ كانوا الملوكَ هَدَيْتُهُمْ[6] ... بِظَلْماءَ لم يُبْصَرْ بها ضَوءُ كوكب
ولا قَمرٍ إلّا ضَئيلاً كأنه ... سِوارٌ حَنَاهُ صائغ السُّور مُذْهَب

قال هشام : فأخبرَنى الحسَن بن أبَان العُلَيمىّ ،قال : بينا عبد الجبار ابن يزيدَ بن الرّبعة يَسرِى بهم فسقطتْ عِمامةُ يزيدَ ، ففقَدَها فقال : يا عبدَ الجبار ، ارجعْ فاطلُبْها لنا ، قال: إنّ مِثلى لا يُؤمَر بهذا ، فأعاد، فأبى ، فتناوَلَه بالسوط ، فانتَسَب له ، فاستحيا منه ، فذلك قولُه :

٢/١٢١٣

ألَا جعلَ اللهُ الأخِلّاءَ كلَّهمْ ... فداءً على ما كان لابن المهلّبِ

---

(١) ب : « وقد قال ابن » .
(٢) ب : « ركابهم بالوهد » .
(٣) ب : « عزب » ، ر : « عرب » .
(٤) ب : « نتأوب » .
(٥) ب : « نفر فرار » .
(٦) ب : « بقوم من أبناء الملوك » .

وكتب الحجّاج: إن آل المهلب خانوا مالَ الله وهرَبوا منّى ولحقوا بسليمان، وكان آل المهلّب قَدِموا على سليمان ، وقد أمر الناس أن يحصّلوا ليسرّحوا إلى خراسان، لا يرَون إلا أنّ يزيدَ توجّه إلى خُراسان ليَفتِن مَن بها . فلما بلغ الوليدَ مكانُه عند سليمان هوّن عليه بعضَ ما كان فى نفسه، وطار غضباً للمال الذى ذَهَب به . وكتب سليمانُ إلى الوليد: إنّ يزيدَ بنَ المهلب عندى وقد آمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجّاج أغرَمهم ستّة آلاف ألف فأدَّوْا ثلاثة آلاف ألف، وبقى ثلاثة آلاف ألف، فهىَ علىّ. فكتب إليه : لا والله لا أؤمّنه حتى تبعث به إلىّ . فكتب إليه : لئن أنا بعثتُ به إليك لأجيئنّ معه ، فأنشدُك اللهَ أن تفضَحنى ولا أن تُخفِرنى. فكتَب إليه : والله لئن جئتَنى لا أؤمنه . فقال يزيد : ابعثنى إليه ، فوالله ما أحبّ أن أوقع بينك وبينه[1] عداوةً وحرْباً ، ولا أن يتشاءَم بى لكما الناسُ ، ابعث إليه بى[2]، وأرسل معى ابنَك ، واكتُب إليه بألطف ما قدَرتَ عليه . فأرسَلَ ابنه أيوب معه . وكان الوليد أمرَه أن يبعَث به إليه فى وَثاق ، فبعَث به إليه ، وقال لابنه : إذا أردتَ أن تَدخُل عليه فادخلْ أنتَ ويزيد فى سلسلة ثمّ ادخُلا جميعاً على الوليد ، ففعل ذلك به حين انتهيا إلى الوليد ، فدخَلا عليه، فلما رأى الوليدُ ابنَ أخيه فى سلسلة، قال: والله لقد بلغْنا من سليمان ! ثمّ إنّ الغلام دفَع كتابَ أبيه إلى عمّه وقال : يا أميرَ المؤمنين، نفسى فداؤُك! لا تُخفر ذِمّة أبى ، وأنت أحقّ من مَنَعها ، ولا تَقطَع منّا رجاءَ من رجَا السلامة فى جوارنا لمكاننا منك ، ولا تُذِلّ من رَجا العزّ فى الانقطاع إلينا لعزّنا بك . وقرأ الكتاب : ١٢١٤/٢

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سُليمان بن عبد الملك . أما بعدُ يا أميرَ المؤمنين ، فوالله إن كنتُ لأظنّ لو استجار بى عدوّ قد نابَذَك وجاهَدَك فأنزلتُه وأجرْتُه أنك لا تُذِلّ جارى، ولا تُخفر جِوارى، بلْه لم أجِرْ إلا سامعاً مطيعاً حَسَنَ البلاء والأثر فى الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثتُ به إليك، فإنْ كنتَ إنما تَغزو قطيعتى والإخفار لذمّتى، والإبلاغ فى مَساءتى، فقد

(١) ب : « بينه وبينك » . (٢) ب : « بى إليه » .

قدرتَ إن أنت فعلت . وأنا أعيذُك بالله من احترّاد[1] قطيعتى ، وانتهاكِ حُرْمتى وتركِ بِرّى وصلتى ، فوالله يا أميرَ المؤمنين ما تدرى ما بقائى وبقاؤك ، ولا متى يُفرّق الموت بينى وبينك! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سرورَه ألا يأتى علينا أجلُ الوفاة إلا وهو لى واصل ، ولحقّى مؤدّ ، وعن مساءتى نازع ، فليَفعل .

١٢١٥/٢ والله يا أميرَ المؤمنين ما أصبحتُ بشىء من أمر الدنيا بعد تقوَى الله فيها بأسرَّ منّى برضاك وسرورك . وإنّ رضاك مما ألتمس به رضوانَ الله ، فإنْ كنتَ يا أميرَ المؤمنين تريد يومًا من الدّهر مسرّتى وصلتى وكرامتى وإعظامَ حقّى فتجاوزْ لى عن يزيدَ ، وكلّ ما طلبْتَه به فهو علىّ .

فلما قرأ كتابَه ، قال : لقد شققنا على سليمانَ ! ثمّ دعا ابنَ أخيه فأدناه منه . وتكلّم يزيدُ فحمد اللهَ وأثنى عليه وصلى على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال :

يا أميرَ المؤمنين ، إنّ بلاءكم عندنا أحسنُ البلاء ، فمن ينْسَ ذلك فلسنا ناسيه ، ومن يكفُر فلسنا كافريه ، وقد كان من بلائنا أهلَ البيت فى طاعتكم والطعن فى أعين أعدائكم فى المواطن العظام فى المشارق والمغارب ما إنّ المنة علينا فيها عظيمة .

فقال له : اجْلس ، فجلس فآمنه وكفّ عنه ، ورجع إلى سليمانَ وسعى إخوتُه فى المال الذى عليه ، وكتب إلى الحجّاج :

إنى لم أصل إلى يزيدَ وأهلُ بيته مع سليمان ، فاكفُف عنهم ، والْهُ عن الكتاب إلىّ فيهم .

فلما رأى ذلك الحجاج كفّ عنهم . وكان أبو عُيَينة بن المهلّب عند الحجّاج عليه ألف ألف درهم ، فتركها له ، وكفّ عن حبيب بن المهلب . ورجع يزيدُ إلى سليمانَ بن عبد الملك فأقام عندَه يُعلّمه الهَيْئة ، ويتصنّع

١٢١٦/٢ له طيّبَ الأطعمة ، ويُهدى له[2] الهدايا العظام . وكان من أحسن الناس عنده منزلةً ، وكان لا تأتى يزيدَ بنَ المهلب هديّة إلا بعث بها إلى سليمان ، ولا تأتى سليمانَ هديّةٌ ولا فائدةٌ إلا بعث بنصفها إلى يزيدَ بن المهلّب ،

(١) الاحترّاد : من الحرد ؛ وهو القصد ، وفى ابن خلكان ٢ : ٢٧٠ : « اختيار » .

(٢) ب : « إليه » .

وكان لا تُعجبه جاريةٌ إلا بعث بها إلى يزيدَ إلا خطيئة الجارية . فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك ، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعرىّ ، فقال : انطلِق إلى سليمان فقل له : يا خالفةَ أهلِ بيته ، إن أمير المؤمنين قد بلغه[1] أنه لا تأتيك هديّة ولا فائدةٌ إلا بعثتَ إلى يزيدَ بنصفها ، وإنك تأتى الجاريةُ من جواريك فلا يَنقضى[2] طُهرُها حتى تَبعثَ بها إلى يزيدَ ، وقَبِّحْ ذلك عليه ، وعَيِّرْه به ، أتراك مبلِّغاً ما أمرتُك به ؟ قال : طاعتُك طاعة ، وإنما أنا رسول ؛ قال : فأته فقل له ذلك ، وأقِمْ عندَه ، فإنى باعث إليه بهدية فادفعها إليه ، وخُذْ منه البراءة بما تَدفعَ إليه .

ثمّ أقبلَ فمَضَى حتى قَدِم عليه وبين يديه المُصحَف ، وهو يقرأ ، فدخل عليه فسلّم ، فلم يردّ عليه السلام حتى فرغ من قراءته ، ثمّ رفع رأسَه إليه فكلّمه[3] بكلّ شىء أمرَه به الوليدُ ، فتمعّر وجهُه ، ثمّ قال : أما والله لئن قدرتُ عليكَ يوماً من الدهر لأقطعنّ منك طابقاً ! فقال له : إنما كانت علىّ الطاعة .

ثمّ خرج مِن عنده . فلما أتى بذلك الذى بعث به الوليدُ إلى سليمانَ ، دخل عليه[4] الحارثُ بنُ ربيعة الأشعرىّ وقال له : أعطِنى البراءةَ بهذا الذى دفعتُ إليك ، فقال : كيف قلتَ لى ؟ قال : لا أعيدُه عالماً أبداً[5] ، إنما كان علىّ فيه الطاعة . فسكَن ، وعلِم أن قد صدَقه الرّجل ، ثمّ خرج وخرجوا معه ، فقال : خُذُوا نصفَ هذه الأعْدال وهذه الأسْفاط[6] وابعثوا بها إلى يزيدَ[7] .

١٢١٧/٢

قال : فعلِم الرجلُ أنه لا يطيع فى يزيدَ أحداً ، ومكَث يزيدُ بن المهلب عند سليمانَ تسعةَ أشهر .

وتُوفّى الحجاج سنة خمس وتسعين فى رمضانَ لِتسع بقِين منه فى يوم الجمعة .

---

(١) ب : « وأنه قد بلغ أمير المؤمنين » . (٢) ب : « يقضى » .
(٣) ب : « وكلمه » . (٤) ب : « له » .
(٥) ر : « إليك أبداً » . (٦) ب : « ونصف هذه الأسفاط » .
(٧) ب : « يزيد بن المهلب » .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا ــ فيما ذكر محمد بن عمر وغيره ــ الصائفة عبدُ العزيز بن الوليد، وكان على الجيش مَسلَمة بن عبد الملك .

وفيها غزا أيضًا مَسلَمة التُّرك ؛ حتى بلغ البابَ من ناحية أذْرَبيجان ، ففُتِح على يديه مدائنُ وحُصون .

وفيها غزا موسى بن نُصَير الأندلس ، ففُتح على يديه أيضا مَدائنُ وحصون .

* * *

١٢١٨/٢ وفى هذه السنة قتَل قتيبةُ بنُ مسلم نيزَكَ طَرْخان .

* * *

[تتمّة خبر قتيبة مع نيزك]

رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد وقصّة نيزَك وظَفَر قُتيبة به حتى قتله . ولما قدم مَنْ كان قتيبةُ كتَب إليه يأمره بالقُدوم عليه من أهل أبْرَشَهْر وبيوَرْد وسرْخس وهَراةَ على قتيبة، سار بالناس إلى مَرْوَرّوذ واستَخلَف على الحرب حمّاد بن مسلم، وعلى الخَراج عبد الله بن الأهتم . وبلغ مَرْزُبان مَرْوَرّوذ إقبالُه إلى بلاده ، فهَرَب إلى بلاد الفُرْس . وقَدِم قتيبة مَرْوَرّوذ فأخذ ابنين له فقتَلَهما وصلَبهما ، ثمّ سار إلى الطالَقان فقام صاحبُها ولم يحارِبْه ، فكفّ عنه ، وفيها لصوص، فقتلهم قتيبة وصلبهم ، واستعمل على الطالقان عَمْرو بن مسلم، ومَضى إلى الفارياب ، فخرج إليه ملِك الفارياب مُذْعِناً مقراً بطاعته ، فرضيَ عنه ، ولم يَقتل بها أحداً ، واستعمَل عليها رجلا من باهِلةَ . وبلغ صاحبُ الجُوزجان خبرَهم ، فترَك أرضَه وخرَج إلى الجبال هارباً ، وسار قتيبةُ إلى الجُوزجان فلقيه أهلها سامعين مطيعين ،

فقَبِل منهم ، فلم يَقتُل فيها [1] أحداً ، واستعمل عليها عامرَ بنَ مالك الحِمّانىّ ، ثمّ أتى بَلْخَ فلقيَه الأصبهبَذ فى أهلِ بَلْخ ، فدخلها فلم يُقِم بها إلاّ يوماً واحداً .

٢/١٢١٩ ثم مضى يتبَع عبدَ الرحمن حتى أتى شعب خُلْم ، وقد مضى نيزَك فعسكَر ببَغْلان ، وخلف مُقاتِلةً على فم الشّعب ومَضايقه يمنعونه [2] ، ووضَع مُقاتِلةً فى قَلْعة حصينة من وراء الشّعب ، فأقام قتيبة أيّاماً يقاتلهم على مَضيق الشّعب لا يقدر منهم على شىء ، ولا يَقدِر على دخوله ، وهو مَضيقٌ ، الوادى يجرِى وسَطه ، ولا يَعرف طريقاً يُفضِى به [3] إلى نيزَك إلا الشّعب أو مفازة لا تحتَمل العساكر ، فبقى متلدّداً يلتمس الحِيَل .

قال : فهو فى ذلك إذْ قَدِم عليه الرّوب خان مَلِك الرّوب وسِمِنْجان ، فاستأمنَه على أن يدلّه على مَدخَل القَلْعة التى وراءَ هذا الشّعب ، فآمنه قتيبةُ ، وأعطاه ما سأله ، وبعث معه رجالا ليلاً ، فانتهى بهم إلى القَلْعة التى من وراء شِعْب خُلْم ، فطرَقُوهم وهم آمنون فقتَلوهم ، وهرب مَنْ بقِىَ منهم ومن كان فى الشّعب ، فدخل قتيبة والناسُ الشّعب ، فأتى القلعة ثمّ مضى إلى سِمِنْجان ونيزَك ببَغْلان بعين تدعى فَنْج جاه ، وبين سِمِنْجان وبَغْلان مفَازة ليست بالشديدة

قال : فأقام قتيبة بسِمِنْجانَ أياماً ، ثمّ سار نيزَك ، وقدّم أخاه عبد الرحمن ، وبلغ نيزَك فارتحَل من منزله حتى قطع واديَ فَرْغانة ، ووجّه ثَقَلَه وأموالَه إلى كابُل شاه ، ومضى حتى نَزَل الكرْز وعبد الرّحمن بن مسلم يتبَعه ، فنزل عبدُ الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ، ونزل قُتيبة أسكيمشت بينه [4] وبين عبد الرحمن فَرْسخان . فتحرّز نيزَك فى الكرز وليس إليه ٢/١٢٢٠ مَسلَكٌ إلا من وجه واحد ، وذلك الوجه صَعْب لا تُطيقه الدّوابّ ، فحصرَه قتيبة شهرَين حتى قلّ ما فى يد نيزَك من الطعام ، وأصابهم الجُدَرِىّ وجُدِّر جبغويه ، وخاف قتيبة الشتاء ، فدعا سُليماً الناصح ، فقال : انطلِق إلى نيزَك

(١) ب : « ولم يقتل بها » . (٢) ر : « يمنعون » .
(٣) ب : « فيه » . (٤) ب : « وبينه » .

واحتَلْ لأنْ تأتيَنى به بغيرِ أمان ، فإنْ أعياكَ وأبَى فآمِنه ، واعلم أنى إن عاينتُك وليس هو معك صلبتُك ؛ فاعمل لنفسك . قال : فاكتب لى إلى عبد الرحمن لا يُخالِفنى ؛ قال : نعم . فكتب له إلى عبد الرحمن فقَدِم عليه ، فقال له : ابعثْ رِجالاً فليكونوا على فَمِ الشِّعب ، فإذا خرجت أنا ونِيزَك فلْيَعطِفوا من ورائنا فيَحُولوا بينَنا وبين الشِّعب . قال : فبعث عبدُ الرحمن خَيْلا فكانوا حيث أمرَهم سُلَيم ، ومَضَى سُلَيم وقد حمل معه من الأطعمة التى تبقَى أياماً والأخْبِصة أوقاراً ، حتى أتى نِيزَك ، فقال له نِيزَك : خذلْتَنى يا سليم ، قال : ما خذلْتُك ، ولكنك عصيتَنى وأسأتَ بنفسك ، خلعتَ وغدرتَ ، قال : فما الرأى ؟ قال : الرأىُ أن تأتيَه فقد أمحَكْتَه[1] ، وليس ببارح موضعَه هذا ، قداعتزم على أن يَشْتُوَ بمكانه[2] ؛ هلك أو سلم ؛ قال : آتيه[3] على غيرِ أمان ! قال : ما أظنه يؤمنك لما فى قلبه عليك ، فإنك قد ملأتَه غيظاً ، ولكنى أرى ألّا يَعلم بك حتى تَضعَ يدَك فى يده ، فإنى أرجو إن فعلتَ ذاكَ أن يستحيَ ويعفوَ عنك ، قال : أترى ذلك[4] ؟ قال : نعم ؛ قال : إنّ نفسى لتأبَى هذا ، وهو إنْ رآنى قتلَنى ، فقال له سليم : ما أتيتُك إلا لأشيرَ عليك بهذا ، ولو فعلتَ لرجوتُ أن تَسلَمَ وأن تعودَ[5] حالُك عندَه إلى ما كانت ؛ فأما إذْ أبيتَ فإنى منصرِف . قال : فنغدّيك[6] إذاً ، قال : إنى لأظنكم فى شُغْل عن تَهيئةِ الطعام ، ومعنا طعامٌ كثير .

٢/١٢٢١

قال : ودعا سليم بالغَداء فجاءُوا بطَعام كثير لا عَهدَ لهم بمثله منذ حصروا ، فانتهَبه الأتراك ، فغمّ ذلك نِيزَك ، وقال سليم : يا أبا الهيّاج ، أنا لك من الناصِحين ، أرى أصحابَك قد جُهِدوا ، وإن طال بهم الحصار وأقمتَ على حالك لم آمَنهم أن يستأمنوا بك ، فانطلِق وأتِ قُتيبة ، قال : ما كنتُ لآمنَه على نفسى ، ولا آتيه على غير[7] أمان ؛ فإنّ ظنّى به أنه

---

(١) المحك : الغضب والمشارة .
(٢) ب : « مكانه » .
(٣) ب : « أفآتيه » .
(٤) ب : « ذاك » .
(٥) ب : « ويعود » .
(٦) ب : « فيغديك » .
(٧) ب : « بغير » .

قاتلى وإن آمننى ، ولكنّ الأمان أعذَر لى وأرجَى ، قال : فقد آمنك أفتتّهمنى ! قال : لا ، قال : فانطلق معى ، قال له أصحابه : اقبَل قولَ سليم ، فلم يكن ليقولَ إلا حقًّا ، فدعا بدوابّه وخرج مع سليم ، فلما انتهى إلى الدرجة التى يُهبط منها إلى قرار الأرض قال : يا سليم ، من كان لا يَعلم متى يَموت فإنى أعلَم متى أمُوت ، أموتُ إذا عاينتُ قُتيبة ؛ قال : كلّا أيقتلُك مع الأمان ! فركِب ومضَى معه جبغويه — وقد برَأ من الجُدَرِىّ — وصُولُ وعثمانُ ابنا أخى نيزَك — وصول طَرْخان خليفة جبْغويه ، وخنس طرخان صاحب شرطه [1] — قال : فلما خرج [2] من الشِّعب عطفَت الخيلُ التى خلفها سليم علَى فوّهة [3] الشعب ، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج ، فقال نيزَك لسُلَيم : هذا أوّل الشرّ ؛ قال : لا تفعل ، تخلُّف هؤلاء عنك خيرٌ لك . ١٢٢٢/٢

وأقبَل سليم ونيزَك ومن خرج معه حتّى دخلوا على عبد الرحمن بن مُسلِم ، فأرسل رسولاً إلى قتيبة يُعلمه ، فأرسَل قتيبةُ عَمرو بن أبى مِهزَم إلى عبدالرحمن : أن اقدم بهم علىّ ، فقَدِم بهم عبدُ الرحمن عليه ، فحَبَس أصحابَ نيزَك ، ودفع نيزَك إلى ابن بسّام الليثى ، وكتب إلى الحجّاج يستأذنه فى قتل نيزَك ، فجعل ابن بسام نيزَك فى قُبّته ، وحَفَر حولَ القبة خَنْدقاً ، ووَضَع عليه حرَساً . ووجّه قتيبةُ معاويةَ بن عامر بن علقمة العُلَيمىّ ، فاستخرج ما كان فى الكُرز مَنْ متاع ومن كان فيه ، وقَدِم به على قتيبة ، فحبسهم ينتظِر كتابَ الحجاج فيما كتب إليه ، فأتاه كتابُ الحجاج بعد أربعين يوماً يأمُره بقتْل نيزَك . قال : فدعا به فقال : هل لك عندى عقْد أوعند عبدِ الرحمن أو عند سليم ؟ قال : لى عند سليم ؛ قال : كذبتَ ، وقام فدَخَل ورَدّ نيزَك إلى حَبْسه ، فمكث ثلاثةَ أيام لا يَظهر للناس . قال : فقام [4] المهلب ابنُ إياس العدوىّ ، وتكلّم فى أمر نيزك ، فقال بعضهم : ما يَحِلّ له أن يقتُله ، وقال بعضهم : ما يَحِلّ له تركُه ، وكثرت الأقاويلُ فيه .

---

(١) ب : « شرطته » . (٢) ب : « خرجوا » .
(٣) ب : « فم الشعب » . (٤) ب : « خرجوا » .
(٥) كذا فى ر ، وفى ط : « فقال » .

وخرج قتيبة اليومَ الرابعَ فجلس وأذِن للناس، فقال: ما ترَوْن فى قَتْل نيزَك؟ فاختلَفوا، فقال قائلٌ: اقتلْه، وقال قائل: أعطيتَه عهداً فلا تقتُله؛ وقال قائل: ما نأمنه[1] على المسلمين. ودخل ضِرار بن حُصين الضّبيّ فقال: ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إنّى سمعتك تقول: أعطيتُ اللهَ عهداً إنْ أمكنَك منه أن تقتُلَه، فإن لم[2] تفعل لا ينصرنّك[2] الله عليه أبداً. فأطرق قُتيبةُ طويلا، ثمّ قال: والله لو لم يَبقَ من أجَلى إلا ثلاث كلمات لقلتُ: اقتُلوه، اقتُلوه، اقتُلوه؛ وأرسَل إلى نيزَك فأمر بقتلِه وأصحابه[3] فقتِل مع سبعمائة.

٢/١٢٢٣

وأما الباهليّون فيقولون: لم يؤْمنه ولم يُؤْمنه سُلَيم، فلما أراد قتلَه دعا به ودعا بسَيْف حنَفىّ فانتضاه[4] وطوّل كميّه[5] ثمّ ضرب عنقَه بيَده، وأمرَ عبد الرحمن فضرَب عنقَ صول، وأمر صالحًا فقتَل عثمان — ويقال: شُقْران ابن أخى نيزَك — وقال لبكر بن حبيب السهْمىّ من باهلة: هل بك قوّة؟ قال: نعم، وأريد — وكانت فى بكر أعرابيّة — فقال: دونَك هؤلاء الدّهاقين. قال: وكان إذا أتِيَ برجل ضرَب عنقَه وقال: أوردوا ولا تُصدروا، فكان مَن قتل يومئذ اثنا عشر ألفًا فى قول الباهليّين، وصلب نيزَك وابنَى أخيه فى أصل عين تُدعَى وخش خاشان فى أسكيمشت، فقال المغيرة بن حبْناء[6] يذكُر ذلك فى كلمة له طويلة:

لعَمْرى لَنِعْمَتْ غَزْوةُ الجُندغَزْوةً ... قَضَتْ نَحْبَهَا من نِيزكٍ وتَعلَّتِ

قال علىّ: أخبرَنا مصعَب بن حيّان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس نيزَك مع محفِن بن جزْء الكِلابىّ، وسوّار بن زَهْدم الجَرْمىّ، فقال الحجاج: إن كان قُتيبة لحقيقًا أن يَبعث برأس نيزَك مع ولَدِ مُسْلم، فقال سوّار:

٢/١٢٢٤

---

(١) ب: «تأمنه».
(٢ – ٢) ب: «يفعل فلا ينصرك».
(٣) ب: «فقتل وقتل أصحابه».
(٤) ب: «فانتضى».
(٥) ب: «كمه».
(٦) ابن الأثير: «نهار بن توسعة».

أَقولُ لِمحفَنٍ وجَرى سنيحٌ وآخَرُ بارح مِنْ عَنْ يَميِني
وَقَدْ جَعلَتْ بوائقُ من أمـــورٍ ترفَّع حولَه وتكفّ دونِى
نشدْتُكَ هَلْ يسُرّك أنَّ سَرْجى وسَرْجك فوق أبغُل باذيِنِ

قال : فقال محْفَن: نعم وبالصّين .

قال عليّ: أخبَرَنا حمزة بنُ إبراهيم وعليّ بنُ مجاهد، عن حنْبل بن أبي حريدة ؛ عن مَرْزبان قهسْتان وغيرِهما ، أنّ قتيبة دعا يومًا بنيزَك وهو محبوس ، فقال : ما رأيُك فى السَّبَل والشذ؟ أتراهما يأتيان إن أرسلتُ إليهما ؟ قال : لا ؛ قال : فأرسَل إليهما قتيبة فقَدِما عليه ، ودعا نيزَك وجبغويه فدخلا ، فإذا السَّبَل والشذّ بين يديه على كرسيّين ، فجلسا بإزائهما ، فقال الشذّ لقتيبة: إن جبغويه — وإن كان لى عدوًّا — فهو أسنّ منّى ، وهو المَلِك وأنا كعَبْده ، فأذنلى أدنُ منه ، فأذن له، فدنا منه ، فقبّل يده وسجَد له ، قال : ثم استأذنَه فى السَّبَل، فأذن له فدنَا منه فقبّل يده ، ٢/١٢٢٥ فقال نيزك لقتيبة : ائذن لى أدن من الشذّ ، فإنى عبْدُه ، فأذن له، فدنا منه فقبّل يده، ثمّ أذن قتيبة للسَّبَل والشذّ[1] فانصرفَا إلى بلادهما، وضم إلى الشذّ الحجّاج القينيّ،وكان من وُجوه أهلِ خراسان.وقتل قتيبةُ نيزَك، فأخذ الزبيرُ مولَى عابس الباهليّ خفًّا لنيزَك فيه جوهر ، وكان أكثرَ مَن فى بلاده مالاً وعقاراً؛ منذلك الجوهر الذى أصابه فى خُفّه. فسوّغه إياه قتيبة، فلم يزَل مُوسِراً حتى هلَك بكابُل فى ولاية أبي داود .

قال : وأطلَق قتيبة جبغويه ومَنّ عليه ، وبعث به إلى الوليد ، فلم يزل بالشأم حتى مات الوليد . ورجع قتيبة إلى مرْوَ ، واستعمل أخاه عبدَ الرحمن على بلْخ ، فكان الناسُ يقولون : غدَر قتيبة بنيزَك ، فقال ثابتُ قُطنة :

لا تَحْسبَنَّ الغَدْرَ حزماً فربَّما تَرقَّتْ به الأقدامُ يوْماً فزَلَّت

وقال:وكان الحجّاج يقول:بعثتُ قتيبةَ فتًى غِرًّا فما زدتُه ذراعًا إلا

(١) ب : « للشذ والسبل » .

زادنى باعاً .

قال علىّ : أخبرَنا حمزةُ بنُ إبراهيم ، عن أشياخ من أهل خُراسان ، وعلىّ بن مجاهد ، عن حَنْبل بن أبى حريدة ، عن مَرْزُبان قُهِسْتان وغيرِهما ، أن قتيبة بنَ مسلم لما رجع إلى مَرْوَ وقَتَل نيزَك طَلَب ملكَ الجُوزجان — وكان قد هرَب عن بلاده — فأرسَل يطلب الأمانَ ، فآمنه على أن يأتيَه فيصالحَه ، فطلبَ رُهُناً يكونون فى يديه ويُعطِى رهائن ، فأعطَى قتيبةُ حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حُصَين الباهلىّ ، وأعطى مَلِكُ الجوزجان رَهائنَ من أهل بيته ، فخلّف مَلِك الجوزجان حبيباً بالجُوزجان فى بعض[1] حُصونِه ، وقَدِم على قتيبة فصالَحه ، ثمّ رجع فمات بالطالقان . فقال أهلُ الجُوزجان : سمّوه ، فقَتلوا حبيباً ، وقتل قتيبة الرُّهُن الذين كانوا عندَه ، فقال نَهار بنُ تَوسِعة لقتيبة : ٢/١٢٢٦

أراك اللهُ فى الأتراك حُكماً كحُكْمٍ فى قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ

قضَاءٌ من قُتيبةَ غَيرُ جوْر بهِ يُشفَى الغليلُ من الصُدُورِ

فإن يرَ نِيزكٌ خزياً وذُلاً فكمْ فى الحَرب حُمِّق من أمير!

وقال المغيرة بنُ حَبْناء يَمدَح قتيبة ويذكر قتلَ نيزَك ووصول ابن أخى نيزَك وعثمان — أو شُقْران :

لِمَن الدِّيارُ عَفَتْ بسَفح سَنَامِ إلا بقيةَ أيصَرٍ وثُمامِ

عَصَفَ الرياحُ ذُيولَهَا فَمحَونَها وجَرَينَ فوق عِرَاصِهَا بتَمام

دارٌ لِجَاريَةٍ كأنَّ رُضابَها مِسكٌ يُشَابُ مزاجُهُ بِمُدَامِ

أَبلغ أَبا حَفصٍ قُتَيبَةَ مِدحتِى واقرأ عليه تحيتِى وسلامِى

يا سيفُ أبلغهَا فإنَّ ثَناءهَا حَسَنٌ وإنَّك شاهدٌ لمقامى

يسْمو فتَتَّضِعُ الرِّجالُ إذا سَما لِقُتَيْبَةَ الحَامِى حِمَى الإِسلام

---

(١) ب : « وبعض » .

لأغَرَّ مُنتجبٍ لكلِّ عظيمَــةٍ نخرٍ يباح به العدُوُّ لُهامِ(١)
عمصِى إذا هاب الجبانُ وأحمِشَتْ(٢) حربٌ تَسَعَّرُ نارُها بضِرَام
تُروَى القَنَاةُ مع اللواءِ أمامه تحتَ اللوامع والنحُورُ دوَام(٣)
والهامُ تفريهِ السُّيُوفُ كأنَّهُ بالقاعِ حينَ تَرَاهُ قَيْضُ نَعَام(٤) ٢ / ١٢٢٧
وترى الجيادَ مَعَ الجيَادِ ضَوامِرًا بفنَــائه لِحَوادث الأيام
وبِهِنَّ أنزَلَ نِيزَكًا من شاهق والكرز حَيْثُ يَرُوم كُلَّ مرام
وأَخاهُ شقرَاناً سَقيْتَ بكأْسهِ(٥) وسقَيْتَ كأْسهُمَا أخا باذَام
وتَرَكْتَ صولا حِينَ صال مُجَدَّلا يرْكَبْنَــهُ بدوَابر وحَــوَامِ

* * *

(خبر غزو قتيبة شومان وكسّ ونسف)

وفى هذه السنة – أعنِى سنة إحدى وتسعين – غزا قتيبة شُومان وكسّ ونَسَف غزْوَتَه الثانية وصالَحَ طَرْخانَ(٦).

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال علىّ : أخبرَنا بِشْر بن عيسى عن أبى صَفْوان ، وأبو السرِىّ وجبَلَة بن فرّوخ عن سليمان بن مجالد ، والحسن بن رشيد عن طُفيل بن مِرْداس العمىّ ، وأبو السرىّ المَرْوَزى عن عمه ، وبشْر بن عيسى وعلىّ ابن مجاهد ، ، عن حَنبل بن أبى حريدة عن مَرْزُبان قِهِسْتان، وعيَّاش ابن عبد الله الغَنَوىّ ، عن أشياخ من أهلِ خرُاسان،قال : وحدّثنى ظَئْرى– كلٌّ قد ذكَر شيئًا ، فألفته،وأدخلتُ من حديث بعضِهم فى حديث بعض– أنّ فيلسنشب باذق – وقال بعضهم : قيسبشتان(٧) مَلِك شومان – طرد عاملَ قتيبة ومَنَع الفِدْية التى صالح عليها قتيبة ، فبعث إليه قُتيبةُ عيَّاشا الغَنَوىّ ومعه رجلٌ من نُسّاك أهلِ خرُاسان يدعوان مَلِك شومان إلى أن يؤَدىَ الفِدْيَة ٢ / ١٢٢٨

(١) النحر : العاقل المجرب.
(٢) ب : «وأحمست».
(٣) ب : «دوامى».
(٤) ر : «بيض نعام».
(٥) ر : «وأخوه شقرانا سقيت».
(٦) ط : «طرخان».
(٧) ط : «قيسلشتان».

على ما صالح عليه قُتيبة، فقَدِما البلدَ، فخرجوا إليهما فرموهما، فانصرف الرجلُ وأقام عيّاش الغَنَوىّ فقال : أما هاهنا مسلمٌ! فخرج إليه رجلٌ من المدينة فقال : أنا مسلم، فما تريد ؟ قال : تُعيننى على جهادِهم ، قال : نعم ، فقال له عيّاش : كن خلْفى لتمنعَ لى ظَهْرى ، فقام خلْفه — وكان اسمُ الرجل المهلب — فقاتلَهم عيّاش ، فحمَل عليهم ، فتفرّقوا عنه ، وحمَل المهلّبُ على عياش من خلفه فقتَلَه، فوجدوا به ستّين جراحةً ، فغمّهم قتله ، وقالوا : قتلْنا رجلاً شجاعاً .

وبلغ قتيبة ، فسار إليهم بنفسه ، وأخذ[1] طريقَ بَلْخ ، فلما أتاها قدّم أخاه عبد الرحمن ، واستعمل على بَلْخ عَمرو بن مسلم ، وكان ملِكُ شومان صديقاً لصالح بن مسلم ، فأرسَل إليه صالح رجلاً يأمره بالطاعة ، ويَضمنُ له رِضَا قتيبة إن رجع إلى الصّلح ، فأبى وقال لرسول صالح : ما تخوّفنى به من قتيبة ، وأنا أمنعُ المُلوكِ حصْناً أرْمى أعلاه ، وأنا أشدُّ الناس قوساً وأشدّ الناس رَمياً[2] ، فلا تَبلغُ نُشابتى نصف حِصْنى ، فما أخاف من قتيبة ! فمضى قتيبة من بلْخَ فعبَر النهر ، ثم أتى شومان وقد تحصّن ملِكُها فوضع عليه المجانيقَ ، ورَمى حصنه فهشَمه ، فلما خاف أن يَظهَر عليه ، ورأى ما نَزلَ به جمَع ما كان له من مال وجوْهر فرمَى به فى عيْن فى وَسَط القلعة لا يُدرَك قعرُها .

قال : ثم فتَح القلعة وخرج إليهم فقاتَلهم فقُتل ، وأخذ قتيبةُ القلعة عنوة، فقتَل المُقاتلة وسَبى الذرّية[3] ، ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كِس ونَسَف، وكتَبَ[4] إليه الحجاج ، أنْ كس بكسّ وانسِفْ نَسَف[5] ، وإيّاك والتحويط . ففتَح كسّ ونَسَف ، وامتنَع عليه فِرْياب[6] فحرّقها فسمّيت المحترِقة . وسرّح قتيبة من كِس ونَسَف أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السُّغد[7] ، إلى طرخون، فسار حتى نزل بمرْج قريباً منهم ، وذلك فى وقت

٢ / ١٢٢٩

(١) ب : « فأخذ » .
(٢) كذا فى ب ، وفى ط : « أشده » .
(٣) ب : « من فيها » .
(٤) ب : « فكتب » .
(٥) ب : « نسفا » .
(٦) ب : « قريات » .
(٧) ب : « الصفد » .

العَصْر ، فانتَبذ الناسُ وشَرِبوا حتى عيثوا وعاثُوا وأفسدوا ، فأمر عبدُ الرحمن أبا مرضيّة — مولًى لهم — أن يَمنَع الناس من شُرْب العصير ، فكان يضربهم ويكسر آنيتهم ويصبّ نبيذَهم ، فسال فى الوادى ، فسُمِّى مَرْج النبيذ ، فقال بعضُ شعرائهم :

أمّا النّبيذُ فلستُ أشرَبُه أخشَى أبا مرضيّةَ الكَلْبِ
مُتعَسفاً يسْعَى بشِكّتِه يتَوَثَّب الحِيطانَ للشُّرْب

فقَبَض عبدُ الرحمن من طرخون شيئاً كان قد صالَحه عليه قُتيبة ، ودفع إليه رُهُنا كانوا معه ، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببُخارَى ، فرجعوا إلى مَرْو ، فقالت السُّغد لطَرخون : إنك قد رضيتَ بالذلّ واستطبْتَ[1] الجزْية ، وأنت شيخٌ كبير فلا حاجةَ لنا بك[2] . قال : فولُّوا من أحبَبْتم . قال : فولّوا غَوْزَك[3] ، وحبَسوا طرخون ؛ فقال طرخون : ليس بعد سَلْب المُلْك إلا القتل ، فيكون ذلك بيَدى أحبّ إلىّ من أن يليَه منى غيرى ، فاتّكأ على سيفه حتى خرج من ظَهْره . قال : وإنما صنعوا بطرخون هذا[4] حين خرج قتيبةُ إلى سِجِستان وولوا غوزك. ٢ / ١٢٣٠

وأما الباهليّون فيقولون : حَصَر قتيبةُ ملكَ شومان ، ووَضَع على قَلْعته المَجانيق ، ووَضع منجنيقاً كان يسميها الفَحْجاء ، فرَمَى بأوّل حَجَر فأصاب الحائط ، ورَمَى بآخَر فوقع فى المدينة ، ثمّ تتابَعت الحجارةُ فى المدينة فوقَع حَجَر منها فى مجلس المَلِك ، فأصاب رجلاً فقَتَله ، ففتح القلعة عَنْوَةً ، ثم رجع إلى كسّ ونسَف ، ثمّ مضى إلى بُخارَى فنَزلَ قريةً فيها بيتُ نار وبيتُ آلهة ، وكان فيها طَواويس ، فسمّوه مَنزل الطَّواويس ، ثمّ سار إلى طرخون بالسُّغْد ليقبِض منه ما كان صالَحه عليه ، فلما أشرَف على وادى السُّغْد فرأى حُسنَه تمثّل :

---

(١) ر : « وأعطيت » .
(٢) ب : « فيك » .
(٣) ويقال . « غورك » .
(٤) ب : « هذا بطرخون » .

وَادٍ خَصِيبٌ عَشيبٌ ظَـلَّ يمنَعُهُ   منَ الأَنِيسِ حذارُ اليوم ذى الرَّهَج[١]
وَرَدتُهُ بعَنَـانيجٍ مُسَوَّمَةٍ   يَرْدِينَ بالشُّعْثِ سفَّاكينَ للمُهَج[٢]

قال: فقبَض من طرخون صُلحه ، ثمّ رجع إلى بُخارَى فملَّك بُخارَى خُذاه غلامًا حدَثًا ، وقتَل من خاف أن يُضادَّه ، ثمّ أخذ على آمُل ثمّ أتى مَرْوَ .

قال : وذكر الباهِليّون عن بشار بن عَمرو ، عن رجل من باهِلَة ، قال : لم يفرُغ الناسُ من ضَرْب أبنيَتهم حتى افتُتحت القلعة .

* * *

[ولاية خالِد بن عبدالله القسْرىّ على مكة]

٢/ ١٢٣١ وفى هذه السنة ولَّى الوليدُ بنُ عبد الملك مكةَ خالدَ بنَ عبد الله القَسْرىّ فلم يزلْ واليًا عليها إلى أن مات الوليد. فذكَر محمدبن عمرَ الواقدىّ أنّ إسماعيلَ بنَ إبراهيم بن عُقْبة حدّثه عن نافع مولَى بنى مَخزوم ، قال : سمعتُ خالدَ بنَ عبد الله يقول :

يأيّها الناس ، إنكم بأعظم بلادِ الله حُرمة ، وهى التى اختار الله من البُلْدان ، فوَضَع بها بيتَه ، ثم كتَب على عباده حَجَّه من استطاع إليه سبيلاً . أيها الناس ، فعليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وإياكم والشبهات ، فإنى واللهِ ما أوتَى بأحد يَطعَن على إمامه إلا صلبتُه فى الحرَم . إنّ الله جعل الخلافَة منه بالموضع الذى جعَلَها ، فسلّموا وأطيعوا ، ولا تقولوا كيْتَ وكَيْت . إنه لا رأىَ فيما كتَب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه ، واعلموا أنه بلغنى أن قومًا من أهل الخلاف يقدمون عليكم ، ويقيمون فى بلادكم ، فإياكم أن تُنزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة ، فإنى لا أجد أحداً منهم فى منزل أحد منكم إلا هدَمتُ منزله[٣] ، فانظروا من تنزلون فى منازلكم ، وعليكم بالجماعة والطاعة ، فإنّ الفُرقة هى البلاءُ العظيم .

قال محمد بن عمرو : حدّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، عن موسى بن عُقْبة

---

(١) ب : « الموت والرهج » . (٢) العناجيج : جمع عنجوج ؛ وهى الخيل النجيبة .
(٣) ب : « هلمته » .

عن أبي حَبيبة ، قال : اعتمرتُ فنزلتُ دورَ بنى أسَد فى منازل الزّبير ، فلم أشعر إلا به يدعونى ، فدخلت عليه ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة ؛ قال : ما أنزلَكَ[1] فى مَنازل المُخالِف للطاعة ! قلت : إنما مُقامى إن أقمتُ يومًا أو بعضَه ، ثم أرجع إلى منزلى وليس عندى خلاف ، أنا ممن يُعظِم أمرَ الخلافة ، وأزعُم أن من جَحَدها فقد هَلَك . قال : فلا عَلَيكَ ما أقمتَ ، إنما يَكره[2] أن يُقيمَ مَن كان زاريًا على الخليفة ، قلت : معاذ الله ! ٢/١٢٣٢

وسمعتُه يومًا يقول : واللهِ لو أعلمُ أنّ هذه الوحْش التى تأمَن فى الحَرَم لو نطقتْ لم تقِرّ بالطاعة لأخرجتُها من الحَرَم . إنه لا يَسْكن حرمَ الله وأمْنَه مخالفٌ للجماعة ، زارٍ عليهم . قلتُ : وفق الله الأمير .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك ، حدّثنى أحمدُ بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى مَعشَر ، قال : حجّ الوليد بنُ عبد الملك سنة إحدى وتسعين .

وكذلك قال محمد بن عمَر : حدّثنى موسى بن أبى بكر ، قال : حدّثنا صالح بنُ كَيْسان ، قال : لما حضر قدوم الوليد أمرَ عمرُ بنُ عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يَخرجُون معه ، فيتلقَوْن الوليدَ بنَ عبد الملك ، منهم أبو بكر بنُ عبد الرحمن بن عبد الحارث بنِ هشام ، وأخوه محمد بنُ عبد الرحمن ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فخرجوا حتى بلَغوا السوَيْداء ، وهم مع عمر بنِ عبد العزيز — وفى الناس يومَئذ دوابٌّ وخَيْلٌ — فلقوا الوليدَ وهو على ظَهْر ، فقال لهم الحاجب : انزلوا لأمير المؤمنين ، فنزَلوا ، ثمّ أمرهم فركِبوا ، فدعا بعمَر بن عبد العزيز فسايرَه حتى نزل بذى خُشُب ، ثم أحضِروا ، فدعاهم رجلاً رجلا ، فسلموا عليه ، ودعا[3] بالغَداء ، فتغدَّوا عندَه ، وراح من ذى خُشُب ، فلما دخل المدينةَ غَدا إلى المسجد يَنظُر إلى بنائه ، فأخرِج الناس منه ، فما تُرِكَ

(١) ب : « فما أنزلك » . (٢) ر : « نكره » .
(٣) ب : « ثم دعا » .

٢/١٢٣٣ فيه أحدٌ، وبقى سعيد بنُ المسيِّب ما يجترئ أحد من الحرَس[١] أن يخرجه ، وما عليه إلا رَيْطتان ما تساويان إلا خمسةَ دراهم فى مُصَلّاه ، فقيل له : لو قمتَ ! قال : والله لا أقوم حتى يأتىَ الوقتُ الذى كنتُ أقوم فيه . قيل : فلو سلّمتَ على أمير المؤمنين ! قال : والله لا أقوم إليه . قال عمرُ بنُ عبد العزيز : فجعلتُ أعدل بالوليد فى ناحية المسجد رجاءَ ألّا يرى سعيداً حتى يقومَ ، فحانت من الوليد نَظْرة إلى القِبْلة ، فقال : مَنْ ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيدُ بنُ المسيِّب ؟ فجعل عمرُ يقول : نَعَم يا أميرَ المؤمنين ومِنْ حاله ومِنْ حاله ... ولو علم بمكانك لقامَ فسلّم عليك، وهو ضعيف البَصَر . قال الوليد : قد علمتُ حالَه ، ونحن نأتيه فنسلم عليه، فدارَ فى المسجد حتى وَقَف على القبر ، ثمّ أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنتَ أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرَّك سعيد ولا قام ، فقال : بخير والحمد لله ، فكيف أميرُ المؤمنين وكيفَ حالُه ؟ قال الوليد : خير والحمدُ لله . فانصرَف وهو يقول لعمرَ: هذا بقيّة الناس، فقلت : أجل يا أميرَ المؤمنين .

قال : وقَسّم الوليد بالمدينة رَقيقًا كثيراً عُجْماً بين الناس، وآنيةً من ذهب وفضّة ، وأموالاً وخَطَب بالمدينة فى الجُمُعة وصلى بهم .

قال محمد بنُ عمر : وحدّثنى إسحاقُ بن يحيى ، قال : رأيتُ الوليد يَخطب على منبرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يومَ الجمعة عامَ حَجَّ ، قد صَفّ له جُنْدُه صفّين من المِنبر إلى جدار مؤخر المسجد ، فى أيديهم

٢/١٢٣٤ الجِرَزَة وعُمُد الحديد على العواتق ، فرأيتُه طَلَع فى دُرّاعة وقَلَنْسُوَة ، ما عليه رداء ، فصَعِد المنبرَ ، فلما صَعِد سلم ثم جلس فأذن[٢] المؤذّنون ، ثم سكتوا ، فخَطَب الخطبةَ الأولى وهو جالس ، ثم قام فخَطَب الثانية قائمًا ، قال إسحاق : فلقيتُ رَجاءَ بنَ حَيْوَة وهو معه ، فقلتُ : هكذا يصنعون[٣]! قال : نَعَم ، وهكذا صنَع معاوية فهلمّ جرًّا ، قلتُ: أفلا تكلّمه ؟ قال : أخبرَنى قَبيصةُ بن ذُؤَيب أنه كلّم عبدَ الملك بنَ مروان

(١) ر : « الناس » . (٢) ب : « وجلس وأذن » .
(٣) ابن الاثير : « تصنعون » .

فأبَى أن يَفعل ؛ وقال: هكذا خَطَب عثمان ، فقلتُ: والله ما خَطَب هكذا ، ما خَطَب عثمان إلا قائمًا . قال رجاء : رُوِى لهم هذا فأخذوا به .

قال إسحاق: لم نَرَ منهم أحداً أشدّ تجبّراً منه .

قال محمد بن عمر : وقَدِم بطيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمجمَره وبكسْوَة الكَعْبة فنُشِرت وعُلقتْ على حبال فى المسجد من ديباج حَسَن لم يُرَ مثلُه قطّ ، فنَشَرها يومًا وطُوى[1] ورفع .

قال : وأقام الحجّ الوليد بن عبد الملك .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمّال الذين كانوا عمالَها فى سنة تسعين ، غير مكة فإنّ عاملَها كان فى هذه السنة خالد بن عبد الله القَسْرىّ فى قول الواقدىّ .

وقال غيرُه: كانت ولايَة مكّة فى هذه السنة أيضًا إلى عمر بن عبد العزيز .

---

(١) ب : «ثم طوى» .

٢/١٢٣٥

ثمّ دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمِن ذلك غَزْوة مَسلمةَ بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرضَ الرّوم ، ففُتِح على يَدَيْ مَسلمةَ حُصون ثلاثة ، وجَلَا أهلُ سُوسَنَةَ إلى جَوْف أرض الرّوم .

* * *

[فتح الأندلس]

وفيها غزا طارِقُ بنُ زياد مولَى موسى بن نصير الأندلسَ فى اثنَىْ عشرَ ألفًا ، فلَقِى مَلِكَ الأندلس — زَعَم الواقديّ أنه يقال له أدرينوق ، وكان رجلاً من أهل أصبهان ، قال : وهم مُلُوك عَجَمَ الأندلس — فزَحَفَ له طارق بِجَميع مَنْ معه ، فزحف الأدرينوق فى سَرِير الملك ، وعلى الأدرينوق تاجُه وقُفّازُه وجميعُ الحِلْية التى كان يَلْبَسها الملوك ، فاقتَتلوا قِتالاً شديداً حتى قَتَل الله الأدرينوق ، وفَتَحَ الأندلس سنة اثنتين وتسعين .

* * *

وفيها غَزَا — فيما زَعَم بعضُ أهل السيَر — قتيبةُ سِجِسْتانَ يريد رُتبيل الأعظم والزّابل ، فلما نَزَل سِجِسْتانَ تلقته رُسُلُ رُتبيلَ بالصُّلح ، فَقَبِل ذلك وانصرف ، واستَعمَل عليهم عبد ربّه بن عبد الله بن عُمير اللّيثيّ .

* * *

وحَجّ بالناس فى هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز وهو على المدينة ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى مَعشَر . ٢/١٢٣٦

وكذلك قال الواقديّ وغيرُه .

وكان عُمّال الأمصار فى هذه السنة عمّالها فى السنة التى قَبْلَها .

ثمّ دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فممّا كان فيها من ذلك غَزْوة العبّاس بن الوليد أرضَ الرّوم، فَفَتَح الله على يديه سَمَسْطِيَّة .

وفيها كانت أيضًا غَزْوة مَرْوان بن الوليد الرّومَ ، فَبلَغ خَنْجرَة .

وفيها كانت غزوة مَسلَمة بن عبد الملك أرضَ الرّوم ، فافتَتح ماسةَ وحصنَ الحديد وغَزالةَ وبرجمَة من ناحيةَ مَلطية .

* * *

[صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد]

وفيها قَتَل قتيبة ملك خام جرد ، وصالَح ملكَ خُوارَزْم صُلْحًا مجدّدًا .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

ذكَر عليُّ بنُ محمد أن أبا الذّيال أخبرَه عن المهلّب بن إياس والحسَن بن رشيد، عن طُفَيل بن مِرْداس العَمّيّ وعليّ بن مجاهد، عن حَنْبل ابن أبي حريدة ، عن مَرْزُبان قُهِسْتان وكليب بن خَلَف والباهليّين وغيرهم — وقد ذكر بعضُهم ما لم يَذكُر بعض فألفْته — أنّ مَلِك خُوارزْم كان ضعيفًا، فغلَبه أخُوه خُرَّزاذ على أمره — وخرّزاذ أصغَر منه — فكان إذا بلَغه أنّ عند أحد ممن هو منقطع إلى المَلِك جارية أو دابةً أو متاعًا فاخرًا أرسَل فأخذَه، أو بلَغه أنّ لأحد منهم بنتًا أو أختًا أو امرأةً جميلة أرسل إليه فغصبَه ، وأخذَ ما شاء ، وحبس ما شاء ، لا يَمتنع عليه أحد ، ولا يمنَعه الملكُ ، فإذا قيل له ، قال : لا أقوَى عليه ، وقد ملأه مع هذا غيْظًا ، فلما طال ذلك منه عليه كتَب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه يريد أن يسلّمها إليه ، وبعث إليه بمفاتيح مدائنِ خُوارزم، ثلاثة مفاتيح من ذهب، واشترط عليه أن يَدفَع إليه أخاه وكلّ مَن كان يُضادّه، يَحكُم فيه بما يرَى . وبعث في ذلك رُسُلا ، ولم يُطْلِع أحدًا من مرازبته ولا دهاقينه على ما كتَب به

٢/١٢٣٧

إلى قُتيبة ، فقَدِمتْ رسلُه على قتيبةَ في آخر الشتاء ووقت الغَزْو ، وقد تهيّأ للغَزْو ، فأظهَر قتيبة أنه يريد السُّغْد ، ورجع رُسُل خوارزم شاه إليه بما يُحِبّ من قِبَل قتيبة ، وسار واستخلف على مَرْوَ ثابتاً الأعورَ مولَى مُسلم.

قال : فَجمَع ملوكَه وأحبارَه ودهاقينه فقال : إنّ قتيبة يريدُ السُّغْد، وليس بغازيكم ، فهلمّ نتنعَّم في ربيعنا هذا . فأقبلوا [١] على الشرب [٢] ، والتنعم ، وأمنوا عند أنفسهم الغَزْو .

٢/١٢٣٨ قال : فلم يشعروا حتى نزل قتيبةُ في هَزَارَسْب دُون النهر ، فقال خُوارَزْم شاه لأصحابه : ما تَرَوْن؟ قالوا : نَرَى أنْ نقاتله [٣] ، قال : لكنّي لا أرى ذلك ، قد عجز عنه من هو أقوَى منا وأشدّ شوكَةً ؛ ولكنّي أرَى أن نَصرِفه بشيء نؤديه إليه ، فنصرِفه عامنا [٤] هذا ، ونرى رأيَنا . قالوا: ورأينا رأيك . فأقبَل خُوارَزم شاه فنَزَل في مدينة الفيل من وراء النهر .

قال : ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد ، فمدينة الفيل أحصنهن ، فنزلها خوارزم شاه — وقتيبة في هزارسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ — فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومَتاع ، وعلى أن يُعينَه على ملك خام جرد ، وأن يَفِيَ له بما كَتَب إليه ، فقبل ذلك منه قتيبة ، ووَفَى له . وبعث قتيبة أخاه إلى مَلِك خام جرد ، وكان يُعادِى خوارزم شاه ، فقاتلَه ، فقتلَه عبدُ الرحمن ، وغلَب على أرضه وقَدِم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير ، فقتلَهم ، وأمر قتيبةُ لمّا جاءه بهم [٥] عبد الرحمن بسريره فأخرِج وبَرَز للناس . قال: وأمر بقتل الأسرى فقتِل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخَلْف ظهره ألف . قال : قال المهلَّب بن إياس : أخِذتْ يومئذ سيوف الأشراف فضُرِبَ بها الأعناق ، فكان فيها ما لا يَقطَع ولا يَجرَح ، فأخذوا سَيْفي فلم يُضْرَب به شيء إلا أبانه ، فحَسَدَني بعضُ آل قتيبة ، فغمز الذي يضرب أن أصفح به ، فصفَح به قليلا ، فوقَع في ضِرْسِ المقتول فثلَمه .

٢/١٢٣٩

قال أبو الذّيال : والسيف عندي . قال: ودفع قتيبةُ إلى خوارزم شاه أخاه

(١) ب : « فهلموا » . (٢) ر : « الشراب » . (٣) ب : « نقاتل » .
(٤) ب : « عامتنا » . (٥) كذا في ب ، وفي ط : « لما جاءه بهم أخاه عبد الرحمن » .

ومَن كان يخالفُه فقَتلَهم ، واصطَفَى أموالَهم فبعث بها إلى قتيبة ، ودخل قتيبة مدينةَ فيل ، فقَبِل من خوارزم شاه ما صالَحه عليه ، ثم رَجَع إلى هزارسبَ . وقال كَعْب الأشْقرىّ :

رَمَتْكَ فِيلٌ بما فيها ومَا ظَلَمَتْ ورامَهاقبلك الفَجْفَاجَةُ الصَّلِفُ[1]
لا يُجْزِئُ الثَّغْرَ خَوَّارُ القَنَاة وَلَا هَشُّ المكاسِرِ والقَلبُ الذى يَجِفُ
هل تَذْكُرونَ ليالى التُّرك تَقتُلُهمْ ما دون كازَهَ والفَجْفَاجُ مُلتَحِف
لم يَركَبُوا الخيلَ إلا بعدما كبروا فَهمْ ثِقَال على أكتافها عُنُفُ
أَنتم شباس ومرداذان محتقرٌ وبسْخرَاء قبُورٌ حشْوُهَا القُلَف[2] ٢/١٢٤٠
إنى رأيتُ أبا حفص تُفَضِّلُهُ أيامُهُ ومَسَاعِى الناسِ تختَلِفُ
قيْس صَريح وبعضُ الناسِ يجْمَعُهُمْ قُرًى وريف فمنسوبٌ ومُقْتَرَف
لو كنتَ طاوَعتَ أهلَ العجزِ مااقتسَمُوا سبعِين ألفاً وعزُّ السُّغْدِ مُؤْتَنِفُ
وفى سمرقندَ أخرى أنت قاسِمُهَا لئن تأَخَّر عن حوبائك التَّلَفُ
ما قَدَّمَ الناسُ من خيرٍ سبقتَ به ولا يَفوتُك مما خلَّفُوا شَرَفُ

قال : أنشدنى علىُّ بنُ مجاهد :

* رَمتْكَ فيلٌ بما دون كاز ... *

قال : وكذلك قال الحسنُ بنُ رشيد الجُوزجانىّ ؛ وأمّا غيرُهما فقال :

* رمتك فيلٌ بما فيها ... *

وقالوا : فيلُ مدينة سَمرْقَنْد؛قال : وأثبتُها عندى قولُ علىّ بن مجاهد .

قال :وقال الباهليّون : أصاب قتيبةُ مِن خُوارزم مائة ألف رأس . قال : وكان خاصّةُ قتيبةَ كلموه سنة ثلاث وتسعين وقالوا : الناس كانّون قدِموا ٢/١٢٤١

(١) الأغانى ١٤ : ٢٩٩، ياقوت ٦ : ٤١٤ . والفجفاجة : الكثير الكلام .

(٢) رواية البيت فى الأغانى :

منهمْ شنَاسُ ومرداذاء نعرفه وفسخراء قبورٌ حَشْوها القلُفُ

قال فى شرحه « : شناس اسم أبى صفرة ، فغيره وتسمى ظالماً ، ومرداذاء : أبو أبى صفرة ، وعموه بسراق لما تعربوا . وفسخراء : جده وهم قوم من الخوز من أعمال أهل عمان ، نزلوا الأزد ثم ادعوا أنهم صليبة صرحاء منهم » .

من سِجِسْتانَ فأجمَّهم عامَهم هذا، فأبى. قال: فلمّا صالح أهل خُوارزم سارَ إلى السّغْد، فقال الأشقرىّ:

لو كنتُ طاوعتُ أَهل العَجْزِ ما اقْتَسموا   سبعين ألفا وعزُّ السُّغْد مُؤتَنِف

***

[فتح سمرقند]

قال أبو جعفر: وفى هذه السنة غزا قُتيبة بنُ مُسلم منصرفَه من خُوارزم سَمَرْقند، فافتتَحها.

* ذكر الخبر عن ذلك:

قد تقدّم ذكرى الإسناد عن القوم الذين ذكر علىّ بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالَح قتيبة صاحب خُوارزم، ثمّ ذكر مدرِجا فى ذلك أنّ قتيبة لمّا قبض صُلح خوارزم قام إليه المجشّر[1] بن مُزاحم السُّلَمىّ فقال: إنّ لى حاجةً، فأخْلِنى، فأخْلاه، فقال: إن أردتَ السُّغد يومًا من الدهر فالآن، فإنهم آمنون من أن تأتيَهم من عامِك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام. قال: أشار بهذا عليك أحد؟ قال: لا، قال: فأعلمتَه أحداً؟ قال: لا، قال: والله لئن تكلم به أحد لأضربنّ عنقَك. فأقام يومَه ذلك، فلما أصبح من الغد دعا عبدَ الرحمن فقال: سِرْ فى الفُرْسان والمُرامية، وقدّم الأثقالَ إلى مَرْو، فوُجّهت الأثقال إلى مَرْو، ومضى عبدُ الرحمن يَتْبع الأثقال يريدُ مَرْو يومَه كلّه، فلما أمسَى كتب إليه: إذا أصبحتَ فوجِّه الأثقالَ إلى مَرْوَ وسِرْ فى الفُرسان والمُرامية نحو السُّغْد، واكتُم الأخبار، فإنى بالأثَر.

٢/١٢٤٢

قال: فلما أتى عبدَ الرحمن الخبرُ أمَر أصحابَ الأثقال أن يمضوا إلى مَرْوَ، وسار حيث أمرَه، وخطَب قتيبةُ الناسَ فقال:

إن الله قد فتَح لكم هذه البلدة فى وقت الغَزْوُ فيه ممكن، وهذه[2] السُّغد شاغِرَةٌ برِجْلها، قد نقَضوا العَهْد الذى كان بيننا، منعونا ما كنّا

(١) ط: «المجر»، تحريف.   (٢) ب: «هذه».

صالَحْنا عليه طرخونَ ، وصَنعوا به ما بلَغكم ، وقال الله : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾[1] ، فسيرُوا على بَركة الله، فإنّى أرجو أن يكون خوارزم والسُّغْد كالنَّضير وقُريظة ، وقال الله : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا ﴾[2] .

قال : فأتى السُّغْد وقد سبَقَه إليها عبدُ الرحمن بن مسلم فى عشرين ألفاً ، وقَدم عليه قتيبةُ فى أهل خوارزم وبُخارَى بعد ثلاثة أو أربعة مِن نزولِ عبدالرحمن بهم ، فقال : إنا إذا نزَلنابِساحة قوم﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾[3]. فحصرَهم شَهْراً ، فقاتلُوا فى حِصارهم مِراراً من وجهٍ واحد .

وكتبَ أهلُ السُّغْد وخافوا طولَ الحصار إلى ملك الشاش وإخشاذ فَرْغانة : إن العرب إنْ ظفروا بنا عادوا[4] عليكم بمِثل ما أتَوْنا به ، فانظُروا لأنفسكم. فأجمَعوا على أن يأتوهم ، وأرسَلوا إليهم : أرسِلوا مَن يشغلهم حتى نبيّت عسكرَهم .

٢/١٢٤٣

قال : وانتخبوا فُرْساناً من أبناء المَرازِبة والأساوِرة والأشدّاء الأبطال فوجّهوهم وأمَروهم أن يبيّتوا عسكرَهم ، وجاءت عيونُ المسلمين فأخبَروهم . فانتخَب قتيبة ثلثمائة أو ستمائة من أهل النَّجْدة ، واستعمل[5] عليهم صالح ابن مسلم ، فصيّرهمُ فى الطريق الذى يخاف أن يُؤتَى منه . وبعث صالحٌ عيوناً يأتونه بخَبر القوم ، ونزل على فرسَخَين من عسكر القوم ، فرجعتْ إليه عيونُه فأخبروه أنهم يَصِلون إليه من ليلتِهم ، ففرّق صالحٌ خيلَه ثلاثَ فِرَق؛ فجعل كَميناً فى موضعَيْن ، وأقام على قارعةِ الطريق ، وطرَقَهم المشركون ليلا ، ولا يَعلمون بمكان صالح ، وهم آمنون فى أنفسِهم من أن يلقاهم أحدٌ دونَ العسكر ، فلم يَعلَموا بصالح حتى غَشوه . قال : فشَدّوا عليه حتى إذا اختلَفتِ الرماح بينهم خرج الكَمينان فاقتَتلوا . قال : وقال رجلٌ من البَراجم : حضرتُهم فما رأيتُ قطّ قوماً كانوا أشدّ قتالا من أبناء أولئك الملوك ولا أصبرَ ، فقتَلْناهم فلم يُفلِتْ منهم إلاّ نفرٌ يسير ، وحوَيْنا

(١) سورة الفتح:١٠ . (٢) سورة الفتح:٢١ . (٣) سورة الصافات:١٧٧ .
(٤) ب : « أغاروا » . (٥) ب : « فاستعمل » .

سلاحَهم، واحتَزَزْنا رءوسَهم، وأسَرْنا منهم أسرَى ، فسألناهم عمّن قَتَلْنا ، فقالوا : ما قتلتم إلا ابن مَلِك ، أو عظيماً من العُظماء ، أو بَطلاً من الأبطال ؛ ولقد قتلتم رجالا إنْ كان الرجل ليُعدَل بمائة رجل . فكتَبْنا على آذانهم ، ثمّ دخلْنا العسكرَ حين أصبحْنا وما منا رجل إلا معلّق رأساً معروفاً باسمه ، وسَلَبنا من جيّد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ودوابَّ فُرَّهة ، فنفّلنا قتيبةَ ذلك كله. وكَسَر ذلك أهلَ السُّغد، ووضع قتيبة عليهم المجانيقَ ، فرماهم بها ، وهو فى ذلك يُقاتلهم لا يُقلع عنهم ، وناصَحه مَن معه من أهل بُخارَى وأهلِ خُوارزم ، فقاتلوا قتالا شديداً ، وبذلوا أنفسَهم . ٢/١٢٤٤

فأرسَل إليه غوزَك : إنما تقاتلنى بإخوتى وأهل بيتى من العَجَم ، فأخرِجْ إلىّ العرَبَ ، فغضب قتيبة ودعا الجدلىّ فقال : اعرِض الناس، وميِّز ، أهل البأس فجمَعهم ، ثمّ جلس قتيبة يَعرِضهم بنفسه ، ودعا العُرَفاءَ فجعل يدعو برجل رجل . فيقول : ما عندك ؟ فيقول العريف : شجاع ، ويقول : ما هذا؟ فيقول : مختصر ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : جبَان ، فسمى قتيبة الجُبَناء الأنتان ، وأخذ خيلَهم وجيّدَ سلاحهم فأعطاه الشُّجعان والمختصرين ، وترَك لهم رثّ السلاح ، ثمّ زحف بهم فقاتلَهم بهم فُرساناً ورجالاً ، ورَمَى المدينة بالمجانيق ، فثَلم فيها ثُلْمةً فسدّوها بغرائر الدُّخن ، وجاء رجل حتى قام على الثُلْمة فشتَم قتيبةَ ، وكان مع قتيبة قومٌ رُماة ، فقال لهم قتيبة : اختاروا منكم رجلين، فاختاروا ، فقال : أيكما يرمى هذا الرجل ، فإنْ أصابَه فله عشرةُ آلاف ، وإن أخطأه قُطعتْ يده ؟ فتلكَّأ أحدُهما وتقدّم الآخرُ ، فرماه فلم يُخطئْ عينَه ، فأمَر له بعَشرة آلاف .

قال : وأخبرَنا الباهليُّون ، عن يحيى بنِ خالد، عن أبيه خالد بن باب مولَى مُسلم بنِ عمرو، قال : كنتُ فى رُماة قتيبة ، فلما افتتَحنا المدينةَ صعدتُ السور فأتيتُ مُقامَ ذلك الرّجل الذى كان فيه فوجدتُه ميّتاً على الحائط ، ما أخطأتِ النُّشابة عينَه حتى خرجتْ من قفاه ، ثمّ أصبحوا من ٢/١٢٤٥

غد فرمَوا المدينَة ، فثَلَموا فيها . وقال قتيبة : ألِحّوا عليها حتى تَعبُروا الثلْمة ، فقاتلوهم حتى صاروا على ثُلْمة المدينة ، ورماهم السّغد بالنشّاب ، فوَضَعوا تَرَسَتهم [1] فكان الرجل يضعُ ترسَه على عيْنه ، ثمّ يَحمِل [2] حتى صاروا على الثلمة ، فقالوا له : انصرِفْ عنا اليومَ حتى نصالحَك غداً .

فأما باهلة فيقولون : قال قُتيبة : لا نصالحهم إلا ورجالُنا على الثلْمة ، ومجانيقُنا تَخطِر على رءوسِهم ومدينتِهم .

قال : وأما غيرُهم فيقولون : قال قتيبة : جَزِعَ العبيدُ ، فانصرفوا على ظفرِكُم ، فانصرَفوا ، فصالَحهم من الغد على ألفَى ألف ومائتَى ألف [3] فى كلّ عام ، على أن يُعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأسٍ ، ليس فيهم صبىّ ولا شَيْخ ولا عيب ، على أن يُخلُوا المدينةَ لقُتيبة فلا يكون لهم فيها مُقاتِل ، فيُبنَى له فيه مسجد فيدخل ويصلى ، ويُوضَع له فيها مِنبَرٌ فيَخطب ، ويتغدّى ويَخرِج .

قال : فلما تمّ الصّلح بعث قتيبةُ عشرةً ، من كلّ خُمس برجلين ، فقبَضوا ما صالحوهم عليه ، فقال قتيبة : الآنَ ذلّوا حين صار إخوانهم وأولادهم فى أيديكم . ثمّ أخلَوا المدينة وبنَوا مسجداً ووَضَعوا مِنبراً ، ودخلَها فى أربعة آلاف انتخبَهم ، فلما دخلَها أتى المسجدَ فصلَّى وخطَب ثمّ تَغدَّى ، وأرسل إلى أهل السُّغْد : من أراد منكم أن يأخذَ متاعَه فليأخذْه ؛ فإنى لستُ خارجاً منها ، وإنما صنعتُ هذا لكم ، ولستُ آخذُ منكم أكثرَ مما صالحتُكم عليه ، غير أنّ الجُنْد يقيمون فيها .

١٢٤٦/٢

قال : أما الباهليّون فيقولون : صالَحهم قتيبةُ على مائة ألف رأسٍ ، وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقبَض ما صالحهم عليه ، وأتِىَ بالأصنام فسُلِبتْ ؛ ثم وُضعتْ بين يديه ، فكانت كالقَصْر العظيم حين جُمِعت ، فأمَر بتحريقها ، فقالت الأعاجم : إنّ فيها أصناماً مَنْ حرّقها هلَك ، فقال قتيبة . أنا أحرّقها بيدى ، فجاء غوزك ، فجثَا بين يديه وقال :

(١) ب : « ترسهم » . (٢) ب : « ويحمل » . (٣) بعدها فى ب : « مثقال » .

أيها الأميرَ ، إنّ شكرك عليّ واجب ، لا تَعرِض لهذه الأصنام ؛ فَدَعا قتيبة بالنار وأخَذَ شُعْلة بيَده ، وخرج فكبر ، ثم أشعلها ، وأشعل الناس فاضطرمتْ ، فوجَدُوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضّة خمسين ألف مثقال .

* * *

قال : وأخبرَنا مَخلَد بن حمزة بن بَيض ، عن أبيه ، قال : حدّثني من شَهد قتيبة وفَتْح سَمرقند أو بعض كُوَر خُراسان فاستخرَجوا منها قدُوراً عظاماً من نُحاس ، فقال قتيبة لحضين : يا أبا ساسانَ ، أترَى رقاش كان لها مِثل هذه القُدُور ؟ قال : لا ، لكن كان لعَيْلان قِدْر مِثل هذه القدور ، فضَحِك قتيبة وقال : أدركتَ بثأرك .

قال : وقال محمد بنُ أبي عُيَينة لسَلْم بن قتيبة بين يدَي سليمانَ بن عليّ : إنّ العَجَم ليعيِّرون قتيبةَ الغدرَ إنه غدر بخُوارَزْم وسَمرقَنْد .

قال : فأخبرَنا شيخٌ من بني سَدُوسَ عن حَمزةَ بن بيض قال : أصابَ قتيبةُ بخُراسانَ بالسُّغد جاريةً من ولد يَزدجرد ، فقال : أترَوْن ابنَ هذه يكون هَجيناً ؟ فقالوا : نعم ، يكون هَجيناً من قِبَل أبيه ، فبعث بها إلى الحجاج ، فبعث بها الحجّاج إلى الوليد ، فولدت له يزيدَ ابن الوليد .

٢/١٢٤٧

قال : وأخبرَنا بعضُ الباهليِّين ، عن نَهشَل بن يزيدَ ، عن عمه — وكان قد أدركَ ذلك كلَّه — قال : لما رأى غوزكُ إلحاحَ قتيبةَ عليهم كَتَب إلى ملك الشاش وإخشاذ فَرْغانة وخاقَان : إنا نحن دونَكم فيما بينَكم وبين العرب ، فإن وصل إلينا كنتمْ أضعَفَ وأذَلّ ، فمهما كان عندَكم من قوّة فابذُلوها ؛ فنظروا في أمْرِهم فقالوا : إنما نُؤتَى من سَفِلَتنا ، وإنهم لا يَجِدون كَوَجْدنا ، ونحن مَعشرَ الملُوك المعنيّون بهذا الأمر ، فانتخبوا أبناءَ الملوك وأهل النجدة من فِتْيان ملوكهم ، فليخرجوا حتى يأتوا عسكرَ قُتيبة فليبيّت ، فإنه مشغول بحصار السُّغْد ، ففعلوا ، وولوا عليهم ابناً لخاقان ، وساروا وقد

أجمَعوا أن يبيّتوا العسكر ، وبلغ قتيبةُ فانْتَخَب أهلَ النّجْدة والبأس ووجوه الناس ، فكان شعبة بن ظهير وزُهَير بن حيّان فيمن انتُخب ، فكانوا أربعمائة ، فقال لهم : إنّ عدوّكم قد رأوا بلاءَ الله عندكم ، وتأييدَه إياكم فى مُزاحَفَتِكم ومُكاثَرَتِكم ، كلّ ذلك يُفلجكم الله عليهمْ ، فأجمعوا على أن يحتالوا غِرّتكم وبَياتكم ، واختاروا دَهاقينهم ومُلوكَهم ، وأنتم دَهاقينُ العرَب وفُرسانُهم ، وقد فضّلكم الله بدينه، فأبلُوا اللهَ بلاءً حسنًا ٢/١٢٤٨ تستوجِبون به الثواب ، مع الذّبّ عن أحسابكم .

قال : ووَضَع قتيبةُ عيونًا على العدوّ حتى إذا قَرُبوا منه قَدْرَ ما يَصِلُون إلى عسكره من الليل أدخَل الذين انتَخَبهم ، فكلّمهم وحَضّهم ، واستَعمَل عليهم صالح بن مسلم ، فخرجوا من العسكر عند المغرب ، فساروا ، فنزلوا على فَرسَخَين من العسكر على طريق القوم الذين وَصَفوا لهم ، ففرّق صالح خيلَه ، وأكمن كَمينًا عن يمينه ، وكَمينًا عنْ يساره ، حتى إذا مَضَى نصفُ الليل أو ثلثاه ، جاء العدوّ باجتماع وإسراع وصَمت ، وصالحٌ واقفٌ فى خَيْله ، فلما رأوْه شدّوا عليه ، حتى إذا اختلفت الرماح شدّ الكَمينان عن يمين وعن شمال ، فلَم نَسمعْ إلا الاعتزاء ، فلم نَرَ قومًا كانوا أشدّ منهم .

قال : وقال رجلٌ من البَراجم : حدّثنى زُهير أوشُعبة قال : إنا لنختَلف عليهم بالطعن والضّرب إذ تبينت تحتَ الليل قُتَيبةَ ، وقد ضربتُ ضربةً أعجبتْنى وأنا أنظر إلى قتيبة ، فقلت : كيف ترى بأبى أنت وأمى ! قال : اسكُتْ دَقّ اللهُ فاك ! قال : فقتلناهم فلم يُفلِت منهم إلا الشريد ، وأقمنا نَحوِى الأسلابَ ونحتزّ الرءوسَ حتى أصبحْنا ، ثم أقبلْنا إلى العسكر ، فلم أر جماعةً قطّ جاءوا بمثل ما جئنا به ، ما مِنّا رجلٌ إلاّ معلّق رأسًا معروفًا باسمه ، وأسير فى وَثاقه .

قال : وجئنا قُتيبةَ بالرءوس ، فقال : جزاكم الله عن الدّين والأعراض خيرًا. ٢/١٢٤٩ وأكرَمنى قتيبة من غير أن يكون باحَ لى بشىء ، وقرن بى فى الصّلة والإكرام حيّانَ العَدَوىّ وحُلَيسًا الشيبانىّ ، فظننتُ أنه رأى منهما مثلَ الذى رأى

منّى ، وكسر ذلك أهل السُّغْد، فطلبوا الصلْح ، وعرَضوا الفِدْية فأبى ؛ وقال : أنا ثائر بدم طَرْخون ، كان مولاى وكان من أهل ذمّتى .

قالوا : حدّث عمرُو بنُ مسلم ، عن أبيه ، قال : أطال قتيبةُ المُقامَ ، وثُلِمتِ الثلمة فى سَمرقَند . قال : فنادى منادٍ فصيح بالعربية يَشتُم قتيبة ؛ قال : فقال عمرو بن أبى زَهْدم : ونحنُ حولَ قتيبةَ ، فحين سمعنا الشتم خرجْنا مسرِعين ، فمكثْنا طويلا وهو مُلِحٌّ بالشتم ، فجئتُ إلى رِواق قُتيبةَ فاطّلعت ، فإذا قتيبةُ مُحتَبٍ بشَمْلة يقول كالمناجِى لنفسه : حتّى متى يا سمرقَنْد يعشش فيك الشيطان ! أما والله لئن أصبحتُ لأحاولنّ مِن أهلِك أقصى غاية ، فانصرفتُ إلى أصحابى ، فقلت : كم من نفس أبيّة ستموت غداً منّا ومنهم ! وأخبرتُهم الخبَر .

قال : وأما باهلة فيقولون : سارَ قتيبةُ فجعل النهرَ يمينَه حتى وردَ بُخارَى ، فاستنهضَهم معه ، وسار حتى إذا كان بمدينة أرْبِنْجَن ، وهى التى تُجلَب منها اللبود الأربنْجَنيَّة ، لقيهم غوزك صاحبُ السُّغد فى جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفَرْغانة ، فكانت بينهم وقائعُ من غير مُزاحفة ، كلَّ ذلك يَظهر المسلمون ، ويتَحاجَزون حتى قَرُبوا من مدينة سَمرْقند ، فتَزاحفوا يومئذ ، فحمل السُّغد على المسلمين حملةً حطَموهم حتى جازُوا عسكرهم ، ثمّ كرّ المسلمون عليهم حتى رَدُّوهم إلى عسكرهم ، وقتَل الله من المشركين عَدداً كثيراً ، ودخلوا مدينةَ سمرقند فصالَحوهم . ٢/١٢٥٠

قال : وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبى صَغيرة ؛ قال : رأيت خيلا يومئذ تُطاعِنُ خيلَ المسلمين ، وقد أمر يومئذ قتيبةُ بسَريره فأبرز ، وقَعد عليه ، وطاعَنوهم حتى جازوا قتيبة ، وإنه لمُحتَبٍ بسيفه ما حَلَّ حَبْوَته ، وانطوتْ مجنّبتا المسلمين على الذين هزَموا القَلْب ، فهزَموهم حتى رَدّوهم إلى عسكرهم ، وقُتِل من المشركين عددٌ كثير ، ودخلوا مدينةَ سمرقَنْد فصالَحوهم . وصنع غوزك طعاماً ودعا قُتيبةَ ، فأتاه فى عدد من أصحابه ، فلما تَغدّى استوهبَ منه سمَرقنْد ، فقال للملِك : انتقِلْ عنها ، فانتَقل عنها ، وتلا قُتَيبة : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾[1] .

---

(١) سورة النجم : ٥٠ ، ٥١ .

قال : وأخبرَنا أبو الذَّيال، عنْ عمرَبن عبد الله التميميّ، قال : حدّثني الذى سرّحه قُتيبة إلى الحجاج بفتَح سمرقَنْد ، قال: قدمتُ على الحجّاج فوَجهنى إلى الشأم، فقدمْتها فدخلت مسجدَها، فجلستُ قبل طلوع الشمس وإلى جنْبى رجلٌ ضَرير ، فسألتُه عن شىء من أمر الشأم ، فقال : إنك لغريب ، قلتُ : أجَل ؛ قال : من أىّ بلد أنت ؟ قلتُ : من خُراسان . قال: ما أقدَمَك ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : والّذى بعثَ محمّداً بالحقّ ما افتتحتموها إلا غَدْراً، وإنكم يا أهلَ خُراسانَ لَلّذين تَسلُبون بنى أمية مُلكَهم ، وتَنقُضون دمشقَ حَجَراً حَجَراً . ١٢٥١/٢

قال : وأخبرَنا العلاءُ بن جَرير ، قال: بلَغنى أن قتيبةَ لما فتحَ سمرقند وَقَف على جَبَلها فنظر إلى الناس متفرّقين فى مُروج السُّغْد ، فتمثّل قولَ طَرَفة :

وأرْتَعَ أقوام ولولا مَحلُّنا بمَخشِيَةٍ ردُّوا الجمال فَقَوَّضُوا

قال : وأخبرَنا خالدُ بن الأصْفَح ، قال : قال الكُمَيْت :

كانت سمرقندُ أحقاباً يَمانيةً فاليوم تَنْسُبُهَا قَيْسيةً مُضَرُ

قال : وقال أبو الحسن الجُشَمىّ : فدعا قتيبةُ نهارَ بنَ تَوْسِعة حين صالَح أهلَ السُّغْد ، فقال : يا نهارُ ، أين قولك :

ألا ذَهَبَ الغزْوُ المُقَرِّبُ للغنَى وماتَ النَّدَى والجودُ بَعْدَ المهلَّبِ

أقَاما بِمرْوِ الرُّوذ رَهْنَ ضَريحهِ وقَدْ غُيِّبا عن كلِّ شَرْقٍ ومغْرِب

أفغَزْوٌ هذا يا نهارُ ؟ قال : لا ، هذا أحسنُ[1] ، وأنا الذى أقول :

ومَا كانَ مُذْ كُنَّا ولا كان قَبلَنا ولا هو فيما بعدَنَا كابْن مُسلم

أعمَّ لأهل الترْك قَتْلاً بسيْفِهِ وأكثرَ فينا مَقْسِماً بعدَ مَقسِمِ

---

(١) فى الشعر والشعراء ٥٢٣ : « إن الذى أنت فيه ليس بالغزو ولكنه الحرب » .

١٢٥٢/٢ قال : ثمّ ارتحل قتيبة راجعًا إلى مروَ ، واستخلف على سمرقند عبدَالله ابنَ مسلم ، وخلّف عنده جنداً كثيفًا ، وآلةً من آلة الحرب كثيرةً ، وقال : لا تَدَعَنّ مُشرِكًا يدخل بابًا من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد ، وإن جفّت الطينة قَبل أن يَخرُج فاقتُله ، وإن وجدتَ معه حديدةً ؛ سِكينًا فما سواه فاقتلْه ، وإن أغلقْتَ البابَ ليلاً فوجدتَ فيها أحداً منهم فاقتله ، فقال كَعْب الأشقريّ — ويقال رجلٌ من جُعْفيّ — :

كُلَّ يَوْمٍ يَحْوِى قتيبــةُ نَهباً ... ويَزيدُ الأَموالَ مَالاً جدِيدَا

باهلىٌّ قد أُلبِسَ التاجَ حتَّى ... شاب منهُ مَفَارِقٌ كنَّ سُودَا

دَوَّخ السُّغدَ بالكتَائِب حتَّى ... تركَ السُّغد بالعرَاءِ قُعُودَا

فَوَليدٌ يبكى لفَقْدِ أَبيهِ ... وأَبٌ مُوجَعٌ يُبَكِّى الوليدا

كلما حَلَّ بلدَةً أوَ أَتَاهَا ... تَرَكتْ خَيْلُهُ بها أخدُودَا

قال : وقال قتيبةُ : هذا العَداءُ لا عداءُ عَيرَين ، لأنه فتَح خُوارزم وَسمرقَنْد فى عام واحد ؛ وذلك أنّ الفارس إذا صرَع فى طلق واحد عَيرَين

١٢٥٣/٢ قيل : عادَى بينَ عَيْرَين . ثم انصرَف عن سمرقَند فأقام بمَرْو .

* * *

وكان عامله على خوارزم إياسُ بنُ عبد الله بن عمرو على حرْبها ، وكان ضعيفًا . وكان على خرَاجها عُبيد الله بن أبى عُبيد الله مولَى بنى مسلم . قال : فاستَضعف أهلُ خُوارزم إياساً ، وجمَعوا له ، فكتَب عُبيدُ الله إلى قتيبة ، فبعث قتيبةُ عبدَالله بن مسلم فى الشتاء عاملا ، وقال : اضربْ إياسَ بنَ عبد الله وحيّان النَّبَطىّ مائةً مائة ، واحلِقْهما ، وضمَّ إليك عُبيدَالله بن أبى عُبيد الله ، مولَى بنى مسلم ، واسمَعْ منه فإنّ له وفاءً . فمضى حتى إذا كان من خُوارزم على سكّة ، فدَسّ إلى إياس فأنذرَه فتنحَّى ، وقَدِم فأخذَ حيّان فضربَه مائةً وحلَقَه .

قال : ثمّ وجّه قتيبةُ بعد عبد الله المغيرةَ بن عبد الله فى الجنود إلى خُوارَزم ، فبلَغهم ذلك ، فلما قَدِم المغيرةُ اعتزَل أبناء الذين قتلَهم

خُوارزم شاه، وقالوا: لا نعينك، فَهَرب إلى بلاد التُرْك. وقدِم المغيرة فسَبَى وقتَل، وصالَحه الباقون، فأخذ الجزْية. وقَدِم على قتيبة، فاستعمله على نَيْسابور.

* * *

[فتح طليطلة]

وفى هذه السنة عَزَل موسى بنُ نُصَير طارقَ بنَ زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة.

* ذكر الخبر عن ذلك:

ذَكَر محمد بنُ عمَر أنّ موسى بن نُصير غَضِب على طارق فى سنة ثلاث وتسعين، فشَخَص إليه فى رجب منها، ومعه حبيب بنُ عُقْبة بن نافع الفِهْرىّ، واستخلف حين شَخَص على إفريقيَة ابنَه عبدَالله بن موسى بن نُصير، وعَبَر موسى إلى طارق فى عشرةِ آلاف، فتلقّاه، فترضّاه فَرَضِىَ عنه، وقَبِل منه عذرَه، ووجّهه منها إلى مدينة طُلَيْطلةَ – وهى من عِظام مَدائن الأندلس، وهى مِن قُرطُبَة على عشرين يوما[1] – فأصاب فيها مائدةَ سُلَيمان بن داود، فيها من الذَّهَب والجَوْهر ما اللهُ أعلمُ به. ١٢٥٤/٢

* * *

قال: وفيها أجدَبَ أهلُ إفريقيَة جَدْباً شديداً، فخرج موسى بنُ نُصير فاستسْقَى، ودعا يومئذ حتى انتصَف النهارُ، وخَطَب الناسَ، فلما أراد أن يَنزل قيل له: ألا تَدْعو لأميرِ المؤمنين! قال: ليس هذا يوم ذاك؛ فسُقُوا سَقْياً كَفاهمْ حِيناً.

* * *

[خبر عزل عمر بن عبدالعزيز عن الحجاز]

وفيها عُزِل عمر بنُ عبد العزيز عن المدينة.

* ذكر سبب عزل الوليد إيّاه عنها:

وكان سبب ذلك – فيما ذُكِر – أنّ عمَر بنَ عبد العزيز كَتَب إلى الوليد يُخبره بعَسْفِ الحجاج أهلَ عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حقّ ولا جِنَاية، وأنّ ذلك بلغ الحجاج، فاضطَغنه على عمَر، وكتب إلى الوليد: إنّ مَنْ قبلى من مُرّاق أهلِ العراق وأهلِ الشقاق قد جلَوْا عن

(١) بعدها فى ابن الأثير: «ففتحها».

العراق ، ولجئوا إلى المدينة ومكّة ، وإنّ ذلك وَهْن .

فكتب الوليدُ إلى الحجّاج : أن أشِرْ عليّ برجلين ، فكتب إليه يشير عليه بعثمانَ بن حيّان وخالد بن عبد الله ، فولى خالدًا مكّة وعثمان المدينة ، وعزلَ عمَر بن عبد العزيز .

قال : محمد بنُ عمر : خرج عمرُ بنُ عبد العزيز من المدينة فأقامَ بالسوَيداء وهو يقول لمزاحم : أتخاف أن تكون ممن نفَتْه طيبة !

* * *

٢/١٢٥٥ وفيها ضربَ عمرُ بن عبد العزيز خُبيبَ بنَ عبد الله بن الزبير بأمر الوليد إيّاه ، وصبّ على رأسه قِربةً من ماء بارد . ذكر محمد بنُ عمَر ، أن أبا المليح حدّثه عمّن حضر عمَر بنَ عبد العزيز حين جلَد خُبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سَوْطاً ، وصَبَّ على رأسِه قِربةً من ماء في يوم شاتٍ ، ووقفه على باب المسجد ، فمكَث يومَه ثم مات .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبدُ العزيز بنُ الوليد بن عبد الملك ، حدّثني بذلك أحمد بنُ ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشَر .

وكانت عُمّال الأمصار في هذه السنة عُمالها في السنة التي قبلها ، إلاّ ما كان من المدينة ، فإنّ العاملَ عليها كان عثمان بن حيّان المُرّيّ ، وليَها — فيما قيل — في شعبانَ سنة ثلاث وتسعين .

وأما الواقديّ فإنه قال : قَدِم عثمانُ المدينةَ لليلتين بقيتا من شوّال سنة أربع وتسعين .

وقال بعضهم : شَخَص عمرُ بنُ عبدِ العزيز عن المدينة معْزولا في شَعبانَ من سنة ثلاث وتسعين وغزَا فيها ، واستخلف عليها حين شَخَص عنها أبا بكر بن محمد بن عَمرو بن حزْم الأنصاريّ . وقَدِم عثمانُ بنُ حيّان المدينة لليلتين بقيتا من شوّال .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غَزْوة العباس بن الوليد أرضَ الرّوم ، فقيل : إنه فتَح فيها أنطاكية .

وفيها غَزَا – فيما قيل – عبدُ العزيز بنُ الوليد أرضَ الرّوم حتى بلغَ غَزالة. ٢ / ١٢٥٦
وبلغ الوليد بن هشام المعيطىّ أرضَ بُرْج الحمام ، ويزيد بن أبى كَبْشة أرضَ سُورِية .

وفيها كانت الرَّجْفة(١) بالشأم(٢) .

وفيها افتَتَح القاسمُ بنُ محمد الثقَفىّ أرضَ الهند .

* * *

[غزو الشاش وفرغانة]

وفيها غَزَا قُتيبةُ شاش وفَرْغانة حتى بلغ خُجَنْدَة وكاشانَ ؛ مدينتَى فَرْغانة .

* ذكر الخبر عن غزوة قُتَيبة هذه :

ذكَر علىُّ بن محمد؛ أن أبا الفوارس التميمىّ، أخبَره عن ماهانَ ويونس ابن أبى إسحاق ، أنّ قتيبة غزا سنة أربع وتسعين . فلما قطع النّهر فرض على أهل بُخارَى وكسّ ونسَف وخُوارزم عشرين ألفَ مُقاتِل. قال : فساروا معه إلى السُّغْد ، فوجّهوا إلى الشاش ، وتوجّه هو إلى فَرْغانة، وسار حتى أتى خُجَنْدَةَ ،فجمع له أهلها . فلقوه فاقتتلوا مراراً ، كلّ ذلك يكون الظفر للمسلمين . ففرغ الناسُ يومًا فرَكِبوا خيولَهم ، فأوفَى رجلٌ على نَشَزٍ فقال : تالله ما رأيت كاليوم غرّةً ، لو كان هَيْجٌ اليومَ ونحنُ على ما أرى

(١) ب : « الزحفة » .

(٢) ابن الأثير : « وفيها كانت الزلازل بالشام، ودامت أربعين يوماً، فخربت البلاد ؛ وكان عظم ذلك فى أنطاكية » .

من الانتشار لكانت الفضيحة ، فقال له رجل إلى جنْبه : كلا ، نحن كما قال عوْف بن الخرِع :

٢/١٢٥٧ نؤمّ البلادَ لحُب اللّقَا ولا نتّقى طائرًا حَيثُ طارَا

سنيحاً ولا جارياً بارِحاً على كلّ حال نُلاقِى اليسارا[1]

وقال سَحْبان وائل يذكر قتالَهم بخُجنْدة :

فَسَلِ الفَوَارِسَ فى خُجَنْ دَةَ تحتَ مُرهَفَةِ العَوَالِى

هل كُنتُ أَجمَعُهُم[2] إذا هُزِموا وأُقدِمُ فى قِتالى

أَم كنْتُ أَضْرِبُ هامَةَ الـ عَاتى[3] وَأَصبِرُ للعَوَالى

هذا وأنتَ قريعُ قَيـ سٍ كُلِّهَا ضَخْمُ النَّوَالِ

وفَضَلتَ قيسًا فى النَّدَى وأَبوك فى الحِجَج الخَوالى

ولقَد تَبَيَّنَ عَدلُ حُكـ مِكَ فيهمُ فى كلِّ مال

تمَّتْ مروءتُكُمْ وَنا غى عِزُّكُم غُلبَ الجِبَالِ

قال : ثمّ أتى قتيبةُ كاشانَ مدينةَ فرَغانة ، وأتاه الجنودُ الذين وجّههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرّقوا أكثَرها ، وانصرف قتيبةُ إلى مَرْوَ . وكتَب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقَفىّ أنْ وجِّه مَن قِبلَكَ من أهل العراق إلى قتيبة ، وَوجِّه إليهم جهْم بن زَحْر بن قيس ، فإنه فى أهل العراق خيرٌ منه فى أهل الشأم . وكان محمد وادًّا لجهْم بن زَحْر ، فبعث سليمان بن صَعْصعة وجهْم بن زَحْر ، فلما ودّعه جهمٌ بكى وقال : يا جهْم ، إنه لَلْفراق ؛ قال : لا بدّ منه .

قال : وقَدِم على قتيبة سنة خمس وتسعين .

* * *

(١) ر : « النسارا » . (٢) ب : « أحميهم » . (٣) ب : « العانى » .

[ولاية عثمان بن حيّان المرّىّ على المدينة]

وفى هذه السنة قَدِم عثمانُ بنُ حيّانَ المرّىّ المدينةَ والِيًا عليها من قِبَل الوليد بنِ عبد الملك . ١٢٥٨/٢

* ذكر الخبر عن ولايته :

قد ذكرْنا قبلُ سببَ عزْل الوليد عمرَ بنَ عبد العزيز عن المدينة ومكّة وتأميره على المدينة عثمان بن حيّان ، فزعم محمد بنُ عمر أن عثمان قدم المدينة أميراً عليها لليلتين بقيتَا من شوّال سنة أربع وتسعين ، فنزل بها دارَ مرْوان وهو يقول : محلّة والله مِظعانٌ ، المغرور من غرّ بلك . فاستقضى أبا بكر بن حزْم .

قال محمد بنُ عمر : حدّثنى محمد بنُ عبد الله بن أبى حُرّة ، عن عمه قال : رأيتُ عثمانَ بنَ حيّانَ أخذ رِياحَ بن عَبيد الله ومُنقِذاً العِراقىّ فحبَسَهم وعاقبَهم ، ثمّ بعث بهم فى جوامع إلى الحجّاج بن يوسف ، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غيرَ تاجر ، وأمر بهم أن يُخرَجوا من كلّ بلد ، فرأيتُهم فى الجوامع ، وأتبع أهل الأهواء ، وأخذ هيْصَمًا فقطعه ، ومنحوراً — وكان من الخوارج — قال : وسمعتُه يخطُب على المِنبَر يقول بعد حمد الله :

أيها الناس ، إنا وجدناكم أهلَ غِشٍّ لأمير المؤمنين فى قديم الدّهر وحديثه ، وقد ضوَى إليكم من يزيدكم خبَالا . أهلُ العِراق هم أهلُ الشقاق والنفاق ، هم والله عُشّ النفاق وبيْضَته التى تفلّقتْ عنه . والله ما جرّبتُ عِراقيًّا قطّ إلا وجدتُ أفضلَهم عند نفسه الذى يقول فى آل أبى طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، ولكن لما يريد الله من سفْك دمائهم فإنى والله لا أوتَى بأحد آوَى أحداً منهم ، أو أكْراه منزِلا ، ولا أنزَلَه ، إلا هدمتُ منزلهَ ، وأنزلتُ به ما هو أهلُه . ثمّ إنّ البلْدانَ لما مصّرها عُمر بنُ الخطاب وهو مجتهِد على ما يُصلِح رعيّته جعل يمرّ عليه من يريد الجهاد فيستشيره : الشأم أحبّ إليك أم العراق ؟ فيقول : الشأم أحب إلىّ . إنى رأيتُ العراقَ داءً عُضالا ، وبها فرّخ الشيطان . والله ١٢٥٩/٢

لقد أعضلوا[١] بى، وإنى لأرانى سأفرّقهم فى البُلْدان، ثم أقول: لو فرّقتهم لأفسَدوا مَن دخلوا عليه بجَدَل وحِجاج، وكَيْفَ؟ ولِمَ؟ وسُرعة وَجيف فى الفتنة؛ فإذا خُبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل[٢]. لم يصلحوا على عثمان، فلقى منهم الأمرّين[٣]، وكانوا أوّلَ الناس فتَقَ هذا الفَتْقَ العظيم، ونَقَضوا عُرَى الإسلام عُرْوةً عُرْوة، وأنغلوا[٤] البُلْدان. والله إنى لأتقرّب إلى الله بكل ما أفعل بهم لِمَا أعرِف من رأيهم ومَذاهبهم. ثمّ وليهم أمير المؤمنين معاوية فدامَجهم[٥] فلَم يَصلحوا عليه، وَوَلِيهم رجلُ الناس[٦] جلداً فبَسَطَ عليهم السيف، وأخافَهم، فاستقاموا له أحبُّوا أو كرهوا، وذلك أنه خبَرَهم وعرَفَهم.

أيها الناس، إنا والله ما رأينا شعاراً قطّ مِثلَ الأمْن، ولا رأينا حِلساً[٧] قطّ شرًّا من الخَوْف، فالزَموا الطاعة، فإنّ عندى يا أهلَ المدينة خبرةً من الخِلاف. والله ما أنتم بأصحاب قِتال، فكونوا من أحْلاس بيُوتكم، وعَضّوا على النواجذ، فإنى قد بعثتُ فى مجالسكم مَن يَسمَع فيبلّغنى عنكم. إنكم فى فضول كلام غيرُهُ ألزَم لكم، فدَعُوا عَيبَ الوُلاة، فإنّ الأمر إنما يُنقض شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وإنّ الفتنة مِن البلاء. والفِتَن تَذهَب بالدين وبالمال والوَلَد. ٢/١٢٦٠

قال: يقول القاسمُ بنُ محمد: صدَق فى كلامه هذا الأخير، إنّ الفتنة لهكذا.

قال محمد بن عمر: وحدّثنى خالدُ بنُ القاسم، عن سعيد بن عَمرو الأنصاريّ، قال: رأيتُ منادِىَ عثمانَ بن حيّانَ ينادِى عندنا: يا بنى أمية بنَ زيد، برئَتْ ذمة ممن آوَى عِراقيًّا. وكان عندَنا رجلٌ من أهل البَصرة له فضلٌ

(١) عضل به الأمر وأعضل: اشتد. (٢) الطائل والطائلة والطول: الفضل والقدرة.
(٣) الأمران: الفقر والهرم؛ وهما كناية عن اشتداد الأمر.
(٤) أنغلوا: أفسدوا، من نغل الأديم إذا فسد فى الدباغ، وأنغله: أفسده.
(٥) داجمهم: وافقهم؛ من المداجمة وهى مثل المداجاة. (٦) رجل الناس، يريد الحجاج.
(٧) الحلس فى الأصل: كساء على ظهر بعير يوضع تحت رحله؛ والمراد لزوم الشىء.

يقال له أبو سَوادة َ، من العُبّاد ــ فقال: والله ما أحبّ أن أدخل عليكم مكروهًا، بلغونى[١] مأمَنى؛ قلت: لا خيرَ لك فى الخروج، إنّ الله يَدفَع عنا وعنك. قال: فأدخلته بيتى، وبلغ عثمان بن حَيّانَ فبعث أحراسًا فأخرجته إلى بيت أخى، فما قَدَروا على شىء، وكان الذى سَعَى بى عَدُوًّا، فقلت للأمير: أصلَح الله الأمير! يُؤتَى بالباطل فلا تُعاقب عليه. قال: فضَرَب الذى سَعَى بى عشرين سوطًا. وأخرجْنا العراقىّ، فكان يصلّى معنا ما يغيبُ يومًا واحداً، وحَدِب عليه أهلُ دارِنا، فقالوا: نموتُ دونَك! فما بَرِح حتى عُزل الخبيث.

قال محمد بنُ عمر: وحدّثنا عبدُ الحَكيم[٢] بن عبد الله بن أبى فَروة، قال: إنما بَعثَ الوليدُ عثمانَ بنَ حيّان إلى المدينة لإخراج مَن بها من العراقيّين وتفريق أهلِ الأهواء ومن ظَهر[٣] عليهم أو علا بأمرهم[٤]، فلم يبعثه واليًا، فكان لا يَصعد المِنبَر ولا يَخطُب عليه، فلما فعل فى أهلِ العراق ما فعل. وفى مَنْحور وغيره أثبتَه على المدينة، فكان يَصعد على المِنبَر. ٢ / ١٢٦١

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جُبَيْر]

وفى هذه السنة قَتَل الحجاجُ سعيد بنَ جُبَيْر.

* ذكر الخبر عن مقتله:

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عليه مع مَن خَرَج عليه. مع عبدِ الرحمن بنِ محمد بنِ الأشعث، وكان الحجاج جعله على عَطاء الجُنْد حين وجّه عبدَ الرحمن إلى رُتْبيل لقتاله، فلما خلع عبدُ الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلَعه معه، فلما هُزِم عبدُ الرحمن وهرَب إلى بلاد رُتْبيل هرَب سعيد.

فحدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا أبو بكر بن عياش، قال: كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان ــ وكان سعيد، قال الطبرىّ: أظنه أنه لما هرَب

(١) ب: «بلغوا بى». (٢) ط: «الحكم»، تصحيف
(٣) ب: «طعن». (٤) ب: «عاب أمرهم».

من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتَب إليه — : إنّ سعيداً عندك فخُذْه .
فجاء الأمرُ إلى رجل تحرّج ، فأرسل إلى سعيد : تحوّلْ عنّى ، فتنحّى عنه ،
فأتى أذْرَبيجان ، فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون ، واعتمر
فخرج إلى مكة فأقام بها ، فكان أناس من ضربه يستخفُون فلا يُخبرون
١٢٦٢/٢ بأسمائهم . قال : فقال أبو حَصين[1] وهو يحدّثنا هذا : فبلَغنا أنّ فلاناً قد أمِّر
على مكة ، فقلت له : يا سعيد ، إنّ هذا الرجل لا يُؤمَن ، وهو رجل
سوْء ، وأنا أتقيه عليك ، فاظعَن واشخص ، فقال : يا أبا حَصين ، قد
والله فررت حتى استحييتُ من الله ! سيجيئُنى ما كتَب الله لى . قلتُ :
أظنك والله سعيداً كما سمّتْك أمك . قال : فقَدِم ذلك الرجل إلى مكة ،
فأرسل فأخذ فلان له وكلّمه ، فجعل يديره .

وذكر أبو عاصم عن عمَر بن قيس ، قال : كتَبَ الحجاج إلى
الوليد : إنّ أهلَ النفاق والشقاق قد لجئوا إلى مكة ، فإنْ رأى
أميرُ المؤمنين أنْ يأذَن لى فيهم! فكتَبَ الوليدُ إلى خالد بن عبد الله القَسْرىّ ؛
فأخذ عطاءً وسعيد بن جُبَير ومجاهد وطلق بن حبيب وعَمرو بن دينار ؛
فأما عَمرو بنُ دينار وعطاء فأرسِلا لأنهما مكيّان ، وأما الآخَرون فبعث بهم
إلى الحجّاج ، فمات طلقٌ فى الطريق ، وحُبِس مجاهدٌ حتى مات الحجاج ،
وقُتِل سعيدُ بنُ جُبير .

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا أبو بكر ، قال : حدّثنا الأشجعىّ ،
قال : لما أقبل الحرَسيّان بسعيد بن جُبير نزَل منزلا قريباً من الرَّبَذَة ،
فانطلق أحد الحرَسيين فى حاجته وبقى الآخَر ، فاستيقَظ الذى عندَه ،
وقد رأى رُؤْيا ، فقال : يا سعيد ، إنى أبرأ إلى الله من دمك ! إنّى رأيتُ
١٢٦٣/٢ فى منامى ؛ فقيل لى : ويلَك ! تبرّأ من دمِ سعيد بن جُبَير . اذهبْ
حيث شئتَ لا أطلُبك أبداً ؛ فقال سعيد : أرجو العافية وأرجو ، وأبى حتى

(١) هو أبو حصين عثمان بن عاصم ، روى عنه أبو بكر بن عياش ، وانظر الجزء الأول
ص ٣٥٤ ، وتهذيب التهذيب ١٢ : ٣٤ .

جاء ذاك؛ فَنزَلا من الغد ، فأرى مثلها ، فقيل : ابرَأ من دمِ سعيد .
فقال: يا سعيد، اذهَبْ حيثُ شئتَ، إني أبرأ إلى الله من دمك، حتى جاء به.

فلما جاء به إلى داره التى كان فيها سعيد وهى دارهم هذه ، حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا أبو بكر ، قال : حدّثنا يزيدُ بنُ أبى زِياد مولى بنى هاشم قال : دخلتُ عليه فى دار سعيد هذه ، جِىءَ به مقيّداً فدخل عليه قرّاءُ أهل الكوفة . قلتُ: يا أبا عبد[1] الله، فحدّثكم ؟ قال : إى والله ويَضْحَك، وهو يحدّثنا، وبُنَيّة له فى حِجْره ، فنظرتْ نظرةً فأبصرَت القيدَ فبكتْ ، فسمعتُه يقول : أىْ بُنَيّة لا تَطَيَّرى ، إيّاكِ - وشَقّ والله عليه - فاتبعناه نشيعه، فانتهينا به إلى الجِسْر، فقال الحَرَسيان : لا نَعبُر به أبداً حتى يعطينا كفيلاً ،نخاف أن يُغرِق نفسه . قال : قلنا : سَعيدٌ يُغرّق نفسَه ! فما عبروا حتى كفلنا به .

قال وَهْب بن جَرير : حدّثنا أبى، قال : سمعتُ الفَضْل بن سُوَيد قال : بعثنى الحجاج فى حاجة ، فجىء بسعيد بن جُبَير ، فرجعتُ فقلت : لأنظرنّ ما يصنَع ، فقمتُ على رأس الحجاج ، فقال له الحجاج : ٢/١٢٦٤ يا سعيد ، ألم أشرِكْك فى أمانتى ! ألم أستَعْمِلْك ! ألم أفعَل! حتى ظننتُ أنه يخلى سبيله ؛ قال : بلى ، قال : فما حَمَلك على خروجك علىّ ؟ قال : عُزِم علىّ ، قال : فطار غَضَباً وقال : هيه ! رأيت لعزمة عدوّ الرحمن عليك حقًّا ، ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لِى عليكَ حقًّا ! اضربا عنقَه ، فضربت عُنُقُه ، فنَدَر رأسه عليه كُمّة بيضاء لا طية صغيرة .

وحُدّثت عن أبى غسانَ مالك بن إسماعيل، قال : سمعتُ خلفَ بن خليفةَ يذكُر عن رجل قال: لما قُتِل سعيدُ بنُ جبير فندَرَ رأسُه لله، هَلّل ثلاثًا: مرّة يُفصِح بها ، وفى الثِّنتَين يقول. مثلَ ذلك فلا يُفصِح بها .

وذكر أبو بكر[2] الباهلىّ ،قال : سمعتُ أنسَ بنَ أبى شيخ ،يقول :لما

---

(١) أبو عبد الله كنية يزيد بن أبى زياد . تهذيب التهذيب .

(٢) ط : « بكرة » ، وانظر الفهرس .

أتِيَ الحجاجُ بسَعيد بن جُبير ، قال: لعن اللهُ ابنَ النصرانية — قال : يعنى خالداً القَسْرِىّ ، وهو الذى أرسَل به من مكة — أما كنتُ أعرف مكانَه ! بلى واللهِ والبيت الذى هو فيه بمكة . ثمّ أقبَلَ عليه فقال : يا سعيد ، ما أخرجك علىّ ؟ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ! إنما أنا امرؤٌ من المسلمين يُخطِئْ مرّة ويُصيبُ مرّة ، قال : فطابت نفسُ الحجاج، وتَطلّق وجهُه ، ورجا أن يتخلّص من أمره ، قال : فعاوَدَه فى شىء ، فقال له : إنما كانت له بيْعة فى عُنُقى ؛ قال : فغَضب وانتفَخ حتى سقَط أحد طرَفى ردائه عن منكبه ، فقال : يا سعيد ، ألم أقدَم مكة فَقتلتُ ابنَ الزّبير ، ثم أخذت[1] بيعةَ أهلها ، وأخذتُ بيعتَك لأمير المؤمنين عبدِ الملك! قال : بلى ، قال : ثم قدمتُ الكوفَة والياً على العراق فجدّدت لأمير المؤمنين البيعة ، فأخــذتُ بَيعتَك له ثانيــةً ! قال : بلى ؛ قال : فتَنكُث[2] بيْعتَين لأمير المؤمنين ، وتَفِى بواحدة للحائك ابنِ الحائك ! اضربا عنقَه ؛ قال : فإياه عَنى جرير بقوله :

٢/١٢٦٥

يارُبَّ ناكِثِ بَيعَتَينِ ترَكتَهُ وخِضابُ لحيَتِهِ دَمُ الأوداجِ[3]

وَذكَر عتّاب بن بِشْر ، عن سالم الأفطس ، قال : أتِيَ الحجاج بسَعيد بن جُبَير وهو يريد الركوب ، وقد وَضَع إحدى رِجْليه فى الغَرْز — أو الركاب — فقال : والله لا أركب حتى تَبوءَ مقعَدَك من النار ، اضربوا عنقَه . فضُرِبت عنقُه ، فالتبس مكانَه ، فجعل يقول : قيودُنا قيودُنا ، فظَنّوا أنه قال: القيود التى على سَعيد بن جبير ، فقَطعُوا رِجْليه من أنصاف ساقَيْه وأخَذُوا القيود .

قال محمد بن حاتم : حدّثنا عبدُ الملك بن عبد الله عن هلال بن خبّاب[4] قال : جِىء بسعيد بن جُبَير إلى الحجاج فقال : أكتَبْتَ إلى مصعب ابن الزبير ؟ قال : بل كتَب إلىّ مصْعَب ؛ قال : والله لأقتلنك ؛ قال :

---

(١) ب : « وأخذت » . (٢) ب : « فنكثت » .
(٣) ديوانه ٩٠. (٤) ط : « جناب » ، وانظر الفهرس .

إنّى إذًا لَسعيد كما سمّتنى أمى! قال : فَقَتَله ؛ فلم يَلْبَثْ بعدَه إلاّ نحواً من أربعين يومًا ، فكان إذا نام يراه فى مَنامه يأخذ بمَجامع ثوبه فيقول : يا عدوّ الله ، لِمَ قَتلتَنى ؟ فيقول : مالى ولسعيد بن جُبيرَ! مالى ولسعيد ابن جُبيرَ ! ١٢٦٦/٢

* * *

قال أبو جعفر : وكان يقال لهذه السنة سنةُ الفُقَهاء، ماتَ فيها عامّة فُقَهاء أهلِ المدينة، مات فى أوّلها علىّ بنُ الحُسَين عليه السلام[1]، ثمّ عُرْوة بن الزّبير، ثم سعيدُ بن المسيّب ، وأبو بكر بنُ عبد الرّحمن بن الحارث بن هِشام .

واستقضَى الوليدُ فى هذه السنة بالشأم سُليمانَ بنَ حبيب .

واختُلف فيمن أقامَ الحجّ للناس فى هذه السنة ، فقال أبو معشر — فيما حَدّثنى أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى عنه — قال : حَجّ بالناس مَسلمة بنُ عبدِ الملك سنة أربع وتسعين .

وقال الواقدىّ : حجّ بالناس سنة أربع وتسعين عبدُ العزيز بنُ الوليد بن عبد الملك — قال : ويقال : مَسلَمة بن عبد الملك .

وكان العاملُ فيها على مكة خالد بن عبد الله القَسْرىّ ، وعلى المدينة عثمان بن حيّان المُرّىّ، وعلى الكوفة زياد بن جَرير ، وعلى قَضائها أبو بكر ابن أبى موسى . وعلى البَصْرة الجرّاح بن عبد الله. وعلى قضائها عبد الرحمن ابن أذينة . وعلى خُراسانَ قتيبة بنُ مسلم ، وعلى مصرَ قرّة بن شريك ، وكان العِراق والمَشرِق كله إلى الحجاج[2] .

---

(١) ب :«على بن الحسين بن على صلى الله عليهم » .

(٢) بعده فى ب : « بن يوسف » .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

٢/١٢٦٧ ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قيل ، وهي : طولس ، والمرزبانين ، وهرقلة.

وفيها فتح آخر الهند إلا الكيرج والمندل .

وفيها بنيت واسط القصب في شهر رمضان .

وفيها انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس ، وضحى بقصر الماء – فيما قيل – على ميل من القيروان .

* * *

[بقية الخبر عن غزو الشاش]

وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش .

* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد ، قال : وبعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين ، فغزا ، فلما كان بالشاش – أو بكشماهن – أتاه موت الحجاج في شوال ، فغمه ذلك ، وقفل راجعاً إلى مرو ، وتمثل :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى أعلقته الحبائل[١]

فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

قال : فرجع بالناس ففرقهم ، فخلف في بخارى قوماً ، ووجه قوماً إلى كس ونسف ، ثم أتى مرو فأقام بها ، وأتاه كتاب الوليد : قد عرف

٢/١٢٦٨ أمير المؤمنين بلاءك وجدك[٢] في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين[٣]

(١) الحطيئة ، ديوانه ١٠٠ ، وذكروا أنه خرج يريد علقمة بن علاثة وهو بحوران ، فمات علقمة قبل أن يصل إليه الحطيئة ؛ فقال أبياتاً منها هذان البيتان . (٢) ب : « وجهادك » .

(٣) ب : « المسلمين » .

رافعُك وصانع بك كالذى يجب لك ، فالمم مَغازِيك ، وانتظرْ ثوابَ ربك ، ولا تغيب[١] عن أمير المؤمنين كتبُك؛ حتى كأنى أنظرُ إلى بلادك[٢] والثغر الذى أنتَ به[٣] .

* * *

وفيها مات الحجاج بنُ يوسفَ فى شوّال – وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة – وقيل : كانت وفاتُه فى هذه السنة لخمسٍ ليالٍ بقين من شهرِ رمضان .

وفيها استخلف الحجاج لما حضرتْه الوفاةُ على الصلاة ابنَه عبدَ الله بن الحجاج . وكانت إمرةُ الحجاج على العراق فيما قال الواقدىّ عشرين سنة .

وفى هذه السنة افتتَح العبّاس بنُ الوليد قِنَّسْرِين .

وفيها قُتِلَ الوضّاحىّ بأرضِ الرّوم ونحوٌ من ألفِ رجل معه .

وفيها – فيما ذكر – وُلد المنصور عبد الله بن محمد بن علىّ .

وفيها ولّى الوليدُ بنُ عبدِ الملك يزيدَ بنَ أبى كَبْشة على الحَرْب والصلاة بالمِصرَين[٤] : الكوفةَ والبَصْرة ، وولّى خراجَهما يزيدَ بنَ أبى مسلم .

وقيل : إن الحجاج كان استخْلَف حين حضرتْه الوَفاة على حرب البلدين والصّلاة بأهلهما يزيد بنَ أبى كَبْشة ، وعلى خراجهما يزيدَ بنَ أبى مسلم ، فأقرّهما الوليد بعدَ موتِ الحجاج على ما كان الحجاج استخلَفهما عليه . وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم ، أقرّهم بعدَه على أعمالهم التى كانوا عليها فى حيَاته . ٢/١٢٦٩

* * *

وحَجّ بالناس فى هذه السنةِ بشر بنُ الوليد بنِ عبدِ الملك ، حدّثنى

(١) ب : « تغيب » . (٢) ب : « بلائك » .
(٣) ب : « فيه » .
(٤) ب : « على المصرين » .

بذلك أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي مَعشر .

وكذلك قال الواقديّ .

* * *

وكان عُمال الأمصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا فى السنة التى قبلها ، إلا ما كان من الكُوفة والبَصْرة ، فإنهما ضُمّتا إلى مَن ذكرتُ بعد موتِ الحجّاج .

ثم دخلت سنة ستّ وتسعين

ذكر الأحداث التى كانت فيها

ففيها كانت – فيما قال الواقدىّ – غَزْوَة بِشْر بن الوَليد الشاتية ، فقَفَل وقد ماتَ الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك]

وفيها كانت وَفاةُ الوَليد بنِ عبدِ الملك، يومَ السبت فى النّصف من جُمادَى الآخرة سنة ست وتسعين فى قولِ جميعِ أهلِ السيَر .

واختُلف فى قَدْر مدّة خلافته، فقال الزُّهرىّ فى ذلك – ما حُدّثت عن ابن وَهْب عن يونس عنه : ملَك الوليدُ عشرَ سنين إلا شهراً .

وقال أبو معشر فيه ، ما حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكَرَه ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عنه: كانت خلافةُ الوليدِ تسعَ سنينَ وسبعةَ أشهر .

وقال هشامُ بنُ محمد: كانت ولايةُ[1] الوَليد ثمان سنين وستة[2] أشهر . ٢/ ١٢٧٠

وقال الواقدىّ : كانت خلافتهُ تسعَ سنين وثمانيةَ أشهر وليلتين .

واختُلف أيضًا فى مبلَغ عمره ، فقال محمد بنُ عمر : توفى بدِمَشق وهو ابنُ ست وأربعين سنة وأشهر .

وقال هشامُ بنُ محمد : توفى وهو ابنُ خمس وأربعين سنة .

وقال علىّ بنُ محمد : تُوُفّى وهو ابنُ اثنتين وأربعين سنةً وأشهر .

وقال على : كانت وفاةُ الوليدِ بدَير مُرّان، ودُفنَ خارجَ باب الصّغير . ويقال : فى مَقابِر الفَراديس .

ويقال : إنه توفى وهو ابنُ سبع وأربعين سنة .

وقيل : صلى عليه عمرُ بنُ عبد العزيز .

---

(١) ب : « خلافة » .

(٢) ب : « ثمانية » .

وكان له ــ فيما قال عليّ ــ تِسعةَ عشر ابنًا: عبدالعزيز، ومحمّد، والعباس، وإبراهيم، وتمَّام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشّر، ومسرور، وأبو عُبيدة، وصَدَقة، ومنصور، ومروان، وعَنْبسة، وعمر، ورَوْح، وبِشْر، ويزيد، ويحيى؛

أمُّ عبد العزيز ومحمد وأمّ البنين بنتَ عَبد العزيز ابن مَرْوان، وأم أبي عُبيدة فزاريّة، وسائرهم لأمهات شتّى.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره:

٢/١٢٧١ حدّثني عُمَر، قال: حدّثني عليّ، قال: كان الوليدُ بنُ عبد الملك عند أهل الشأم أفضل خلائفهم، بنى المساجِدَ مسجدَ دمَشق ومسجدَ المدينة، ووَضَع المَنار، وأعطَى الناسَ، وأعطَى المُجَذَّمين، وقال: لا تسألوا الناس. وأعطَى كلَّ مُقْعَد خادمًا، وكلَّ ضَرير قائدًا. وفُتِحَ في ولايته فتُوحٌ عِظام؛ فتَحَ موسى بنَ نُصير الأندلسَ، وفتَح قتيبة كاشْغَر، وفتَح محمد بنُ القاسم الهند.

قال: وكان الوليدُ يمرّ بالبقال فيقِف عليه فيأخذ حُزْمة البَقْل فيقول: بكَمْ هذه؟ فيقول: بفَلْس؛ فيقول: زِدْ فيها.

قال: وأتاه رجلٌ من بني مخزوم يَسألُه في دَيْنه، فقال: نعم، إن كنت مستحقًّا لذلك، قال: يا أميرَ المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقًّا لذلك مع قرابتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادْنُ مني، فدنا منه، فنزَع عمامتَه بقَضيب كان في يده، وقرَعه قَرَعات بالقَضيب، وقال لرجل: ضُمَّ هذا إليك، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمانُ ابنُ يزيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنّ عليّ دَيْنًا، فقال: أقرأتَ القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشرَ آيات من الأنفال، وعشرَ آيات من براءة، فقرأ، فقال: نَعَم، نَقْضى[1] عنكم، ٢/١٢٧٢ ونصِل أرحامكم على هذا.

---

(١) ب: «يقضى».

قال : ومَرِض الوليدُ فرهقتْه غَشْيَة ، فمكث عامّة يومِه عندَهم ميتًا ، فبُكِيَ عليه ، وخرجت البُرُد بموته ، فقَدِم رسولٌ على الحجاج ، فاسترْجَع ، ثمّ أمَرَ بحبل فشُدَّ فى يديه ، ثم أوثِق إلى أسطوانة ، وقال : اللهمّ لا تسلط علىّ من لا رحمةَ له ، فقد طالما سألتُك أن تجعل منيّتى قبل منيته ! وجعل يدعُو ، فإنه لكذلك إذ قَدِم عليه بريدٌ بإفاقته .

قال علىّ : ولما أفاق الوليدُ قال : ما أحدٌ أسَرّ بعافية أميرِ المؤمنين[1] من الحجاج ؛ فقال عمرُ بنُ عبد العزيز : ما أعظمَ نعمةَ الله علينا بعافيتك ، وكأنى بكتاب الحجاج قد أتاكَ يذكُر فيه أنه لما بلغه برؤُك خرّ لله ساجداً ، وأعتق كلّ مملوكٍ له ، وبعث بقوارير من أنْبَجِ الهند . فما لَبث إلا أيامًا حتى جاء الكتابُ بما قال .

قال : ثمّ لم يَمُت الحجّاجُ حتى ثَقُل على الوَليد ، فقال خادمٌ للوليد : إنى لأوضّئ الوليدَ يومًا للغَداء ، فمدّ يدَه ، فجعلتُ أصبّ عليه الماء ، وهو ساهٍ والماءُ يَسيلُ ولا أستطيعُ أن أتكلم ، ثمّ نَضَح الماءَ فى وَجهى ، وقال : أناعسٌ أنتَ ! ورَفَع رأسه إلىّ وقال : ما تَدْرِى ما جاء الليلة ؟ قلتُ : لا ؛ قال : وَيْحَكَ ! ماتَ الحجاج ! فاسترجعتُ . قال : اسكُتْ ما يُسرّ مولاك أنّ فى يده تفاحةً يشُمّها .

قال علىّ : وكان الوليد صاحب بناء واتّخاذ للمصانع والضّياع ، وكان الناس يلتقون فى زَمانه ، فإنما يسأل بعضُهم بعضًا عن البِناء والمَصانع . فولى سليمان ، فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يَسأل بعضُهم بعضاً عن التزويج والجَوارِى . فلما ولِىَ عمرُ بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما ورْدُك الليلة ؟ وكم تَحفَظ من القرآن ؟ ومتَى تَختِم ؟ ومتى ختَمْتَ ؟ وما تَصومُ من الشهر ؟ ورثَى جرير الوليدَ فقال : ١٢٧٣/٢

يا عَين جُودِى بِدمعٍ هَاجَهُ الذِّكَرُ فما لدمعِكِ بَعْد اليوم مُدَّخَرُ[2]

(١) س : « الوليد » .
(٢) ديوانه ٢٩٦ .

إنَّ الخليفةَ قد وَارَتْ شَمَائِلَهُ غَبرَاءُ مُلحَدَةٌ فى جُولِهَا زَوَرُ[١]
أَضحى بَنُوه وقد جَلَّت مُصِيبَتُهُم مِثل النّجوم هَوَى مِن بينِها القمرُ
كانوا جميعاً فلَم يَدفع مَنِيَّتَهُ عبدُ العزيزِ ولا رَوحٌ ولا عمرُ[٢]

حدّثنى عمرُ، قال: حدّثنا علىّ، قال: حجّ الوليدُ بنُ عبد الملك، وحجّ محمد بنُ يوسفَ من اليَمَن، وحَمَل هدايا للوليد، فقالت أمّ البنين للوليد: يا أميرَ المؤمنين، اجعَلْ لى هدّيةَ محمد بن يوسف، فأمرَ بصَرْفها إليها، فجاءت رسلُ أمّ البنين إلى محمّد فيها، فأبى وقال: يَنظُر إليها أميرُ المؤمنين فيَرَى رأيَه — وكانت هدايا كثيرةً — فقالت: يا أميرَ المؤمنين، إنك أمرتَ بهدايا محمد أن تُصرَف إلىّ، ولا حاجةَ لى بها، قال: ولِمَ؟ قالت: بلَغنى أنه غَصَبها الناسَ، وكلّفهم عَملَها، وظَلمهم. وحَمَلَ محمد المتاعَ إلى الوليد، فقال: بلَغنى أنك أصبتَها غَصْبًا، قال، مَعاذَ الله! فأمر فاستُحلف بينَ الركن والمقام خمسين يَمينًا بالله ما غَصَب شيئًا منها، ولَا ظَلَم أحداً، ولا أصابَها إلا من طَيِّب؛ فَحلَف، فقَبلَها الوليدُ ودفَعها إلى أمّ البنين، فمات محمد بنُ يوسفَ باليَمَن، أصابه داءٌ تَقطَّع منه.

٢/١٢٧٤

وفى هذه السنة كان الوليد أرادَ الشخوصَ إلى أخيه سليمانَ لخلعه، وأراد البَيْعةَ لابنه من بعده، وذلك قبلَ مَرَضته التى مات فيها. حدّثنى عمر، قال: حدّثنا علىّ، قال: كان الوليدُ وسليمان وَليىْ عهد عبد الملك، فلما أفضَى الأمرُ إلى الوليد، أرادَ أن يبايعَ لابنه عبد العزيز وَيخلَع سليمان، فأبى سليمان، فأراده على أن يجعَله له من بعده، فأبى، فعَرَض عليه أموالاً كثيرة، فأبى، فكَتَب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز،

(١) الديوان: «غبراء ملحودة». وأجوال البئر: نواحيها. والزور: الاعوجاج.
(٢) بعده فى الديوان.

وخالِدٌ لو أراد الدَّهْرُ فديتَهُ أَغْلوْا مخاطرةً لو يقبَلُ الخَطَر
قد شفَّنِى روعة العباسِ من فزعٍ لما أتاه بديْر القسطل الخبرُ

ودعا الناسَ إلى ذلك ؛ فلم يُجبه أحد إلا الحجاجَ وقتيبةَ وخوّاصّ من الناس . فقال عبّاد بن زياد : إنّ الناس لا يجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمَنْهم على الغَدْر بابنك ، فاكتبْ إلى سليمانَ فليقدم عليك ، فإنّ لك عليه طاعة ، فأرِدْه على البَيْعة لعبدِ العزيز مِن بعده ، فإنه لا يَقدِر على الامتناع وهو عندَك ، فإنْ أبى كان الناسُ عليه .

فكتب الوليدُ إلى سليمانَ يأمُره بالقدوم[1] ، فأبطأ ، فاعتزَم الوليدُ على المسير إليه وعلى أن يَخلَعه ، فأمر الناسَ بالتأهب ، وأمر بحُجَره فأخرِجتْ ، فمرِض ، وماتَ قبل أن يَسير[2] وهو يريد ذلك .

قال عمر : قال عليّ : وأخبَرنا أبو عاصم الزّيادىّ عن الهِلْواث الكلبىّ ، قال : كنا بالهِنْد مع محمد بن القاسم ، فقتَل الله داهِراً[3] ، وجاءنا كتابٌ من الحجاج أن اخلَعوا سليمانَ ، فلما ولى سليمانُ جاءنا كتابُ سليمانَ ، أن ازرَعوا واحرُثوا ، فلا شأمَ لكم ، فلم نزلْ بتلك البلاد حتى قام عمرُ بنُ عبد العزيز فأقفَلنا . ٢/ ١٢٧٥

قال عمر : قال عليّ : أراد الوليد أن يبنىَ مَسجدَ دمشق ، وكانت فيه كنيسة ، فقال الوليد لأصحابه : أقسمتُ عليكم لمَّا أتانى كلّ رجل منكم بلَبِنة ، فَجعل كلّ رجل يأتيه بِلَبِنة ، ورجل من أهل العراق يأتيه بلَبِنتَين ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : مِن أهل العراق ؛ قال : يا أهل العراق ، تُفرِطون فى كلّ شىء حتى فى الطاعة ! وهَدَموا الكنيسةَ وبَناها مسجداً ، فلما ولى عمر بنُ عبد العزيز شكَوا ذلك إليه ، فقيل : إنّ كل ما كان خارجًا من المدينة افتُتِح عَنْوة ، فقال لهم عمر : نردّ عليكم كنيستكم ونَهدِم كنيسة تُومَا ، فإنها فُتِحت عنوة ، نبنيها مسجداً ، فلما قال لهم ذلك قالوا : بل نَدَع لكم هذا الذى هَدَمه الوليد ، ودَعُوا لنا كنيسةَ تُوما . ففَعَل عمرُ ذلك .

---

(١) بعدها فى ب : « عليه » .
(٢) بعدها فى ب : « إليه » .
(٣) داهر ، ملك مكران .

[فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين]

وفى هذه السنة افتتح قتيبةُ بنُ مسلم كاشغر ، وغزَا الصين .

* ذكر الخبر عن ذلك :

رَجَعَ الحديث إلى حديث علىّ بن محمد بالإسناد الذى ذكرتُ قبلُ . قال : ثمّ غزا قتيبةُ فى سنة ست وتسعين ، وحَمَل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يُحرِز عيالَه فى سمرقَنْد خوفًا من سليمان ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواليه يقال له الخُوارَزْمِىّ على مَقطَع النهر ، وقال : لا يجوزَنّ أحدٌ إلا بجَواز ؛ ومَضَى إلى فرْغانة ، وأرسَل إلى شِعْب عصام من يُسهِّل له الطريق إلى كاشغر ، وهى أدنَى مدائن الصين ، فأتاه موتُ الوَليد وهو بفَرْغانة .

٢/١٢٧٦

قال : فأخبرَنا أبو الذّيال عن المهلب بن إياس ، قال : قال إياس بن زُهير : لما عبَر قتيبةُ النهرَ أتيتُه فقلت له : إنك خرجتَ ولم أعلم رأيَك فى العيال فنأخذَ أهْبَة ذلك ، وبَنِىَّ الأكابر معى ، ولى عيال قد خلّفْتهم وأم عجوز ، وليس عندهم مَن يقوم بأمرِهم ، فإن رأيتَ أن تَكتُب لى كتابًا مع بعض بَنِىَّ أوجّهه فيقدم علىّ بأهلى ! فكتَب ، فأعطانى الكتابَ فانتهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخَر ، فألويت بيدى ، فجاء قومٌ فى سفينة فقالوا : مَن أنتَ ؟ أين جَوازك ؟ فأخبرتُهم ، فقَعدَ معى قومٌ وردّ قومٌ السفينةَ إلى العامل ، فأخبروه . قال : ثمّ رجعوا إلىّ فحملونى ، فانتهيت إليهم وهم يأكلون وأنا جائعٌ ، فرمَيتُ بنفسى ، فسألَنى عن الأمر ، وأنا آكلُ لا أجيبه ، فقال : هذا أعرابىّ قد ماتَ من الجوع ، ثمّ ركبتُ فمضيتُ فأتيتُ مروَ ، فحملت أمى ، ورجعتُ أريدُ العسكر ، وجاءنا موتُ الوَليد ، فانصرفتُ إلى مرْو .

وقال : وأخبرَنا أبو مخنف ، عن أبيه ، قال : بعث قتيبةُ كثير بن فلان إلى كاشغَر ، فسبَى منها سبْيًا ، فختَم أعناقَهم مما أفاء الله على قُتيبة ، ثمّ رجع قتيبةُ وجاءهم موتُ الوليد .

قال : وأخبرَنا يحيى بن زكرياء الهَمْدانىّ عن أشياخ من أهلِ خرُاسان

والحكَم بن عثمان ، قال : حدّثني شيخٌ من أهل خُراسانَ . قال : وَغَلَ قتيبة ٢/١٢٧٧
حتى قرب[١] من الصين . قال : فكتب إليه مَلِكُ الصين أن ابعثْ إلينا رجلاً
من أشراف مَن مَعَكم يُخبرنا عنكم ، ونُسائله عن دِينكم . فانتخب قتيبةُ
من عسكره اثنيْ عشر رجلا — وقال بعضُهم : عشرة — من أفناء القبائل ، لهم جَمال
وأجْسام وألسُن وشُعور وبأس ، بعد ما سأل عنهم فوَجَدَهم مِن صالح مَن هم
منه . فكلّمهم قتيبةُ ، وفاطَنَهم فرأى عقولا وَجمالا ، فأمر لهم بعُدّة حسنة
من السلاح والمَتاع الجيّد من الخزّ والوَشْي واللّين من البَياض والرّقيق[٢]
والنعال[٣] والعِطْر ، وحَمَلَهم على خيول مطهّمة تُقادُ معهم ، ودوابّ
يركبونها[٤] . قال : وكان هُبيرة بن المشمْرَج الكلابيّ مفوّها بسيطَ اللسان ،
فقال : يا هُبيرة ، كيف أنتَ صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قد كُفيتَ
الأدبَ وقلْ ما شئتَ أقلْه . وآخذ به ، قال : سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق .
لا تَضعوا العمائمَ عنكم حتى تقدموا البلادَ ، فإذا دخلتمْ عليه فأعلموه أني قد
حلفتُ ألّا أنصرفَ حتى أطأ بلادَهم ، وأختمَ ملوكَهم ، وأجْبي خَراجَهم .

قال : فساروا ، وعليهم هبيرة بن المشمرَج ، فلما قدموا أرسلَ إليهم
مَلِكُ الصين يدعوهم ، فدَخلوا الحمام ، ثمّ خرجوا فلبسوا ثيابًا بيضًا[٦] تحتَها
الغَلائل ، ثم مَسّوا الغاليةَ ، وتدخّنوا[٥] ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه
وعندَه عظماءُ أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك ولا أحدٌ من جلسائه
فنَهضوا ، فقال الملك لمَن حَضَره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قومًا ٢/١٢٧٨
ما هُمْ إلاّ نساء ؛ ما بقيَ منا أحد حين رآهم ووَجَد رائحتَهم إلا انتشَر
ما عندَه .

قال : فلما كان الغد أرسَل إليهم فلَبسوا الوشيَ وعمائمَ الخزّ والمَطارِف ،
وغدَوْا عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجِعوا ، فقال لأصحابه : كيف

(١) ب : « بلغ قرب » . (٢) ب : « الرقاق » .
(٣) ب : « والبغال » . (٤) ب : « يربطونها » .
(٥) فى اللسان : « الدخنة : بخور يدخن به الثياب أو البيت ، وقد تدخن بها ودخن غيره » .
(٦) ط : « بياضاً » .

رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه الهيئة أشبهُ بهيئة الرّجال من تلك الأولى ، وهم أولئك ، فلما كان اليوم الثالث أرسَلَ إليهم فشدّوا عليهم سلاحَهم ، ولبسوا البَيْضَ والمَغافرَ ، وتقلّدوا السيوف ، وأخذوا الرّماح ، وتنكبوا القسيَّ ، وركِبوا خيولَهم ، وغدَوا فنظَرَ إليهم صاحبُ الصين فرأى أمثالَ الجبال مُقْبِلة ، فلما دَنوا ركزوا رِماحَهم ، ثمّ أقبلوا نحوَهم مشمّرين ، فقيل لهم قبلَ أن يدخلوا : ارجعوا ، لِما دخَل قلوبَهم من خوْفهم .

قال : فانصرَفوا فركِبوا خيولَهم ، واختلَجوا رِماحَهم ، ثم دفعوا خيولَهم كأنهم يتطارَدون بها ، فقال المَلِك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثلَ هؤلاء قطّ ، فلما أمسَى أرسَل إليهم الملك ، أن ابعثوا إلىّ زعيمَكم وأفضلَكم رجلاً ، فبعَثوا إليه هُبَيرة ، فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم[1] عظيمَ مُلْكي ، وإنه ليس أحدٌ يمنَعكم مني ، وأنتم في بلادي ، وإنما أنتم بمنزلة البَيْضة في كفّي . وأنا سائلك[2] عن أمر فإنْ لم تَصدقني[3] قتَلتُكم . قال : سَل ؛ قال : لِمَ صنَعتم ما صنعتم من الزيّ في اليوم الأول والثاني والثالث ؟ قال : أما زيُّنا الأوّل فلباسنا في أهالينا[4] وريحنا عندَهم ، وأما يومُنا الثاني فإذَا أتينا أمراءَنا ، وأما اليومُ الثالث فَزيُّنا لعدوّنا ، فإذا هاجَنَا هيْج وفزع[5] كنا هكذا . قال : ما أحسَنَ ما دبرّتم دهرَكم ! فانصرِفوا إلى صاحبكم فقولوا له : ينصرِف ، فإني قد عرفتُ حِرصَه وقلة أصحابه ، وإلا بعثتُ عليكم من يُهلِككم ويُهلِكه ، قال له : كيف يكون قليلَ الأصحاب مَنْ أوّل خيلِه في بلادك وآخرها في منابت الزّيتون ! وكيف يكون حَريصًا من خلّف الدنيا قادراً عليها وغزَاك ! وأما تخويفك إيانا بالقتل فإنّ لنا آجالا إذا حضَرَتْ فأكرمها القتلُ ، فلسْنا نَكرَهه ولا نَخافُه ؛ قال : فما الذي يُرضِي صاحبَك ؟ قال : إنه قد حلف ألّا ينصرف حتى يطأ أرضَكم ، ويختم ملوكَكم ، ويُعطَى الجِزْية ؛ قال : فإنا نخرجه من يمينه ، نبعث إليه

٢/١٢٧٩

---

(١) ب : « أرأيتم » . (٢) ب : « أسائلك » .
(٣) ب : « تصدقوني » . (٤) ب : « أهلنا » .
(٥) ب : « أو فزع » .

بتُراب من تراب أرضنا فيطؤه ، ونَبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها . قال : فدعا بصحاف من ذهب فيها تُرابٌ ، وبعَث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسَنَ جَوائزهم ، فساروا فقَدموا بما بعَث به ، فقَبِل قتيبةُ الجزْية ، وختم الغِلْمة وردّهم ، ووَطِئ التراب ، فقال سوادة بنُ عبد الله السَّلُولىّ :

لا عَيبَ فى الوَفْدِ الذينَ بَعَثْتَهُمْ ... للصين إنْ سَلَكوا طريقَ المَنهج

كسرُوا الجفونَ على القذَى خوفَ الرَّدَى ... حَاشا الكريم هُبَيرَةَ بن مُشَمرَجِ

لَم يَرضَ غيرَ الخَتْمِ فى أعناقِهم ... ورهائنٍ دُفِعَتْ بِحَملِ سَمَرَّجِ

أَدَّى رسالتَكَ التى استَرعَيتَهُ ... وأتاك مِن حِنثِ اليمين بمخرجِ ٢/١٢٨٠

قال : فأوفَد قتيبةُ هبيرةَ إلى الوليد ، فمات بقرية[1] من فارسَ ، فرَثاه سوادَةُ ، فقال :

للهِ قبرُ هُبيرَة بن مُشمرَجِ ... ماذا تَضَمَّنَ من نَدًى وجَمَال!

وبديهةٍ يَعيَا بها أبناؤُها ... عند احتفالِ مَشاهدِ الأقوال

كان الربيعَ إذا السّنون تَتَابعَت ... والليثَ عند تكعكع الأبطالِ

فَسَقَتْ بقريةَ حيثُ أمسى قبرُه ... غُرٌّ يَرُحنَ بمسبِلٍ هطّالِ

بكَتِ الجيادُ الصافناتُ لفَقدِه ... وبَكاه كلُّ مُثَقَّفٍ عَسَّالِ

وبكتْهُ شُعْثٌ لم يجدنَ مُواسِياً ... فى العامِ ذى السَّنَوات والإمحالِ

قال : وقال الباهليّون : كان قتيبة إذا رجع من غَزاته كلّ سنة اشترى اثنىْ عشر فرساً من جياد الخَيل ، واثنى عشرَ هجيناً . لا يُجاوِز بالفرس أربعة آلاف ، فيقام عليها إلى وقت الغزو ، فإذا تأهب للغزو وعَسكَر قيّدت وأضمِرتْ ، فلا يَقطَع نهراً بخَيل حتى تخفّ لُحومُها ، فيَحمِل عليها من يَحمِله فى الطلائع . وكان يبعث فى الطلائع الفُرسان من الأشراف ، ويبعث معهم رجالا من العَجَم ممن يَستنصِح على تلك الهجُن ، وكان إذا بعث

---

(١) قرية : اسم موضع .

بطَليعة[١] أمَر بلَوْح فنقُش ، ثمّ يشقّه شقّتين فأعطاه شقّة ، واحتبس ٢/ ١٢٨١ شقة ، لئلا يمثَل مثلها، ويأمره أن يَدفِنها فى موضع يصفهُ له من[٢] مخاضَة معروفة ، أو تحتَ شجرة معلومة ، أو خربة ، ثمّ يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادِقٌ فى طليعته أم لا .

وقال ثابت قُطنة العَتَكىّ يذكر مَنْ قُتِل من ملوك الترك :

أَقَرَّ العَينَ مقتلُ كارزنكٍ وكَشْبيز وما لاقَى بيار

وقال الكُميتُ يَذكُر غزوة السُّغْد وخُوارزْم :

وبعدُ فى غزوةٍ كانت مُبارَكةً تَردِى زراعةَ أقوامٍ وتَحتَصِدُ
نالتْ غَمامتُها فِيلاً بَوابِلِهَا والسُّغْد حين دنا شؤبُوبُها البَرِدُ
إذ لا يزالُ له نَهبٌ يُنَفِّلُهُ مِنَ المقاسِمِ لا وَخْشٌ ولا نَكَدُ
تلك الفُتوحُ التى تُدْلى بِحُجَّتِهَا على الخليفةِ إنَّا معشرٌ حُشُدُ
لَم تَثنِ وجهَكَ عن قومٍ غَزوتَهُم حتى يُقالَ لهم : بُعدًا وقد بعِدُوا
لم ترضَ مِن حِصنهمْ إن كانممتَنِعاً حتى يُكَبِّرَ فيه الواحدُ الصَّمَدُ

(١) ب : « طليعة » .
(٢) ب : « فى » .

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة بُويع سليمانُ بنُ عبد الملك بالخلافة ، وذلك فى اليوم الذى تُوفّى فيه الوليدُ بنُ عبدِ الملك ، وهو بالرَّمْلة .

وفيها عزَل سليمانُ بنُ عبد الملك عثمانَ بن حيّان عن المدينة ، ذكَر محمد بن عمَر ، أنه نزعه عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ستّ[1] وتسعين . ٢/١٢٨٢

قال : وكان عملُه على المدينة ثلاثَ سنين . وقيل : كانت إمرتُه عليها سنتين غير سبْعِ[2] ليال .

قال الواقدىّ : وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم قد استأذن عثمانَ أن ينام فى غد ، ولا يَجلس للناس ليقوم ليلةَ إحدى وعشرين ، فأذن له . وكان أيوب بنُ سلمة المخزومىّ عندَه ، وكان الذى بين أيّوب بن سلمة وبين أبى بكر بن عَمرو بن حزْم سيّئًا ، فقال أيوب لعثمان : ألم ترَ إلى ما يقول هذا ؟ إنما هذا منه رِئاء ؛ فقال عثمان : قد رأيتُ ذلك ، ولستُ لأبى إن أرسلتُ إليه غُدوةً ولم أجده جالسًا لأجلدنه مائة ، ولأحلقنّ رأسه ولحيته .

قال أيوب : فجاءنى أمرٌ أحبه ، فعجّلت من السحَر ، فإذا شمْعة فى الدار ، فقلتُ : عَجِل المرّىّ ، فإذا رسولُ سليمانَ قد قدِم على أبى بكر بتأميره وعزْلِ عثمانَ وحدَه .

قال أيوب : فدخلتُ دارَ الإمارة ، فإذا ابنُ حيّان جالس ، وإذا بأبى بكر على كرسىّ يقول للحدّاد : اضربْ فى رِجْل هذا الحديدَ ، ونظر إلىّ عثمانُ فقال[3] :

آبُوا على أدبارهم كُشُفاً والأمرُ يَحدُثُ بعده الأمرُ

(١) ب : « فى سنة » .
(٢) ط : « سبعة » ، والصواب ما أثبته من ب .
(٣) بعدها فى ب : « متمثلا » .

وفى هذه السنة عزَل سليمانُ يزيدَ بنَ أبى مسلم عن العراق ، وأمّر عليه يزيدَ بن المُهلَّب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخَراج، وأمَره أن يَقتُل آل أبى عقيل ويَبسُط عليهم العَذاب . فحدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثنى على بن محمد ، قال : قَدِم صالح العراقَ على الخَراج ، ويزيدُ على الحَرْب ، فبعث يزيد زيادَ بن المهلب على عُمان ، وقال له : كاتبْ صالحاً ، وإذا كتبتَ إليه فابدأ باسمه، وأخذ صالح آلَ أبى عُقيل فكان يُعذبهم ، وكان يلِى عذابَهم عبدُ الملك بن المهلب . ٢/١٢٨٣

* * *

[خبر مقتل قتيبة بن مسلم]

وفى هذه السنة قُتِل قتيبة بنُ مسلِم بخُراسان .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أن الوليد بنَ عبد الملك أراد أن يجعَل ابنَه عبدَ العزيز ابن الوليد ولىّ عهدِه ، ودسّ فى ذلك إلى القوّاد والشعراء ، فقال جرير فى ذلك :

إذا قيلَ أىّ الناس خيرُ خليفةٍ؟ أشارَتْ إلى عبدِ العزيزِ الأصابعُ[١]

رَأَوْهُ أحقَّ الناس كلِّهم بهـا وما ظَلموا ، فبايَعوه وسَارعُوا[٢]

وقال أيضًا جرير يحضّ الوليد على بيعة عبد العزيز :

إلى عبد العزيزِ سَمَت عيونُ الـرَّ عيّةِ إذ تَحيَّرَت الرِّعـاءُ[٣]

إليه دَعتْ دَواعِيهِ إذا مَا عِمَادُ المُلكِ خَرَّت والسَّماءُ

وقال أُولو الحكومةِ من قُرَيشٍ علينا البيعُ إن بلغ الغلاءُ[٤]

---

(١) ديوانه ٣٥٧ .

(٢) ب : « إذ بايعوه وسارعوا » ، ر : « فبايعوه وسارعوا » .

(٣) ديوانه ٩ .

(٤) الديوان : « إذ بلغ الغلاء » .

رَأَوْا عبدَ العزيز ولىَّ عَهْدٍ   وما ظلموا بذاكَ ولا أَسَاءُوا
فماذا تنظرونَ بها وفيكمْ   جُسُورٌ بالعظائم واعتلاءُ !
فَزَحلِفها بِأَزْمَلِهَا إليــه   أميرَ المؤمنين إذا تَشاءُ[1]
فإنَّ الناسَ قد مَدُّوا إليــه   أَكُفَّهُمْ وقد بَرِحَ الخفاءُ
ولو قد بَايعوك ولِىَّ عهــدٍ   لقام الوزنُ واعتدَلَ البنــاءُ[2]   ٢/١٢٨٤

فبايَعَه على خَلْع سليمانَ الحجاجُ بن يوسفَ وقتيبة ، ثم هلك الوليد وقامَ سليمانُ بنُ عبد الملك ، فخافه قتيبة .

قال علىّ بن محمد : أخبَرنا بِشْر بن عيسى والحسَن بنُ رشيد وكُلَيب ابن خلَف ، عن طُفَيل بن مِرْداس ، وجَبَلة بن فَرّوخ ، عن محمد بن عزيز الكِنْدىّ ، وجبَلَة بن أبى روّاد[3] ومسلمة بن محارب ، عن السَّكن بن قَتادة ؛ أن قتيبةَ لما أتاه موتُ الوليد بن عبد الملك وقيامُ سليمانَ ، أشفَق من سليمانَ لأنه كان يَسعَى فى بَيْعة عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج ، وخاف أن يولّىَ سليمانُ يزيدَ بنَ المهلب خُراسان . قال : فكتب إليه كتاباً يُهنّئه بالخلافة ، ويعزّيه على الوليد ، ويُعلمه بلاءَه وطاعتَه لعبد الملك والوليد ، وأنه له على مِثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يَعزِلْه عن خُراسان . وكتب إليه كتاباً آخَر يُعلِمه فيه فتوحَه ونِكايتَه وعظمَ قَدْره عند مُلوك العَجَم ، وهيبته فى صدورهم ، وعظم صوته فيهم ، ويذمّ المهلب وآلَ المهلّب ، ويحلف بالله لئن استعمل يزيدَ على خُراسان ليخلعنّه .   ٢/١٢٨٥
وكتب كتاباً ثالثاً فيه خَلْعُه ، وبعث بالكُتُب الثلاثة مع رجل من باهِلة[4] ، وقال له : ادفع إليه هذا الكتاب ، فإن كان يزيدُ بنُ المهلب حاضراً ، فقرأه ثم ألقاه إليه ، فادفع إليه هذا الكتاب ، فإن قَرَأه وألقاه إلى يزيدَ فادفع إليه هذا الكتاب ، فإن قرأ الأوّل ولم يدفعْه إلى يزيد فاحتبس الكتابَين الآخَرين .

---

(١) زحلفها إليه ، أى ادفعها . وقوله : « بأزملها » ، أى بأجمعها .
(٢) الديوان : «لقام القسط» .   (٣) ط : «دواد» ، تحريف .   (٤) ب : «أهله» .

قال : فقَدِم رسولُ قتيبةَ فدخل على سليمانَ وعندَه يزيدُ بن المهلب، فدفَع إليه الكتاب، فقرأه، ثم ألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه كتابًا آخرَ فقرأه، ثمّ رَمَى به إلى يزيدَ، فأعطاه الكتاب الثالث، فقرأه فتمعَّر لونُه[1] ، ثم دَعَا بطِين فختمه ثم أمسكه بيده .

* * *

وأما أبو عُبيدَة مَعمَر بنُ المثنى ، فإنه قال — فيما حدّثت عنه : كان فى الكتاب الأوّل وَقيعة فى يزيد بن المهلب ، وذكرُ غدرِه وكفرِه وقلة شكرِه ، وكان فى الثانى ثناء على يزيد ، وفى الثالث : لئن لم تُقرّنى على ما كنتُ عليه وتؤمّنِّى لأخلعنك خلعَ النَّعل، ولأملأنّها عليك خيْلا ورِجالاً . وقال أيضًا لما قرأ سليمانُ الكتابَ الثالث وضعَه بين مثالَين من المُثُل التى تحتَه ولم يُحرِ فى ذلك مرجوعًا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد . قال: ثمّ أمر — يعنى سليمان — برسول قتيبةَ أن يُنزَّل ، فحوِّل إلى دار الضيافة ، فلما أمسَى دعا به سليمانَ ، فأعطاه صُرّةً فيها دنانير ، فقال : هذه جائزتُك ، وهذا عهدُ صاحبك على خُراسان فسِرْ ، وهذا رسولى معك بعَهْده . قال : فخرج الباهلىّ ، وبعث معه سليمانُ رجلاً من عبد القيس، ثمّ أحد بنى ليْث يقال له صَعْصعة — أو مُصعَب — فلما كان بحُلوانَ تلقّاهم الناس بخلْع قُتيبة ، فرجع العبدىّ، ودفع العهدَ إلى رسول قتيبة، وقد خلع؛ واضطرب الأمرُ، فدفع إليه عهدَه، فاستشار إخوتَه ، فقالوا : لا يثق بك سليمانُ بعدَ هذا .

٢/١٢٨٦

قال علىّ : وحدّثنى بعضُ العَنبريين ، عن أشياخ منهم ، أنّ تَوْبَةَ ابن أبى أسيد العَنْبرى، قال : قَدِم صالح العراقَ، فوجّهنى إلى قتيبة ليُطلِعنى[2] طِلْعَ ما فى يده ، فصَحِبَنى رجل من بنى أسد ، فسألنى عمّا خرجتُ فيه ، فكاتمتُه أمرى ، فإنا لنسير إذ سنَحَ لنا سانح ؛ فنظر إلىّ رفيقى

(١) تمعّر لونه ، أى تغيّر .
(٢) ب : « ليطلع » .

فقال : أراك فى أمر جسيم وأنت تكتمنى ! فضيتُ ، فلما كنت بحُلوان تلقانى الناسُ بقتل قتيبة .

قال علىّ : وذكر أبو الذّيال وكُلَيب بن خلَف وأبو علىّ الجُوزجانىّ عن طُفيل بن مِرْداس، وأبو الحسن الجشَمىّ ومصعَب بن حيّان [1] عن أخيه مقاتِل بن حيّان ، وأبو مخنَف وغيرهم ، أن قتيبة لما همّ بالخَلْع استشار إخوتَه، فقال له عبدالرحمن: اقطع بعثًا فوجِّه فيه كلّ من تخافه ، ووجِّه قومًا إلى مَرْو ، وسِرْ حتى تنزلَ سَمَرْقَنْد ، ثم قل لمن معك: مَن أحبّ المقامَ فله المواساة ، ومن أراد الانصرافَ فغيرْ مستكرَه ولا متْبوعٍ بسوء ، فلا يقيم معك إلا مناصح . وقال له عبد الله : اخلعه مكانك، وادع الناس إلى خلعه . فليس يختلف عليك رجلان . فأخذ برأى عبدِ الله ، فخلع سليمان ، ودعا الناسَ إلى خلْعه ، فقال للناس:

٢/١٢٨٧

إنى قد جمعتكم من عين التمر وفيْض البحر فضممت الأخ إلى أخيه ، والولدَ إلى أبيه، وقسمتُ بينكم فيئكم، وأجريْت عليكم أعطياتِكم غير مكدّرة ولا مؤخّرة ، وقد جربتم الوُلاةَ قبلى ؛ أتاكم أمية [2] فكتب إلى أمير المؤمنين إنّ خراجَ خُراسانَ لا يقوم [3] بمطبخى، ثم جاءكم أبو سعيد [4] فدوّم بكم [5] ثلاثَ سنينَ لا تدْرون أفى طاعة أنتم أم فى معصية ! لم يَجْب فيْئًا ، ولم يَنْكأ عدوًّا ، ثم جاءكم بنُوه بعدَه ؛ يزيد، فحل تبارَى إليه النساء ، وإنما خليفتُكم يزيدُ بن ثروان هَبَنّقَةُ القَيْسىّ [6] .

قال: فلم يُجبه أحد ، فغَضب فقال : لا أعزّ اللهُ من نصرتم ، والله لو اجتمعتم على عَنْز ما كسرتم قرنها ، يا أهل السافلة — ولا أقول أهلَ العالية — يا أوباشَ الصَّدَقة ، جمعتُكم كما تُجمَع إبلُ الصدقة من كلّ أوْب . يا معْشرَ بكر بن وائل ، يا أهل النفخ والكذب والبُخْل ، بأىّ

---

(١) ط : « حبان » ، تحريف . (٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العاص بن أمية ، عامل عبد الملك على خراسان حتى سنة ٧٨ . (٣) ط : « لا يقيم » ، وفى البيان : « لوكان فى مطبخه لم يكفه » . (٤) أبو سعيد كنية المهلب بن أبى صفرة .

(٥) ب : « فرزم فيكم » .

(٦) هو يزيد بن ثروان بن هبنقة ذو الودعات القيسى ، المضروب به المثل فى الحمق .

يومَيْكم تَفخَرون ؟ بيَوم حَرْبكم ، أو بيوم سلمِكم ! فوالله لأنا أعزّ منكم . يا أصحاب مُسيلمة ، يا بنى نَميم — ولا أقول تَميم — يا أهل الخَوَر[1] والقَصْف والغَدْر ، كنتم تسمّون الغَدْر فى الجاهلية كَيْسان[2] . يا أصحابَ سَجَاح ، يا معشر عبدالقيس القُساة ، تبدّلتم بأبْر النَّحل[3] أعنّةَ الخيل . يا معشر الأزْد ، تبدّلتم بقَلُوس[4] السفن أعنة الخيل الحُصُن ؛[5] إن هذا لبَدعة فى الإسلام ! والأعراب ، وما الأعراب ! لعنةُ الله على الأعراب ! يا كناسةَ المصرَيْن ، جمعتُكم من منابت الشيح والقَيْصوم ومَنابت القلقِل[6] ، تركبون البَقَر والحُمُر فى جزيرة ابن كاوانَ ، حتى إذا جمعتُكم كما تُجمَع قَزَع الخريف[7] قُلتم كَيتَ وكَيْتَ ! أما والله إنى لابن أبيه ! وأخو أخيه ، أما والله لأعصبنكم عَصْبَ السَّلَمة . إنّ حَوْل الصِّلِّيان الزمْزَمة[8] . يا أهل خُراسانَ ، هل تدرون مَن وليكم ؟ وليكم يزيدُ بنُ ثَرْوان . كأنى بأمير مزجاء[9] ، وحكَمٍ قد جاءكم فَغلَبكم على فيئكم وأظلالكم . إن ها هنا ناراً ارمُوها أرْمِ معكم ، ارمُوا غرضكم الأقصى . قد استُخْلف عليكم أبو نافع ذو الوَدَعات . إنّ الشأم أبٌ مَبْرور ، وإن العراقَ أبٌ مكفور . حتى متى يتبطح[10] أهلُ الشأم بأفنيتكم وظِلال دياركم ! يا أهل خُراسانَ ، انسبُونى تَجدونى عراقىّ الأمّ ، عراقىّ الأب ، عراقىّ المولد ، عراقىّ الهوَى والرأى والدين[11] ، وقد أصبحتم اليومَ فيما ترَون من الأمْن والعافية قد فَتَح الله لكم البلاد ، وآمن سُبُلكم ، فالظَّعينة تَخرُج من مَرْوَ إلى بَلْخَ بغير جَواز ،

٢/١٢٨٨

---

(١) ب : « الجور » . (٢) البيان : « وأما هذا الحى من تميم فإنهم كانوا يسمون الغدر كيسان » . (٣) أبر النحل : إصلاحه ، وفى ب : « تأبير » .

(٤) القلوس : جمع قلس ؛ وهو حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما من قلوس سفن البحر . (٥) الحصن : جمع حصان . (٦) الشيح والقيصوم والقلقل ، من منابت البادية .

(٧) ط : « فزع » تحريف : والقزع : كل شىء يكون قطعاً متفرقة ؛ ومنه قطع السحاب .

(٨) الصليان : نبت من أفضل المرعى ، يختلى للخيل التى لا تفارق الحى . والزمزمة ، يعنى صوت الفرس إذا رآه ؛ وهو مثل يضرب للرجل يخدم لثروته . قال الميدانى ١ : ٢٠٦ : « ويروى : « حول الصليان الزمزمة » ؛ جمع صليب ، والزمزمة : صوت عابديها ؛ يضرب لمن يحوم حول الشىء لا يظهر مرامه » . (٩) مزجاء للمطى ، أى كثير الإزجاء لها ، زجاها وأزجاها : ساقها .

(١٠) س : « يتنطح » . (١١) ب : « الرأى والهوى » .

فاحمدوا اللهَ على النعمة ، وسَلوه الشكرَ والمزيدَ[1] . ١٢٨٩/٢

قال : ثمّ نزل فدخل منزلَه ، فأتاه أهلُ بيته فقالوا : ما رأيْنا كاليوم قطّ ، والله ما اقتصرتَ على أهل العالية وهم شِعارُك ودِثارُك ، حتى تناولتَ بكراً وهم أنصارُك ، ثمّ لم ترض بذلك حتى تناولتَ تميماً وهم إخوتُك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولتَ الأزْد وهم يدك ! . فقال : لما تكلمتُ فلم يجبْني أحدٌ غضبت ، فلم أدرِ ما قلتُ ؛ إنّ أهل العالية كإبل الصَّدَقة قد جُمِعتْ من كل أوْب ، وأمّا بكْر فإنها أمَة لا تمنع يَد لامِس ، وأما تميم فَجمَل أجْرَب ، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذَنَبه ، وأما الأزْد فأعلاجٌ ، شرارُ مَنْ خَلَق الله ، لو ملكتُ أمرَهم لوسمتهم .

قال : فغضب الناسُ وكرِهوا خَلْعَ سليمان ، وغضبت القبائلُ من شَتْم قتيبة ، فأجمَعوا على خلافه وخلْعه ، وكان أوّل من تكلم فى ذلك الأزْد ، فأتَوا حُضَين بن المنذر فقالوا : إنّ هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلْع الخليفة ، وفيه فسادُ الدين والدنيا ، ثمّ لم يرضَ بذلك حتى قصّر بنا وشتَمنا ، فما ترَى يا أبا حفص ؟ وكان يُكتَنَى فى الحرب بأبى ساسان ، ويقال : كُنْيتَه أبو محمد — فقال لهم : حُضين : مُضَرُ بخراسان تَعدل هذه الثلاثة الأخماس ؛ وتميم أكثر الخمسيْن ، وهم فُرسانُ خُراسان ، ولا يرضَوْن أن يصيرَ الأمرُ فى غير مُضَرَ ، فإن أخرجتْموهم من الأمر أعانوا قتيبة ؛ قالوا : إنه قد وتر بنى تميم بقتل ابن الأهتم ، قال : لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصَّبون للمُضَريّة ، فانصرفوا رادّين لرأى حُضَين ، فأرادوا أن يولّوا عبدَ الله بن حوْذان الجَهْضَمىّ ، فأبى ، وتَدافعوها ، فرجعوا إلى ١٢٩٠/٢ حُضَين ، فقالوا : قد تدافَعنا الرياسة ، فنحن نولّيك أمرَنا ، وربيعةُ لا تخالفك ، قال : لا ناقةَ لى فى هذا ولا جَمل ؛ قالوا : ما ترَى ؟ قال : إن جعلتم هذه الرياسةَ فى تميم تمّ أمرُكم ، قالوا : فمَن ترى من تميم ؟ قال : ما أرَى أحداً غيرَ وكيع ، فقال حيّان مولى بنى شيْبان : إنّ أحداً لا يتقلد هذا الأمرَ فيَصْلَى بحرّه ، ويبذل دمَه ، ويتعرّض للقتل ، فإنْ قَدِم أميرٌ

---

(١) أورد الجاحظ خطبة قتيبة فى ثلاث خطب متفرقة، فى البيان والتبيين ٢ : ١٣٢ — ١٣٥ .

أخذَه بما جَنَى وكان المهنأ لغيره إلا هذا الأعرابيّ وكيع ؛ فإنه مِقدام لا يُبالِي ما ركب ، ولا ينظر في عاقبة ، وله عشيرة كثيرة تطيعه، وهو موتور يَطلبُ قتيبةَ برياسته التي صرفَها عنه وصيّرها لضرار بن حُصَين بن زَيْد الفَوارس بن حُصَين بن ضِرار الضَّبيّ . فمشَى الناسُ بعضُهم إلى بعض سِرًّا ، وقيل لقُتيبة : ليس يُفسد أمر الناس إلا حيّان ، فأراد أن يغتالَه — وكان حيّانُ يلاطِف حَشَمَ الوُلاة فلا يُخفُون عنه شيئًا — قال : فدعا قتيبةُ رجلا فأمرَه بقَتْل حيّان ، وسمعه بعضُ الخدم ، فأتى حيّان فأخبرَه ، فأرسل إليه يدعُوه ، فحذِر وتمارَض ، وأتى الناسُ وكيعاً فسألوه أن يقوم بأمرِهم ؛ فقال : نعم ، وتمثّل قولَ الأشْهَب بن رُمَيلة :

سأَجني ماجَنَيت وإنَّ رُكْني   لمعتَمدٌ إلى نَضَدٍ رَكينِ

قال : وبخُراسانَ يومئذ مِن المقاتِلة من أهل البَصْرة من أهل العالية تِسعة آلاف ، وبكر سبعة آلاف ، رئيسُهم الحُضَين بن المنذر ، وتميم عشرة آلاف عليهم ضِرار بن حُصَين الضّبيّ ، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن عُلْوان عوذيّ [1] ، والأزْد عشرة آلاف رأسُهم عبدُ الله ابن حوذان ، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جَهْم بن زحْر — أو عبيد الله بن عليّ — والموالي سبعة آلاف عليهم حيّان — وحيّان يقال إنه من الدّيلم ، ويقال : إنه من خراسان ، وإنما قيل له نبطيّ للكنته — فأرسل حيّان إلى وكيع : أرأيتَ إنْ كففتُ عنكَ وأعنتُك تجعَل لى جانبَ نهرِ بلْخ وخَراجَه ما دمتَ حيًّا ، وما دمتُ واليًا ؟ قال : نعم ؛ فقال للعَجَم : هؤلاء يقاتلون على غير دين ، فدَعُوهم يقتُل بعضُهم بعضًا ؛ قالوا : نعم ، فبايَعوا وَكيعا سرًّا ، فأتى ضِرارُ بن حُصَين قُتيبة ، فقال : إنّ الناسَ يختلفون إلى وكيع ، وهم يُبايعونه — وكان وكيع يأتي منزلَ عبد الله بن مسلم الفقير فيَشرَب عنده — فقال عبد الله : هذا يَحسُد وكيعاً ، وهذا الأمرُ باطل ، هذا وكيع في بيتي يَشرَب ويَسكَر ويَسلَح في ثيابه ؛ وهذا يَزْعم أنهم يبايعونه . قال : وجاء وكيع إلى قتيبةَ فقال : احذَرْ ضِراراً فإني

٢ / ١٢٩١

---

(١) س : « عودى » .

لا آمَنُه عليك ، فأنزل قتيبةُ ذلك منهما على التحاسد . وتمارَض وكيع .
ثمّ إنّ قتيبةَ دسّ ضِرارَ بنَ سِنان الضَّبّيّ إلى وكيع فبايَعَه سرًّا ، فتبيّن لقُتيبة
أنّ الناس يبايعونه ، فقال لضِرار : قد كنتَ صَدَقْتَنى ، قال : إنى لم أخبرْك
إلا بعِلم ، فأنزلتَ ذلك منى على الحسَد ، وقد قضيتُ الذى كان علىّ ، قال: ٢ / ١٢٩٢
صدقتَ . وأرسَل قتيبةُ إلى وكيع يدْعوه [(١] فوَجدَه رسولُ قُتيبة قد طَلَى
على رِجْله مَغْرة ، وعلى ساقه[١)] خَرَزاً وودَعًا ، وعنده رجلان من
زَهران يَرْقِيان رِجْلَه ، فقال له: أجِب الأميرَ ، قال : قد ترَى ما برِجلى.
فرجع الرسولُ إلى قتيبةَ فأعاده إليه ، قال : يقول لك : ائتنى محمولا على
سَرير ، قال : لا أستطيع . قال قتيبة لشريك بن الصّامت الباهلى أحد
بنى وائل — وكان على شرطته — ورجلٌ من غنىّ انطلقا إلى وكيع فأتيانى به .
فإنْ أبى فاضربا عنقَه ؛ ووجَّه معهما خيلا ، ويقال : كان على شُرَطه
بخُراسان ورْقاءُ بن نَصرْ الباهلىّ .

قال علىّ : قال أبو الذَّيال : قال ثُمامة بن ناجذ العَدَوِىّ: أرسل قتيبةُ
إلى وكيع مَنْ يأتيه به ، فقلت: أنا آتيك به أصلحَك الله ! فقال : ائتنى
به ، فأتيتُ وكيعاً — وقد سبَقَ إليه الخبر أنّ الخيل تأتيه — فلما رآنى قال:
يا ثُمامة ، نادِ فى الناس ؛ فناديتُ ، فكان أوّل من أتاه هُرَيْم بن
أبى طَحْمَةَ فى ثمانية .

قال : وقال الحسن بن رَشِيد الجُوزَجانىّ : أرسَل قتيبةُ إلى وكيع ،
فقال هُرَيم: أنا آتيك به ، قال: فانطلق . قال هُرَيم: فركبتُ برْذَونى
مخافةَ أن يردّنى ، فأتيتُ وكيعاً وقد خرج .

قال: وقال كُليب بن خلَف : أرسل قتيبةُ إلى وكيع شُعبةَ بنَ ظَهير
أحد بنى صَخْر بن نَهشَل ، فأتاه ، فقال : يا بنَ ظهير :

* لبِّثْ قليلاً تلحَق الكتائب *

ثمّ دعا بسكين فقطع خرَزاً كان على رِجْليه ، ثمّ لَبِس سلاحَه ، وتمثّل: ٢ / ١٢٩٣

شُدُّوا علىَّ سُرَّتى لا تَنْقَلِف يومٌ لهَمْدانَ ويومٌ للصَّدِفْ

(١ – ١) ب : « فوجده قد طلى رجليه بمغرة وعلق على رأسه » . والمغرة : طين أحمر يصبغ به .

وخرج وحدَه ، ونظر إليه نسوةٌ فقُلن : أبو مطرِّف وحدَه ؛ فجاء هُرَيم بن أبى طَحْمة فى ثمانية ، فيهم عميرة البَريد بن رَبيعة العُجَيفى .

قال حمزة بن إبراهيم وغيرُه : إن وَكيعًا خرج فتلقّاه رجلٌ ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من بنى أسَد ؛ قال : ما اسمُك ؟ قال : ضِرْغامة ؛ قال : ابنُ مَن ؟ قال : ابن لَيْث ، قال : دونَك هذه الراية .

قال المفضَّل بن محمد الضّبّىّ : وَدفَع وكيع رايتَه إلى عُقْبة بن شهاب المازنىّ ؛ قال : ثم رجع إلى حديثهم ، قالوا : فخرج وكيع وأمر غلمانَه ، فقال : اذهَبوا بثَقَلى إلى بنى العمّ ، فقالوا : لا نَعرف موضعهم ، قال : انظروا رُمْحين مجموعين أحدُهما فوقَ الآخَر ، فوقَهما مِخْلاة ، فهمْ بنو العمّ . قال : وكان فى العسكر منهم خمسمائة ؛ قال : فنادَى وكيع فى الناس ، فأقبَلوا أرْسالا من كلّ وجه ، فأقبلَ فى الناس يقول :

قَرْمٌ إذا حُمِّلَ مَكْروهَةً شَدَّ الشَّراسِيفَ لها والحزيمْ[1]

وقال قومٌ : تمثّل وكيعٌ حينَ خرج :

أنحنَ بلُقْمانَ بنِ عاد فَجُنْـنَــهُ أرِينى سلاحى لن يَطيروا بأعزَلِ

واجتمع إلى قتيبةَ أهلُ بيته ، وخواصّ من أصحابه وثقاته ، فيهم إياس ابن بَيْهَس بن عَمرو، ابن عمّ قتيبة دُنْيا ، وعبد الله بن وَألان العدوىّ، وناسٌ من رهْطِه ، بنى وائل . وأتاه حيّان بن إياس العدوىّ فى عشرة ، فيهم عبدُ العزيز بن الحارث ، قال : وأتاه مَيْسرة الجدلىّ — وكان شجاعًا — فقال : إن شئتَ أتيتُك برأسِ وكيع ، فقال : قفْ مكانَك . وأمر قتيبةُ رجلا ، فقال : نادِ فى الناس ، أين بنو عامر ؟ فنادَى : أين بنو عامر ؟ فقال محفن بن جزْء الكلابىّ — وقد كان جَفاهم : حَيْثُ وَضَعْتَهُم ؛ قال : نادِ أذكّركم اللهَ والرَّحِم ! فنادَى محفن : أنتَ قطعتَها ، قال : نادِ لكُم العُتْبى ، فناداه محفن أو غيره : لا أقالَنا اللهُ إذاً ، فقال قتيبة :

يا نَفْسُ صبرًا على مَا كانَ من ألمٍ إذْ لم أجد لفُضول القوم أقرانَا

(١) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن . والحزيم : موضع الحزام من الصدر والظهر .

٢/١٢٩٤

ودعا بعمامة كانت أمّه بعثتْ بها إليه . فاعتمّ بها ، كان يعتمّ بها فى الشدائد ، ودعا ببِرْذَوْن له مدرّب ، كان يتطيّر إليه فى الزّحوف، فقرّب إليه ليركبه ، فجعل يقمص حتى أعياه . فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فقعدَ عليه وقال : دعُوه ؛ فإنّ هذا أمرٌ يُراد . وجاء حيّان النّبَطىّ فى العَجَم ، فوقف وقُتيبة واجدٌ عليه ، فوقف معه عبدُ الله بنُ مسلم، فقال عبدُ الله لحيّان : احمل على هذين الطّرَفين ، قال : لم يأنِ لذلك، فغضِب عبدُ الله، وقال : ناولْنى قوْسى ، قال حيّان : ليس هذا يوم قوس، فأرسَل وكيع إلى حيّان: أين ما وعدتَنى ؟ فقال حيّانُ لابنه: إذا رأيتَنى قد حوّلتُ قلَنسُوَتى ، ومضيتُ نحوَ عسكرِ وكيع ، فمِلْ بمن معك فى العَجَم إلىّ . ٢/ ١٢٩٥

فوقف ابنُ حيّان مع العَجَم، فلما حوّل حيّان قلنسُوَته مالت الأعجام إلى عسكر وكيع ، فكبّر[1] أصحابُه . وبعث قتيبةُ أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجلٌ من بنى ضَبّة يقال له سليمان الزنجبيرج — وهو الخُرْنُوب ، ويقال: بل رماه رجل من بَلْعَمّ فأصاب هامتَه — فحمِل إلى قتيبةَ ورأسُه مائل، فوُضع فى مُصَلاّه ، فتحوّل قتيبةُ فجلس عنده ساعة ، ثمّ تحوّل إلى سَريره .

قال: وقال أبو السَّرىّ الأزْدِىّ: رمى صالحاً رجلٌ من بنى ضَبّة فأثقله، وطعنَه زياد بنُ عبد الرحمن الأزدىّ، من بنى شريك بن مالك .

قال : وقال أبومخنَف : حمَل رجلٌ من غنِىّ على الناس فرأى رجلا مجفّفاً فشبّهه بجهْم بن زَحر بن قيس فطعنَه ، وقال :

إنَّ غنِيًّا أهلُ عِزٍّ ومَصدَقٍ   إذا حارَبوا والناسُ مُفْتَتِنُونَا

فإذا الذى طُعِن علْج. وتَهايَج الناسُ ، وأقبل عبدُ الرحمن بنُ مسلم نحوَهم ، فرماه أهـــلُ السوق والغَوْغاء ، فقَتلوه، وأحرقَ الناسُ موضعاً كانت فيه إبلٌ لقتيبة ودوابّه، ودَنوا منه ،فقاتَلَ عنه رجلٌ من باهِلةَ من بنى وائل ، فقال له قتيبةُ: انجُ بنفْسك ، فقال له: بئس ما جزيتُك إذاً ،

(١) ب : « فكثر » .

وقد أطعمتنى الجَرْدَق(١) وألبستَنى النُّرمق(٢) !

قال: فدعا قتيبةُ بدابّة ، فأتِى ببِرْذَوْن فلم يقرّ ليركبه ، فقال: إنّ له لشأناً ؛ فلم يركبْه . وجلسَ وجاءَ الناسُ حتى بلغوا الفُسْطاط ، فخرج إياسُ بنُ بَيْهَس وعبدُ الله بن وَألان حين بلغ الناس الفُسطاط وتركا قُتيبة . وخرج عبدُ العزيز بن الحارث يطلبُ ابنَه عَمْراً — أو عُمَر — فلقيَه الطائىّ فَحذِره ، ووجد ابنَه فأردَفَه . قال : وفَطِن قتيبةُ للهَيْثم بن المنخَّل وكان ممن يعين عليه ، فقال : ٢/١٢٩٦

أُعَلِّمُــهُ الرِّمَايَةَ كلَّ يَومٍ فلَمَّا اشتدّ ساعِدُهُ رَمانِى

قال: وقتِل معه إخوتُه عبدُ الرحمن وعبدُ الله وصالح وحُصَين وعبدالكريم ، بنو مسلم . وقتِل ابنه كثير بنُ قُتيبة وناسٌ من أهل بيته ، ونجا أخوه ضِرار ، استنقَذَه أخوالُه. وأمّه غرّاء بنت ضِرار بنالقَعْقاع بنمَعبَد بن زُرارة . وقال قوم : قُتِل عبدُالكريم بن مسلم بقَزْوين . وقال أبو عبيدة : قال أبو مالك: قَتَلوا قتيبةَ سنة ست وتسعين ، وقتِل من بنى مسلم أحد عشر رجلاً ، فصلَبهم وكيع . سبعة منهم لصُلب مسلم وأربعةٌ من بنى أبنائهم: قتيبةُ ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الفَقير ، وعبيد الله ، وصالح ، وبَشّار ، ومحمّد بنُو مسلم . وكثير بن قتيبة ، ومغلّس بن عبد الرّحمن ،ولم ينجُ من صُلب مسلم غيرُ عمرو — وكان عاملَ الجوزجان — وضِرار ، وكانت أمه الغرّاء بنت ضِرار بن القَعْقاع بن مَعبد بن زُرارة ، فجاء أخوالُه فدفَعوه حتى نحّوه ، ففى ذلك يقول الفرزدق : ٢/١٢٩٧

عَشِيّةَ ما وَدَّ ابنُ غَرَّةَ أَنَّهُ له من سِوَانا إذ دعا أَبَوانِ(٢)

وضُرب إياس بنعمرو — ابنأخى مُسلِم بن عمرو — على ترقُوَته فعاش . قال : ولما غشىَ القومُ الفُسْطاط قطعوا أطنابَه . قال زهير : فقال جَهْم ابن زَحْر لسعد : انزِل ، فحزّ رأسَه ، وقد أثخِن جراحًا ، فقال : أخاف

(١) الجردق : الرغيف ، بالفارسية . والنّرمق : الليّن، وهو فارسى أيضاً . وفى ب : «النمرق» .
(٢) ديوانه ٨٧٢ .

أن تَجُولَ الخيلُ ، قال : تخاف وأنا إلى جَنْبك ! فنزل سعد فشَق صَوْقَعَةَ(١) الفُسطاط ؛ فاحتزّ رأسَه ، فقال حُضَيْن بن المنذر :

وإنَّ ابن سَعد وابن زَحْرٍ تَعَاوَرَا   بسيفَيهما رَأسَ الهُمَام المُتَوَّج
عَشيَّة جئنَا بابنِ زَحْر وجِئتمُ   بأَدْغَمَ مَرقُوم الذراعين دَيزَجِ
أَصَمَّ غُدَانىٌّ كأَنَّ جبينَـه   لطاخـةُ نِقْسٍ فى أَدِيمٍ مُمَجمَجِ

قال : فلما قتل مسلمةُ يزيدَ بن المهلب استُعمل على خُراسانَ سَعيدُ بن خُذَينةَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، فحبس عمال يزيدَ ، وحبَس فيهم جَهم بن زَحْر الجُعْفىّ ، وعلى عذابه رجلٌ من باهلةَ ، فقيل له : هذا قاتلُ قتيبةَ ، فقتلَه فى العذاب ، فلامه سعيدٌ ، فقال : أمرتَنى أن أستخرج منه المالَ فعذّبته فأتى علىّ أجلُه .

١٢٩٨/٢

قال : وسقطتْ على قتيبةَ يومَ قُتِل جاريةٌ له خُوارزميّة ، فلما قُتل خرجتْ ، فأخذَها بعد ذلك يزيدُ بن المهلب ، فهى أمّ خُلَيدة .

قال علىّ : قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليَقَظان : لما قُتِل قتيبةُ صَعد عُمارة بن جنية الرياحىّ المنبرَ فتكلم فأكثر ، فقال له وكيع : دعْنا من قَذَرك وهَذَرك ، ثمّ تكلّم وكيع فقال : مَثلى ومَثَلُ قُتيبةَ كما قال الأوّل :

* من يَنِكِ العَيْرَ يَنِكْ نيَّاكا *

أراد قتيبةُ أن يقتلَنى وأنا قتّال .

قد جَرَّبونى ثمّ جرّبونى   من غلوتَيْن ومِن المِئين
حتّى إذا شِبتُ وشيَّبونى   خلَّوا عِنَانى وتنَكَّبُونى

أنا أبو مطرِّف .

قال : وأخبرَنا أبو معاوية ، عن طلحة بن إياس ، قال : قال وكيع يوم قتِل قُتَيبة :

---

(١) صوقعة الفسطاط ، أى أعلاه .

أنا ابن خِنْدِفَ تَنْمِينِى قَبَائِلُهَا للصالحات وعَمّى قَيْسُ عَيلاَنا

ثم أخذ بلحيته ثم قال :

شيخٌ إذا حُمّل مَكْرُوهَــةً شَدَّ الشراسِيفَ لها والحَزِيمْ

والله لأقتلَنّ ، ثم لأقتلنّ ، ولأصلبنّ ، ثم لأصلبنّ ؛ إنى والغٌ دماً ، إن مرْزُبانكم هذا ابنُ الزانية قد أغلَى عليكم أسعاركم ،والله ليصيرَنّ القفيزُ فى السوق غداً بأربعة أو لأصلّبنه ، صلّوا على نبيّكم . ثم نزل .

١٢٩٩/٢ قال علىّ : وأخبرَنا المفضّل بن محمّد وشيخٌ من بنى تميم ، ومسْلمة بن محارب ، قالوا : طلب وكيع رأسَ قُتيبة وخاتمَه، فقيل له: إنّ الأزْد أخذتْه، فخرج وكيع وهو يقول : دُه دُرَّين ، سَعْدُ القَين :

فى أىِّ يومَىَّ مِنَ المَوتِ أَفِــرّ أيومَ لم يُقْدَر أمْ يومَ قُدِرْ

لا خيرَ فى أحزَمِ جُيَّاد القَرَعْ فى أىِّ يومٍ لم أرِعْ ولم أُرَعْ

والله الذى لا إله غيرُه لا أبرَح حتى أوتَى بالرأس ، أو يُذْهَب برأسى مع رأس قتيبة . وجاء بخَشَب فقال : إنّ هذه الخيل لا بدّ لها من فُرْسان ــ يتهدّدُ بالصَّلْب ــ فقال له حُضَين : يا أبا مطرّف ، تؤتى به فاسكن . وأتى حضينٌ الأزدَ فقال : أحمقَى أنتم! بايعْناه وأعطيْناه المقَادة ، وعرض نفسَه ، ثم تأخذون الرأسَ ! أخرجوه لعنَه الله من رأس ! فجاءوا بالرأس فقالوا : يا أبا مطرّف ، إن هذا هو احترّه ، فاشكمْه ؛ قال : نعم ، فأعطاه ثلاثةَ آلاف ، وبعث بالرّأس مع سَليط بن عبد الكريم الحنَفىّ ورجال من القبائل وعليهم سليط ، ولم يَبعث من بنى تميم أحداً .

قال : قال أبو الذّيال: كان فيمن ذهب بالرأس أنَيف بن حسان أحد بنى عدىّ .

١٣٠٠/٢ قال أبو مخنَف : وَفَى وكيع لحيَّان النَّبطىّ بما كان أعطاه . قال : قال خُرَيم بن أبى يحيى ، عن أشياخ من قيس ، قالوا : قال سليمان للهُذيل

ابن زُفَر حين وُضع رأسُ قتيبة ورءوسُ أهل بيته بين يديه : هل ساءك هذا يا هُذيل ؟ قال : لو ساءنى ساء قوماً كثيراً؛ فكلّمه خُرَيم بن عَمرو والقَعْقاع ابن خُليد، فقال : ائذَن فى دفْن رءوسهم ، قال : نعم ، وما أردت هذا كله.

قال علىّ : قال أبو عبد الله السلمىّ ، عن يزيدَ بن سُوَيد ، قال : قال رجلٌ من عَجَم أهلِ خُراسان : يا معشر العَرَب ، قتلتُم قتيبةَ ، والله لو كان قتيبةُ منا فماتَ فينا جعَلْناه فى تابوت فكُنّا نستفتح به إذا غَزَوْنا، وما صنع أحد قطّ بخُراسانَ ما صنع قتيبة ، إلا أنه قد غَدَر، وذلك أنّ الحجاج كتب إليه أن اختلهم واقتلْهم فى الله.

قال : وقال الحسن بنُ رشيد: قال الإصْبهبَذ لرَجُل: يا معشر العَرَب، قتلتم قتيبةَ ويزيدَ وهما سيّدَا العرب ! قال : فأيّهما كان أعظم عندكم وأهيَب ؟ قال : لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى جُحْرٍ به فى الأرض مكبَّلا بالحديد ، ويزيد معنا فى بلادنا والٍ علينا لكان قتيبةُ أهيَب فى صدورنا وأعظم من يزيد .

قال علىّ: قال المفضّل بن مُحمد الضّبىّ جاء رجل إلى قتيبةَ يومَ قُتِل وهو جالس ، فقال : اليوم يُقتَل ملك العَرَب — وكان قتيبةُ عندهم مَلِكَ العرب — فقال له : اجلِس .

قال : وقال كُلَيب بن خلَف: حدّثنى رجل ممن كان مع وكيع حين قُتل قتيبة ، قال : أمر وكيعٌ رجلًا فنادَى : لا يُسلَبَنَّ قتيل ، فمرّ ابنُ عبيد الهَجَرىّ على أبى الحجر الباهلىّ فسلَبه ، فبلَغ وكيعاً فضرَب عنقَه. ٢ / ١٣٠١

قال أبو عبيدة : قال عبد الله بن عمَر ،من تَيْم اللات: رَكِب وكيع ذاتَ يوم ، فأتَوْه بسكرانَ ، فأمر به فقُتل ، فقيل له : ليس عليه القَتْل ، إنما عليه الحدّ ، قال : لا أعاقِب بالسياط ، ولكنّى أعاقِب بالسيف ، فقال نَهار بن تَوسِعة :

وكنا نُبَكّى منَ البَاهِلىّ ... فهذا الغُدَانِىُّ شَرٌّ وشَرٌّ

وقال أيضًا :

ولما رأينا البَاهِلِيَّ ابنَ مسلمٍ تجبرَ عمَّمْناه عَضْباً مُهَنَّدا

وقال الفرزْدَق يـَذكُر وقعةَ وكيع :

ومنَّا الذى سلَّ السيوفَ وشَامَهَا عشِّيةَ باب القَصر مِن فَرَغانِ[1]

عشيّةَ لم تَمنَع بَنيهَـا قَبيـلةٌ بعزٍّ عِراقىٌّ ولا بِيمَـانِ

عشـيَّةَ ما وَدَّ ابنُ غَـرَّاءَ أنه له من سِوَانا إذ دعا أَبوانِ

عشّية لم تَسترْ هَوازِنُ عامرٍ ولا غطَفَانٌ عورَةَ ابنِ دُخانِ

عشيَّـةَ وَدَّ النّاسُ أَنهمُ لنا عبيدٌ إذِ الجمعان يَضطَرِبانِ

رأَوا جَبلاً يَعلُو الجِبالَ إذا التقَتْ رءُوسُ كَبِيرَيْهِنَّ يَنتَطِحَـانِ

١٣٠٢/٢ رِجالٌ على الإسلامِ إذْ مَا تَجَالدُوا على الدينِ حتَّى شَاعَ كلَّ مكانِ

وحتى دعا فى سُورِ كلِّ مَدِينةٍ مُنادٍ ينادِى فوقَها بأَذَانِ

سيجزى وكيعاً بالجماعة إذْ دعا إليها بسيفٍ صارمٍ وبَنانِ

جزاءَ بأَعمالِ الرجالِ كما جَرَى ببَدرٍ وباليَرمُوك فىءُ جَنَـانِ

وقال الفرزدق فى ذلك أيضًا :

أتانى ورَحْلى بالمدينةِ وقعـةٌ لآلِ تميم أقعدت كلَّ قائمِ[2]

وقال علىّ : أخبـرَنا خـُرَيم بن أبى يحيى ، عن بعض عمومته قال : أخبرَنى شيوخ منغسان قالوا : إنا لَبِثنيـَّة العُقاب إذ نحن برجل يشبه الفُيُوج[3] معه عصًا وجِراب ، قلنا : من أين أقبلتَ ؟ قال : مِن خُراسان ؛ قلنا : فهل كان بها من خبَر ؟ قال : نعم ، قُتل قتيبةُ بن مسلم أمْس ، فتعجَّبْنا لقوله ، فلما رأى إنكارَنا ذلك قال : أين تَرونَنى الليلةَ من إفريقيّة ؟ ومضى واتبعناه على خيولنا ، فإذا شىء يَسبِق الطَّرْف . وقال الطرِمّاح :

لولا فوارسُ مَذْحِجَ ابنةَ مذحجٍ والأَزدِ زُعزِعَ واستبيح العسكرُ

(١) ديوانه ٨٧٢ .
(٢) ديوانه ٨٥٣ .
(٣) الفيوج : جمع فيج وهو رسول السلطان .

وتَقَطَّعَتْ بهم البلادُ ولم يَـئُبْ منهمْ إلى أهل العراقِ مُخبِّرُ
واسْتضلعَتْ عُقَد الجماعة وازدرى أمرُ الخليفةِ واستُحِلَّ المنكرُ
قومٌ هُمُ قَتَلوا قُتيبةَ عَنْوَةً والخيلُ جانحةٌ عليها العِثْيَرُ
بالمَرج مرج الصِّينِ حيثُ تَبَيَّنت مُضَرُ العراق مَنِ الأعزُّ الأكبرُ !
إذْ حَالَفَت جزَعاً ربيعةُ كلها وتفرَّقَتْ مُضَرٌ ومَن يَتَمَضَّرُ ٢/١٣٠٣
وتَقَدَّمَتْ أزدُ العِرَاق ومذحِجٌ للموتِ يَجمعُها أبوها الأكبرُ
قَحطانُ تضرب رأْس كلِّ مدجَّجٍ تحمِى بصائرَهُنَّ إذ لا تبصرُ
والأزدُ تعلمُ أنَّ تحتَ لوائها مُلكاً قُرَاسِيَةً وموتٌ أحمرُ
فبِعزِّنا نُصِرَ النبيُّ محمَّدٌ وبنا تثبَّتَ فى دمشقَ المنبرُ

وقال عبد الرحمن بن جُمانةَ الباهلىّ :

كأنَّ أبا حفصٍ قتيبة لم يَسِرْ بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يَعلُ مِنبرَا
ولم تخفِقِ الرَّاياتُ والقومُ حَوْلَهُ وقوفٌ ولم يَشْهَدْ له الناسُ عسكرَا
دَعَتْهُ المنايا فاستجاب لربِّه وراحَ إلى الجنَّاتِ عَفًّا مُطَهَّرَا
فما رُزِئَ الإسلامُ بعدَ محمَّدٍ بمثلِ أبى حَفْص فَبَكِّيهِ عَبْهَرا

— يعنى أمَّ وَلَد له .

وقال الأصمّ بنُ الحجَّاج يرثى قتيبة :

ألمْ يَأْنِ للأحْيَاءِ أن يَعرفوا لنا بلى نحنُ أولَى الناسِ بالمجْدِ والفخرِ
نَقُودُ تميمًا والموالِى ومَذْحِجًا وأزْدَ وعبد القيْسِ والحىَّ من بكرِ
نقتِّل مَن شئنا بعِزَّةِ مُلكنَا ونَجْبُرُ مَنْ شئنا على الخسف والقَسْر ٢/١٣٠٤
سُليمان كم مِن عسكرٍ قد حَوَت لكمْ أسِنَّتُنَا والمُقْرَبَاتُ بنا تجرى
وكم من حصون قد أبَحْنَا منيعةٍ ومن بلدٍ سَهْلٍ ومن جبل وعْرِ
ومن بلدةٍ لم يغزُها الناسُ قَبْلَنَا غَزَونا نَقُودُ الخيلَ شهرًا إلى شهرِ

مرَنَّ على الغزو الجرور ووُقِّرتْ على النَّفْرِ حتّى ما تُهالُ من النَّفْرِ
وحتّى لو آنَّ النارَ شُبَّتْ وأُكرِهَتْ على النارِ خاضَتْ فى الوغى لهَبَ الجمرِ
تلاَعِبُ أطرافَ الأَسِنةِ والقنــا بلبَّاتِهَا والموت فى لجج خضْرِ
بِهنَّ أبحْنَا أهلَ كلِّ مدينــة من الشرك حتّى جاوزتْ مطلع الفجرِ
ولو لم تُعَجِّلنا المنايا لجــاوزتْ بنارَدْمَ ذِى القرنيْن ذا الصَّخْرِ والقَطْرِ
ولكنَّ آجالاً قُضِينَ ومُــدَّةً تَناهَى إليها الطَّيِّبُونَ بنو عَمرِو

***

٢/١٣٠٥ وفى هذه السنة عزَل سليمانُ بنُ عبد الملك خالدَ بنَ عبد الله القَسرىَّ عن مكّة ، وولاّها طَلْحة بنَ داودَ الحضْرَمىّ .

وفيها غزا مَسلَمة بن عبد الملك أرضَ الرّوم الصائفةَ ، ففتح حِصْنًا يقال له حِصْن عَوْف .

وفى هذه السنة تُوُفِّى قرّة بن شريك العَبْسىّ وهو أميرُ مصرَ فى صفر فى قول بعض أهل السِّيَر .

وقال بعضهم : كان هلاكُ قرّة فى حياة الوليد فى سنة خمس وتسعين فى الشهر الذى هلك فيه الحجّاج .

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصارىّ ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت عمّن ذكرَه ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وغيرُه .

وكان الأميرُ على المدينة فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم ، وعلى مكة عبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرْب العِراق وصلاتها يزيد بن المهلّب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرّحمن . وعلى البَصرة سفْيان بنُ عبد الله الكِنْدىّ مِن قبَل يزيد بن المهلّب ، وعلى قضاء البَصْرة عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبى موسى ، وعلى حرْب خُراسانَ وكيعُ بن أبى سُود .

ثمّ دخلت سنةِ سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث

فن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوشَ إلى القُسْطنطينيّة ٢/١٣٠٦ واستعماله ابنَه داودَ بن سليمان على الصائفة ، فافتتح حصنَ المرأة .

وفيها غزا — فيما ذكَر الواقدىّ — مسلمةُ بنُ عبد الملك أرضَ الرّوم ، ففتح الحِصْن الذى كان فتَحَه الوضّاح صاحب الوضّاحيّة .

وفيها غزا عمر[1] بنُ هُبيرة الفَزارىّ فى البحر أرضَ الرّوم ، فشتا بها .

وفيها قُتِل عبد العزيز بن موسى بن نُصَير بالأندلس ، وقدِم برأسه على سليمانَ حبيبُ بن أبى عُبيد الفِهْرىّ .

***

[ولاية يزيد بن المهلّب على خراسان]

وفيها ولّى سليمانُ بنُ عبد الملك يزيدَ بنَ المهلّب خُراسانَ

* ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان :

وكان السبب فى ذلك أنّ سليمان بنَ عبد الملك لما أفضَت الخلافةُ إليه ولى يزيدَ بن المهلّب حربَ العراق والصّلاة وخراجها .

فذكَر هشام بنُ محمد، عن أبى مخنَف ،أنّ يزيدَ نظر لمّا ولّاه سليمانُ ما ولّاه من أمر العراق فى أمر نفسه ، فقال : إنّ العراقَ قد أخربها الحجاجُ ، وأنا اليومَ رجاءُ أهل العراق؛ ومتى قدمتُها وأخذتُ الناسَ بالخَراج وعذّبتُهم عليه صرتُ مثلَ الحجّاج أدخل على الناس الحربَ ، وأعيدُ عليهم تلك السجون التى قد عافاهم الله منها ، ومتى لم آتِ سليمانَ بمثلِ ما جاء به الحجّاج لم يقبَل منى . فأتى يزيدُ سليمانَ فقال : أدلّك على رجل بصير بالخَراج توليه إياه ، فتكونَ أنت تأخذُه به ؟ صالح بن عبد الرّحمن، مولى بنى تميم . ٢/١٣٠٧ فقال له : قد قبلنا رأيك ، فأقبلَ يزيدُ إلى العراق .

---

(١) ط : «عمرو» ، تحريف .

وحدّثني عمرُ بنُ شبّة، قال: قال عليّ: كان صالح قَدِم العراق قبل قُدوم يزيدَ، فنزل واسطًا. قال عليّ: فقال عباد بن أيوب: لما قدم يزيد خرجَ الناسُ يتلقّونه، فقيل لصالح: هذا يزيد، وقد خرج الناسُ يتلقّونه، فلم يخرج حتى قَرُب يزيدُ من المدينة، فخرج صالحٌ، عليه دُرّاعة ودبوسيّة صفراء صغيرة، بين يديه أربعمائة من أهل الشأم، فلقى يزيدَ فسايَرَه، فلما دخل المدينةَ قال له صالح: قد فرّغت لكَ هذه الدار— فأشار له إلى دار— فنزل يزيد، ومضى صالح إلى منزله. قال: وضيّق صالحٌ على يزيدَ فلم يملّكه شيئًا، واتّخذ يزيدُ ألف خوان يُطعِم الناسَ عليها، فأخذها صالح، فقال له يزيد: اكتبْ ثمنَها عليّ، واشترى مَتاعًا كثيرًا، وصكّ صكاكًا إلى صالح لباعتِها[1] منه، فلم يُنفِذه، فرجعوا إلى يزيدَ، فغضب وقال: هذا عَمَلى بنفسى، فلم يَلبث أن جاء صالحٌ، فأوْسَع له يزيد، فجلس وقال ليزيد: ما هذه الصِّكاك؟ الخَراجُ لا يقوم لها، قد أنفذتُ لك منذ أيام صَكًّا بمائة ألف، وعَجلت لك أرزاقَك، وسألتَ مالاً للجُند، فأعطيتُك، فهذا لا يقوم له شيء، ولا يَرضَى أميرُ المؤمنين به، وتؤخذ به! فقال له يزيد: يا أبا الوليد، أجزْ هذه الصِّكاك هذه المرة، وضاحكَه. قال: فإنى أجيزُها، فلا تُكثِرنّ عليّ، قال: لا[2].

٢/١٣٠٨

قال عليّ بنُ محمد: حدّثنا مَسلَمة بن مُحارِب وأبو العَلاء التَّيْميّ والطفيل بن مِرْداس العمّى وأبو حفص الأزْديّ عمّن حدّثه عن جَهْم ابن زَحْر بن قيس، والحسن بن رشيد عن سليمانَ بن كثير، وأبو الحسن الخُراسانيّ عن الكَرَمانيّ، وعامر بن حفص وأبو مخنَف عن عثمانَ ابن عَمرو بن محصَن الأزديّ وزهير بن هنيد وغيرهم — وفى خبر بعضهم ما ليس فى خبر بعض، فألّفت ذلك— أنّ سليمان بنَ عبد الملك ولى يزيدَ ابنَ المهلَّب العراقَ ولم يولّه خُراسان، فقال سليمان بن عبدالملك لعبدِ الملك ابن المهلب وهو بالشأم ويَزيدُ بالعراق: كيف أنتَ يا عبدَ الملك إنْ وليتُك خُراسانَ؟ قال: يَجدنى أميرُ المؤمنين حيث يُحِبّ، ثمّ أعرضَ سليمانُ عن

(١) ابن خلكان: «ليبتاعها». (٢) الخبر فى ابن خلكان ٢: ٢٧١، نقله عن الطبرى.

ذلك . قال : وكتب عبدُ الملك بنُ المهلب إلى جرير بن يزيدَ الجَهْضمىَّ وإلى رجال من خاصّته : إنّ أميرَ المؤمنين عرَض علىَّ ولاية خُراسانَ . فبلغ الخبرُ يزيدَ بنَ المهلّب ، وقد ضَجِر بالعراق ، وقد ضَيّق عليه صالح ابنُ عبد الرحمن ، فليس يتّصل معه إلى شىء ، فدعا عبد الله بن الأهتم ، فقال : إنى أريدك لأمر قد أهمّنى ، فأحِبّ أن تكفِينيه ، قال : مُرْنى بما أحببْت ، قال : أنا فيما ترى من الضيق ، وقد أضجرَنى ذلك ، وخُراسان شاغرةٌ برجلها ، وقد بلَغنى أنّ أميرَ المؤمنين ذكرَها لعبدِ المَلِك بن المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم ، سرِّحنى[1] إلى أميرِ المؤمنين ، فإنى أرجو أن آتيَك بعهْدك عليها ، قال : فاكتم ما أخبرْتُك به . وكتب إلى سليمانَ كتابَين : أحدهما يذكُر له فيه أمرَ العراق ، وأثنى فيه على ابن الأهتم وذكَر له عِلمه بها ، ووجّه ابن الأهتم وحمَله على البَريد ، وأعطاه ثلاثين ألفًا . فسار سبعًا ، فقَدِم بكتاب يزيدَ على سليمان ، فدخل عليه وهو يتغدّى ، فجلس ناحيةً ، فأُتِىَ بدَجاجتين فأكلَهما . ١٣٠٩/٢

قال : فدخل ابنُ الأهتم فقال له سليمان : لك مجلسٌ غيرُ هذا تعود[2] إليه . ثمّ دعا به بعدَ ثالثة ، فقال له سليمان : إنّ يزيدَ بنَ المهلب كتب إلىّ يذكُر عِلمَك بالعراق وبخُراسان ، ويُثْنى عليك ، فكيف عِلمُك بها ؟ قال : أنا أعلمَ الناس بها ؛ بها وُلدتُ، وبها نشأتُ ، فلى بها وبأَصْلِها خبر وعِلْم . قال : ما أحوجَ أميرَ المؤمنين إلى مثلِك يُشاوره فى أمرها ! فأشرْ علىّ برَجُل أولّيه خُراسان ؛ قال : أميرُ المؤمنين أعلم بمن يريد يولى ، فإن ذكر منهم أحداً أخبرتُه برأيى فيه ، هل يَصلُح لها أو لا ؛ قال : فسمَّى سليمانُ رجلاً من قريش ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس من رجال خُراسان ، قال : فعبدُ الملك بنُ المهلب ، قال : لا ، حتى عدّد رجالا ، فكان فى آخرِ مَن ذكر وَكيع بن أبى سُود ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، وَكيعٌ رجلٌ شجاعٌ صارم بَئيس[3] مِقدام ، وليس بصاحبها[4] مع هذا ، إنه لم ١٣١٠/٢

---

(١) ب : « تسرحنى » . (٢) ابن خلكان : « نعود » .

(٣) ب : « رئيس » . والبئيس : الشديد . (٤) ب : « لصاحبها » .

يقُد ثلثمائة قطّ فرأى[1] لأحد عليه طاعة . قال : صدقتَ وَيْحك ، فمن لها !
قال : رجلٌ أعلَمه لم تُسمِّه[2] ، قال : فمن هو ؟ قال لا أبوح باسمه إلا
أن يَضمَن لى أميرُ المؤمنين ستر ذلك ، وأن يُجيرَنى منه إنْ علم ؛ قال :
نعم ، سَمّه مَن هو ؟ قال : يزيدُ بنُ المهلب ؛ قال : ذاك بالعراق ، والمُقام
بها أحبّ إليه من المقامِ بخُراسان ، قال : قد علمتُ يا أميرَ المؤمنين ، ولكن
تُكرِهه على ذلك ، فيَستخلف على العراق رجلا ويسير ؛ قال : أصبتَ
الرأىَ . فكَتَب عهدَ يزيد على خُراسان ، وكتب إليه كتابًا : إن ابنَ
الأهتم كما ذكرتَ فى عقْله ودِينه وفضلِه ورأيه. ودفع الكتابَ وعَهْد يزيدَ إلى
ابن الأهتم ، فسار سَبْعاً ، فقدم على يزيدَ فقال له : ما وراءك ؟ قال :
فأعطاه الكتاب ، فقال : وَيْحك ! أعِندَك خير ؟ فأعطاه العهد ، فأمر
يزيدُ بالجهاز للمسير من ساعته ، ودعا ابنه مخلَداً فقدّمه إلى خُراسان . قال :
فسار من يومه ، ثمّ سار يزيدُ واستخلف على واسطَ الجرّاح بنَ عبد الله
الحكَمىّ ، واستعمَل على البَصْرة عبدَالله بن هلال الكلابىّ ، وصيّر مَروانَ
ابن المهلب على أموالِه وأمورِه بالبَصرة ، وكان أوثَقَ إخوتِه عندَه ، ولمروان
يقول أبو البَهاء الإيادىّ :

رأيتُ أبا قبيصةَ كلَّ يومٍ على العَلَّاتِ أكرَمَهُمْ طِبَاعَا .
إذَا ما هُمْ أبوْا أن يَسْتطيعوا جَسِيمَ الأَمْرِ يحْمِلِ ما اسْتَطَاعَا
وإنْ ضاقت صدُورُهُمُ بأمرٍ فَضلَتَهُمُ بذاك ندًى وبَاعَا

١٣١١/٢

* * *

وأمّا أبو عُبيدَة مَعمَر بنُ المثنّى فإنه قال فى ذلك : حدّثنى أبو مالك أنّ
وَكيع بنَ أبى سُود بعث بطاعته وبرأسِ قُتيبةَ إلى سليمانَ ، فوَقَع ذلك من
سليمان كلَّ موقع ، فجعل يزيدُ بنُ المهلب لعبد الله بن الأهتم مائةَ ألف
على أن ينقُر[3] وكيعًا عنده ، فقال : أصلَح اللهُ أمير المؤمنين ! والله ما أحدٌ

---

(١) ب : « ولا رأى » . (٢) ب : « لم يسمه أمير المؤمنين » .
(٣) ب : « ينفر » ، س: « يبقر » ويقال : نقر الرجل ينقره ، أى عابه ووقع فيه .

أوجبَ شكراً، ولا أعظمَ عندى يداً من وكيع ، لقد أدرك بثأرى ، وشفانى من عدُوّى ، ولكن أميرَ المؤمنين أعظمُ وأوجبُ علىّ حقّاً ، وإنّ النصيحةَ تلزَمنى لأمير المؤمنين ؛ إنّ وكيعاً لم يَجتمع له مائة عنان قطّ إلا حدّث نفسَه بغدرة؛ خامل فى الجماعة ، نابه فى الفتنة ، فقال : ما هوَ إذاً ممن نستعين به — وكانت قيسٌ تَزعُم أن قتيبة لم يخلع — فاستعمل سليمانُ يزيد ابنَ المهلب على حرْب العراق، وأمَره إن أقامت قيسٌ البيّنة أن قتيبة لم يَخلَع فينزَع يداً من طاعة ، أن يُقيد وكيعاً به . فَغدَر يزيدُ ، فلم يُعْطِ عبدَ الله ابن الأهتم ما كان ضَمِن له ، ووجّه ابنَه مخلدَ بنَ يزيد إلى وكيع .

* * *

رَجَع الحديثِ إلى حديث علىّ . قال علىّ : أخبرَنا أبو مخنَف عن عثمانَ بن عمرو بن محصن ، وأبو الحسن الخُراسانىّ عن الكرمانىّ ، قال : وجه يزيدُ ابنَه مخلَداً إلى خُراسان فقدّم مَخلَدُ عمرَو بن عبد الله بن سنان العتَكىّ، ثم الصُّنَابِحىّ[1]، حين دَنَا من مرْوَ، فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن الْقَنى ، فأبى ، فأرسَل إليه عمرو ، يا أعرابىّ أحمقَ جِلفاً جافياً ، انطلِق إلى أميرك فتَلقه . وخرَج وجوهٌ من أهل مرْوَ يتلقّوْن مَخلَداً ، وتثاقَل وكيعٌ عن الخروج ، فأخرَجَه عمرو الأزْدىّ، فلما بلغوا مَخلَدا نزل الناسُ كلّهم غير وكيع ومحمد بن حمران السعدىّ وعبّاد بن لَقيط أحد بنى قيس بنِ ثعلبة ، فأنزَلوهم ، فلما قَدِم مروَ حبس وكيعاً فعذّبه ، وأخذ أصحابه فعذّبهم قبل قُدوم أبيه . ٢/١٣١٢

قال علىّ عن كُليب بن خلَف ، قال: أخبرنا إدريسُ بنُ حنظلة، قال: لما قَدِم مَخلَدخُراسان حبَسَنى ، فجاءنى ابن الأهتم فقال لى: أتريد أن تَنجُوَ؟ قلت: نعم، قال: أخرج الكتبَ التى كتَبَها القَعْقاع بن خُلَيد العَبْسىّ وخُرَيم بن عمرو المرّىّ إلى قُتيبةَ فى خَلْع سليمانَ ، فقلت له: يا بنَ الأهتم،

(١) ب : « الصدابحى » .

إيّاى تَخدع عن دينى ! قال : فدعا بطُومار وقال : إنك أحمق. فكَتب كُتُباً عن لِسان القَعْقاع ورجال من قَيْس إلى قُتيبة، أنّ الوليد بنَ عبد الملك قد مات ، وسليمان باعث هذا المَزُونىّ على خراسان فاخلَعه . فقلتُ : يابنَ الأهتم ، تُهلِك والله نفسَك ! والله لئن دخلتُ عليه لأعلمنّه أنك كتبتَها .

* * *

وفى هذه السنة شَخَص يزيدُ بنُ المهلّب إلى خُراسانَ أميرًا عليها ، فذكر علىّ بن محمد ، عن أبى السرىّ المروزىّ الأزْدىّ، عن عمه، قال: وَلِىَ وكيع خُراسانَ بعد قتل قُتيبةَ تسعةَ أشهر أو عشرة . وقدم يَزيدُ بنُ المهلب سنة سبع وتسعين .

١٣١٣/٢

قال علىّ : فذكَر المفضّل بنُ محمد عن أبيه، قال: أدنَى يزيدُ أهلَ الشأم وقوماً من أهل خُراسان ، فقال نهارُ بنُ تَوْسِعة :

وما كنَّا نُؤمِّلُ من أَمِيرٍ كما كُنَّا نؤمّلُ من يزِيدِ
فأَخْطأَ ظنُّنَا فيــه وقِدْماً زَهِدْنا فى معاشَرَة الزَّهيد
إذا لم يُعطِنا نَصَفاً أميرٌ مَشَيْنَا نحْوَهُ مِثلَ الأُسُودِ
فمهلاً يا يَزيدُ أَنِبْ إلينـــا ودَعْنَا من معَاشرَةِ العبيدِ
نَجِيءُ فلا نَرَى إلاَّ صُدودًا على أنا نُسَلم من بَعيــدِ
ونَرجعُ خائبينَ بلا نوالٍ فما بَالُ التجَهُّمِ والصُّدُودِ!

قال علىّ : أخبرَنا زيادُ بن الرّبيع ، عن غالب القطّان ، قال : رأيتُ عمَر بنَ عبد العزيز واقفاً بعرَفات فى خلافة سليمان ، وقد حجّ سليمان عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد : العَجَب لأمير المؤمنين ، استَعمَل رجلاً على أفضل ثَغْر للمسلمين ! فقد بلَغنى عمّن يقدم من التجار من ذلك الوَجْه أنه يُعطى الجاريةَ من جواريه مثل سهم ألفِ رجل . أما والله

ما اللهَ أراد بولايته — فعرفتُ أنه يعنى يزيدَ والجهنية — فقلتُ: يشكر بلاءَهم أيام الأزارقة .

قال : ووَصَل يزيدُ عبدَالملك بنَ سلام السَّلُولىّ فقال :

ما زال سَيْبُك يا يزيدُ بَحوبَتى حتَّى ٱرتويتُ وَجُودكُمْ لا يُنكَرُ
أنتَ الرَّبيع إذا تكون خَصَاصَةٌ عاش السَّقِيم به وعاش المُقتِرُ
عمَّت سَحَابَتُهُ جَميعَ بِلاَدِكمْ فرَوْوا وأَغْدَقَهُم سَحَابٌ مُمطِر ٢ / ١٣١٤
فسقَاك رَبكَ حَيْثُ كنتَ مَخيلةً ريًّا سَحَائِبها تَروحُ وتُبكِر[1]

* * *

وفى هذه السنة حجّ بالناس سليمانُ بنُ عبد الملك ، حدّثنى بذلك أحمدُ ابن ثابت عمن ذكَره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر .

وفيها عزَل سليمانُ طلحةَ بن داودَ الحضْرمىّ عن مكة ، قال الواقدىّ : حدّثنى إبراهيمُ بنُ نافع ، عن ابن أبى مُليكة ، قال : لما صدَر سليمانُ ابنُ عبد الملك من الحجّ عزَل طلحةَ بنَ داودَ الحضْرمىّ عن مكة ، وكان عمَلُه عليها ستة أشهر ، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبدِ مناف .

وكانت عُمّال الأمصار فى هذه السنة عمالها فى السنة التى قبلها إلا خراسان، فإن عاملَها على الحرْب والخراج والصّلاة يزيدُ بنُ المهلب .

وكان خليفته على الكوفة —فيما قيل— حرْملة بن عُمير اللّخْمىّ أشهرًا ، ثمّ عزَلَه وولّاها بشير بن حسّان النّهْدىّ .

---

(١) ب : «ريّا سحابتها» .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية]

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مَسلَمة بن عبد الملك إلى القُسْطَنْطِينيّة ، وأمره أن يقيمَ عليها حتى يفتحها أو يأتيَه ، فشتَابها وصاف . فذكَر محمد بن عمر أنّ ثور بنَ يزيدَ حدّثه عن سليمان بن موسى ، ٢/١٣١٥
قال: لما دنا مَسلَمة من قُسْطَنْطينية أمرَ كلّ فارس أن يحمل على عَجُز فرسه مُدْيين [1] من طعام حتى يأتىَ به القُسْطَنْطينية ، فأمر بالطعام فألقىَ فى ناحية مثل الجبال ، ثمّ قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئًا ، أغيرُوا فى أرضهم، وازدرعوا [2] . وعمِل بيوتًا من خشب ، فَشتا فيها ، وزرَع الناسُ ، ومكَث ذلك الطعام فى الصحراء لا يكنّه شىء ، والناس يأكلون مما أصابوا منَ الغارات ، ثمّ أكلوا من الزّرع ، فأقام مَسلَمة بالقُسْطَنطينية قاهراً لأهلها ، معه وجوهُ أهل الشأم : خالد بن معْدان ، وعبد الله بن أبى زكرياء الخُزاعىّ ، ومجاهد بن جَبْر ؛ حتى أتاه موتُ سليمانَ فقال القائل :

* تخمِل مُدْيَيْهَا ومُدْيَىْ مَسلَمهْ *

حدّثنى أحمد بن زُهير ، عن علىّ بن محمد ، قال : لما ولىَ سليمانُ غزَا الرّوم فنزل دابِقَ ، وقدّم مَسلَمة فهابَه الرّوم، فَشَخص إليُونُ من أرْمينيَة، فقال لمَسلَمة: ابعث إلىّ رجلا يكلّمنى ،فبعث ابنَ هُبيرة، فقال له ابنُ هبيرة : ما تَعُدّون الأحمقَ فيكم ؟ قال : الذى يملأ بطنه من كلّ شىء يجِده ، فقال له ابن هُبَيرة: إنّا أصحاب دين ، ومِن ديننا طاعةُ

(١) المدى : مكيال ضخم لأهل الشام ومصر .
(٢) ازدرعوا ، أى اتخذوا لأنفسكم زرعاً لكم ، وفى ب : « وازرعوا » .

أمرائنا ؛ قال : صدقت ، كنا وأنتم نُقاتِل على الدين ونَغضَب له ، فأما اليومَ فإنا نُقاتِل على الغَلَبة والمُلْك ، نُعطيك عن كلّ رأس ديناراً . ٢/١٣١٦
فرجع ابنُ هُبيرة إلى الرّوم من غده ، وقال : أبى أن يَرضَى ، أتيتُه وقد تغدَّى وملأ بطنه ونامَ ، فانتبه وقد غَلَب عليه البلغم ، فلم يدرِ ما قلتُ .
وقالت البطارقة لإليون: إن صرفت عنا مَسلَمة ملّكناك. فوثّقوا له، فأتى مَسلَمة فقال : قد علِم القومُ أنك لا تَصدقهم القتال ، وأنك تُطاولهم ما دام الطعام عندك، ولو أحرقتَ الطعامَ أعطوْا بأيديهم ، فأحرقه ، فقوى العدّو ، وضاقَ المسلمون حتى كادوا يَهلكون ، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان . قال : وكان سليمانُ بنُ عبد الملك لما نزل دابق أعطَى الله عَهْداً ألاّ ينصرف حتى يدخل الجيش الذى وجهه إلى الروم القسطنطينيّة .
قال: وهَلَك مَلِك الرّوم، فأتاه إليون فأخبَرَه،وضَمِن له أن يَدفَع إليه أرضَ الرّوم ، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها، وجَمَع كلّ طعام حولها وحَصَر أهلَها[1] وأتاهم إليون فملّكوه[2] ،فكتب إلى مَسلَمة يُخبره بالذى كان ، ويسأله أن يُدخِل من الطعام ما يعيش به القوم، ويُصدّقونه بأنّ أمرَه وأمرَ مَسلَمة واحد، وأنهم فى أمان من السباء والخروج من بلادهم، وأن يأذَن لهم ليلةً فى حَمْل الطعام،وقد هيأ إليون السفُن والرّجال،فأذِن له ، فما بقىَ فى تلك الحظائر إلا ما لا يُذكَر ؛ حُمل فى ليلة ، وأصبح إليون محاربًا، وقد خدعه خديعة لو كان امرأةً لعيبَ بها ، فلقى الجنْد ما لم يَلْقَ جيشٌ؛حتى إن كان الرجُل ليَخافُ أنْ يَخرُج من العَسكَر وحدَه، وأكلوا الدّوابّ والجُلود وأصولَ الشجر والورَق ، وكلّ شىء غير التراب ، ٢/١٣١٧
وسليمان مقيمٌ بدابِق ، ونزل الشتاءُ فلم يقدر يُمِدّهم حتى هَلَك سليمان .

* * *

[مبايعة سليمان لابنه أيوب وليًّا للعهد]

وفى هذه السنة بَايَع سليمانُ بنُ عبد الملك لابنهِ أيوبَ بن سليمان وجَعَله ولىّ عهده ، فحدّثنى عمر بن شبّة ، عن علىّ بن محمد، قال: كان عبدُ الملك أخَذ على الوليد وسليمانَ أن يُبايعا لابن عاتِكة ولمروانَ بنِ عبدالملك

(١) ب : « حصرهم » . (٢) ب : « فكلموه » .

من بعده ، قال : فحدّثني طارقُ بنُ المبارك ، قال : ماتَ مروانُ بنُ عبد الملك في خلافة سليمانَ منصرَفه من مكة ، فبايع سليمان حين ماتَ مَروانُ لأيوبَ ، وأمسك عن يزيدَ وتربَّص به ، ورَجا أن يهلك ، فهلَك أيّوب وهو وليّ عهده .

* * *

وفي هذه السنة فُتحتْ مدينةَ الصّقالبة ، قال محمد بنُ عمر : أغارتْ بُرْجان في سنة ثمان وتسعين على مَسلَمة بن عبد الملك وهو في قِلّة من الناس ، فأمدّه سليمانُ بنُ عبد الملك بمَسْعدة — أو عَمْرو بن قَيْس — في جَمْع فمكَرتْ بهم الصّقالبة ، ثمّ هزمَهم اللهُ بعد أن قتَلوا شَراحيلَ بن عبد ابن عَبدَة[1] .

وفي هذه السنة — فيما زعم الواقديّ — غَزا الوليد بنُ هشام وعَمرُو بنُ قيس ، فأصيبَ ناسٌ من أهل إنطاكية ، وأصابَ الوليدُ ناساً من ضَواحي الرّوم وأسَر منهم بَشَراً كثيراً .

* * *

[غزو جرجان وطبرستان]

وفي هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جُرْجان وَطَبرِستْان ، فذَكر هِشامُ بن محمد ، عن أبي مخنَف ، أنّ يزيد بن المهلب لما قدم خُراسانَ أقام ثلاثة أشهر أو أربعةً ، ثمّ أقبَل إلى دِهِسْتانَ وجُرْجانَ ، وبعث ابنه مَخلَدا على خُراسان ، وجاء حتّى نزل بدهستان ، وكان أهلُها طائفةً من الترك ، فأقام عليها ، وحاصَر أهلَها ، معه أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة وأهلُ الشأم ووجوه أهل خُراسان والريّ ، وهو في مائة ألف مُقاتل سوى المَوالي والمَماليك والمتطوّعين ، فكانوا يَخرُجون فيُقاتِلون الناسَ ، فلا يَلْبثهم الناسُ أن يَهزِموهم فيَدخُلون حصنَهم ، ثمّ يخرجون أحياناً فيُقاتِلون فيشتدّ قِتالهم . وكان جَهْم وجمال ابنا زَحْر من يزيد بمكان ، وكان يُكرمهما ، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعْفيّ له لسان وبأس ، غير أنه كان يُفسد نفسَه بالشراب ، وكان لا يُكثِر غِشيان يزيدَ وأهل بيته ، وكأنه

٢/١٣١٨

(١) ط : « شراحيل بن عبدة » ، والصواب ما أثبته ، وهو أبو عامر الشعبي .

أيضًا حَجَزه[١] عن ذلك مَا رَأى من حُسْن أثرِهم على ابنى زَحْر جَهْم وَجمال . وكان إذا نادى المنادِى : يا خيلَ الله ارْكَبى وأبشرِى كان أول فارس من أهل العسكر يَبْدر[٢] إلى موقِف البَأس عند الرّوع محمد بن عبد الرحمن بن أبى سَبْرة ، فنُودِىَ ذات يوم فى الناس ، فبدر[٣] الناس ابنُ أبى سَبْرة ، فإنه لواقفٌ على تَل إذ مرّ به عثمانُ بنُ المفضّل ، فقال له : يابنَ أبى سَبْرة ، ما قدرتُ على أن أسبقَك إلى الموقِف قطّ ، فقال : وما يُغنِى ذلك عنى ، وأنتم تُرشّحون غلمانَ مِذحج ، وتَجهلون حقّ ذوى الأسنان والتجارب والبَلاء ! فقال : أما إنك لو تريد ما قبلَنا لم نَعدل[٤] عنك ما أنتَ له أهل .

١٣١٩/٢

قال : وخرج الناسُ فاقتتَلوا قتالاً شديداً ، فحمل محمد بن أبى سَبْرة على تركىّ قد صدّ الناسَ عنه ، فاختلَفا ضربتَين ، فثبتَ سيفُ التركىّ فى بَيضة ابن أبى سبرة ، وضرَبَه ابنُ أبى سَبْرة فقتَله ، ثمّ أقبل وسيفُه[٥] فى يَدِه يقطُر دَمًا ، وسيفُ التُّركىّ فى بَيضته ، فنظر الناسُ إلى أحسَن مَنظَر رأوه من فارس ، ونظر يزيد إلى ائتلاق السَّيْفين والبَيضة والسلاح فقال : مَن هذا ؟ فقالوا : ابنُ أبى سَبْرة ، فقال : لله أبوه ! أىّ رجل هو لولا إسرافُه على نفسِه !

وخرج يزيد بعد ذلك يومًا وهو يرتادُ مكانًا يَدخُل منه على القوم ، فلم يَشعُر بشىء حتى هَجَم عليه جماعةٌ من الترك — وكان معه وجوه الناس وفُرسانُهم ، وكان فى نحو من أربعمائة ، والعدوّ فى نحو من أربعة آلاف — فقاتلَهم ساعةً ، ثمّ قالوا ليزيد : أيّها الأمير ، انصرف ونحنُ نُقاتِل عنك ، فأبَى أن يفعَل ، وغَشِىَ القِتال يومئذ بنفسه ، وكان كأحدهم ، وقاتل ابنُ أبى سبرَة وابنا زَحْر والحجّاجُ بن جارية[٦] الخثعمىّ وجُلّ أصحابه ، فأحسنوا القِتال ، حتى إذا أرادوا الانصراف جعَل الحجّاجَ بن جارية على

---

(١) ب : « فكأنه إنما كان يحجزه » .
(٢) ب : « ينهد » .
(٣) ب : « فبادر » .
(٤) ب : « ما عدلنا » .
(٥) ب : « سيفه » بدون واو .
(٦) ب : « سارية » .

الساقة ، فكان يُقاتِل مَن وراءه حتى انتهى إلى الماء ، وقد كانوا عَطِشوا فشَرِبوا ، وانصرَف عنهم العدوّ ، ولم يَظفَرُوا منهم بشيء ، فقال سُفيانُ ابن صَفْوان الخَثْعميّ :

٢/١٣٢٠ لولا ابنُ جاريَةَ الأغَرُّ جَبينُهُ لَسُقِيتَ كأْساً مُرَّةَ المُتَجرَّعِ

وحَمَاكَ فى فُرْسانِهِ وخُيُولِهِ حتَّى وَرَدتَ الماءَ غَيْرَ مُتَعتَعِ

ثم إنّه ألحّ عليها[1] وأنزل الجنود[2] من كلّ جانب حولَها ، وقَطَع عنهم الموادّ ، فلمّا جُهِدوا[3] ، وعَجَزوا عن قتال المسلمين ، واشتدّ عليهم الحصار والبلاء ، بعث صُول دِهْقان دِهستانَ إلى يزيدَ : إنى أصالحك على أن تؤمنَني على نفسى وأهل بيتى ومالِى ، وأدفعَ إليك المدينة وما فيها وأهلَها . فصَالَحه ، وقَبِل منه ، ووَفَى له ، ودَخَل المدينةَ فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السَّبى شيئًا لا يُحصَى ، وقَتَل أربعةَ عشر ألف تُركيّ صَبْراً ، وكتَب بذلك إلى سليمانَ بن عبد الملك .

ثمّ خرَج حتى أتى جُرْجانَ ، وقد كانوا يُصالحون أهلَ الكوفة على مائة ألف ، ومائتى ألف أحيانًا ، وثلثمائة ألف ، وصالحوهم عليها ، فلما أتاهم يزيدُ استقبلوه بالصّلح ، وهابوه وزادُوه ، واستخلَف عليهم رجلاً من الأزد يقال له : أسدُ بنُ عبد الله ، ودخل يزيدُ إلى الإصبهبَذ فى طَبَرِسْتانَ فكان معه الفَعَلة يَقطَعون الشَّجر ، ويُصلحون الطرق ، حتى انتهوْا إليه ، فنَزل به فحصرَه[4] وغَلَب على أرضه ، وأخذ الإصبهبذ يَعرِض على يزيدَ الصلح ويريده على ما كان يُؤخَذ منه ، فيأبَى رجاء[5] افتتاحِها . فبعث ذاتَ يوم أخاه أبا عُيينة فى أهل المِصرينْ[6] ، فأصعَد فى الجَبَل إليهم ، وقد بعث الإصبهبذ إلى الدّيلم ، فاستجاشَ بهم ، فاقتتلوا ، فحازهم المسلمون

٢/١٣٢١ ساعةً وكَشفوهم ، وخرج رأسُ الدّيلم يَسأل المُبارَزة ، فخرج إليه ابن أبى سَبْرة فقَتَله ، فكانت هزيمتُهم حتى انتَهى المسلمون إلى فَمِ الشِّعب ؛

(١) ب : « عليهم وعليها » . (٢) ب : « الخيول » .
(٣) ب : « أجهدوا » . (٤) ب : « وحصره » .
(٥) ب : « رجال » . (٦) ب : « العسكر » .

فذهبوا ليَصعَدوا فيه ، وأشرَف عليهم العدوّ يَرشُقونهم بالنشاب ، ويَرمُونَهم بالحجارة ، فانهزَم الناسُ من فَمِ الشِّعب من غير كبير قتال ولا قوّة من عدوّهم على إتباعهم وطلبهم ، وأقبلوا يركب بعضهم بعضاً ، حتى أخذوا يَتساقَطون فى اللُّهوب ، ويتَدهدَى الرجلُ من رأسِ الجبل حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يَعبَئون بالشرّ شيئاً .

وأقامَ يزيدُ بمكانِه على حالِه ، وأقبل الإصبهبذ يكاتب أهلَ جرْجان ويسألهم أن يَثبوا بأصحاب يزيد، وأن يَقطَعوا عليه مادّته والطرق فيما بينَه وبين العرب ، ويَعِدهم أن يكافِئهم على ذلك ، فَوثَبوا بمن كان يزيد خلّف من المسلمين ، فقَتلَوا منهم من قَدَروا عليه ، واجتمَع بقيّتهم فتحصّنوا فى جانب ،فلم يزالوا فيه حتى خرج إليهم يزيد ، وأقام يزيدُ على الإصبهبذ فى أرضه حتى صالَحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً ومائتى ألف وأربعمائة حمار موقرة زَعْفراناً ، وأربعمائة رَجُل ، على رأسِ كلّ رجل بُرْنُس ، على البُرْنس طَيْلَسان ولِجام من فضّة وسَرَقة[1] من حَرير ، وقد كانوا صالحوا قبل ذلك علىمائتى ألف درهم . ثمّ خرج منها يزيدُ وأصحابُه كأنهم فَلّ ، ولولا ما صنعَ أهلُ جُرجانَ لم يَخرج من طبَرستانَ حتى يفتَحها .

٢/١٣٢٢

وأما غيرُ أبى مِخنَف ،فإنه قال فىأمر يزيدَ وأمرِ أهلِ جرْجان ماحدّثنى أحمد بنُ زُهير ،عن علىّ بن محمد، عن كُلَيب بن خَلَف وغيره ؛ أنّ سعيدَ بنَ العاص صالَح أهلَ جرْجان ، ثمّ امتنَعوا وكَفروا ، فلم يأت جرْجان بعدَ سعيد أحد ، ومَنَعوا ذلك الطريق ، فلم يَكن يَسلُك طريقَ خُراسانَ من ناحيته أحدٌ إلا على وَجَل وخَوْف من أهلِ جرْجان ؛ كان الطريق إلى خُراسانَ من فارسَ إلى كَرمانَ ، فأوّل من صَيّر الطريقَ من قومِس قُتَيبة بن مسلم حينَ ولِيَ خُراسانَ . ثم غزا مَصقَلة خُراسانَ أيام معاويةَ فى عشرة آلاف ،فأصيب وجنده بالرُّوَيان ، وهى متاخِمةُ طبَرسْتان

---

(١) السرقة : شقة الحرير الأبيض .

فهلكوا فى وادٍ من أوديتها ، أخذ العدوّ عليهم بمضايقه ، فقتلُوا جميعًا ، فهو يُسمّى وادى مَصقلة .

قال : وكان يُضرَب به المَثَل:حتى يَرجعَ مصقلة من طَبرستان ، قال علىّ،عن كُليب بن خلَف العَمىّ ، عن طُفَيل بن مِرْداس العمىّ وإدريس بن حَنْظلة : إنّ سعيدَ بنَ العاص صالَح أهل جُرْجان،فكانوا يجبُون أحيانًا مائة ألف ، ويقولون: هذا صلحنا ، وأحيانًا مائتى ألف ،وأحيانًا ثلثمائة ألف ؛ وكانوا ربما أعطَوا ذلك ، وربما منعوه ، ثم امتنعوا وكفَروا فلم يُعطُوا خَراجًا ، حتى أتاهُم يزيدُ بن المهلب فلم يُعازّه أحدٌ حين قَدِمها ، فلما صالح صول وفتح البُحيرة ودِهِسْتان صالَح أهلَ جُرْجانَ على صُلْح سعيد بن العاص . ٢ / ١٣٢٣

حدّثنى أحمد ، عن علىّ،عن كُلَيب بن خلَف العمىّ،عن طُفيل بن مِرْداس ، وبِشر بن عيسى عن أبى[1] صَفْوان،قال علىّ : وحدّثنى أبو حفص الأزْدىّ عن سليمانَ بن كثير ، وغيرهم؛أنّ صولا التركىّ كانَ ينزل دِهِستان والبُحيرة — جزيرة فى البَحْر بَينَها وبين دِهِسْتانَ خمسة فراسخ ، وهما من جُرجان مما يلى خَوارزم — فكان صول يُغير على فيروزَ بن قول،مَرْزبان جُرْجان،وبينهم خمسة وعشرون فَرْسخًا،فيصيب من أطرافهم ثمّ يرجع إلى البُحيرة ودِهِسْتان ، فوقع بين فَيْروز وبينَ ابن عمّ له يقال له المرْزُبان مُنازعة، فاعتزَله المَرْزُبان ، فنزل البياسان ، فخاف فيروز أن يُغيرَ عليه الترك ، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخُراسان ، وأخذ صُول جُرْجان ، فلما قَدِم على يزيدَ بن المهلب قال له : ما أقدَمك ؟ قال : خفتُ صُولا ، فهرَبْتُ منه ، قال له يزيد : هل مِن حيلة لِقتاله ؟ قال : نَعم ، شىء واحد ، إن ظفرتُ به قتلتَه ، أو أعطى[2] بيده ، قال : ما هُوَ ؟ قال : إن خرَج مِنْ جرجان حتى يَنزِل[3] البُحَيرة، ثم أتيتَهُ ثمّ فحاصرْتَهُ بها ظفرتَ به،فاكتب إلى الإصبهبذ كتابًا تسأله فيه أن يحتالَ

---

(١) ساقطة من ط . (٢) ب : « وأعطى » . (٣) ب : « يترك » .

لصول حتى يقيمَ بجُرْجان ، واجعلْ له على ذلك جُعْلا ، ومنّه ، فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقرّبُ به إليه لأنه يعظمه ، فيتحوّل عن جُرجانَ ، فينزل البُحيرة .

٢/١٣٢٤ فكتَب يزيدُ بنُ المهلب إلى صاحب طَبَرِستان : إنى أريد أن أغزوَ صولا وهو بجُرْجان ، فخفتُ إنْ بلَغه أنى أريدُ ذلك أن يتحوّل إلى البحيرة فينزلها ، فإن تحوّل إليها لم أقدر[1] عليه ؛ وهو يَسمع منك[2] ويستنصحك ، فإن حبستَه العامَ بجُرجانَ فلم يأت البُحيرة حملتُ إليك خمسينَ ألفَ مثقال ؛ فاحتلْ له حيلةً ؛ تحبسه بجُرجان ، فإنه إن أقام بها ظفرتُ به . فلما رأى الإصبهبذُ الكتابَ أراد أن يتقرّب إلى صُول ، فبعث بالكتاب إليه ، فلما أتاه الكتابُ أمَر الناسَ بالرّحيل إلى البُحيرة وحمل الأطعِمة ليتحصّن فيها . وبلَغ يزيدَ أنه قد سار من جُرْجان إلى البحيرة ، فاعتزَم على السَّيْر إلى الجُرْجان ، فخرج فى ثلاثين ألفًا ، ومعه فَيروزُ ابنُ قُول ، واستَخلَف[3] على خُراسانَ مَخلَد بن يزيد ، واستَخلَف على سَمَرقَنْد وكِسَّ ونَسَف وبُخارَى ابنه معاوية بن يزيد ، وعلى طَخارِسْتان حاتمَ بنَ قبيصة بن المهلب ، وأقبَل حتى أتى جُرْجان —ولم تكن يومئذ مدينة إنما هى جبال مُحيطةٌ بها ، وأبوابٌ ومَخارم ، يقوم الرجلُ على باب منها فلا يَقدم عليه أحدٌ — فدخلها يزيد لم يعازّه أحد ، وأصابَ أموالاً ، وهرَب المَرْزُبان ، وخرج يزيد بالناس إلى البُحيرة ، فأناخَ على صول ، وتمثّل حينَ نزَل بهم :

فخرّ السيفُ وارْتَعشَتْ يَداهُ وكانَ بنَفسِهِ وُقِيَتْ نُفُوسُ

قال : فحاصرَهم ، فكانَ يخرُج إليه صُول فى الأيّام فيُقاتِله ثمّ يرجع إلى حِصْنه ، ومع يزيد أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة . ثم ذكر من قصة جَهْم ابن زَحْر وأخيه محمد نحواً مما ذكره هِشام ، غير أنه قال فى ضَرْبة الترکی ٢/١٣٢٥ ابنَ أبى سَبْرة : فنَشَب سَيْف التركى فى دَرَقة ابن أبى سَبْرة .

---

(١) ب : « لم يقدر عليه » . (٢) ب : « منا » .
(٣) ب : « واستعمل » .

قال علىّ بنُ محمد ، عن علىّ بن مجاهد ، عن عَنْبسة ، قال : قاتَلَ محمد بن أبى سَبْرة الترك بجرجانَ فأحاطوا به واعتَوَرُوه بأسيافهم ، فانقطع فى يده ثلاثــة أسياف .

ثم رَجَع إلى حديثهم ؛ قال : فمكثوا بذلك — يعنى الترك — محصُورين يَخرُجون فيقاتِلون ، ثمّ يَرجِعون إلى حِصْنهم ستة أشهر ، حتى شربوا ماءَ الأحْساء ، فأصابهم داءٌ يسمَّى السؤاد[1] ، فوَقَع فيهم الموتُ ، وأرسَل صُول فى ذلك يَطلبُ الصّلح ، فقال يزيدُ بنُ المهلب : لا ، إلا أن ينزل على حُكْمى ، فأبى . فأرسَل إليه : إنى أصالحُك على نفسى ومالى وثلثمائة من أهل بيتى وخاصّتى ، على أن تؤمّنَنى فتنزل البُحيرة . فأجابَه إلى ذلك يزيدُ ، فخرج بماله وثلثمائة ممن أحبّ ، وصار مع يزيدَ ، فقتَلَ يزيدُ من الأتراك أربعةَ عشر ألفاً صَبْراً ، ومنّ على الآخَرين فلم يقتُل منهم أحداً . وقال الجُنْد ليزيدَ : أعطنا أرزاقَنا ، فدعَا إدريس بن حنظلةَ العمّىّ ، فقال : يابن حَنْظلة ، أحْصِ لنا ما فى البُحيرة حتى نُعطِىَ الجندَ ، فدَخلها إدريسُ ، فلم يَقدر على إحصاء ما فيها ، فقال ليزيد : فيها ما لا أستَطيع إحصاءَه ، وهو فى ظُروف ، فنُحصِى الجواليق ونعلّم ما فيها ، ونقول للجند : ادْخلُوا فخذُوا ، فمن أخَذَ شيئاً عرَفْنا ما أخَذ من الحنطة والشعير والأرز والسمسم[2] والعَسَل . قال : نعمَ ما رأيت ، فأحصَوا الجَواليق عَدَداً ، وعلّموا كلّ جوالق[3] ما فيه ، وقالوا[4] للجند : خُذُوا ، فكان الرجلُ يخرُج وقد[5] أخذ ثياباً[6] أو طعاماً أو ما حَمَلَ[6] من شىء فيُكتَب على كلّ رجل ما أخَذ ، فأخذوا شيئاً كثيراً .

٢/١٣٢٦

قال علىّ : قال أبو بكر الهذلىّ : كان شَهْر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب ، فرفعوا عليه أنه أخذَ خَرِيطةً ، فسأله يزيدُ عنها ، فأتاه بها ، فدعا يزيدُ الذى رَفَع عليه فشتَمه ؛ وقال لشَهر : هى لك ، قال : لا حاجةَ لى فيها ، فقال القُطامىّ الكلبىّ — ويقال : سِنان بن مكمّل النّميرىّ :

---

(١) فى القاموس : « السؤاد ، كغراب : داء يأخذ الإنسان والإبل والغنم من شرب الماء الملح » .
(٢) ب : « والسمن » . (٣) ب : « على جوالق » .
(٤) ب : « وقال » . (٥) ر : « قد » . (٦–٦) ب : « وطعاماً وما » .

لقد بَاعَ شَهرٌ دِينَــهُ بِخَرِيطَةٍ فمن يأْمَنُ القرّاء بَعدَك يا شَهْرُ؟!

أَخَذْتَ به شيئاً طَفِيفــاً وبِعْتَهُ من ابن جونبوذ إنَّ هذا هو الغَدْرُ

وقال مرة النَّخَعيّ لشَهْر :

يا بن المُهَلَّبِ ما أَرَدتَ إلى امْرِئٍ لولَاكَ كان كصالح القُرَّاء

قال عليّ: قال أبو محمد الثَّقَفيّ: أصاب يزيدُ بن المهلب تاجًا بجُرْجان فيه جَوْهر ، فقال : أتَرون أحداً يزهد فى هذا التاج ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع الأزدىّ، فقال: خذْ هذا التاجَ فهو لك ؛ قال : لا حاجة لى فيه ، قال : عزمتُ عليك ، فأخذَه ، وخرج فأمَر يزيدُ رجلاً ينظر ما يَصنع به ، فلقِيَ سائلاً فدَفَعه إليه ، فأخذ الرجلُ السائل ، فأتَى به يزيدَ وأخبرَه الخبر ، فأخذ يزيدُ التاجَ ، وعوَّض السائل مالاً كثيراً . ١٣٢٧/٢

قال عليّ : وكان سليمانُ بن عبد الملك كلما افتتح قتيبةُ فتْحاً قال ليزيد بن المهلب: أما ترَى ما يَصنع الله على يدىْ قُتيبة ؟ فيقول ابنُ المهلب: ما فعلتْ جُرْجانُ التى حالت بين الناس والطريق الأعظم ، وأفسدَت قُومِس وأبرشَهْر ! ويقول: هذه الفتوحُ ليستْ بشىء ، الشأنُ فى جُرجانَ. فلما ولى يزيدُ بنُ المهلب لم يكن له همة غير جُرْجان . قال : ويقال : كان يزيدُ بنُ المهلب فى عشرين ومائة ألف ، معه من أهل الشأم ستون ألفًا .

قال عليّ فى حديثه، عمّن ذكَر خبَرَ جُرْجان عنهم : وزاد فيه عليّ ابن مجاهد ، عن خالد بن صبيح أنّ يزيدَ بن المهلب لما صالح صولا طَمع فى طَبرستان أن يَفتَحها، فاعتزَم على أن يسيرَ إليها، فاستعمل عبدَ الله بن المعمَّر اليشكرىّ على البياسان ودهسْتان ، وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أدانى جُرْجان مما يلى طَبَرِستان ، واستَعمَل على أندرِستان أسد ابن عمرو — أو ابن عبد الله بن الرّبعة — وهى مما يلى طَبَرِسْتان، وخلّفه فى أربعة آلاف ، ودخل يزيدُ بلادَ الإصبهْبذ، فأرسل إليه يسأله الصّلح ،

٢/١٣٢٨ وأن يَخرُج من طَبَرسْتان ، فأبى يَزيدُ ورَجا أن يَفتَحها ، فوجّه أخاه أبا عُيينة من وجه ، وخالدَ بنَ يزيد ابنه من وجه ، وأبا الجَهْم الكلبيّ من وجه ، وقال : إذا اجتمعتم فأبو عُيينة على الناس . فسار أبو عُيينة فى أهل المِصْرين ومَعه هُرَيم بن أبى طحمة . وقال يزيد لأبى عُيينة : شاوِرْ هُرَيماً فإنه ناصِح . وأقام يزيد معسكراً .

قال : واستجاش الإصبهبذ بأهل جِيلانَ وأهل الدَّيْلم ، فأتَوْه فالتقَوا فى سَنَد جبل ، فانهزَم المشركون ، وأتبعهم المسلمون حتى انتهَوا إلى فَم الشِّعب فدخله المسلمون ، فصَعد المشركون فى الجَبَل ، وأتبعهم المسلمون ، فرماهم العدوّ بالنّشاب والحجارة ، فانهزَم أبو عُيينة والمسلمون ، فركب بعضُهم بعضاً يتساقطون من الجبل ، فلم يَثْبتُوا حتى انتهَوْا إلى عسكر يزيدَ ، وكَفّ العدوّ عن اتّباعهم ، وخافَهم الإصبهبذُ ، فكتب إلى المَرْزُبان ابن عمّ فَيروز بن قُول وهو بأقصى جُرْجان مما يلى البياسان : إنا قد قتلنا يزيد وأصحابه فاقتُلْ مَن فى البياسان من العَرَب . فخرج إلى أهل البياسان والمسلمون غارُّون فى منازلهم ، قد أجمَعوا على قتلِهم ، فقُتِلوا جميعاً فى ليلة ، فأصبح عبدُ الله بن المعمّر مقتولاً وأربعة آلاف من المسلمين لم يَنجُ منهم أحدٌ ، وقُتِل من بنى العمّ خَمْسون رجلاً ؛ قُتِل الحسينُ بن عبد الرحمن وإسماعيل ابن إبراهيم بن شمّاس . وكَتَب إلى الإصبهبذ يأخذُ بالمَضايق[1] والطرق. وبلغ يزيدَ قتلُ عبد الله بن المَعمّر وأصحابه ، فأعظَموا ذلك ، وهالَهم ، ٢/١٣٢٩ فَفزِع يزيدُ إلى حيّان النَّبطىّ . وقال : لا يمنعْك ما كان منّى إليك من نَصيحة المسلمين ، قد جاءنا عن جُرْجان ما جاءنا ، وقد أخذ هذا بالطرق ، فأعمل فى الصّلح ؛ قال : نَعَمْ . فأتى حيّانُ الإصبهبذَ فقال : أنا رجلٌ منكم ، وإن كان الدّين قد فرّق بينى وبينكم ، فإنى لكم[2] ناصح ، وأنت أحبّ إلىّ من يزيد ، وقد بعث يَستمدّ ، وأمدادُه منه قريبة ، وإنما أصابوا منه طَرَفاً ، ولستُ آمَن أن يأتيك ما لاتقومُ له ، فأرِحْ نفسَك منه ، وصالحْه

(١) ب : « المضايق » .

(٢) كذا فى ب ، وفى ط : « فأنا لك » .

فإنك إن صالحته صيّر حدّه على أهل جُرْجان ، بغَدرهم وقتلهم مَن قتلوا ، فصالَحه على سبعمائة ألف — وقال عليّ بنُ مجاهد : على خمسمائة ألف — وأربعمائة وقْر زَعفران أو قيمته من العيْن ، وأربعمائة رجل ، على كل رجل بُرْنُس وطَيْلَسان ، ومع كلّ رجل جام فضّة وسَرَقة خزّ وكِسْوة .

ثم رجع إلى يزيدَ بن المهلب فقال : ابعث من يَحمِل صُلحهم الذى صالحتُهم عليه ، قال : مِن عندهم أومن عندنا ؟ قال : من عندهم . وكان يزيدُ قد طابتْ نفسُه على أن يُعطيَهم ما سألوا ، ويَرجع إلى جُرْجان فأرسَل يزيدُ من يَحمِل ما صالَحهم عليه حيّان ، وانصرَف إلى جُرْجَان ، وكان يزيد قد غرّم حيّاناً مائتى ألف ، فخاف ألّا يُناصِحه .

والسبب الذى له أغرم حيّان فيه ما حدّثنى عليّ بن مجاهد ، عن خالد بن صبيح ، قال : كنتُ مؤدبًا لولَد حيّان ، فدعانى فقال لى : اكتبْ كتاباً إلى مَخلَد بن يزيد — ومَخلَد يومئذ ببلْخ ، ويزيدُ بمَرْوَ — فتناولتُ القرْطاس ، ٢ / ١٣٣٠ فقال : اكتب : مِنْ حيّانَ مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيدَ . فغمزَنى مُقاتِل ابن حيان ألّا تكتُب ، وأقبلَ على أبيه فقال : يا أبتِ تكتُب إلى مَخلَد وتَبدأ بنفسك ! قال : نَعَم يا بنيّ ، فإن لم يَرضَ لقى ما لقى قتيبة . ثم قال لى : اكتُب ، فكتبتُ ، فبعثَ مَخلَد بكتابه إلى أبيه ، فأغرَم يزيدُ حيّان مائتى ألف دِرْهم .

* * *

[فتح جرجان]

وفى هذه السنة فتَح يزيدُ جُرْجانَ الفتحَ الآخر بعد غدرِهم بجُنْده ونقضِهم العهْد ، قال عليّ ، عن الرّهط الذين ذكَر أنهم حدّثوه بخبر جُرجانَ وطَبَرِستان : ثمّ إنّ يزيد لما صالح أهل طَبَرِسْتانَ قَصَد لجرْجان ، فأعطى اللهَ عهْداً ؛ لئن ظَفِر بهم ألّا يقلِع عنهم ، ولا يرفَع عنهم السيفَ حتى يطحن بدمائهم ، ويختبزَ من ذلك الطحين ، ويأكل منه ،

فلما بلغ المَرْزبانَ أنه قد صالح الإصبهبذ وتوجه إلى جُرجانَ ، جَمَعَ أصحابَه وأتَى وجاه ، فتحصّن فيها ، وصاحبها لا يحتاج إلى عُدّة من طعام ولا شَراب . وأقبَل يزيدُ حتى نزَل عليها وهم متحصّنون فيها ، وحولها غِياض فليس يُعرَف لها إلا طريق واحد ، فأقام بذلك سبعةَ أشهر لا يقدر منهم على شيء ، ولا يَعرِف لهم مأتًى إلا مِنْ وجه واحد ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجِعون إلى حِصْنهم ، فبَيْناهُم على ذلك إذْ خرج رجلٌ من عَجَم خُراسانَ كان مع يزيد يتصيّدُ ومعه شاكريّةٌ له . ٢/١٣٣١

وقال هِشام بنُ محمد ، عن أبي مِخنَف : فخَرَج رجل من عسكرِه من طيّئٍ يتصيّد ، فأبصَر وَعِلاً يرقَى في الجبَل ، فاتّبعه ، وقال لمن معه : قفوا مكانكم ، ووقَل في الجبَل يقتصّ الأثر ، فما شعَر بشيء حتى هَجَم على عسكرِهم ، فرجع يريدُ أصحابَه ، فخاف ألّا يهتديَ ، فجعل يُخرّق قَباءَه ويعقِد على الشجر علامات ، حتى وَصَل إلى أصحابه ، ثمّ رجع إلى العسكر . ويقال : إنّ الذي كان يتصيد الهيّاج بن عبد الرحمن الأزديّ من أهل طُوس ، وكانَ منْهومًا بالصّيد ، فلما رجع إلى العسكر أتَى عامرَ بن أيثم الواشجيّ صاحب شرْطة يزيد ، فمنَعوه من الدّخول ، فصاح : إنّ عندي نَصيحة .

وقال هِشام عن أبي مِخنَف : جاء حتى رَفعَ ذلك إلى ابنَي زَحْر بن قيس ، فانطلَق به ابنا زَحْر حتى أدخلاه على يزيد ، فأعلَمه ، فضَمن له بضَمان الجُهنيّة — أمّ ولد كانت ليزيد — على شيء قد سمّاه .

وقال عليّ بن محمد في حديثه عن أصحابه : فدعا به يزيد فقال : ما عندَك ؟ قال : أتريد أن تدخل وجاه بغيرِ قِتال ؟ قال : نعَم ، قال : جعَالَتي ؟ قال : احتكِمْ ، قال : أربعة آلاف ؛ قال : لك ديَة ، قال : عَجِّلوا لي أربعة آلاف ، ثم أنتم بعدُ مِن وراء الإحسان . فأمَر له بأربعة آلاف ، ونَدَب الناس ، فانتدب ألف وأربعمائة ، فقال : الطريق لا يَحمِل هذه الجماعة لالتفاف الغِياض ، فاختار منهم ثلثمائة ، فوجّههم ، واستعمل عليهم جَهْم بن زَحْر . ٢/١٣٣٢

وقال بعضهم : استعمَل عليهم ابنه خالد بن يزيد ، وقال له : إن غُلبتَ على الحياة فلا تُغلبَنّ على الموت ، وإياك أن أراكَ عندى منهزماً ، وضمّ إليه جَهْم بن زَحْر ، وقال يزيد للرجل الذى نَدَب الناس معه : متى تَصل إليهم ؟ قال : غداً عند العَصْر فيما بين الصّلاتين ، قال : امضُوا على بركة الله ، فإنى سأجهَد على مناهَضتهم غداً عند صلاة الظهر . فساروا ، فلما قارب انتصاف النهار من غد أمَر يزيدُ الناس أن يُشعلوا النارَ فى حَطَب كان جمعَه فى حِصاره إياهم ، فصيّره آكاماً ، فأضرَموه ناراً ؛ فلم تَزُل الشمس حتى صارَ حولَ عسكره أمثال الجبال من النيران ، ونَظَر العدوّ إلى النار ، فهالَهم ما رأوا من كَثْرتها ، فخرجوا إليهم . وأمَرَ يزيدُ الناسَ حين زالت الشمس فصلّوْا ، فجمعوا بينَ الصّلاتين ، ثمّ زَحَفوا إليهم فاقتَتلوا ، وسار الآخرون بقيّةَ يومهم والغَد ، فهجَموا على عسكر الترك قُبَيْل العَصْر ، وهم آمِنون من ذلك الوجه ، ويزيدُ يُقاتِل من هذا الوجه ، فما شَعروا إلا بالتكبير من ورائهم ، فانقطَعوا جميعاً إلى حِصْنهم ، وركِبَهُم المسلمون ، فأعطَوْا بأيديهم ، ونزَلوا على حُكْم يزيدَ ، فسبى ذراريّهم ، وقتَل مقاتِلتَهم ، وصلبهم فَرْسَخين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثنى عشرَ ألفاً إلى الأندرهز — وادى جرْجان — وقال : مَنْ طلبهم بثأر فليقتُل ، فكان الرجلُ من المسلمين يقتلُ الأربعةَ والخمسةَ فى الوادى ، وأجرى الماء فى الوادى على الدّم ، وعليه أرحاء ليطحَن بدمائهم ، ولتبرّ يمينُه ، فطَحَن واختَبَز وأكَل وبَنَى مدينةَ جُرْجان . وقال بعضهم : قتَل يزيدُ من أهل جُرجان أربعين ألفاً ، ولم تكن قبلَ ذلك مدينة ورَجع إلى خُراسانَ واستعمَل على جُرجانَ جَهْم بن زَحْر الجُعفىّ . ٢ / ١٣٢٣

وأمّا هشام بنُ محمد فإنه ذَكَر عن أبى مِخْنَف أنه قال : دعا يزيد جهمَ ابنَ زَحْر فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا فى المكان الذى دُلّوا عليه وقد أمرَهم يزيدُ فقال : إذا وَصَلتم إلى المدينة فانتظِروا ، حتى إذا كان فى السَّحر فكبِّروا ، ثم انطلِقوا نحوَ باب المدينة ، فإنكم تجدونى وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها ؛ فلما دخل ابن زَحْر المدينةَ أمهل حتى إذا كانت

الساعةَ التى أمره يزيدُ أن يَنهضَ فيها مَشَى بأصحابه، فأخذَ لا يَستقبل من أحراسِهم أحداً إلا قتله . وكَبَّر، ففزِع أهلُ المدينة فزَعًا لم يدخُلْهم مثلُه قطّ فيما مضى ، فلم يَرُعهم إلا والمسلمون معهم فى مَدينتهم يكبّرون فدُهِشوا، فألقَى اللهُ فى قلوبهم الرّعب، وأقبلوا لا يَدْرون أين يتوجّهون! غيرَ أنّ عِصابةً منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جَهْم بن زَحْر ، فقاتَلوا ساعةً ، فدُقّت يدُ جَهْم ، وصبر لهم هو وأصحابُه، فلم يَلْبثوهم أنْ قتلوهم إلا قليلا . وسمع يزيدُ بنُ المهلب التكبيرَ، فوثَب فى الناس إلى الباب ، فوجدوهم قد شغَلهم جَهْم بن زَحْر عن الباب ، فلَم يَجدْ عليه من يَمنعُه ولا مَن يَدفَع عنه كبير دَفع ، ففتَح الباب ودخلَها من ساعته ، فأخرَج من كان فيها من المُقاتِلة ، فنَصب لهم الجُذوعَ فرْسَخين عن يمين الطريق ويسارِه ، فصَلَبهم أربعةَ فراسخ ، وسَبَى أهلَها، وأصاب ما كان فيها . ٢/١٣٣٤

قال علىّ فى حديثه ، عن شيوخه، الذين قد ذكرتُ أسماءَهم قبلُ ، وكتب يزيدُ إلى سليمانَ بن عبد الملك :

أما بعد، فإن الله قد فتَح لأمير المؤمنين فتْحاً عظيماً ،وصنَع للمسلمين أحسنَ الصُّنْع ، فلرَبّنا الحمدُ على نِعمه وإحسانه ، أظهر فى خلافة أميرِ المؤمنين على جُرْجان وطَبَرستان،وقد أعيَا ذلك سابُورَ ذا الأكْتاف وكِسرى بن قُباذ وكسرى بن هُرْمُز ، وأعيَا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومَنْ بعدهما من خلفاءِ الله، حتى فتَح الله ذلك لأمير المؤمنين ؛ كرامةً من الله له،وزيادة فى نِعمه عليه . وقد صار عندى من خُمس ما أفاءَ اللهُ على المسلمين بعد أن صار إلى كلّ ذى حقّ حقه من الفَىء والغَنيمة ستةُ آلاف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .

فقال له كاتبه المغيرة بنُ أبى قرّة مولَى بنى سَدُوس : لا تَكتُب بتسمية مال ، فإنك مِنْ ذلك بين أمرين : إما استكْثرَه فأمَرك بحَمْله ، وإما سَخَت نفسُه لكَ به فَسوّغَكَه فتكلفت الهديّة ، فلا يأتيه من قبَلك شىء إلا استقبله، فكأنى بك قد استغرقْت ما سمّيت ٢/١٣٣٥

ولم يقع منه موقعًا ، ويبقى المالُ الذى سميت مخلّداً عندهم عليك فى دواوينهم ، فإن وَلِيَ والٍ بعدَه أخذَكَ به ، وإن وَلِي من يتحامَل عليك لم يَرضَ منك بأضعافه ، فلا تَمضِ كتابَك ، ولكن اكتب بالفتح ، وسَلْه القُدومَ فتُشافِهَه بما أحببتَ مُشافهةً ، ولاتقصّر ، فإنك إن تقصّر عما أحببتَ أحرَى من أن تكثّر .

فأبى يزيدُ وأمضَى . وقال : بعضُهم كان فى الكِتاب أربعة آلاف ألف .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة توفّى أيوب بنُ سليمانَ بن عبد الملك ، فحدّثت عن علىّ بن محمد ، قال : حدثنا علىّ بن مجاهد ، عن شيخ من أهل الرّىّ أدركَ يزيدَ ، قال : أتَى يزيدُ بن المهلب الرّى حين فرَغ من جُرْجانَ ، فبلغه وفاةُ أيوب بنِ سليمان وهو يسيرُ فى باغ أبى صالح على باب الرّىّ ، فارتجَز راجزٌ بين يدَيْه فقال :

إن يَكُ أيّوبُ مَضَى لشانِهِ فإنَّ داودَ لفِى مَكانِهِ

* يقيمُ ما قدْ زَال مِنْ سُلْطَانِهِ *

وفى هذه السنة فُتِحتْ مدينة الصّقالِبة .

وفيها غزا داوُد بنُ سليمانَ بن عبدالملك أرضَ الرّوم ، فَفتَح حِصْنَ المرأة مما يلِى مَلطيَة .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبدُ العزيز بنُ عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أميرٌ على مكة ، حدّثنى بذلك أحمدُ بن ثابت ، عمن ذَكَره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبى معشر . ١٣٣٦/٢

وكان عمال الأمصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنةَ سبْع ، وقد ذَكَرْناهم قبلُ ، غير أنّ عامل يزيد بنَ المهلب على البَصْرة فى هذه السنة كان — فيما قيل — سفْيان بن عبد الله الكِنْدىّ .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[وفاة سليمان بن عبد الملك]

فمن ذلك وَفاةُ سليمانَ بن عبد الملك، تُوفِّيَ – فيما حُدِّثت عن هشام، عن أبي مخنَف – بِدَابِق من أرض قِنَّسْرين يوم الجمعة لعشرٍ ليال بَقين من صفر، فكانت ولايتُه سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

وقد قيل: توفِّي لعشرٍ ليال مضَين من صفر. وقيل: كانت خلافتُه سَنَتين وسبعة أشهر وقيل: سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وقد حدّث الحسن بن حماد، عن طلحة أبي محمد، عن أشياخه، أنهم قالوا: استخلفَ سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاثَ سنين. وصلى عليه عمرُ بنُ عبد العزيز.

وحدثني أحمدُ بنُ ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي مَعشَر، قال: توفّيَ سليمانُ بنُ عبد الملك يومَ الجمعة لعشر خلوْنَ من صفر سنة تسع وتسعين، فكانت خلافتُه ثلاثَ سنين إلا أربعة أشهر.

* * *

١٣٣٧/٢ * ذكر الخبر عن بعض سيره:

حدّثتُ عن عليّ بن محمد، قال: كان الناسُ يقولون: سليمانُ مفتاحُ الخيْر، ذهَب عنهم الحجاج، فولي سليمانُ، فأطلق الأسارى، وخلّى أهلَ السجون، وأحسَنَ إلى الناس، واستخلف عمر بنَ عبد العزيز، فقال ابن بيض:

حاز الخلافة والداكَ كلاهُمَا ... من بَيْنِ سُخْطَةِ سَاخِطٍ أو طَائعِ

أبَوَاكَ ثمّ أخوكَ أصْبحَ ثالثاً ... وعَلى جَبِينِكَ نورُ مُلكِ الرابعِ

وقال عليّ: قال المفضَّل بنُ المهلّب: دخلتُ على سليمانَ بدابِقَ يومَ

جمعة ، فدعا بثياب فَلَبسها ، فلم تُعجبه ، فدعا بغيرها بثياب خُضْر سُوسيّة بَعَثَ بها يزيدُ بن المهلب ، فلبسها واعتمّ وقال : يا بن المهلّب ، أعجبتْك ؟ قلتُ : نَعَم ، فحَسَر عن ذراعَيه ثم قال : أنا المَلِك الفتيّ ، فصلّى الجُمعة ، ثم لم يُجمّع بعدَها ، وكتب وَصيّته ، ودعا ابنَ أبي نُعَيم صاحب الخاتَم فختَمه .

قال عليّ : قال بعضُ أهل العِلم : إن سليمانَ لبس يومًا حُلة خضراءَ وعمامةً خضراءَ ونَظَر فى المرآة فقال : أنا المَلِك الفَتِيّ ، فما عاشَ بعد ذلك إلا أسبوعًا .

قال عليّ : وحدّثنا سُحَيم بنُ حَفْص ، قال : نظرتْ إلى سليمانَ جاريةٌ له يومًا ، فقال : ما تنظرين ؟ فقالت :

أنتَ خَيْرُ المَتَاعِ لو كنتَ تبْقَى غيْرَ أنْ لا بَقَاءَ للإنسَانِ
لَيْسَ فيما عَلمْتُهُ فيكَ عَيْبٌ كانَ فى الناس غيْرَ أنّكَ فانِ ٢/١٣٣٨

فنَفَض عمامتَه .

قال عليّ : كان قاضِي سليمانَ سليمانُ بنُ حَبيب المحاربيّ ، وكان ابن أبي عُيَيْنة يقُصّ عندَه .

وحُدّثتُ عن أبي عُبيدة ، عن رُؤْبة بن العَجاج ، قال : حجّ[1] سليمان بنُ عبد الملك ، وحجّ الشعراء معه ، وحججتُ معهم ، فلما كان بالمدينة راجعاً تَلَقّوه بنحو من أربعمائة أسير من الرّوم ، فقَعَد سليمانُ ، وأقربُهم منه مَجلسًا عبدُ الله بنُ الحسَن بن الحسَن بن عليّ بن أبي طالب صلَوات الله عليهم ، [2] فقدّمَ بِطْريقُهم فقال : يا عبدَ الله ، اضرب عنُقه[2] ، فقام فما أعطاه أحدٌ سَيْفًا حتى دفَع إليه حرَسيّ سَيْفه فضرَبه فأبانَ الرأسَ ، وأطنّ الساعد[3] وبعض الغُلّ ، فقال سليمان : أمَا والله ما مِن جودة السيف

(١) الخبر فى الأغانى ١٥ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، بسنده عن قتادة ، عن أبي عبيدة فى كتاب النقائض ، عن رؤبة بن العجاج ؛ وهو أيضاً فى النقائض ٣٨٣ .

(٢ – ٢) الأغانى : « وعليه ثوبان ممصران ، وهو أقربهم منه مجلساً ، فأدنوا إليه بطريقهم وهو فى جامعة ، فقال لعبد الله بن الحسن : قم فاضرب عنقه » .

(٣) أطنه : قطعه .

جادَت الضَّربة ، ولكن لحَسَبِه[1]،وجعل يَدفع البقيّة إلى الوجُوه وإلى الناس يقتلونهم حتى دفَع إلى جرير رَجُلا منهم،فدسّت إليه بنو عَبْس سَيْفًا فى قِراب أبيَض ، فضَرَبه فأبانَ رأسَه ، ودُفِع إلى الفرَزْدق أسيرٌ فلم يَجِد سَيفًا، فدَسّوا له سَيْفًا ددانا[2] مثنيًّا[3] لا يَقطع ، فضرَب به الأسير ضَرَبات ، فلم يَصنع شيئًا ، فضَحِك سليمانُ والقَوْم ، وشَمِتَ بالفرَزدق بنو عَبْس أخوال سليمانَ ، فألقَى السيفَ وأنشأ يقول، ويعتذر إلى سليمانَ ، ويأتسى بنُبُوّ سَيْف وَرْقاءَ عن رأسِ خالد :

١٣٣٩/٢

إن يكُ سيفٌ خَانَ أو قَدرٌ أَتى بتأْخير نفسٍ حَتْفُها غيرُشاهدِ[4]

فسيفُ بنِى عبسٍ وقد ضَربوا به نَبَا بِيَدَىْ ورقاءَ عن رأسِ خالد

كذاك سُيُوفُ الهند تَنْبُو ظُبَاتها وتَقطَعُ أحياناً مَناط القلائدِ

وورقاء هو وَرْقاء بنُ زُهَير بن جَذِيمة العَبْسىّ ، ضربَ خالدَ بنَ جَعْفر بنِ كلاب، وخالد مُكِبٌّ على أبيه زُهَير،قد ضَرَبه بالسَّيف وصرَعه، فأقبَل وَرْقاء بنُ زهير فضَرَب خالدًا ، فلم يَصنَع شيئًا ، فقال ورقاء ابنُ زُهير :

رأيتُ زهيرًا تحت كَلْكَلِ خالدٍ فأَقبلتُ أَسعَى كالعَجُولِ أُبادِرُ[5]

فشُلَّت يمِينى يومَ أَضرِبُ خالدًا ويُحْصِنُهُ مِنِّى الحديدُ المظاهرُ[6]

وقال الفرَزْدَق فى مُقامه ذلك :

أَيَعْجَبُ النّاسُ أَنْ أَضحَكتُ خَيْرَهُمُ خليفةَ اللهِ يُستَسْقَى به المطرُ[7]

فما نبَا السيفُ عن جُبْنٍ ولا دَهَشٍ عند الإمام ولكن أَخَّرَ القَدَرُ

(١) فى الأغانى : « فقال له سليمان : اجلس ، فوالله ما ضربته بسيفك ، ولكن بحسبك » ، وفى النقائض : « والله ما هو من جودة السيف أجاد الضربة ، ولكن بجودة حسبه وشرف مركبه » .

(٢) الددان ، السيف الكليل : وفى الأغانى : « فدست إليه القيسية سيفاً كليلا » .

(٣) ط : « متينا » . (٤) ديوانه ١٨٦ .

(٥) الأغانى ١١ : ٧٤ . (٦) الأغانى : « ويمنعه منى الحديد » .

(٧) النقائض ٣٨٤ ، الأغانى ١٥ : ٣٤٤ . وفيه : « أيضحك الناس »

ولو ضربْتُ على عَمرٍو مُقَلَّدَهُ لخَرَّ جُثْمانُهُ ما فوقه شَعَرُ[1]
وما يُعَجِّلُ نفساً قبلَ مِيتَتِها[2] جمعُ اليدينِ ولا الصَّمْصَامةُ الذَّكَرُ ٢/١٣٤٠

وقال جَرير فى ذلك :

بسيفِ أبى رَغوَانَ سيفِ مجاشعٍ ضربْتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالِم[3]
ضربتَ به عند الإمام فأرْعِشَتْ يداك ، وقالوا مُحدَثٌ غيرُ صارِمِ

حدثنى عبدُ الله بنُ أحمد ، قال : حدّثنى ، أبى قال : حدّثنى سليمان قال : حدّثنى عبد الله بن محمد بن عُيَيْنة ، قال : أخبرنى أبو بكر بنُ عبد العزيز بن الضحاك بن قيس ، قال : شهد سليمانُ بنُ عبد الملك جَنازةً بدابِق ، فدُفنتْ فى حقل ، فجعَل سليمانُ يأخذ من تلك التّربة فيقول: ما أحسنَ هذه التّربة ! ما أطيبَها ! فما أتى عليه جمعةٌ ـ أو كما قالَ ـ حتى دُفن إلى جنب ذلك القبر .

---

(١) لم يرد فى النقائض . وفى الأغانى : « ولو ضربت به عمراً مقلده » .

(٢) الأغانى : « وما يقدم » .

(٣) الأغانى ١٥ : ٣٤٣ ، وروى : « أن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لى هذا الأسير ، فوهبه له فأعتقه ، وقال الأبيات التى تقدم ذكرها . ثم أقبل على رواته وأصحابه وقال : كأنى بابن المراغة وقد بلغه خبرى ، فقال — وذكر البيتين — قال : فما لبثنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق » .

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفى هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكَم .

• ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى الهيثم بن واقد ، قال: استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يومَ الجمعة لعشر مضَين من صفر سنة تسع وتسعين .

٢/١٣٤١ قال محمد بن عمر : حدّثنى داود بن خالد بن دينار ، عن سهيل بن أبى سهيل قال : سمعت رجاء بن حَيْوة ، يقول : لما كان يوم الجمعة لبس سليمانُ بن عبد الملك ثيابًا خُضراً من خزّ ، ونظر فى المرآة ، فقال : أنا والله الملك الشابّ ، فخرج إلى الصّلاة [١] فصلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقُل [٢] عهدَ فى كتاب كتبَه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلُغ فقلت : ما تصنع يا أميرَ المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة فى قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظرُ فيه . ولم أعزم عليه؛ قال : فمكث يومًا أو يومين ، ثمّ خرّقه ، فدعانى، فقال : ما ترى فى داودَ بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بقُسْطنطينية وأنت لا تدرى أحىٌّ هو أم ميت ! فقال لى : فمن ترى ؟ قلت : رأيَك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أنظر من يذكر ، قال : كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلَمُه والله خيراً فاضلا مسلمًا ؛ فقال : هو والله على ذلك ، ثم قال : والله لئن وليته ولم أولّ أحداً سواه لتكوننّ فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلى عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعدَه ، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم، قال : فيزيد ابن عبد الملك أجعلُه [٣] بعدَه ، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضَوْن به ؛ قلتُ : ١/١٣٤٢ رأيك . قال : فكتب .

---

(١) ر : « مصلاه » .

(٢) ثقل ، أى اشتد مرضه .

(٣) بعدها فى ب : « يومئذ » .

بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعُمَر بن عبد العزيز[١] ، إنى قد ولّيتك الخلافةَ من بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك؛ فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمَعَ فيكم .

وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسىّ صاحب شُرَطه فقال : مُرْ أهلَ بيتى فليجتمعوا ؛ فأرسل كعب إليهم[٣] أن يجتمعوا فاجتمعوا ، ثمّ قال سليمانُ لرجاء بعد اجتماعهم : اذهبْ بكتابى هذا إليهم فأخبرهم أنّ هذا كتابى ، وأمُرهم فليبايعوا من وليت فيه ؛ ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فنسلّم على أمير المؤمنين؟ قال : نعم ؛ فدخلوا فقال لهم سليمانُ فى هذا الكتاب– وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه فى يد رجاء ابن حَيْوة – عهدى، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سمّيتُ فى هذا الكتاب ؛ فبايَعوه رجلا رجلا ، ثمّ خرج بالكتاب مختومًا فى يد رجاء بن حَيْوة .

قال رجاء : فلما تفرّقوا جاءنى عمر بنُ عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسندَ إلىّ شيئًا من هذا الأمر ، فأنشدك اللهَ وحُرْمتى ومودّتى إلا أعلَمتَنى إن كان ذلك حتى أستعفيَه الآن قبل أن تأتىَ حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ! قال رجاء : لا والله ما أنا بمُخبرك حرْفًا ؛ قال : فذهب عمرُ غضبان . ٢ / ١٣٤٣

قال رجاء : لقينى هشام بنُ عبد الملك، فقال : يا رجاء ، إنّ لى بك حُرمةً ومودّةً قديمةً ، وعندى شكر ، فأعْلِمْنى هذا الأمر ، فإن كان إلىّ علمتُ ، وإن كان إلى غيرى تكلّمتُ ، فليس مثلى قصّر به ، فأعلِمْنى فلك اللهُ علىّ ألّا أذكر من ذلك شيئًا أبداً . قال رجاء : فأبيت فقلت : والله لا أخبرك حرفًا واحداً مما أسرَّ إلىّ .

قال : فانصرف هشام وهو قد يئس ، ويضرب[٤] بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول: فإلى من إذاً نُحِّيَتْ عنى ؟ أتخرج من بنى عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلتُ على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلتُ إذا أخذَتْه السَّكْرة من

(١) بعدها فى س : « ابن مروان » . (٢) ب : « شرطته » .
(٣) ب : « إليهم كعب » . (٤) ب : « وهو يضرب » .

سكرات الموت حرّفتُه إلى القبلة ، فجعل يقول حين يُفيق : لم يأنِ لذلك بعدُ يا رجاء ، ففعلت ذلك مرّتين ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهدُ أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله . قال : فحرّفته ومات ؛ فلما غمّضته سجّيته بقطيفة خضراءَ ، وأغلقتُ البابَ. وأرسلت إلىّ زوجتُه تقول : كيف أصبح ؟ فقلتُ : نائم ، وقد تغطّى ، فنظر الرّسول إليه[1] مغطًّى بالقطيفة ، فرجع فأخبرَها فقبلَتْ ذلك ، وظنّتْ أنه نائم ، قال رجاء : وأجلستُ على الباب من أثق به ، وأوصيتُه ألاّ يبرح حتى آتيَه ، ولا يدخل على الخليفة أحد . ٢/١٣٤٤

قال : فخرجتُ فأرسلتُ إلى كعب بن حامد العبسىّ ، فجمعَ أهل بيت أمير المؤمنين ، فاجتمعوا فى مسجد دابق ، فقلت : بايِعوا ، فقالوا : قد بايعنا مرّة ونبايع أخرى ! قلتُ : هذا عهد أمير المؤمنين ، فبايِعوا على ما أمَرَ به ومن سمّى فى هذا الكتاب المختوم ، فبايَعوا الثانية ؛ رجلا رجلا . قال رجاء : فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيتُ أنى قد أحكمتُ الأمر ، قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وقرأتُ الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشامُ بن عبد الملك : لانبايعه أبداً ، قلتُ : أضرب والله عنقَك ، قُم فبايِع ، فقام يجرّ رجليه .

قال رَجاء : وأخذتُ بضَبْعَيْ عمر بن عبد العزيز فأجلستُه لما وقع فيه وهشام يسترجع على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه ، فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! حين صارت إلىّ لكراهته [إياها][2] ، والآخَر يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، حيث نُحّيَتْ عنى .

قال : وغُسل سليمانُ وكفّن وَصلّى عليه عمرُ بنُ عبد العزيز ؛ قال رجاء : فلما فُرِغ من دفنه أُتِيَ بمراكب الخلافة : البراذين والخيل والبغال ولكلّ دابة سائس ، فقال : ما هذا ! قالوا : مركَب[3] الخلافة ، قال :

---

(١) ب : « إليه الرسول » .
(٢) من ب .
(٣) ب : « مراكب » .

٢/١٣٤٥ دابتى أوفق لى ، وركب دابته . قال: فصُرفت تلك الدواب[1] ، ثمّ أقبل سائراً ، فقيل: منزل الخلافة،فقال : فيه عيال أبى أيوب وفى فُسطاطى كفاية حتى يتحوّلوا ، فأقام فى منزله حتى فرّغوه بعدُ ؛ قال رجاء : فلما كان المساء من ذلك اليوم قال : يا رجاء ، ادعُ لى كاتباً ، فدعوتُه وقد رأيتُ منه كلّ ما سرّنى[2] ، صَنَع فى المراكب ما صَنَع ، وفى منزل سليمان ؛ فقلتُ : كيف يصنع الآن فى الكتاب ؟ أيصنع نُسخًا ، أم ماذا ؟ فلما جلس الكاتب أملَى عليه كتاباً واحداً مِن فيه إلى يد الكاتب بغير نُسخة ، فأملى أحسنَ إملاء وأبلغَه وأوجزَه ، ثمّ أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كلّ بلد .

وبلغ عبدَ العزيز بن الوليد —وكان غائباً— موتُ سليمان بن عبد الملك،ولم يعلم ببيعة الناس عُمَرَ بن عبد العزيز ،وعهدِ سليمان إلى عمر ،فعقد لواء،ودعا إلى نفسه ، فبلغتْه بيعة الناس عمر بعهْد سليمان ، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : قد بلغنى أنك كنتَ بايعتَ من قبَلك ، وأردتَ دخولَ دمشق ، فقال : قد كان ذاك ، وذلك أنه بلغنى أنّ الخليفة سليمان لم يكن عقَد لأحد ، فخفت على الأموال أن تُنتهَب ، فقال عمر : لو بويعتَ وقمتَ بالأمر ما نازعتُك ذلك ، ولقعدتُ فى بيتى ، فقال عبد العزيز : ما أحبّ أنه ولى هذا الأمر غيرُك . وبايع عمر بن عبد العزيز . قال : فكان يُرجى لسليمان بتوليته عمرَ بن عبد العزيز وترك ولده .

* * *

٢/١٣٤٦ وفى هذه السنة وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسلَمة وهو بأرض الروم وأمرَه بالقُفول منها بمن معه من المسلمين ، ووجّه إليه خيلا عِتاقًا وطعامًا كثيراً ، وحثّ الناس على معونتهم،وكان الذى وجّه إليه الخيل العِتاق— فيما قيل— خمسمائة فرس .

* * *

وفى هذه السنة أغارت الترك على أذْربيجان، فقتلوا من المسلمين جماعةً ، ونالوا منهم ، فوجّه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلىّ ،

(١) ر : « الخيول » . (٢) ب : « يسرنى » .

فقتل أولئك الترك ، فلم [1] يُفلت منهم إلا اليسير ، فقدم منهم على عمرَ بُخناصرةَ بخمسين أسيراً .

***

وفيها عزل عمرُ يزيدَ بن المهلّب عن العراق ، ووجّه على البصرة وأرضها عدىّ بن أرطاة الفَزارىّ ، وبعث على الكوفة وأرضِها عبدَ الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشىّ ، من بنى عدىّ بن كعب ، وضمّ إليه أبا الزّناد ، فكان أبو الزّناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعث عدىّ فى أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحِميرىّ .

***

وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل عمر على المدينة .

وكان عامل عمر على مكة فى هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة وأرضِها عبد الحميد بن عبد الرّحمن ، وعلى البَصرة وأرضها عدىّ بن أرطاة ، وعلى خُراسانَ الجرّاح بن عبد الله .

٢/١٣٤٧ وعلى قَضاء البَصرة إياس بن معاوية بن قرّة المُزَنىّ ، وقد ولى فيما ذكر قبلَه الحسن بن أبى الحسن ، فشكا [2] ، فاستقصى إياس بن معاوية .

وكان على قضاء الكوفة — فى هذه السنة فيما قيل — عامر الشعبىّ . وكان الواقدىّ يقول : كان الشعبىّ على قضاء الكوفة أيامَ عمر بن عبد العزيز من قِبَل عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والحسن بن أبى الحسن البَصْرىّ على قضاء البَصْرة من قِبَل عدىّ بن أرطاة ، ثمّ إن الحسن استعفَى من القضاء عَدِيًّا ، فأعفاه وولّى إياساً .

---

(١) ابن الأثير « ولم » .
(٢) ر : « فتشكى » .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التى خرجتْ على عمَر بن عبدالعزيز بالعراق .

* ذكر الخبر عن أمرهم :

ذكر محمد بن عمرَ أنّ ابن أبى الزّناد حدّثه، قال: خرجتْ حرُوريّة بالعراق ، فكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرّحمن بن زيد ابن الخطّاب عامل العراق يأمره أن يدعوهم إلى العمَل بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم . فلما أعذَر فى دعائهم بعث إليهم عبدُ الحميد جيشاً ٢ / ١٣٤٨ فهزمتْهم الحروريّة ، فبلغ عمر ، فبعث إليهم مَسلَمة بن عبد الملك فى جيش من أهل الشأم جهّزهم من الرّقة ، وكتب إلى عبد الحميد : قد بلغنى ما فعلَ جيشُك جيشُ السوء ، وقد بعثتُ مَسلَمة بنَ عبد الملك ، فخلِّ بينه وبينهم . فلقيهم مَسلَمة فى أهل الشأم ، فلم يَنْشَب(١) أن أظهره الله عليهم .

* * *

[خبر خروج شوذب الخارجىّ]

وذكر أبو عُبيدةَ مَعمَر بن المثنى أنّ الذى خرج على عبد الحميد بن عبد الرّحمن بالعراق فى خلافة عمر بن عبد العزيز شَوْذَب — واسمه بِسطام من بنى يَشكُر — فكان مُخرَجه بجوْخَى فى ثمانين فارساً أكثرُهم من ربيعة ، فكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ؛ ألّا تحرّكهم إلا أن يسفكوا دماً ، أو يُفسدوا فى الأرض ، فإن فعلوا فحُلْ بينهم وبين ذلك ، وانظر رجلاً صَليباً حازماً فوجّهْه إليهم ، ووجّه معه جنداً ، وأوصه بما أمرتك به . فعقد عبد الحميدُ لمحمد بن جرير بن عبد الله البَجَليّ فى ألفَيْن من أهل الكوفة ، وأمره بما أمره به عمر ، وكتب عمر إلى بِسْطام يدعوه ويسأله عن مُخرَجه ، فقدم كتاب عمرَ عليه ، وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يحرّكه

---

(١) ب : « يلبث » .

ولا يهيّجه ، فكان فى كتاب عمر إليه : إنه بلغنى أنك خرجتَ غضبًا لله ولنبيّه ، ولستَ بأولى بذلك منّى ، فهلمّ أناظرْك فإن كان الحقّ بأيدينا دخلْتَ فيما دخل فيه الناس ، وإن كان فى يدك نظرْنا فى أمرنا . فلم يحرّك بسطام شيئًا ، وكتب إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثتُ إليك رجلين يُدارسانك ويناظرانك — قال أبو عبيدة : أحد الرّجلين اللذَين بعثهما شوذَب إلى عمر مَمْزوج مولَى بنى شيبان ، والآخر من صليبة بنى يَشكُر — قال : فيقال : أرسل نفَرًا فيهم هذان ، فأرسل إليهم عمر : أن اختاروا رجلين ؛ فاختاروهما ، فدخلا عليه فناظَراه ، فقالا له : أخبِرْنا عن يزيد لِمَ تُقرّه خليفةً بعدَك ؟ قال : صيَّره غيرى ؛ قالا : أفرأيت لو وَلِيت مالاً لغيرك ثمّ وكَّلتَه إلى غير مأمون عليه ، أترُاك كنتَ أدّيت الأمانة إلى من ائتمَنَك ! قال : فقال : أنظِرانى ثلاثًا ، فخرجا من عنده ، وخاف بنو مروان أن يُخرِج ما عندهم وفى أيديهم من الأموال ، وأن يَخلَع يزيدَ ، فدسوا إليه مَنْ سقاه سُمًّا ، فلم يَلبثْ بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثًا حتى مات .

٢/١٣٤٩

* * *

وفى هذه السنة أغزَى عمرُ بن عبد العزيز الوليدَ بن هشام المُعَيْطىّ وعمرَو ابن قيس الكِندىّ من أهل حِمص الصائفةَ .

وفيها شخَصَ عمرُ بن هُبيرة الفَزارىّ إلى الجزيرة عاملا لعمرَ عليها .

* * *

[خبر القبض على يزيد بن المهلّب]

وفى هذه السنة حُمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمرَ بن عبد العزيز .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه :

٢/١٣٥٠

اختلَف أهلُ السيَر فى ذلك ، فأما هشام بنُ محمد فإنه ذكر عن أبى مخنَف أنّ عمر بنَ عبد العزيز لما جاء يزيدُ بنُ المهلب فنزل واسطًا ، ثم ركب السفن يريد البَصْرة ، بعث عدىّ بن أرطاة إلى البصرة أميرًا ، فبعث عدىٌّ موسى بن الوجيه الحميرىّ ، فلحقه فى نَهر مَعقِل عند الجِسر ، جِسر

البَصرة فأوثَقه ، ثمّ بعث به إلى عمرَ بن عبد العزيز ، فقَدِم به عليه موسى ابن الوجيه ، فدعا به عمر بنُ عبد العزيز — وقد كان[1] عمر يَبغَض يزيدَ وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جَبابرة ، ولا أحبّ مِثلَهم ، وكان يزيد بن المهلب يَبغَض عمرَ ويقول : إنى لأظنه مرائيًا ، فلما ولى عمر عرف يزيدُ أن عمَر كان من الرِّياء بعيداً . ولما دعا عمر يزيدَ سأله عن الأموال التى كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنتُ من سليمان بالمكان الذى قد رأيت ، وإنما كتبتُ إلى سليمانَ لأسمِع الناسَ به ، وقد علمتُ أن سليمان لم يكن ليأخذَنى بشىء سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجد فى أمرك إلا حبسَك ، فاتّق الله وأدّ ما قِبَلك ، فإنها حقوقُ المسلمين، ولا يَسَعُنى تركُها ، فردّه إلى مَحبِسه[2] ، وبعث إلى الجرّاح بن عبد الله الحَكَمى فسرّحه إلى خُراسان ، وأقبل مخلد بن يزيدَ من خُراسان يُعطى الناسَ ، ولا يمرّ بكُورة إلا أعطاهم فيها أموالا عظامًا . ثمّ خرج حتى قدم على عمَر بن عبد العزيز ،فدخل عليه فحمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال : إنّ الله يا أميرَ المؤمنين صَنَع لهذه الأمة بِولايتك عليها ، وقد ابتُلينا بك ، فلا نكن أشقَى الناسِ بولايتك ، علامَ تَحبس هذا الشيخَ ! أنا أتحمل ما عليه ، فصالحْنى على[3] ما إياه تسأل ، فقال عمر : لا . إلا أن تحمل جميعَ ما نسألُه إيّاه، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بيّنة فخذْ بها ، وإن لم تكن بيّنة فصدّق مقالَة يزيد ، وإلا فاستحلِفه ، فإن لم يفعل فصالحه . فقال له عمر : ما أجِد إلا أخذَه بجميع المال . فلما خرج مَخلَد قال : هذا خيرٌ عندى من أبيه ، فلم يَلبَث مخلد إلا قليلا حتى مات ، فلما أبى يزيد أن يؤدّىَ إلى عمرَ شيئًا ألبسه جُبّةً من صوف، وحَملَه على جَمَل ، ثمّ قال : سيروا به إلى دَهْلَك ، فلما أخرِج فمُرَّ به على الناس أخذ يقول : ما لى عشيرة ، ما لى يُذهَب بى إلى دَهْلَك ! إنما يُذهَب إلى دَهْلَك بالفاسق المُريب الخارب ، سبحان الله ! أما لى عشيرة ! فدخل على عمر سلامة بن نعيم

٢ / ١٣٥١

---

(١) س : « وكان » . (٢) ب ، س : « مجلسه » .

(٣) س : « عما إياه » .

الخولانىّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ارْدُدْ يزيد إلى محبسه ؛ فإنى أخاف إن أمضيتَه أن ينتزعه قومه[1] ؛ فإنى قد رأيتُ قومَه غَضِبوا له. فردّه إلى محبسه ، فلم يزل فى محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر . ٢/١٣٥٢

وأما غير أبى مخنف فإنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدىّ ابن أرطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ،ودفعه إلى مَنْ بعين التمر من الجند ، فوجّهه عدىّ بن أرطاة مع وكيع بن حسان بن أبى سُود التميمىّ مغلولا مقيّداً فى سفينة ، فلما انتهى به إلى نهر أبان ، عرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعوه منه ، فوثب وكيع فانتضى سيفَه ، وقطع قَلْس السفينة ، وأخذ سيف يزيد ابن المهلب ، وحلَف بطَلاق امرأته ليضربنّ عنقه إن لم يتفرقوا ، فناداهم يزيد بن المهلب ، فأعلمهم يمين وكيع ، فتفرّقوا، ومضى به حتى سلّمه إلى الجند الذين بعيْن التّمر ، ورجع وكيع إلى عدىّ بن أرطاة ، ومضى الجند الذين بعين التّمْر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز ، فحبسه فى السجن .

* * *

[عزل الجرّاح بن عبد الله عن خراسان]

قال أبوجعفر : وفى هذه السنة عزل عمر بن عبدالعزيز الجرّاح بن عبد الله عن خراسان، وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيرىّ[2] ،فكانت ولاية الجرّاح بخراسان سنة وخمسة أشهر ،قدمها سنة تسع وتسعين ، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة .

* ذكر سبب عزل عمر إياه :

وكان سبب ذلك — فيما ذكر علىّ بن محمد عن كليب بن خلف، عن إدريس بن حنظلة ، والمفضّل عن جدّه ، وعلىّ بن مجاهد عن خالد ابن عبد العزيز ؛ أن يزيد بن المهلب ولّى جَهْم بن زَحْر جُرجان حين شخص عنها ، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجّه عامل العراق من العراق واليًا على جرجان، فقدم الوالى عليها من العراق، فأخذه جَهْم فقيّده وقيّد ٢/١٣٥٣

(١) ب : « أهله » .
(٢) هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدى الأزدى ،وانظر ص ٥٦١.

رهطًا قدموا معه ، ثم خرج فى خمسين من اليمن يريد الجرّاح بخراسان ، فأطلق أهل جُرجان عاملَهم ، فقال الجراح لجهم : لولا أنك ابنُ عمِّى لم أسوّغك هذا ، فقال له جَهْم : ولولا أنك ابنُ عمى لم آتِك — وكان جهم سِلْفَ الجراح من قبَل ابنتى حصين بن الحارث وابن عمّه ، لأنّ الحكم وجعفىّ ابنا سعد — فقال له الجرّاح : خالفتَ إمامك ، وخرجت عاصيًا ، فاغزُ لعلك أن تظفر ، فيصلح أمرك عند خليفتك . فوجّهه إلى الخُتَّل ، فخرج ، فلما قرب منهم سار متنكِّراً فى ثلاثة ، وخلّف فى عسكره ابن عمّه القاسم بن حبيب — وهو خَتَنُه على ابنته أم الأسود — حتى دخل على صاحب الخُتَّل فقال له : أخلِنى ، فأخلاه ، فاعتزى ، فنزل صاحب الخُتَّل عن سريره وأعطاه حاجته — ويقولون : الخُتّل موالى النعمان — وأصاب مغنماً ؛ فكتب الجرّاح إلى عمر : وأوفد وفداً ؛ رجلين من العرب ، ورجلا من الموالى من بنى ضَبَّة ، ويكنى أبا الصيداء واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلا فى دينه . وقال بعضهم : المولَى سعيد أخو خالد أو يزيد[1] النحوىّ . فتكلّم العربيان والآخر جالس ، فقال له عمرُ : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام ! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفًا من الموالى يَغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذّمة يؤخذون بالخراج ، وأميرنا عصبىّ جافٍ يقوم على منبرنا ، فيقول : أتيتكم حفيًا ، وأنا اليوم عصبىّ ! والله لرجلٌ من قومى أحبّ إلىّ من مائة من غيرهم . وبلغ من جفائه أنّ كُمّ درعه يبلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والعدوان . فقال عمر : إذن مثلك فليوفَد .

٢ / ١٣٥٤

وكتب عمر إلى الجرّاح : انظر مَنْ صلّى قِبَلَك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية . فسارع الناس إلى الإسلام ، فقيل للجرّاح : إنّ الناس قد سارعوا إلى الإسلام ، وإنما ذلك نفوراً من الجزية ؛ فامتحنهم بالختان .

فكتب الجرّاح بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه داعيًا ولم يبعثه خاتنًا . وقال عمر : ابغونى رجلا صدوقًا ،

(١) ب : « ويزيد » .

أسأله عن خراسان ، فقيل له : قد وجدته ، عليك بأبى مِجْلَز . فكتب إلى الجرّاح : أن أقبل واحمل أبا مجلز وخلّف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نُعَيم الغامدىّ[1] . وعلى جزيتها عبيد الله — أو عبد الله — بن حبيب .

فخطب الجرّاح فقال : يا أهل خراسان ، جئتكم فى ثيابى هذه التى علىّ وعلى فرسى ، لم أصب من مالكم إلا حلية سيفى — ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه ، وبغلة قد شاب وجهها ؛ فخرج فى شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم ، فلما قدم[2] قال له عمر : متى خرجت ؟ قال : فى شهر رمضان ، قال : قد صدق من وصفك بالجفاء ، هلاّ أقمت حتى تُفْطِرَ ثمّ تخرج ! وكان الجرّاح يقول : أنا والله عصىّ عقىّ — يريد من العصبيّة .

١٣٥٥/٢

وكان الجرّاح لما قدم خراسان كتب إلى عمر : إنى قدمت خراسان فوجدت قومًا قد أبطرتهم الفتنة فهم ينزُون فيها نزواً ، أحبّ الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حقّ الله عليهم ، فليس يكفّهم إلا السيف والسوط ، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك . فكتب إليه عمر :

يا بن أمّ الجرّاح ، أنت أحرصُ على الفتنة منهم ؛ لا تضربنّ مؤمنًا ولا معاهداً سوطًا إلاّ فى حقّ ، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعيُنِ وما تخفى الصُّدور ، وتقرأ كتابًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ولما أراد الجرّاح الشخوص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفًا . وقال بعضهم : عشرة آلاف من بيت المال . وقال : هى علىّ سلفًا حتى أؤديها إلى الخليفة ، فقدم على عمر ، فقال له عمر : متى خرجت ؟ قال : لأيام بقين من شهر رمضان ، وعلىّ دين فاقضه ؛ قال : لو أقمت حتى تفطر ثم خرجت قضيت عنك . فأدى عنه قومه فى أعطياتهم[3] .

* * *

(١) ب : « العامرى » .
(٢) ب : « خرج » .
(٣) ب : « وأعطى أعطياتهم » .

٢/١٣٥٦

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبدَ الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيريّ خُراسان

وكان سبب ذلك — فيما ذُكِر لى — أنّ الجرّاح بن عبد الله لما شُكِىَ، واستقدمه عمر بن عبد العزيز، فقدم عليه عزّله عن خراسان لما قد ذكرت قبل.

ثم إنّ عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان، قال — فيما ذكر علىّ ابن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعىّ وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغونى رجلا صدوقًا أسأله عن خُراسان، فقيل له: أبو مِجْلز لاحق بن حميد، فكتب فيه، فقدم عليه — وكان رجلا لا تأخذه العين — فدخل أبو مِجْلز على عمر فى جفَّة[1] الناس، فلم يُثْبِتْه[2] عمرُ. وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل: دخل مع الناس ثم خرج، فدعا به عمر فقال: يا أبا مِجْلز، لم أعرفك. قال: فهلا أنكرتَنى إذ لم تعرفنى! قال: أخبِرْنى عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: يكافئ الأكفاء، ويعادى الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويقدم إن وجد من يساعده. قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف ليّن يحبّ العافية، وتأتى له، قال: الذى يحبّ العافية وتأتى له أحبّ إلىّ، فولاه الصّلاة والحرب، وولّى عبد الرحمن القشيرىّ، ثم أحد بنى الأعور بن قشير الخراج، وكتب إلى أهل خراسان: إنى استعملتُ عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة منى بهما ولا اختيار، إلا ما أُخبِرتُ عنهما؛ فإن كانا على ما تحبّون فاحمَدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢/١٣٥٧

قال علىّ: وحدّثنا أبو السرىّ الأزدىّ، عن إبراهيم الصائغ، أن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:

أما بعدُ، فكن عبداً ناصحًا لله فى عباده، ولا يأخذك فى الله لومة لائم؛ فإنّ الله أوْلى بك من الناس، وحقّه عليك أعظم، فلا تولِّين شيئًا من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استُرعِىَ،

(١) جفة الناس: جماعتهم. (٢) لم يثبته: لم يعرفه حق المعرفة.

وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحقّ ، فإنّ الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبنّ عن الله مذهباً ؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه .

قال عليّ ، عن محمد الباهليّ وأبي نهيك بن زياد وغيرهما : إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نُعَيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشيّ ، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حتى قُتل يزيد بن المهلّب ، ووجّه مسلمة سعيدَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف ، وليَها في شهر رمضان من سنة مائة ، وعزل سنة اثنتين ومائة ، بعد ما قتل يزيد بن المهلب .

قال عليّ : كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستّة عشر شهراً .

* * *

أوّل الدّعوة

٢/١٣٥٨

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة – أعني سنة مائة – وجّه محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة مَيْسرة إلى العراق ، ووجّه محمد بن خُنَيْس وأبا عكرمة السراج – وهو أبو محمد الصادق – وحيّان العطار خال إبراهيم ابن سلمة إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكميّ من قِبَل عمر بن عبد العزيز ، وأمرهم بالدّعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا مَن لقوا ، ثم انصرفوا بكُتُبِ مَن استجاب لهم إلى محمد بن عليّ ؛ فدفعوها إلى ميسرة ، فبعث بها مَيْسرة إلى محمد بن عليّ ، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن عليّ اثني عشر رجلا ، نُقَباء[1] ، منهم سليمان ابن كثير الخزاعيّ ، ولاهز بن قريظ التميميّ ، وقحطبة بن شبيب الطائيّ ، وموسى بن كعب التميميّ ، وخالد بن إبراهيم أبو داود ، من بني عمرو بن شيبان بن ذُهْل ، والقاسم بن مجاشع التميميّ وعمران بن إسماعيل أبو النجم ، مولًى لآل أبي مُعيط ومالك بن الهيثم الخزاعيّ وطلحة ابن رُزَيْق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة . وشِبْل بن طهمان أبو عليّ الهرويّ ؛ مولًى لبني حنيفة ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ؛ واختار سبعين رجلا ، فكتب إليهم محمد بن عليّ كتاباً ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها .

---

(١) س : « نقيباً » .

* * *

وحج بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، حدّثنى ٢ / ١٣٥٩ بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر .

وكذلك قال الواقدىّ .

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة العمال فى السنة الّتى قبلها ، وقدذكرناهم قبلُ ما خلا عامل خراسان ؛ فإنّ عاملها كان فى آخرها عبد الرحمن بن نُعيم على الصّلاة والحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هرب يزيد المهلب من سجنه]

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز .

* ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مِخنَف ، أن عمر بن عبد العزيز لما كُلّم في يزيد بن المهلب حين أراد نفيَه إلى دَهْلك ، وقيل له : إنا نخشى أن ينتزعه قومه ، ردّه إلى محبسه . فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك ؛ لأنه كان قد عذّب أصهاره آل أبي عُقَيْل — كانت أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك ، فولدت له الوليد بن يزيد المقتول — فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعنّ منه طابقًا فكان يخشى ذلك ، فبعث يزيد بن المهلب ١٣٦٠/٢ إلى مواليه ، فأعدّوا له إبلا ؛ وكان مرض عمر في دَيْر سَمْعان ، فلما اشتدّ مرض عمر أمر بإبله ، فأُتيَ بها ، فلما تبيّن له أنه قد ثقُل نزل من محبسه ، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه ؛ فلم يجدهم جاءوا ، فجزِع أصحابه وضجروا ، فقال لأصحابه : أترونني أرجع إلى السجن ! لا والله لا أرجع إليه أبداً . ثم إن الإبل جاءت ، فاحتمل ، فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات ابن معاوية العامرية من بني البكّاء في شقّ المحمل ، فمضى .

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله لو علمتُ أنك تبقى ما خرجتُ من محبسي ؛ ولكني لم آمن يزيدَ بن عبد الملك . فقال عُمر : اللهمّ إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شرًّا فاكفهم شرّه ، واردد كيده في نحره . ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بحدث الزّقاق ، وفيه الهذيل بن زُفر معه قيس ،

فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم ، فأصابوا طَرَفاً من ثَقَلَه وغِلْمة من وصفائه ، فأرسل الهذيل بن زُفَر فى آثارهم ، فردَّهم فقال : ما تطلبون ؟ أخبرونى ، أتطلبون يزيد بن المهلّب أو أحداً من قومه بتَبْل ؟ فقالوا : لا ، ٢/ ١٣٦١ قال : فما تريدون ؟ إنما هو رجل كان فى إسارٍ ، فخاف على نفسه فهرب .

وزعم الواقدىّ أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر .

* * *

[خبر وفاة عمر بن عبد العزيز]

وفى هذه السنة توفِّىَ عمر بن عبد العزيز ، فحدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : توفِّىَ عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقِين من رجب سنة إحدى ومائة .

وكذلك قال محمد بن عمر ،حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عمرو بن عثمان ، قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقال هشام عن أبى مخنف : مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقِين من رجب بدير سَمْعان فى سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر . ومات بدير سَمْعان .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عمّى الهيثم بن واقد ، قال : وُلدتُ سنة سبع وتسعين ، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدابِق يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين ، فأصابنى من قسمه ثلاثة دنانير ، وتوفى بخُناصِرة يوم الأربعاء لخمس ليال ٢/ ١٣٦٢ بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شَكْوُه عشرين يوماً ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، ودفن بدير سَمْعان .

وقد قال بعضهم : كان له يوم توفّى تسع وثلاثون سنة ، وخمسة أشهر .

وقال بعضهم : كان له أربعون سنة .

وقال هشام : توفى عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر ؛ وكان يكنى أبا حفص وله يقول عُويف القوافى . وقد حضره فى جنازة شهدها معه :

أَجِبْنِى أَبا حفصٍ لَقِيتَ محمَّدًا على حَوْضِهِ مُسْتَبْشِرًا ورَآكَا[1]

فأَنت امْرُؤٌ كِلتَا يديك مُفِيدَةٌ شمالكَ خيرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَا

وأمّه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان يقال له : أشجّ بنى أمية ، وذلك أن دابة من دوابّ أبيه كانت شجّته فقيل له : أشجّ بنى أميّة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا سليمان بن حرب ، قال : حدّثنا المبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : كنتُ أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعرى مَنْ هذا الذى مِنْ ولد عمر ، فى وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلا !

وحُدّثت عن منصور بن أبى مزاحم ، قال : حدّثنا مروان بن شجاع ، عن سالم الأفطس ، أن عمر بن عبد العزيز رمحته[2] دابة وهو غلام بدمشق ، فأتِيَ به أمه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضمّته إليها ، وجعلت تمسح الدم عن وجهه[3] . ودخل أبوه عليها على تلك الحال ، فأقبلت ١٣٦٣/٢ عليه تعذُله وتلومه ، وتقول : ضيّعت ابنى ، ولم تضمّ إليه خادماً ولا حاضناً[4] يحفظه من مثل هذا ! فقال لها : اسكتى يا أمّ عاصم ، فطوباك إذ كان أشجّ بنى أمية !

* * *

ذكر بعض سيرَه

ذكر علىّ بن محمد أن كليب بن خلف حدّثهم عن إدريس بن حنظلة ، والمفضل ، عن جدّه ، وعلىّ بن مجاهد عن خالد : أن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولى الخلافة إلى يزيد بن المهلّب :

(١) الأغانى ١٧ : ١١٠ . (٢) س : « وضحته » .
(٣) ب : « من وجهه » . (٤) ب : « حاضنا ولا خادماً » .

أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني ، ويزيد بن عبد الملك من بعدي إن كان ، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدّر لي ليس عليّ بهيّن ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واعتقاد[1] أموال ، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليتُ به حساباً شديداً ، ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ، وقد بايع مَنْ قِبَلنا فبايع مَنْ قِبَلك.

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ، ألقاه إلى أبي عيينة ، فلما قرأه قال : لستُ من عمّاله ، قال : ولم ؟ قال : ليس هذا كلام مَنْ مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكهم . فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا[2] . ١٣٦٤/٢

قال : ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان ، وأقبل ، فاستخلف ابنه مخلداً .

قال عليّ : وحدثنا عليّ بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن منصور ، عن ميمون بن مِهران ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أنّ العَمَل والعلم قريبان ، فكن عالمًا بالله عاملاً له ، فإنّ أقوامًا علموا ولم يعملوا ، فكان علمُهم عليهم وبالاً .

قال وأخبرنا مصعب بن حيّان ، عن مقاتل بن حيّان ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن :

أما بعد ، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين .

قال عليّ : أخبرنا كليب بن خلف ، عن طفيل بن مرداس ، قال : كتب عمر إلى سليمان بن أبي السريّ ، أن اعمل خانات في بلادك فمن مرّ بك من المسلمين فاقرُوهم يومًا وليلة ، وتعهّدوا دوابّهم ، فمن كانت به علة فاقرُوه يومين وليلتين ، فإن كان منقطعًا به فقوّوه بما يصل به إلى بلده .

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان : إن قتيبة غَدَر بنا ، وظلمنا وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف ، فائذن لنا فليفِد[3] منّا وفد

(١) ب وابن الأثير : « اعتقال » . (٢) ب : « فبايعوه » .
(٣) ب : « فليقدم » .

إلى أمير المؤمنين يشكون ظُلامتنا ، فإن كان لنا حق أعطِيناه ، فإنّ بنا إلى ذلك حاجة . فأذن لهم ، فوجّهوا منهم قوماً ، فقدموا على عمر ، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبى السرىّ:

٢/١٢٦٥

إن أهل سمرقند قد شكَوا إلىّ ظلماً أصابهم ، وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابى فأجلس لهم القاضى ، فلينظر فى أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة .

قال : فأجلس لهم سليمان جُمَيْع بن حاضر القاضى الناجىّ ، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء ، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً ، فقال أهل السُّغْد : بل نرضى بما كان ، ولا نجدّد حرباً . وتراضوا بذلك ، فقال أهل الرأى : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم ، وأمِنونا وأمنّاهم ، فإن حُكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر . وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة فى المنازعة . فتركوا الأمر على ما كان ، ورضوا ولم ينازعوا .

قال : وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال مَنْ وراء النهر من المسلمين بذراريّهم . قال : فأبوا وقالوا : لا يسعنا مَرْو . فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه عمرُ : اللهمّ إنى قد قضيت الذى علىّ ، فلا تغزُ بالمسلمين . فحسْبُهم الذى قد فتح الله عليهم .

٢/١٢٦٦

قال : وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائىّ — وكان قد ولّاه الخراج بعد القُشَيْرِىّ : إنّ للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالوالى رُكنٌ ، والقاضى ركنٌ ، وصاحب بيت المال ركنٌ ، والركن الرابع أنا ، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهمّ إلىّ ، ولا أعظم عندى من ثغر خُراسان ، فاستوعِب الخراج وأحرِزْه فى غير ظلم ، فإن يك كَفافاً لأعطياتهم فسبيل ذلك ، وإلا فاكتب إلىّ حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم .

قال : فقدم عُقْبة فوجد خراجهم يفضُل عن أعطياتهم ، فكتب إلى

عمر فأعلمه ، فكتب إليه عمر : أن اقسم الفضل فى أهل[١] الحاجة .

وحدّثنى عبد الله بن أحمد بن شبّوية ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة ، عن داود ابن سليمان الجُعفىّ ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز[٢] :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد ، سلام عليك ؛ أما بعد ؛ فإنّ أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدّة وجَوْر فى أحكام الله وسنّة خبيثة استنّها[٣] عليهم عمال السوء ، وإن قَوام الدّين العدلُ والإحسان ، فلا يكوننّ شىء أهمّ إليك من نفسك ؛ فإنه لا قليلَ من الإثم . ولا تحمل خرابًا على عامر ، ولا عامراً على خراب ، انظر الخراب[٤] فخذ منه ما أطاق . وأصلحه حتى يعمر ، ولا يؤخذ[٥] من العامر إلا وظيفة الخراج فى رِفْق وتسكين لأهل الأرض ، ولا تأخذنّ فى الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرابين ، ولا هديّة النيروز والمِهرجان[٦] . ولا ثمن الصُّحُف ، ولا أجور الفيوج[٧] ، ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح ، ولا خراجَ على من أسلم من أهل الأرض ، فاتّبع فى ذلك أمرى ؛ فإنى قد وليتك من ذلك ما ولّانى الله ، ولا تعجل دونى بقطع ولا صلب ؛ حتى تراجِعَنى فيه ، وانظر مَن أراد من الذرّية أن يحجّ ، فعجل له مائة يحجّ بها ، والسلام .

٢ / ١٣٦٧

حدّثنا عبد الله بن أحمد بن شبّوية ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدّثنا سليمان، قال ، حدّثنى عبد الله ، عن شهاب بن شريعة المجاشعىّ ، قال : ألحق عمر بن عبد العزيز ذرارىّ الرّجال الذين فى العطايا[٨] أقرع بينهم ، فمن

---

(١) ب : « ذوى » .

(٢) بعدها فى ب : « كتاباً » .

(٣) ابن الأثير : « سنها » ، وفى ط « استنّها » ، تحريف .

(٤) ب : « إلى الخراب » . (٥) ب : « ولا يؤخذن » .

(٦) النيروز : اسمُ أول يوم فى السنة ؛ وهو عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل ، وعند القبط أول توت ، معرب « نوروز » ، أى اليوم الجديد . والمهرجان : عيد للفرس عند نزول الشمس أول الميزان .

(٧) الفيوج : جمع فيج ؛ وهو رسول السلطان الذى يسعى بالكتب .

(٨) س : « العطاء » .

أصابته القُرعة جعله فى المائة ، ومَنْ لم تُصبه القُرعة جعله فى الأربعين ، وقسم فى فقراء أهل البصرة كلّ إنسان ثلاثة دراهم؛ فأعطى الزَّمِنَى خمسين خمسين . قال : وأراه رزق الفَطْم[1] .

حدّثنى عبد الله ، قال : حدّثنا أبى ، قال: حدّثنا الفُضيل ، عن عبدالله قال : بلغنى أنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشأم :

١٣٦٨/٢ سلام عليكم ورحمة الله، أمّا بعد ؛ فإنه مَنْ أكثر ذكر الموت قلّ كلامُه ، ومن علم أن الموت حقّ رضى باليسير ، والسلام[2] .

قال علىّ بن محمد : وقال أبو مجلز لعمر : إنك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل إلينا الأموالَ . قال: يا أبا مجلز : قلبتَ الأمر ، قال : يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك ؟ قال : بل هو لكم إذا قَصّر خراجكم عن أعطياتكم ، قال : فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض . قال : أحمله إليكم إن شاء الله .

ومرض من ليلته فمات من مرضه . وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً .

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة توفى عمارة بن أكيْمة الليثىّ ، ويكنى أبا الوليد، وهو ابن تسع وسبعين .

***

زيادة فى سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبى جعفر إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْمى ، قال: حدّثنا رجل فى مسجد الجُنابذ، أنّ عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخُناصِرة، فقال: أيّها الناس ، إنكم لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا، ولن تُتركُوا سُدًى ؛ وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر مَنْ خرج من رحمة الله التى وسِعت كلّ شىء ، وحُرِم الجنة التى عرضُها السمواتُ والأرضُ . ألا واعلَموا

---

(١) ب : « الفطر » . (٢) ب : « السلام عليكم » .

أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه ، وباع نافداً[١] بباق ، وقليلا بكثير ، ٢/١٣٦٩
وخوفًا بأمان . ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون
كذلك حتّى تردّ[٢] إلى خير الوارثين ! وفى كلّ يوم تشيّعون غادياً ورائحًا إلى
الله قد قضى نحبَه ، وانقضى أجله ، فتغيّبونه فى صَدْع من الأرض ، ثمّ تَدعونه
غير موسَّد ولا ممهَّد ، قد فارق الأحبّة ، وخلع الأسبابَ ، فسكن التراب
وواجه الحساب ، فهو مرتهَن بعمله ، فقير إلى ما قدّم ، غنىّ عمّا ترك .
فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه . وايم الله إنى لأقولُ لكم هذه المقالة ،
وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ؛ فأستغفر الله وأتوب إليه .
وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسدّ من حاجته ما قدرتُ
عليه ، وما منكم أحد يسعه ماعندنا إلا وددتُ أنه سَدَاى[٣] ولحمتى ، حتّى
يكون عيشنا وعيشه سواء . وايم الله أن لو أردت غير هذا من الغَضارة والعيش ؛
لكان اللسان منى به ذلولا عالمًا بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق
وسنّة عادلة ، يدلّ فيها على طاعته ، وينهى عن معصيته .

ثم رفع طرف ردائه فبكى حتّى شهق وأبكى النّاس حوله ، ثم نزل فكانت
إياها لم يخطب بعدها حتّى مات رحمه الله[٤] .

٢/١٣٧٠ روى خلف بن تميم ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن سعد ، قال :
بلَغنى أنّ عمر بن عبد العزيز مات ابنٌ له ، فكتب عامل له يعزّيه عن ابنه ،
فقال لكاتبه : أجبه عنى ، قال : فأخذ الكاتب يبرِى القلم ، قال : فقال
للكاتب : أدِقّ القَلم ، فإنه أبقى للقرطاس ، وأوجز للحروف ، واكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنّ هذا الأمر أمرٌ قد كنا وطّنّا أنفسنا
عليه ، فلمّا نزل لم ننكره[٥] ، والسلام .

روى منصور بن مزاحم ، قال : حدّثنا شعيب — يعنى ابن صفوان —
عن ابن عبد الحميد ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : مَنْ وصل أخاه
بنصيحة له فى دينه ، ونظر له فى صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدّى واجب

---

(١) البيان والتبيين : « فائتا » . (٢) البيان : « تردوا » .
(٣) ط : « ساواى » . البيان : « إن يده مع يدى ، ولحمتى الذين يلوننى » .
(٤) البيان والتبيين ٢ : ١٢١ . (٥) ط : « نذكره » .

حقّه ؛ فاتقوا الله، فإنها نصيحة لكم فى دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية فى العواقب فالزموها . الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا فى الطلب ، فإنّ فى القنوع سعة وبُلْغة وكفافاً ، إن أجل الدنيا فى أعناقكم ، وجهم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكأن لم يكن ، وكلٌّ أمواتٌ عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ، وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون: قد فرغ رحمه الله! وعاينتم تعجيلَ إخراجه، وقسمة تُراثه ووجهه مفقود ، وذكره منسىّ ، وبابه مهجور ، وكأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، فاتّقوا هول يوم لا تُحقَّر فيه مثقال ذرّة فى الموازين .

روى سهل بن محمود ؛ قال : حدّثنا حرملة بن عبد العزيز ، قال : حدّثنى أبى ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز ، قال : أمرنا عمرُ أن نشترى موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال : فقال بعض الشعراء[1] : ٢ /١٣٧١

أقولُ لما نعَى النّاعُونَ لى عمَرا … لا يَبعَدَنَّ قِوامُ العدْل والدِّين

قدْغادَرَ القومُ باللحدالذى لحدوا … بِدَيْر سَمْعَان قسطاسَ الموازِينِ

روى عبد الرحمن بن مهدىّ، عن سفيان ، قال: قال عمر بن عبدالعزيز : من عمِل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومَنْ لم يعدّ كلامه من عمله كثُرت ذنوبه، والرّضا قليل، ومُعوَّل المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمةً ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

وقدم كتابُه على عبد الرحمن بن نعيم :

لا تهدموا كنيسة ولا بِيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ، ولا تُحدِثنّ كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجرّ الشاة إلى مذبحها، ولا تحدّوا الشَّفْرة على رأس الذّبيحة، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عُذْر . ١٣٧٢/٢

روى عفّان بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الحميد ، قال : حدّثنا أبى ،

(١) ابن الأثير : «فقال كثير عزة» . وهما من ثلاثة أبيات فى الكامل ٢ : ٢٧٧ من غير نسبة .

(٢) سورة الزمر: ١٠ .

قال : بلغنا أنّ فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتدّ علزُه[١] ليلةً ، فسهر وسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفًا له يقال له مرثِد ، فقلتُ له : يا مرثِد ، كنْ عند أمير المؤمنين ، فإن كانت له حاجة كنتَ قريبًا منه . ثم انطلقنا فضربنا برءوسنا لطول سهرنا ، فلما انفتح النهار استيقظت فتوجهت إليه ، فوجدت مرثِداً خارجًا من البيت نائمًا ، فأيقظته فقلت : يا مرثِد ، ما أخرجك ؟ قال : هو أخرجني ، قال : يا مرثِد ؛ اخرج عنى ! فوالله إنى لأرى شيئًا ما هو بالإنس ولا جان ، فخرجت فسمعته يتلو هذه الآية : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢] ، قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجّه نفسه ، وأغمض عينيه ، وإنه لميّت . رحمه الله[٣] .

---

(١) فى اللسان : « العلز : شبه رعدة تأخذ المريض أو الحريص على الشىء ، كأنه لا يستقر فى مكانه من الوجع » .

(٢) سورة القصص : ٨٣ .

(٣) فى حاشية ب : « تم الفصل من الزيادة وعاد ترتيب أبى جعفر من ها هنا » .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيها ولى يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة فى قول هشام بن محمد ؛ ولما ولى الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، وولّاها عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهرىّ ، فقدمها — فيما زعم الواقدىّ — يوم الأربعاء لليال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبدُالرحمن سلمةَ بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومىّ . ١٣٧٣/٢

وذكر محمد بن عمر أنّ عبد الجبار بن عُمارة حدّثه عن أبى بكر بن حزْم، أنه قال : لما قدم عبدُ الرحمن بن الضحاك المدينةَ وعزلنى ، دخلت عليه ، فسلّمتُ فلم يُقبل علىّ ، فقلتُ: هذا شىء لا تملكه قريش للأنصار[1] ، فرجعت إلى منزلى وخفتُه — وكان شابًّا مقدامًا — فإذا هو يبلغنى عنه أنه يقول: ما يمنع ابن حزْم أن يأتينى إلا الكبر ، وإنى لعالم بخيانته ؛ فجاءنى ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه ، فقلت للذى جاءنى بهذا : قل له : ما الخيانة لى بعادة ، وما أحبّ أهلها ، والأمير يحدّث نفسه بالخلود فى سلطانه ، كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخيراً وإن شرًّا فشرًّا ! فاتّق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة .

فلم يزل الأمر يترقى بينهما ، حتى خاصم إليه رجل من بنى فهْر وآخر من بنى النجّار — وكان أبو بكر قضى للنجارىّ على الفهرىّ فى أرض كانت بينهما نصفين ، فدفع أبو بكر الأرضَ إلى النجارىّ — فأرسل الفهرىّ إلى النّجارىّ وإلى أبى بكر بن حزم ، فأحضرهما ابنُ الضّحاك ، فتظلم الفهرىّ من أبى بكر بن حزم ، وقال : أخرَج مالِى من يدى ، فدفعه إلى هذا النجارىّ ، فقال أبو بكر : اللهمّ غَفْراً ! أما رأيتنى سألتُ أياماً فى أمرك وأمر صاحبك ، فاجتمع لى على إخراجها من يدك ، وأرسلتك[2] إلى من أفتانى بذلك : سعيد بن المسيّب وأبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسألتَهما ؟ فقال الفهرىّ : بلَى ، ١٣٧٤/٢

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « الأنصار » .
(٢) ب : « فأرسلك » .

وليس يلزمنى قولهما . فانكسر ابن الضحاك فقال: قوموا ، فقاموا ، فقال للفهرىّ: تقرّ له أنك سألت مَنْ أفتاه بهذا ، ثم تقول رُدّها علىّ! أنت أرعنُ ، اذهب فلاحقّ لك؛ فكان أبو بكر يتّقيه ويخافه، حتى كلم ابنُ حيّان[1] يزيدَ أن يُقيده من أبى بكر؛ فإنه ضربه حدّين ، فقال يزيد : لا أفعل ، رجل اصطنعه أهل بيتى ؛ ولكنى أولّيك المدينة . قال : لا أريد ذلك ، لو ضربتُه بسلطانى لم يكن لى قَوَداً . فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً :

أما بعد، فانظر فيما ضرب ابنُ حزم ابنَ حيّان، فإن كان ضربه فى أمر بيّن فلا تلتفت إليه ، وإن كان ضربه فى أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه ، فإن كان ضربه فى أمر غير ذلك فأقِدْه منه .

فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحّاك ، فقال عبد الرحمن : ما جئتَ بشىء ، أترى ابن حزْم ضربك فى أمر لا يختلف فيه ! فقال عثمان لعبد الرحمن : إن أردت أن تحسن أحسنتَ ، قال : الآن أصبتَ المطلب، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزْم فضربه حدّين فى مقام واحد، ولم يسأله عن شىء . فرجع أبو المغراء[2] بن حيّان وهو يقول : أنا أبو المغراء بن الحيّان، والله ما قربت النساء من يوم صنع بى ابن أبى حزم ماصنع حتى يومى هذا ، واليوم أقرب النساء ! ١٣٧٥/٢

* * *

[مقتل شوذب الخارجىّ]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قُتِل شوذَب الخارجىّ .

* ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا قبل الخبرَ عمّا كان من مراسلة شَوْذب عمرَ بن عبد العزيز لمناظرته فى خلافه عليه ، فلما مات عمر أحبّ — فيما ذكر معمر بن المثنّى — عبدُ الحميد بن عبد الرحمن أن يحظَى عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلى

(١) هو عثمان بن حيان المرىّ

(٢) ط : « المعزا » .

محمد بن جرير يأمره بمحاربة[١] شَوْذب وأصحابه، ولم يرجع رسولا شوذب ، ولم يعلم بموت عمر ، فلمّا رأوا محمد بن جرير يستعدّ للحرب : أرسل إليه شوذب : ما أعجلك [٢] قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم ! أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب ! فأرسل إليهم محمد : إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة — قال غير أبي عبيدة : فقالت الخوارج : ما فعل هؤلاء هذا[٣] إلا وقد مات الرجل الصالح .

٢/١٣٧٦ قال معمر بن المثنى : فبرز لهم شوذب ، فاقتتلوا ، فأصيب من الخوارج نفر ، وأكثروا فى أهل القبلة القتل ، وتولوا منهزمين ، والخوارج فى أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة ، ولجئوا إلى عبد الحميد ، وجرح محمد بن جرير فى استه ، ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه ، فجاءاه فأخبراه بما صار عليه عمَر، وأنْ قد مات. فأقرّ يزيدُ عبدَ الحميد على الكوفة ، ووجّه من قِبله تميم بن الحُباب فى ألفين ، فراسلهم وأخبرهم أنّ يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر ، فلعنوه ولعنوا يزيد ، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد ، فوجّه إليهم نَجْدة بن الحكم الأزديّ فى جمْع فقتلوه ، وهزموا أصحابه ، فوجّه إليهم الشحّاج بن وداع فى ألفين ، فراسلهم وراسلوه ، فقتلوه، وقتل منهم نفراً فيهم هُدْبة اليشكريّ؛ ابن عمّ بِسطام — وكان عابدًا — وفيهم أبو شُبَيل مقاتل ابن شيبان — وكان فاضلا عندهم— فقال أبو ثعلبة أيوب بن خَوَلىّ يرثيهم :

٢/١٣٧٧

تَرَكنا تميماً فى الغُبَارِ مُلَحَّبًا ... تُبَكِّى عليْهِ عِرْسُهُ وَقَرَائِبُهْ

وقد أسلَمَتْ قَيْسٌ تميماً ومالكاً ... كما أسلَمَ الشحّاجَ أمسِ أقارِبُه

وأقبلَ مِنْ حَرّانَ يَحْمِلُ رَايَةً ... يغالِبُ أمرَ اللهِ واللهُ غالِبُهْ

فَيَاهُدْبَ للهَيْجَا ، وياهُدْبَ للندَى، ... ويَاهُدْب للخَصْمِ الألَدِّ يُحَارِبُه!

وياهدب كم من مُلحم قد أجبته[٥] ... وقد أسلَمَتْهُ للرِّماح جَوَالِبُهْ

(١) ابن الأمير : « بمناجزة » . (٢) اب : « ما أعجلكم » . (٣) ر : « ما فعلوا » .
(٤) ط : « صادراً » . ب : « صارا » . (٥) ابن الأثير : « كم من ملجم » .

وكان أَبُو شَيْبَانَ خيْرَ مُقَاتِلٍ يُرجَّى وَيَخشى بأْسَهُ من يحاربُه
ففَازَ ولاقى اللهَ بالخير كُلِّهِ وخَذَّمَه بالسَّيْفِ فى اللهِ ضاربُهْ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنيَاهُ دِرْعاً ومِغْفَرًا وعَضْبًا حُسَاماً لم تَخُنْهُ مَضَاربُهْ
وأجرَدَ مَحبُوكَ السرَاةِ كأَنَّهُ إِذَا انقَضَّوا فى الرِّيشِ حُجْنٌ مَخالِبُه

فلما دخل مسلمة الكوفة شكا إليه أهلُها مكانَ شوذب ، وخوّفهم منه ١٣٧٨/٢ وما قد قتل منهم ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحَرشيّ – وكان فارساً – فعقد له على عشرة آلاف ، ووجّهه إليه[1] وهو مقيم بموضعه ، فأتاه ما لا طاقةَ له به . فقال شوذب لأصحابه : مَن كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ، ومَن كان إنما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا ، وإنما البقاء فى الدّار الآخرة ؛ فكسروا أغماد السيوف[2] وحملوا ، فكشفوا سعيدًا وأصحابه مراراً ؛ حتى خاف الفضيحة فذمّر أصحابه ، وقال لهم : أمِنْ هذه الشرذمة لا أبا لكم تفرّون ! يا أهل الشأم يومًا كأيّامكم !

قال : فحملوا عليهم ، فطحنوهم[3] طحناً لم يبقوا منهم أحداً ، وقتلوا بِسْطاماً وهو شوذب وفرسانه ، منهم الرّيان بن عبد الله اليشكريّ ، وكان من المخبتين[4] ؛ فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه :

ولَقَدْ فجِعْتُ بِسَادَةٍ وَفَوَارِسٍ للحَرْبِ سُعْرٍ مِنْ بَنِى شَيْبَانِ
اِغْتَاقَهُمْ رَيْبُ الزَّمَانِ فَغَالَهُمْ وَتُرِكْتُ فَرْدًا غَيْرَ ذى إخْوَانِ
كمِدًا تَجلْجَلُ فِى فؤَادِىَ حَسْرَةٌ كالنَّارِ مِنْ وَجْدٍ على الرَّيَّانِ
وفَوَارِسٍ باعُوا الإلٰهَ نُفوسَهُمْ مِنْ يَشْكُرٍ عِنْدَ الوغَى فرْسانِ

وقال حسان بن جعْدة يرثيهم :

يا عَيْنُ أذرِى دُمُوعاً مِنكِ تَسْجَامَا وَابكِى صحابَةَ بِسْطَامٍ وَبِسْطاما
فَلَنْ تَرَىْ أَبَدًا ما عِشتِ مِثلَهُمُ أَتقَى وأَكمَلَ فى الأَحلامِ أَحلاما

(١) س : « إليهم » .
(٢) ب : « سيوفهم » .
(٣) ط : « فطحهم » ، وما أثبته من ب .
(٤) ط : «المحثين » . وأخبت إلى ربه ، أى اطمأن .

٢/١٣٧٩ بِسِيَّهِم قد تأَسَّوْا عِندَ شِدَّتِهِم ... ولَم يُرِيدُوا عن الأَعْدَاءِ إِحجاما
حَتّى مَضَوا لِلذى كانوا لهُ خَرَجوا ... فأَورثونا مَنَاراتٍ وأَعــلامَا
إِنِّى لأَعلمُ أَنْ قد أُنزلُوا غُــرَفاً ... مِن الْجِنانِ ونالوا ثَمَّ خُدَّاما
أَسقَى الإِلٰه بِلاداً كانَ مَصْرعُهمْ ... فيها سَحَاباً من الوَسْمِىِّ سَجّاما

* * *

[خبر خلع يزيد بن المهلّب يزيدَ بن عبد الملك]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة لحق يزيد بن المهلّب بالبصرة ، فغلب عليها، وأخذ عامل يزيد بن عبدالملك عليها عدىّ بن أرطاة الفـزارىّ، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وماكان من أمره وأمر يزيد فى هذه السنة :

قد مضى ذكرى خبرَ هرب يزيد بن المهلّب من محبسه الذى كان عمر بن عبد العزيزحبسه فيه، ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هرَبه فى هذه السنة — أعنى سنة إحدى ومائة .

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه عمر ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عبد الحميد بن عبدالرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله ، وكتب إلى عدىّ بن أرطاة يعلمه هربه ، ويأمره أن يتهيأ لاستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبى مِخنف ، أنّ عدىّ بن أرطاة أخذهم وحبسهم، وفيهم المفضّل وحبيب ومروان بنو المهلب، وأقبل يزيد بن المهلب حتى مرّ بسعيد بن عبد الملك بن مروان ، فقال يزيدُ لأصحابه : ألا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا ! فقال أصحابه: لا بل امضِ بنا ودعْه . وأقبل ٢/١٣٨٠ يسير حتى ارتفع فوق القُطقُطانة ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام ابن مساحق بن عبد الله بن مخرمة بن عبد العزيز بن أبى قيس بن عبدوُدّ بن

نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى القرشىّ، فى ناس من أهل الكوفة من الشرَط ووجوه الناس وأهل القوّة، فقال له: انطلق حتّى تستقبله فإنه اليوم يمرّ بجانب العُذَيب. فمشى هشام قليلا، ثم رجع إلى عبد الحميد، فقال: أجيئك به أسيرًا أم آتيك برأسه؟ فقال: أىّ ذلك ما شئت، فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه، وجاء هشام حتّى نزل العُذَيب، ومرّ يزيد منهم غير بعيد، فاتقوا الإقدام عليه، ومضى يزيد نحو البصرة، ففيه يقول الشاعر:

وسارَ ابنُ المُهلَّبِ لم يُعَرِّجْ وعَرَّس ذو القَطيفَةِ من كِنَانَهْ
ويَاسَرَ والتَّيَاسُرُ كان حَزماً ولم يقرَبْ قُصُورَ القُطقُطانَهْ

ذو القَطيفة هو محمد بن عمرو[1]، وهو أبو قَطيفة بن الوليد بن عُقْبة بن أبى معيط، وهو أبو قطيفة؛ وإنما سمى ذا القطيفة، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصّدر. ومحمد يقال له ذو الشامة.

٢/١٣٨١ فلما جاء يزيد بن المهلّب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد، ومضى يزيد إلى البَصْرة، وقد جمع عدىّ بن أرطاة إليه أهل البصرة وخندق عليها، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقيل الثقفىّ. وكان عدىّ بن أرطاة رجلا من بنى فَزارة. وقال عبد الملك بن المهلب لعدىّ بن أرطاة: خُذ ابنى حميداً فاحبسه مكانى، وأنا أضمن لك أن أردّ يزيد عن البصرة حتى يأتى فارس، ويطلب لنفسه الأمان[2] ولا يقربك[3] فأبى عليه، وجاء يزيد ومعه أصحابه[4] الذين أقبل فيهم[5]، والبَصْرة محفوفة بالرجال، وقد جمع محمد بن المهلب — ولم يكن ممن حبس — رجالا وفتية من أهل بيته وناسًا من مواليه، فخرج حتّى استقبله، فأقبل فى كتيبة تهول من رآها، وقد دعا عدىّ أهلَ البصرة، فبعث على كلّ خمس من أخماسها رجلاً، فبعث على خُمْس الأزد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكىّ، وبعث على خُمس بنى تميم محرز بن حُمران السعدىّ من بنى مِنقَر، وعلى خُمس بكر بن وائل عمران بن عامر

(١) وهو، أى عمرو، وفى ط: «وأبو قطيفة»، وهو خطأ.
(٢) ب: «الأمان لنفسه». (٣) ب: «ولا يغررك».
(٤) س: «وجاء يزيد وأصحابه». (٥) س: «بهم».

ابن مسمع من بنى قيس بن ثعلبة . فقال أبو منقر — رجل من قيس بن ثعلبة — : إن الراية لا تصلح إلا فى بنى مالك بن مِسمع ، فدعا عدىّ نوحَ بن شيبان ابن مالك بن مِسْمع ، فعقد له على بكْر بن وائل ، ودعا مالكَ بن المنذر بن الجارود ، فعقد له على عبد القيس ، ودعا عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر القُرشىّ ، فعقد له على أهل العالية — والعالية قريش وكنانة والأزْد وبَجيلة وخثعم وقيس عَيْلان كلها ومُزَينة — وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربْعُ أهل المدينة وبالبصرة[1] خمس أهل العالية ، وكانوا بالكوفة أخماسًا ، فجعلهم زياد بن عبيد أرباعًا .

٢/١٣٨٢

قال هشام عن أبى مخنف : وأقبل يزيد بن المهلب لا يمرّ بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحَّوْا له عن السبيل[2] حتّى يمضى ، واستقبله المغيرة ابن عبد الله الثقفىّ فى الخيل ، فحمل عليه محمد بن المهلّب فى الخيل ، فأفرج له عن الطريق هو وأصحابه ، وأقبل يزيد حتّى نزل داره ، واختلف[3] الناس إليه ، وأخذ يبعث إلى عدىّ بن أرطاة أن ادفع[4] إلىّ إخوتى وأنا أصالحك على البصرة ، وأخلّيك وإيّاها حتّى آخذ لنفسى ما أحبّ من يزيد بن عبدالملك ، فلم يقبل منه ، وخرج[5] إلى يزيد بن عبد الملك حُمَيد بن عبد الملك بن المهلّب ، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالدَ بن عبد الله القسرىّ وعمر بن يزيد[6] الحكَمىّ بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته ، وأخذ يزيد بن المهلب يعطى مَن أتاه من الناس ، فكان يقطع لهم قِطَع الذهب وقطع الفضة ، فمال الناس إليه ، ولحق به عمران بن عامر بن مسمَع ساخطًا على عدىّ بن أرطاة حين نزع منه رايته ، راية بكر بن وائل ، وأعطاها ابن عمه ، ومالت إلى يزيد ربيعة وبقيّة تميم وقيس وناس بعد ناس[7] ؛ فيهم عبد الملك ومالك ابنا مِسمع ومعه ناس من أهل الشأم ، وكان عدىّ لا يعطى إلا درهمين درهمين ، ويقول :

٢/١٣٨٣

---

(١) س : « والبصرة » .
(٢) ابن الأثير : « عن طريقه » .
(٣) ابن الأثير : « فاختلف » .
(٤) ب وابن الأثير : « أن أبعث » .
(٥) ب : « فسار » .
(٦) ب : « زيد » .
(٨) ب : « من الناس » .

لا يحلّ لى أن أعطيكم من بيت المال درهمًا إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ، ولكن تبلّغوا بهذا[١] حتى يأتى الأمرُ فى ذلك[٢] . فقال الفرزدق فى ذلك :

أظُنُّ رِجالَ الدِّرهَمَينِ يسُوقُهمْ إلى الموتِ آجالٌ لَهُمْ ومَصَارِعُ[٣]
فأحزَمهُم من كان فى قَعر بَيتِهِ[٤] وأيقَنَ أنَّ الأمر لا شَكَّ واقِعُ[٥]

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدىّ ، فنزلوا المِرْبد ، فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولًى له يقال له دارس ؛ فحمل عليهم فهزمهم ، فقال الفرزدق فى ذلك :

تَفَرَّقَتِ الحَمْرَاءُ إذ صَاحَ دَارِسٌ ولم يصبروا تَحْتَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ[٦]
جزَى اللهُ قَيساً عَن عَدِىٍّ مَلَامَةً ألا صَبَرُوا حَتَّى تكونَ مَلَاحِمُ

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس . حتى نزل جبّانة بنى يشكُر – وهو المنصف[٧] فيما بينه وبين القصر – وجاءته بنو تميم وقيس[٨] وأهل الشأم ، فاقتتلوا هُنَيْهَةً ، فحمل عليهم محمد بن المهلب . فضرب مِسْوَر بن عبّاد الحبَطىّ بالسيف فقطع أنف البيضة ، ثمّ أسرع السيف إلى أنفه[٩] ، وحمل على هُرَيم بن أبى طلحة من بنى نهشل بن دارم . فأخذ بمنطِقته ، فحذفه عن فرسه[١٠] ؛ فوقع فيما بينه وبين الفرس ، وقال : هيهات هيهات! عمك أثقل من ذلك . وانهزموا ، وأقبل يزيد بن المهلب إثرَ القوم يتلوهم حتى دنا من القصر ،

٢/١٣٨٤

(١) ابن الأثير : « بهذه » . (٢) ب : « بذلك » .
(٣) ديوانه ٥١٦ ، وروايته : « إلى قدر آجالهم » .
(٤) الديوان : « من قرّ فى قعر بيته » .
(٥) الديوان : « وأيقن أن العزم لا بد واقع » .
(٦) ديوانه ٧٧٨ ، والرواية فيه :

تصدّعتِ الجعراءُ إذْ صاحَ دارِسٌ ولم يصبروا عند السيوف الصّوارم
جَزَى الله قيساً عَنْ عدىٍّ ملامةً وَخَصَّ بِها الأدنين أهل الملاوم
هُمُ قتلُوا مولاهمُ وأميرَهمْ ولمْ يصبروا للموت عند الملاحِم

(٧) ابن الأثير : « النصف » . (٨) ابن الأثير : « فلقيه قيس وتميم » .
(٩) ب : « فى أنفه » . (١٠) حذفه عن فرسه ، أى رماه عنه .

فقاتلوهم وخرج إليه عدىّ بنفسه فقتـل من أصحابه الحارث بن مصرّف الأودىّ — وكان من أشراف أهل الشأم وفرسان الحجاج — وقتل موسى بن الوجيه الحميرىّ ثم الكلاعىّ ، وقتل راشد المؤذن ، وانهزم أصحاب عدىّ ، وسمع إخوة يزيد وهم فى محبس عدىّ الأصوات تدنو ، والنشاب تقع فى القصر ، فقال لهم عبد الملك : إنى أرى النّشاب تقع فى القصر ، وأرى الأصوات تدنو ، ولا أرى يزيد إلا قد ظهر ، وإنى لا آمن مَن مع عدىّ من مُضر ومن أهل الشأم أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار ، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثيابًا . ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عمر[1] ، وكان على حرس عدىّ — فجاء يشتدّ إلى الباب هو وأصحابه ، وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب ، ثم اتكوا عليه ، فأخذ الآخرون يعالجون الباب ، فلم يستطيعوا الدّخول ، وأعجلهم الناس فخلّوا عنهم . ٢/١٣٨٥

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلْم بن زياد بن أبى سفيان إلى[2] جانب القصر[3] ، وأتِىَ بالسلالم ، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر ، وأتِىَ بعدىّ ابن أرْطاة ، فجىء به وهو يتبسّم ، فقال له يزيد : لم تضحك ؟ فوالله إنه لَينبغى أن يمنعك من الضحك خَصلتان : إحداهما الفرار من القِتْلة الكريمة حتى أعطيتَ بيدك إعطاء المرأة بيدها ، فهذه واحدة ، والأخرى أنى أتيت بك تُتَلُّ كما يتلّ[4] العبد الآبق إلى أربابه ، وليس معك منى عهد ولا عَقْد ، فما يؤمِّنك أن أضرب عنقك ! فقال عدىّ : أما أنت فقد قَدرت علىّ ، ولكنى أعلم أنّ بقائى بقاؤك ، وأنّ هلاكى مطلوب به من جرّته يدُه ؛ إنك قد رأيت جنودَ الله بالمغرب ، وعلمت بلاء الله عندهم فى كلّ موطن من مواطن الغدْر والنكث ، فتدارك فَلْتَتَك وزَلّتك بالتوبة واستقالة العثْرة ، قبل أن يرمى إليك البحر بأمواجه ، فإن طلبتَ الاستقالة حينئذ لم تُقَلْ ، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعِدين ، وما لم يشخص القوم إليك فلم

---

(١) ط : « عامر » ، وانظر الفهرس .

(٢) ط : « سالم » ، وانظر الفهرس .

(٣) ب وابن الأثير : « إلى جنب » .

(٤) يتل ، أى يقاد .

يمنعوك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك .

فقال له يزيد : أما قولك : إنّ بقاءك بقائى ؛ فلا أبقانى الله حَسوة طائر مذعور إن كنتُ لا يبقينى إلا بقاؤك ؛ وأما قولك : إنّ هلاكك مطلوب به من جرّته يدُه ؛ فوالله لو كان فى يدى من أهل الشأم عشرة آلاف إنسان ليس فيهم[1] رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم ، ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد ، لكان فراقى إيّاهم وخلافى عليهم أهولَ عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ، ثم لوشئتُ أن تُهدَر لى دماؤهم ، وأن أحكَّم فى بيوت أموالهم ، وأن يجوِّزوا لى عظيماً من سلطانهم ، على أن أضع الحرب فيما بينى وبينهم لفعلوا ؛ فلا يخفينّ عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخبارنا إليهم ، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم ، لا يذكرونك ولا يحلفون بك . وأما قولك : تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل ؛ فوالله ما استشرتُك ، ولا أنت عندى بوادّ ولا نصيح ؛ فما كان ذلكَ منك إلا عجزاً وفضلا ؛ انطلقوا به ، فلما ذهبوا به ساعة قال : ردّوه ، فلما رُدّ قال : أما إنّ حبسى إياك ليس إلا لحبسك بنى المهلب وتضييقك عليهم فيما كنّا نسألك التسهيل فيه عليهم ، فلم تكن تألوما عسّرتَ وضيّقتَ وخالفت ؛ فكأنه لهذا القول حين سمعه أمِنَ على نفسه ، وأخذ عدىّ يحدث به كلّ من دخل عليه .

٢/١٣٨٦

وكان رجل يقال له السميدع الكندىّ من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عُمان يرى رأىَ الخوارج ، وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدىّ مصطفّون فاعتزل ومعه ناس من القرّاء ، فقال طائفةٌ من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدىّ : قد رضينا بحكم السَّمَيدع . ثم إنّ يزيد بعث إلى السميدَع فدعاه إلى نفسه ، فأجابه ، فاستعملوا يزيد على الأبُلّة ، فأقبل على الطّيب والتخلّق والنعيم ، فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رءوس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر ، فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشأم ، فقال الفرزدق :

٢/١٣٨٧

---

(١) س : « معهم » .

فداءٌ لِقَوم مِنْ تميمٍ تَتَـابَعُوا ... إلى الشأم لم يرضَوْا بحكمِ السَّمَيْدَعِ[1]
أَحُكمُ حَروريٍّ مِنَ الدينِ مارقٍ ... أضلُّ وأغوَى مِنْ حِمَار مُجَدَّعِ

فأجابه خليفةُ الأقطع:

وَمَا وجَّهُوهَا نحوَه عن وِفـادةٍ ... وَلَا نُهْزةٍ يُرْجَى بها خيرُ مَطْمَعِ
ولكنَّهم رَاحُوا إليهـا وأدْلَجُوا ... بـأقرَعِ أستَاهٍ تَرَى يوم مَقْرَعِ
وهُمْ من حِذَارِ القومِ أن يَلحقوا بهمْ ... لهم نَزْلَةٌ فى كلِّ خمسٍ وأربع

وخرج الحوارىّ[2] بن زياد بن عمرو العتكىّ يُريد يزيد بن عبد الملك هاربًا من يزيد بن المهلّب، فلقِىَ خالد بن عبد الله القَسْرىّ وعمرو بن يزيد الحكَمىّ ومعهما حُمَيد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب، وكلّ شىء أراده، فاستقبلهما، فسألاه عن الخبر. فخلا بهما حين رأى معهما حُمَيد بن عبد الملك، فقال: أين تريدان؟ فقالا: يزيد بن المهلب، قد جئناه بكلّ شىء أراده، فقال: ما تصنعان بيزيد شيئًا، ولا يصنعه بكما؛ قد ظهر على عدوّه عدىّ بن أرطاة، وقتل القتلى وحبس عديًّا، فارجعا أيّها الرجلان. ويمرّ رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك، فلم يقف عليهما، فصايحاه وساءلاه، فلم يقف عليهما، فقال القسرىّ: ألا تردّه فتجلده مائة جلدة! فقال له صاحبُه: غرّبه عنك، وأمّلا لينصرف.

٢/١٣٨٨

ومضى الحوارىّ بن زياد إلى يزيد بن عبد الملك، وأقبلا بحُميد بن عبد الملك معهما، فقال لهما حميد: أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد ما بُعثتما به! فإنّ يزيد قابلٌ منكما؛ وإنّ هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء، فأنشدكما الله أن تقبلا مقالته؛ فلم يقبلا قوله، وأقبلا به حتّى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليم[3] الكلبىّ، وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خُراسان عاملا عليها. فلما بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه: إنّ جهاد من خالفك أحبُّ إلىّ

(١) ديوانه ٥٠٨، وفيه: «فدى لرءوس من تميم».
(٢) ابن الأثير: «المغيرة». (٣) ط: «سليمان»، وانظر الفهرس.

من عملى على خُراسان، فلا حاجة لى فيها ، فاجعلنى ممن توجّهنى إلى يزيد بن المهلب ، وبعث بحُميد بن عبد الملك إلى يزيد ، ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب ، وهو بالكوفة وعلى حمّال بن زَحْر الجُعفىّ ، وليسا ممن كان ينطق بشىء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بنى المهلب، فأوثقهما وسرّحهما[1] إلى يزيد بن عبد الملك ، فحبسهما جميعًا ، فلم يفارقوا السجْن حتى هلكوا فيه . وبعث يزيد بن عبد الملك رجالاً من أهل الشأم إلى الكوفة يسكّنونهم ، ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويُمَنّونهم الزيادات منهم القُطامىّ بن الحصين ، وهو أبو الشرْقىّ ، واسم الشرْقى الوليد ، وقد قال القطامىّ حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب : ٢/١٣٨٩

لَعلَّ عينى أنْ تَرى يَزِيدا يَقودُ جَيشاً جَحْفَلا شديدَا

تَسْمَعُ للأَرضِ به وَئيدَا لا بَرَماً هِدًّا وَلَا ، حسودا

وَلَا جَبَاناً فى الوغى رِعْدِيدا تَرَى ذَوِى التَّاج له سُجُودا

مُكَفِّرِينَ خاشِعينَ قُودَا وآخرينَ رَحَّبُوا وُفُودا

لا يَنقضُ العهدَ ولا المعهودَا مِنْ نَفَرٍ كانوا هِجَاناً صِيدَا

ترى لهم فى كلِّ يومٍ عِيدا من الأَعادى جَزَرًا مقصودا

ثم إن القُطامىّ سار بعد ذلك إلى العقْر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك، فقال يزيد بن المهلّب : ما أبعد شعر القُطامىّ من فعله !

ثم إنّ يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد فى أربعة آلاف فارس، جريدة خيل، حتى وافَوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبدالملك وجنود أهل الشأم ، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات، فاستوثق أهلُ البصرة ليزيد بن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرْمان، عليها الجرّاح بن عبد الله الحكَمىّ حتى انصرف إلى عمر بن ٢/١٣٩٠

(١) ابن الأثير : « وسيرهما » .

عبد العزيز ، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدىّ فكان على الصّلاة . واستخلف يزيد بن عبد الملك عبدَ الرحمن القشيرىّ على الخَرَاج ، وجاء مُدْرِك بن المهلب حتّى انتهى إلى رأس المفازة ، فدسّ عبدُ الرحمن بن نعيم إلى بنى تميم أنّ هذا مدرك بن المهلب يريد أن يُلْقِى بينكم الحرب ، وأنتم فى بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة ، فخرجوا ليلا يستقبلونه ، وبلغ ذلك الأزْد ، فخرج منهم نحو من ألفى فارس حتّى لحقوهم قبل أن ينتهوا إلى رأس المفازة ، فقالوا لهم : ماجاء بكم؟ وماأخرجكم إلى هذا المكان ؟ فاعتلّوا عليهم بأشياء، ولم يُقِرّوا لهم أنهم خرجوا ليتلقوا مدرك بن المهلب ، فقال لهم الآخرون ، بل قد علمنا أن تخرجوا لتلقى صاحبنا ، وها هو ذا قريب ؛ فما شئتم .

ثم انطلقت الأزْد حتّى تلقَّوْا مدرك بن المهلب على رأس المفازة ، فقالوا له : إنك أحبّ الناس إلينا ، وأعزّهم علينا ، وقد خرج أخوك ونابذَه ، فإن يظهره الله فإنما ذلك لنا ، ونحن أسرع الناس إليكم أهلَ البيت وأحقه بذلك ؛ وإن تكن الأخرى فوالله ما لك فى أن يغشانا ما يعرّنا فيه من البلاء راحة . فعزم له رأيه على الانصراف ، فقال ثابت قُطنة ، وهو ثابت بن كعب ، من الأزد من العَتِيك : ١٣٩١/٢

أَلَمْ تَرَ دَوْسَرًا مَنَعَتْ أخاها ... وقد حَشَدَتْ لِتقتلَهُ تميمُ

رَأَوْا من دونه الزُّرْقَ العَوالِى ... وحَيًّا ما يُباحُ لهمْ حريمُ

شَنُوءتها وعمرانُ بنُ حزمٍ ... هناك المجدُ والحسبُ الصَّميمُ

فما حمَلوا ولكن نَهْنَهتْهُمْ ... رِماحُ الأَزدِ والعزُّ القديمُ

رَدَدنَا مُدْركاً بمَرَدِّ صِدْقٍ ... وليسَ بوجهه منكمْ كُلومُ

وخَيلٍ كالقِداحِ مُسَوَّماتٍ ... لَدى أَرضٍ مغانيها الجميمُ

عليها كلُّ أَصْيَدَ دَوْسَرِىٍّ ... عزيزٍ لا يَفرُّ وَلَا يَرِيمُ

بهمْ تُسْتَعْتَبُ السفهاءُ حتّى ... ترى السفهاءَ تَرْدَعُهَا الحُلومُ

قال هشام: قال أبو مخنف : فحدّثني معاذ بن سعد أنّ يزيد لمّا استجمع له البَصرة ، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، ويحثّ على الجهاد، ويزعم أنّ جهاد أهل الشأم أعظم ثوابًا من جهاد التّرك والديلم.

قال : فدخلت أنا والحسن البصرى وهو واضع يده على عاتقى ، وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه ؟ قلت : لا والله ، ما أرى وجه رجل أعرفه، قال : فهؤلاء والله الغُثاء[1] ، قال: فمضينا حتى دنونا من المنبر . قال : فسمعته يذكُر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع صوته[2] ، فقال: والله لقد رأيناك واليًا ومولًّى[3] عليك، فما ينبغى لك ذلك . قال: فوثبنا عليه ، فأخذنا بيده وفمه وأجلسناه ؛ فوالله ما نشكّ أنه سمعه ؛ ولكنه لم يلتفت إليه ومضى فى خطبته . ١٣٩٢/٢

قال: ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد ، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس ابن مالك يقول : يا عباد الله ، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ! فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز ، فقال الحسن : سبحان الله ! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضًا .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدّثني المثنى بن عبد الله أنّ الحسن البصرىّ مرّ على الناس وقد اصطفوا صفّيْن ، وقد نصبوا الرّايات والرماح ، وهم ينتظرون خروج يزيد ، وهم يقولون: يدعونا يزيد إلى سنّة العُمَرَين ، فقال الحسن : إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يسرّح بها إلى بنى مروان، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم . فلما غضب غضبة نصب قَصَبًا ، ثم وضع عليها خِرَقًا ، ثم قال: إنى قد خالفتهم فخالفوهم. قال هؤلاء: نعم. وقال: إنى أدعوكم إلى سنّة العُمَرَين، وإن من سنّة العُمَرَين أن يوضع قيد فى رجله ، ثم يردّ إلى محبس عمر الذى فيه حبسه ، فقال له ناس من أصحابه

(١) ط : « الأعتاء » ، والصواب ما فى الأصول .
(٢) ابن الأثير : « وكان حسن البصرى يسمع ، فرفع رأسه » .
(٣) ط : « موليا » تحريف .

ممن سمع قوله: والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشأم، فقال : أنا راض عن أهل الشأم قبحهم الله وبرّحهم! أليس هم الذين أحلُّوا حرَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقتلون أهله ثلاثة أيام[1] وثلاث ليال! قد أباحوهم[2] لأنباطهم وأقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدّين، لا يتناهوْن عن انتهاك حرمة. ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام، فهَدموا الكعبة، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها، عليهم لعنة الله وسوء الدار!

١٢٩٣/٢

قال : ثمّ إنّ يزيد خرج من البصرة، واستعمل عليها مرْوان بن المهلّب، وخرج معه بالسلاح وبيت المال، فأقبل حتى نزل واسطًا، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط، فقال : هاتوا الرّأى، فإنّ أهل الشأم قد نهضوا إليكم، فقال له حبيب، وقد أشار عليه غير حبيب أيضًا فقالوا : نرى أن تخرج وتنزل بفارس، فتأخذ بالشِّعاب وبالعِقاب، وتدنو من خراسان، وتطاول القوم، فإنّ أهل الجبال ينفضّون إليك وفى يديك القِلاع والحصون. فقال : ليس هذا برأيِى، ليس يوافقنى هذا؛ إنما تريدون أن تجعلونى طائراً على رأس جبل. فقال له حبيب : فإنّ الرّأى الذى كان ينبغى أن يكون فى أوّل الأمر قد فات، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجّه خيلا عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة، فإنما هو[3] عبد الحميد بن عبد الرحمن، مررتَ به فى سبعين رجلا فعجز عنك؛ فهو عن خيلك أعجز فى العدّة، فنسبق إليها أهل الشأم وعظماء أهلها يرون رأيك، وأن تلى عليهم أحبّ إلى جُلّهم من أن يلى عليهم أهل الشأم، فلم تُطعنى، وأنا أشير الآن برأى؛ سرّح مع أهل بيتك خيلا من خيلك عظيمة فتأتى الجزيرة، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصنًا من حصونها[4]، وتسير فى أثرهم، فإذا أقبل أهل الشأم يريدونك لم يَدعوا جندًا من جنودك بالجزيرة؛ ويقبلون إليك فيقيمون عليهم، فكأنهم حابستُهم عليك[5] حتى تأتيَهم فيأتيك مَنْ بالموصل من قومك، وينفضّ إليك أهلُ العراق وأهل الثغور، وتقاتلهم فى أرض رفيغة[6] السعر، وقد جعلتَ العراق كله وراء ظهرك.

١٢٩٤/٢

---

(١) ابن الأثير : « ثلاثاً ».
(٢) ابن الأثير : « أباحوها ».
(٣) ابن الأثير : « بها ».
(٤) ابن الأثير : « حصونهم ».
(٥) ابن الأثير : فيحبسونهم عنك ».
(٦) ابن الأثير : « رخيصة ». وفى ط : « رفيعة » تحريف.

فقال : إنّى أكره أن أقطع جيشى وجندى . فلما نزل واسِطًا أقام بها أيامًا يسيرة .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن الضّحاك ابن قيس الفهرىّ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسِيد . وكان على الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن ، وعلى قضائها الشّعبىّ ، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد ابن المهلّب، وكان على خُراسان عبد الرحمن بن نُعَيم .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

[ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث]

١٣٩٥/٢

فمن ذلك ما كان فيها من مَسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إيّاهما لحربه .

* * *

وفيها قتل يزيد بن المهلّب ، في صَفَر .

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام، عن أبي مخنف: أن مُعاذ بن سعيد حدّثه أنّ يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخوص عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنَه معاويةَ، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأُسراء، وقدَّم بين يديه أخاه عبد الملك، ثم سار حتى مرّ بفَم النيل[1]، ثم سار حتى نزل العَقْر. وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ، ثم عقد عليها الجسر. فعبَر من قبَل قرية يقال لها فارط ، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب ، وقد قدّم يزيد أخاه نحو الكوفة، فاستقبله العباس بن الوليد بسُورا، فاصطفّوا، ثم اقتتل القوم ، فشدّ عليهم أهل البصرة شدّة كشفوهم فيها ، وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممّن انهزم من يزيد بالبصرة ، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس ، فيهم هُرَيم بن أبي طَحْمة المجاشعيّ. فلما انكشف أهل الشأم تلك الانكشافة ، ناداهم هُرَيم بن أبي طَحْمة : يا أهلَ الشأم، اللهَ اللهَ أن تُسلِمونا ! وقد اضطرهم أصحاب عبد الملك إلى نَهْر[2] فأخذوا ينادونه : لا بأسَ عليك ؛ إن لأهل الشأم جَوْلَةً في أول القتال ، أتاك الغوث .

١٣٩٦/٢

---

(١) ابن الأثير : « وسار على فم النيل » .

(٢) ابن الأثير : « النهر » .

قال : ثم إنّ أهل الشأم كرّوا عليهم ، فكُشف أصحاب عبد الملك وهزُموا ، وقتل المنتُوف من بكْر بن وائل، مولى لهم، فقال الفرزدق يحرّض بكر بن وائل :

تُبَكِّى على المنتوفِ بكرُ بنُ وائلٍ وتَنهَى عَنِ ابنى مِسْمَعٍ مَنْ بَكاهُمَا[١]
غلامَينِ شَبَّا فى الحروبِ وأدركا كِرَامَ المساعى قبلَ وصلِ لحاهُمَا[٢]
ولو كانَ حَيًّا مالكٌ وابنُ مالكٍ إذًا أَوقَدُوا نارينِ يَعلو سَنَاهُمَا

وابنا مسمع : مالك وعبد الملك ابنا مسمع ، قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجَعْد بن درهم مولى . . . . من هَمْدان[٣] :

نُبكى على المنتوف فى نصر قومِهِ ولَسنَا نُبكِّى الشائِدَيْنِ أباهُمَا
أَرَادَ فِنَاءَ الحَىِّ بكرِ بن وائلٍ فعِزّ تميمٍ لو أُصِيبَ فِنَاهُمَا
فلا لقِيَا رَوحاً مِنَ اللهِ سَاعَةً ولا رَقَأَتْ عَينَا شَجِىٍّ بكاهما
أَفِى الغِشِّ نَبكى إنْ بَكَينَا عليهما وقد لقيا بالغِشِّ فينا رَدَاهما ١٣٩٧/٢

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعَقْر ، وأمر عبد الله ابن حيّان العبدىّ ، فعبر إلى جانب الصَّراة الأقصى — وكان الجسر بينه وبينه — ونزل هو وعسكره وجمعٌ من جموع يزيد ، وخندق عليه ، وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحَرَشىّ ، ويقال : عبر إليهم الوضاح ، فكانوا بإزائهم . وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة[٤] كثير ، ومن الجبال ، وأقبل إليه ناس من الثغور ، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه ورُبْع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدىّ ، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعىّ ، وبعث على رُبْع كندة وربيعة محمد

---

(١) الكامل للمبرد ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٢) الكامل : « غلامان » ، وبعده فى الكامل :
ولو قُتِلاَ من جذمِ بكر بن وائِل لكانَ على الناعِى شديدا بُكاهما
(٣) كذا فى ط ، وفى ابن القيسرانى ٣١ : « والجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة » .
(٤) ابن الأثير : « من أهل الكوفة » .

ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبعث على ربع تميم وهَمْدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميميّ ، وجمعهم جميعًا مع المفضّل بن المهلّب .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : حدّثني العَلاء بن زُهير ، قال : والله إنا لجُلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال : ترَوْن أنّ في هذا العسكر ألف سيف يُضرب به ؟ قال حنظلةَ بن عتّاب : إي والله وأربعة آلاف سيف ، قال : إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قطّ ، والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفًا ، والله لوددتُ أنّ مكانهم الساعة معي مَن بخراسان من قومي . ١٣٩٨/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إنه قام ذات يوم فحرّضَنا ورغّبَنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله : إنّ هؤلاء القوم لن يَرُدَّهم عن غيّهم إلا الطعْن في عيونهم ، والضّرْب بالمشرَفيّة على هامهم . ثم قال : إنه قد ذُكر لي أن هذه الجراده الصفراء — يعني مسلمة بن عبد الملك — وعاقر ناقة ثمود ؛ يعني العباس ابن الوليد ، وكان العباس أزرق أحمر، كانت أمّه رومية — والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقرّه على نسبه ؛ فبلغني أنه ليس همّهما إلا التماسي في الأرض ، والله لو جاء أهل الأرض جميعًا وليس إلا أنا ، ما برحت العَرْصة حتى تكون لي أو لهم . قالوا : نخاف أن تعنّينا كما عنّانا عبد الرحمن ابن محمد ، قال : إنّ عبد الرحمن فضح الذّمار ، وفضح حسَبَه ، وهل كان يعدو أجله ! ثم نزل .

قال : ودخل علينا عامر بن العَمَيْثَل — رجل من الأزْد — قد جمع جموعًا فأتاه فبايعه ؛ فكانت بَيْعة يزيد : تبايعون على كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألّا تطأ الجنودُ بلادَنا ولا بيضتَنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجّاج ، فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومَنْ أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، ثم يقول : تبايعونا ؟ فإذا قالوا : نعم ، بايعهم .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنُّخَيلة ، وبعث إلى المياه فبثقها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب ، لئلاّ يصل إلى الكوفة ، ووضع على الكوفة مَناظرَ وأرصاداً لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد ، وبعث ١٣٩٩/٢

عبد الحميد بعثًا من الكوفة عليهم سيف بن هانئ الهمْدانىّ حتى قدموا على مسلمة ، فألطفهم مسلمة ، وأثنى عليهم بطاعتهم ، ثم قال : والله لقلّ ما جاءنا من أهل الكوفة . فبلغ ذلك عبد الحميد ، فبعث بعثًا هم أكثر من ذلك ، وبعث عليهم سَبْرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدىّ ، فلما قدم أثنى عليه ، وقال : هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء، ضمّوا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة . وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة — وهو ذو الشامة — مكانه . فدعا يزيد بن المهلب رءوس أصحابه فقال لهم : قد رأيتُ أن أجمع اثنى عشر ألف رجل ، فأبعثهم مع محمد ابن المهلب حتى يبيّتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكُف والزبُل لدفن خندقهم، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقيّة ليلتهم ، وأمِدّه بالرّجال حتى أصبح ، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم أنا بالناس ، فنناجزهم، فإنى أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم .

قال السَّمَيدع : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ، ولا نريدهم بسوء حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا .

قال أبو رؤبة — وكان رأسَ طائفة من المرجئة ، ومعه أصحاب له : صَدَق ، هكذا ينبغى . قال يزيد : ويحكم ! أتصدّقون بنى أمية ؛ أنّهم يعملون بالكتاب والسنة ، وقد ضيّعوا ذلك منذ كانوا ! إنهم يقولون لكم : إنا نقبل منكم ، وهم يريدون ألّا يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمرونهم به ، وتدعونهم إليه ؛ لكنهم أرادوا أن يكفّوكم عنهم ؛ حتى يعملوا فى المكر ، فلا يسبقوكم إلى تلك ، ابدءوهم بها، إنى قد لقيت بنى مرْوان فوالله ما لقيت رجلا هو أمكر ولا أبعد غورًا من هذه الجرادة الصّفراء — يعنى مسلمة — قالوا : لانرى أن نفعل ذلك ، حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منّا . وكان مرْوان بن المهلب وهو بالبصرة يحثّ الناسِ على حرْب أهل الشأم ، ويسرّح الناس إلى يزيد ، وكان الحسن البصرىّ يثبّط الناس عن يزيد ابن المهلب .

٢/١٤٠٠

قال أبو مخنف : فحدّثني عبد الحميد البصريّ ، أنّ الحسن البصريّ كان يقول في تلك الأيام :

أيّها الناس، الزموا رحالكم ، وكفّوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضُكم بعضًا على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباق، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض ؛ إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التّيه والخُيَلاء ، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفيّ والمعروف التقيّ ، فمن كان منكم خفيًّا فليلزم الحقّ ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدّنيا ، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفًا ؛ وكفى له بها[1] من الدّنيا خلَفًا؛ ومَن كان منكم معروفًا شريفًا ، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادةَ الله بذلك، فواهًا لهذا ! ما أسعده وأرشدَه وأعظم أجره وأهدى سبيله ! فهذا غداً — يعني يوم القيامة — القرير عينًا ، الكريم عند الله مآباً .

١٤٠١/٢

فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيبًا كما يقوم ، فأمر الناس بالجِدّ والاحتشاد ، ثم قال لهم :

لقد بلغني أنّ هذا الشيخ الضالّ المرائي — ولم يسمّه — يثبّط الناس ، والله لو أنّ جاره نزع من خُصّ داره قَصَبَةً لظلّ يرعُف أنفه ؛ أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقّنا[2] ، وأن ننكر مظلمتنا ! أما والله لَيَكُفَّنّ عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سُقّاط[3] الأبلّة وعلُوج فُرات البصرة — قومًا ليسوا من أنفسنا، ولا ممن جرت عليه النعمة من أحدنا — أو لأنحينّ عليه مِبْرَدًا خشنًا .

فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أرادك ثمّ شئت لمنعناك ، فقال لهم : فقد خالفتُكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه ! آمركم ألّا يقتل بعضكم بعضًا مع غيري ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضًا دوني ! فبلغ ذلك مَرْوان بن المهلّب ، فاشتدّ عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرّقوا . ولم يدَع الحسنُ كلامه ذلك ، وكفّ عنه مروان بن المهلب .

---

(١) ط : « به » . (٢) ط : « خيرنا » .
(٣) سقاط : جمع ساقط ؛ وهو اللئيم في حسبه ونسبه .

وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلتْ من صفر ، بعث مسلمة إلى الوضّاح أن يخرج بالوضّاحيّة والسفن حتى يحرّق الجسر ، ففعل . وخرج مسلمة فعبّى جنود أهل الشأم ، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب ، وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندىّ ، وجعل على ميسرته الهذيل بن زُفر بن الحارث العامرىّ ، وجعل العباس على ميمنته سيف بن هانئ الهمْدانىّ ، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمىّ ومسلمة على الناس ، وخرج يزيد بن المهلب ، وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى ميسرته المفضّل بن المهلب ، وكان مع المفضّل أهل الكوفة وهو عليهم ، ومعه خيل لربيعة معها عدد حسن ، وكان مما يلى العباس بن الوليد .

٢/١٤٠٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى الغنوىّ — قال هشام : وأظنّ الغنوىّ العلاء ابن المنهال — أنّ رجلاً من الشأم خرج فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد ، فبرز له محمد بن المهلب ، فحمل عليه ، فاتقاه الرّجل بيده ، وعلى كفّه كفّ من حديد ، فضربه محمد فقطع كفّ الحديد وأسرع السيف فى كفّه ، واعتنق فرسه ، وأقبل محمد يضربه ، ويقول : المنجَل أعود عليك . قال : فذكر لى أنه حيّان النبَطىّ .

قال : فلما دنا الوضّاح من الجسر ألهب فيه النار ، فسطع دخانه ؛ وقد اقتتل[1] الناس ونشبتَ الحرب ، ولم يشتدّ القتال ، فلما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : أحرق الجسر انهزموا ، فقالوا ليزيد : قد انهزم الناس . قال : ومِمّ انهزموا ؟ هل كان قتال يُنهزم من مثله ! فقيل له : قالوا : أحرق الجسر فلم يثبت أحد ، قال : قبحهم الله ! بَقٌ دُخّن عليه فطار . فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال : اضربوا وجوهَ مَنْ ينهزم ، ففعلوا ذلك بهم ، حتى كثروا عليه ، فاستقبلهم منهم مثل الجبال ، فقال : دعوهم ، فوالله إنى لأرجو ألّا يجمعنى الله وإياهم فى مكان واحد أبداً ؛ دعوهم يرحمهم الله ، غَنَمٌ عدا فى نواحيها الذئب ، وكان

٢/١٤٠٣

(١) ابن الأثير : « وقد أقبل » .

يزيد لا يحدّث نفسَه بالفرار ، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص — وأمه ابنة الزبْرِقان السَّعديّ — أتاه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العَقْر ، فقال[1] :

إنَّ بنى مَرْوانَ قد بَادَ مُلْكُهُمْ فإنْ كنتَ لم تَشعُرْ بذلك فاشعُر

قال يزيد : ما شعرت . قال : فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفيّ :

فَعِشْ مَلِكاً أو مُتْ كريماً وإن تمتْ[2] وَسَيفُكَ مشهورٌ بِكَفِّكَ تُعْذَرِ

قال : أمّا هذا فعسى .

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة ، فقال : يا سَمَيْدَع ، أرأيى أم رأيك ؟ ألم أعلمك ما يريد القوم ! قال : بلى والله ، والرأيَ كان رأيَك ، وأناذا معك لا أزايلك ، فمرْنى بأمرك ؛ قال : إمّا لا فانزل ، فنزل فى أصحابه ، وجاء يزيدَ بن المهلب جاءٍ فقال : إن حبيبًا قد قتل .

٢/١٤٠٤

قال هشام : قال أبو مِخْنف : فحدّثنى ثابت مولى زهير بن سلمة الأزدى ، قال : أشهد أنى أسمعه حين قال له ذلك ، قال : لا خيرَ فى العيش بعد حبيب ! قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ؛ فوالله ما ازددت له إلا بغضًا ، امضوا قُدماً . فعلمنا والله أن قد استقتل ؛ فأخذ مَنْ يكره القتال ينكص ، وأخذوا يتسلّلون ، وبقيت معه جماعة حسنة ، وهو يزدلف ، فكلّما مرّ بخَيْل كشفها ، أو جماعة من أهل الشأم عدلوا عنه وعن سنَن أصحابه ، فجاء أبو رؤبة المرجئ ، فقال : ذهب الناس — وهو يشير بذلك إليه وأنا أسمعه — فقال : هل لك أن تنصرف إلى واسط ؛ فإنها حصن فتنزلها ويأتيك مَدَدُ أهل البصرة ، ويأتيك أهل عُمان والبحرين فى السفن ، وتضرب خندقًا ؟ فقال له : قبّح الله رأيك ! ألِى تقول هذا ! الموت أيسر علىّ من ذلك ، فقال له : فإنى أتخوّف عليك لمَا ترى ، أما ترى ما حولك من جبال الحديد ! وهو يشير إليه ، فقال له : أما أنا فما أباليها ؛ جبال حديد كانت أم جبال نار ، اذهب عنّا إن كنت لا تريد قتالا معنا . قال : وتمثّل قول حارثة بن بدر الغُدانىّ — قال أبو جعفر أخطأ هذا ؛ هو للأعشى — :

---

(١) ابن الأثير : « فقال له » . (٢) ابن الأثير : « فعش » .

أَبِالموتِ خَشَّتنى عُبَادٌ وإنَّما رأيتُ مَنَايَا الناسِ يَشقى ذَلِيلُهَا ١٤٠٥/٢
فما مِيتَةٌ إن مُتُّهَا غيرَ عاجِزٍ بعَارٍ إذا ما غالَتِ النفسَ غُولُهَا

وكان يزيد بن المهلّب على بِرْذون له أشهب ، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ؛ حتّى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسَه ليركب ، فعطف عليه خيول أهل الشأم، وعلى أصحابه ، فقتِل يزيد بن المهلب. وقتِل معه السَّمَيدع ، وقتِل معه محمد بن المهلب . وكان رجل من كلْب من بنى جابر بن زهير بن جناب الكلبيّ يقال له القَحْل بن عيّاش لما نظر إلى يزيد قال : يا أهلَ الشأم ، هذا والله يزيد ، والله لأقتلنّه أو ليقتلنّى ، وإن دونه ناساً ، فمن يحمل معى يكفينى أصحابه حتّى أصلَ إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نحمل نحن معك ، ففعلوا ، فحملوا بأجمعهم ، واضطربوا[1] ساعةً ، وسطع الغبار ، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا ، وعن القَحْل بن عياش بآخر رمق . فأومى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ؛ يقول لهم : أنا قتلتُه ، ويومى إلى نفسه إنه هو قتلنى . ومرّ مسلمة على القحل بن عياش صريعاً إلى جنب يزيد ، فقال : أما إنى أظن هذا هو الذى قتلنى . وجاء برأس يزيد مولى لبنى مُرّة ، فقيل له : أنت قتلته ؟ فقال : لا ، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر ، فقال له الحوارىّ بن زياد ابن عمرو العتكى: مُرْ برأسه فليُغسل ثم ليعمّم ، ففُعل ذلك به ، فعرفه، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط . ١٤٠٦/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى ثابت مولى زهير ، قال : لقد قتِل يزيد وهُزِم الناس ، وإن المفضّل بن المهلب ليقاتل أهلَ الشأم ما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمه الناس ؛ وإنّه لعلى بِرْذون شديد قريب من الأرض، وإنّ معه لجفّفة أمامه ، فكلما حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشف ، فيحمل فى ناس من أصحابه حتّى يخالط القوم ثم يرجع حتّى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يرى منّا مُلتفتاً إلا أشار إليه بيده ألاّ يلتفت ليُقبِل القومُ بوجوههم على عدوّهم ، ولا يكون لهم همٌّ غيرهم .

---

(١) ابن الأثير : « فاقتتلوا » .

قال : ثم اقتتلنا ساعة ؛ فكأنى أنظر إلى عامر بن العَمَيْثَل الأزدىّ وهو يضرب بسيفه ، ويقول :

قد عَلِمتْ أمُّ الصَّبىِّ المولودْ أنّى بِنَصْل السَّيفِ غَيْرُ رِعْدِيدْ

قال : واضطربنا والله ساعة ، فانكشفت خيل ربيعة ؛ والله ما رأيتُ عند أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال ، فاستقبل ربيعةَ بالسيف يناديهم : أى معشر ربيعة ، الكرّةَ الكرّة ! والله ما كنتم بكُشف ولا لئام ، ولا هذه لكم بعادة ، فلا يؤتينّ أهل العراق اليوم من قبَلكم . أىْ ربيعة ، فَدَتكم نفسى ، اصبروا ساعة من النهار .

قال : فاجتمعوا حوله ، وثابوا إليه (١) ، وجاءت كُوَيْفتك (٢) .

قال : فاجتمعنا ونحن نريد الكرّة عليهم ، حتى أتى ، فقيل له : ما تصنع ها هنا وقد قتِل يزيد وحبيب ومحمد ، وانهزم الناس منذ طويل ؟ وأخبر الناس بعضهم بعضًا ، فتفرّقوا ومضى المفضّل ، فأخذ الطريق إلى واسط ، فما رأيت رجلاً من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه ، ولا أضرب بسيفه ، ولا أحسن تعبئة لأصحابه منه .

١٤٠٧/٢ قال أبو مخنف : فقال لى ثابت مولى زهير : مررت بالخندق ، فإذا عليه حائط ، عليه رجال معهم النَّبل ، وأنا مجفَّف ، وهم يقولون : يا صاحب التَّجفاف ، أين تذهب ؟ قال : فما كان شىء أثقلَ علىّ من تجفافى ، قال : فما هو إلا أن جزُتهم ، فنزلت فألقيته لأخفّف عن دابّتى . وجاء أهل الشأم إلى عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم أبو رؤبة صاحب المرجئة ساعة من النهار حتى ذهب عُظْمهم ، وأسر أهل الشأم نحواً من ثلثمائة رجل ، فسرّحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم . وكان على شُرطه العُريان بن الهيثم . وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو : أن اضرب رقابَ الأسَراء ، فقال للعُريان بن الهيثم : أخرجهم عشرين عشرين ، وثلاثين ثلاثين . قال : فقام نحوٌ من ثلاثين رجلاً من بنى تميم ، فقالوا :

---

(١) ابن الأثير : « فرجعوا إليه » .

(٢) كذا فى ط .

نحن انهزمنا بالناس ، فاتقوا الله وابدءوا بنا ، أخرجونا قبل الناس ، فقال لهم العُريان : اخرجوا على اسم الله ، فأخرجهم إلى المصطبة ، وأرسلَ إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم ومقالتهم ، فبعث إليه أن اضرب أعناقهم .

قال أبو مخنف : فحدّثنى نَجيح أبو عبد الله مولى زهير ، قال : والله إنى لأنظر إليهم يقولون : إنا لله ! انهزمنا بالناس ، وهذا جزاؤنا ، فما هو إلا أن فرغ منهم ، حتى جاء رسول من عند مسلَمة فيه عافية الأسَراء والنهى عن قتلهم . فقال حاجب بن ذُبيان من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم : ٢/١٤٠٨

لَعَمرِى لقد خاضَتْ معيطٌ دِماءَنَا بِأَسيافها حتى انتهى بِهمُ الوحلُ

وما حُمل الأقْوامُ أعظمَ من دَمٍ حرامٍ ولَا ذَحْلٍ إذا التُمس الذَّحْلُ[1]

حَقَنْتم دِماءَ المُصْلتين عليكمُ وجُرَّ على فُرْسانِ شيعتك القتلُ

وَقَى بِهمُ العُريانُ فُرسانَ قومِه فياعجباً أينَ الأمانة والعدلُ!

وكان العُريان يقول : والله ما اعتمدتُهم ولا أردتُهم حتى قالوا : ابدُ بنا ، أخرجنا ، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمتُ المأمور بقتلهم ، فما يَقبل حُجتهم ، وأمر بقتلهم ، والله على ذلك ما أحبّ أن قتل من قومى مكانهم رجلٌ ، ولئن لامونى ما أنا بالذى أحفل لائمتهم ، ولا تكبر علىّ .

وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ، فأتى بنحو من خمسين أسيراً ، ولم يكونوا فيمن بعث به إلى الكوفة ، كان أقبل بهم معه ، فلما رأى الناس أنه يريد أن يضربَ رقابهم ، قام إليه الحصين بن حماد الكلبىّ فاستوهبه ثلاثة : زياد بن عبد الرحمن القشيرىّ ، وعتبة بن مسلم ، وإسماعيل مولى آل بنى عقيل بن مسعود ، فوهبهم له ، ثم استوهب بقيّتهم أصحابُه ، فوهبهم لهم ، فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط ، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا ٢/١٤٠٩

(١) فى الحاشية : « الذحل بالذال معجمة : الحقد ، وبغير معجمة : الحفر فى الأرض » .

فى يده ، فضرب أعناقهم : منهم عدىّ بن أرطاة ، ومحمد بن عدىّ بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عَزْرة البصرى ، وعبد الله بن وائل ، وابن أبى حاضر التميمىّ من بنى أسيِّد بن عمرو بن تميم ، وقد قال له القوم : ويحك ! إنا لا نراك إلا تقتلنا ؛ إلا أن أباك قد قتل ، وإنّ قتلنا ليس بنافع لك فى الدنيا ، وهو ضارّك فى الآخرة ؛ فقتل الأسارى كلّهم غير ربيع بن زياد بن الربيع ابن أنس بن الريّان ، تركه ، فقال له ناس : نسيتَه ؟ فقال : ما نسيته ؛ ولكن لم أكن لأقتله ؛ وهو شيخ من قومى له شرف ومعروف وبيت عظيم ، ولست أتّهمه فى وُدّ ، ولا أخاف بغيَه . فقال ثابت قطنة فى قتل عدىّ بن أرطاة :

مَا سَرّنى قَتْلُ الفَزَارىِّ وابنِهِ عَدِىٍّ ولاَأَحْبَبْتُ قتلَ ابن مِسْمَعِ
ولكنها كانت مُعَاوِىَّ زَلَّةً وضعْت بها أمرى على غيرِ موضع

١٤١٠/٢ ثم أقبل حتّى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضّل بن المهلّب ، واجتمع جميع آل المهلّب بالبصرة ، وقد كانوا يتخوّفون الذى كان من يزيد ، وقد أعدّوا السفن البحريّة ، وتجهزوا بكلّ الجهاز ، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وَداع بن حُميد الأزدىّ على قَندابيل أميراً ، وقال له : إنى سائر إلى هذا العدوّ ، ولو قد لقيتُهم لم أبرح العَرْصة حتّى تكون لى أولهم ، فإن ظفرت أكرمتُك ، وإن كانت الأخرى كنت بقَنْدابيل حتّى يقدم عليك أهل بيتى ، فيتحصّنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً ، أما إنى قد اخترتك لأهل بيتى من بين قومى ؛ فكن عند حسن ظنى ، وأخذ عليه أيمانًا غلاظًا ليُناصحنّ أهل بيته ، إن هم احتاجوا ولجئوا إليه ، فلما اجتمع آل المهلب بالبصْرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم فى السفن البحرية ، ثم لجّجوا فى البحر حتى مرّوا بهرِم ابن القرار العبدىّ – وكان يزيد استعمله على البحرين – فقال لهم : أشير عليكم ألّا تفارقوا سفنكم ، فإن ذلك هو بقاؤكم ، وإنى أتخوّف عليكم إن خرجتم من هذه السفنِ أن يتخطفكم الناس ، وأن يتقرّبوا بكم إلى بنى مروان . فمضوا حتى إذا كانوا بجبال كرْمان خرجوا من سفنهم ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدوابّ .

٢/١١ وكان معاوية بن يزيد بن المهلّب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزائن وبيت المال ؛ فكأنّه أراد أن يتأمّر عليهم، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضّل: أنت أكبرنا وسيّدنا ، وإنما أنت غلام حديث السنّ كبعض فتيان أهلك،فلم يزل المفضّل عليهم حتى خرجوا إلى كَرْمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، فاجتمعوا إلى المفضّل، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضبّ الكلبيّ فى طلب آل المهلب وفى أثر الفَلّ[1] . فأدرك مدرك المفضّل بن المهلب، وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم ، فأدركهم فى عَقَبَة ، فعطفوا عليه ، فقاتلوه واشتدّ قتالهم إيّاه ، فقتِل مع المفضل بن المهلب النّعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعيّ ومحمد بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث، وأخِذ ابن صُول ملك قهُستان أسيراً، وأخذت سُرّيّة المفضل العالية، وجُرِح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة، وهرب حتى انتهى إلى حُلوان ، فدُلّ عليه ، فقتل وحُمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب ، فطلبوا الأمان ، فأومِنوا؛ منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدىّ من تميم، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد مواطنه وأيّامه كلها ، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمّه وابنةُ مسلمة تحته ــ فأمّنه ، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتمه قائمًا ، ٢/١٤١٢ فقال: صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونِفار فى كلّ فتنة، مرّة مع حائك كندة، ومرّة مع ملاح الأزْد ؛ ما كنت بأهل أن تؤمّن ؛ قال : ثم انطلق . وطلب الأمان لمالك بن إبراهيم بن الأشتر الحسنُ بن عبد الرحمن بن شراحيل ــ وشراحيل يلقّب رستم الحضرمىّ ــ فلما جاء ونظر إليه ، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرمىّ : هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، قال له : انطلق ، قال له الحسن: أصلحك الله ! لم لم تشتمه كما شتمت صاحبه ! قال : أجللتكم عن ذلك ، وكنتم أكرم علىّ من أصحاب الآخر وأحسن طاعة . قال : فإنه أحبّ إلينا أن تشتمه ، فهو والله أشرف أباً وجدًّا ، وأسوأ أثراً من أهل الشأم من الورد بن عبد الله ؛ فكان الحسن يقول بعد أشهر : ما تركه إلا حسداً من أن يعرف

---

(١) الفل : الجماعة المنهزمون .

صاحبنا ، فأراد أن يُرينا أنه قد حفره . ومضى آل المهلّب ومن سقط منهم من الفُلول حتى انتهوا إلى قندابيل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضبّ الكلبىّ فردّه ، وسرّح فى أثرهم هلال بن أحوز التميمىّ، من بنى مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقندابيل ، فأراد آل المهلب دخول قندابيل ، فمنعهم وداع بن حميد . وكاتبه هلال بن أحوز ، ولم يباين آل المهلب[1] فيفارقهم ، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفّوا ،كان وداع بن حميد على الميمنة ، وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدىّ ، فرفع لهم راية الأمان ، فمال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال ، وارفضّ عنهم الناس فخلّوهم . فلما رأى ذلك مروان بن المهلّب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء ، فقال له المفضّل : أين تريد ؟ قال : أدخل إلى نسائنا فأقتلهنّ ، لئلا يصل إليهنّ هؤلاء الفسّاق ، فقال: ويحك ! أتقتل أخواتك ونساء أهل بيتك ! إنا والله ما نخاف عليهنّ منهم . قال : فردّه عن ذلك ، ثم مشوا بأسيافهم ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم[2] ، إلا أبا عيينة ابن المهلب ، وعثمان بن المفضل فإنهما نَجَوا ، فلحقا بخاقان ورتبيل ، وبعث بنسائهم[3] وأولادهم إلى مسلمة بالحيرة ، وبعث برءوسهم إلى مسلمة ، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك ، وبعث[4] بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك، وهو على حلَب ، فلما نُصبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس عبد الملك ، هذا رأس المفضّل ، والله لكأنه جالس معى يحدثنى .

وقال مسلمة: لأبيعن ذريّتهم وهم فى دار الرزق ، فقال الجرّاح بن عبد الله[5] : فأنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك، فاشتراهم منه بمائة ألف ، قال : هاتها ، قال : إذا شئت فخذها ، فلم يأخذ منه شيئاً ، وخلى سبيلهم ، إلا تسعة فتية

(١) ابن الأثير : « وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب » .

(٢) أضاف ابن الأثير : « وهم المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية ابن يزيد بن المهلب ، والمنهال بن أبى عيينة بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رءوسهم وفى أذن كل واحد رقعة فيها اسمه» .

(٣) ابن الأثير : « وبعث هلال بن أحوز بنسائهم » .

(٤) ابن الأثير : « فسيرهم » .

(٥) بعدها فى ابن الأثير : « الحكمى » .

منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقدم بهم عليه ، فضرب رقابهم ، فقال ثابت قُطْنة(١) حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

أَلا يا هند طالَ علَىَّ ليلِى   وعاد قصيرُهُ ليلا تماماً
كأَنِّى حين حَلَّقَتِ الثريَّا   سُقِيتُ لُعَابَ أَسوَدَ أَو سَمامَا
أَمَرَّ علىَّ حُلوَ العيش يَوْمٌ   مِنَ الأَيام شَيَّبَنِى غلاماً
مُصابُ بنى أَبيكِ وَغِبتُ عنهُمْ   فلم أَشهدهمُ ومضَوا كراما
فلا واللهِ لَا أَنسَى يزيداً   ولا القَتلَى التى قُتِلَت حَرامَا
فَعلىّ أَن أَبو بأَخيك يوماً   يزيدًا أَو أَبوءَ به هِشَامَا
وعَلَىّ أَنْ أَقودَ الخيل شُعْثاً   شَوَازِبَ ضُمَّرًا تَقِصُ الإِكامَا
فأُصبِحَهُنَّ حِمْيَرَ من قريب   وعكًّا أَو أَرُعْ بهما جُذاما
وَنَسقِى مَذْحِجًا والحىَّ كلباً   منَ الذَّيفَان أَنفاساً قَوَاما
عشائرنا التى تبغى علينا   تَجُرُّبُنا زَكَا عاماً فعاماً
ولولاهمْ وما جَلَبُوا علينا   لأَصبح وَسْطَنَا مَلِكا هُمَامَا

وقال أيضًا يرثى يزيد بن المهلّب :

أَبَى طُولُ هذا اللَّيْل أَنْ يَتَصَرَّمَا   وَهَاجَ لك الهَمُّ الفؤاد المُتَيَّمَا
أَرِقتُ وَلَمْ تأْرَقْ مَعِى أُمُّ خالد   وقد أَرِقَتْ عيناىَ حَوْلاً مُجرَّمَا
على هَالِكٍ هَدَّ العشيرة فَقْدُهُ   دعته المنايا فاستجاب وَسَلَّمَا   ١٤١٥/٢
على مَلِكٍ يا صَاح بِالعَقْر جُبِّنَتْ   كتائبه واسْتَوْرَدَ الموت مُعلِما

(١) فى ابن الأثير : «قطنة ؛ بالنون ؛ وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكى الأزدى ، أصيبت عينه بخراسان ، فجعل عليها قطنة ، فعرف بذلك ؛ وهو يشتبه بثابت قطبة ، بالباء الموحدة ، وهو خزاعى ، وذاك عتكى» .

أُصيب ولم أشهد ولو كنْتُ شَاهدًا ... تَسلَّيْتُ إن لم يجْمَع الحيُّ مأْتمَا
وفى غِيَرِ الأَيَّام يا هِنْدُ فاعلمى ... لِطَالِبِ وِترٍ نظرة إنِ تلوَّمَا
فعلِّىَ إن مالت بىَ الريح مَيْلةً ... عَلى ابن أَبى ذِبَّانَ أَن يَتَنَدَّمَا
أَمَسْلمَ إن يَقْدِرْ عليك رِماحُنا ... نُذِقْكَ بها قَىْءَ الأَسَاودِ مُسلَمَا
وإن نلقَ للعباس فى الدهر عثرةً ... نُكافِئه باليوم الذى كان قَدَّما
قصاصاً ولا نَعدُو الذى كانَ قَد أَتى ... إلينا وإن كان ابن مروانَ أظلَمَا
ستَعلَمُ إن زلَّت بك النَّعل زلةً ... وأظهَرَ أَقوام حياءً مجَمجَمَا
من الظالم الجَانِى على أهل بيته ... إذا أُحْضِرَت[1] أسباب أمر وَأَبهَمَا

١٤١٦/٢

وَإنا لَعطَّافُونَ بالحلم بعد مَا ... نرَى الجهلَ من فرطِ اللئيم تكرُّما
وإنا لحَلاَّلونَ بالثَّغرِ لا نرى ... بهِ ساكِناً إلا الخميس العَرَمرَمَا
نرى أنَّ لِلجِيرَانِ حاجاً وَحُــرمَةً ... إذَاالنَّاسُ لم يَرْعَوْا لدى الجارِ مَحرمَا
وَإنَّا لنَقرِى الضيف من قَمعِ الذُّرَى ... إذَا كانَ رفدُ الرافدين تجَشُّمَا
وراحت بصُرَّادٍ مُلِثٌّ جليدُه ... عَلى الطلحِ أرماكاً من الشهب صُيَّمَا
أَبونا أَبُو الأَنصار عَمْرُو بنُ عامِرٍ ... وَهُمْ وَلَدُوا عَوفاً وكعباً وَأَسلَمَا
وقد كانَ فى غَسَّانَ مجدٌ يَعُــدُّهُ ... وَعَادِيَّةٌ كانت مِنَ المجدِ مُعظمَا

* * *

[ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان]

١٤١٧/٢

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حَرْب يزيد بن المهلب ، جمع له[2] يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخُراسان فى هذه السنة ، فلما ولّاه يزيد ذلك ، ولّى مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وقام بأمر البصرة بعد أن خرج منها آل المهلب — فيما قيل — شبيبُ بن الحارث التميمىّ ، فضبطها ، فلمّا ضُمّت إلى مسلمة بعث عاملا

(١) ابن الأثير : « أحضرت » . (٢) ابن الأثير : « له أخوه » .

عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبىّ ، وعلى شُرْطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمىّ ، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرِض أهلَ البصرة ، وأفشى ذلك إلى عمر بن يزيد ، فقال له عمر : أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تَمْن حصناً بكويفة ، وتدخل من تحتاج إليه ! فوالله لو رَماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوّفت أن يقتلونا ؛ ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك . ووجه رسولا إلى مسلمة يخبره بما همّ به عبد الرحمن ، فوجّه مسلمة عبد الملك ابن بشر بن مروان على البصرة ، وأقرّ عمر بن يزيد على الشرْطة والأحداث .

* * *

[ذكر استعمال مسلمة سعيد خذينة على خراسان]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة وجّه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبدالعزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبى العاص ، وهو الذى يقال له سعيد خُذَينَة — وإنما لقب بذلك — فيما ذكر — أنه كان رجلاً ليِّناً سهلا متنعمًا[1] ، قدم خراسان على بختيّه معلقاً سكيناً فى منطقته[2] ، فدخل عليه[3] ملك أبغَر، وسعيد متفضّل فى ثياب مصبَّغة، حوله[4] مرافق مصبّغة ، فلما خرج[5] من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خذينيّة ، لمتّه سُكينيّة ؛ فلقب خذينة وخذينة هى الدهقانة ربّة البيت ، وإنما استعمل مسلمة سعيدَ خذينة على خراسان لأنه كان ختَنه على ابنته ، كان سعيد متزوجًا بابنة مسلمة .

١٤١٨/٢

ولما ولى مسلمة سعيد[6] خذينة خراسان ، قدم إليها قبل شخوصه سَوْرَة ابن الحرّ من بنى دارم ، فقدمها قبل سعيد — فيما ذكر — بشهر ، فاستعمل شعبة بن ظُهَير النهشلىّ على سَمَرْقند ، فخرج إليها فى خمسة وعشرين رجلا من أهل بيته ، فأخذ على آمُل ، فأتى بخارى ، فصحبه منها مائتا رجل ، فقدم

(١) ف : « منعما » .
(٢) ب : « منطقة » .
(٣) ح : « على » .
(٤) ابن الاثير : « وحوله » .
(٥) ح : « خرجوا » .
(٦) ب : « سعيدا » .

السُّغْد ، وقد كان أهلها كفروا فى ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدىّ ، ووليها ثمانية عشر شهراً ، ثم عادوا إلى الصُّلح ، فخطب شعبة أهل السُّغْد ، ووبَّخ سكانها من العرب وعيَّرهم بالجُبْن ، فقال[١] : ما أرى فيكم جريحًا ، ولا أسمع فيكم أنةً . فاعتذروا إليه بأن جبَّنوا عاملهم عِلباء بن حبيب العبدى ، وكان على الحرب. ثم قدم سعيد ، فأخذ عمّال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرىّ الذين وُلُّوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ، فكلّمه فيهم عبد الرحمن بن عبد الله[٢] القُشيرىّ ، فقال له سعيد : قد رُفِع عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج . قال : فأنا أضمنه ، فضمِن عنهم[٣] سبعمائة ألف ، ثم لم يأخذه بها . ١٤١٩/٢

ثمّ إنّ سعيداً رفع إليه — فيما ذكر علىّ بن محمد — أن جهم بن زَحْر الجعفىّ وعبدالعزيز بن عمرو بن الحجاج الزّبيدىّ والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدىّ والقعقاع الأزدىّ ولُّوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية[٤] ، وعندهم أموال قد اختانوها من فىء المسلمين . فأرسل إليهم ، فحبسهم فى قُهُنْدُز مَرْو ، فقيل له : إن هؤلاء لا يؤدّون إلا أن تبسط عليهم . فأرسل إلى جَهْم بن زَحْر ، فحمِل على حمار من قهندز مَرْو ، فمرّوا به على الفيض بن عمران ، فقام إليه فوجأ أنفه ، فقال له جهم : يا فاسق ، هلاّ فعلت هذا حين أتونى بك سكران قد شربت الخمر ، فضربتك حدًّا ! فغضب سعيد على جَهْم فضربه مائتى سوط ، فكبّر أهل السوق حين ضرِب جَهْم بن زَحْر ، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا فى السجن فدُفعوا[٥] إلى ورقاء بن نصر الباهلىّ ، فاستعفاه فأعفاه . ١٤٢٠/٢

وقال عبد الحميد بن دِثار — أو عبد الملك بن دِثار — والزّبير بن نشيط مولى باهلة ، وهو زوج أم سعيد خذينة : ولّينا محاسبتهم ، فولاهم فقتلوا فى العذاب جهماً ، وعبد العزيز بن عمرو والمنتجع ، وعذبوا القعقاع وقومًا حتى أشرفوا على الموت . قال : فلم يزالوا فى السجن حتى غزتهم الترك وأهل السّغد ، فأمر سعيد بإخراج

(١) ابن الاثير : « وقال » .
(٢) ب : « عبد الله بن عبد الرحمن » .
(٣) ح : « عليه » .
(٤) ابن الأثير : « فى ثمانية نفر » .
(٥) ب : « فرفعوا » ، ابن الاثير : « فسلموا » .

مَنْ بقى منهم ، فكان سعيد يقول : قبّح الله الزُّبير ، فإنه قتل جهماً !

* * *

وفى هذه السنة غزا المسلمون السُّغْد والتُّرك، فكان فيها الوقعة بينهم بقصر الباهلىّ .

* * *

وفيها عزل سعيد خذينة شعبة بن ظُهَيْر عن سمرقند .

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شُعْبةَ وسبب هذه الوقعة وكيف كانت :

ذكر علىّ بن محمد ، عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم ، أنّ سعيد خذينة لما قدم خُراسان ، دعا قومًا من الدّهاقين ، فاستشارهم فيمن يوجّه إلى الكُور ، فأشاروا إليه بقوم من العرب ، فولّاهم ، فشُكوا إليه ، فقال للناس يومًا وقد دخلوا عليه : إنى قدمت البلد ، وليس لى علم بأهله ، فاستشرت فأشاروا[1] علىّ بقوم ، فسألتُ عنهم فحمِدوا ، فولّيتهم، فأحرِّج عليكم لمّا أخبرتمونى عن عمّالى . فأثنى عليهم القوم خيراً ، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرىّ : لو لم تُحرّج[2] علينا لكففتُ[3] ، فأما إذ حرّجتَ علينا فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمنْ لا يخالفهم وبأشباههم[4] ؛ فهذا علمنا فيهم . ٢/١٤٢١

قال : فاتّكأ سعيد ثم جلس، فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، قوموا .

قال: وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السُّغد ، وولّى حربها عثمانَ بن عبد الله بن مطرِّف بن الشِّخِّير ، وولّى الخراج سليمان بن أبى السَّرِىّ مولى بنى عُوافة ، واستعمل على هَراة معقِل بن عروة القشيرىّ ، فسار إليها. وضعّف الناس سعيداً وسمَّوه خذينة ،فطمع فيه التّرك، فجمع له خاقان التّرك،

(١) ب : « فأشار » . (٢) ح : « تخرج » .
(٣) ب : « لكففنا » .
(٤) ب : « ولا بأشباههم » .

ووجّههم إلى السُّغد ، فكان على الترك كورصول ، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهليّ .

وقال بعضهم : أراد عظيمٌ من عظماء الدّهاقين أن يتزوّج امرأة من باهلة ، وكانت فى ذلك القصر ، فأرسل إليها يخطبها ، فأبت ، فاستجاش ورجا أن يسبُوا مَنْ فى القصر ، فيأخذ المرأة ، فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر ، وفيه مائة أهل بيت بذراريّهم ، وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله[1] وخافوا أن يبطئ عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفًا ، وأعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة ، وندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب المسيّب بن بشر الرياحيّ وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، فقال شعبة بن ظهير : لو كان ها هنا خيول خُراسان ما وصلوا إلى غايتهم [2] .

٢/١٤٢٢

قال : وكان فيمن انتدب من بنى تميم شُعْبة بن ظُهَير النهشليّ وبلعاء بن مجاهد العنْزيّ، وعميرة بن ربيعة أحد بنى العُجَيف — وهو عميرة الثّريد — وغالب بن المهاجر الطائيّ — وهو عمّ أبى العباس الطوسيّ — وأبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائيّ، وثابت قُطنة، وأبو المهاجر بن دارة من غطفان، وحُليس[3] الشيبانيّ، والحجاج بن عمرو الطائيّ ، وحسان بن مَعْدان الطائيّ ، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حسّان الطائيّان . فقال المسيّب بن بشر لما عسكروا : إنكم تقدمون على حَلْبة الترك، حلْبة خاقان وغيرهم، والعِوَض إن صبرتم الجنة، والعقاب النار إن فررتم ، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم .

فانصرف عنه ألف وثلثمائة ، وسار فى الباقين، فلما سار فرسخًا قال للناس مثل مقالته الأولى، فاعتزل ألف، ثم سار فرسخًا آخر فقال لهم مثل ذلك ، فاعتزل ألف ، ثم سار — وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظليّ — حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قِيّ فقال: إنه لم يبقَ هاهنا دِهْقان إلا وقد بايع الترك غيرى ، وأنا فى ثلثمائة مقاتل فهم معك ، وعندى الخبر ، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفًا ؛ فأعطوهم سبعة عشر رجلا ؛ ليكونوا رَهْنًا

٢/١٤٢٣

(١) بعدها فى ب : « ابن مطرف » .
(٢) ب : « إغاثتهم » .
(٣) ط : « جليس » ، بالجيم ، تحريف .

فى أيديهم[١] حتى يأخذوا صلحهم ؛ فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك مَنْ كان فى أيديهم من الرهائن .

قال : وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلىّ فنجا لم يقتَل ، والأشهب بن عبيد الله الحنظلىّ ،وميعادهم أن يقاتلوهم[٢] غداً أو يفتحوا القصْر ، فبعث المسيّب رجلين : رجلا من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم ، وقال لهم : إذا قربتم فشُدّوا دوابّكم بالشَّجَر ، واعلموا علم القوم . فأقبلا فى ليلة مظلمة ؛ وقد أجْرَت[٣] الترك الماء فى نواحى القصر ؛ فليس يصل إليه أحدٌ ، ودنوا من القصر ؛ فصاح بهما الربيئة ، فقالا : لا تصحْ وادعُ لنا عبد الملك ابن دثار ، فدعاه فقالا له : أرسلنا المسيّب ، وقد أتاكم الغياث ، قال : أين هو ؟ قال : على فرسخين ؛ فهل عندكم امتناع ليلتك وغداً ؟ فقال : قد أجمعنا على تسليم[٤] نسائنا وتقديمهم للموت أمامنا ؛ حتى نموت جميعًا غداً . فرجعا إلى المسيّب ، فأخبراه فقال المسيّب للذين معه : إنى سائر إلى هذا العدوّ ، فمن أحبّ أن يذهب فليذهب ، فلم يفارقه أحدٌ ؛وبايعوه على الموت .

فسار وقد زاد الماء الذى أجروه حول المدينة[٥] تحصيناً ، فلمّا كان بينه ١٤٢٤/٢ وبينهم نصف فرسخ نزل ، فأجمع على بياتهم ؛ فلما أمسى أمر الناس فشدّوا على خيولهم ، وركب فحثّهم على الصبر ، ورغّبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب والصّبْر ، وما لهم فى الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا ، وقال لهم : اكعَموا[٦] دوابّكم وقُودوها[٧] ، فإذا دنوتم من القوم فاركبوها ، وشدّوا شدّةً صادقة وكبّروا ، وليكن شعاركم : يا محمد ؛ ولا تتبعوا مولياً ، وعليكم بالدوابّ فاعقروها ، فإنّ الدوابّ إذا عُقرت كانت أشدّ عليهم منكم ، والقليل الصابر خيرٌ من الكثير الفشِل ؛ وليست بكم قِلّة ، فإنّ سبعمائة سيف لا يُضرب بها فى عسكر إلا أوهنوه وإن كثُر أهله .

---

(١) ب : « بأيديهم » . (٢) ح : « يقاتلهم » ، ابن الأثير : « يقاتلوا » .
(٣) ب وابن الاثير : « أخذت » .
(٤) ح : « تسليح » ، ابن الأثير : « على تقديم نسائنا إلى الموت » .
(٥) ح : « الذى أحرفه للمدينة » .
(٦) الكعام : شىء يجعل على فم البعير ؛ وكعم البعير : شد فاه بالكعام فى هياجه لئلا يعض أو يأكل .
(٧) كذا فى ب ، وفى ط : « قودوهم » .

قال : وعبّأهم وجعل على الميمنة كثيّر بن الدّبوسيّ ، وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قُطْنة . وساروا حتّى إذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك فى السحَر ، وثار الترك ، وخالط المسلمون العسكَر ، فعقروا الدوابّ ، وصابرهم الترك ، فجال المسلمون وانهزموا حتّى صاروا إلى المسيَّب ، وتبعهم الترك وضربوا عَجُز دابة المسيّب فترجّل رجال من المسلمين ، فيهم البَختريّ أبو عبد الله المرائىّ ، ومحمد بن قيس الغَنَوىّ — ويقال : محمد بن قيس العنبرىّ — وزياد الأصبهانىّ ، ومعاوية بن الحجاج ، وثابت قطنة . فقاتل البَختريّ فقطعت[1] يمينه ، فأخذ السيف بشماله فقطعت ، فجعل يذبُّ بيديه حتّى استشهد . واستشهد أيضًا محمد بن قيس العنبرىّ أو الغَنَوىّ وشبيب بن الحجاج الطائىّ .

١٤٢٥/٢

قال : ثم انهزم المشركون ، وضرب ثابت قُطْنة عظيمًا من عظمائهم ، فقتله ، ونادى منادى المسيّب : لا تتبعوهم[2] ؛ فإنهم لا يدرون من الرّعب ، اتّبعتموهم أم لا ! واقصدوا القَصْر ، ولا تحملوا شيئًا من المتاع إلا المال ، ولا تحمّلوا من يقدر على المشى .

وقال المسيّب : مَنْ حمل امرأة أو صبيًّا أو ضعيفًا حِسْبَةً فأجرُه على الله ، ومَنْ أبى فله أربعون درهمًا ، وإن كان فى القصر أحدٌ من أهل عَهْدكم فاحملوه . قال : فقصدوا جميعًا القَصْر ، فحملوا مَنْ كان فيه ، وانتهى رجلٌ من بنى فُقَيم إلى امرأة ، فقالت : أغِثْنى أغاثك الله ! فوقف وقال : دونك وعجز الفرس ، فوثبت فإذا هى على عَجُز الفرس ؛ فإذا هى أفرَسُ من رجل ، فتناول الفقيمىّ بيد ابنها ، غلامًا صغيراً ، فوضعه بين يديه ، وأتَوْا ترك خاقان ، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام ، وقال : الحقوا بسمرقَنْد ؛ لا يرجعوا فى آثاركم . فخرجوا نحو سمرقند ، فقال لهم : هل بقى أحد ؟ قالوا : هلال الحريرىّ ، قال : لا أسلمه ، فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة ، فاحتمله ، فبرأ ، ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد .

قال : فرجع الترك من الغدِ ، فلم يروا فى القَصْر أحداً ، ورأوا

---

(١) ب : « حتى قطعت » . (٢) ط : « تتبعهم » ، وما أثبته من ب .

قتلاهم ، فقالوا : لم يكن الّذين جاءوا من الإنس ، فقال ثابت قطنة :

فَدَتْ نفسى فوارسَ مِن تميم غَدَاةَ الرَّوع فى ضَنْكِ المقامِ ١٤٢٦/٢
قدت نفسى فوارسَ أكنفونى على الأعداءِ فى رَهَج القتَامِ
بِقَصْرِ الباهلىِّ وقد رأوْنى أُحَامِى حيثُ ضَنَّ به المُحامى[١]
بسيفى بَعدَ حَطْمِ الرُّمحِ قُدْماً أَذُودُهُمْ بذى شُطَبٍ جُسَامِ
أكُرُّ عليهمُ اليَحْمُومَ كَرًّا ككرِّ الشَّرْبِ آنيَةَ المُدامِ
أكُرُّ به لدَى الغمراتِ حتى تَجَلَّتْ لاَ يَضيقُ بها مَقامِى
فلوْلا اللهُ ليس له شَرِيكٌ وضَرْبِى قَوْنَسَ الملكِ الهمامِ
إذًا لَسعَتْ نساءُ بنى دِثَارٍ أمامَ الترك باديةَ الخِدَامِ !
فمَنْ مِثْلُ المسيّبِ فى تميمٍ أبى بِشْرٍ كَقادِمةِ الحمامِ

وقال جرير يذكر المسيّب :

لولا حِمايَةُ يرْبُوعٍ نساءَكُمُ كانت لغيركمُ منهنَّ أطهارُ[٢] ١٤٢٧/٢
حَامى المسيّبُ والخيلان فى رَهَجٍ إذ مازنٌ ثَمَّ لا يُحمَى لها جارُ[٣]
إذْ لا عِقَالٌ يُحَامِى عن ذمارِكُمُ ولا زُرَارَةُ يَحْمِيها ووزّارُ

قال : وعوّر تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائىّ ، وشُلّت يدُه ، وقد كان ولى ولاية قبل سعيد ، فخرج عليه شىء مما كان بقىَ عليه ، فأخذ به ، فدفعه سعيد إلى شدّاد بن خُليد الباهلىّ ليحاسبه ويستأديه[٤] فضيّق عليه شدّاد ، فقال : يا معشرَ قيس ، سرتُ إلى قصر الباهلىّ وأنا شديد البَطْش ، حديد البصر ؛ فعُوِّرتُ وشَلّتْ يدى ، وقاتلت مَع مَنْ قاتل

(١) ابن الأثير : « حيث ضربه » . (٢) ديوانه ١٩٨ .
(٣) الديوان : « أزمان شبة لا يحمى ونمار » . (٤) ابن الأثير : « ويستأذنه » .

حتّى استنقذناهم بعد أن أشرفوا[1] على القتل والأسْر والسَّبى ، وهذا[2] صاحبكم يصنع بى ما يصنع[3] ، فكَفُّوه عنى ، فخلّاه .

قال : وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر الباهلىّ قال : كنا فى القصر ، فلما التقوا ظننا أنّ القيامة قد قامت لما سمعنا من هَمَاهم القوم ووقْع الحديد وصهيل الخيل . ٢/١٤٢٨

***

[ذكْر الخبر عن غزو سعيد خذينة السُّغْد]

وفى هذه السنة قطع سعيد خذينة نهر بلْخ وغزا السُّغْد[4] ، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا التّرك على المسلمين .

* ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين فى هذه الغزوة :

وكان سبب غزو[5] سعيد هذه الغزوة — فيما ذُكر — أنّ التّرك عادوا إلى السُّغْد ، فكلم الناس سعيداً وقالوا : تركت الغزو ، فقد أغار التّرك ، وكفر أهل السُّغْد ، فقطع النهر ، وقصد للسغْد ، فلقيَه التّرك وطائفة من أهل السُّغْد فهزمهم المسلمون ، فقال سعيد : لا تتبعوهم ؛ فإن السُّغْد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم ؛ أفتريدون بوارَهم ! وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرّة فهل أباروكم[6] ! .

وسار المسلمون ، فانتهوْا إلى وادٍ بينهم وبين المرْج ، فقال عبد الرحمن ابن صُبح : لا يقطعنّ هذا الوادى مُجفِّف ولا راجل ، وليعبر مَنْ سواهم. فعبروا[7] ، ورأتهم التّرك ، فأكمنوا كميناً ، وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم ، فانحاز التّرك فأتبعوهم حتّى جازُوا الكمين ، فخرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتّى انتهوْا إلى الوادى ، فقال لهم عبد الرحمن بن صبح : سابقوهم ، ولا تقطعوا فإنكم إن قطعتم أبادوكم . فصبروا لهم حتّى انكشفوا عنهم ، فلم يتبعوهم ، فقال ٢/١٤٢٩

(١) ب وابن الأثير : « ما أشرفوا » .
(٢) ب : « فهذا » .
(٣) ح : « صنع » .
(٤) ب وابن الأثير : « الصغد » .
(٥) ح : « غزوة » .
(٦) ابن الأثير : « أبادوكم » .
(٧) ب : « فساروا » .

قوم : قُتِل يومئذ شُعْبة بن ظُهَيْر وأصحابه ، وقال قوم: بل انكشف الترك منهم يومئذ منهزمين ، ومعهم جمع من أهل السُّغْد . فلما كان الغد ، خرجت مَسلحة للمسلمين — والمسلحة يومئذ من بنى تميم — فما شعروا إلا بالترك معهم ، خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بنى تميم شعبة بن ظُهَيْر ، فقاتلهم شعبة فقُتل ؛ أعجلوه عن الركوب . وقتِل رجل من العرب ، فأخرجت جاريته حِنَّاء ، وهى تقول: حتى متى أعدّ لك مثل هذا الخضاب ، وأنت مختضب بالدم ! مع كلام كثير ، فأبكت أهلَ العسكر . وقتِل نحو من خمسين رجلا ، وانهزم أهلُ المسلحة ، وأتى الناسَ الصَّريخ ، فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوىّ : كنت أنا أوّل مَن أتاهم لما أتانا الخبر ، وتحتى فرس جواد ، فإذا عبد الله بن زهير إلى جنْب شجرة كأنه قُنفذ من النشّاب ؛ وقد قتل ، وركب الخليل بن أوس العبشمىّ — أحد بنى ظالم ، وهو شابّ — ونادى: يابنى تميم ، أنا الخليل ؛ إلىّ ! فانضمّت[1] إليه جماعة — فحمل بهم على العدوّ ، فكفّوهم ووزَعوهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة ، فانهزم العدوّ ، فصار الخليل على خيل بنى تميم يومئذ ، حتى ولى نصر بن سيار ؛ ثم صارت رياسة بنى تميم لأخيه الحكم بن أوس .

١٤٣٠/٢ وذكر علىّ بن محمد، عن شيوخه ؛ أن سورة بن الحُرّ قال لحيّان : انصرف يا حيّان ، قال : عقيرة الله أدَعُها وأنصرف قال : يا نبطىّ قال : أنبط الله وجهك !

قال : وكان حيّان النبطىّ يكنى فى الحرب أبا الهيّاج ، وله يقول الشاعر :

إنَّ أبا الهَيّاج أَرْيَحِىٌّ لِلرِّيحِ فى أثوابه دَوِىٌّ

قال : وعبر سعيد النّهر مرتين ، فلم يجاوز سَمَرْقند ، نزل فى الأولى بإزاء العدوّ ، فقال له حيّان مولى مصقلة بن هبيرة الشيبانىّ : أيها الأمير ، ناجز أهل السُّغد ، فقال : لا ، هذه بلاد أمير المؤمنين ، فرأى دخاناً ساطعاً ، فسأل عنه فقيل له : السُّغْد قد كفروا ومعهم بعض الترك . قال : فناوشهم ، فانهزموا

(١) ابن الأثير : « فاجتمع » .

فألحُّوا فى طلبهم ، فنادى منادى سعيد : لا تطلبوهم ؛ إنما السُّغد بستان أمير المؤمنين ، وقد هزمتموهم ، أفتريدون بوارَهم ! وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم أمير المؤمنين غير مرّة ، فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع ، فلما كان العام المقبل بعث رجالاً من بنى تميم إلى وَرَغْسَر ، فقالوا : ليتنا نلقى العدوَّ فنطاردهم — وكان سعيد إذا بعث سريّة فأصابوا وغنموا [١] وسبوا ردّ ذرارىّ السّبْى وعاقب السريّة ، فقال الهجرىّ وكان شاعراً :

١٤٣١/٢ سريت إلى الأَعْداءِ تلهُو بلعبةٍ وأَيْرُك مسلولٌ وسيفك مُغْمَدُ
وأَنتَ لِمن عاديتَ عِرْسٌ خَفِيَّةٌ وَأَنتَ علَينا كالحُسَام المُهَنَّدِ
فللّه دَر السّغدِ لما تَحَزَّبُوا[٢] وَيا عجَباً من كَيْدكَ المُتَرَدِّدِ !

قال : فقال سورة بن الحرّ لسعيد — وقد كان حفظ عليه ، وحقد عليه قوله : «أنبط الله وجهك» —: إنّ هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال ، وهو أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم ، وهو واثب بك ، مفسد عليك خراسان ؛ ثم يتحصّن[٣] فى بعض هذه القلاع . فقال : ياسورة[٤] لا تُسمِعَنّ هذا أحداً . ثم مكث أياماً ، ثم دعا فى مجلسه بلبَن ، وقد أمر بذهب فسحق ، وأُلْقِىَ فى إناء حيّان فشربه ، وقد خلط بالذهب ، ثم ركب ، فركب الناس أربعة فراسخ إلى بارْكث ؛ كأنه يطلب عدوًّا ، ثم رجع فعاش حيّان أربعة أيام ومات فى اليوم الرابع ، فثقُل سعيد على الناس وضعّفوه ، وكان رجل من بنى أسد

١٤٣٢/٢ يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مرْوان بن محمد ، فذُكر إسماعيل عند خُذَينة ومودّته لمروان ، فقال سعيد : وما ذاك الملْط ! فهجاه إسماعيل ، فقال :

زَعمت خُذَينَةُ أَننى مِلطٌ[٥] لِخُذينَـــةَ المرآةُ والمُشْطُ
وَمَجَامِرٌ ومكاحِلٌ جُعلت ومَعَازِفٌ وَبخدّها نُقط

(١) ابن الأثير : « أوغنموا » .
(٢) ح : « تحربوا » .
(٣) ب : « نتحصن » .
(٤) ابن الاثير : « فقال سعيد : لا أسمعن هذا أحداً » .
(٥) الملط : الذى لا يعرف له نسب ولا أب .

أَفذَاكَ أم زَغَفٌ مُضَاعَفَةٌ ومُهَنَّدٌ من شأنه القَطُّ
لمُقَرِسٍ ذَكرٍ أخى ثِقَةٍ لم يَغذهُ التَّأْنِيث واللَّقْطُ
أَغَضِبتَ أن باتَ ابن أُمِّكمُ بِهم وَأن أباكمُ سقط
إنى رأيت نِبَالَهُمْ كُسيتْ ريش اللُّؤَامِ ونَبلكم مُرْط
وَرَأَيتُهُمْ جعلوا مكاسِرَهُمْ عندَ النَّدىِّ وأنتمُ خِلْط

***

[عزل مسلمة عن العراق وخراسان]

وفى هذه السنة عُزِل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام .

* ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك :

وكان سبب ذلك – فيما ذكر علىّ بن محمد – أنّ مسلمة لما ولىَ ما ولىَ من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئًا ، وأنّ يزيد بن عاتكة أراد عزلَه فاستحيا منه ، وكتب إليه أن استخلف على عملك ، وأقبل . ١٤٣٣/٢

وقد قيل إنّ مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان فى الشخوص إلى ابن عاتكة ليزورَه ، فقال له : أمن [1] شوق بك إليه ! إنك لطَرُوب ، وإنّ عهدك به لقريب ، قال : لا بدّ من ذلك ، قال : إذاً لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه ، فشخص ؛ فلما بلغ دُورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس [2] من دوابّ البريد ، فدخل عليه ابن هبيرة ، فقال : إلى أين يابن هبيرة ؟ فقال : وجّهنى أمير المؤمنين فى حيازة أموال بنى المهلب . فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه ، فقال : هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى ، قال : قد أنبأتك ، قال : فإنه إنما وجّهه لحيازة أموال بنى المهلب ، قال : هذا [3] أعجب من الأوّل ؛ يصرف عن الجزيرة ، ويوجّه فى حيازة أموال

(١) ف : « من » . (٢) ح : « فى خمسين » .
(٣) ب : « فإن هذه » .

بنى المهلب ، قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق :

رَاحَت بِمَسلمَةَ الرِّكابُ مُودَّعا فارعَىْ فَزَارَةَ لا هناكِ المرتَعُ[١]
عُزِلَ ابن بِشرٍ وابن عمرٍو قبلَهُ وأَخُو هَراةَ لِمِثلِهَا يَتَوَقَّعُ[٢]
وَلَقَدْ علِمتُ لئنْ فَزَارَة أُمِّرَتْ أَنْ سَوْفَ تَطمَعُ فى الإمارَةِأشجَع
من خَلق رَبِّكِ ما هُمُ ولِمِثلهمْ فى مثل ما نالَتْ فَزَارَةُ يطمَعُ[٣]

١٤٣٤/٢ يعنى[٤] بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وبابن عمرو محمداً ذا الشامة بن عمرو بن الوليد ، وبأخى هراة سعيد خُذَينة بن عبد العزيز ، كان عاملا لمسلمة على خراسان .

وفى هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الرُّوم بأرمينية ، فهزمهم وأسر منهم بشراً كثيراً قيل سبعمائة أسير .

* * *

[بدء ظهور الدعوة]

وفيها وجّه — فيما ذكر ميسرةُ — رسلَه من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة[٥] بها ، فجاء رجل من بنى تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورقاء السعدىّ إلى سعيد خذينة ، فقال له : إن ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح ، فبعث إليهم سعيد ، فأُتِىَ بهم ، فقال: من أنتم ؟ قالوا: أناس من التجار ؟ قال : فما هذا الذى يحكى عنكم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : جئتم دعاة ؟ فقالوا :

---

(١) ديوانه ٥٠٩ ، وفيه : « ومضت لمسلمة » .
(٢) الديوان : « نزع ابن بشر » .
(٣) موضعه فى الديوان :

إنّ القِيَامَة قد دنَتْ أَشْراطها حَتَّى أُميّة عن فَزَارة تنزع

(٤) ف : « ويعنى » . (٥) ب : « فظهر أمر الدعاة » .

إن لنا فى أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا ، فقال : مَن يعرف هؤلاء ؟ فجاء أناس من أهل خراسان ، جُلُّهم ربيعة واليمن ، فقالوا : نحن نعرفهم ، وهم علينا إن أتاك منهم شىء تكرهه ، فخلّى سبيلهم .

***

[ذكر خبر قتل يزيد بن أبى مسلم بإفريقية]

وفيها — أعنى سنة اثنتين ومائة — قتل يزيد بن أبى مسلم بإفريقية وهو وال عليها. ٢/١٤٣٥

• ذكر الخبر عن سبب قتله :

وكان سبب ذلك أنه كان — فيما ذكر — عزم أن يسير بهم [1] بسيرة الحجّاج بن يوسف فى أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السَّواد من أهل الذّمّة ، فأسلم بالعراق ممن ردّهم إلى قُراهم [2] ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم [3] على ذلك تآمروا فى أمره ، فأجمع [4] رأيهم — فيما ذكر — على قتله فقتلوه ، وولوا على أنفسهم الذى كان عليهم قبل يزيد بن أبى مسلم ؛ وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان فى جيش يزيد بن أبى مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلعْ أيدَينا من الطاعة ؛ ولكن يزيد بن أبى مسلم سامنا ما لا يرضى [5] الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدْنا عاملك .

فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إنى لم أرض ما صنع يزيد بن أبى مسلم ، وأقرّ محمد بن يزيد على إفريقية .

***

وفى هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن مُعَيَّة بن سكين بن خَدِيج بن مالك بن سعد بن عدىّ بن فزارة على العراق وخراسان . ٢/١٤٣٦

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدىّ .

---

(١) ب وابن الأثير : « فيهم » . (٢) ف : « قرارهم » .
(٣) ح : « عزموا » ، ابن الأثير : « فلما عزم يزيد » .
(٤) ب : « وأجمع » . (٥) ب وابن الأثير : « يرضاه » .

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضّحّاك ، وعلى مكة عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسِيد . وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة ، وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعلى خراسان سعيد خُذينة ، وعلى مصر أسامة ابن زيد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

***

[عَزْل سعيد خذينة عن خراسان]

فمما كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خُذينة عن خراسان ، وكان سبب عزله عنها — فيما ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه — أن المجشّر بن مُزاحم السُّلَميّ وعبد الله بن عُمير الليثيّ قدما على عمر بن هبيرة ، فشكواه فعزله ، واستعمل سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب بن وَقْدان بن الحَرِيش[1] بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وخذينة غازٍ[2] بباب سمرقند ، فبلغ الناس عزلُه ، فقفل خذينة ، وخلّف بسمرْقند ألفَ فارس ، فقال نَهار بن تَوْسِعة :

فمن ذا مُبلغٌ فتيان قومي[3]   بأنَّ النَّبلَ رِيشَتْ كُلَّ رِيْش   ١٤٣٧/٢

بأنَّ اللهَ أبْدلَ من سعيدٍ   سعيدًا لا المُخَنَّثَ من قريش

قال : ولم يعرض سعيد الحَرَشيّ لأحدٍ من عمال خُذَينة ، فقرأ رجل عهده فلحن فيه ، فقال سعيد : صه ، مهما سمعتم فهو من الكاتب ، والأمير منه بريء ، فقال الشاعر يضعّف الحَرَشيّ في هذا الكلام :

تَبَدَّلْنَا سعِيدًا مِنْ سعيدٍ   لِجَدِّ السُّوءِ والقَدَرِ المُتاحِ

***

قال الطبريّ : وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة[4] يقال لها رسلة .

وفيها أغارت الترك على اللان .

---

(١) ب : « فدان بن الحريش » .   (٢) ابن الأثير : « كان » .

(٣) ب وابن الأثير : « فهل من مبلغ » .   (٤) بعدها في ف : « منها » .

وفيها ضمّت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهرىّ ، فجمعت له مع المدينة .

وفيها ولى عبد الواحد بن عبد الله النضرىّ، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة .

وفيها أمر عبد الرحمن بن الضَّحّاك أن يجمع بين أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيّان المُرىّ ، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرىّ ، كذلك قال أبو معشر والواقدى . ١٤٣٨/٢

وكان عامل يزيد بن عاتكة فى هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النّضْرىّ [١] . وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشىّ من قِبَل عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى .

* * *

[استعمال ابن هبيرة سعيدًا الحَرشىّ على خراسان]

وفيها استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحَرَشىّ على خراسان .

* ذكر الخبر عن سبب استعماله الحَرَشىّ على خراسان :

ذكر علىّ بن محمد عن أصحابه أنّ ابن هبيرة لما ولى العراق ، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلَى يوم العَقْر ،ولم يذكر الحرَشىّ، فقال يزيد بن عبد الملك : لِمَ لم يذكر الحرشىّ ؟ فكتب إلى ابن هبيرة : ولّ الحرشىّ خراسان . فولاّه ،فقدِم الحرشىّ على مقدمته المجشّر بن مزاحم السلمىّ سنة ثلاث ومائة ، ثم قدم الحَرَشىّ خراسان ، والناس بإزاء العدوّ، وقد كانوا نُكبوا ، فخطبهم وحثّهم على الجهاد ، فقال : إنكم لا تقاتلون عدوّ الإسلام بكثرة

(١) ب : « البصرى » ، ف : « النصرى » .

ولا بعُدّة ، ولكن بنصر الله وعزّ الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .
وقال :

فلَسْتُ لعامر إنْ لم تَروني … أمامَ الخَيلِ أَطعَنُ بالعوالى[1]
فأَضرِبُ هامَةَ الجَبَّارِ منهُمْ … بعَضْبِ الحدِّ حودِثَ بالصِّقالِ[2] ١٤٣٩/٢
فما أنا فى الحُرُوبِ بِمُستكِينٍ … ولا أَخشى مُصاوَلَةَ الرِّجالِ
أَبَى لِى والدِى من كلِّ ذَمٍّ … وخالِى فى الْحوادِثِ خَيْرُ خال
إذَا خطرَتْ أمامى حىُّ كَعْب … وزَافَتْ كالجِبالِ بنُو هِلالِ

* * *

[ارتحال أهل السُّغد عن بلادهم إلى فرغانة]

وفى هذه السنة ارتحل أهل السُّغْد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو الحَرَشىّ فلحقوا بفَرغانة ، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين .

• ذكر الخبر عمّا كان منهم ومن صاحب فَرْغانة :

ذكر علىّ بن محمد عن أصحابه ، أنّ السغْد كانوا قد أعانوا التّرك أيام خُذينة ، فلما وليهم الحَرَشىّ خافوا على أنفسهم ، فأجمع عظماؤهم على الخروج عن بلادهم ، فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا ، أقيموا واحملوا إليه خراج ما مضَى ، واضمنوا له خراج ما تستقبلون ، واضمنوا له عمارة أرَضيكم[3] والغزو معه إن أراد ذلك ، واعتذِروا مما كان منكم ، وأعطوه رهائن يكونون فى يديه . قالوا : نخاف ألّا يرضى ، ولا يقبل منّا ، ولكنا نأتى خُجَنْدَة ، فنستجير ملكَها ، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا ، ونوثق له ألّا يرى أمرًا يكرهه ، فقال : أنا رجل منكم ، وما أشرتُ به عليكم كان خيرًا لكم ، فأبوْا ، فخرجوا إلى خُجَنْدة ، وخرج كارزنج وكشِّين وبيَاركَث وثابت بأهل إشْتِيخَن ، فأرسلوا إلى ملك فَرْغانة الطار يسألونه أن يمنَعهم وينزلهم ١٤٤٠/٢

(١) ابن الأثير : « نطعن » . (٢) حودث ، أى جلى .
(٣) ح : « أرضكم » ، ابن الأثير : « الأرض » .

مدينته. فهمّ أن يفعل، فقالت له أمّه: لا تُدخل هؤلاء الشياطين مدينتَك ، ولكن فرّغ لهم رستاقًا يكونون فيه ، فأرسل إليهم : سمُّوا لى رستاقاً [١] أفرّغه لكم ، وأجِّلونى أربعين يومًا — ويقال : عشرين يومًا — وإن شئتم فرّغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلىّ — وكان قتيبة خلّفه فيهم — فقبلوا شعب عصام. فأرسلوا إليه [٢] : فرغه لنا، قال: نعم ، وليس لكم علىّ [٣] عقد ولا جِوار حتى تدخلوه ؛ وإنْ أتتكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعكم ، فرضوا؛ ففرّغ لهم الشِّعب .

وقد قيل: إن ابن هُبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا ، ويستعمل عليهم من أحبُّوا ، فأبوا وخرجوا إلى خُجَنْدة وشِعب عصام من رُستاق أسفَرة — وأسفرة يومئذ ولىّ عهد ملك فرغانة بلاذا ، وبيلاذا أنوجور ملكها .

وقيل : قال لهم كارزنج : أخيّركم ثلاث خصال ، إن تركتموها هلكتم : إنّ سعيداً فارس العرب ، وقد وجّه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيرىّ [٤] فى حماة أصحابه ، فبيّتوه فاقتلوه ؛ فإنّ الحَرَشىّ إذا أتاه خبره لم يغزُكم ، فأبوْا عليه ، قال : فاقطعوا نهر الشاش ، فسلوهم ماذا تريدون ؟ فإن أجابوكم وإلا مضيتم إلى سوياب ، قالوا : لا ، قال : فأعطوهم .

٢/١٤٤١

قال : فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قَبىَ ، وأبار بن ماخنون وثابت بأهل إشتيخنَ ، وارتحل أهل بياركث وأهل سَبَكث بألف رجل عليهم مناطق الذّهب مع دهاقين بُزْماجن ، فارتحل الديواشنى بأهل بُنْجيكث إلى حصن أبْغَر ، ولحق كارزنج وأهل السُّغد بخُجَنْدة .

* * *

تم الجزء السادس من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء السابع ، وأوله : ذكر حوادث سنة أربع ومائة

---

(١) بعدها فى ابن الأثير : « تكونون فيه حتى » .
(٢) ب : « وقالوا له » .
(٣) ح : « عنلى » .
(٤) ب ، ح : « القشرى » .

فهرس الموضوعات

السنة السادسة والستون

* * *

السنة السابعة والستون

* * *

السنة الثامنة والستون

* * *

السنة التاسعة والستون

* * *

السنة السبعون

* * *

السنة الحادية والسبعون

* * *

السنة الثانية والسبعون

* * *

السنة الثالثة والسبعون

* * *

السنة الرابعة والسبعون

* * *

السنة الخامسة والسبعون

* * *

السنة السادسة والسبعون

* * *

السنة السابعة والسبعون

* * *

السنة الثامنة والسبعون

* * *

السنة التاسعة والسبعون

* * *

السنة الثمانون

* * *

السنة الحادية والثمانون

* * *

السنة الثانية والثمانون

* * *

السنة الثالثة والثمانون

السنة الرابعة والثمانون

* * *

السنة الخامسة والثمانون

* * *

السنة السادسة والثمانون

* * *

السنة السابعة والثمانون

* * *

السنة الثامنة والثمانون

* * *

السنة التاسعة والثمانون

* * *

السنة التسعون

* * *

السنة الحادية والتسعون

* * *

السنة الثانية والتسعون

* * *

السنة الثالثة والتسعون

* * *

السنة الرابعة والتسعون

* * *

السنة الخامسة والتسعون

* * *

السنة السادسة والتسعون

* * *

السنة السابعة والتسعون

* * *

السنة الثامنة والتسعون

* * *

السنة التاسعة والتسعون

* * *

السنة المائة

* * *

سنة إحدى ومائة

* * *

سنة اثنتين ومائة

* * *

سنة ثلاث ومائة

رقم الإيداع	١٠٠٢٩ / ١٩٩٣	
الترقيم الدولى	977 – 02 – 4290 – X	ISBN

١/٩٣/١٠٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

